

(الجزء الثالث)
من تاريخ الكامل
للعلامة ابن الاثير
الجزرى

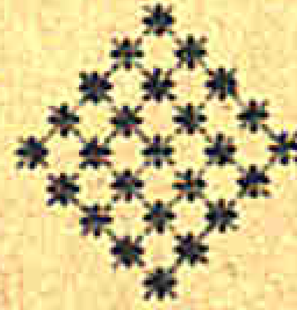
﴿فهرسة الجزء الثالث من تاريخ الكامل للعلامة ابن الاثير الجزرى﴾

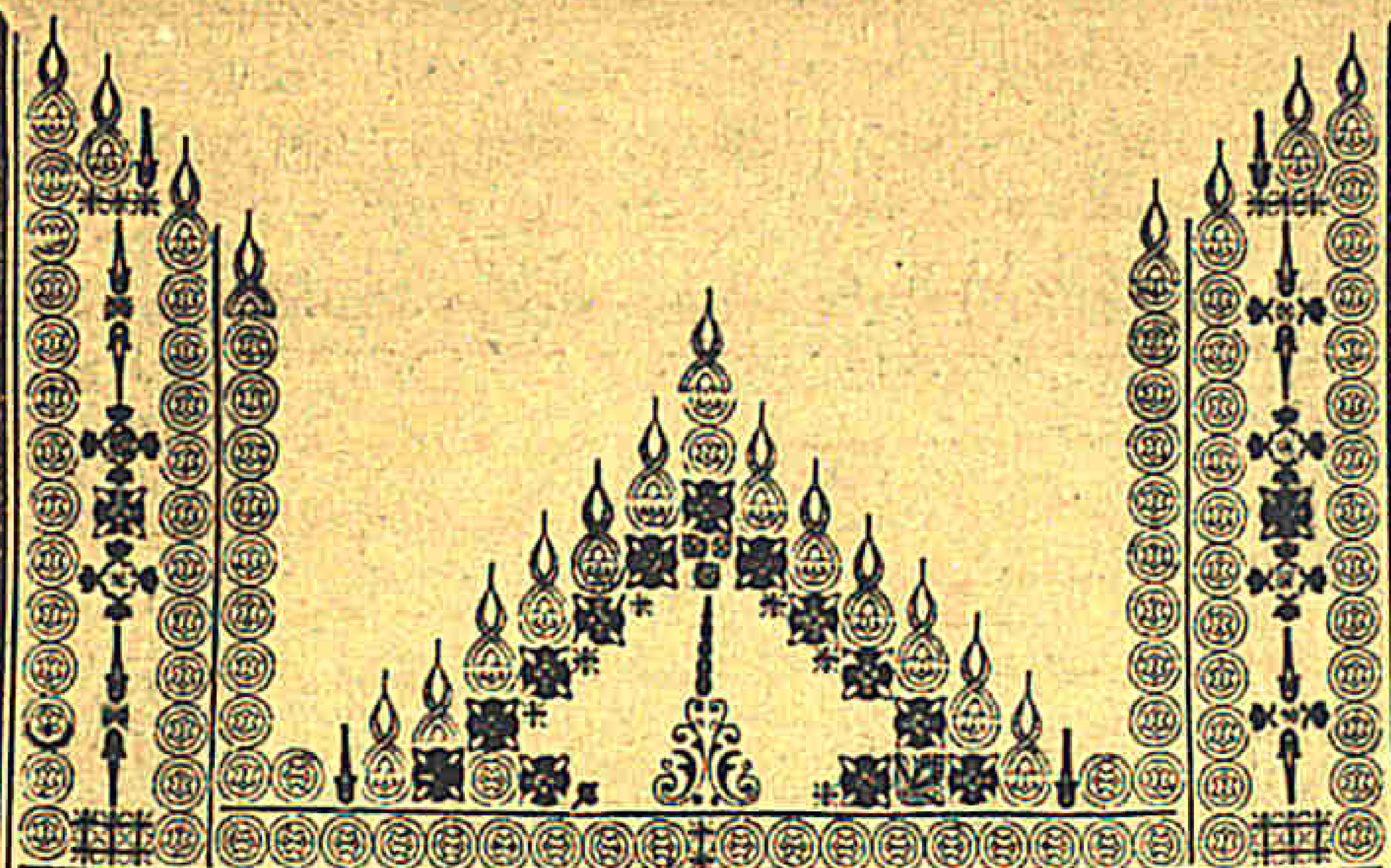
﴿فهرسة ما على هامش هذا الجزء من تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى﴾

(الجزء الثالث)

من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن على بن
أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه الله
آمين

(وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر)
(للامام أبي الحسن على بن الحسين المسعودي رحمه الله)





﴿ثم دخلت سنة احدى وعشرين﴾

﴿ذكر وقعة نهاوند﴾

قيل فيها كانت وقعة نهاوند وقيل كانت سنة ثمان عشرة وقيل سنة تسع عشرة وكان الذى هيج أمر نهاوند أن المسلمين لما خلصوا جند العلاء من بلاد فارس وفتحوا الاهواز كاتبت الفرس ملكهم وهو بمرو فحركوه وكاتب الملوك بين الباب والسند وخراسان وحلوان فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا الى نهاوند ولما وصلها أوائلهم بلغ سعدا الخبر فكتب الى عمر وثار بسعد قوم سعوا به وألبوا عليه ولم يشغلهم ما نزل بالناس وكان ممن تحرك فى أمره الجراح بن سنان الاسدى فى نفر فقال لهم عمر والله ما يمنعنى ما نزل بكم من النظر فيما لديكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس فى الاستعداد للفرس وكان محمد صاحب العمال يقتص آثار من شكى زمان عمر فطاف بسعد على أهل الكوفة يسأل عنه فما سأل عنه جماعة الا اثنوا عليه خيرا سوى من مالأ الجراح الاسدى فانهم سكتوا ولم يقولوا سوأ ولا يسوغ لهم حتى انتهوا الى بنى عبس فسألهم فقال أسامة بن قتادة اللهم انه لا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية ولا يغزو فى السرية فقال سعد اللهم ان كان قالها رياء وكذبا وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن فعمى واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فاذا عثر عليها قال دعوة سعد الرجل المبارك ثم دعا سعد على أولئك النفر فقال اللهم ان كانوا خرجوا أشرا وبطرا ورياء فأجهد بلادهم فجهدوا وقطع الجراح بالسيوف يوم بادر الحسن بن على عليه السلام ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة وقتل اربد بالوجء ونعال السيوف وقال سعد انى أول رجل اهراق دما من المشركين ولقد جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه وما جمعهما لاحد قبلى ولقد رأيتنى خمس الاسلام وبنو أسد تزعم انى لا أحسن أصلى وان الصيد يلهينى وخرج محمد بسعد وبهم معه الى المدينة فقدموا على عمر فأخبروه الخبر فقال كيف تصلى يا سعد قال أطيل الاوليين وأحذف الاخريين فقال هكذا الظن بك يا أبا اسحق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا وقال من خليفتك يا سعد على الكوفة فقال عبد الله بن

عبد

﴿ذكر ملوك الروم بعد ظهور الاسلام﴾

(قال المسعودى) وجدت فى كتب التواريخ تنازعا فى مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى عصر من كان من ملوك الروم فمنهم من ذهب الى ما قدمنا من مولده وهجرته ومنهم من رأى ان مولده عليه الصلاة والسلام كان فى ملك نوسطورس الاول وكان ملكه تسعا وعشرين سنة (ثم ملك نوسطورس) وكان ملكه عشرين سنة (ثم ملك بعده) هرقل بن منطيوس وهو الذى فى كتب الزيجات فى النجوم وعليه يعمل أهل الحساب وفى تواريخ ملوك الروم ممن سلف وخلف ان ملك الروم كان فى وقت ظهور الاسلام وأيام أبى بكر وعمر هرقل وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب التواريخ وأصحاب الاخبار والسير الا فى اليسير منها وفى تواريخ أصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن مورق (ثم ملك بعده قيصر بن قيصر) وذلك فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه (ثم ملك على الروم هرقل بن قيصر) وذلك فى خلافة عمر بن

عبد الله بن عتبان فأقره فكان سبب نهاوند وبعثها زمن سعد . وأما الوقعة فهى زمن عبد الله فنفرت الاعاجم بكتاب يزدجرد فاجتمعوا بنهاوند على الفيرزان فى خمسين ألفا ومائة ألف مقاتل وكان سعد كتب الى عمر بالخبر ثم شافهه به لما قدم عليه وقال له ان أهل الكوفة يستأذنونك فى الانسياح وان يبدؤهم بالشدة ليكون أهيب لهم على عدوهم فجمع عمر الناس واستشارهم وقال لهم هذا يوم له ما بعده وقد هممت ان أسير فيمن قبلى ومن قدرت عليه فأنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين ثم استنفرهم وأكون لهم ردأ حتى يفتح الله عليهم ويقضى ما أحب فان فتح الله عليهم صببتهم فى بلدانهم فقال طلحة بن عبيد الله يا أمير المؤمنين قد أحكمتك الامور وعجمتك البلابل واحتنكتك التجارب وأنت وشأنك ورأيك لا ننبو فى يديك ولا نكل عليك اليك هذا الامر فمرنا نطع وادعنا نجب واحملنا نركب وقدنا ننقد فانك ولى هذا الامر وقد بلوت وجربت واحتربت فلم ينكشف شئ من عواقب قضاء الله لك الا عن خيار ثم جلس فعاد عمر فقام عثمان فقال أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم والى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير أنت بأهل الحرمين الى الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجميع المسلمين فانك اذا سرت قل عندك ما قد تكاثر من عدد القوم وكنت أعز عزا وأكثر يا أمير المؤمنين انك لا تستبقى بعد نفسك من العرب باقية ولا تمتع من الدنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز ان هذا يوم له ما بعده من الايام فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه وجلس فعاد عمر فقام اليه على بن أبى طالب فقال أما بعد يا أمير المؤمنين فانك ان أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم وانك ان أشخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم اليك مما بين يديك من العورات والعيالات أقرر هؤلاء فى أمصارهم واكتب الى أهل البصرة فليتفرقوا ثلاث فرق فرقة فى حرمهم وذراريهم وفرقة فى أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ولتسر فرقة الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا قالوا هذا أمير العرب وأصلها فكان ذلك أشد لكلبهم عليك وأما ما ذكرت من مسير القوم فان الله هو أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره وأما عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر فقال عمر هذا هو الرأى كنت أحب أن أتابع عليه فأشيروا على برجل أوليه . وقيل ان طلحة وعثمان وغيرهما أشاروا عليه بالمقام والله أعلم فقال عمر أشيروا على برجل أوليه ذلك الثغر وليكن عراقيا فقالوا أنت أعلم بجندك وقد وفدوا عليك فقال والله لأولين أمرهم رجلا يكون أول الاسنة اذا لقيها غدا فقيل من هو فقال هو النعمان بن مقرن المزنى فقالوا هو لها وكان النعمان يومئذ معه جمع من أهل الكوفة قد اقتحموا جند يسابور والسوس فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى ماه لتجتمع الجيوش عليه فاذا اجتمعوا اليه سار بهم الى الفيرزان ومن معه وقيل بل كان النعمان بكسكر فكتب الى عمر يسأله ان يعزله ويبعثه الى جيش من المسلمين فكتب اليه عمر يأمره بنهاوند فسار فكتب عمر الى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان كذا وكذا ويجتمعوا عليه بماه فندب الناس فكان أسرعهم الى ذلك الروادف ليبلوا فى الدين وليدركوا حظا فخرج الناس منها وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن حتى قدموا على النعمان وتقدم عمر الى الجند الذين كانوا بالاهواز ليشغلوا فارس عن المسلمين وعليهم المقترب وحرملة وزر فأقاموا بتخوم أصبهان وفارس وقطعوا امداد فارس عن أهل نهاوند واجتمع الناس على النعمان وفيهم حذيفة بن اليمان وابن

الخطاب رضى الله عنه وهو الذى حاربه أمراء الاسلام الذين فتحوا الشام مثل أبى عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ويزيد بن أبى سفيان وغيرهم من أمراء الاسلام حين أخرجوه من الشام وكان الملك على الروم موريق بن هرقل فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه (ثم ملك موريق بن موريق فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه وأيام معاوية بن أبى سفيان (ثم ملك بعده) قلفط بن مورق بقية أيام معاوية وكانت بينه وبين معاوية مراسلات ومهادنات وكان المختلف بينهما انياق الرومى غلام كان لمعاوية وقد كان معاوية هادن اباه مورق ابن مورق حين سار الى حرب على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان بشره بالملك وأعلمه ان المسلمين تجتمع كلمتهم على قتل صاحبهم يعنى عثمان ثم يؤول الملك الى معاوية وقد كان معاوية يومئذ أميرا على الشام لعثمان فى خبر طويل قد أتينا على ذكره فى الكتاب الاوسط وان ذلك من علم الملاحم تتوارثه ملوك الروم عن اسلافهم وكان ملك قلفط بن مورق فى الآخر من أيام معاوية وأيام يزيد بن معاوية وأيام معاوية

عمرو وجرير بن عبد الله البجلي والمغيرة بن شعبة وغيرهم فأرسل النعمان طليحة بن خويلد وعمرو ابن معديكرب وعمرو بن ثنى رهوابن أبي سلمى ليأتوه بخبرهم وخرجوا وساروا يوما الى الليل فرجع اليه عمرو بن ثنى فقالوا ما رجعك فقال لم أكن في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها ومضى طليحة وعمرو بن معديكرب فلما كان آخر الليل رجع عمرو فقالوا ما رجعك قال سرنا يوما وليلة ولم نر شيأ فرجعت ومضى طليحة حتى انتهى الى نهاوند وبين موضع المسلمين الذي هم به ونهاوند بضعة وعشرون فرسخا فقال الناس ارتد طليحة الثانية فعلم كلام القوم ورجع فلما رأوه كبروا فقال ما شأنكم فاعلموه بالذي خافوا عليه فقال والله لو لم يكن دين الا العربي ما كنت لاجزر العجم الطماطم هذه العرب العادية فاعلم النعمان انه ليس بينهم وبين نهاوند شيء يكرهه ولا أحد فرحل النعمان وعبى أصحابه وهم ثلاثون ألفا فجعل على مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن وعلى المجردة القعقاع بن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود وقد توافت اليه أمداد المدينة فيهم المغيرة بن شعبة فانتهوا الى اسبيذهان والفرس وقوف على تعبيتهم وأميرهم الفيرزان وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جاذويه الذي جعل مكان ذي الحاجب وقد توافى اليهم الامداد بنهاوند كل من غاب عن القادسية ليسوا بدونهم فلما رآهم النعمان كبر وكبر معه الناس فتزلزلت الاعاجم وحطت العرب الاثقال وضرب فسطاط النعمان فابتدر أشراف الكوفة فضربوه منهم حذيفة بن اليمان وعقبة بن عامر والمغيرة بن شعبة وبشير بن الخصاصية وحنظلة الكاتب وجرير بن عبد الله البجلي والاشعث بن قيس وسعيد بن قيس الهمداني ووائل بن حجر وغيرهم فلم ير بناء فسطاط بالعراق كهؤلاء وانشب النعمان القتال بعد حط الاثقال فاقتتلوا يوم الاربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم سجال وانهم انجحروا في خنادقهم يوم الجمعة وحصرهم المسلمون وأقاموا عليهم ما شاء الله والفرس بالخيار لا يخرجون الا اذا أرادوا الخروج فخاف المسلمون ان يطول أمرهم حتى اذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع يجتمع أهل الرأي من المسلمين وقالوا نراهم علينا بالخيار وأتوا النعمان في ذلك فوافوه وهو يروي في الذي رووا فيه فاخبروه فبعث الى من بقي من أهل النجدات والرأي فاحضرهم فتكلم النعمان فقال قد ترون المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدنهم وانهم لا يخرجون الينا الا اذا شاؤا ولا يقدر المسلمون على اخراجهم وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق فما الرأي الذي به نستخرجهم الى المناجزة وترك التطويل فتكلم عمرو بن ثنى وكان أكبر الناس وكانوا يتكلمون على الاسنان فقال التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم فدعهم وقاتل من أتاك منهم فردوا عليه رأيه وتكلم عمرو بن معديكرب فقال ناهدهم وكابدهم ولا تخفهم فردوا جميعا عليه رأيه وقالوا انما يناطح بنا الجدران وهي أعوان علينا وقال طليحة أرى ان تبعث خيلا لينشبوا القتال فاذا اختلطوا بهم رجعوا الينا استطرادا فانا لم نستطردهم في طول ما قاتلناهم فاذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضي الله فيهم وفيما أحب فأمر القعقاع بن عمرو وكان على المجردة فانشب القتال فاخرجهم من خنادقهم كأنهم جبال حديد قد تواثقوا ان لا يفروا وقد قرن بعضهم بعضا كل سبعة في قران والقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا فلما خرجوا نكص ثم نكص واغتنمها الاعاجم ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا هي هي فلم يبق احد الا من يقوم على الابواب وركبوهم ولحق القعقاع بالناس وانقطع الفرس عن حصنهم بعض الانقطاع والمسلمون على تعبية في يوم جمعة صدر النهار وقد عهد النعمان الى الناس عهده وأمرهم ان يلزموا الارض ولا يقاتلوا حتى

ابن يزيد وأيام مروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك بن مروان (ثم ملك لاون بن قلفط) في أيام عبد الملك بن مروان وكان الملك بعده جيرون بن لاون في أيام الوليد بن عبد الملك وأيام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر مسلمة بن عبد الملك وغزو المسلمين اياهم في البر والبحر فملكوا عليهم رجلا من غير أهل بيت الملك من أهل مرعش يقال له جرجيس وكان ملكه تسع عشرة سنة ولم يزل ملك الروم مضطربا الى ان ملكهم قسطنطين ابن أليون وذلك في خلافة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور وأخيه (ثم ملك بعده اليون بن قسطنطين) وذلك في أيام المهدي والهادي (ثم ملك بعده قسطنطين) بن اليون وكانت أمه اريني ملكة معه مشاركة له في الملك لصغر سنه في أيام هرون الرشيد فمات قسطنطين ابن اليون وسملت عينا أمه بعد ذلك لاخبار يطول ذكرها (ثم ملك على الروم يعفور بن اسدراق) وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات وغزاه الرشيد فاعطى القود

باذن لهم ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمي وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفشوا فيهم الجراح وشكا الناس وقالوا للنعمان ألا ترى ما نحن فيه فما تنتظر بهم ائذن للناس في قتالهم فقال رويدا رويدا وانتظر النعمان بالقتال احب الساعات كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى العدو فيها وذلك عند الزوال فلما كان قريبا من تلك الساعة ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر وقال لهم اني مكبر ثلاثا فاذا كبرت الثالثة فاني حامل فاحملوا وان قتلت فالامير بعدي حذيفة فان قتل ففلان حتى عد سبعة آخرهم المغيرة ثم قال اللهم اعزز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك وقيل بل قال اللهم اني أسألك ان تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام واقبضني شهيدا فبكى الناس ورجع الى موقفه فكبر ثلاثا والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال وحمل النعمان والناس معه وانقضت رايته انقضاض العقاب والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعة كانت أشد منها وما كان يسمع الا وقع الحديد وصبر لهم المسلمون صبرا عظيما وانهزم الاعاجم وقتل منهم ما بين الزوال والاعتام ما طبق ارض المعركة دما يزلق الناس والدواب فلما اقر الله عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيدا زلق به فرسه فصرع وقيل بل رمي بسهم في خاصرته فقتله فجاء أخوه نعيم بثوب وأخذ الراية وناولها حذيفة فأخذها وتقدم الى موضع النعمان وترك نعيما مكانه وقال لهم المغيرة اكتموا مصاب أميركم حتى ننتظر ما يصنع الله فينا وفيهم لئلا يهن الناس فاقتتلوا فلما أظلم الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا ولزمهم المسلمون وعمي عليهم قصدهم فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا دونه فوقعوا فيه فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعض في قياد واحد فيقتلون جميعا وجعل يعقرهم حسك الحديد فمات منهم في اللهب مائة الف او يزيدون سوى من قتل في المعركة وقيل قتل في اللهب ثمانون ألفا وفي المعركة ثلاثون ألفا سوى من قتل في الطلب ولم يفلت الا الشريد ونجا الفيرزان من الصرعى فهرب نحو همذان فاتبعه نعيم بن مقرن وقدم القعقاع قدامه فادركه بثنية همذان وهي اذ ذاك مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلا فحبسه الدواب على أجله فلما لم يجد طريقا نزل عن دابته وصعد في الجبل فتبعه القعقاع راجلا فادركه فقتله المسلمون على الثنية وقالوا ان لله جنودا من عسل واستاقوا العسل وما معه من الاحمال وسميت الثنية ثنية العسل ودخل المشركون همذان والمسلمون في آثارهم فنزلوا عليها وأخذوا ما حولها فلما رأى ذلك خسرشنوم استأمنهم ولما تم الظفر للمسلمين جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان بن مقرن فقال لهم أخوه معقل هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة فاتبعوا حذيفة ودخل المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة واحتووا ما فيها من الامتعة وغيرها وما حولها من الاسلاب والاثاث وجمعوا الى صاحب الاقباض السائب بن الاقرع وانتظر من بنهاوند ما يأتيهم من اخوانهم الذين على همذان مع القعقاع ونعيم فأتاهم الهربذ صاحب بيت النار على أمان فابلغ حذيفة فقال اتؤمنني ومن شئت على ان أخرج لك ذخيرة لكسرى تركت عندي لنوائب الزمان قال نعم فاحضر جوهرا نفيسا في سفطين فارسلهما مع الاخماس الى عمر وكان حذيفة قد نفل منها وأرسل الباقي مع السائب بن الاقرع الثقفي وكان كاتبا حاسبا ارسله عمر اليهم وقال له ان فتح الله عليكم فاقسم على المسلمين فيئهم وخذ الخمس وان هلك هذا الجيش فاذهب فبطن الارض خير من ظهرها قال السائب فلما فتح الله على المسلمين واحضر الفارسي السفطين

من نفسه بعد بغي كان منه في بعض مراسلاته فانصرف الرشيد عنه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الانقياد وكتم عن الرشيد أمره لعارض علة كان وجدها بالرقة وفي انقياد يعفور الى الرشيد وحمله الاموال والهدايا والضريبة اليه يقول أبو العتاهية

امام الهدى اصبحت بالدين معنيا
وأصبحت تسقي كل مستمطر ريا
لك اسمان شقا من رشاد ومن هدى
فأنت الذي تدعى رشيدا ومهديا
اذا ما سخطت الشيء كان مسخطا
وان ترض شيأ كان في الناس مرضيا
بسطت لنا شرقا وغربا يد العلى
فأوسعت شرقيا وأوسعت غربيا
وغشيت وجه الارض بالجود والندى
فاصبح وجه الارض بالجود مغشيا
وأنت أمير المؤمنين فتى التقى
نشرت من الاحسان ما كان مطويا
قضى الله ان صفى لهارون

اللذين أودعهما عنده النخيرجان فاذا فيهما اللؤلؤ والزبرجد والياقوت فلما فرغت من القسمة احتملتهما معي وقدمت على عمر وكان قد قدر الوقعة فبات يتململ ويخرج ويتوقع الاخبار فبينما رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه فرجع الى المدينة ليلا فمر به راكب فسأله من أين اقبل فقال من نهاوند واخبره بالفتح وقتل النعمان فلما اصبح الرجل تحدث بهذا بعد ثلاث من الوقعة فبلغ الخبر عمر فسأله فاخبره فقال ذلك بريد الجن ثم قدم البريد بعد ذلك فاخبره بما يسره ولم يخبره بقتل النعمان قال السائب فخرج عمر من الغد يتوقع الاخبار قال فأتيته فقال ما وراءك فقلت خيرا يا أمير المؤمنين فتح الله عليك واعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه فوق كتده قال فلما رأيت ذلك وما لقي قلت يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده رجل تعرف وجهه فقال أولئك المستضعفون من المسلمين ولكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وانسابهم وما يصنع أولئك بمعرفة عمر ثم أخبرته بالسفطين فقال ادخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما والحق بجندك قال ففعلت وخرجت سريعا الى الكوفة وبات عمر فلما أصبح بعث في أثري رسولا فما أدركني حتى دخلت الكوفة فانخت بعيري وأناخ بعيره على عرقوبي بعيري فقال الحق بامير المؤمنين فقد بعثني في طلبك فلم أقدر عليك الا الآن قال فركبت معه فقدمت على عمر فلما رآني قال الي وما لي وللسائب قلت ولماذا قال ويحك والله ما هو الا أن نمت الليلة التي خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبني الى السفطين يشتعلان نارا فيقولون لنكوينك بهما فأقول اني سأقسمهما بين المسلمين فخذهما عني فبعهما في اعطية المسلمين وارزاقهم قال فخرجت بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بألفي ألف درهم ثم خرج بهما الى ارض الاعاجم فباعهما باربعة آلاف ألف فما زال أكثر أهل الكوفة مالا وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الراجل ألفين ولما قدم سبي نهاوند المدينة جعل ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيرا الا مسح رأسه وبكى وقال له أكل عمر كبدي وكان من نهاوند فاسرته الروم واسره المسلمون من الروم فنسب الى حيث سبي وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح لانه لم يكن للفرس بعده اجتماع وملك المسلمون بلادهم

﴿ ذكر فتح الدينور والصيمرة وغيرهما ﴾

لما انصرف أبو موسى من نهاوند وكان قد جاء مددا على بعث أهل البصرة فمر بالدينور فأقام عليها خمسة أيام وصالحه أهلها على الجزية ومضى فصالحه أهل شيروان على مثل صلحهم وبعث السائب بن الاقرع الثقفي الى الصيمرة مدينة مهرجانقذف ففتحها صلحا وقيل انه وجه السائب من الاهواز ففتح ولاية مهرجانقذف

﴿ ذكر فتح همذان والماهين وغيرهما ﴾

لما انهزم المشركون دخل من سلم منهم همذان وحاصرهم نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو فلما رأى ذلك خسرشنوم استأمنهم وقبل منهم الجزية على ان يضمن منهم همذان ودستبي وأن لا يؤتى المسلمون منهم فاجابوه الى ذلك وامنوه ومن معه من الفرس واقبل كل من كان هرب وبلغ الخبر الماهين بفتح همذان وملكها ونزول نعيم والقعقاع بها فاقتدوا بخسرشنوم فراسلوا حذيفة فأجابهم الى ما طلبوا واجمعوا على القبول واجمعوا على اتيان حذيفة فخدعهم دينار وهو أحد أولئك الملوك وكان اشرفهم قارن وقال لا تلقوهم في جمالكم ففعلوا وخالفهم فأتاهم في الديباج والحلي فأعطاهم حاجتهم واحتمل المسلمون ما أرادوا وعقدوه عليهم ولم يجد الآخرون بدا من متابعته

والدخول

ما ملكه
وكان قضاء الله في الخلق مقضيا
تحيت الدنيا لهارون بالرضا
وأصبح يعفور لهارون ذميا
فلما عوفي الرشيد من علته دخل عليه بعض الشعراء وقد هابه الناس ان يخبروه بغدر يعفور فقال
نقض الذي أعطاكه يعفور
فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فانه
فتح أتاك به الاله كبير
فتح يزيد على الفتوح يؤمنا
بالنصر فيه لواؤك المنصور
فلقد تباشرت الرعية ان أتى
بالغدر عنه وافد وبشير
ورجت يمينك ان تعجل غزوة
تشفي النفوس نكالها مذكور
يعفور انك حين تغدر ان نأى
عنك الامام لجاهل مغرور
أظننت حين غدرت انك مفلت
هبلتك امك ما ظننت غرور
ان الامام على اقتصادك قادر
قربت ديارك ام نأت بك دور
ليس الامام وان غفلنا غافلا

والدخول في أمره فقيل ماه دينار لذلك وكان النعمان بن مقرن قد عاقد بهزاذان على مثل ذلك فنسب الى بهزاذان وكان قد وكل النسير بن ثور بقلعة قد لجأ اليها قوم فجاهدهم فافتتحها فنسبت الى النسير وهو تصغير نسر قيل دخل دينار الكوفة أيام معاوية فقال يا أهل الكوفة انكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فبقيتم كذلك زمن عمر وعثمان ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع بخل وخب وغدر وضيق ولم يكن فيكم واحدة منهن وقد رمقتكم فرأيت ذلك في مولدتكم فعلمت من أين أتيتم فاذا الخب من قبل النبط والبخل من قبل فارس والغدر من قبل خراسان والضيق من قبل الاهواز

﴿ ذكر دخول المسلمين بلاد الاعاجم ﴾

وفيها أمر عمر المسلمين بالانسياح في بلاد العجم وطلب الفرس أين كانوا وقيل كان ذلك سنة ثماني عشرة وقد تقدم ذكره وسبب ذلك ما كان من يزدجرد وبعثه الجنود مرة بعد أخرى فوجه الامراء من أهل البصرة وأهل الكوفة بعد فتح نهاوند وكان بين عمل سعد وعمل عمار اميران أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عتبان وفي زمانه كانت وقعة نهاوند والآخر زياد بن حنظلة حليف بني عبد ابن قصي وفي زمانه أمر بالانسياح وعزل عبد الله وبعث في وجه آخر وولي زياد وكان من المهاجرين فعمل قليلا وألح في الاستعفاء فاعفاه عمر وولى عمار بن ياسر وكتب معه الى أهل الكوفة اني بعثت عمارا أميرا وجعلت معه ابن مسعود معلما وكان ابن مسعود بحمص فسيره عمر الى الكوفة وأمد أهل البصرة بعبد الله بن عبد الله وأمد أهل الكوفة بابي موسى وكان أهل همذان قد كفروا بعد الصلح فبعث عمر لواء الى نعيم بن مقرن وأمره بقصد همذان فاذا فتحها سار الى ما وراء ذلك الى خراسان وبعث عتبة بن فرقد وبكير بن عبد الله الى اذربيجان يدخل أحدهما من حلوان والآخر من الموصل وبعث عبد الله بن عبد الله الى اصبهان وامر عمر سراقة على البصرة

﴿ ذكر فتح أصبهان ﴾

وفيها بعث عمر اليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان وكان شجاعا من أشراف الصحابة ومن وجوه الانصار حليفا لبني الحبلى وأمده بابي موسى وجعل على مجنبتيه عبد الله بن ورقاء الرياحي وعصمة ابن عبد الله فسار والى نهاوند ورجع حذيفة الى عمله على ما سقت دجلة وما وراءها وسار عبد الله فيمن كان معه ومن تبعه من جند النعمان بنهاوند نحو أصبهان وعلى جندها الاسبيذان وعلى مقدمته شهريار بن جاذويه شيخ كبير في جمع عظيم ومقدمة المشركين برستاق لاصبهان فاقتتلوا قتالا شديدا ودعا الشيخ الى البراز فبرز له عبد الله بن ورقاء الرياحي فقتله وانهزم أهل أصبهان فسمي ذلك الرستاق رستاق الشيخ الى اليوم وصالحهم الاسبيذان على رستاق الشيخ وهو أول رستاق أخذ من أصبهان ثم سار عبد الله الى مدينة جي وهي مدينة أصبهان فانتهى اليها والملك باصبهان الفاذوسفان فنزل بالناس على جي وحاصرها وقاتلها ثم صالحه الفاذوسفان على أصبهان وان على من أقام الجزية واقام على ماله وان يجري من أخذت أرضه عنوة مجراهم ومن أبى وذهب كان لكم أرضه وقدم أبو موسى على عبد الله من ناحية الاهواز وقد صالح فخرج القوم من جي ودخلوا في الذمة الا ثلاثين رجلا من أهل أصبهان لحقوا بكرمان ودخل عبد الله وأبو موسى جيا وكتب بذلك الى عمر فقدم كتاب عمر الى عبد الله أن سر حتى تقدم على سهيل بن عدي فتكون معه على قتال من بكرمان فسار واستخلف على اصبهان السائب بن الاقرع ولحق بسهيل قبل ان يصل الى كرمان قيل وقد روي عن معقل بن يسار ان الامير كان على الجند الذين فتحوا أصبهان النعمان

عما يسوس بحزمه ويدبر
ملك يجود الى الجهاد بنفسه
فعدوه أبدا به مقهور
يا من يريد رضى الاله بسعيه
والله لا يخفى عليه ضمير
لا نصح ينفع من يغش امامه
والنصح من نصحائه مشكور
نصح الامام على الانام فريضة
ولاهله كفارة وطهور
وهي طويلة فلما أنشده اياها قال الرشيد أو قد فعل وعلم ان الوزراء قد احتالوا فتجهز وغزاه ونزل على هرقلة وذلك في سنة تسعين ومائة وأخبرني أبو عمير عدي ابن أحمد بن عبد الباقي الازدي ان الرشيد لما أراد النزول على هرقلة وكان معه أهل الثغور وفيهم شيخا الثغور الشامية مخلد ابن الحسين وأبو اسحق الفزاري صاحب كتاب السير فخلا الرشيد بمخلد بن الحسين فقال أي شيء تقول في نزولنا على هذا الحصن فقال هذا أول حصن لقيت من حصون الروم وهو في نهاية المنعة فان نزلت عليه وسهل الله فتحه لم يتعذر عليك فتح حصن بعده فامره بالانصراف ودعا بابي اسحق الفزاري فقال له مثل ما قال لمخلد فقال يا أمير

ابن مقرن وان عمر أرسله من المدينة الى أصبهان وكتب الى أهل الكوفة ان يمدوه فسار الى أصبهان وبها ملكه ذو الحاجبين فارسل اليه المغيرة بن شعبة وعاد من عنده فقاتلهم وقتل النعمان ووقع ذو الحاجبين عن دابته فانشقت بطنه وانهزم أصحابه قال معقل فاتيت النعمان وهو صريع فجعلت عليه علما فلما انهزم المشركون أتيته ومعى اداوة فيها ماء فغسلت عن وجهه التراب فقال مافعل الناس فقلت فتح الله عليهم قال الحمد لله ومات هكذا فى هذه الرواية والصحيح ان النعمان قتل بنهاوند وافتتح أبو موسى قم وقاشان

﴿ذكر ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة﴾

وفيها ولى عمر عمار بن ياسر على الكوفة وابن مسعود على بيت المال فشكا أهل الكوفة عمارا فاستعفى عمار عمر بن الخطاب فولى عمر جبير بن مطعم الكوفة وقال له لا تذكره لاحد فسمع المغيرة ابن شعبة ان عمر خلا بجبير فارسل امرأته الى امرأة جبير بن مطعم لتعرض عليها طعام السفر ففعلت فقالت نعم ماجيئتنى به فلما علم المغيرة جاء الى عمر فقال له بارك الله لك فيمن وليت واخبره الخبر فعزله وولى المغيرة بن شعبة الكوفة فلم يزل عليها حتى مات عمر وقيل ان عمارا عزل سنة اثنتين وعشرين وولى بعده أبو موسى وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

قيل وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهرى فافتتح زويلة صلحا ومابين برقة وزويلة سلم للمسلمين وقيل سنة عشرين كان الامراء فى هذه السنة عمير بن سعد على دمشق وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة ومعاوية على البلقاء والاردن وفلسطين والسواحل وانطاكية وقلقية ومعرة مصرين وعند ذلك صالح أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة على قلقية وانطاكية ومعرة مصرين وفيها ولد الحسن البصرى والشعبى وحج بالناس عمر بن الخطاب واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وكان عامله على مكة والطائف واليمن واليمامة ومصر والبصرة من كان قبل ذلك وكان على الكوفة عمار بن ياسر وشريح على القضاء وفيها بعث عثمان بن أبى العاص بعثا الى ساحل فارس فحاربوهم ومعهم الجارود العبدى فقتل الجارود بعقبة تعرف بعقبة الجارود وقيل بل قتل بنهاوند مع النعمان وفيها مات حممة وهو من الصحابة باصبهان بعد فتحها والعلاء بن الحضرمى وهو على البحرين فاستعمل عمر مكانه أبا هريرة وفيها مات خالد بن الوليد بحمص وأوصى الى عمر ابن الخطاب وقيل مات سنة ثلاث وعشرين وقيل مات بالمدينة والاول أصح

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين﴾

فى هذه السنة افتتحت اذربيجان وقيل سنة ثمان عشرة بعد فتح همذان والرى وجرجان فنبدأ بذكر فتح هذه البلاد ثم نذكر اذربيجان بعدها

﴿ذكر فتح همذان ثانيا﴾

قد تقدم مسير نعيم بن مقرن الى همذان وفتحها على يده ويد القعقاع بن عمرو فلما رجعا عنها كفر أهلها مع خسرشنوم فلما قدم عهد نعيم من عند عمر ودع حذيفة وسار يريد همذان وعاد حذيفة الى الكوفة فخرج نعيم بن مقرن على تعبية الى همذان فاستولى على بلادها جميعا وحاصرها فلما رأى أهلها ذلك سألوا الصلح ففعل وقبل منهم الجزية وقد قيل ان فتحها كان سنة أربع وعشرين بعد مقتل عمر بستة أشهر فبينما نعيم بهمذان فى اثنى عشر ألفا من الجند كاتب الديلم وأهل الرى اذربيجان اذ خرج موتا فى الديلم حتى نزل بواج روذ وأقبل الزينبى أبو الفرخان فى أهل

الرى وأقبل اسفنديار أخو رستم فى أهل اذربيجان فاجتمعوا وتحصن منهم أمراء المسالح وبعثوا الى نعيم بالخبر فاستخلف يزيد بن قيس الهمدانى وخرج اليهم فاقتتلوا بواج روذ قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند فانهزم الفرس هزيمة قبيحة وقتل منهم مقتلة كبيرة لا يحصون فارسلوا الى عمر مبشرا فأمر عمر نعيما بقصد الرى وقتال من بها والمقام بها بعد فتحها وقيل ان المغيرة بن شعبة وهو عامل على الكوفة أرسل جرير بن عبد الله الى همذان فقاتله أهلها وأصيبت عينه بسهم فقال احتسبتها عند الله الذى زين بها وجهى ونور لى ماشاء ثم سلبنيها فى سبيله ثم فتحها على مثل صلح نهاوند وغلب على أرضها قسرا وقيل كان فتحها على يد المغيرة بنفسه وكان جرير على مقدمته وقيل فتحها قرظة بن كعب الانصارى

﴿ذكر فتح قزوين وزنجان﴾

لما سير المغيرة جريرا الى همذان ففتحها سير البراء بن عازب فى جيش الى قزوين وأمره أن يسير اليها فان فتحها غزا الديلم منها وانما كان مغزاهم قبل من دستبى فسار البراء حتى أتى أبهر وهو حصن فقاتلوه ثم طلبوا الامان فآمنهم وصالحهم ثم غزا قزوين فلما بلغ أهلها الخبر أرسلوا الى الديلم يطلبون النصرة فوعدوهم ووصل المسلمون اليهم فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف على الجبل لا يمدون يدا فلما رأى أهل قزوين ذلك طلبوا الصلح على صلح أبهر وقال بعض المسلمين

قد علم الديلم اذ تحارب * حين أتى فى جيشه ابن عازب
بأن ظن المشركين كاذب * فكم قطعنا فى دجى الغياهب
من جبل وعر ومن سباسب

وغزا البراء الديلم حتى أدوا اليه الاتاوة وغزا جيلان والطيلسان وفتح زنجان عنوة ولما ولى الوليد ابن عقبة الكوفة غزا الديلم وجيلان وموقان والببر والطيلسان ثم انصرف

﴿ذكر فتح الرى﴾

ثم انصرف نعيم من واج روذ حتى قدم الرى وخرج الزينبى أبو الفرخان من الرى فلقى نعيما طالبا الصلح ومسالما ومخالفا لملك الرى وهو سياوخش بن مهران بن بهرام جوبين فاستمد سياوخش أهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان فامدوه خوفا من المسلمين فالتقوا مع المسلمين فى سفح جبل الرى الى جنب مدينتها فاقتتلوا به وكان الزينبى قال لنعيم ان القوم كثير وأنت فى قلة فابعث معى خيلا ادخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم أنت فانهم اذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلا من الليل عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو فأدخلهم الزينبى المدينة ولا يشعر القوم وبيتهم نعيم بياتا فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم فانهزموا فقتلوا مقتلة عدوا بالقصب فيها وأفاء الله على المسلمين بالرى نحوا مما فى المدائن وصالحه الزينبى على الرى ومرزبه عليهم نعيم فلم يزل شرف الرى فى أهل الزينبى وأخرب نعيم مدينتهم وهى التى تقال العتيقة وأمر الزينبى فبنى مدينة الرى الحدثى وكتب نعيم الى عمر بالفتح وأنفذ الاخماس وكان البشير المضارب العجلى وراسله المصمغان فى الصلح على شئ يفتدى به منه على دنباوند فاجابه الى ذلك وقد قيل ان فتح الرى كان على يد قرظة بن كعب وقيل كان فتحها سنة احدى وعشرين وقيل غير ذلك والله أعلم

﴿ذكر فتح قومس وجرجان وطبرستان﴾

لما ارسل نعيم الى عمر بالبشارة واخماس الرى كتب اليه عمر يأمره بارسال أخيه سويد بن مقرن

المؤمنين هذا حصن بنته الروم فى نحر الدروب وجعلته ثغرا من الثغور وليس بالآهل فان أنت فتحته لم يكن فيه ماينعم المسلمين من الغنائم وان تعذر فتحه كان ذلك نقصا فى التدبير والرأى عندى ان يسير أمير المؤمنين الى مدينة عظيمة من مدن الروم فان فتحت عمت غنائمها المسلمين وان تعذر ذلك قام العذر فمال الرشيد الى قول مخلد فنزل على هرقلة ونصب حولها الحرب تسعة عشر يوما فاصيب خلق كثير من المسلمين وفنيت الازواد والعلوفات وضاق صدر الرشيد من ذلك فاحضر أبا اسحق الفزارى فقال يا ابراهيم قد ترى مانزل بالمسلمين فما الرأى الآن عندك فقال يا أمير المؤمنين قد كنت أشفقت من هذا وقدمت القول فيه ورأيت ان يكون الجد والحرب من المسلمين على غير هذا الحصن والآن فلا سبيل الى الرحيل عنه من بعد المباشرة فيكون ذلك نقصا فى الملك ووهنا فى الدين واطماعا لغيره من الحصون فى الامتناع عن المسلمين والمصابرة لهم لكن الرأى يا أمير المؤمنين ان تأمر بالنداء فى الجيش ان أمير المؤمنين مقيم على هذا الحصن الى ان يفتحه الله عز وجل على المسلمين وتأمر بقطع الخشب وجمع الاحجار وبناء مدينة بازاء هذا الحصن الى ان يفتحه الله عز وجل ولا يكون هذا الخبر بخوالى أحد من الجيش الاعلى المقام فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الحرب خدعة وهذه حرب حيلة لا حرب سيف فأمر الرشيد من ساعته بالنداء فحملت الاحجار وقطع الخشب من الشجر وأخذ الناس فى البناء فلما رأى أهل الحصن ذلك جعلوا يتسللون فى الليل ويدلون أنفسهم بالحبال وفى خبر أبى عمير ابن عبد الباقى زيادات منها خبر الجارية التى سباها الرشيد من هذا الحصن وهى ابنة بطريقه وكانت ذات حسن وجمال فزاد فيها صاحب الرشيد فى المغنم وبالغ فيها حتى اشتراها له فبلغت من قلبه وبنى لها حصنا الرافقة باميال على طريق بالس حصنا سماه هرقلة يحاكى به حصن هرقلة ببلاد الروم فى خبر طويل قد أتينا على جميعه فى كتابنا الاوسط وهذا الحصن باق الى

ومعه هند بن عمر والجلى وغيره الى قومس فسار سويد نحو قومس فلم يقم له أحد فأخذها سلما
وعسكر بها وكاتبه الذين لجؤا الى طبرستان منهم والذين أخذوا المفاوز فاجابهم الى الصلح والجزية
وكتب لهم بذلك ثم سار سويد الى جرجان فعسكر بها بسطام وكتب الى ملك جرجان وهو
زرنان صول وكاتبه زرنان صول وصالحه على جرجان على الجزية وكفاية حرب جرجان وان يعينه
سويد ان غلب فأجابه سويد الى ذلك وتلقاه زرنان صول قبل دخوله جرجان فدخل معه وعسكر بها
حتى جبى الخراج وسمى فروجها فسدها بترك دهستان ورفع الجزية عمن قام بمنعها وأخذها من
الباقين وقيل كان فتحها سنة ثمان عشرة وقيل سنة ثلاثين زمن عثمان قيل وراسل الاصبهبد
صاحب طبرستان سويدا فى الصلح على أن يتوادعا ويجعل له شيأ على غير نصر ولا معونة على أحد
فقبل ذلك منه وكتب له كتابا

﴿ذكر فتح طرابلس الغرب وبرقة﴾

فى هذه السنة سار عمرو بن العاص من مصر الى برقة فصالحه أهلها على الجزية وان يبيعوا من
أبنائهم من أرادوا بيعه فلما فرغ من برقة سار الى طرابلس الغرب فحاصرها شهرا فلم يظفر بها
وكان قد نزل شرقيها فخرج رجل من بنى مدلج يتصيد فى سبعة نفر وسلكوا غرب المدينة فلما
رجعوا اشتد عليهم الحر فأخذوا على جانب البحر ولم يكن السور متصلا بالبحر وكانت سفن الروم فى
مرساها مقابل بيوتهم فرأى المدلجى وأصحابه مسلكا بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبروا فلم يكن
للروم ملجأ الا سفنهم لانهم ظنوا ان المسلمين قد دخلوا البلد ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف
فى المدينة وسمعوا الصياح فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد فلم يفلت الروم الا بما خف معهم
فى مراكبهم وكان أهل حصن سبرة قد تحصنوا لما نزل عمرو على طرابلس فلما امتنعوا عليه
بطرابلس امنوا واطمأنوا فلما فتحت طرابلس جند عمرو عسكرا كثيفا وسيره الى سبرة فصبحوها
وقد فتح أهلها الباب وأخرجوا مواشيهم لتسرح لانهم لم يكن بلغهم خبر طرابلس فوقع المسلمون
عليهم ودخلوا البلد مكابرة وغنموا ما فيه وعادوا الى عمرو ثم سار عمرو بن العاص الى برقة وبها
لواته وهم من البربر وكان سبب مسير البربر اليها والى غيرها من الغرب انهم كانوا بنواحى
فلسطين من الشام وكان ملكهم جالوت فلما قتل سارت البرابر وطلبوا الغرب حتى اذا انتهوا
الى لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية تفرقوا فسارت زناتة ومغيلة وهما
قبيلتان من البربر الى الغرب فسكنوا الجبال وسكنت لواتة أرض برقة وتعرف قديما بانطابلس
وانتشروا فيها حتى بلغوا السوس ونزلت هوارة مدينة لبدة ونزلت نفوسة الى مدينة سبرة
وجلا من كان بها من الروم لذلك وقام الافارق وهم خدم الروم على صلح يؤدونه الى من غلب على
بلادهم وسار عمرو بن العاص كما ذكرنا فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها جزية
وشرطوا ان يبيعوا من أرادوا من أولادهم فى جزيتهم

﴿ذكر فتح اذربيجان﴾

قال فلما افتتح نعيم الرى بعث سماك بن خرشة الانصارى وليس بأبى دجانة ممدا لبكير بن عبد الله
باذربيجان أمره عمر بذلك فسار سماك نحو بكير وكان بكير حين بعث اليها سار حتى اذا طلع بحيال
جرميدان طلع عليهم اسفنديار بن فرخزاد مهزوما من واج روذ فكان أول قتال لقيه باذربيجان
فاقتتلوا فانهزم الفرس وأخذ بكير اسفنديار أسيرا فقال له اسفنديار الصلح احب اليك أم الحرب قال
بل الصلح قال فامسكنى عندك فان أهل اذربيجان ان لم أصالح عليهم أو أجىء اليهم لم يقوموا لك

وجلوا

هذه الغاية هنالك خراب يعرف بهرقلة * وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد قال أخبرنى أبو العيناء قال أخبرنى شبل الترجمان قال كنت مع الرشيد حين نزل على هرقلة وفتحها فرأيت بها حجرا منصوبا مكتوبا عليه باليونانية فجعلت أترجمه والرشيد ينظر الى وأنا لا أعلم فكانت ترجمته بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم غافص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا يحملنك افراط السرور على المأثم ولا تحمل نفسك هم يوم لم يأت فانه ان يك من أجلك وبقية عمرك يأت الله فيه برزقك ولا تكن من المغرورين بجمع المال فكم قد رأينا جامعا لبعل حليلته ومقترا لنفسه موفرا لخزانة غيره وقد كان تاريخ هذا الكتاب فى ذلك اليوم زائدا على ألفى سنة وباب هرقلة مطل على واد وخندق يطيف بها وذكر جماعة من أهل الخبرة من أهل الثغور أن أهل هرقلة لما اشتد بهم الحصار وعضتهم الحرب بالحجارة والسهام والنار فتحوا الباب فاستشرف المسلمون لذلك فاذا رجل من أهلها كأجمل الرجال قد خرج فى أكمل السلاح فنادى

وجلوا الى الجبال التى حولها ومن كان على التحصن تحصن الى يوم ما فامسكه عنده وصارت
البلاد اليه الا ما كان من حصن وقدم عليه سماك بن خرشة ممدا واسفنديار فى اساره وقد افتتح
ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وكتب بكير الى عمر يستأذنه فى التقدم فأذن له أن يتقدم نحو
الباب وان يستخلف على ما افتتحه فاستخلف عليه عتبة بن فرقد فأقر عتبة سماك بن خرشة على عمل
بكير الذى كان افتتحه وجمع عمر اذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وكان بهرام بن فرخزاد قصد طريق
عتبة وأقام به فى عسكره حتى قدم عليه عتبة فاقتتلوا فانهزم بهرام فلما بلغ خبره اسفنديار وهو فى
الاسر عند بكير قال الآن تم الصلح وطفئت الحرب فصالحه وأجاب الى ذلك أهل أذربيجان كلهم
وعادت اذربيجان سلما وكتب بذلك بكير وعتبة الى عمر وبعثا بما خمسا ولما جمع عمر لعتبة عمل بكير
كتب لاهل اذربيجان كتابا بالصلح وفيها قدم عتبة على عمر بالخبيص الذى كان أهدى له وكان عمر
يأخذ عماله بموافاة الموسم كل سنة يحجزهم بذلك عن الظلم

﴿ذكر فتح الباب﴾

فى هذه السنة كان فتح الباب وكان عمر رد أبا موسى الى البصرة وبعث سراقة بن عمرو وكان
يدعى ذا النور الى الباب وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة وكان أيضا يدعى ذا النور وجعل
على احدى مجنبتيه حذيفة بن أسيد الغفارى وعلى الاخرى بكير بن عبد الله الليثى وكان بكير سبقه
الى الباب وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلى فسار سراقة فلما خرج من اذربيجان قدم
بكير الى الباب وكان عمر قد أمد سراقة بحبيب بن مسلمة من الجزيرة وجعل مكانه زياد بن حنظلة
ولما أطل عبد الرحمن بن ربيعة على الباب والملك بها يومئذ شهريار وهو من ولد شهريار الذى أفسد
بنى اسرائيل وأغزى الشأم بهم فكاتبه شهريار واستأمنه على أن يأتيه ففعل فأتاه فقال انى بازاء
عدو كلب وأمم مختلفة ليست لهم احساب ولا ينبغى لذى الحسب والعقل ان يعينهم على ذى
الحسب ولست من القبج ولا الارمن فى شئ وانكم قد غلبتم على بلادى وأمتى فأنا منكم ويدى مع
أيديكم وجزيتى اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تسومونا الجزية فتوهنونا بعدوكم قال
فسيره عبد الرحمن الى سراقة فلقيه بمثل ذلك فقبل منه سراقة ذلك وقال لا بد من الجزية ممن يقيم
ولا يحارب العدو فأجابه الى ذلك وكتب سراقة فى ذلك الى عمر فأجازه عمر واستحسنه

﴿ذكر فتح موقان﴾

لما فرغ سراقة من الباب أرسل بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان بن
ربيعة الى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية فوجه بكيرا الى موقان وحبيبا الى تفليس وحذيفة
الى جبال اللان وسلمان الى الوجه الآخر وكتب سراقة بالفتح الى عمر وبارسال هؤلاء النفر الى
الجهات المذكورة فأتى عمر أمر لم يظن أن يستتم له بغير مؤنة لانه فرج عظيم وجند عظيم فلما
استوثقوا واستحلوا الاسلام وعدله مات سراقة واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة ولم يفتتح احد
من أولئك القواد الا بكير فانه فض أهل موقان ثم تراجعوا على الجزية عن كل حالم دينار وكان
فتحها سنة احدى وعشرين ولما بلغ عمر موت سراقة واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقر عبد
الرحمن على فرج الباب وأمره بغزو الترك (أسيد فى هذه التراجم بفتح الهمزة وكسر السين والنور
فى الموضعين بالراء)

﴿ذكر غزو الترك﴾

لما أمر عمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك خرج بالناس حتى قطع الباب فقال له شهربار ما تريد

يا معشر العرب قد طالت مواقفتكم ايانا فليخرج الى منكم الرجل والعشرة الى العشرين مبارزة فلم يخرج اليه من الناس أحد ينتظرون اذن الرشيد وكان الرشيد نائما فلما استيقظ أخبر بذلك فتأسف ولام خدمه على تركهم ايقاظه فقيل له يا أمير المؤمنين ان امتناع الناس منه يطمعه ويطغيه ويجرئه ان يخرج فى غد فيطلب المبارزة ويعود لمثل قوله فطالت على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له اذ فتح الباب فاذا الفارس قد خرج وعاد الى كلامه فقال الرشيد من له فابتدر جلة القواد فعزم على اخراج بعضهم فضج أهل الثغور والمطوعة بباب المضرب فاذن لبعضهم وفى مجلسه مخلد بن الحسين وابراهيم الفزارى فدخلوا فقالوا يا أمير المؤمنين قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصيت ومباشرة الحروب ومتى خرج واحد منهم وقتل هذا العلج لم يكبر ذلك وان قتله العلج كانت وضيعة على العسكر عظيمة وثلمة لا تنسد ونحن عامة لا يرتفع لاحد منا صيت فان رأى أمير المؤمنين ان يختار رجلا منا يخرج اليه فعل فصوب الرشيد رأيهم وقال مخلد

ان تهتنع قال أريد غزو بلنجر والترك قال انا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب قال عبد الرحمن لكنا لا نرضى حتى نغزوهم فى ديارهم وبالله ان معنا أقواما لو يأذن لهم أميرنا فى الامعان لبلغت بهم الروم قال وماهم قال أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا فى هذا الامر بنية ولا يزال هذا الامر لهم دائما ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم فغزا بلنجر غزاة فى زمن عمر فقالوا ما اجترأ علينا الا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت فهربوا منه وتحصنوا فرجع بالغنيمة والظفر وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتى فرسخ من بلنجر وعادوا ولم يقتل منهم أحد ثم غزاهم أيام عثمان بن عفان غزوات فظهرت كما كان يظفر حتى تبدل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتد استصلاحا لهم فزادهم فسادا فغزا عبد الرحمن بن ربيعة بعد ذلك فتذامرت الترك واجتمعوا فى الغياض فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه أصحابه فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا واشتد قتالهم ونادى مناد من الجو صبرا عبد الرحمن وموعدكم الجنة فقاتل عبد الرحمن حتى قتل وانكشف أصحابه وأخذ الراية سلمان بن ربيعة اخوه فقاتل بها ونادى مناد من الجو صبرا آل سلمان فقال سلمان أوترى جزعا وخرج سلمان بالناس ومعه أبو هريرة الدوسى على جيلان فقطعوها الى جرجان ولم يمنعهم ذلك من اخذ جسد عبد الرحمن فهم يستسقون به الى الآن

﴿ ذكر تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة ﴾

فى هذه السنة عدل عمر فتوح أهل الكوفة والبصرة بينهم وسبب ذلك ان عمر بن سراقة كتب الى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة أهل البصرة وعجز خراجهم عنهم وسأله ان يزيدهم أحد الماهين أوماسبذان وبلغ ذلك أهل الكوفة فقالوا لعمار بن ياسر وكان على الكوفة أميرا سنة وبعض أخرى اكتب الى عمر ان رامهرمز وايذج لنا دونهم لم يعينونا عليهما ولم يلحقونا حتى افتتحناها فلم يفعل عمار فقال له عطارد أيها العبد الاجدع فعلام ندع فيئنا فقال لقد سببت أحب أذنى الى فابغضوه لذلك واختصم أهل الكوفة وأهل البصرة وادعى أهل البصرة قرى افتتحها أبو موسى دون أصبهان أيام أمدهم عمر بن الخطاب أهل الكوفة فقال لهم أهل الكوفة أتيتمونا مددا وقد افتتحنا البلاد فآسيناكم فى المغانم والذمة ذمتنا والارض أرضنا فقال عمر صدقوا فقال اهل الايام والقادسية ممن سكن البصرة فليعطونا نصيبنا مما نحن شركناهم فيه من سوادهم وحواشيهم فاعطاهم عمر مائة دينار برضا أهل الكوفة أخذها من شهد الايام والقادسية ولما ولى معاوية وكان هو الذى جند قنسرين من أتاه من أهل العراقين أيام على وانما كان قنسرين رستاقا من رساتيق حمص فأخذهم معاوية حين ولى بنصيبهم من فتوح العراق واذربيجان والموصل والباب لانه من فتوح أهل الكوفة وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ نافلة انتقل اليها كل من ترك هجرته من أهل البلدان أيام على فاعطاهم معاوية منها من ذلك نصيبا وكفر أهل ارمينية أيام معاوية وقد أمر حبيب بن مسلمة على الباب وحبيب يومئذ بجرزان وكاتب أهل تفليس وتلك الجبال من جرزان فاستجابوا له

﴿ ذكر عزل عمار بن ياسر عن الكوفة وولاية أبى موسى والمغيرة بن شعبة ﴾

وفيها عزل عمر بن الخطاب عمار بن ياسر عن الكوفة واستعمل أباموسى وسبب ذلك ان أهل الكوفة شكوه وقالوا انه لا يحتمل ما هو فيه وانه ليس بأمين ولم يدر أهل الكوفة فدعاه عمر فخرج معه وفد فكانوا أشد عليه ممن تخلف عنه وقالوا انه غير كاف وعالم بالسياسة ولا يدرى على

وارأهم صدقوا ياأمير المؤمنين فأومؤا الى رجل منهم يعرف بابن الجزرى مشهور فى الثغور موصوف بالنجدة فقال له الرشيد أتخرج اليه قال نعم وأستعين بالله عليه فقال أعطوه فرسا وسيفا ورمحا وترسا فقال ياأمير المؤمنين أنا بفرسى اوثق ورمحى فى يدى اشد ولكن قد قبلت السيف والترس فلبس السلاح واستدناه الرشيد واتبعه بالدعاء وخرج معه عشرون من المتطوعة فلما انقض فى الوادى قال لهم العلج وهو يعدهم واحدا واحدا انما كان الشرط عشرين وقد ازددتم رجلا ولكن لا بأس فنادوه ليس يخرج لك منا الا رجل واحد فلما فصل منهم ابن الجزرى تأمله العلج وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم فقال له الرومى أتصدقنى عما أسألك عنه قال نعم قال أنت ابن الجزرى بالله قال اللهم نعم فكف له قال بلى كفه ثم أخذا فى شأنهما فتطاعنا حتى طال الامر بينهما وكاد الفرسان ان يقوما تحتهما وليس واحد منهما خدش صاحبه ثم رميا برمحيهما هذا نحو أصحابه وهذا نحو حصنه وانتضيا سيوفهما وقد

ما استعملته وكان منهم سعد بن مسعود الثقفى عم المختار وجرير بن عبد الله فسعيا به فعزله عمر وقال عمر لعمار اساءك العزل قال ماسرنى حين استعملت ولقد ساءنى حين عزلت فقال له قد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكنى تأولت ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ثم اقبل عمر على أهل الكوفة فقال من تريدون قالوا أبا موسى فأمره عليهم بعد عمار فاقام عليهم سنة فباع غلامه العلف فشكاه الوليد بن عبد شمس وجماعة معه وقالوا ان غلامه يتجر فى جسرنا فعزله عنهم وصرفه الى البصرة وصرف عمر بن سراقة الى الجزيرة وخلا عمر فى ناحية المسجد فنام فاتاه المغيرة بن شعبة فحرسه حتى استيقظ فقال ما فعلت هذا ياأمير المؤمنين الا من عظيم فقال وأى شئ أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير وأحيطت الكوفة على مائة ألف مقاتل وأتاه أصحابه فقالوا ما شأنك فقال ان أهل الكوفة قد عضلونى واستشارهم فيمن يوليه وقال ما تقولون فى تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوى مسدد فقال المغيرة أما الضعيف المسلم فان اسلامه لنفسه وضعفه عليك وأما القوى المسدد فان سداده لنفسه وقوته للمسلمين فولى المغيرة الكوفة فبقى عليها حتى مات عمر وذلك نحو سنتين وزيادة وقال له حين بعثه يامغيرة ليأمنك الابرار وليخفك الفجار ثم أراد عمر ان يبعث سعدا على عمل المغيرة فقتل عمر قبل ذلك فاوصى به

﴿ ذكر فتح خراسان ﴾

وفى هذه السنة غزا الاحنف بن قيس خراسان فى قول بعضهم وقيل سنة ثمان عشرة وسبب ذلك ان يزدجرد لما سار الى الرى بعد هزيمة أهل جلولاء وانتهى اليها وعليها ابان جاذويه وثب عليه فأخذه فقال يزدجرد ياأبان تغدر بى قال لا ولكن قد تركت ملكك فصار فى يد غيرك فاحببت ان اكتتب على ما كان لى من شئ وأخذ خاتم يزدجرد واكتتب الصكاك بكل ما أعجبه ثم ختم عليها ورد الخاتم ثم أتى بعد سعدا فرد عليه كل شئ فى كتابه وسار يزدجرد من الرى الى أصبهان ثم منها الى كرمان والنار معه ثم قصد خراسان فأتى مرو فنزلها وبنى للنار بيتا واطمأن وأمن من ان يؤتى ودان له من بقى من الاعاجم وكاتب الهرمزان وأثار أهل فارس فنكثوا وأثار أهل الجبال والفيرزان فنكثوا فأذن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس فسار الاحنف الى خراسان فدخلها من الطبسين فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدى ثم سار نحو مرو الشاهجان فأرسل الى نيسابور مطرف بن عبد الله بن الشخير والى سرخس الحرث بن حسان فلما دنا الاحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد الى مرو الروذ حتى نزلها ونزل الاحنف مرو الشاهجان وكتب يزدجرد وهو بمرو الروذ الى خاقان والى ملك الصغد والى ملك الصين يستمدهم وخرج الاحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلى بعدما لحقت به امداد أهل الكوفة وسار نحو مرو الروذ فلما سمع يزدجرد سار عنها الى بلخ ونزل الاحنف مرو الروذ وقدم أهل الكوفة الى يزدجرد واتبعهم الاحنف فالتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببلخ فانهزم يزدجرد وعبر النهر ولحق الاحنف بأهل الكوفة وقد فتح الله عليهم فبلخ من فتوحهم وتتابع أهل خراسان من هرب وشذ على الصلح فيما بين نيسابور الى طخارستان وعاد الاحنف الى مرو الروذ فنزلها واستخلف على طخارستان ربعى بن عامر وكتب الاحنف الى عمر بالفتح فقال عمر وددت ان بيننا وبينها بحرا من نار فقال على ولم ياأمير المؤمنين قال لان اهلها سينقضون منها ثلاث مرات فيجتاحون (٣) فى الثالثة فكان ذلك بأهلها أحب الى من أن يكون بالمسلمين وكتب عمر الى الاحنف ان يقتصر على ما دون النهر

اشتدت الحرب عليهما وتبلد جوادهما فجعل ابن الجزرى يضرب الرومى الضربة التى يظن انه قد بالغ فيها فيتقيها الرومى وكانت درقته حديدا فيسمع لها صوت منكر ويضربه الرومى فيغوص سيفه لان ترس ابن الجزرى كانت يمانية وكان العلج يخاف أن يغوص السيف فيعطب فلما يئس كل واحد منهما من صاحبه انهزم ابن الجزرى فداخلت الرشيد والمسلمين من ذلك كآبة لم يصبهم مثلها وعطعط المشركون من حصنهم وانما كانت حيلة من ابن الجزرى فاتبعه العلج وعلا عليه فلما تمكن منه ابن الجزرى رماه بوهق فاختطفه من سرجه ثم عطف عليه فما وصل الى الارض حتى فارقه رأسه وكبر المسلمون وانكسر المشركون وبادروا الباب ليغلقوه واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد ان يجعلوا فى حجارة المجانيق النار فليس عند القوم دفع بعدها وعاجلهم المسلمون الى الباب فدخلوها بالسيف وقيل انهم نادوا بالامان فأمنوا وافتتاحها عنوة أشهر من قول من قال انها فتحت صلحا فقال فى ذلك الشاعر المكى هوت هرقلة لما ان رأت

ولايجوزه ولماعبر يزدجرد النهر مهزوما انجده خاقان فى الترك وأهل فرغانة والصغد فرجع يزدجرد وخاقان الى خراسان فنزلا بلخ ورجع أهل الكوفة الى الاحنف بمرو الروذ ونزل المشركون عليه بمرو ايضا وكان الاحنف لما بلغه خبر عبور يزدجرد وخاقان النهر اليه خرج ليلا يتسمع هل يسمع برأى ينتفع به فمر برجلين ينقيان علفا واحدهما يقول لصاحبه لوأسندنا الامير الى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقا وكان الجبل فى ظهورنا فلا يأتونا من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوت ان ينصرنا الله فرجع فلما أصبح جمع الناس ورحل بهم الى سفح الجبل وكان معه من أهل البصرة عشرة آلاف ومن أهل الكوفة نحو منهم واقبلت الترك ومن معها فنزلت وجعلوا يغادونهم القتال ويراوحونهم وفى الليل يتنحون عنهم فخرج الاحنف ليلة طليعة لاصحابه حتى اذا كان قريبا من عسكر خاقان وقف فلما كان فى وجه الصبح خرج فارس الترك بطوقه فضرب بطبله ثم وقف من العسكر موقفا يقفه مثله فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعنه الاحنف فقتله وأخذ طوق التركى ووقف فخرج آخر من الترك ففعل فعل صاحبه فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعنه فقتله وأخذ طوقه ووقف ثم خرج الثالث من الترك ففعل فعل الرجلين فحمل عليه الاحنف فقتله ثم انصرف الاحنف الى عسكره وكانت عادة الترك انهم لايخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم اكفاء كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون بعد خروج الثالث فلما خرجوا تلك الليلة بعد الثالث فأتوا على فرسانهم مقتلين تشاءم خاقان وتطير فقال قد طال مقامنا وقد أصيب فرساننا ما لنا فى قتال هؤلاء القوم خير فرجعوا وارتفع النهار للمسلمين ولم يروا منهم أحدا وأتاهم الخبر بانصراف خاقان والترك الى بلخ وقد كان يزدجرد ترك خاقان مقابل المسلمين بمرو الروذ وانصرف الى مرو الشاهجان فتحصن حارثة بن النعمان ومن معه فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها وخاقان مقيم ببلخ فلما جمع يزدجرد خزائنه وكانت كبيرة عظيمة وأراد أن يلحق بخاقان قال له أهل فارس أى شئ تريد ان تصنع قال أريد اللحاق بخاقان فأكون معه أو بالصين قالوا له ان هذا رأى سوء ارجع بنا الى هؤلاء القوم فنصالحهم فانهم أوفياء وهم أهل دين وان عدوا يلينا فى بلادنا أحب الينا مملكة من عدو يلينا فى بلاده ولا دين لهم ولا ندرى ما وفاؤهم فأبى عليهم فقالوا دع خزائننا نردها الى بلادنا ومن يلينا لا تخرجها من بلادنا فأبى فاعتزلوه وقاتلوه فهزموه وأخذوا الخزائن واستولوا عليها وانهزم منهم ولحق بخاقان وعبر النهر من بلخ الى فرغانة وأقام يزدجرد ببلد الترك فلم يزل مقيما زمن عمر كله الى أن كفر أهل خراسان زمن عثمان وكان يكاتبهم ويكاتبونه وسيرد ذكر ذلك فى موضعه ثم أقبل أهل فارس بعد رحيل يزدجرد على الاحنف فصالحوه ودفعوا اليه تلك الخزائن والاموال وتراجعوا الى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا عليه زمن الاكاسرة واغتبطوا بملك المسلمين وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم قادسية وسار الاحنف الى بلخ فنزلها بعد عبور خاقان النهر منها ونزل أهل الكوفة فى كورها الاربع ثم رجع الى مرو الروذ فنزلها وكتب بفتح خاقان ويزدجرد الى عمر ولما عبر خاقان ويزدجرد النهر لقوا رسول يزدجرد الذى أرسله الى ملك الصين فأخبرهما ان ملك الصين قال له صف لى هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم فانى أراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم الا بخير عندهم وشر فيكم فقلت سلنى عما أحببت فقال أيوفون بالعهد قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل القتال قال قلت يدعوننا الى واحدة من ثلاث اما دينهم فان أجبنا اجرونا مجراهم أو الجزية والمنعة أو المنابذة قال فكيف طاعتهم امراءهم قلت أطوع قوم وأرشدهم قال فما يحلون وما يحرمون فاخبرته قال هل

عجبا
خواعما ترمى بالنفط والنار
كان نيرانها من جنب قلعتهم
مصقلات على ارسان قصار
وهذا كلام ضعيف ولكن
قد عظم قدره فى ذلك الوقت
للمعنى وعظمت لصاحبه
الجائزة وصبت الاموال
على ابن الجزرى وقود وخلع
عليه فلم يقبل شيأ من ذلك
وسأل ان يعفى ويترك على
ما هو عليه ففى ذلك يقول
الشاعر أبو العتاهية
ألا نادت هرقلة بالخراب
من الملك الموفق للصواب
غدا هرون يرعد بالمنايا
ويبرق بالمذكرة العضاب
ورايات يحل النصر فيها
تمر كانها قطع السحاب
أمير المؤمنين ظفرت فاسلم
وأبشر بالغنيمة والاياب
وللرشيد مع نقفور هذا بعد
ذلك اخبار كثيرة قد أتينا
على مبسوطها فى كتابنا
الاوسط وما كان من خبره
فى ارساله ليحيى بن الشخير
حين أمره ان يتطارس
على نقفور وما كان من
نقفور وأخباره لبطارقته
ان الرشيد بعث بهذا متصاغرا بما
وما طالبه ابن الشخير بدينار
أو درهم عليه صورة الملك
حين عرضت عليه الخزائن
وما كان من انقياد نقفور
بعد ذلك الى طاعة الرشيد
وشرطه عليه ان يحمل اليه

يحاولون ماحرم عليهم أو يحرمون ما حلل لهم قلت لا قال فان هؤلاء القوم لا يزالون على ظفر حتى يحلوا حرامهم أو يحرموا حلالهم ثم قال اخبرنى عن لباسهم فاخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل العراب ووصفتها له فقال نعمت الحصون ووصفت له الابل وبروكها وقيامها بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الاعناق وكتب معه الى يزدجرد انه لم يمنعنى ان ابعث اليك بجند أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق على ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لى رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلا لهم سربهم أزالونى ما داموا على وصف فسالمهم وارض منهم بالمسالمة ولا تهجهم ما لم يهجوك فاقام يزدجرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهد من خاقان ولما وصل خبر الفتح الى عمر بن الخطاب جمع الناس وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح وحمد الله فى خطبته على انجاز وعده ثم قال ألا وان ملك المجوسية قد هلك فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم ألا وان الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وابناءهم لينظر كيف تعملون فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فانى لا أخاف على هذه الامة ان تؤتى الا من قبلكم وقيل ان فتح خراسان كان زمن عثمان وسيرد هناك

﴿ذكر فتح شهرزور والصامغان﴾

لما استعمل عمر عزرة بن قيس على حلوان حاول فتح شهرزور فلم يقدر عليها فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت وصالح أهل الصامغان ودارا باذ على الجزية والخراج وقتل خلقا كثيرا من الاكراد وكتب الى عمر ان فتوحى قد بلغ اذربيجان فولاه اياها وولى هرثمة بن عرفجة الموصل ولم تزل شهرزور واعمالها مضمومة الى الموصل حتى أفردت عنها آخر خلافة الرشيد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا معاوية بلاد الروم ودخلها فى عشرة آلاف فارس من المسلمين وفيها ولد يزيد ابن معاوية وعبد الملك بن مروان وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب وكان عماله على الامصار فيها عماله فى السنة قبلها الا الكوفة فان عامله كان عليها المغيرة بن شعبة والا البصرة فان عامله عليها صار أبا موسى الاشعرى

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين﴾

قال بعضهم كان فتح اصطخر سنة ثلاث وعشرين وقيل كان فتحها بعد توج الآخرة

﴿ذكر الخبر عن فتح توج﴾

لما خرج أهل البصرة الذين توجهوا الى فارس امراء عليها وكان معها سارية بن زنيم الكنانى فساروا وأهل فارس مجتمعون بتوج فلم يقصدهم المسلمون بل توجه أمير الى الجهة التى أمر بها وبلغ ذلك أهل فارس فافترقوا الى بلدانهم كما افترق المسلمون فكانت تلك هزيمتهم وتشتت أمورهم فقصد مجاشع بن مسعود لسابور واردشير خره فالتقى هو والفرس بتوج فاقتتلوا ما شاء الله ثم انهزم الفرس وقتلهم المسلمون كيف شاؤا كل قتلة وغنموا ما فى عسكرهم وحصروا توج فافتتحوها وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا ما فيها وهذه توج الآخرة والاولى هى التى استنقذتها جنود العلاء بن الحضرمى أيام طاوس ثم دعوا الى الجزية فرجعوا وأقروا بها وأرسل مجاشع بن مسعود السلمى بالبشارة والاخماس الى عمر بن الخطاب

﴿ذكر فتح اصطخر وجور وغيرهما﴾

أيضا كان من ماء عين العشيرة وهى عين البديدون وهى فى نهاية الصفاء والرقة وغير ذلك مما عنه امسكنا طلبا للاختصار (ثم ملك بعد نقفور) استراق بن نقفور بن استراق فى أيام محمد الامين فلم يزل ملكا حتى غلب على الملك قسطنطين فلقط وكان ملك قسطنطين هذا فى خلافة المأمون (ثم ملك بعده) نطر نوفيل وذلك فى خلافة المعتصم وهو الذى فتح زبطرة وغزاه المعتصم بالله ففتح عمورية وسنورد خبره فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المعتصم ان شاء الله تعالى (ثم ملك بعده) ميخائيل بن نوفيل وذلك فى خلافة الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين (ثم كان بين الروم تنازع فى الملك فملكوا عليهم نوفيل بن ميخائيل بن نوفيل (ثم غلب على الملك نسيل الصقلبى ولم يكن من أهل بيت الملك وكان ملكه أيام المعتز والمهتدى وبعض خلافة المعتمد (ثم ملك بعده) ابنه اليون بن نسيل بقية أيام المعتمد وصدرا من أيام المعتضد (ثم هلك فملكوا عليهم ابنا له يقال له الاسكندروس فلم يحمدوا أمره فخلعوه وملكوا عليهم

وقصد عثمان بن أبي العاص الثقفي لاصطخر فالتقى هو وأهل اصطخر بجور فاقتتلوا وانهزم الفرس وفتح المسلمون جور ثم اصطخر وقتلوا ماشاء الله ثم فرمنهم من فر فدعاهم عثمان الى الجزية والذمة فأجابه الهربذ اليها فتراجعوا وكان عثمان قد جمع الغنائم لما هزمهم فبعث بخمسها الى عمر وقسم الباقي في الناس وفتح عثمان كازرون والنوبندجان وغلب على أرضها وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز وأرجان وفتحا سينيز على الجزية والخراج وقصد عثمان أيضا جنابا ففتحها ولقيه جمع الفرس بناحية جهرم فهزمهم وفتحها ثم ان شهرك خلع في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان فوجه اليه عثمان بن أبي العاص ابنه وأتته الامداد من البصرة وأميرهم عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد فالتقوا بارض فارس فقال شهرك لابنه وهما في المعركة وبينهما وبين قرية لهما تدعى شهرك ثلاثة فراسخ يابني أين يكون غداؤنا ههنا أم بشهرك قال له ياأبت ان تركونا فلا يكون غداؤنا ههنا ولا بشهرك ولا نكون الا في المنزل وما أراهم يتركوننا فما فرغا من كلامهما حتى نشب المسلمون الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل شهرك وابنه وخلق عظيم والذي قتل شهرك الحكم بن أبي العاص أخو عثمان وقيل قتله سوار بن همام العبدي حمل عليه فطعنه فقتله وحمل ابن شهرك على سوار فقتله وقيل ان اصطخر كانت سنة ثمان وعشرين وكانت فارس الآخرة سنة تسع وعشرين وقيل ان عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين في ألفين الى فارس ففتح جزيرة بركاوان في طريقه ثم سار الى توج وكان كسرى أرسل شهرك فالتقوا مع شهرك وكان الجارود وأبو صفرة على مجنبتي المسلمين وأبو صفرة هذا هو والد المهلب فحمل الفرس على المسلمين فهزموهم فقال الجارود ايها الامير ذهب الجند فقال سترى أمرك قال فما لبثوا حتى رجعت خيل لهم ليس عليها فرسانها والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم فنثرت الرؤس فرأى المكعبر رأسا ضخما فقال أيها الامير هذا رأس الازدهاق يعني شهرك وحوصر الفرس بمدينة سابور فصالح عليها ملكها ازرنبان فاستعان به الحكم على قتال أهل اصطخر ومات عمر وبعث عثمان بن عفان عبيد الله بن معمر مكانه فبلغ عبيد الله ان ازرنبان يريد الغدر به فقال له أحب ان تتخذ لاصحابي طعاما وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها في الجفنة التي تليني فاني أحب أن أتمشش العظام ففعل وجعل يأخذ العظم الذي لا يكسر الا بالفؤس فيكسره بيده ويأخذ مخه وكان من أشد الناس فقام ازرنبان فأخذ برجله وقال هذا مقام العائذ بك وأعطاه عهدا وأصاب عبيد الله منجنيق فأوصاهم وقال انكم ستفتحون هذه المدينة ان شاء الله فاقتلوهم لي ساعة فيها ففعلوا فقتلوا منهم بشرا كثيرا ومات عبيد الله بن معمر وقيل ان قتله كان سنة تسع وعشرين

❁﴿ذكر فتح فسا ودارابجرد﴾❁

وقصد سارية بن زنيم الدئلي فسا ودارابجرد حتى انتهى الى عسكرهم فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ثم انهم استمدوا وتجمعوا وتجمعت اليهم اكراد فارس فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كثير وأتاهم الفرس من كل جانب فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم في ساعة من النهار فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى اذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج اليهم وكان ابن زنيم والمسلمون بصحراء ان أقاموا فيها أحيط بهم وان استندوا الى جبل من خلفهم لم يؤتوا الا من وجه واحد فقام فقال يا أيها الناس اني رأيت هذين الجمعين وأخبر بحالهما وصاح عمر وهو يخطب ياسارية بن زنيم الجبل الجبل ثم اقبل عليهم وقال ان لله جنودا ولعل بعضها ان تبلغهم فسمع سارية ومن معه الصوت فلجؤا الى الجبل ثم قاتلوهم فهزمهم الله وأصاب المسلمون مغانمهم

أخاه لاوى بن اليون بن نسيل الصقلبي وكان ملكه بقية أيام المعتضد والمكتفي وصدرا من أيام المقتدر (ثم هلك) وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فلك وغلب على مشاركته في الملك أرميوس بطريق البحر وصاحب غزوه وحروبه فزوج قسطنطين الصبي بابنته وذلك في بقية أيام المقتدر وأيام القاهر والراضي والمتقي الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في خلافة ابي اسحق المتقي ابن المقتدر وملوك الروم في هذا الوقت المؤرخ ثلاثة والاكبر منهم والمدبر للامور أرميوس المتغلب ثم الثاني وهو قسطنطين بن لاوى بن اليون ابن نسيل والملك الثالث ابن لارميوس يخاطب بالملك اسمه اصطفانوس وجعل أرميوس ابنا له آخر صاحب الكرسي بالقسطنطينية وهو البطرك الاكبر الذي يأخذون عنه دينهم وقد كان خصاه قبل ذلك وقربه الى الكنيسة وأمر الروم يدور في وقتنا هذا على ما ذكرنا من ملوكهم (قال المسعودي) فالى هذا الوقت انتهت أخبار ملوك الروم على حسب ما ذكرنا والله أعلم بما يكون من أمرهم في المستقبل

وأصابوا في الغنائم سفطا فيه جوهر فاستوهبه منهم سارية وبعث به وبالفتح مع رجل الى عمر فقدم على عمر وهو يطعم الطعام فأمره فجلس وأكل فلما انصرف عمر تبعه الرسول فظن عمر انه لم يشبع فأمره فدخل بيته فلما جلس أتى عمر بغدائه خبز وزيت وملح جريش فأكلا فلما فرغا قال الرجل انا رسول سارية يا أمير المؤمنين قال مرحبا وأهلا ثم أدناه حتى مس ركبته وسأله عن المسلمين فأخبره بقصة الدرج فنظر اليه وصاح به لا ولا كرامة حتى يقدم على ذلك الجند فيقسمه بينهم فطرده فقال يا أمير المؤمنين اني قد انضيت جملي واستقرضت في جائزتي فأعطني ما أتبلغ به فما زال به حتى أبدله بعيرا من ابل الصدقة وجعل بعيره في ابل الصدقة ورجع الرسول مغضوبا عليه محروما وسأل أهل المدينة الرسول هل سمعوا شيأ يوم الوقعة قال نعم سمعنا ياسارية الجبل الجبل وقد كدنا نهلك فلجأنا اليه ففتح الله علينا

❁﴿ذكر فتح كرمان﴾❁

ثم قصد سهيل بن عدي كرمان ولحقه أيضا عبد الله بن عبد الله بن عتبان وحشد لهم أهل كرمان واستعانوا عليهم بالقفص فاقتتلوا في أداني أرضهم ففض الله تعالى المشركين وأخذ المسلمون عليهم الطريق وقتل النسير بن عمرو العجلي مرزبانها فدخل النسير من قبل طريق القرى اليوم الى جيرفت وعبد الله بن عبد الله من مفازة سير فأصابوا ما أراد وامن بعير أو شاه فقوموا الابل والغنم فتحاصوها بالاثمان لعظم البخت على العرب وكرهوا ان يزيدوا وكتبوا الى عمر بذلك فأجابهم اذا رأيتم ان في البخت فضلا فزيدوا وقيل ان الذي فتح كرمان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي في خلافة عمر ثم أتى الطبسين من كرمان ثم قدم على عمر فقال أقطعني الطبسين فاراد أن يفعل فقيل انها رستاقان فامتنع عمر من ذلك

❁﴿ذكر فتح سجستان﴾❁

وقصد عاصم بن عمرو سجستان ولحقه عبد الله بن عمير فاستقبلهم أهلها فالتقوا هم وأهل سجستان في أداني أرضهم فهزمهم المسلمون ثم اتبعوهم حتى حصروهم بزرنج ومخروا أرض سجستان ما شاؤا ثم انهم طلبوا الصلح على زرنج وما احتاز وامن الارضين فأعطوا وكانوا قد اشترطوا في صلحهم ان فدافدها حمى فكان المسلمون يتجنبونها خشية ان يصيبوا منها شيأ فيخفروا واقيم أهل سجستان على الخراج وكانت سجستان أعظم من خراسان وأبعد فروجا يقاتلون القندهار والترك وأمما كثيرة فلم يزل كذلك حتى كان زمن معاوية فهرب الشاه من أخيه رتبيل الى بلد فيها يدعى آمل ودان لسلم بن زياد وهو يومئذ على سجستان وعقد لهم وأنزلهم البلاد وكتب الى معاوية بذلك يرى أنه فتح عليه فقال معاوية ان ابن أخي ليفرح بامارة ليحزنني قال ولم يا أمير المؤمنين قال ان آمل بلدة بينها وبين زرنج صعوبة وتضايق وهؤلاء قوم غدر فاذا اضطرب الجبل غدروا فأهون مايجيء منهم انهم يغلبون على بلاد آمل باسرها وأقرهم على عهد سلم بن زياد فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه وغلب على آمل واعتصم منه رتبيل بمكانه ولم يرضه ذلك حين تشاغل عنه الناس حتى طمع في زرنج فغزاها وحصرهم بها حتى أتتهم الامداد من البصرة وصار رتبيل والذين معه عصبة وكانت تلك البلاد مذللة الى ان مات معاوية وقيل في فتح سجستان غير هذا وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى

❁﴿ذكر فتح مكران﴾❁

وقصد الحكم بن عمرو التغلبي مكران حتى انتهى اليها ولحق به شهاب بن المخارق وسهيل بن عدي

من الزمان فعدد سني ملوك الروم المتنصرة من قسطنطين ابن هلاني وهو المظهر لدين النصرانية على ما ذكرنا الى هذا الوقت خمسمائة سنة وسبع سنين والذي أجمع عليه من عدد ملوكهم من قسطنطين الى هذا الوقت المؤرخ أحد وأربعون ملكا ولم يعد ابن أرميوس ووقع العدد على قسطنطين وأرميوس اللذين هما ملكا الروم في هذا الوقت المؤرخ وان أدخلنا في هذا العدد ابن أرميوس فعدد ملوك الروم من بدء النصرانية وهو الملك قسطنطين بن هلاني اثنان وأربعون ملكا في مدة هذه السنين المذكورة وقد ذهب جماعة ممن عني باخبار العالم الى ان من حين هبط آدم عليه السلام الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ستة آلاف سنة ومائتين وتسعا وخمسين سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ سني العالم والانبياء والملوك في باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى

﴿ذكر مصر وأخبارها ونيلها وعجائبها وأخبار ملوكها وغير ذلك مما اتصل بهذا الباب﴾

(قال المسعودي) ذكر الله

وعبد الله بن عبد الله بن عتبان فانتهوا الى دوين النهر واهل مكران على شاطئه فاستمد ملكهم ملك السند فأمده بجيش كثيف فالتقوا مع المسلمين فانهزموا وقتل منهم فى المعركة مقتلة عظيمة واتبعهم المسلمون يقتلونهم أياما حتى انتهوا الى النهر ورجع المسلمون الى مكران فأقاموا بها وكتب الحكم الى عمر بالفتح وبعث اليه بالاخماس مع صحار العبدى فلما قدم المدينة سأله عمر عن مكران فقال يا أمير المؤمنين هى أرض سهلها جبل وماؤها وشل وتمرها دقل وعدوها بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير فيها قليل والقليل فيها ضائع وماوراءها شر منها فقال اسجاع أنت أم مخبر لا والله لا يغزوها جيش لى أبدا وكتب الى سهيل والحكم بن عمرو أن لا يجوزن مكران أحد من جنودكما وأمرهما ببيع الفيلة التى غنمها المسلمون ببلاد الاسلام وقسم أثمانها على الغانمين (مكران بضم الميم وسكون الكاف)

﴿ذكر خبر بيروذ من الاهواز﴾

ولما فصلت الخيول الى الكور اجتمع ببيروذ جمع عظيم من الاكراد وغيرهم وكان عمر قد عهد الى أبى موسى ان يسير الى أقصى ذمة البصرة حتى لا يؤتى المسلمون من خلفهم وخشى أن يهلك بعض جنوده أو يخلفوا فى أعقابهم فاجتمع الاكراد ببيروذ وأبطأ أبو موسى حتى تجمعوا ثم سار فنزل بهم ببيروذ فالتقوا فى رمضان بين نهر تيرى ومناذر فقام المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقبل وعزم أبو موسى على الناس فأفطروا وتقدم المهاجر فقاتل قتالا شديدا حتى قتل ووهن الله المشركين حتى تحصنوا فى قلة وذلة واشتد جزع الربيع بن زياد على أخيه المهاجر وعظم عليه فقده فرق له أبو موسى فاستخلفه عليهم فى جند وخرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان واجتمع بها بالمسلمين الذين يحاصرون جيا فلما فتحت رجع أبو موسى الى البصرة وفتح الربيع بن زياد الحارثى بيروذ من نهر تيرى وغنم ما معهم ووفد أبو موسى وفدا معهم الاخماس فطلب ضبة بن محصن العنزى أن يكون فى الوفد فلم يجبه أبو موسى وكان أبو موسى قد اختار من سبى بيروذ ستين غلاما فانطلق ضبة الى عمر شاكيا وكتب أبو موسى الى عمر يخبره فلما قدم ضبة على عمر سلم عليه فقال من أنت فأخبره فقال لا مرحبا ولا أهلا فقال اما المرحب فمن الله وأما الاهل فلا أهل ثم سأله عمر عن حاله فقال ان أبا موسى انتقى ستين غلاما من ابناء الدهاقين لنفسه وله جارية تغدى جفنة وتعشى جفنة تدعى عقيلة وله قفيزان وله خاتمان وفوض الى زياد بن أبى سفيان امور البصرة واجاز الحطيئة بألف فاستدعى عمر أبا موسى فلما قدم عليه حجبه أياما ثم استدعاه فسأل عمر ضبة عما قال فقال أخذ ستين غلاما لنفسه فقال أبو موسى ذللت عليهم وكان لهم فداء ففديتهم وقسمته بين المسلمين فقال ضبة ما كذب ولا كذبت فقال له قفيزان فقال أبو موسى قفيز لاهلى أقوتهم به وقفيز للمسلمين فى أيديهم يأخذون به أرزاقهم فقال ضبة ما كذب ولا كذبت فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر فعلم أن ضبة قد صدقه قال وولى زيادا قال رأيت له رأيا ونبلا فاسندت اليه عملى قال واجاز الحطيئة بألف قال سددت فمه بمالى ان يشتمنى فرده عمر وأمره ان يرسل اليه زيادا وعقيلة ففعل فلما قدم عليه زياد سأله عن حاله وعطائه والفرائض والسنن والقرآن فرآه فقيها فرده وأمر امراء البصرة ان يسيروا برأيه وحبس عقيلة بالمدينة وقال عمر ألا ان ضبة غضب على أبى موسى وفارقه مراغما أن فاته أمر من أمر الدنيا فصدق عليه وكذب فأفسد كذبه صدقه فاياكم والكذب فانه يهدى الى النار (بيروذ بفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وضم الراء وسكون الواو وآخره ذال معجمة)

(ذكر

جل ثناؤه مصر فى مواضع من كتابه فقال عز وجل وقال الذى اشتراه من مصر وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم قوله تعالى وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ووصف بعض الحكماء مصر فقال ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة أشهر مسكة سوداء وثلاثة وأشهر زمردة خضراء وثلاثة أشهر سبيكة حمراء فاما اللؤلؤة البيضاء فان مصر فى شهر أبيب وهو تموز ومسرى وهو آب وتوت وهو ايلول يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها على روابى وتلال مثل الكواكب قد أحاطت المياه بها من كل وجه فلا سبيل لبعض البلاد الى بعض الا فى الزوارق وأما المسكة السوداء فان فى شهر بابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثانى وكيهك وهو كانون الاول ينكشف الماء عنها وينضب عن أرضها فتصير أرضا سوداء وفيها تقع الزراعات وللارض روائح طيبة تشبه روائح المسك

﴿ذكر خبر سلمة بن قيس الاشجعى والاكراد﴾

كان عمر اذا اجتمع اليه جيش من المسلمين امر عليهم اميرا من أهل العلم والفقه فاجتمع اليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الاشجعى فقال سر باسم الله قاتل فى سبيل الله من كفر بالله فاذا لقيتم عدوكم فادعوهم الى الاسلام فان أجابوا وأقاموا بدارهم فعليهم الزكاة وليس لهم من الفىء نصيب وان ساروا معكم فلهم مثل الذى لكم وعليهم مثل الذى عليكم وان أبوا فادعوهم الى الجزية فان أجابوا فاقبلوا منهم وان أبوا فقاتلوهم وان تحصنوا منكم وسألوكم ان ينزلوا على حكم الله ورسوله وذمة الله ورسوله فلا تجيبوهم فانكم لا تدرون اتصيبون حكم الله ورسوله وذمتهما أم لا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا ولا تمثلوا قال فساروا حتى لقوا عدوا من الاكراد المشركين فدعوهم الى الاسلام أو الجزية فلم يجيبوا فقاتلوهم فهزموهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فقسمه بينهم ورأى سلمة جوهرا فى سفط فاسترضى عنه المسلمين وبعث به الى عمر فقدم الرسول بالبشارة وبالسفط على عمر فسأله عن امور الناس وهو يخبره حتى اخبره بالسفط فغضب غضبا شديدا وامر به فوجىء به فى عنقه ثم انه قال ان تفرق الناس قبل ان تقدم عليهم ويقسمه سلمة فيهم لاسوءنك فسار حتى قدم على سلمة فباعه وقسمه فى الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون ألفا وحج بالناس هذه السنة عمر بن الخطاب وحج معه أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وهى آخر حجة حجها وفيها قتل عمر رضى الله عنه

﴿ذكر الخبر عن مقتل عمر رضى الله عنه﴾

قال المسور بن مخرمة خرج عمر بن الخطاب يطوف يوما فى السوق فلقيه ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وكان نصرانيا فقال يا أمير المؤمنين أعدنى على المغيرة بن شعبة فان على خراجا كثيرا قال وكم خراجك قال درهمان كل يوم قال وايش صناعتك قال نجار نقاش حداد قال فما أرى خراجك كثيرا على ما تصنع من الاعمال قد بلغنى انك تقول لو أردت ان اصنع رحى تطحن بالريح لفعلت قال نعم قال فاعمل لى رحى قال لئن سلمت لاعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ثم انصرف عنه فقال عمر لقد أوعدنى العبد الآن ثم انصرف عمر الى منزله فلما كان الغد جاءه كعب الاحبار فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت فى ثلاث ليال قال وما يدريك قال أجده فى كتب التوراة قال عمر أتجد عمر بن الخطاب فى التوراة قال اللهم لا ولكنى اجد حليتك وصفتك وانك قد فنى أجلك قال وعمر لا يحس وجعا فلما كان الغد جاءه كعب فقال بقى يومان فلما كان الغد جاءه كعب فقال مضى يومان وبقى يوم فلما اصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فاذا استوت كبر ودخل أبو لؤلؤة فى الناس وبيده خنجر له رأسان نصابه فى وسطه فضرب عمر ست ضربات احداهن تحت سرته وهى التى قتلته وقتل معه كليب بن ابى البكير الليثى وهو حليفه وقتل جماعة غيره فلما وجد عمر حر السلاح سقط وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلى بالناس وعمر طريح فاحتمل فادخل بيته ودعا عبد الرحمن فقال له انى اريد ان أعهد اليك قال اتشير على بذلك قال اللهم لا قال والله لا ادخل فيه ابدا قال فهبنى صمتا حتى اعهد الى النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ثم دعا عليا وعثمان والزبير وسعدا فقال انتظروا أخاكم طلحة ثلاثا فان جاء والا فاقضوا امركم أنشدك الله يا على ان وليت من أمور الناس شيأ أن تحمل بنى هاشم على رقاب الناس انشدك الله يا عثمان ان وليت من أمور الناس شيأ ان تحمل بنى ابى معيط على رقاب الناس أنشدك الله يا سعد ان وليت من أمور الناس شيأ أن تحمل أقاربك على رقاب الناس

وأما الزمردة الخضراء فان فى شهر طوبة وهو كانون الثانى وامشير وهو شباط وبرمهات وهو آذار تلمع ويكثر عشبها ونباتها فتصير كالزمردة الخضراء وأما السبيكة الحمراء فان فى شهر برمودة وهو نيسان وبشنس وهو أيار وبؤنة وهو حزيران يبيض الزرع فيه ويتورد العشب فهو كسبيكة الذهب منظرا ومنفعة وسنذكر هذه الشهور بالسريانية والعربية والفارسية ونسمى كل شهر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على جميع ذلك فى الكتاب الاوسط * ووصف آخر مصر فقال نيلها عجب وأرضها ذهب وخيرها جلب وملكها سلب ومالها رغب وفى أهلها صخب وطاعتهم رهب وسلامهم تعب وحروبهم حرب وهى لمن غلب ونهرها النيل من سادات الانهار وأشراف البحار لانه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به خبر الشريعة ان النيل وسيحان وهو نهر ادنة بين طرسوس والمصيصة وجيحان ومخرجه من عيون تعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام من مدينة مرعش ويطرح الى البحر الرومى فليس للمسلمين عليه من

قوه وافتشاور وائم اقضوا أمركم وليصل بالناس صهيب ثم دعا أباطلحة الانصاري فقال قم على بابهم فلا تدع أحدا يدخل اليهم وأوصى الخليفة من بعدى بالانصار الذين تبوّؤا الدار والايمان ان يحسن الى محسنهم ويعفو عن مسيئهم وأوصى الخليفة بالعرب فانهم مادّة الاسلام ان يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع فى فقرائهم وأوصى الخليفة بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم اللهم هل بلغت لقد تركت الخليفة من بعدى على أنقى من الراحة ياعبد الله بن عمر احرج فانظر من قتلنى قال ياأمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل سجد لله سجدة واحدة ياعبد الله بن عمر اذهب الى عائشة فسلها ان تأذن لى ان أدفن مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ياعبد الله ان اختلف القوم فكن مع الاكثر فان تشاوروا فكن مع الحزب الذى فيه عبد الرحمن بن عوف ياعبد الله ائذن للناس فجعل يدخل عليه المهاجرين والانصار فيسلمون عليه ويقول لهم أهذا عن ملا منكم فيقولون معاذ الله قال ودخل كعب الاحبار مع الناس فلما رآه عمر قال

توعدنى كعب ثلاثا اعدّها * ولاشك أن القول ماقال لى كعب

ومابى حذار الموت انى لميت * ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

ودخل عليه على يعوده فقعد عند رأسه وجاء ابن عباس فاثنى عليه فقال له عمر انت لى بهذا ياابن عباس فاومأ اليه على أن قل نعم فقال ابن عباس نعم فقال عمر لا تغرنى أنت وأصحابك ثم قال ياعبد الله خذ رأسى عن الوسادة فضعه فى التراب لعل الله جل ذكره ينظر الى فيرحمنى والله لو ان لى ماطلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع ودعى له طبيب من بنى الحرث بن كعب فسقاه نبيذا فخرج غير متغير فسقاه لبنا فخرج كذلك أيضا فقال له اعهد ياأمير المؤمنين قال قد فرغت ولما احتضر ورأسه فى حجر ولده عبد الله قال

ظلوم لنفسى غير أنى مسلم * أصلى الصلاة كلها واصوم

ولم يزل يذكر الله تعالى ويديم الشهادة الى ان توفى ليلة الاربعاء لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وقيل طعن يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة ودفن يوم الاحد هلال محرم سنة أربع وعشرين وكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام وبويع عثمان لثلاث مضين من المحرم وقيل كانت وفاته لاربع بقين من ذى الحجة وبويع عثمان لليلة بقيت من ذى الحجة واستقبل بخلافته هلال محرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافة عمر على هذا القول عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وصلى عليه صهيب وحمل الى بيت عائشة ودفن عند النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ونزل فى قبره عثمان وعلى والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وعبد الله بن عمر

﴿ذكر نسب عمر وصفته وعمره﴾

فامانسبه فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى ابن كعب بن لؤى وكنيته أبو حفص وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهى ابنة عم ابى جهل وقد زعم من لا معرفة له انها أخت أبى جهل وليس بشئ وسماه النبى صلى الله عليه وسلم الفاروق وقيل بل سماه أهل الكتاب واماصفته فكان طويلا آدم اصلع اعسر يسر يعنى يعمل بيديه وكان لطوله كانه راكب وقيل كان أبيض أمهق يعنى شديد البياض تعلوه حمرة طوالا أصلع أشيب وكان يصفر لحيته ويرجل رأسه وكان مولده قبل الفجار بأربع سنين وكان عمره خمسا وخمسين سنة وقيل ابن ستين سنة وقيل ابن ثلاث وستين سنة وأشهر وهو الصحيح

المدن الى المصيصة وكفرباد ومجراه بينهما والفرات وقد قدمنا الاخبار عنه وعن النيل ومبدئهما ومقدار جريانهما على وجه الارض ومصبهما فيما سلف من هذا الكتاب وانه يخرج من الجنة وكذلك الدجلة وغيرها مما اشتهر من الانهار الكبار وقد قالت العرب فى النيل انه اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض زادت فزياداتها من غيضه وغيضه من زياداتها قال البصرى

يفيض ان زادت له الانهار
فى الارض ذات العرض والمقدار

وقالت الهند زيادته ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالى الانواء وتوالى الامطار وركود السحاب وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من عيون كثرت واتصلت وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون فى شاطئه يراها من سافر ولحق بأعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت به فتحبسه فيفيض على وجه الارض وقد ذكرنا التنازع فى النيل وزيادته ممن سلف وخلف على الشرح والايضاح وغيره من الانهار الكبار

وقيل ابن احدى وستين سنة (رياح بكسر الراء وبالياء تحتها نقطتان)

﴿ذكر أسماء ولده ونسائه﴾

تزوج عمر فى الجاهلية زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الاكبر وحفصة وتزوج مليكة بنت جرول الخزاعى فى الجاهلية فولدت له عبيد الله بن عمر ففارقها فى الهدنة فخلف عليها أبو جهم بن حذيفة وقتل عبيد الله بصفين مع معاوية وقيل كانت أمه ام زيد الاصغر ام كلثوم بنت جرول الخزاعى وكان الاسلام فرق بينها وبين عمر وتزوج قريبة بنت أبى أمية المخزومى فى الجاهلية ففارقها فى الهدنة ايضا فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق فكانا سلفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان قريبة أخت ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وتزوج ام حكيم بنت الحرث بن هشام المخزومى فى الاسلام فولدت له فاطمة فطلقها وقيل لم يطلقها وتزوج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبى الافلح الاوسى الانصارى فى الاسلام فولدت له عاصما فطلقها ثم تزوج أم كلثوم بنت على بن أبى طالب وامها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واصدقها أربعين ألفا فولدت له رقية وزيدا وتزوج لهية امرأة من اليمن فولدت له عبد الرحمن الاوسط وقيل الاصغر وقيل كانت عنده فكيهة ام ولد فولدت له زينب وهى أصغر ولد عمر وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قبله عند عبد الله ابن أبى بكر الصديق فقتل عنها فلما مات عمر تزوجها الزبير بن العوام فقتل عنها أيضا فخطبها على فقالت لا أفعل انى أضن بك عن القتل فانك بقية الناس فتركها وخطب أم كلثوم ابنة أبى بكر الصديق الى عائشة فقالت أم كلثوم لا حاجة لى فيه انه خشن العيش شديد على النساء فارسلت عائشة الى عمرو بن العاص فقال انا اكفيك فأتى عمر فقال بلغنى خبر اعيذك بالله منه قال ماهو قال خطبت ام كلثوم بنت أبى بكر فقال نعم أفرغبت بى عنها ام رغبت بها عنى قال ولا واحدة ولكنها حدثة نشأت تحت كنف أمير المؤمنين فى لين ورفق وفيك غلظة ونحن نهابك وما نقدر ان نردك عن خلق من اخلاقك فكيف بها ان خالفتك فى شئ فسطوت بها كنت قد خلفت أبا بكر فى ولده بغير ما يحق عليك وقال فكيف بعائشة وقد كلمتها قال أنا لك بها وأدلك على خير منها ام كلثوم بنت على بن أبى طالب تعلق منها بسبب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب ام أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابسا ويخرج عابسا

﴿ذكر بعض سيرته رضى الله عنه﴾

قال عمر انما مثل العرب مثل جمل انف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده فاما أنا فورب الكعبة لاحملنهم على الطريق قال نافع العبسى دخلت سر الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب قال فجلس عثمان فى الظل يكتب وقام على على رأسه يملى عليه ما يقول عمر وعمر قائم فى الشمس فى يوم شديد الحر عليه بردان اسودان اتزر باحدهما ولف الآخر على رأسه يعد ابل الصدقة يكتب ألوانها واسنانها فقال على لعثمان فى كتاب الله ياابت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين ثم أشار على بيده الى عمر وقال هذا القوى الامين وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة رأيت عمر أخذ تبنة من الارض فقال ياليتنى هذه التبنة وياليتنى لم أك شيأ ياليت أمى لم تلدنى ياليتنى كنت نسيا منسيا وقال الحسن قال عمر لئن عشت ان شاء الله لاسيرن فى الرعية حولا فانى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونى اما عمالهم فلا يرفعونها الى واما هم فلا يصلون الى فاسير الى الشام فاقيم شهرين وبالجزيرة شهرين وبمصر شهرين وبالبحرين شهرين وبالكوفة شهرين

والبحار والبحيرات الصغار فى أخبار الزمان فى الفن الثانى فأغنى ذلك عن اعادتها فى هذا الكتاب * ومصر من سادات القرى ورؤساء المدن قال الله تعالى حاكيا عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون وقال عز وجل حاكيا عن يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وليس فى أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الخبر عن جبل القمر الذى بدء النيل منه وما يظهر من تأثير القمر فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام فى البدء والمحاق وقد روى عن زيد بن أسلم فى قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل قال هى مصر ان لم يصبها وابل زكت وان أصابها مطر ضعفت وقال بعض الشعراء يصف مصر ونيلها

مصر ومصر شانها عجيب
ونيلها تجرى به الجنوب

وهى مصر واسمها كمعناها وعلى اسمها سميت الامصار ومنها اشتق هذا الاسم عند علماء المصريين وقد

و بالبصرة شهرين والله لنعم الحول هـذا وقيـل لعمران ههنا رجلا من الانبار له بصر بالديوان لو اتخذته كاتبا فقال لقد اتخذت اذن بطانة من دون المؤمنـين قيل خطب عمر الناس فقال والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لو ان جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت ان يسالنى الله عنه وقال أبو فراس خطب عمر الناس فقال أيها الناس انى ما أرسل اليكم عمـالا ليضربوا أبشاركم ولا يأخذوا أموالـكم وانمـا ارسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعـل به شئ سوى ذلك فليرفعه الىّ فوالذى نفس عمر بيده لاقصنه منه فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنـين ارأيتك ان كان رجل من المسلمين على رعية فادب بعض رعيته انك لتقصه منه قال اى والذى نفس عمر بيده اذن لاقصنه منه وكيف لا اقصه منه وقد رأيت النبى صـلى الله عليه وسـلم يقص من نفسه ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تحمدوهم فتفتنوهـم ولا تمنعوهـم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهـم قال بكر بن عبـد الله جاء عمر بن الخطاب الى عبـد الرحمن بن عوف وهو يصـلى فى بيته ليلا فقال له عبـد الرحمن ما جاء بك فى هـذه الساعة قال رفقة نزلت فى ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق فلنحرسهم فاتيا السوق فقعـدا على نشز من الارض يتحدثان فرفع لهما مصـباح فقال عمر ألم أنه عن المصابيح بعـد النوم فانطلقا فاذا قوم على شراب لهم قال انطلق فقد عرفته فلما أصبح أرسـل اليه قال يا فلان كنت وأصحابك البارحة على شراب قال وما أعلمك يا أمير المؤمنـين قال شئ شهدته قال أو لم ينهك الله عن التجسس فتجاوز عنـه وانما نهى عمر عن المصابيح لان الفأرة تاخـذ الفتيـلة فترمى بها فى سـقف البيت فتحرقه وكانت السقوف من جريد وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك قبله وقال أسـلم وخرج عمر الى حرة واقم وأنا معـه حتى اذا كنا بصرار اذا نار تسعر فقال انطلق بنا اليهم فهرولنا حتى دنونا منهم فاذا بامرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون فقال عمر السـلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره ان يقول يا أصحاب النار قالت وعليك السـلام قال أأدنو قالت ادن بخير أو دع فدنا فقال ما بالـكم قالت قصر بنا الليل والبرد قال فـما بال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت من الجوع قال وأى شئ فى هذه القدر قالت مالى ما أسكتهم حتى يناموا فانا اعللهم واوهمهم انى أصلح لهم شيأ حتى يناموا الله بيننا وبين عمر قال اى رحمـك الله ما يدرى بكم عمر قالت يتولى أمرنا ويغفـل عنا فاقبـل علىّ وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى اتينا دار الدقيق فاخرج عدلا فيـه كبة شحم فقال احمله على ظهرى قال أسـلم فقلت أنا أحمله عنك مرتين أو ثلاثا فقال آخر ذلك أنت تحمـل عنى وزرى يوم القيامة لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى انتهينا اليها فالقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيأ فجعل يقول لها ذرى علىّ وانا أحسـن لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر الى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج ثم أنزل القدر فاتته بصحفة فافرغها ثم قال أطعميهم وأنا أسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك وقام وقمت معه فجعلت تقول جزاك الله خيرا أنت أولى بهـذا الامر من امير المؤمنين فيقول قولى خيرا فانك اذا جئت امير المؤمنين وجدتينى هناك ان شاء الله ثم تنحى ناحية ثم استقبلها وربض لا يكلمنى حتى رأى الصبية يضحكون ويصطرعون ثم ناموا وهـدؤا فقام وهو يحمـد الله فقال يا أسـلم الجوع أسهرهم وأبكاهم فاحببت ان لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم (صرار بكسر الصاد المهـملة وراءين قال سالم بن عبد الله بن عمر وكان عمر اذا نهى الناس عن شئ جمع اهله فقال انى نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليـكم نظر الطير الى اللحم وأقسم بالله لا أجد احدا فعـله

الا

قال عمرو بن معديكرب
ما النيل أصبح واحدا بمدوده
وجرت له ريح الصبا فجرى لها
عودت كندة عادة محمودة
فاصبر لحاهاها ورو سجالها
(قال المسعودى) ويبتدئ نيل مصر بالتنفس والزيادة بقيـة بؤنة وهو حزيران وأبيب وهو تموز ومسرى وهو آب فاذا كان الماء زائدا زاد شهر توت كلـه وهو أيلول الى انقضائه فاذا انتهت الزيادة الى ست عشرة ذراعا ففيـه تمام الخراج وخصب الارض وربيع للبلد عام وهو ضار للبهائم لعـدم المرعى والكلأ وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبعة عشر ذراعا وفى ذلك كفايتها ورىّ جميع أرضها واذا زاد على السبع عشرة وبلـغ ثمان عشرة ذراعا وغرقها استبحر من أرض مصر الربع وفى ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من وجه الاستبحار وغير ذلك وان كانت الزيادة ثمان عشرة ذراعا كانت العاقبة فى انصرافه حدوث وباء بمصر وأكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعا وقد كان النيـل بلغ فى زيادته تسع عشرة ذراعا وذلك سنة تسع وتسعين فى خلافة عمر ابن عبد العزيز ومساحة الذراع الى أن تبلـغ اثنى

الا أضعفت عليـه العقوبة قال سـلام بن مسكـين وكان عمر اذا احتاج أتى صاحب بيت المـال فاستقرضه فربما اعسر فيأتيـه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه فيحتال له عمر وربما خرج عطاؤه فقضاه قال وهو أوّل من دعى بأمير المؤمنين وذلك انه لما ولى قالوا له يا خليفة خليفة رسول الله فقال عمر هذا أمر يطول كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة خليفة رسول الله بل انتم المؤمنون وأنا أميركم فسمى امير المؤمنـين وهو أوّل من كتب التاريخ وقد تقـدم وهو أوّل من اتخـذ بيت مال وأوّل من عس الليل وأوّل من عاقب على الهجاء وأوّل من نهى عن بيع أمهات الاولاد وأوّل من جمع الناس فى صلاة الجنازة على اربع تكبيرات وكانوا قبل ذلك يصلون أربعـا وخمسا وستا قال الواقدى وهو اوّل من جمع النـاس على امام يصـلى بهـم التراويح فى شهر رمضـان وكتب به الى البلدان وامرهم به وهو أوّل من حمل الدرة وضرب بها واوّل من دوّن فى الاسلام قال زاذان قال عمر لسلمان املك انا ام خليفة قال له سلمان ان انت جبيت من أرض المسلمين درهمـا أو اقل أو أكثر ووضـعته فى غير حقه فأنت ملك غير خليفة فبكى عمر وقال ابو هريرة يرحم الله ابن حنتمة لقـد رأيته عام الرمادة وانه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت فى يده وانه ليعتقب هو واسلم فلما رآنى قال من اين يا أبا هريرة قلت قريبا فاخـذت أعقبـه فحملناه حتى انتهينا الى صرار فاذا نحو من عشرين بيتا من محارب فقال لهم ما أقدمكم قالوا الجهد واخرجوا لنا جلد الميتة مشويا كانوا يأكلونه ورمة العظام مسحوقة كانوا يستفونها فرأيت عمر طرح رداءه ثم اتزر فما زال يطبخ حتى أشبعهم ثم ارسل أسلم الى المدينة فجاء بابعرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة ثم كساهم وكان يختلف اليهم والى غيرهم حتى رفع الله ذلك قال ابو خيثمة رأت الشفاء بنت عبد الله فتيانا يقصدون فى المشى ويتكلمون رويدا فقالت ما هـذا قالوا انساك فقالت كان والله عمر اذا تكلم اسمع واذا مشى أسرع واذا ضرب أوجع وهو والله ناسـك حقا قال الحسـن خطب عمر الناس وعليه ازار فيـه اثنتا عشرة رقعـة منها ادم قال ابو عثمان النهدى رأيت عمر يرمى الجمرة وعليه ازار مرقع بقطعة جراب وقال على رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه ازار فيـه احدى وعشرون رقعة فيها أدم وقال الحسـن كان عمر يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد كما يعاد المريض وقيل انه سمع قارئا يقرأ والطور فلما انتهى الى قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع سـقط ثم تحـامل الى منزله فمرض شهرا من ذلك قال الشعبى كان عمر يطوف فى الاسواق ويقرأ القرآن ويقضى بين الناس حيث أدركه الخصوم قال موسى بن عقبة اتى رهط الى عمر فقالوا له كثر العيال واشتدت المؤنة فزدنا فى عطائنا قال فعلتموها جمعتم بين الضرائر واتخـذتم الخـدم من مال الله لوددت أنى واياكم فى سفينة فى لجة البحر تذهب بنا شرقا وغربا فلن يعجز الناس ان يولوا رجلا منهم فان استقام تبعوه وان جنف قتلوه فقال طلحة وما عليك لو قلت وان تعوج عزلوه قال لا القتل أنكل لمن بعده احذروا فتى من قريش وابن كريمها الذى لا ينام الا على الرضا ويضحك عنـد الغضب وهو يتناول من فوقه ومن تحته قال مجالد ذكر رجـل عنـد عمر فقيل يا أمير المؤمنـين فاضـل لا يعرف من الشر شيأ قال ذاك اوقع له فيه قال صالح بن كيسان قال المغيرة بن شعبة لما دفن عمر أتيت عليا وأنا احب ان أسمع منـه فى عمر شيأ فخرج ينفض رأسـه ولحيته وقد اغتسـل وهو ملتحف بثوب لا يشك ان الامر يصير اليه فقال يرحم الله ابن الخطاب لقد صدقت ابنة ابى حنتمة ذهب بخيرها ونجا من شرها أو والله ما قالت ولكن قولت وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو فى عمر

فجعنى فيروز لا در دره * بابيض تال للكتاب منيب

عشر ذراعا ثمان وعشرون اصبعا ومن اثنى عشر ذراعا الى ما فوق يصير الذراع أربعا وعشرين اصبعا وأقل ما يبقى فى قاع المقياس من الماء ثلاث أذرع وفى نيل تلك السنة يكون الماء قليلا والاذرع التى يستسق عليها بمصر هى ذراعان تسميان منكرا ونكيرا وهى الذراع الثالثة عشر والذراع الرابعة عشر فاذا انصرف الماء عن هاتين الذراعين أعنى ثلاث عشرة وأربع عشرة وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة واستسق الناس بمصر كان الضرر شاملا لكل البلدان الا أن يأذن الله عز وجل فى زيادة الماء واذا تم خمس عشرة ودخل فى ست عشرة ذراعا كان فيـه صلاح لبعض الناس ولا يستسق فيه وكان ذلك نقصا من خراج السلطان والترع التى بغيضـة مصر أربع امهات اسماؤها ترعـة ذنب التمساح وترعة بلقينة وخليج سردوس وخليج ذات الساحل وتفتح هـذه الترع اذا كان الماء زائدا فى عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من توت وهو ايلول وقـد تقـدم نا خبر تسمية هـذا اليوم بعيد الصليب فيما سلف من هذا

رؤف على الادنى غايظ على العدا * أخى ثقة فى النائبات منيب
متى مايقل لايكذب القول فعله * سريع الى الخيرات غير قطوب

وقالت أيضا

عين جودى بعبرة ونحيب * لاتملى على الامام النجيب
فجعتنى المنون بالفارس المعلم يوم الهياج والتلبيب
عصمة الناس والمعين على الدهر وغيث المنتاب والمحروب
قل لاهل الثراء والبؤس موتوا * قد سقته المنون كاس شعوب

قال ابن المسيب وحج عمر فلما كان بضجنان قال لا اله الا الله العظيم العلى المعطى ماشاء من شاء كنت أرعى ابل الخطاب فى هذا الوادى فى مدرعة صوف وكان فظا يتعبنى اذا عملت ويضربنى اذا قصرت وقد أمسيت وليس بينى وبين الله أحد ثم تمثل

لاشئ فيما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجرى الرياح به * والانس والجن فيما بينها برد
أين الملوك التى كانت نوافلها * من كل أوب اليها راكب يفد
حوضا هنالك مورودا بلا كذب * لابد من ورده يوما كما وردوا

قال أسلم ان هند بنت عتبة استقرضت عمر من بيت المال أربعة آلاف تتجر فيها وتضمنها فاقرضها فخرجت فيها الى بلاد كلب فاشترت وباعت فبلغها ان أبا سفيان وابنه عمرا أتيا معاوية فعدلت اليه وكان أبو سفيان قد طلقها فقال لها معاوية ما أقدمك أى أمه قالت النظر اليك أى بنى انه عمر وانما يعمل لله وقد أتاك أبوك فخشيت ان تخرج اليه من كل شئ واهل ذلك هو ولا يعلم الناس من أين أعطيته فيؤنبوك ويؤنبك عمر فلا تستقيلها أبدا فبعث الى أبيه والى أخيه بمائة دينار فكساهما وحملهما فتسخطها عمرو فقال أبو سفيان لاتسخطها فان هذا عطاء لم تغب عنه هند ورجعوا جميعا فقال أبو سفيان لهند أربحت قالت الله أعلم فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة فقال لها عمر لو كان مالى لتركته لك ولكنه مال المسلمين وقال لابى سفيان بكم أجازك معاوية قال بمائة دينار (٣) قال ابن عباس بينما عمر بن الخطاب وأصحابه يتذاكرون الشعر فقال بعضهم فلان أشعر وقال بعضهم بل فلان أشعر قال فاقبلت فقال عمر قد جاءكم أعلم الناس بها من أشعر الشعراء قال قلت زهير بن أبى سلمى فقال هلم من شعره مايستدل به على ماذكرت فقلت امتدح قوما من غطفان فقال

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم باولهم أو مجدهم قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم * طابوا وطاب من الاولاد ماولدوا
انس اذا أمنوا جن اذا فزعوا * أمازرون بهاليل اذا احشدوا
محسدون على ما كان من نعم * لاينزع الله عنهم ماله حسدوا

فقال عمر أحسن والله وما أعلم أحدا أولى بهذا الشعر من هذا الحى من بنى هاشم لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتهم منه فقلت وفقت يا أمير المؤمنين ولم تزل موفقا فقال يا ابن عباس أتدرى مامنع قومكم منكم بعد محمد صلى الله عليه وسلم فكرهت أن أجيبه فقلت ان لم أكن أدرى فان أمير المؤمنين يدرينى فقال عمر كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجبحوا على قومكم بجحا بجحا

الكباب والنبيذ الشيرازى يتخذ بمصر من ماء طوبة وهو كانون الآخر بعد الغطاس وهو لعشر تمضى من طوبة وأصفى مايكون النيل فى ذلك الوقت وأهل مصر يفتخرون بصفاء النيل فى هذا الوقت وفيه تختزن المياه أهل تنيس ودمياط وتونة وسائر قرايا البحيرة ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لاينام الناس فيها وهى ليلة احدى عشرة تمضى من طوبة وستة من كانون الثانى ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج فى داره المعروفة بالمختارة فى الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ماأسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيل فى تلك الليلة مئو آلاف من الناس المسلمين والنصارى منهم فى الزوارق ومنهم فى الدور الدانية من النيل ومنهم على الشطوط لايتناكرون الحضور ويحضرون كل مايمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات

(٣) بهامش الاصل من قوله فقال يا ابن عباس الى ذكر قصة الشورى زائد دس قاتل الله واضعه اه

فاختارت قريش لانفسها فاصابت ووفقت فقلت يا أمير المؤمنين ان تاذن لى فى الكلام وتمط عنى الغضب تكلمت قال تكلم قلت أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لانفسها فاصابت ووفقت فلو أن قريشا اختارت لانفسها حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود وأما قولك انهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فان الله عز وجل وصف قوما بالكراهة فقال ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فاحبط أعمالهم فقال عمر هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغنى عنك أشياء كنت أكره ان أقرك عليها فتزيل منزلتك منى فقلت ماهى يا أمير المؤمنين فان كانت حقا فما ينبغى ان تزيل منزلتى منك وان كانت باطلا فمثلى اماط الباطل عن نفسه فقال عمر بلغنى انك تقول انما صرفوها عنا حسدا وبغيا وظلما فقلت اما قولك يا أمير المؤمنين ظلما فقد تبين للجاهل والحليم واما قولك حسدا فان آدم حسد ونحن ولده المحسودون فقال عمر هيهات هيهات أبت والله قلوبكم يا بنى هاشم الا حسدا لايزول فقلت مهلا يا أمير المؤمنين لاتصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا عن الحسد والغش فان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلوب بنى هاشم فقال عمر اليك عنى يا ابن عباس فقلت افعل فلما ذهبت أقوم استحيا منى فقال يا ابن عباس مكانك فوالله انى لراع لحقك محب لما سرك فقلت يا أمير المؤمنين ان لى عليك حقا وعلى كل مسلم فمن حفظه فحظه أصاب ومن أضاعه فحظه أخطأ ثم قام فمضى

(ذكر قصة الشورى)

قال عمرو بن ميمون الاودى ان عمر بن الخطاب لما طعن قيل له يا أمير المؤمنين لو استخلفت فقال لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته وقلت لربى ان سألنى سمعت نبيك يقول انه أمين هذه الامة ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا استخلفته وقلت لربى ان سألنى سمعت نبيك يقول ان سالما شديد الحب لله تعالى فقال له رجل أدلك على عبد الله بن عمر فقال قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا ويحك كيف أستخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته لا ارب لنا فى أموركم فما حمدتها فارغب فيها لاحد من أهل بيتى ان كان خيرا فقد أصبنا منه وان كان شرا فقد صرف عنا بحسب آل عمر ان يحاسب منهم رجل واحد ويسئل عن أمر أمة محمد اما لقد جهدت نفسى وحرمت أهلى وان نجوت كفافا لا وزر ولا أجر انى لسعيد انظر فان استخلف فقد استخلف من هو خير منى وان اترك فقد ترك من هو خير منى ولن يضيع دينه فخرجوا ثم راحوا فقالوا يا أمير المؤمنين لو عهدت عهدا فقال قد كنت أجمعت بعد مقالتى ان أنظر فأولى رجلا أمركم هو احراكم ان يحملكم على الحق وأشار الى على فرهقتنى غشية فرأيت رجلا دخل جنة فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمه اليه ويصيره تحته فعلمت ان الله غالب أمره فما أردت ان أتحملها حيا وميتا عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم من أهل الجنة وهم على وعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوا واليا فاحسنوا موازرته واعينوه فخرجوا فقال العباس لعلى لاتدخل معهم قال انى أكره الخلاف قال اذن ترى ما تكره فلما أصبح عمر دعا عليا وعثمان وسعدا وعبد الرحمن والزبير فقال لهم انى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض وانى لا أخاف الناس عليكم ان استقمتم ولكنى أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس فانهضوا الى حجرة عائشة باذنها فتشاوروا فيها ووضع رأسه وقد نزفه الدم فدخلوا فتناجوا حتى ارتفعت أصواتهم فقال عبد الله بن عمر سبحان الله ان أمير المؤمنين لم يمت بعد فسمعه عمر فانتبه وقال اعرضوا عن هذا

الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف والقصف وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم فى النيل ويزعمون ان ذلك أمان من المرض ومبرئ للداء (قال المسعودى) وأما المقاييس الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه فانى سمعت جماعة من أهل الخبرة يخبرون ان يوسف النبى صلى الله عليه وسلم حين بنى الاهرام اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه وأن ذلك كان بمنف ولم يكن بين الفسطاط يومئذ وأن دلوكة الملكة العجوز وضعت مقياسا آخر بالصعيد أيضا ببلاد اخميم فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجئ الاسلام ثم ورد الاسلام وافتتحت مصر وكانوا يعرفون زيادة النيل بما ذكرنا ونقصانه بما وصفنا الى أن ولى عبد العزيز بن مروان فاتخذ مقياسا بالجزيرة التى تدعى جزيرة الصناعة وهى الجزيرة التى بين الفسطاط والجيزة والمعبر اليها من الفسطاط على الجسر ثم منها على جسر آخر الى الجيزة وهو بين الجانب الغربى من الفسطاط والجانب الشرقى

فاذامت فتشاور وا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم
ويحضر عبد الله بن عمر مشيرا ولا شئ له من الامر وطلحة شريككم فى الامر فان قدم فى الايام
الثلاثة فاحضروه أمركم وان مضت الايام الثلاثة قبل قدومه فامضوا أمركم ومن لى بطلحة فقال
سعد بن أبى وقاص انا لك به ولا يخالف ان شاء الله تعالى فقال عمر أرجو أن لا يخالف ان شاء الله وما
اظن يلى الا أحد هذين الرجلين على أو عثمان فان ولى عثمان فرجل فيه لين وان ولى على ففيه
دعابة واحرى به ان يحملهم على طريق الحق وان تولوا سعدا فاهله هو والا فليستعن به الوالى فانى لم
اعزله عن ضعف ولا خيانة ونعم ذو الرأى عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا منه وأطيعوا وقال لابى طلحة
الانصارى يا أبا طلحة ان الله طالما أعز بكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الانصار فاستحث
هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال للمقداد بن الاسود اذا وضعتمونى فى حفرتى فاجمع
هؤلاء الرهط فى بيت حتى يختاروا رجلا وقال لصهيب صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل هؤلاء الرهط
بيتا وقم على رؤسهم فان اجتمع خمسة وابى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اتفق أربعة وابى
اثنان فاضرب رؤسهما وان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا
بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع
فيه الناس فخرجوا فقال على لقوم معه من بنى هاشم ان أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا أبدا وتلقاه عمه
العباس فقال عدلت عنا فقال وما علمك قال قرن بى عثمان وقال كونوا مع الاكثر فان رضى
رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن فسعد لا يخالف ابن عمه وعبد
الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيوليها احدهما الآخر فلو كان الآخران معى لم ينفعانى فقال له
العباس لم أرفعك فى شئ الا رجعت الى مستأخرا لما أكره أشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن تسأله فيمن هذا الامر فأبيت فأشرت عليك بعد وفاته ان تعاجل الامر فأبيت
وأشرت عليك حين سماك عمر فى الشورى أن لا تدخل معهم فابيت احفظ عنى واحدة كل
ماعرض عليك القوم فقل لا الا ان يولوك واحذر هؤلاء الرهط فانهم لا يبرحون يدفعونا عن
هذا الامر حتى يقوم به لنا غيرنا وايم الله لا يناله الا بشر لا ينفع معه خير فقال على أما لئن بقى عثمان
لاذكرنه ما أتى ولئن مات ليتداولونها بينهم ولئن فعلوا ليجدنى حيث يكرهون ثم تمثل

حلفت برب الراقصات عشية * غدون خفافا فابتدرن المحصبا
ليحتلبن رهط ابن يعمر فارسا * نجيعا بنو الشداخ وردا مصلبا

والتفت فرأى أبا طلحة فكره مكانه فقال أبو طلحة لن تراع أبا الحسن فلما مات عمر وأخرجت
جنازته صلى عليه صهيب فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى فى بيت المسور بن مخرمة وقيل
فى بيت المال وقيل فى حجرة عائشة باذنها وطلحة غائب وأمروا أبا طلحة ان يحجبهم وجاء عمرو بن
العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما وقال تريدان ان تقولا حضرنا
وكنا فى أهل الشورى فتنافس القوم فى الامر وكثر بينهم الكلام فقال أبو طلحة انا كنت لان
تدفعوها أخوف منى لان تتنافسوها والذى ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الايام الثلاثة التى أمر
ثم أجلس فى بيتى فانظر ما تصنعون فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على ان
يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد فقال فانا أنخلع منها فقال عثمان أنا أول من رضى فقال القوم قد
رضينا وعلى ساكت فقال ما تقول يا أبا الحسن قال أعطنى موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا
تخص ذا رحم ولا تألو الامة نصحا فقال أعطونى مواثيقكم على أن تكونوا معى على من بدل وغير

وان

وهذا المقياس الذى اتخذه
اسامة بن زيد التنوخى هو
أكثرها استعمالا واتخذ
ذلك فى أيام سليمان بن
عبد الملك بن مروان وهو
المقياس الذى يعمل عليه
فى وقتنا هذا وهو سنة
اثنتين وثلاثين وثلثمائة
بالفسطاط وقد كان من
سلف يقيسون بالمقياس
الذى بمنف ثم ترك استعماله
وعمل على مقياس الجزيرة
المعمول فى أيام سليمان بن
عبد الملك وفى هذه الجزيرة
مقياس آخر لاحمد بن
طولون والعمل عليه عند
كثرة الماء وترادف الرياح
واختلاف مهابها وكثرة
الموج وقد كانت أرض مصر
كلها تروى من ست عشرة
ذراعا عامرها وغامرها
لما أحكموا من جسورها
وبناء قناطرها وتنقية
خلجانها وكان بمصر سبع
خلجانات فمنها خليج
الاسكندرية وخليج سخا
وخليج دمياط وخليج منف
وخليج الفيوم وخليج
سردوس وخليج المنهى
وكانت مصر فيما يذكر
أهل الخبرة أكثر
البلاد جنانا وذلك ان
جنانها كانت متصلة بحافتى
النيل من أوله الى آخره
من حد أسوان الى رشيد
وكان الماء اذا بلغ فى زيادته

وأن ترضوا من اخترت لكم وعلى ميثاق الله ان لا أخص ذا رحم لرحمه ولا آلو المسلمين فاخذ منهم
ميثاقا واعطاهم مثله فقال لعلى تقول انى أحق من حضر بهذا الامر لقرابتك وسابقتك وحسن
أثرك فى الدين ولم تبعد فى نفسك ولكن ارأيت لو صرف هذا الامر عنك فلم تحضر من كنت ترى
من هؤلاء الرهط أحق به قال عثمان وخلا بعثمان فقال تقول شيخ من بنى عبد مناف وصهر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ولى سابقة وفضل فاين يصرف هذا الامر عنى ولكن لو لم
تحضر أى هؤلاء الرهط تراه أحق به قال على ولقى على سعدا فقال له اتقوا الله الذى تساءلون به
والارحام اسألك برحم ابنى هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرحم عمى حمزة منك أن تكون
مع عبد الرحمن لعثمان ظهيرا ودار عبد الرحمن لياليه يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن وافى المدينة من امراء الاجناد واشراف الناس يشاورهم حتى اذا كان الليلة التى صبيحتها
تستكمل الاجل أتى منزل المسور بن مخرمة فايقظه وقال له لم أذق فى هذه الليلة كبير غمض
انطلق فادع الزبير وسعدا فدعاهما فبدأ بالزبير فقال له خل بنى عبد مناف وهذا الامر قال نصيبى
لعلى وقال لسعد اجعل نصيبك لى فقال ان اخترت نفسك فنعم وان اخترت عثمان فعلى أحب الى
أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤسنا فقال له قد خلعت نفسى على ان اختار ولو لم أفعل
لم أردها انى رأيت روضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل ما رأيت اكرم منه فمر كأنه سهم
لم يلتفت الى شئ منها حتى قطعها لم يعرج ودخل بعير يتلوه فاتبع أثره حتى خرج منها ثم دخل
فحل عبقرى يجر خطامه ومضى قصد الاولين ثم دخل بعير رابع فوقع فى الروضة ولا والله
لا أكون الرابع ولا يقوم مقام أبى بكر وعمر بعدهما أحد فيرضى الناس عنه قال وارسل المسور
فاستدعى عليا فناجاه طويلا وهو لا يشك انه صاحب الامر ثم نهض ثم ارسل الى عثمان فتناجيا
حتى فرق بينهما الصبح قال عمرو بن ميمون قال لى عبد الله بن عمر من أخبرك انه يعلم ما كلم به
عبد الرحمن بن عوف عليا وعثمان فقد قال بغير علم فوقع قضاء ربك على عثمان فلما صلوا الصبح
جمع الرهط وبعث الى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الانصار والى
امراء الاجناد فاجتمعوا حتى التحم المسجد بأهله فقال أيها الناس ان الناس قد أجمعوا ان
يرجع أهل الامصار الى امصارهم فاشيروا على فقال عمار ان اردت ان لا يختلف المسلمون
فبايع عليا فقال المقداد بن الاسود صدق عمار أن بايعت عليا قلنا سمعنا وأطعنا وقال ابن أبى سرح
ان اردت ان لا تختلف قريش فبايع عثمان فقال عبد الله بن أبى ربيعة صدقت ان بايعت عثمان
قلنا سمعنا وأطعنا فشتم ابن أبى سرح فقال عمار متى كنت تنصح المسلمين فتكلم بنو هاشم
وبنو أمية فقال عمار أيها الناس ان الله أكرمنا بنبيه وأعزنا بدينه فانى تصرفون هذا الامر عن
أهل بيت نبيكم فقال رجل من بنى مخزوم لقد عدوت طورك يا ابن سمية وما أنت وتأمير قريش
لانفسها فقال سعد بن أبى وقاص يا عبد الرحمن افرغ قبل ان يفتتن الناس فقال عبد الرحمن انى قد
نظرت وشاورت فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا ودعا عليا وقال عليك عهد الله وميثاقه
لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده قال أرجو ان أفعل فاعمل بمبلغ علمى
وطاقتى ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلى فقال نعم نعمل فرفع رأسه الى سقف المسجد ويده فى
يد عثمان فقال اللهم اسمع واشهد اللهم انى قد جعلت ما فى رقبتى من ذلك فى رقبة عثمان فبايعه
فقال على ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله
ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم فى شان فقال عبد الرحمن يا على لا تجعل على

تسع أذرع دخل خليج
المنهى وخليج الفيوم وخليج
سردوس وخليج سخا وكان
الذى ولى حفر خليج سردوس
لفرعون عدو الله هامان
فلما ابتدأ فى حفره أتاه
أهل القرى يسألونه أن
يجرى الخليج الى تحت قراهم
ويعطوه على ذلك ما أراد
من المال وكان يعمل ذلك
حتى اجتمعت له أموال
عظيمة فحمل تلك الاموال
الى فرعون فلما وضعها بين
يديه سأله عنها فاخبره بما
فعل فقال انه ينبغى للسيد
ان يعطف على عبيده
ويفيض عليهم معروفه
ولا يرغب فيما فى أيديهم
ونحن أحق من فعل هذا
بعبيده فاردد على أهل
كل قرية ما أخذته منهم
ففعل ذلك هامان ورد على
أهل كل قرية ما أخذ منهم
فليس فى الخلجان التى
بارض مصر أكثر عطوفا
وعراقيل من خليج سردوس
وأما خليج الفيوم وخليج
المنهى فان الذى حفرهما
يوسف بن يعقوب صلى الله
عليهما وسلم وذلك ان
الريان بن الوليد ملك مصر
لما رأى رؤياه فى البقر
والسنابل وعبرها يوسف
عليه السلام استعمله
على ما كان يلى من أرض
مصر وقد أخبر الله بذلك

نفسك حجة وسبيلا تخرج على وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله فقال المقداد يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته وانه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون فقال يا مقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين قال ان كنت اردت الله فاثابك الله ثواب المحسنين فقال المقداد ما رأيت مثل ما أتى الى أهل هذا البيت بعد نبيهم انى لاعجب من قريش انهم تركوا رجلا ما أقول ولا اعلم أن رجلا اقضى بالعدل ولا أعلم منه أما والله لو اجد أعوانا عليه فقال عبد الرحمن يا مقداد اتق الله فانى خائف عليك الفتنة فقال رجل للمقداد رحمك الله من أهل هذا البيت ومن هذا الرجل قال أهل البيت بنو عبد المطلب والرجل على بن أبي طالب فقال على ان الناس ينظرون الى قريش وقريش تنظر بينها وتقول ان ولى عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم ابدا وما كانت فى غيرهم يتداولوها بينكم وقدم طلحة فى اليوم الذى بويع فيه اعثمان فقيل له بايع عثمان فقال كل قريش راض به قالوا نعم فأتى عثمان فقال له عثمان أنت على رأس امرك وان أبيت رددتها قال اتردها قال نعم قال أكل الناس بايعوك قال نعم قال قد رضيت لا أرغب عما اجمعوا عليه وبايعه وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن يا ابا محمد قد أصبت أن بايعت عثمان وقال لعثمان ولو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا فقال عبد الرحمن كذبت يا أعور ولو بايعت غيره لبايعته ولقلت هذه المقالة قال وكان المسور يقول ما رأيت أحدا بذ قوما فيما دخلوا فيه بمثل ما بذهم عبد الرحمن (قلت) قوله ان عبد الرحمن صهر عثمان يعنى ان عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وهى اخت عثمان لامه خلف عليها عقبة بعد عثمان وقد ذكر أبو جعفر رواية أخرى فى الشورى عن المسور بن مخرمة وهى تمام حديث مقتل عمر وقد تقدم والذى ذكره ههنا قريب من الذى تقدم آنفا غير انه قال لما دفن عمر جمعهم عبد الرحمن وخطبهم وأمرهم بالاجتماع وترك التفرق فتكلم عثمان فقال الحمد لله الذى اتخذ محمدا نبيا وبعثه رسولا وصدقه وعده ووهب له نصره على كل من بعد نسبا أو قرب رحما صلى الله عليه جعلنا الله له تابعين وبامره مهتدين فهو لنا نور ونحن بامره نقوم عند تفرق الاهواء ومجادلة الاعداء جعلنا الله بفضله أئمة وبطاعته امراء لا يخرج امرنا منا ولا يدخل علينا غيرنا الا من سفه الحق ونكل عن القصد وأحر بها يا ابن عوف ان تترك (٣) وأجدر بها أن يكون ان خولف أمرك وترك دعاؤك فانا أول مجيب وداع اليك وكفيل بما أقول زعيم واستغفر الله لى ولكم ثم تكلم الزبير بعده فقال اما بعد فان داعى الله لا يجهل ومجيبه لا يخذل عند تفرق الاهواء ولى الاعناق ولن يقصر عما قلت الا غوى ولن يترك ما دعوت اليه الا شقى ولولا حدود الله فرضت وفرائض الله حدت (٣) تراح على الله أهلها ويحيا ولا يموت لكان الموت من الامارة نجاة والفرار من الولاية عصمة ولكن لله علينا اجابة الدعوة واظهار السنة لئلا نموت موتة عمية ولا نعمى عمى الجاهلية فانا مجيبك الى ما دعوت ومعينك على ما أمرت ولا حول ولا قوة الا بالله واستغفر الله لى ولكم ثم تكلم سعد فقال بعد حمد الله وبمحمد صلى الله عليه وسلم انارت الطريق واستقامت السبل وظهر كل حق ومات كل باطل اياكم أيها النفر وقول الزور وأمنية أهل الغرور وقد سلبت الامانى قوما قبلكم ورثوا ما ورثتم ونالوا ما نلتم فاتخذهم الله عدوا ولعنهم لعنا كبيرا قال الله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل الى قوله لبئس ما كانوا يفعلون انى مكنت قربى وأخذت سهمى الفالج وأخذت لطلحة ابن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى فانا به كفيل وبما أعطيت عنه زعيم والامر اليك يا ابن عوف بجهد النفس وقصد النصح وعلى الله قصد السبيل واليه الرجوع واستغفر الله لى ولكم وأعوذ بالله من مخالفتكم ثم تكلم على بن أبي طالب فقال الحمد لله الذى بعث محمدا منا نبيا وبعثه الينا رسولا فنحن

عند اخباره عن نبيه يوسف بقوله اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (قال المسعودى) وقد تنازع أهل الملة فى تصرف المؤمنين مع الفاسقين فنهم من رأى ان الملك كان مؤمنا ولولا ذلك ما وسع يوسف معاونة الكفار والتصرف فى أوامرهم ونواهيهم ومنهم من رأى ان ذلك جائز على ما يوجبه احوال الوقت والاصلح للعمال وقد ذكرنا قول كل فريق من هؤلاء فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وأما أخبار الفيوم من صعيد مصر وخلجانها من المرتفع والمطاطى ومطاطى المطاطى وهذه عبارة أهل مصر يريدون بذلك المنخفض وكيفية فعل يوسف فيها وعمارته ارضها بعد كونها خربة ومصفاة لمياه الصعيد وهى جزيرة قد أحاط الماء حينئذ باكثر اقطارها فقد أتينا على ذلك فى الكتاب الاوسط فاغنى عن اعادته فى هذا الكتاب وكذلك فى تسمية الفيوم فيوما وان ذلك ألف يوم وما كان من خبر يوسف مع الوزراء وحسدهم اياه وقد كانت مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية باخبار شان العالم

بيت النبوة ومعدن الحكمة وأمان أهل الارض ونجاة لمن طلب لنا حق ان نعطه نأخذه وان نمنعه نركب أعجاز الابل ولو طال السرى لو عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا لانفذنا عهده ولو قال لنا قولا لجادلنا عليه حتى نموت لن يسرع أحد قبلى الى دعوة حق وصلة رحم لا حول ولا قوة الا بالله اسمعوا كلامى وعوا منطقى عسى ان تروا هذا الامر بعد هذا الجمع تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى تكونوا جماعة ويكون بعضهم أئمة لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة ثم قال

فان تك جاسم هلكت فانى * بما فعلت بنو عبد بن ضخم
مطيع فى الهواجر كل غى * بصير بالنوى من كل نجم

فقال عبد الرحمن أيكم يطيب نفسا ان يخرج نفسه من هذا الامر وذكر قريبا مما تقدم ثم جلس عثمان فى جانب المسجد بعد بيعته ودعا عبيد الله بن عمر بن الخطاب وكان قتل قاتل أبيه ابا لؤلؤة وقتل جفينة رجلا نصرانيا من أهل الحيرة كان ظهيرا لسعد بن مالك وقتل الهرمزان فلما ضربه بالسيف قال لا اله الا الله فلما قتل هؤلاء اخذه سعد بن أبى وقاص وحبسه فى داره وأخذ سيفه واحضره عند عثمان وكان عبيد الله يقول والله لاقتلن رجالا ممن شرك فى دم أبى يعرض بالمهاجرين والانصار وانما قتل هؤلاء النفر لان عبد الرحمن بن أبى بكر قال غداة قتل عمر رأيت عشية امس الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة وهم يتناجون فلما رأونى ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه وهو الخنجر الذى ضرب به عمر فقتلهم عبيد الله فلما أحضره عثمان قال أشيروا على فى هذا الرجل الذى فتق فى الاسلام ما فتق فقال على أرى أن تقتله فقال بعض المهاجرين قتل عمر امس ويقتل ابنه اليوم فقال عمرو بن العاص ان الله قد أعفاك ان يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان فقال عثمان انا وليه وقد جعلتها دية وأحتملها فى مالى وكان زياد بن لبيد البياضى الانصارى اذا رأى عبيد الله يقول

ألا يا عبيد الله ما لك مهرب * ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر
أصبت دما والله فى غير حله * حراما وقتل الهرمزان له خطر
على غير شئ غير ان قال قائل * اتتهمون الهرمزان على عمر
فقال سفيه والحوادث جمة * نعم أتهمه قد أشار وقد أمر
وكان سلاح العبد فى جوف بيته * يقلبها والامر بالامر يعتبر

فشكا عبيد الله الى عثمان زياد بن لبيد فنهى عثمان زيادا فقال فى عثمان

أبا عمرو عبيد الله رهن * فلا تشكك بقتل الهرمزان
فانك ان عفوت الجرم عنه * وأسباب الخطا فرسا رهان
اتعفو اذ عفوت بغير حق * فما لك بالذى تحكى يدان

فدعا عثمان زيادا فنهاه وشذبه وقيل فى فداء عبيد الله غير ذلك قال القماذبان بن الهرمزان كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها الى بعض فمر فيروز أبو لؤلؤة بالهرمزان ومعه خنجر له رأسان فتناوله منه وقال ما تصنع به قال آنس به فرآه رجل فلما أصيب عمر قال رأيت الهرمزان دفعه الى فيروز فاقبل عبيد الله فقتله فلما ولى عثمان امكننى منه فخرجت به وما فى الارض أحد الا معى الا انهم يطلبون الى فيه فقلت لهم ألى قتله قالوا نعم وسبوا عبيد الله قلت لهم أفلكم منعه قالوا لا وسبوه فتركته لله ولهم فحملونى فوالله ما بلغت المنزل الا على رؤس الناس والاول أصح فى اطلاق

يركب أرضها ماء النيل وينبسط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض وموضع الفسطاط فى وقتنا هذا وقد كان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل من أسوان الحبشة وقد قدمنا ذكر هذا الموضع فيما سلف من هذا الكتاب الى ان عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه وما ينقل من النوبة بتياره من موضع الى موضع فنضب من بعض المواضع من بلاد مصر على حسب ما وصفنا عن صاحب المنطق من عمران الارض وخرابها فيما سلف من هذا الكتاب فسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب عن أرضها قليلا قليلا حتى امتلأت أرض مصر من المدن والعمائر وطرقوا للماء وحفروا له الخلجانات وعقدوا فى وجهه المسناة الا ان ذلك خفى على ساكنها لان طول الزمان اذهب معرفة اول سكناهم كيف كان ذلك ولم نتعرض فى هذا الكتاب لذكر العلة الموجبة لامتناع المطر بمصر ولا لكثير من اخبار الاسكندرية وكيفية بنائها والامم التى تداولتها والملوك التى سكنتها من العرب وغيرها لانا قد أتينا على

عبد الله لان عليا لما ولى الخلافة اراد قتله فهرب منه الى معاوية بالشام ولو كان اطلاقه بامر ولى الدم لم يتعرض له على

﴿ذكر عدة حوادث﴾

كان العمال فيها على مكة نافع بن عبد الحرث الخزاعى وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفى وعلى صنعاء يعلى بن أمية وعلى الجند عبد الله بن أبى ربيعة وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى البصرة أبو موسى الاشعرى وعلى مصر عمرو بن العاص وعلى حمص عمير بن سعد وعلى دمشق معاوية وعلى البحرين وما والاها عثمان بن أبى العاص الثقفى وفيها غزا معاوية الصائفة ومعه عبادة بن الصامت وأبو أيوب الانصارى وأبو ذر وشداد بن أوس وفيها فتح معاوية عسقلان على صلح وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة كعب بن سور وقيل ان أبا بكر وعمر لم يكن لهما قاض وفى هذه السنة توفى قتادة بن النعمان الانصارى وهو الذى رد رسول الله صلى الله عليه وسلم عينه وصلى عليه عمر بن الخطاب وهو بدرى وقيل توفى سنة أربع وعشرين وفى خلافة عمر توفى الحباب ابن المنذر بن الجموح الانصارى وهو بدرى وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وهو أسن من العباس وعمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو وهو بدرى وعمير بن وهب بن خلف الجمحى شهد أحدا وعتبة ابن مسعود أخو عبد الله بن مسعود وهو من مهاجرة الحبشة شهد أحدا وعدى بن أبى الزغباء الجهنى وهو عين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وشهد غيرها ايضا وفيها مات عويم بن ساعدة الانصارى وهو عقبى بدرى وقيل انه من بلى وله حلف فى الانصار وفيها مات سهيل بن رافع الانصارى شهد بدرا ومسعود بن أوس بن زيد الانصارى وقيل بل عاش بعد ذلك وشهد صفين مع على وفيها توفى واقد بن عبد الله التميمى حليف الخطاب وهو أول من قاتل فى سبيل الله فى الاسلام وقتل عمرو بن الحضرمى وكان اسلامه قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وفيها مات ابو جندل بن سهيل بن عمرو واخوه عبد الله وكان عبد الله بدريا ولم يشهدها ابو جندل لان اباه حبسه بمكة ومنعه من الهجرة الى يوم الحديبية وقد تقدم كيف خلص وفيها مات ابو خالد الحرث بن قيس بن خالد وكان اصابه جرح باليمامة فاندمل ثم انتقض عليه فمات منه وهو عقبى بدرى وفيها مات ابو خراش الهذلى الشاعر وخبر موته مشهور وفيها توفى غيلان بن سلمة الثقفى وهو الذى أسلم وتحته عشر نسوة وفيها فى آخرها مات الصعب بن جثامة بن قيس الليثى

﴿ثم دخلت سنة أربع وعشرين﴾

﴿ذكر بيعة عثمان بن عفان بالخلافة﴾

فى المحرم منها لثلاث مضين منه بويع عثمان بن عفان وقيل غير ذلك على ما تقدم وكان هذا العام يسمى عام الرعاف لكثرته فيه بالناس واجتمع أهل الشورى عليه وقد دخل وقت العصر فاذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الاذان والاقامة فخرج فصلى بالناس وزادهم مائة مائة ووفد أهل الامصار وهو أول من صنع ذلك وقصد المنبر وهو أشدهم كآبة فخطب الناس ووعظهم واقبلوا يبايعونه

﴿ذكر عزل المغيرة عن الكوفة وولاية سعد بن أبى وقاص﴾

وفيها عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة واستعمل سعد بن أبى وقاص عليها بوصية عمر فانه قال أوصى الخليفة بعدى ان يستعمل سعدا فانى لم أعزله عن سوء ولا خيانة فكان أول عامل بعثه عثمان فعمل عليها سعد سنة وبعض اخرى وقيل بل اقر عثمان عمال عمر جميعهم سنة لان عمر

ذلك فى الكتاب الاوسط وسنذكر بعد هذا الموضع جملا من اخبارها وجوامع من كيفية بنائها وما كان من أمر الاسكندر فيها (قال المسعودى) وقد كان أحمد بن طولون بمصر بلغه فى سنة نيف وستين ومائتين ان رجلا بأعلى بلاد مصر من أرض الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الانباط ممن يشار اليه بالعلم من لدن حداثته والنظر والاشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من أهل الملل وانه علامة بمصر وأرضها على برها وبحرها واخبارها واخبار ملوكها وانه ممن سافر فى الارض وتوسط الممالك وشاهد الامم من أنواع البيضان والسودان وانه ذو معرفة بهيئات الافلاك والنجوم وأحكامها فبعث أحمد بن طولون برجل من قواده فى أصحابه فحمله فى النيل اليه مكرما وكان قد انفرد عن الناس فى بنيان اتخذه وسكن فى اعلاه وقد رأى الرابع عشر من ولد ولده فلما مثل بحضرة أحمد بن طولون نظر الى رجل دلائل الهرم فيه بينة وشواهد ما أتى عليه من الدهر ظاهرة والحواس سليمة والقضية

أوصى بذلك ثم عزل المغيرة بعد سنة واستعمل سعدا فعلى هذا القول تكون امارة سعد سنة خمس وعشرين وحج بالناس فى هذه السنة عثمان وقيل عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان وقد تقدم ذكر الفتوح التى ذكر بعض العلماء انها كانت زمن عثمان وذكرت الخلاف هنالك ✻ وفى هذه السنة مات عبد الرحمن بن كعب الانصارى وهو بدرى وهو احد البكائين فى غزوة تبوك وسراقة ابن مالك بن جعشم المدلجى وقيل مات بعد ذلك وهو الذى أدرك النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته

﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين﴾

﴿ذكر خلاف اهل الاسكندرية﴾

فى هذه السنة خالف اهل الاسكندرية ونقضوا صلحهم وكان سبب ذلك ان الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية وظنوا أنهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم الى نقض الصلح فأجابوهم الى ذلك فسار اليهم من القسطنطينية جيش كثير وعليهم منويل الخصى فارسوا بها واتفق معهم من بها من الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صلحه فلما بلغ الخبر الى عمرو بن العاص سار اليهم وسار الروم اليه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الروم وتبعهم المسلمون الى ان ادخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم فى البلد مقتلة عظيمة منهم منويل الخصى وكان الروم لما خرجوا من الاسكندرية قد أخذوا أموال أهل تلك القرى من وافقهم ومن خالفهم فلما ظفر بهم المسلمون جاء اهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص ان الروم اخذوا دوابنا وأموالنا ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة فرد عليهم ما عرفوا من أموالهم بعد اقامة البينة وهدم عمرو سور الاسكندرية وتركها بغير سور ✻ وفيها بلغ سعد بن أبى وقاص عن اهل الرى عزم على نقض الهدنة والغدر فارسل اليهم واصلحهم وغزا الديلم ثم انصرف

﴿ذكر عزل سعد عن الكوفة وولاية الوليد بن عقبة﴾

فى هذه السنة عزل عثمان بن عفان سعد بن أبى وقاص عن الكوفة فى قول بعضهم واستعمل الوليد ابن عقبة بن أبى معيط واسم أبى معيط أبان بن أبى عمرو واسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس وهو اخو عثمان لامه أمهما أروى بنت كريز وامها البيضاء بنت عبد المطلب وسبب ذلك ان سعدا اقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضا فلما تقاضاه ابن مسعود لم يتيسر له قضاؤه فارتفع بينهما الكلام فقال له سعد ما أراك الا ستلقى شرا هل أنت الا ابن مسعود عبد من هذيل فقال اجل والله انى لابن مسعود وانك لابن حمينة وكان هاشم بن عتبة بن أبى وقاص حاضرا فقال انكما لصاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليكما فرفع سعد يده ليدعو على ابن مسعود وكان فيه حدة فقال اللهم رب السموات والارض فقال ابن مسعود ويلك قل خيرا ولا تلعن فقال سعد عند ذلك أما والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك فولى عبد الله سريعا حتى خرج ثم استعان عبد الله بأناس على استخراج المال واستعان سعد بأناس على انظاره فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا يلوم هؤلاء سعدا وهؤلاء عبد الله فكان ذلك أول ما نزغ به بين اهل الكوفة واول مصر نزغ الشيطان بين أهله الكوفة وبلغ الخبر عثمان فغضب عليهما فعزل سعدا واقر عبد الله واستعمل الوليد بن عقبة بن ابى معيط مكان سعد وكان على عرب الجزيرة عاملا لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان بعده فقدم الكوفة واليا عليها واقام عليها خمس سنين وهو من أحب الناس الى اهلها فلما قدم قال له سعد أكست بعدنا ام حمقنا بعدك فقال لا تجزعن يا أبا اسحق كل ذلك لم يكن وانما هو

فائقة والعقل صحيح يفهم عن مخاطبه ويحسن البيان والجواب عن نفسه فاسكنه بعض مقاصيره ومهد له وحمل اليه لذيذ المآكل والمشارب فابى ان لا يتواطأ على شئ وان لا يتغذى الا بغذاء كان حمله معه من كعك وغيره وقال هذه بنية قوامها بما ترون من هذا الغذاء وهذا الملبس فان أنتم حملتموها النقلة عن هذه العادة وتناول ما أوردتموه عليها من المآكل والمشارب والملابس كان ذلك سبب انحلال هذه البنية وتفريق هذه الصورة فترك على ما كان عليه وما جرت به عادته وأحضر له أحمد بن طولون من حضره من أهل الديار وصرف همته اليه واخلى نفسه له فى ليال وأيام كثيرة يسمع كلامه وايراداته وجواباته فيما يسئل عنه فكان مما سئل عنه الخبر عن بحيرة تنيس ودمياط فقال كانت ارضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة وثراءة وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع وكانت فيها مجار على ارتفاع من الارض وقرى على قرارها ولم ير الناس بلدا أحسن من هذه الارض ولا احسن

الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد أراكم جعلتموها ملكا وقال له ابن مسعود ما ادرى اصلحت بعدنا ام فسد الناس

﴿ ذكر صلح اهل ارمينية واذربيجان ﴾

لما استعمل عثمان الوليد على الكوفة عزل عتبة بن فرقد عن اذربيجان فنقضوا فغزاهم الوليد سنة خمس وعشرين وعلى مقدمته عبد الله بن شبيل الاحمسى فاغار على اهل موقان والبير والطيلسان ففتح وغنم وسبى فطلب اهل كور اذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة وهو ثمانمائة الف درهم وقبض المال ثم بث سراياه وبعث سلمان بن ربيعة الباهلى الى اهل ارمينية فى اثنى عشر الفا فسار فى ارمينية يقتل ويسبى ويغنم ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى اتى الوليد فعاد الوليد وقد ظفر وغنم وجعل طريقه على الموصل ثم اتى الحديثة فنزلها فأتاه بها كتاب عثمان فيه ان معاوية بن ابى سفيان كتب الى يخبرنى أن الروم قد اجلبت على المسلمين فى جموع كثيرة وقد رأيت ان يمدهم اخوانهم من اهل الكوفة فابعث اليهم رجلا له نجدة وبأس فى ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذى يأتيك كتابى فيه والسلام فقام الوليد فى الناس وأعلمهم الحال وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلى فانتدب معه ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع اهل الشام الى ارض الروم فشنوا الغارات على ارض الروم فاصاب الناس ما شاؤا وافتتحوا حصونا كثيرة وقيل ان الذى امد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص وكان سبب ذلك ان عثمان كتب الى معاوية يأمره ان يغزى حبيب بن مسلمة فى أهل الشام ارمينية فوجهه اليها فاتى قاليقلا فحصرها وضيق على من بها فطلبوا الامان على الجلاء أو الجزية فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم وأقام حبيب بها فيمن معه أشهرا وانما سميت قاليقلا لان امرأة بطريق ارميناقس كان اسمها قالى بنت هذه المدينة فسمتها قالى قله تعنى احسان قالى فعربتها العرب فقالت قاليقلا ثم بلغه ان بطريق ارميناقس وهى البلاد التى هى الآن بيد أولاد السلطان قلج ارسلان وهى ملطية وسيواس واقصرا وقونية وما والاها من البلاد الى خليج القسطنطينية واسمه الموريان قد توجه نحوه فى ثمانين الفا من الروم فكتب حبيب الى معاوية يخبره فكتب معاوية الى عثمان فارسل عثمان الى سعيد بن العاص يامره بامداد حبيب فأمده بسلمان فى ستة آلاف واجمع حبيب على تبييت الروم فسمعته امرأته ام عبد الله بنت يزيد الكلبية فقالت اين موعدك فقال سرادق الموريان ثم بيتهم فقتل من وقف له ثم اتى السرادق فوجد امرأته قد سبقته اليه فكانت اول امرأة من العرب ضرب عليها حجاب سرادق ومات عنها حبيب فخلفه عليها الضحاك بن قيس فهى ام ولده ولما انهزمت الروم عاد حبيب الى قاليقلا ثم سار منها فنزل مربالا فأتاه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم بامانه فاجراه عليه وحمل اليه البطريق ما عليه من المال ونزل حبيب خلاط ثم سار منها فلقيه صاحب مكس وهى من البسفرجان فقاطعه على بلاده ثم سار منها الى أزدشاط وهى القرية التى يكون بها القرمز الذى يصبغ به فنزل على نهر دبيل وسرح الخيول اليها فحصرها فتحصن اهلها فنصب عليهم منجنيقا فطلبوا الامان فاجابهم اليه وبث السرايا فبلغت خيله ذات اللجم وانما سميت ذات اللجم لان المسلمين أخذوا لجم خيولهم فكبسهم الروم قبل أن يلجموها ثم الجموها وقاتلوهم فظفروا بهم ووجه سرية الى سراج طير وبغروند فصالحه بطريقها على اتاوة وقدم عليه بطريق البسفرجان فصالحه على جميع بلاده وأتى السيسجان فحاربه اهلها فهزمهم وغلب على حصونهم وسار الى جرزان فأتاه رسول بطريقها يطلب الصلح فصالحه وسار الى تفليس

اتصالا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا الفيوم وأخصب وأكثر فاكهة ورياحين من الاصناف الغريبة وكان الماء منحدرا اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون منه جنانهم اذا شاؤا وكذلك زروعهم وسائره يصب الى البحر من سائر خلجانه ومن الموضع المعروف بالاشنوم وقد كان بين البحر وبين هذه الارض نحو مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوكة الى قبرس تسلكه الدواب يبسا ولم يكن فيما بين العريش وجزيرة قبرس الا مخاضة وجزيرة قبرس اليوم بينها وبين العريش فى البحر سير طويل وكذلك فيما بينها وبين أرض الروم وقد كان بين الاندلس فى الموضع الذى يسمى الخضراء وهو قريب من فاس المغرب وطنجة قنطرة مبنية بالحجارة والطوب تمر عليها الابل والدواب من ساحل المغرب من بلاد الاندلس الى المغرب وماء البحر تحت تلك القنطرة متقطع خلجانات صغارا تجرى تحت قناطرها وما عقد من الطاقات تحتها على صخور صم وقد عقد من كل

فصالحه اهلها وهى من جرزان وفتح عدة حصون ومدن تجاورها صلحا وسار سلمان بن ربيعة الباهلى الى اران ففتح البيلقان صلحا على ان آمنهم على دمائهم واموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية والخراج ثم اتى سلمان مدينة برذعة فعسكر على الثرثور نهر بينه وبينها نحو فرسخ فقاتله اهلها اياما وشن الغارات فى قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان ودخلها ووجه خيله ففتحت رساتيق الولاية ودعا اكراد البلاشجان الى الاسلام فقاتلوه فظفر بهم فاقر بعضهم على الجزية وادى بعضهم الصدقة وهم قليل ووجه سرية الى شمكور ففتحوها وهى مدينة قديمة ولم تزل معمورة حتى اخربها السناوردية وهم قوم تجمعوا لما انصرف يزيد بن اسيد عن ارمينية فعظم امرهم فعمرها بغا سنة اربعين ومائتين وسماها المتوكلية نسبة الى المتوكل وسار سلمان الى مجمع ارس والكر ففتح قبلة وصالحه صاحب سكر وغيرها على الاتاوة وصالحه ملك شروان وسائر ملوك الجبال وأهل مسقط والشابران ومدينة الباب ثم امتنعت بعده

﴿ ذكر غزوة معاوية الروم ﴾

وفيها غزا معاوية الروم فبلغ عمورية فوجد الحصون التى بين انطاكية وطرسوس خالية فجعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته ثم اغزى بعد ذلك يزيد بن الحر العبسى الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك ولما خرج هدم الحصون الى انطاكية

﴿ ذكر غزوة افريقية ﴾

فى هذه السنة سير عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبى سرح الى اطراف افريقية غازيا بامر عثمان وكان عبد الله من جند مصر فلما صار اليها امده عمرو بالجنود فغنم هو وجنده فلما عاد عبد الله كتب الى عثمان يستأذنه فى غزو افريقية فأذن له فى ذلك

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها أرسل عثمان عبد الله بن عامر الى كابل وهى عمالة سجستان فبلغها فى قول فكانت أعظم من خراسان حتى مات معاوية وامتنع أهلها وفيها ولد يزيد بن معاوية وفيها كانت غزوة سابور الاولة وقيل سنة ست وعشرين وقد تقدم ذلك وحج بالناس عثمان

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين ﴾

﴿ ذكر الزيادة فى الحرم ﴾

فى هذه السنة أمر عثمان بتجديد انصاب الحرم وفيها زاد عثمان فى المسجد الحرام ووسعه وابتاع من قوم فأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الاثمان فى بيت المال فصاحوا بعثمان فأمر بهم فحبسوا وقال لهم قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به فكلمه فيهم عبد الله بن خالد بن آسيد فاطلقهم (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين)

﴿ ذكر ولاية عبد الله بن سعد بن أبى سرح مصر وفتح افريقية ﴾

فى هذه السنة عزل عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل عليه عبد الله بن سعد بن أبى سرح وكان أخا عثمان من الرضاعة فتباغيا فكتب عبد الله الى عثمان يقول ان عمرا كسر على الخراج وكتب عمرو يقول ان عبد الله قد كسر على مكيدة الحرب فعزل عثمان عمرا واستقدمه واستعمل بدله عبد الله على حرب مصر وخراجها فقدم عمرو مغضبا فدخل على عثمان وعليه جبة محشوة فقال له ما حشو جبتك قال عمرو قال قد علمت ولم أرد هذا وكان عبد الله من جند مصر وكان قد أمره عثمان بغزو افريقية سنة خمس وعشرين وقال له عثمان ان فتح الله عليك فلك من الفىء

جانب بحر الى بحر طاق وهو مبدأ بحر الروم الآخذ من أوقيانوس وهو البحر المحيط الاكبر فلم يزل البحر يزيد ماؤه ويعلو أرضا فارضا فى طول على عمر السنين يرى زيادته أهل كل زمان ويتبينه أهل كل عصر ويقفون عليه حتى علا الماء الطريق الذى كان بين العريش وبين قبرس وعلا القنطرة التى كانت بين الاندلس وبر طنجه وما وصفت فبين ظاهر عند أهل الاندلس وأهل فاس من بلاد المغرب من خبر هذه القنطرة وربما بدا الموضع لاهل المراكب تحت الماء فيقولون هذه القنطرة وكان طولها نحو اثنى عشر ميلا وعرض واسع وسمو بين فلما مضت لديقلطيانوس من ملكه مائتان واحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التى تسمى اليوم بحيرة تنيس فاغرقه وصار يزيد فى كل عام حتى أغرقها باجمعها فما كان من القرى التى فى قرارها غرق وأما التى كانت على ارتفاع من الارض فبقيت منها تونه وسبور وغير ذلك مما هى باقية الى

خمس الخمس نفلا وأمر عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحرث على جند وسرحهما وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب افريقية ثم يقيم عبد الله في عمله فخرجوا حتى قطعوا أرض مصر ووطئوا أرض افريقية وكانوا في جيش كثير عدتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين فصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدموا على دخول افريقية والتوغل فيها لكثرة أهلها ثم ان عبد الله بن سعد لما ولى ارسل الى عثمان في غزو افريقية والاستكثار من الجموع عليها وفتحها فاستشار عثمان من عنده من الصحابة فاشار أكثرهم بذلك فجهز اليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من اعيان الصحابة منهم عبد الله بن عباس وغيره فسار بهم عبد الله بن سعد الى افريقية فلما وصلوا الى برقة لقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين وكانوا بها وساروا الى طرابلس الغرب فنهبوا من عندها من الروم وسار نحو افريقية وبث السرايا في كل ناحية وكان ملكهم اسمه جرجير وملكه من طرابلس الى طنجة وكان هرقل ملك الروم قد ولاه افريقية فهو يحمل اليه الخراج كل سنة فلما بلغه خبر المسلمين تجهز وجمع العساكر وأهل البلاد فبلغ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس والتقى هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة سبيطلة يوم وليلة وهذه المدينة كانت ذلك الوقت دار الملك فأقاموا هناك يقتتلون كل يوم وراسله عبد الله ابن سعد يدعوه الى الاسلام أو الجزية فامتنع منهما وتكبر عن قبول أحدهما وانقطع خبر المسلمين عن عثمان فسير عبد الله بن الزبير في جماعة اليهم ليأتيه باخبارهم فسار مجدا ووصل اليهم وأقام معهم ولما وصل كثر الصياح والتكبير في المسلمين فسأل جرجير عن الخبر فقيل قد أتاهم عسكر ففت ذلك في عضده ورأى عبد الله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة الى الظهر فاذا أذن بالظهر عاد كل فريق الى خيامه وشهد القتال من الغد فلم ير ابن أبي سرح معهم فسأل عنه فقيل انه سمع منادي جرجير يقول من قتل عبد الله بن سعد فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي وهو يخاف فحضر عنده وقال له تأمر منادياً ينادي من أتاني برأس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعمله على بلاده ففعل ذلك فصار جرجير يخاف أشد من عبد الله ثم ان عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن سعد ان أمرنا يطول مع هؤلاء وهم في امداد متصلة وبلاد هي لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم وقد رأيت ان نترك غداً جماعة صالحة من ابطال المسلمين في خيامهم متأهبين ونقاتل نحن الروم في العسكر الى ان يضجروا ويملوا فاذا رجعوا الى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم فاحضر جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك فلما كان الغد فعل عبد الله ما اتفقوا عليه واقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم وخيولهم عندهم مسرجة ومضى الباقون فقاتلوا الروم الى الظهر قتالاً شديداً فلما أذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة فلم يمكنهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم ثم عاد عنهم هو والمسلمون فكل من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعباً فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون وقتل جرجير قتله ابن الزبير وانهزم الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذت ابنة الملك جرجير سبية ونازل عبد الله بن سعد المدينة فحصرها حتى فتحها ورأى فيها من الاموال ما لم يكن في غيرها فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألف دينار ولما فتح عبد الله مدينة سبيطلة بث جيوشه في البلاد فبلغت

قفصة

هذا الوقت والماء محيط بها وكان أهل القرى التي في هذه البحيرة ينقلون موتاهم الى تنيس فيعبونهم واحدا فوق واحد وهي الأكوام الثلاثة التي تسمى أبو الكوم وكان استحكام غرق هذه الارض باجمعها وقد مضى لديقلطيانوس الملك مائتان واحدى وخمسون سنة وذلك قبل ان تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان الملك من ملوك الامم كانت داره اليوم مع اركون من اركان البلينا وما اتصل بها من الارض خروق وخنادق وخلجانات فتحت من النيل الى البحر تمنع كل واحد من الآخر وكان ذلك داعيا لتشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الارض وسئل عن ملوك الاحابش على النيل وممالكهم فقال لقيت من ملوكهم ستين ملكا في ممالك مختلفة كل ملك منهم ينازع من يليه من الملوك وبلادهم حارة يابسة مسودة ويبسها لحرارتها ولاستحكام النارية فيها تغيرت الفضة ذهبا لطبخ الشمس اياها لحرارتها ويبسها ونار يتها فتحولت ذهبا وقد يطبخ الذهب الذي يؤتى به من المعدن خالصا

قفصة فسبوا وغنموا وسير عسكرا الى حصن الاجم وقد احتمى به أهل تلك البلاد فحصره وفتحه بالامان فصالحه أهل افريقية على ألفي ألف وخمسمائة ألف دينار ونفل عبد الله بن الزبير ابنة الملك وارسله الى عثمان بالبشارة بفتح افريقية وقيل ان ابنة الملك وقعت لرجل من الانصار فاركبها بعيرا وارتجز بها يقول

يا ابنة جرجير تمشي عقبتك * ان عليك بالحجاز ربتك * لتحملن من قباء قربتك

ثم ان عبد الله بن سعد عاد من افريقية الى مصر وكان مقامه بافريقية سنة وثلاثة أشهر ولم يفقد من المسلمين الا ثلاثة نفر قتل منهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر فدفن هناك وحمل خمس افريقية الى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان وكان هذا مما أخذ عليه وهذا أحسن ما قيل في خمس افريقية فان بعض الناس يقول اعطى عثمان خمس افريقية عبد الله بن سعد وبعضهم يقول اعطاه مروان بن الحكم وظهر بهذا أنه اعطى عبد الله خمس الغزوة الاولى وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع افريقية والله أعلم

﴿ذكر انتقاض افريقية وفتحها ثانية﴾

كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدي اليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج من مصر وافريقية والاندلس وغير ذلك فلما صالح اهل افريقية عبد الله بن سعد ارسل هرقل الى اهلها بطريقا له وامره ان يأخذ منهم مثل ما أخذ المسلمون فنزل البطريق في قرطاجنة وجمع اهل افريقية واخبرهم بما أمره الملك فأبوا عليه وقالوا نحن نؤدي ما كان يؤخذ منا وقد كان ينبغي له ان يسامحنا لما ناله المسلمون منا وكان قد قام بأمر افريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم فطرده البطريق بعد فتن كثيرة فسار الى الشام وبه معاوية وقد استقر له الامر بعد قتل علي فوصف له افريقية وطلب أن يرسل معه جيشا فسير معه معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج السكوني فلما وصلوا الى الاسكندرية هلك الرومي ومضى ابن حديج فوصل الى افريقية وهي نار تضطرم وكان معه عسكر عظيم فنزل عند قونية وارسل البطريق اليه ثلاثين ألف مقاتل فلما سمع بهم معاوية سير اليهم جيشا من المسلمين فقاتلوهم فانهزمت الروم وحصر حصن جلولاء فلم يقدر عليه فانهدم سور الحصن فملكه المسلمون وغنموا ما فيه وبث السرايا فسكن الناس واطاعوا وعاد الى مصر (حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم) ثم لم يزل أهل افريقية من أطوع أهل البلدان واسمعهم الى زمان هشام بن عبد الملك حتى دب اليهم اهل العراق فاستثاروهم وشقوا العصا وفرقوا بينهم الى اليوم وكانوا يقولون لا نخالف الائمة بما تجني العمال فقالوا لهم انما يعمل هؤلاء بأمر أولئك فقالوا حتى نخبرهم فخرج ميسرة في بضعة وعشرين رجلا فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم فدخلوا على الابرش فقالوا أبلغ امير المؤمنين ان أميرنا يغزو بنا وبجنده فاذا غنم نفلهم ويقول هذا أخلص لجهادكم واذا حاصرنا مدينة قدمنا واخرهم ويقول هذا ازدياد في الاجر ومثلنا كفى اخوانه ثم انهم عمدوا الى ماشيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها يطلبون الفراء البيض لامير المؤمنين فيقتلون الف شاة في جلد فاحتملنا ذلك ثم انهم ساموناان يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون فاحببنا ان نعلم أعن رأى أمير المؤمنين هذا ام لا فطال عليهم المقام ونفدت نفقاتهم فكتبوا أسماءهم ودفعوها الى وزرائه وقالوا ان سأل عنا امير المؤمنين فاخبروه ثم رجعوا الى افريقية فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على افريقية وبلغ الخبر هشاما فسأل عن النفر فعرف أسماءهم فاذا هم الذين صنعوا ذلك

صفائح بالملح والزجاج والطوب فيخرج منه فضة خالصة بيضاء وليس يدفع هذا الامر الا من لا معرفة له بما وصفنا ولا قارب شيأ مما ذكرنا قيل له فما منتهى النيل في أعاليه قال البحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها وهي نحو الارض التي الليل والنهار فيها متساويان طول الدهر وهي تحت الموضع الذي تسميه المنجمون الفلك المستقيم وما ذكرت فمعروف غير منكر وسئل عن بناء الاهرام فقال انها قبور الملوك كان الملك منهم اذا مات وضع في حوض حجارة ويسمى بمصر والشام الجرن واطبق عليه ثم يبني من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم ثم يقنطر عليه البنيان والاقباء ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذي ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق في الارض بعقد أزج فيكون طول الازج تحت الارض مائة ذراع وأكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب يدخل منه على ما وصفت فقيل له فكيف بنيت هذه الاهرام الملسة وعلى أي شئ كانوا يصعدون ويبنون وعلى أي شئ كانوا يحملون

﴿ ذكر غزوة الاندلس ﴾

لما افتتحت افريقية امر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس ان يسيرا الى الاندلس فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان الى من انتدب معهما أما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس فخرجوا ومعهم البربر ففتح الله على المسلمين وزاد فى سلطان المسلمين مثل افريقية ولما عزل عثمان عبد الله بن سعد عن افريقية ترك فى عمله عبد الله ابن نافع بن عبد القيس فكان عليها ورجع عبد الله الى مصر وبعث عبد الله الى عثمان مالا قد حشد فيه فدخل عمرو على عثمان فقال له يا عمرو هل تعلم ان تلك اللقاح درت بعدك قال عمرو ان فصالها قد هلكت

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

حج بالناس هذه السنة عثمان وفيها كان فتح اصطخر الثانى على يد عثمان بن ابى العاص وفيها غزا معاوية بن ابى سفيان قنسرين وفيها مات ابو ذؤيب الهذلى الشاعر بمصر منصرفا من افريقية وقيل بل مات بطريق مكة فى البادية وقيل مات ببلاد الروم وكلهم قالوا مات فى خلافة عثمان وفيها مات ابو زمعة البلوى بافريقية له صحبة وفيها ماتت حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ماتت سنة احدى واربعين وقيل سنة خمس واربعين

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ﴾

﴿ ذكر فتح قبرس ﴾

قيل فى سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية وقيل سنة تسع وعشرين وقيل سنة ثلاث وثلاثين وقيل انما غزيت سنة ثلاث وثلاثين لان أهلها غدروا على ما نذكره فغزاها المسلمون ولما غزاها معاوية هذه السنة غزا معه جماعة من الصحابة فيهم أبوذر وعبادة بن الصامت ومعه زوجته ام حرام وأبو الدرداء وشداد بن أوس وكان معاوية قد لج على عمر فى غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال ان قرية من قرى حمص ليسمع اهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم فكتب عمر الى عمرو بن العاص صف لى البحر وراكبه فكتب اليه عمرو بن العاص انى رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركد خرق القلوب وان تحرك ازاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود ان مال غرق وان نجا برق فلما قرأه كتب الى معاوية والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لا أحمل فيه مسلما ابدا وقد بلغنى ان بحر الشام يشرف على أطول شئ من الارض فيستأذن الله فى كل يوم وليلة فى ان يغرق الارض فكيف احمل الجنود على هذا الكافر وبالله لمسلم أحب الى مما حوت الروم واياك أن تعرض الى فقد علمت ما لقى العلاء منى قال وترك ملك الروم الغزو وكاتب عمر وقاربه وبعثت ام كلثوم بنت على بن أبى طالب زوج عمر بن الخطاب الى امرأة ملك الروم بطيب وشئ يصلح للنساء مع البريد فابلغه اليها فاهدت امرأة الملك اليها هدية منها عقد فاخر فلما رجع البريد أخذ عمر ما معه ونادى الصلاة جامعة فاجتمعوا واعلمهم الخبر فقال القائلون هو لها بالذى كان لها وليست امرأة الملك بذمة فتصانعك وقال آخرون قد كنا نهدى لنستثيب فقال عمر لكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها فى صدرها فامر بردها الى بيت المال وأعطاها بقدر نفقتها فلما كان زمن عثمان كتب اليه معاوية يستأذنه فى غزو البحر مرارا فاجابه عثمان بآخرة الى ذلك وقال له لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله

هذه الحجارة العظيمة التى لا يقدر أهل زماننا هذا على ان يحركوا الحجر الواحد الا بجهد ان قدروا فقال كان القوم يبنون الهرم مدرجا ذا مراق كالدرج فاذا فرغوا منه نحتوه من فوق الى أسفل فهذه كانت حيلتهم وكانوا مع هذا لهم صبر وقوة وطاعة لملوكهم ديانة فقيل له ما بال هذه الكتابة التى على الاهرام والبرابى لا تقرأ فقال دثر الحكماء وأهل العصر الذين كان هذا قلمهم وتداول أرض مصر الامم فغلب على أهلها القلم الرومى كأشكال أحرف القبط والروم باحرفها على حسب ماولده من الكتابة بين الرومى والقبطى الاول فذهب عنهم كتابة آبائهم فقيل له فمن أول من سكن مصر قال أول من نزل هذه الارض مصر بن بيصر ابن حام بن نوح وصرفى أنساب ولد نوح الثلاثة وأولادهم وتفرقهم فى الارض فقيل له أتعرف بمصر مقاطع رخام قال نعم فى الجبل الشرقى من الصعيد جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمد وغيرها وكانوا يحلون ماعملوا بالرمل بعد النقر

واعنه ففعل واستعمل عبد الله بن قيس الجاسى حليف بنى فزارة وسار المسلمون من الشام الى قبرس وسار اليها عبد الله بن سعد من مصر فاجتمعوا عليها فصالحهم أهلها على جزية سبعة آلاف دينار كل سنة يؤدون الى الروم مثلها لا يمنعهم المسلمون عن ذلك وليس على المسلمين منعهم ممن ارادهم ممن وراءهم وعليهم ان يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم اليهم ويكون طريق المسلمين الى العدو عليهم قال جبير بن نفير ولما فتحت قبرس ونهب منها السبى نظرت الى أبى الدرداء يبكى فقلت ما يبكيك فى يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله قال فضرب منكبى بيده وقال ما أهون الخلق على الله اذا تركوا أمره بينما هى أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك اذ تركوا امر الله فصاروا الى ما ترى فسلط عليهم السباء واذا سلط السباء على قوم فليس له فيهم حاجة * وفى هذه الغزاة ماتت ام حرام بنت ملحان الانصارية ألقتها بغلتها بجزيرة قبرس فاندقت عنقها فماتت تصديقا للنبى صلى الله عليه وسلم حيث أخبرها انها فى أول من يغزو فى البحر وبقى عبد الله بن قيس الجاسى على البحر فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة فى البر والبحر لم يغرق أحد ولم ينكب فكان يدعو الله ان يعافيه فى جنده فأجابه فلما أراد الله ان يصيبه فى جسده خرج فى قارب طليعة فانتهى الى المرفا من أرض الروم وعليه مساكين يسألون فتصدق عليهم فرجعت امرأة منهم الى قريتها فقالت للرجال هذا عبد الله بن قيس فى المرفا فثاروا اليه فهجموا عليه فقتلوه بعد ان قاتلهم فأصيب وحده ونجا الملاح حتى أتى أصحابه فاعلمهم فجاؤا حتى ارسوا بالمرفا والخليفة عليهم سفيان بن عوف الازدى فخرج اليهم فقاتلهم فضجر فجعل يشتم أصحابه فقالت جارية عبد الله ما هذا كان يقول حين يقاتل فقال سفيان فكيف كان يقول قالت الغمرات ثم ينجلين فلزمها يقولها وأصيب فى المسلمين يومئذ وقيل لتلك المرأة بعد باى شئ عرفتيه قالت كان كالتاجر فلما سألته اعطانى كالملك فعرفته بهذا وفى هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم وفيها تزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة وكانت نصرانية فاسلمت قبل ان يدخل بها وفيها بنى عثمان الزوراء وحج بالناس عثمان هذه السنة (حرام بالحاء المهملة والراء والجاسى بالجيم والسين المهملة والفرافصة بفتح الفاء الا الفرافصة بن الاحوص الكلبى الذى من ولده نائلة زوج عثمان)

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين ﴾

﴿ ذكر عزل أبى موسى عن البصرة واستعمال ابن عامر عليها ﴾

قيل فى هذه السنة عزل عثمان أبا موسى الاشعرى عن البصرة واستعمل عبد الله بن عامر بن كريز ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان وقيل كان ذلك لثلاث سنين مضت من خلافة عثمان وكان سبب عزله ان أهل ايذج والاكراد كفروا فى السنة الثالثة من خلافة عثمان فنادى أبو موسى فى الناس وحضهم على الجهاد وذكر من فضل الجهاد ماشيا فحمل نفر على دوابهم وأجمعوا على ان يخرجوا رجالة وقال آخرون لا نعجل بشئ حتى ننظر ما يصنع فان أشبه قوله فعله فعلنا كما يفعله فلما خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلا فتعلقوا بعنانه وقالوا احملنا على بعض هذه الفضول وارغب فى المشى كما رغبتنا فضرب القوم بسوطه فتركوا دابته فمضى وأتوا عثمان فاستعفوه منه وقالوا ما كل ما نعلم نحب أن تسألنا عنه فابدلنا به فقال من تحبون فقالوا غيلان بن خرشة فى كل احد عوض من هذا العبد الذى قد أكل ارضنا اما منكم خسيس فترفعونه اما منكم فقير فتجبرونه يا معشر قريش حتى متى يأكل هذا الشيخ الاشعرى هذه البلاد فانتبه لها عثمان

فيها العمد والقواعد والروس التى تسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون بعد حدوث النصرانية بثنين من السنين ومنها العمد التى بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد رأيت فى جبل اسوان أخا هذا العمود تدهندس ونقر ولم يفصل من الجبل ولم يحك ما ظهر منه وانما كانوا ينتظرون أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم وسئل عن مدينة العقاب فقال هى غربى اهرام بوصير الجيزة وهى على خمسة أيام بلياليها للراكب المجد وقد وعرت طريقها وعميت المسالك اليها والسمت الذى يؤدى نحوها وذكر ما فيها من عجائب البنيان والجواهر والاموال والعلة التى لها سميت مدينة العقاب ووصف مدينة أخرى غربى اخميم من أرض الصعيد ذات بنيان عجيب اتخذتها الملوك السالفة وذكر من شأن هذه المدينة الاخرى عجائب من الاخبار وزعم ان بينها وبين اخميم من أرض الصعيد مسيرة

فعزل اباموسى وولى عبدالله بن عامر بن كريز فلما سمع ابوموسى قال يأتيكم غلام خراج ولاج كريم الجدات والخالات والعمات يجمع له الجندين وكان عمر بن عامر خمسا وعشرين سنة وجمع له جند ابى موسى وجند عثمان بن أبى العاص الثقفى من عمان والبحرين واستعمل على خراسان عمير بن عثمان بن سعد وعلى سجستان عبدالله بن عمير الليثى وهو من ثعلبة فأثخن فيها الى كابل واثخن عمير فى خراسان حتى بلغ فرغانة لم يدع دونها كورة الا أصلحها وبعث الى مكران عبيدالله بن معمر فأثخن فيها حتى بلغ النهر وبعث على كرمان عبدالرحمن بن عبيس وبعث الى الاهواز وفارس نفرا ثم عزل عبدالله بن عمير واستعمل عبدالله بن عامر فأقره عليها سنة ثم عزله واستعمل عاصم بن عمرو وعزل عبدالرحمن بن عبيس واعاد عدى بن سهيل بن عدى وصرف عبيدالله بن معمر الى فارس واستعمل مكانه عمير بن عثمان واستعمل على خراسان أمير بن أحمر اليشكرى واستعمل على سجستان سنة أربع عمران بن الفضيل البرجمى ومات عاصم بن عمرو بكرمان (عبيس بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة ثم الياء المثناة من تحتها وآخره سين مهملة وأمير بضم الهمزة وفتح الميم وآخره راء وكريز بن ربيعة بضم الكاف وفتح الراء)

﴿ذكر انتقاض أهل فارس﴾

ثم ان أهل فارس انتقضوا ونكثوا بعبيدالله بن معمر فسار اليهم فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبيدالله وانهزم المسلمون وبلغ الخبر عبدالله بن عامر فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس الى فارس فالتقوا باصطخر وكان على ميمنته أبو برزة الاسلمى وعلى ميسرته معقل بن يسار وعلى الخيل عمران ابن الحصين ولكلهم صحبة واشتد القتال فانهزم الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت اصطخر عنوة وأتى دارابجرد وقد غدر اهلها ففتحها وسار الى مدينة جور وهى أردشيرخره فانتقضت اصطخر فلم يرجع وتمم السير الى جور وحاصرها وكان هرم بن حيان محاصرا لها وكان المسلمون يحاصرونها وينصرفون عنها فيأتون اصطخر ويغزون نواحى كانت تنتقض عليهم فلما نزل ابن عامر عليها افتتحها وكان سبب فتحها ان بعض المسلمين قام يصلى ذات ليلة والى جانبه جراب له فيه خبز ولحم فجاء كلب فجره وعدا به حتى دخل المدينة من مدخل لها خفى فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة فلما فرغ منها ابن عامر عاد الى اصطخر ففتحها عنوة بعد ان حاصرها واشتد القتال عليها ورميت بالمجانيق فقتل بها خلقا كثيرا من الاعاجم وافنى أكثر أهل البيوتات ووجوه الاساورة وكانوا قد لجؤا اليها وقيل ان اهل اصطخر لما نكثوا عاد اليها ابن عامر قبل وصوله الى جور فملكها عنوة وعاد الى جور فأتى دارابجرد فملكها وكانت منتقضة ايضا ووطئ أهل فارس وطأة لم يزالوا منها فى ذل وكتب الى عثمان بالخبر فكتب اليه ان يستعمل على بلاد فارس هرم بن حيان اليشكرى وهرم بن حيان العبدى والخريت بن راشد والمنجاب بن راشد والترجمان الهجيمى وأمره ان يفرق كور خراسان على جماعة فيجعل الاحنف على المروين وحبيب ابن قرة اليربوعى على بلخ وخالد بن عبدالله ابن زهير على هراة وأمير بن أحمد على طوس وقيس ابن هبيرة السلمى على نيسابور وبه تخرج عبدالله بن خازم وهو ابن عمه ثم جمعها عثمان قبل موته لقيس واستعمل أمير بن أحمر على سجستان ثم جعل عليها عبدالرحمن بن سمرة وهو من آل حبيب بن عبد شمس فمات عثمان وهو عليها ومات وعمران على مكران وعمير بن عثمان بن سعد على فارس وابن كندير القشيرى على كرمان ثم أوفد قيس بن هبيرة عبدالله بن خازم الى ابن عامر فى زمن عثمان وكان ابن عامر يكرمه فقال لابن عامر اكتب لى على خراسان عهدا ان خرج عنها

سنة أيام وسئل عن النوبة وأرضها فقال هم أصحاب ابل وبخت وبقر وغنم وملكهم يستعد الخيل العتاق والاغلب من ركوب عوامهم البراذين ورميهم بالنبل عن قسى عربية وعنهم أخذ الرمى أهل الحجاز واليمن وغيرهم من العرب وهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطة وأرضهم كأنها جزء من أرض اليمن وللنوبة اترج كأكبر مايكون بأرض الاسلام وملوكهم تزعم انها من حمير وملكهم يستولى على مقرا ونوبة وعلوة ووراء علوة أمة عظيمة من السودان تدعى بكنة وهم عراة كالزنج وأرضهم تنبت الذهب وفى مملكة هذه الامة يخترق النيل فيتشعب منه خليج عظيم ثم يخضر الخليج من بعد انفصاله من النيل وينحدر الاكثر الى بلاد النوبة وهو لا يتغير فاذا كان فى بعض الازمنة انفصل الاكثر من الماء فى ذلك الخليج وابيض الاكثر واخضر الاقل فيشق ذلك الخليج أودية وخلجان واعماق مأنوسة حتى يخرج الى جلاسق والجنوب وذلك

قيس ففعل فرجع الى خراسان فلما قتل عثمان وجاش العدو قال ابن خازم لقيس الرأى ان تخلفنى وتمضى حتى تنظر فيما ينظرون فيه ففعل فاخرج ابن خازم بعده عهدا بخلافته وثبت على خراسان الى ان قام على بن أبى طالب وغضب قيس من صنيع ابن خازم (الخريت بكسر الخاء المعجمة والراء المشددة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره تاء فوقها نقطتان)

﴿ذكر الزيادة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم﴾

فى هذه السنة زاد عثمان فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول وكان ينقل الجص من بطن نخل وبناه بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة فيها رصاص وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع وجعل أبوابه على ما كانت أيام عمر ستة أبواب

﴿ذكر اتمام عثمان الصلاة بجمع واول ماتكلم الناس فيه﴾

حج بالناس هذه السنة عثمان وضرب فسطاطه بمنى وكان أول فسطاط ضربه عثمان بمنى وأتم الصلاة بها وبعرفة فكان أول ماتكلم به الناس فى عثمان ظاهرا حين أتم الصلاة بمنى فعاب ذلك غير واحد من الصحابة وقال له على ماحدث امر ولا قدم عهد ولقد عهدت النبى صلى الله عليه وسلم وابابكر وعمر يصلون ركعتين وانت صدرا من خلافتك فما ادرى مايرجع اليه وقال رأى رأيته وبلغ الخبر عبدالرحمن بن عوف وكان معه فجاءه وقال له ألم تصل فى هذا المكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ركعتين وصليتها انت ركعتين قال بلى ولكنى أخبرت أن بعض من حج من اليمن وجفاة الناس قالوا ان الصلاة للمقيم ركعتان واحتجوا بصلاتى وقد اتخذت بمكة أهلا ولى بالطائف مال فقال عبدالرحمن مافى هذا عذر أما قولك اتخذت بها أهلا فان زوجك بالمدينة تخرج بها اذا شئت وانما تسكن بسكناك واما مالك بالطائف فبينك وبينه مسيرة ثلاث ليال وأما قولك عن حاج اليمن وغيرهم فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحى والاسلام قليل ثم أبوبكر وعمر فصلوا ركعتين وقد ضرب الاسلام بجرانه فقال عثمان هذا رأى رأيته فخرج عبدالرحمن فلقى ابن مسعود فقال أبا محمد غير ما تعلم قال فما أصنع قال اعمل بما ترى وتعلم فقال ابن مسعود الخلاف شر وقد صليت بأصحابى أربعا فقال عبدالرحمن قد صليت بأصحابى ركعتين وأما الآن فسوف أصلى أربعا وقيل كان ذلك سنة ثلاثين

﴿ثم دخلت سنة ثلاثين﴾

﴿ذكر عزل الوليد عن الكوفة وولاية سعيد﴾

فى هذه السنة عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة وولاها سعيد بن العاص وقد تقدم سبب ولاية الوليد على الكوفة فى السنة الثانية من خلافة عثمان وانه كان محبوبا الى الناس فبقى كذلك خمس سنين وليس لداره باب ثم ان شبابا من أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعى وكابروه فنذر بهم وخرج عليهم بالسيف وصرخ فاشرف عليهم أبو شريح الخزاعى وكان قد انتقل من المدينة الى الكوفة للقرب من الجهاد فصاح بهم أبو شريح فلم يلتفتوا وقتلوا ابن الحيسمان وأخذهم الناس وفيهم زهير بن جندب الازدى ومورع بن أبى مورع الاسدى وشبيل بن أبى الازدى وغيرهم فشهد عليهم أبو شريح وابنه فكتب فيهم الوليد الى عثمان فكتب عثمان بقتلهم فقتلهم على باب القصر ولهذا السبب أخذ فى القسامة بقول ولى المقتول عن ملا من الناس ليفطم الناس عن القتل وكان أبو زبيد الشاعر فى الجاهلية والاسلام فى بنى تغلب وكانوا اخواله فظلموه دينا له فأخذ له الوليد حقه اذ كان عاملا عليهم فشكر أبو زبيد ذلك له وانقطع اليه وغشيه بالمدينة

ساحل الزنج ومصبه فى بحرهم ثم سئل عن الفيوم والمنهى وحجر اللاهون فذكر كلاما طويلا فى أمر الفيوم وان جارية من بنات الروم وابنها نزلوا الفيوم وكانوا البدء فى عمارتها وعمارة أرضها وانما كان الماء يأتى الفيوم من المنهى أيام جرى النيل ولم يكن حجر اللاهون بنى وانما كان مصب الماء من المنهى من الموضع المعروف بدمونة ثم بنى اللاهون على ماهو اليوم عليه ويقال ان يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام بناه أيام العزيز ودبر من أمر الفيوم ماهو اليوم قائم بين من الخلج المرتفعة المطأطئة وهو خليج فوق خليج فوق خليج وهى القنطرة المعروفة بسقونه وأقام العمود الذى فى وسط الفيوم وهو غائص فى الارض لا يدرك منتهاه منها وهو أحد عجائب الدنيا مربع الشكل قد جهد اناس من الامم ممن ورد بعد يوسف عليه السلام ان ينتهوا الى آخره فى الارض حفرا فلم يتأت لهم ذلك وغلبهم الماء فعجزهم ورأس هذا العمود ماو

والكوفة وكان نصرانيا فاسلم عند الوليد وحسن اسلامه فبينما هو عنده أتى آت أبا زينب وأبا مورع وجندبا وكانوا يحفرون للوليد منذ قتل أبناءهم ويضعون له العيون فقال لهم ان الوليد وأبا زبيد يشربان الخمر فثاروا وأخذوا معهم نفرا من أهل الكوفة فاقتحموا عليه فلم يروا شيئا فأقبلوا يتلاومون وسبهم الناس وكتم الوليد ذلك عن عثمان وجاء جندب ورهط معه الى ابن مسعود فقالوا له ان الوليد معتكف على الخمر وأذاعوا ذلك فقال ابن مسعود من استتر عنا لم نتبع عورته فعاتبه الوليد على قوله حتى تغاضبا ثم أتى الوليد بساحر فارسل الى ابن مسعود يسأله عن حده واعترف الساحر عند ابن مسعود وكان يخيل الى الناس أنه يدخل فى دبر الحمار ويخرج من فيه فامره ابن مسعود بقتله فلما أراد الوليد قتله أقبل الناس ومعهم جندب فضرب الساحر فقتله فحبسه الوليد وكتب الى عثمان فيه وأمره باطلاقه وتأديبه فغضب لجندب أصحابه وخرجوا الى عثمان يستعفون من الوليد فردهم خائبين فلما رجعوا أتاهم كل موتور فاجتمعوا معهم على رأيهم ودخل أبو زينب وأبو مورع وغيرهما على الوليد فتحدثوا عنده فنام فاخذ خاتمه وسار الى المدينة واستيقظ الوليد فلم يره فسأل نساءه عن ذلك فاخبرنه ان آخر من بقى عنده رجلان صفتهما كذا وكذا فاتهمهما وقال هما أبو زينب وأبو مورع وارسل يطلبهما فلم يوجدا فقدما على عثمان ومعهما غيرهما وأخبراه انه شرب الخمر فارسل الى الوليد فقدم المدينة ودعا بهما عثمان فقال اتشهدان انكما رأيتماه يشرب فقالا لا قال فكيف قالا اعتصرناها من لحيته وهو يقىء الخمر فامر سعيد بن العاص بجلده فاورث ذلك عداوة بين اهلهما فكان على الوليد خميصة فامر على بن أبى طالب بنزعها لما جلد هكذا فى هذه الرواية والصحيح ان الذى جلده عبد الله بن جعفر بن أبى طالب لان عليا أمر ابنه الحسن أن يجلده فقال الحسن ول حارها من تولى قارها فامر عبد الله بن جعفر فجلده أربعين فقال على امسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أربعين وجلد عمر ثمانين وكل سنة وهذا أحب الى وقيل ان الوليد سكر وصلى الصبح باهل الكوفة أربعا ثم التفت اليهم وقال أزيدكم فقال له ابن مسعود مازلنا معك فى الزيادة منذ اليوم وشهدوا عليه عند عثمان فامر عليا بجلده فامر على عبد الله بن جعفر فجلده وقال الحطيئة

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم * أأزيدكم سكرا وما يدرى
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا * لقرنت بين الشفع والوتر
كفوا عنانك اذ جريت ولو * تركوا عنانك لم تزل تجرى

فلما علم عثمان من الوليد شرب الخمر عزله وولى سعيد بن العاص بن أمية وكان سعيد قد ربى فى حجر عمر فلما فتح الشام قدمه فاقام مع معاوية فذكره عمر يوما فسأل عنه فاخبر انه بالشام فاستقدمه فقدم عليه فقال له قد بلغنى عنك بلاء وصلاح فازدد يزدك الله خيرا وقال له هل لك من زوجة قال لا وجاء عمر بنات سفيان بن عوف ومعهن أمهن فقالت أمهن هلك رجالنا واذا هلك الرجال ضاع النساء فضعهن فى أكفائهن فزوج سعيدا احداهن وزوج عبد الرحمن بن عوف أخرى وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشلى فقلن له قد هلك رجالنا وبقى الصبيان فضعنا فى أكفائنا فزوج سعيدا احداهن وجبير بن مطعم الاخرى وكان عمومته ذوى بلاء فى الاسلام وسابقة فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال قريش فلما استعمله عثمان سار حتى أتى الكوفة أميرا ورجع معه الاشتر وأبو خشة الغفارى وجندب بن عبد الله وابن صعب بن جثامة وكانوا ممن شخص مع الوليد

لارض المنهى قال وأما حجر اللاهون فان من سطح الحجر الذى فيما بين الغرش الى ناحية اللاهون واللاهون هى القرية بعينها ففيها من السطح الى القرية ستون ذراعا وربما قل الماء فى المنهى وظهر بعض الدرج وفى حائط الحجر فوارات بعضها اليوم يخرج منه الماء وبعض لا يرى وفيما بين سطح الحجر الذى ما بين القنتين وبين القرية شاذروان وهو أسفل من الدرج وانما يدخل الماء الفيوم بدرب الحجر وجمات الاسقالة وهى القناطر ليخرج الماء منها ولا يعلو الماء الحجر أيام سده فبالتقدير بناء حجر اللاهون وبقدر ما يكفى الفيوم من الماء يدخل اليها وبناء حجر اللاهون من أعجب الامور ومن أحكم البنيان ومن البناء الذى يبقى على وجه الارض لا يتحرك ولا يزول بالهندسة عمل وبالفلسفة اتقن وفى السعود نصب وقد ذكر كثيرا من أهل بلدنا أن يوسف عليه السلام عمل ذلك بالوحى والله أعلم ولم تزل ملوك الارض اذا غلبت على بلادنا واحتوت على أرضنا صارت الى هذا

بعيونه فصاروا عليه فقال بعض شعراء الكوفة

فررت من الوليد الى سعيد * كأهل الحجر اذ جزعوا فباروا
يلينا من قريش كل عام * أمير محدث أو مستشار
لنا نار نخوفها فنخشى * وليس لهم فلا يخشون نار

فلما وصل سعيد الكوفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال والله لقد بعثت اليكم وانى لكاره ولكنى لم أجد بدا اذ أمرت أن أئتمر الا ان الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها والله لاضربن وجهها حتى أقمعها أو تعيينى وانى لرائد نفسى اليوم ثم نزل وسأل عن أهل الكوفة فعرف حال أهلها فكتب الى عثمان ان أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والغالب على تلك البلاد روادف قدمت واعراب لحقت حتى لا ينظر الى ذى شرف وبلاء من نابتتها ولا نازلتها فكتب اليه عثمان أما بعد ففضل اهل السابقة والقدمة ومن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها من غيرهم تبعا لهم الا ان يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء واحفظ لكل منزلته وأعطهم جميعا بقسطهم من الحق فان المعرفة بالناس بها يصاب العدل فأرسل سعيد الى أهل الايام والقادسية فقال أنتم وجوه الناس والوجه ينبئ عن الجسد فابلغونا حاجة ذى الحاجة وادخل معهم من يحتمل من اللواحق والروادف وجعل القراء فى سمره ففشت المقالة فى اهل الكوفة فكتب سعيد الى عثمان بذلك فجمع الناس واخبرهم بما كتب اليه فقالوا له أصبت لا تطمعهم فيما ليسوا له باهل فانه اذا نهض فى الامور من ليس له باهل لها لم يحتملها وافسدها فقال عثمان يا أهل المدينة استعدوا واستمسكوا فقد دبت اليكم الفتن وانى والله لاتخلصن لكم الذى لكم حتى انقله اليكم ان رأيتم حتى يأتى من شهد مع اهل العراق سهمه فيقيم معه فى بلاده فقالوا كيف تنقل الينا سهمنا من الارضين فقال يبيعها من شاء بما كان له بالحجاز واليمن وغيرهما من البلاد ففرحوا وفتح الله لهم أمرا لم يكن فى حسابهم وفعلوا ذلك واشتراه رجال من كل قبيلة وجاز لهم عن تراض منهم ومن الناس واقرار بالحقوق

ذكر غزو سعيد بن العاص طبرستان

فى هذه السنة غزا سعيد بن العاص طبرستان فانها لم يغزها أحد الى هذه السنة وقد تقدم فى أيام عمر الخلاف فى ذلك وان اصبهبذها صالح سويد بن مقرن أيام عمر على مال بذله وأما على هذا القول فان سعيدا غزاها من الكوفة سنة ثلاثين ومعه الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر ابن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان وابن الزبير وناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وخرج ابن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدا ونزل نيسابور ونزل سعيد قومس وهى صلح صالحهم حذيفة بعد نهاوند فأتى جرجان فصالحوه على مائتى ألف ثم أتى طميسة وهى كلها من طبرستان متاخمة جرجان على البحر فقاتله اهلها فصلى صلاة الخوف أعلمه حذيفة كيفيتها وهم يقتتلون وضرب سعيد يومئذ رجلا بالسيف على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه وحاصرهم فسألوا الامان فأعطاهم على ان لا يقتل منهم رجلا واحدا ففتحوا الحصن فقتلوا اجمعين الا رجلا واحدا وحوى ما فى الحصن فأصاب رجل من بنى نهد سفطا عليه قفل فظن ان فيه جوهرا وبلغ سعيدا فبعث الى النهدى فأتاه بالسفط فكسروا قفله فوجدوا فيه سفطا ففتحوه فوجدوا خرقة حمراء فنشروها فاذا خرقة صفراء وفيها أيران كميت وورد

الموضع فتأملته لما قد نمى اليها من اخباره وسار فى الخليقة من عجائب بنيانه واتقانه وكان هذا الرجل من أقباط مصر ممن يظهر دين النصرانية ورأى اليعقوبية فامر أحمد بن طولون فى بعض الايام وقد أحضر مجلسه بعض أهل النظر أن يسأله عن الدليل على صحة دين النصرانية فسأله عن ذلك فقال دليلى على صحتها وجودى اياها متناقضة متنافية تدفعها العقول وتنفر منها النفوس لتباينها وتضادها لا نظر يقويها ولا برهان يعضدها من العقل والحس عند التأمل لها والفحص عنها ورأيت مع ذلك أمما كثيرة وملوكا عظيمة ذوى معرفة وحس قد انقادوا اليها وتدينوا بها فعلمت انهم لم يقبلوها ولم يتدينوا بها مع ما ذكرت من تناقضها فى العقل الا لدلائل شاهدوها وآيات علموها ومعجزات عرفوها أوجبت انقيادهم اليها والتدين بها فقال له السائل وما التضاد الذى فيها قال وهل يدرك أو يعلم غايته منها قولهم بان الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ووصفهم الاقانيم والجوهر

فقال شاعرهم يهجو بني نهد

آب الكرام بالسبايا وغنمه * وآب بنو نهد بأيرين في سفط

كميت وورد وافرين كلاهما * فظنوهما غنما فناهيك من غلط

وفتح سعيد نامية وليست بمدينة هي صحارى ومات مع سعيد محمد بن الحكم بن أبي عقيل جد يوسف ابن عمر ثم رجع سعيد فمدحه كعب بن جعيل

فنعم الفتى إذ جال جيلان دونه * وإذ هبطوا من دستبى وأبهرا

في أبيات ولما صالح سعيد أهل جرجان كانوا يجبون أحيانا مائة ألف وأحيانا مائتي ألف وأحيانا ثلثمائة ألف ويقولون هذا صلح صلحنا وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فانقطع طريق خراسان من ناحية قومس الأعلى خوف شديد منهم كان الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان إلى خراسان وأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان وقدم يزيد بن المهلب فصالح صولا وفتح البحيرة ودهستان وصالح أهل جرجان على صلح سعيد

❁﴿ ذكر غزو حذيفة الباب وأمر المصاحف ﴾❁

وفيها صرف حذيفة عن غزو الري إلى غزو الباب مددا لعبد الرحمن بن ربيعة وخرج معه سعيد ابن العاص فبلغ معه أذربيجان وكانوا يجعلون الناس ردأ فأقام حتى عاد حذيفة ثم رجعا فلما عاد حذيفة قال لسعيد بن العاص لقد رأيت في سفرتي هذه أمرا لئن ترك الناس ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون عليه أبدا قال وما ذاك قال رأيت أناسا من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد ورأيت أهل دمشق يقولون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وأنهم قرؤا على ابن مسعود وأهل البصرة يقولون مثل ذلك وأنهم قرؤا على أبي موسى ويسمون مصحفه لباب القلوب فلما وصلوا إلى الكوفة أخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف فوافقه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من التابعين وقال له أصحاب ابن مسعود ما تنكر ألسنا نقرؤه على قراءة ابن مسعود فغضب حذيفة ومن وافقه وقالوا إنما أنتم أعراب فاسكتوا فإنكم على خطأ وقال حذيفة والله لئن عشت لآتين أمير المؤمنين ولأشيرن عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك فأغلظ له ابن مسعود فغضب سعيد وقام وتفرق الناس وغضب حذيفة وسار إلى عثمان فأخبره بالذي رأى وقال أنا النذير العريان فأدركوا الأمة فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر فأعظموه ورأوا جميعا ما رأى حذيفة فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها وكانت هذه الصحف هي التي كتبت في أيام أبي بكر فإن القتل لما كثر في الصحابة يوم اليمامة قال عمر لأبي بكر إن القتل قد كثر واستحر بقراء القرآن يوم اليمامة وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء فيذهب من القرآن كثير وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن فأمر أبو بكر زيد بن ثابت فجمعه من الرقاع والعسب وصدور الرجال فكانت الصحف عند أبي بكر ثم عند عمر فلما توفي عمر أخذتها حفصة فكانت عندها فأرسل عثمان إليها أخذها منها وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث ابن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا فلما نسخوا الصحف ردها عثمان إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف وحرق ما سوى ذلك وأمر أن يعتمدوا عليها ويدعوا ما سوى ذلك فكل الناس عرف فضل هذا الفعل إلا ما كان من أهل الكوفة فإن المصحف لما قدم عليهم فرح به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإن

وهو الثالوث وهل الأقانيم في أنفسها قادرة عالمة أم لا وفي اتحاد ربهم القديم بالإنسان المحدث وما جرى في ولادته وقتله وصلبه وهل في التشنيع أكبر وأفحش من إله صلب وبصق في وجهه ووضع على رأسه الإكليل من الشوك وضرب رأسه بالقضيب وسمرت يداه ونخس بالأسنة والخشب جنباه وطلب الماء فسقي الخل في بطيخ الحنظل فامسكوا عن مناظرته وانقطعوا عن مجادلته لما قد أعطاهم من تناقض مذهبه وفساده ووهنه فقال طبيب لابن طولون يهودي قد حضر المجلس أيأذن لي الأمير في مخاطبته قال شأنك فأقبل على القبطي مسائلا له فقال له القبطي وما أنت أيها الرجل وما نحلتك قال له يهودي فقال له مجوسي إذا قال له كيف ذلك وهو يهودي قال لأنهم يرون نكاح البنات في بعض الحالات إذ كان في دينهم أن الأخ يتزوج بنت أخيه وعليهم أن يتزوجوا نساء إخوتهم إذا ماتوا فإذا وافق اليهودي أن تكون امرأة أخيه ابنته لم يجد بدا من أن يتزوجها وهذا

أصحاب عبد الله ومن وافقهم امتنعوا من ذلك وعابوا الناس فقام فيهم ابن مسعود وقال ولا كل ذلك فإنكم والله قد سبقتم سبقا بينا فاربعوا على ظلعكم ولما قدم على الكوفة قام إليه رجل فعاب عثمان بجمع الناس على المصحف فصاح وقال اسكت فعن ملإ منا فعل ذلك فلو وليت منه ما ولي عثمان لسلكت سبيله

❁﴿ ذكر سقوط خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في بئر أريس ﴾❁

وفيها وقع خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان في بئر أريس وهي على ميلين من المدينة وكانت قليلة الماء فما أدرك قعرها بعد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذه لما أراد أن يكاتب الأعاجم يدعوهم إلى الله تعالى فقيل له إنهم لا يقبلون كتابا إلا مختوما فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعمل له خاتم من حديد فلما عمل جعله في إصبعه فأتاه جبريل فنهاه عنه فنبذه وأمر فعمل له خاتم من نحاس وجعله في إصبعه فقال جبريل انبذه فنبذه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاتم من فضة فصنع له فجعله في إصبعه فأمره جبريل أن يقره فأقره وكان نقشه ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر فختم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي ثم تختم به أبو بكر حتى توفي ثم عمر حتى توفي ثم تختم به عثمان ست سنين فحفر وابثرا بالمدينة شربا للمسلمين فقعد على رأس البئر فجعل يعبث بالخاتم فسقط من يده في البئر فطلبوه فيها ونزحوا ما فيها من الماء فلم يقدروا عليه فجعل فيه مالا عظيما لمن جاء به واغتم لذلك غما شديدا فلما يئس منه صنع خاتما آخر على مثاله ونقشه فبقي في إصبعه حتى هلك فلما قتل ذهب الخاتم فلم يدر من أخذه

❁﴿ ذكر تسيير أبي ذر إلى الربذة ﴾❁

وفي هذه السنة كان ما ذكر في أمر أبي ذر وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة من سب معاوية إياه وتهديده بالقتل وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصح النقل به ولو صح لكان ينبغي أن يعتذر عن عثمان فإن للإمام أن يؤدب رعيته وغير ذلك من الأعذار لا أن يجعل ذلك سببا للطعن عليه كرهت ذكرها وأما العاذرون فإنهم قالوا لما ورد ابن السوداء إلى الشام لقي أبا ذر فقال يا أبا ذر ألا تعجب من معاوية يقول المال مال الله ألا إن كل شيء لله كأنه يريد أن يحتجنه دون الناس ويمحو اسم المسلمين فأتاه أبو ذر فقال ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله قال يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله قال فلا تقله قال سأقول مال المسلمين وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له مثل ذلك فقال أظنك يهوديا فأتى عبادة بن الصامت فتعلق به عبادة وأتى به معاوية فقال هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر وكان أبو ذر يذهب إلى أن المسلم لا ينبغي له أن يكون في ملكه أكثر من قوت يومه وليلته أو شيء ينفقه في سبيل الله أو يعده لكريم ويأخذ بظاهر القرآن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم فكان يقوم بالشام ويقول يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء وشكا الأغنياء ما يلقون منهم فأرسل معاوية إليه بألف دينار في جنح الليل فأنفقها فلما صلى معاوية الصبح دعا رسوله الذي أرسله إليه فقال اذهب إلى أبي ذر فقل له أنقذ جسدي من عذاب معاوية فإنه أرسلني إلى غيرك وإني أخطأت بك ففعل ذلك فقال له أبو ذر يا بني قل له والله ما أصبح عندنا من دنانيرك دينار ولكن أخرنا ثلاثة أيام حتى نجمعها فلما رأى معاوية

من أسرارهم وما يكتمونه ولا يظهرونه فهل في المجوسية أشنع من هذا فأنكر اليهودي ذلك وجحد أن يكون في دينه أو يعرفه أحد من اليهود فاستخبر ابن طولون صحة ذلك فوجد الطبيب اليهودي قد تزوج امرأة أخيه وكانت بنته ثم أقبل القبطي على ابن طولون فقال أيها الأمير هؤلاء يزعمون وأشار إلى اليهودي أن الله خلق آدم على صورته وعن نبي من أنبيائهم سماه قال في كتابه إنه رآه في قديم الزمان أبيض الرأس واللحية وأن الله تعالى قال إني أنا النار المحرقة والحمى الآخذة وأنا الذي آخذ الأبناء بذنوب الآباء ثم في توراتهم أن بنات لوط سقينه الخمر حتى سكر وزنى بهن وحملن منه وولدن وأن موسى رد على الله الرسالة مرتين حتى اشتد غضب الله عليه وأن هرون صنع العجل الذي عبده بنو إسرائيل وأن موسى أظهر معجزات لفرعون وفعلت السحرة مثلها ثم قالوا في ذبائح الحيوان والتقرب إلى الله بدمائها ولحومها وتحكمهم على العقل ومنعهم من النظر بغير برهان وهو قولهم أن شريعتهم

ان فعله يصدق قوله كتب الى عثمان ان أباذر قد ضيق على وقد كان كذا وكذا للذى يقوله الفقراء فكتب اليه عثمان ان الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها ولم يبق الا ان تثب فلا تنكأ القرح وجهز أباذر الى وابعث معه دليلا وكفكف الناس ونفسك ما استطعت وبعث اليه بأبى ذر فلما قدم المدينة ورأى المجالس فى أصل جبل سلع قال بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار ودخل على عثمان فقال له مالاهل الشام يشكون ذرب لسانك فاخبره فقال يا أباذر على أن أقضى ما على وان ادعو الرعية الى الاجتهاد والاقتصاد وما على ان اجبرهم على الزهد فقال أبو ذر لا ترضوا من الاغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا الى الجيران والاخوان ويصلوا القرابات فقال كعب الاحبار وكان حاضرا من ادى الفريضة فقد قضى ما عليه فضرب أبوذر فشجه وقال له يا ابن اليهودية ما أنت وما هاهنا فاستوهب عثمان كعبا شجته فوهبه فقال أبوذر لعثمان تأذن لى فى الخروج من المدينة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنى بالخروج منها اذا بلغ البناء سلعا فاذن له فنزل الربذة وبنى بها مسجدا واقطعه عثمان صرمة من الابل وأعطاه مملوكين واجرى عليه كل يوم عطاء وكذلك على رافع بن خديج وكان قد خرج أيضا عن المدينة لشئ سمعه وكان أبوذر يتعاهد المدينة مخافة ان يعود اعرابيا واخرج معاوية اليه أهله فخرجوا ومعهم جراب مثقل يد الرجل فقال انظر الى هذا الذى يزهد فى الدنيا ما عنده فقالت امرأته والله ماهو دينار ولا درهم ولكنها فلوس كان اذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوسا لحوائجنا ولما نزل الربذة أقيمت الصلاة وعليها رجل يلى الصدقة فقال تقدم يا أباذر فقال لا تقدم أنت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى اسمع واطع وان كان عليك عبد مجدع فانت عبد ولست بأجدع وكان من رقيق الصدقة اسمه مجاشع

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء وفيها مات حاطب بن أبى بلتعة اللخمى وهو من أهل بدر (حاطب بالحاء المهملة وبلتعة بالباء الموحدة ثم التاء المثناة من فوق وزن قرعة) وفيها مات عمرو بن أبى سرح الفهرى وكان بدريا وفيها مات مسعود بن الربيع وقيل ابن ربيعة بن عمرو القارى من القارة اسلم قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الارقم وشهد بدرا وكان عمره قد جاوز الستين وفيها مات عبد الله بن كعب بن عمرو الانصارى شهد بدرا وكان على غنائم النبى صلى الله عليه وسلم فيها وفى غيرها وفيها مات عبد الله بن مظعون أخو عثمان وكان بدريا وجبار بن صخر وهو بدرى أيضا (جبار بالجيم وآخره راء)

﴿ثم دخلت سنة احدى وثلاثين﴾

﴿ذكر غزوة الصوارى﴾

قيل وفى هذه السنة كانت غزوة الصوارى وقيل كانت سنة اربع وثلاثين وقيل فى سنة احدى وثلاثين كانت غزوة الاساورة وقيل كانتا معا سنة احدى وثلاثين وكان على المسلمين معاوية وكان قد جمع الشام له أيام عثمان وسبب جمعه له ان أبا عبيدة بن الجراح لما حضره استخلف على عمله عياض بن غنم وكان خاله وابن عمه وكان جوادا مشهورا وقيل استخلف معاذ بن جبل على ما تقدم فمات عياض واستخلف بعده سعيد بن حذيم الجمحى ومات سعيد وأمر عمر مكانه عمير ابن سعد الانصارى ومات عمر وعمير على حمص وقنسرين ومات يزيد بن أبى سفيان فجعل عمر مكانه اخاه معاوية فاجتمعت لمعاوية الاردن ودمشق ومرض عمير بن سعد فاستعفى عثمان

واستاذنه

لا تنتسخ ولا يقبل قول أحد من الانبياء بعد موسى اذا انحرف عما جاء به موسى ولا فرق فى قضية العقل بين موسى وغيره من الانبياء اذا آتى ببرهان وبان بحجة ثم الاكبر من كفرهم قولهم فى يوم عيد الكفور وهو يوم الاستغفار وذلك لعشر تخلو من تشرين الاول ان الرب الصغير ويسمونه منتظرون يقوم فى هذا اليوم قائما وينتف شعور رأسه ويقول ويلا اذا خربت بيتى وأيتمت بنى قامتى منكسة الا أرفعها حتى آتى بنى وذكر عن اليهود أقاصيص وتخاليط كثيرة ومناقضات واسعة ولهذا القبطى مجالس كثيرة عن أحمد ابن طولون مع جماعة من الفلاسفة والربصانية والثنوية والصابئة والمجوس وعدة من متكلمى الاسلام وقد أتينا على ما احتمل منها ايراده فى كتابنا فى أخبار الزمان وذكرنا جميع ذلك فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات وكان هذا القبطى على ما نمى الينا من خبره وصح عندنا من قوله يذهب الى فساد النظر والقول بتكافؤ المذاهب

واستاذنه فى الرجوع الى أهله فاذن له وضم عثمان حمص وقنسرين الى معاوية ومات عبد الرحمن ابن علقمة وكان على فلسطين فضم عثمان عمله الى معاوية فاجتمع الشام لمعاوية لسنتين من امارة عثمان فهذا كان سبب اجتماع الشام له وأما سبب هذه الغزوة فان المسلمين لما اصابوا من أهل أفريقية وقتلوهم وسبوهم خرج قسطنطين بن هرقل فى جمع له لم تجمع الروم مثله مذ كان الاسلام فخرجوا فى خمسمائة مركب أو ستمائة وخرج المسلمون وعلى أهل الشام معاوية بن أبى سفيان وعلى البحر عبد الله بن سعد بن أبى سرح وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم فارسى المسلمون والروم وسكنت الريح فقال المسلمون الامان بيننا وبينكم فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرؤن القرآن ويصلون ويدعون والروم يضربون بالنواقيس وقربوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم فربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيوف والخناجر وقتل من المسلمين بشر كثير وقتل من الروم ما لا يحصى وصبروا يومئذ صبرا لم يصبروا فى موطن قط مثله ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم الا الشريد وأقام عبد الله ابن سعد بذات الصوارى بعد الهزيمة أياما ورجع فكان أول ما تكلم به محمد بن أبى حذيفة ومحمد بن أبى بكر فى أمر عثمان فى هذه الغزوة واظهرا عيبه وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر ويقولان استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أباح دمه ونزل القرآن بكفره وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما أدخلهم ونزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمل سعيد بن العاص وابن عامر فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال لا تركبا معنا فركبا فى مركب ما معهما الا القبط فلقوا العدو فكانا أقل المسلمين نكاية وقتالا فقيل لهما فى ذلك فقالا كيف نقاتل مع عبد الله بن سعد استعمله عثمان وعثمان فعل كذا وكذا فارسل اليهما عبد الله ينهاهما ويتهددهما ففسد الناس بقولهما وتكلموا ما لم يكونوا ينطقون به وأما قسطنطين فانه سار فى مركبه الى صقلية فسأله أهلها عن حاله فاخبرهم فقالوا اهلكت النصرانية وأفنيت رجالها لو أتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم ثم أدخلوه الحمام وقتلوه وتركوا من كان معه فى المركب وأذنوا لهم فى المسير الى القسطنطينية * وقيل فى هذه السنة فتحت ارمينية على يد حبيب بن مسلمة وقد تقدم ذكر ذلك

﴿ذكر مقتل يزدجرد بن شهريار﴾

فى هذه السنة هرب يزدجرد من فارس الى خراسان فى قول بعضهم وقد تقدم الخلاف فيه وكان ابن عامر قد خرج من البصرة حين وليها الى فارس فافتتحها وهرب يزدجرد من جور وهى اردشير خره فى سنة ثلاثين فوجه ابن عامر فى اثره مجاشع بن مسعود وقيل هرم بن حيان العبدى وقيل هرم ابن حيان اليشكرى فاتبعه الى كرمان فهرب يزدجرد الى خراسان وأصاب مجاشع بن مسعود ومن معه الثلج والدمق واشتد البرد وكان الثلج قيد رمح فهلك الجند وسلم مجاشع ورجل معه جارية فشق بطن بعير فأدخلها فيه وهرب فلما كان الغد جاء فوجدها حية فحملها فسمى ذلك القصر قصر مجاشع لان جيشه هلكوا فيه وهو على خمسة فراسخ أو ستة من السيرجان من أعمال كرمان هذا على قول من يقول ان هرب يزدجرد من فارس كان هذه السنة وأما سبب قتله على ما تقدم ذكره من فتح فارس وخراسان فقد اختلف الناس فى سبب قتله فقيل انه هرب من كرمان فى جماعة الى مرو ومعه خرزاد اخو رستم فرجع عنه الى العراق ووصى به ماهويه مرزبان مرو فسأله يزدجرد مالا فمنعه فخافه أهل مرو على أنفسهم فأرسلوا الى الترك يستنصرونهم

وأقام عند ابن طولون نحو سنة فاجازه وأعطاه فابى قبول شئ من ذلك فرده الى بلده مكرما وأقام بعد ذلك مدة من الزمان ثم هلك وله مصنفات تدل من كلامه على ما ذكرنا عنه والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودى) وفى نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من أنواع الحيوان مما فى البر والبحر من ذلك السمك المعروف بالرعاد وهو نحو الذراع اذا وقعت فى شبكة الصياد رعدت يداه وعضداه فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها عن شبكته ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وانها ان جعلت على رأس من به صداع شديد أو شقيقة وهى فى الحياة هدأ من ساعته والفرس الذى يكون فى نيل مصر اذا خرج من الماء وانتهى وطؤه الى بعض المواضع من الارض علم اهل مصر أن النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لا يختلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب وفى ظهوره من المضار بارباب الارض والفلاة لرعيه

عليه فاتوه فبيتوه فقتلوا أصحابه فهرب يزدجرد ماشيا الى شط المرغاب فأوى الى بيت رجل ينقر الارحاء فلما نام قتله وقيل بل بيته أهل مرو ولم يستنصروا بالترك فقتلوا أصحابه وهرب منهم فقتله النقار وتبعوا أثره الى بيت الذى ينقر الارحاء وأخذوه وضربوه فأقر بقتله فقتلوه وأهله وكان يزدجرد قد وطئ امرأة بها فولدت له غلاما ذاهب الشق ولدته بعد قتله فسمى المخدج فولد له أولاد بخراسان فوجد قتيبة بن مسلم حين افتتح الصغد وغيرها جاريتين من ولد المخدج فبعث بهما أو باحداهما الى الحجاج فبعث بها الى الوليد بن عبد الملك فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص وأخرج يزدجرد من النهر وجعل فى تابوت وحمل الى اصطخر فوضع فى ناووس هناك وقيل ان يزدجرد هرب بعد وقعة نهاوند الى أرض اصبهان وبها رجل يقال له مطيار كان قد أصاب من العرب شيأ يسيرا فصار له بها محل كبير فأتى مطيار يزدجرد ذات يوم فحجبه بوابه ليستأذن له فضربه وشجه فدخل البواب على يزدجرد مدمى فرحل عن أصبهان من ساعته فاتى الرى فخرج اليه صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده وأخبره بحصانتها فلم يجبه وقيل مضى من فوره ذلك الى سجستان ثم سار الى مرو فى ألف فارس وقيل بل قصد فارس فاقام بها أربع سنين ثم أتى كرمان فاقام بها سنتين أو ثلاثا فطلب اليه دهقانها شيأ فلم يجبه فجره برجله وطرده عن بلاده فسار الى سجستان فاقام بها نحوا من خمس سنين ثم عزم على قصد خراسان ليجمع الجموع ويسير بهم الى العرب فسار الى مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين ومعه فرخزاد فلما قدم مرو كاتب ملوك الصين وملك فرغانة وملك كابل وملك الخزر يستمدهم وكان الدهقان يومئذ بمرو ماهويه أبو براز فوكل ماهويه ابنه براز ليحفظها ويمنع عنها يزدجرد خوفا من مكره فركب يزدجرد يوما وطاف بالمدينة وأراد دخولها من بعض أبوابها فمنعه براز فصاح به أبوه يفتح الباب فلم يفعل وأومأ اليه أبوه أن لا يفعل ففطن له رجل من أصحاب يزدجرد فأعلمه بذلك واستأذنه فى قتله فلم يأذن له وقيل أراد يزدجرد صرف الدهقنة عن ماهويه الى سنجان ابن أخيه فبلغ ذلك ماهويه فعمل فى هلاك يزدجرد فكتب الى نيزك طرخان يدعوه الى القدوم عليه ليتفقا على قتله ومصالحة العرب عليه وضمن له ان فعل ان يعطيه كل يوم ألف درهم فكتب نيزك الى يزدجرد يعده المساعدة على العرب وانه يقدم عليه بنفسه ان أبعد عسكره وفرخزاد عنه فاستشار يزدجرد أصحابه فقال له سنجان لست أرى ان تبعد عنك أصحابك وفرخزاد وقال أبو براز أرى ان تتألف نيزك وتجيبه الى ما سأل فقبل رأيه وفرق عنه جنده فصاح فرخزاد وشق جيبه وقال أظنكم قاتلى هذا ولم يبرح فرخزاد حتى كتب له يزدجرد بخط يده انه آمن وانه قد أسلم (٢) يزدجرد وأهله وما معه الى ماهويه وأشهد بذلك واقبل نيزك فلقيه يزدجرد بالمزامير والملاهى أشار عليه بذلك أبو براز فلما لقيه تأخر عنه أبو براز فاستقبله نيزك ماشيا فامر له يزدجرد بجنيبة من جنائبه فركبها فلما توسط عسكره توافقا فقال له نيزك فيما يقول زوجنى احدى بناتك حتى أناصحك فى قتال عدوك فسبه يزدجرد فضربه نيزك بمقرعته وصاح يزدجرد وركض منهزما وقتل أصحاب نيزك أصحاب يزدجرد وانتهى يزدجرد الى بيت طحان فمكث فيه ثلاثة أيام لم يأكل طعاما فقال له الطحان اخرج أيها الشقى فكل طعاما فقد جعت فقال لست أصل الى ذلك الا بزمزمة وكان عند الطحان رجل يزمزم فكلمه الطحان فى ذلك ففعل وزمزم له فأكل فلما رجع المزمزم سمع بذكر يزدجرد فسأل عن حليته فوصفوه له فاخبرهم به وبحليته فارسل اليه أبو براز رجلا من الاساورة وأمره بخنقه والقائه فى النهر وأتى الطحان فضربه ليدله عليه فلم يفعل وجحده فلما أراد الانصراف عنه قال له بعض أصحابه انى لاجد ريح مسك

الزرع وذلك انه يظهر من الماء فى الليل فينتهى الى موضع من الزرع ثم يولى عائدا الى الماء فيرعى فى حال رجوعه من الموضع الذى انتهى اليه مسيره ولا يرعى من ذلك شئ فى ممره كأنه يقدم مقدار ما يرعاه فيها اذا رعت ووردت الى النيل فشربت ثم تقذف ما فى اجوافها فى مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية فاذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بأرباب الضياع طرح له الترمس فى الموضع الذى يعرف خروجه منه مكاكى كثيرة مبددا مبسوطا فيأكله ثم يعود الى الماء فيربو فى جوفه ويزداد فى انتفاخه فيشق جوفه فيموت ويطفو على الماء ويقذف به الى الساحل والموضع الذى يكون فيه لا يكاد يرى فيه تمساح وهو على صورة الفرس الا ان حوافره والذنب بخلاف ذلك والجبهة أوسع (قال المسعودى) وقد ذكر جماعة من الشرعيين أن بيصر بن حام ابن نوح لما انفصل عن أرض بابل بولده وكثير من أهل بيته غرب نحو مصر وكان له أولاد أربعة مصر بن بيصر وقوف بن بيصر وساح وباح فنزل بموضع يقال

ونظر الى طرف ثوبه من ديباج فى الماء فجذبه فاذا هو يزدجرد فسأله ان لا يقتله ولا يدل عليه وجعل له خاتمه ومنطقته وسواره فقال له اعطنى أربعة دراهم وأخلى عنك فلم يكن معه وقال ان خاتمى لا يحصى ثمنه فخذه فأبى عليه فقال له يزدجرد قد كنت أخبرانى سأحتاج الى أربعة دراهم فقد رأيت ذلك ثم نزع أحد قرطيه فاعطاه الطحان ليستر عليه وأرادوا قتله فقال ويحكم انا نجد فى كتبنا انه من قتل الملوك عاقبه الله بالحريق فى الدنيا فلا تقتلونى واحملونى الى الدهقان أو الى العرب فانهم يستحيون مثلى فاخذوا ما عليه وخنقوه بوتر القوس وألقوه فى الماء فاخذه اسقف مرو وجعله فى تابوت ودفنه وسأل أبو براز عن أحد القرطين وأخذ الذى دل عليه فضربه حتى أتى على نفسه وقيل بل سار يزدجرد من كرمان قبل ورود العرب اليها نحو مرو على الطبسين وقهستان فى أربعة آلاف فلما قارب مرو لقيه قائدان يقال لاحدهما براز وللآخر سنجان وكانا متباغضين فسعى براز بسنجان حتى هم يزدجرد بقتله وأفشى ذلك الى امرأة من نسائه ففشا الحديث فجمع سنجان أصحابه وقصد قصر يزدجرد فهرب براز وخاف يزدجرد فهرب أيضا الى رحا على فرسخين من مرو فدخل بيت نقار الرحا فاطعمه الطحان فطلب منه شيأ فاعطاه منطقته فقال انما يكفينى أربعة دراهم فلم يكن معه ثم نام يزدجرد فقتله الطحان بفأس كان معه وأخذ ما كان عليه وألقى جيفته فى الماء وشق بطنه وثقله وسمع بقتله مطران كان بمرو فجمع النصارى وقال قتل ابن شهريار وانما شهريار ابن شيرين المؤمنة التى قد عرفتم حقها واحسانها الى أهل ملتها مع ما نال النصارى فى ملك جده أنوشروان من الشرف فينبغى أن نحزن لقتله ونبنى له ناووسا فأجابوه الى ذلك وبنوا له ناووسا وأخرجوا جثته وكفنوها ودفنوها فى الناووس كان ملكه عشرين سنة منها أربع سنين فى دعة وستة عشر سنة فى تعب من محاربة العرب اياه وغلظتهم عليه وكان آخر من ملك من آل أردشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب

﴿ذكر مسير ابن عامر الى خراسان وفتحها﴾

لما قتل عمر بن الخطاب نقض أهل خراسان وغدروا فلما افتتح ابن عامر فارس قام اليه حبيب بن أوس التميمى فقال له أيها الامير ان الارض بين يديك ولم يفتح منها الا القليل فسر فان الله ناصرك قال أولم نؤمر بالمسير وكره أن يظهر انه قبل رأيه وقيل ان ابن عامر لما فتح فارس عاد الى البصرة واستخلف على اصطخر شريك بن الاعور الحارثى فبنى شريك مسجد اصطخر فلما دخل البصرة أتاه الاحنف بن قيس وقيل غيره فقال له ان عدوك منك هارب ولك هائب والبلاد واسعة فسر فان الله ناصرك ومعز دينه فتجهز وسار واستخلف على البصرة زيادا وسار الى كرمان فاستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمى وله صحبة وأمره بمحاربة أهلها وكانوا قد نكثوا أيضا واستعمل على سجستان الربيع بن زياد الحارثى وكانوا أيضا قد غدروا ونقضوا الصلح وسار ابن عامر الى نيسابور وجعل على مقدمته الاحنف بن قيس فأتى الطبسين وهما حصنان وهما بابا خراسان فصالحه أهلهما وسار الى قهستان فلقيه أهلها وقاتلهم حتى ألجأهم الى حصنهم وقدم عليها ابن عامر فصالحه أهلها على ستمائة ألف درهم وقيل كان المتوجه الى قهستان أمير بن أحمر اليشكرى وهى بلاد بكر بن وائل وبعث ابن عامر سرية الى رستاق زام من أعمال نيسابور ففتحه عنوة وفتح باخرز من أعمال نيسابور أيضا وفتح جوين من أعمال نيسابور أيضا ووجه ابن عامر الاسود بن كلثوم العدوى من عدى الرباب وكان ناسكا الى بيهق من أعمالها أيضا فقصد قصبته ودخل حيطان البلد من ثلمة كانت فيه ودخلت معه طائفة من المسلمين فأخذ العدو عليهم

له منف وبذلك يسمى الى وقتنا هذا وكان عددهم ثلاثين فسميت بهم كما سميت مدينة ثمانين من أرض الجزيرة وبلاد الموصل من بلاد بنى حمدان وانما نسبت الى عدد ساكنيها ممن كان مع نوح فى السفينة وكان بيصر بن حام قد كبر سنه فاوصى الى الاكبر من ولده وهو مصر واجتمع الناس اليه وانضافوا الى جملتهم وأخصبت البلاد فتملك عليهم مصر بن بيصر وملك من حد رفح من أرض فلسطين من بلاد الشام وقيل من العريش وقيل من الموضع المعروف بالشجرة وهو آخر أرض مصر والفرق بينها وبين الشام وهو الموضع المشهور بين العريش ورفح الى بلاد اسوان من أرض الصعيد طولا ومن ايلة وهى تخوم الحجاز الى برقة عرضا وكان لمصر أولاد أربعة وهم قبط واشمون واتريب وصا فقسم مصر الارض بين أولاده الاربعة ارباعا وعهد الى الاكبر من ولده وهو قبط وأقباط مصر يضافون فى النسب الى أبيهم قبط بن مصر وأضيفت المواضع الى ساكنيها وعرفت بأسمائهم فمنها اشمون وقبط وصا

تلك الثلمة فقاتل الاسود حتى قتل هو وطائفة ممن معه وقام بأمر الناس بعده أخوه أدهم بن كلثوم فظهر وفتح بيهق وكان الاسود يدعو الله أن يحشره من بطون السباع والطير فلم يواره أخوه ودفن من استشهد من أصحابه وفتح ابن عامر بشت من نيسابور (وهذه بشت بالشين المعجمة وليست بيست التي بالسين المهملة تلك من بلاد الداون وهذه من خراسان من نيسابور) وافتتح خواف واسفرايين وارغيان ثم قصد نيسابور بعدما استولى على أعمالها وافتتحها فحصر أهلها أشهرا وكان على كل ربع منها مرزبان للفرس يحفظه فطلب صاحب ربع من تلك الارباع الامان على ان يدخل المسلمين المدينة فأجيب الى ذلك فادخلهم ليلا ففتحوا الباب وتحصن مرزبانها الاكبر في حصنها ومعه جماعة وطلب الامان والصلح على جميع نيسابور فصالحه على ألف ألف درهم وولى نيسابور قيس بن الهيثم السلمي وسير جيشا الى نسا وأبيورد فافتتحوها صلحا وسير سرية أخرى الى سرخس مع عبد الله بن خازم السلمي فقاتلوا أهلها ثم طلبوا الامان والصلح على امان مائة رجل فأجيبوا الى ذلك فصالحهم مرزبانها على ذلك وسمى مائة رجل ولم يذكر نفسه فقتله ودخل سرخس عنوة وأتى مرزبان طوس الى ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة درهم وسير جيشا الى هراة عليهم عبد الله بن خازم وقيل غيره فبلغ مرزبان هراة ذلك فسار الى ابن عامر فصالحه عن هراة وباذغيس وبوشنج وقيل بل سار ابن عامر في الجيش الى هراة فقاتله أهلها ثم صالحه مرزبانها على ألف ألف درهم ولما غلب ابن عامر على هذه البلاد أرسل اليه مرزبان مرو فصالحه على ألفي ألف ومائتي ألف درهم وقيل غير ذلك وأرسل ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي الى مرزبانها وكانت مرو كلها صلحا الا قرية منها يقال لها سنج فانها أخذت عنوة (وهي بكسر السين المهملة والنون الساكنة وآخرها جيم) ووجه ابن عامر الاحنف بن قيس الى طخارستان فمر برستاق يعرف برستاق الاحنف ويدعى سوانجرد فحصر أهلها فصالحوه على ثلثمائة ألف درهم فقال الاحنف أصالحكم على أن يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه ويقيم فيكم حتى ينصرف فرضوا بذلك ومضى الاحنف الى مرو الروذ فقاتله أهلها فقتلهم وهزمهم وحصرهم وكان مرزبانها من أقارب باذان صاحب اليمن فكتب الى الاحنف انه دعاني الى الصلح اسلام باذان فصالحه على ستمائة ألف وسير الاحنف سرية فاستولت على رستاق بغ واستاقت منه مواشي ثم صالحوا أهله وجمع له أهل طخارستان فاجتمع أهل الجوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم في خلق كثير فالتقوا واقتتلوا وحمل ملك الصغانيان على الاحنف فانتزع الاحنف الرمح من يده وقاتل قتالا شديدا فانهزم المشركون وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا كيف شاؤا وعاد الى مرو الروذ ولحق بعض العدو بالجوزجان فوجه اليهم الاحنف الاقرع بن حابس التميمي في خيل وقال يا بني تميم تحابوا وتباذلوا تعتدل اموركم وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم فسار الاقرع فلقي العدو بالجوزجان فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا المشركين وفتحوا الجوزجان عنوة فقال ابن الغريزة النهشلي

سقى صوب السحاب اذا استهلت ٭ مصارع فتية بالجوزجان
الى القصرين من رستاق خوت ٭ اقادهم هناك الاقرعان

وفتح الاحنف الطالقان صلحا وفتح الفارياب وقيل بل فتحها أمير بن أحمر ثم سار الاحنف الى بلخ وهي مدينة طخارستان فصالحه أهلها على أربعمائة ألف وقيل سبعمائة ألف واستعمل على

وأتريب وهذه أسماء هذه المواضع الى هذه الغاية واختلطت الانساب وكثر ولد قبط وهم الاقباط فغلبوا على سائر الارض ودخل غيرهم في أنسابهم لما ذكرنا من الكثرة فقيل لكل قبط مصر وكل فريق منهم يعرف نسبه واتصاله بمصر بن بيصر بن حام بن نوح الى هذه الغاية ولما هلك قبط ابن مصر ملك بعده اشمون ابن مصر (ثم ملك بعده) صا بن مصر وملك بعده أتريب بن مصر (ثم ملك بعده) ماليق بن دارس (ثم ملك بعده) حرايا بن ماليق (ثم ملك بعده) كلكى بن حرايا وأقام في الملك نحوا من مائة سنة (ثم ملك بعده) أخ يقال له باليا بن حرايا (ثم ملك بعده) لوطيس ابن باليا نحوا من سبعين سنة (ثم ملكت بعده) ابنة له يقال لها حوريا بنت لوطيس نحوا من ثلاثين سنة (ثم ملكت بعدها) امرأة أخرى يقال لها ماموم وكثر ولد بيصر ابن حام بارض مصر فتشعبوا وملكوا النساء فطمعت فيهم ملوك الارض فسار اليهم من الشام ملك من ملوك العماليق يقال له الوليد بن دومع فكانت له

بلخ أسيد بن المتشمس ثم سار الى خوارزم وهي على نهر جيحون فلم يقدر عليها فاستشار أصحابه فقال له حضين بن المنذر قال عمرو بن معديكرب

اذا لم تستطع امرا فدعه ٭ وجاوزه الى ما تستطيع

فعاد الى بلخ وقد قبض أسيد صلحها ووافق وهو يجبيهم المهرجان فأهدوا له هدايا كثيرة من دراهم ودنانير ودواب وأواني وثياب وغير ذلك فقال لهم ما صالحنا كم على هذا فقالوا لا ولكن هذا شيء نفعله في هذا اليوم بأمرائنا فقال ما أدري ما هذا ولعله من حقي ولكن اقبضه حتى أنظر فقبضه حتى قدم الاحنف فأخبره فسألهم عنه فقالوا ما قالوا للاسيد فحمله الى ابن عامر وأخبره عنه فقال خذه يا أبا بحر قال لا حاجة لي فيه فأخذه ابن عامر قال الحسن البصري فضمه القرشي وكان مضما ولما تم لابن عامر هذا الفتح قال له الناس ما فتح لاحد ما فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وخراسان فقال لاجرم لاجعلن شكري لله على ذلك ان أخرج محرما من موقفي هذا فأحرم بعمرة من نيسابور وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم فسار قيس بعد شخوصه في أرض طخارستان فلم يأت بلدا منها الا صالحه أهله وأذعنوا له حتى أتى سمنجان فامتنعوا عليه فحصرهم حتى فتحها عنوة (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين حضين بن المنذر بالضاد المعجمة)

﴿ذكر فتح كرمان﴾

لما سار ابن عامر عن كرمان الى خراسان واستعمل مجاشع بن مسعود السلمي على كرمان على ما ذكرناه قبل أمره ان يفتحها وكان أهلها قد نكثوا وغدروا فافتتح هميد عنوة واستبقى أهلها واعطاهم أمانا وبنى بها قصرا يعرف بقصر مجاشع وأتى السيرجان وهي مدينة كرمان فأقام عليها أياما يسيرة وأهلها متحصنون فقاتلهم وفتحها عنوة فجلا كثير من اهلها عنها وفتح جيرفت عنوة وسار في كرمان فدوخ أهلها وأتى القفص وقد تجمع له خلق كثير من الاعاجم الذين جلوا فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم وهرب كثير من أهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بمكران وبعضهم بسجستان فأقطعت العرب منازلهم وأراضيهم فعمروها واحتفروا لها القني في مواضع منها وأدوا العشر منها

﴿ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما﴾

قد تقدم ذكر فتح سجستان أيام عمر بن الخطاب ثم ان أهلها نقضوا بعده فلما توجه ابن عامر الى خراسان سير اليها من كرمان الربيع بن زياد الحرثي فقطع المفازة حتى أتى حصن زالق فأغار على أهله يوم مهرجان وأخذ الدهقان فافتدى نفسه بأن غرز عنزة وغمرها ذهبا وفضة وصالحه على صلح فارس ثم أتى بلدة يقال لها كركويه فصالحه أهلها وسار الى زرنج فنزل على مدينة روشت بقرب زرنج فقاتله اهلها وأصيب رجال من المسلمين ثم انهزم المشركون وقتل منهم مقتلة عظيمة وأتى الربيع ناشروذ ففتحها ثم أتى شرواذ فغلب عليها وسار منها الى زرنج فنازلها وقاتله اهلها فهزمهم وحصرهم فأرسل اليه مرزبانها ليصالحه واستأمنه على نفسه ليحضر عنده فأمنه وجلس له الربيع على جسد من اجساد القتلى واتكأ على آخر وأمر اصحابه ففعلوا مثله فلما رآهم المرزبان هاله ذلك فصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ودخل المسلمون المدينة ثم سار منها الى سناروذ وهي واد فعبره واتى القرية التي بها مربط فرس رستم الشديد فقاتله أهلها فظفر بهم ثم عاد الى زرنج واقام بها نحو سنة وعاد الى ابن عامر واستخلف عليها عاملا فأخرج اهلها العامل

حروب بها وغلب على الملك فانقادوا اليه واستقام له الامر الى أن هلك (ثم ملك بعده) الريان بن الوليد العملاقي وهو فرعون يوسف وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرهما في كتابه العزيز وقد أتينا على شرح ذلك في كتابنا الاوسط (ثم ملك بعده) دارم بن الريان العملاقي (ثم ملك بعده) كامس بن معدان العملاقي (ثم ملك بعده) الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى وقد تنوزع فيه فمن الناس من رأى أنه من العماليق ومنهم من رأى انه من لخم من بلاد الشام ومنهم من رأى انه من الاقباط من ولد مصر بن بيصر وكان يعرف بظلما وقد أتينا على ذلك في الكتاب الاوسط وهلك فرعون غرقا حين خرج في طلب بني اسرائيل حين أخرجهم موسى بن عمران وجعل الله لهم طريقا في البحر يبسا ولما غرق فرعون ومن كان معه من الجنود وخشي من بقي بارض مصر من الذراري والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والمغرب فملكوا عليهم امرأة

وامتنعوا فكانت ولاية الربيع سنة ونصفا وسبى فيها اربعين ألف رأس وكان كاتبه الحسن البصرى فاستعمل ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس على سجستان فسار اليها فحصر زرنج فصالحه مرزبانها على ألفى ألف درهم وألفى وصيف وغلب عبد الرحمن على ما بين زرنج والكش من ناحية الهند وغلب من ناحية الرخج على ما بينه وبين الدوان فلما انتهى الى بلد الدوان حصرهم فى جبل الزور ثم صالحهم ودخل على الزور وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده وأخذ الياقوتتين ثم قال للمرزبان دونك الذهب والجوهر وانما أردت ان أعلمك انه لا يضر ولا ينفع وفتح كابل وزابلستان وهى ولاية غزنة ثم عاد الى زرنج فأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان فاستخلف عليها امير بن احمر اليشكرى وانصرف فاخرج اهلها امير بن احمر وامتنعوا ولامير يقول زياد بن الاعجم

لولا امير هلكت يشكر * ويشكر هلكى على كل حال

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة عثمان وفيها مات أبو الدرداء الانصارى وهو بدرى وقيل سنة اثنتين وثلاثين وفيها مات ابو طلحة الانصارى وهو بدرى وقيل سنة اثنتين وثلاثين وقيل سنة احدى وخمسين وفيها مات ابو أسيد الساعدى وقيل مات سنة ستين وهو على هذا القول آخر من مات من البدريين (أسيد بضم الهمزة) وفيها مات ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم وأخوه الطفيل وابو سفيان بن حرب بن امية وهو ابن ثمان وثمانين سنة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين﴾

قيل فى هذه السنة غزا معاوية بن أبى سفيان مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة بنت قرظة وقيل فاختة

﴿ذكر ظفر الترك وقتل عبد الرحمن بن ربيعة﴾

فى هذه السنة انتصرت الخزر والترك على المسلمين وسببه أن الغزوات لما تتابعت عليهم تذامروا وقالوا كنا لا يقرن بنا احد حتى جاءت هذه الامة القليلة فصرنا لا نقوم لها فقال بعضهم ان هؤلا لا يموتون وما أصيب منهم احد فى غزوهم وقد كان المسلمون غزوهم قبل ذلك فلم يقتل منهم أحد فلهذا ظنوا انهم لا يموتون فقال بعضهم افلا تجربون فكمنوا لهم فى الغياض فمر بالكمين نفر من الجند فرموهم منها فقتلوهم فتواعدوا الى حربهم ثم اتعدوا يوما وكان عثمان قد كتب الى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب ان الرعية قد ابطرها البطنة فلا تقتحم بالمسلمين فانى اخشى ان يقتلوا فلم يرجع عبد الرحمن عن مقصده فغزا نحو بلنجر وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وقتل عبد الرحمن وكان يقال له ذو النون وهو اسم سيفه فأخذ أهل بلنجر جسده وجعلوه فى تابوت فهم يستسقون به فلما قتل انهزم الناس وافترقوا فرقتين فرقة نحو الباب فلقوا سلمان بن ربيعة أخا عبد الرحمن كان قد سيره سعيد بن العاص مددا للمسلمين بأمر عثمان فلما لقوه نجوا معه وفرقة نحو جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسى وأبو هريرة وكان فى ذلك العسكر يزيد بن معاوية النخعى وعلقمة بن قيس ومعضد الشيبانى وأبو مفزر التميمى فى خباء واحد وعمرو بن عتبة وخالد بن ربيعة والحلحال بن درى والقرثع فى خباء فكانوا متجاورين فى ذلك العسكر وكان القرثع يقول ما أحسن لمع الدماء على الثياب وكان عمرو بن عتبة يقول لقباء عليه ما أحسن حمرة الدماء على بياضك ورأى يزيد بن معاوية أن غزالا جىء به لم ير أحسن منه فلف فى

ذات رأى وحزم يقال لها دلوكة فبنت على بلاد مصر حائطا يحيط بجميع البلاد وجعلت عليه المحارس والاجراس والرجال متصلة أصواتهم يقرب بعضهم من بعض وأثر هذا الحائط باق الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بحائط العجوز وقيل انما بنته خوفا على ولدها وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبوادى فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها وقد قيل فى ذلك من الوجوه غير ما ذكرنا فملكتهم ثلاثين سنة واتخذت بمصر البرابى والصور وأحكمت آلات السحر وجعلت فى البرابى صور من يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت أم خيلا وصورت ما يرد فى البحر من المراكب من بحر المغرب والشام وجمعت فى هذه البرابى العظيمة المشيدة البنيان اسرار الطبيعة وخواص الاحجار والنبات والحيوان من الحادية والبادية وجعلت ذلك فى أوقات حركات فلكية واتصالها بالمؤثرات العلوية وكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن

ملحفة ثم دفن فى قبر لم ير احسن منه عليه ثلاثة نفر قعود فلما استيقظ واقتتل الناس رمى بحجر فهشم رأسه فمات فكأنما زين ثوبه بالدماء وليس بتلطخ فدفن فى قبر على الصورة التى رأى وقال معضد لعلقمة أعرنى بردك اعصب به رأسى ففعل فأتى برج بلنجر الذى أصيب فيه يزيد فرماهم فقتل منهم وأتاه حجر عرادة ففضخ هامته فأخذه أصحابه فدفنوه الى جنب يزيد وأخذ علقمة البرد فكان يغسله فلا يخرج أثر الدم منه وكان يشهد فيه الجمعة ويقول يحملنى على هذا أن دم معضد فيه وأصاب عمرو بن عتبة جراحة فرأى قباءه كما اشتهى ثم قتل وأما القرثع فانه قاتل حتى خرق بالحراب فبلغ الخبر بذلك عثمان فقال انا لله انتكث أهل الكوفة اللهم تب عليهم وأقبل بهم وكان عثمان قد كتب الى سعيد بن العاص ان ينفذ سلمان الى الباب للغزو فسيره فلقى المهزومين على ما تقدم فنجاهم الله به فلما أصيب عبد الرحمن استعمل سعيد سلمان بن ربيعة على الباب واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان وأمدهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة فتأمر عليهم سلمان وأبى حبيب حتى قال أهل الشام لقد هممنا بضرب سلمان فقال الكوفيون اذن والله نضرب حبيبا ونحبسه وان أبيتم كثرت القتلى فينا وفيكم وقال أوس بن مغراء فى ذلك

ان تضربوا سلمان نضرب حبيبكم * وان ترحلوا نحو ابن عفان نرحل

وان تقسطوا فالثغر ثغر أميرنا * وهذا أمير فى الكتائب مقبل

ونحن ولاة الامر كنا حماته * ليالى نرمى كل ثغر وننكل

واراد حبيب ان يتأمر على صاحب الباب كما يتأمر أمير الجيش اذا جاء من الكوفة فكان ذلك أول اختلاف وقع بين أهل الكوفة والشام وغزا حذيفة ثلاث غزوات فقتل عثمان فى الثالثة ولقيهم مقتل عثمان فقال حذيفة بن اليمان اللهم العن قتلته وشتامه اللهم انا كنا نعاتبه ويعاتبنا فاتخذوا ذلك سلما الى الفتنة اللهم لا تمتهم الا بالسيوف

﴿ذكر وفاة أبى ذر﴾

وفيها مات أبو ذر وكان قد قال لابنته استشرفى يا بنية هل ترين احدا قالت لا قال فما جاءت ساعتى بعد ثم أمرها فذبحت شاة ثم طبختها ثم قال اذا جاءك الذين يدفنونى فانه سيشهدنى قوم صالحون فقولى لهم يقسم عليكم أبو ذر أن لا تركبوا حتى تأكلوا فلما نضجت قدرها قال لها انظرى هل ترين أحدا قالت نعم هؤلاء ركب قال استقبلى بى الكعبة ففعلت فقال بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مات فخرجت ابنته فتلقتهم وقالت رحمكم الله اشهدوا أبا ذر قالوا واين هو فاشارت اليه قالوا نعم ونعمة عين لقد أكرمنا الله بذلك وكان فيهم ابن مسعود فبكى وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت وحده ويبعث وحده فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وقالت لهم ابنته ان ابا ذر يقرأ عليكم السلام وأقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا ففعلوا وحملوا أهله معهم حتى اقدموهم مكة ونعوه الى عثمان فضم ابنته الى عياله وقال يرحم الله أبا ذر ويغفر له نزوله الربذة ولما حضر واشموا من الخباء ريح مسك فسألوها عنه فقالت انه لما حضر قال ان الميت يحضره شهود يجدون الريح لا يأكلون فدوفى لهم مسكا بماء ورش به الخباء وكان النفر الذين شهدوه ابن مسعود وأبا مفزر وبكر بن عبد الله التميميين والاسود بن يزيد وعلقمة بن قيس ومالك الاشتر النخعيين والحلحال الضبى والحرث بن سويد التميمى وعمرو بن عتبة السلمى وابن ربيعة السلمى وأبا رافع المزنى وسويد بن شعبة التميمى ويزيد بن معاوية النخعى واخا القرثع الضبى وأخا معضد الشيبانى وقيل كان موته سنة احدى وثلاثين وقيل ان ابن مسعود لم يحمل أهل أبى ذر معه

عورت تلك الصورة التى فى البرابى من الابل وغيرها فيتعور ما فى ذلك الجيش وينقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل فى تلك الصورة التى من تلك الجهة التى أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث فى ذلك الجيش من الآفات فى ناسه وحيوانه ما صنع فى تلك الصور التى من تلك الجهة وكذلك ما ورد من جيوش الغرب وما ورد فى البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهابتهم الملوك والامم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانها الزوم اقطار هذه المملكة وأحكامها السياسية وقد تكلم الناس فيما سلف وخلف فى هذه الخواص وأسرار الطبيعة التى كانت ببلاد مصر وهذا الخبر من فعل العجوز عند المصريين مستفيض لا يشكون فيه والبرابى بمصر من صعيدها وغيره باقية الى هذا الوقت وفيها أنواع الصور مما اذا صورت فى بعض الاشياء احدثت افعالا على حسب ما رسمت له ووضعت من أجله على حسب قولهم فى الطباع

انغماركهم حتى قدم على عثمان بمكة فاعلمه بعونه فجعل عثمان طريقه عليه فحماهم معه

﴿ذكر خروج قارن﴾

ثم جمع قارن جمعا كثيرا من ناحية الطبسين وأهل باذغيس وهراة وقهستان واقبل فى أربعين ألفا فقال قيس لابن خازم ماترى قال أرى أن تخلى البلاد فانى أميرها ومعى عهد من ابن عامر اذا كانت حرب بخراسان فانا أميرها وأخرج كتابا كان قد افتعله عمدا فكره قيس منازعته وخلاه والبلاد وأقبل الى ابن عامر فلامه ابن عامر وقال قد تركت البلاد خرابا واقبلت قال جاءنى بعهد منك قال فسار ابن خازم الى قارن فى أربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك فلما قرب من قارن أمر الناس ان يدرج كل رجل منهم على زج رمحه خرقة أوقطنا ثم يكثروا دهنه ثم سار حتى أمسى فقدم مقدمته ستمائة ثم اتبعهم وأمر الناس فاشعلوا النيران فى اطراف الرماح فانتهت مقدمته الى معسكر قارن نصف الليل فناوشوهم وهاج الناس على دهش وكانوا آمنين من البيات ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران يمنة ويسرة تتقدم وتتأخر وتنخفض وترتفع فهالهم ذلك ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين فقتل قارن فانهزم المشركون واتبعوهم يقتلونهم كيف شاؤا وأصابوا سبيا كثيرا وكتب ابن خازم بالفتح الى ابن عامر فرضى وأقره على خراسان فلبث عليها حتى انقضى امر الجمل وأقبل الى البصرة فشهد وقعة ابن الحضرمى وكان معه فى دار سنبيل وقيل لما جمع قارن استشار قيس بن الهيثم عبد الله بن خازم فيما يصنع فقال أرى انك لا تطيق كثرة من قد أتانا فاخرج بنفسك الى ابن عامر فتخبره بكثرة العدو ونقيم نحن فى الحصون ونطاولهم و يأتينا مددكم فخرج قيس فلما أمعن أظهر ابن خازم عهدا وقال قد ولانى ابن عامر خراسان وسار الى قارن فظفر به وكتب بالفتح الى ابن عامر فاقره على خراسان ولم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالح من أهل خراسان فاذا عادوا تركوا أربعة آلاف نجدة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفى هذه السنة مات العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم وكان عمره يوم مات ثمانيا وثمانين سنة كان اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وفيها مات عبد الرحمن بن عوف وعمره خمس وسبعون سنة وعبد الله بن مسعود وصلى عليه عمار بن ياسر وقيل عثمان وتوفى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الذى أرى الاذان

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين﴾

فى هذه السنة كانت غزوة معاوية حصن المرأة من أرض الروم بناحية ملطية وفيها كانت غزوة عبد الله بن سعد افريقية الثانية حين نقض أهلها العهد وفيها كان مسير الاحنف الى خراسان وفتح المروين ومسير ابن عامر الى نيسابور وفتحها فى قول بعضهم وقد تقدم ذكر ذلك وفيها كانت غزوة قبرس فى قول بعضهم وقد تقدم ذكرها مستوفى وقيل ان فتحها كان سنة ثمان وعشرين فلما كان سنة اثنتين وثلاثين أعان أهلها الروم على الغزاة فى البحر بمراكب أعطوهم اياها فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين ففتحها عنوة فقتل وسبى ثم اقرهم على صلحهم وبعث اليهم اثنى عشر ألفا فبنوا المساجد وبنى مدينة وقيل كانت غزوته الثانية سنة خمس وثلاثين

﴿ذكر تسيير من سير من أهل الكوفة الى الشام﴾

وفى هذه السنة سير عثمان نفرا من أهل الكوفة الى الشام وكان السبب فى ذلك ان سعيد بن العاص لما ولاه عثمان الكوفة حين شهد على الوليد بشرب الخمر أمره ان يسير الوليد اليه فقدم

الشام والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودى) وأخبرنى غير واحد من بلاد اخميم من صعيد مصر عن أبى الفيض ذى النون ابن ابراهيم المصرى الاخميمى الزاهد وكان حكيما وكان له طريقة وأتى بها ونحلة يعضدها وكان ممن يقرأ عن اخبار هذه البرابى ودارها وامتحن كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور قال رأيت فى بعض البرابى كتابا تدبرته فاذا هو احذر العبيد المعتقين والاحداث المقربين والجند المتعبدين والنبط المستعربين قال ورأيت فى بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدر المقدر والقضاء يضحك وزعم انه رأى فى آخره كتابة وتبينها فى ذلك القلم الاول فوجدها

تدبر بالنجوم ولست تدرى ورب النجم يفعل مايريد

وكانت هذه الامة التى اتخذت هذه البرابى لحجة بالنظر فى أحكام النجوم مواظبين على معرفة أسرار الطبيعة وكان عندها مما دلت عليه أحكام النجوم ان طوفانا سيكون فى الارض ولم يقطع بان ذلك الطوفان ما هو انار تأتى على الارض فتحرق

سعيد الكوفة وسير الوليد وغسل المنبر فنهاه رجال من بنى أمية كانوا قد خرجوا معه عن ذلك فلم يجبهم واختار سعيد وجوه الناس وأهل القادسية وقراء أهل الكوفة فكان هؤلاء دخلته داخلا وأما اذا خرج فكل الناس يدخل عليه فدخلوا عليه يوما فبيناهم يتحدثون قال حبيش بن فلان الاسدى ما أجود طلحة بن عبيد الله فقال سعيد ان من له مثل النشاستج لحقيق أن يكون جوادا والله لو ان لى مثله لاعاشكم الله به عيشا رغدا فقال عبد الرحمن بن حبيش وهو حدث والله لوددت ان هذا الملطاط لك يعنى لسعيد وهو ما كان للال كاسرة على جانب الفرات الذى يلى الكوفة فقالوا فض الله فاك والله لقد هممنا بك فقال أبوه غلام فلا تجازوه فقالوا يتمنى له سوادنا قال ويتمنى لكم أضعافه فثار به الاشتر وجندب وابن ذى الحبكة وصعصعة وابن الكواء وكميل وعمير بن ضابئ فاخذوه فثار أبوه ليمنع عنه فضربوهما حتى غشى عليهما وجعل سعيد يناشدهم و يأبون حتى قضوا منهما وطرا فسمعت بذلك بنو اسد فجاؤا وفيهم طليحة فاحاطوا بالقصر وركبت القبائل فعاذوا بسعيد فخرج سعيد الى الناس فقال ايها الناس قوم تنازعوا وقد رزق الله العافية فردهم فتراجعوا وأفاق الرجلان فقال أقاتلنا غاشيتك فقال لا يغشونى ابدا فكفا ألسنتكما ولا تجزئا الناس ففعلا وقعد أولئك النفر فى بيوتهم واقبلوا يقعون فى عثمان وقيل بل كان السبب فى ذلك انه كان يسمر عند سعيد بن العاص وجوه أهل الكوفة منهم مالك بن كعب الارحبى والاسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان ومالك الاشتر وغيرهم فقال سعيد انما هذا السواد بستان قريش فقال الاشتر أتزعم ان السواد الذى افاءه الله علينا باسيافنا بستان لك ولقومك وتكلم القوم معه فقال عبد الرحمن الاسدى وكان على شرطة سعيد أتردون على الامير مقالته واغلظ لهم فقال الاشتر من ههنا لا يفوتنكم الرجل فوثبوا عليه فوطؤه وطأ شديدا حتى غشى عليه ثم جروا برجله فنضح بماء فافاق فقال قتلنى من انتخبت فقال والله لا يسمر عندى أحد ابدا فجعلوا يجلسون فى مجالسهم يشتمون عثمان وسعيدا واجتمع اليهم الناس حتى كثروا فكتب سعيد واشراف اهل الكوفة الى عثمان فى اخراجهم فكتب اليهم ان يلحقوهم بمعاوية وكتب الى معاوية ان نفرا قد خلقوا للفتنة فاقم عليهم وانههم فان آنست منهم رشدا فاقبل وان اعيوك فارددهم على فلما قدموا على معاوية انزلهم كنيسة مريم واجرى عليهم ما كان لهم بالعراق بامر عثمان وكان يتغدى ويتعشى معهم فقال لهم يوما انكم قوم من العرب لكم اسنان وألسنة وقد أدركتم بالاسلام شرفا وغلبتم الامم وحويتم مواريثهم وقد بلغنى انكم نقمتم قريشا ولو لم تكن قريش كنتم اذلة ان أئمتكم لكم جنة فلا تفترقوا عن جنتكم وان أئمتكم يصبرون لكم على الجور ويحتملون منكم المؤنة والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم السوء ولا يحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية فى حياتكم وبعد وفاتكم فقال رجل منهم وهو صعصعة اما ماذكرت من قريش فانها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها فى الجاهلية فتخوفنا واما ماذكرت من الجنة فان الجنة اذا اخترقت خلص الينا فقال معاوية عرفتكم الآن وعلمت ان الذى اغراكم على هذا قلة العقول وانت خطيبهم ولا أرى لك عقلا أعظم عليك أمر الاسلام وتذكرنى بالجاهلية أخزى الله قوما عظموا أمركم افقهوا عنى ولا أظنكم تفقهون ان قريشا لم تعز فى جاهلية ولا اسلام الا بالله تعالى لم تكن باكثر العرب ولا أشدها ولكنهم كانوا أكرمهم احسابا وامحضهم انسابا وأكملهم مروأة ولم يمتنعوا فى الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا الا بالله فبوأهم حرما آمنا يتخطف الناس من حولهم هل تعرفون عربيا أو عجميا أو أسود أو أحمر الا وقد أصابه الدهر فى بلده وحرمته الا ما كان من قريش فانهم لم يردهم

ماعليها أو ماء فيغرقها أو سيف يبيد أهلها فخافت دثور العلوم وفناءها بفناء أهلها فاتخذت هذه البرابى واحدها بربى ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت بنيانها نوعين طينا وحجرا وفرزت ما يبنى بالطين مما يبنى بالحجر وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استحجر ما يبنى من الطين واحترق وبقيت هذه العلوم وان كان الطوفان الوارد ماء اذهب ما يبنى بالطين ويبقى ما يبنى بالحجارة وان كان الطوفان سيفا بقى كلا النوعين ماهو بالطين وماهو بالحجر وهذا ماقيل والله أعلم كان قبل الطوفان وان الطوفان الذى كانوا يرقبونه لم يعينوه أنارهو أم ماء أم سيف وكان سيفا أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيها وملك ينزل عليها فاباد أهلها ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المنضدة من الناس من صغير وكبير وذكر وانثى كالجبال العظام وهى المعروفة ببلاد تنيس من أرض مصر ذوات الكوم وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المكسين بعضهم على

أحد من الناس بكيد الا جعل الله خده الاسفل حتى أراد الله ان يستنقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه ثم ارتضى له أصحابا فكان خيارهم قريشا ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم فلا يصلح ذلك الا عليهم فكان الله يحوطهم فى الجاهلية وهم على كفرهم أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه اف لك ولاصحابك أما أنت يا صعصعة فان قريتك شر القرى أنتنها بيتا واعمقها واديا واعرفها بالشر وألأمها جيرانا لم يسكنها شريف وط ولا وضيع الا سب بها ثم كانوا ألأم العرب ألقابا واصهارا نزاع الامم وأنتم جيران الخط وفعلة فارس حتى أصابتكم دعوة النبى صلى الله عليه وسلم لم تسكن البحرين فتشركهم فى دعوة النبى صلى الله عليه وسلم فانت شر قومك حتى اذا أبرزك الاسلام وخلطك بالناس أقبلت تبغى دين الله عوجا وتنزع الى الذلة ولا يضر ذلك قريشا ولا يضعهم ولن يمنعهم من تادية ما عليهم ان الشيطان عنكم غير غافل قد عرفكم بالشر فاغرى بكم الناس وهو صارعكم ولا تدركون بالشر أمرا ابدا الا فتح الله عليكم شرا منه واخزى ثم قام وتركهم فتقاصرت اليهم انفسهم فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال انى قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم أحدا أبدا ولا يضره ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة فان أردتم النجاة فالزموا جماعتكم ولا يبطرنكم الانعام فان البطر لا يعتري الخيار اذهبوا حيث شئتم فسأكتب الى أمير المؤمنين فيكم فلما خرجوا دعاهم وقال لهم انى معيد عليكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصوما فولانى وأدخلنى فى أمره ثم استخلف أبو بكر فولانى ثم استخلف عمر فولانى ثم استخلف عثمان فولانى ولم يولنى أحد الا وهو عنى راض وانما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم للاعمال أهل الجزاء من المسلمين والغنى وان الله ذو سطوات ونقمات يمكر بمن مكر به فلا تعرضوا الامر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون فان الله غير تارككم حتى يختبركم ويبدى للناس سرائركم وكتب معاوية الى عثمان انه قدم على اقوام ليست لهم عقول ولا اديان اضجرهم العدل لا يريدون الله بشئ ولا يتكلمون بحجة انما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة والله مبتليهم ومختبرهم ثم فاضحهم ومخزيهم وليسوا بالذين ينكون احدا الا مع غيرهم فانه سعيدا ومن عنده عنهم فانهم ليسوا الا كثر من شغب ونكير فخرجوا من دمشق فقالوا لا ترجعوا بنا الى الكوفة فانهم يشمتون بنا ولكن ميلوا الى الجزيرة فسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان على حمص فدعاهم فقال يا آلة الشيطان لا مرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان محسورا وأنتم بعد نشاط خسر الله عبد الرحمن ان لم يؤدبكم يا معشر من لا ادرى أعرب هم أم عجم لا تقولوا لى ما بلغنى أنكم قلتم لمعاوية أنا ابن خالد بن الوليد أنا ابن من قد عجمته العاجمات أنا ابن فاقئ الردة والله لئن بلغنى يا صعصعة ان أحدا ممن معى دق أنفك ثم غمصك لاطيرن بك طيرة بعيدة المهوى فاقامهم شهرا كلما ركب أمشاهم فاذا مر به صعصعة قال يا ابن الخطيئة أعلمت ان من لم يصلحه الخير أصلحه الشر مالك لا تقول كما بلغنى انك قلت لسعيد ومعاوية فيقولون نتوب الى الله أقلنا أقالك الله فما زالوا به حتى قال تاب الله عليكم وسرح الاشتر الى عثمان فقدم اليه تائبا فقال له عثمان احلل حيث شئت فقال مع عبد الرحمن بن خالد فقال ذلك اليك فرجع اليه قيل وقد روى أيضا نحو ما تقدم وزادوا فيه ان معاوية لما عاد اليهم من القابلة وذكرهم كان مما قال لهم وانى والله لا آمركم بشئ الا وقد بدأت فيه بنفسى وأهل بيتى وقد عرفت قريش ان أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها الا ما جعل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فانه انتخبه وأكرمه وانى لاظن ان أبا سفيان لو ولد الناس لم يلد الا حازما فقال صعصعة قد كذبت قد ولدهم خير من أبى سفيان من

خلقه

بعض فى كهوف وغيران ونواويس ومواضع كثيرة من الارض لا يدرى من أى الامم هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود تقول عنهم انهم من أوائلهم ولا المسلمون يدرون من هم ولا تاريخ ينبئ عن حالهم عليهم أثوابهم وكثيرا ما يوجد فى تلك الروابى والجبال من حليوم والبرابى ببلاد مصر بنيان قائم عجيب كالبربا المتخذة باخميم صعيد مصر وهو احد الموصوفين منها والبربا التى ببلاد اخميم والبربا التى ببلاد سمنود وغير ذلك والاهرام وطولها عظيم وبنيانها عجيب عليها أنواع من الكتابات باقلام الامم السالفة والممالك الدائرة لا يدرى ما تلك الكتابة ولا ما المراد بها وقد قال من عنى بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع ذهابها فى الجو نحو من أربعمائة ذراع أو أكثر وكلما علا به الصعداء دق ذلك والغرض مما وصفنا عليها من الرسوم ما ذكرنا وان ذلك علوم وخواص وسحر واسرار للطبيعة وان من تلك الكتابة مكتوب انا بنيناها فمن يدعى موازاتنا فى الملك وبلوغنا فى القدرة

خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له وكان فيهم البر والفاجر والاحمق والكيس فخرج تلك الليلة من عندهم ثم أتاهم القابلة فتحدث عندهم طويلا ثم قال أيها القوم ردوا خيرا أو اسكتوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهاليكم والمسلمين فاطلبوه فقال صعصعة لست بأهل ذلك ولا كرامة لك ان نطاع فى معصية الله فقال أليس أول ما ابتدأتكم به ان أمرتكم بتقوى الله وطاعة نبيه وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا قالوا بل امرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى آمركم الآن ان كنت فعلت فاتوب الى الله وآمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ولزوم الجماعة وان توقروا أئمتكم وتدلوهم على أحسن ما قدرتم عليه فقال صعصعة فانا نامرك ان تعتزل عملك فان فى المسلمين من هو أحق به منك من كان أبوه احسن قدما فى الاسلام من أبيك وهو أحسن فى الاسلام قدما منك فقال والله ان لى فى الاسلام قدما ولغيرى كان أحسن قدما منى ولكنه ليس فى زمانى احد أقوى على ما أنا فيه منى ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلو كان غيرى أقوى منى لم تكن عند عمر هوادة لى ولا لغيرى ولم أحدث من الحدث ما ينبغى لى ان اعتزل عملى ولو رأى ذلك امير المؤمنين لكتب الى فاعتزلت عمله فهلا فان فى ذلك واشباهه ما يتمنى الشيطان ويأمر ولعمرى لو كانت الامور تقضى على رأيكم وأمانيكم ما استقامت لاهل الاسلام يوما ولا ليلة فعاودوا الخير وقولوه وان لله لسطوات وانى لخائف عليكم ان تتابعوا فى مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن فيحلكم ذلك دار الهوان فى العاجل والآجل فوثبوا عليه واخذوا رأسه ولحيته فقال مه ان هذه ليست بأرض الكوفة والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بى ما ملكت ان انهاهم عنكم حتى يقتلوكم فلعمرى ان صنيعكم ليشبه بعضه بعضا ثم قام من عندهم وكتب الى عثمان نحو الكتاب المتقدم فكتب اليه عثمان يامره ان يردهم الى سعيد بن العاص بالكوفة فردهم فاطلقوا ألسنتهم فضج سعيد منهم الى عثمان فكتب اليه عثمان أن يسيرهم الى عبد الرحمن بن خالد بحمص فسيرهم اليها فانزلهم عبد الرحمن واجرى عليهم رزقا وكانوا الاشتر وثابت بن قيس الهمدانى وكميل بن زياد وزيد بن صوحان وأخاه صعصعة وجندب بن زهير الغامدى وجندب بن كعب الازدى وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعى وابن الكواء قيل سأل معاوية ابن الكواء عن نفسه فقال أنت بعيد الثرى كثير المرعى طيب البديهة بعيد الغور الغالب عليك الحلم ركن من أركان الاسلام سدت بك فرجة مخوفة قال فاخبرنى عن أهل الاحداث من الامصار فانك اعقل أصحابك قال أما أهل المدينة فهم أحرص الامة على الشر واعجزهم عنه وأما أهل الكوفة فانهم يردون جميعا ويصدرون شتى وأما أهل مصر فهم أوفى الناس بشر واسرعهم ندامة واما أهل الشام فهم أطوع الناس لمرشدهم واعصاهم لمغويهم

(ذكر تسيير من سير من أهل البصرة الى الشام)

ولما مضت ثلاث سنين من امارة عبد الله بن عامر بلغه ان رجلا نزل على حكيم بن جبلة العبدى وكان عبد الله بن سبا المعروف بابن السوداء هو الرجل النازل عليه واجتمع اليه نفر فطرح اليهم ابن السوداء ولم يصرح فقبلوا منه فارسل اليه ابن عامر فساله من أنت فقال رجل من أهل الكتاب رغبت فى الاسلام وفى جوارك فقال ما يبلغنى ذلك اخرج عنى فخرج حتى أتى الكوفة فاخرج منها فقصد مصر فاستقر بها وجعل يكاتبهم ويكاتبونه وتختلف الرجال بينهم وكان حمران ابن أبان قد تزوج امرأة فى عدتها ففرق عثمان بينهما وضربه وسيره الى البصرة فلزم ابن عامر

وانتهلنا من السلطان فليهدمها وليزل رسمها فان الهدم ايسر من البناء والتفريق أيسر من التأليف وقد ذكر ان بعض ملوك الاسلام شرع فى هدم بعضها فاذا خراج مصر وغيرها لا يفى بقلعها وهى من الحجر والرخام والغرض فى كتابنا هذا الاخبار عن جمل الاشياء وجوامعها لا عن تفصيلها وبسطها وقد أتينا على سائر ما شاهدناه حسا فى مطافات الارض والممالك وما نمى الينا خبرا من الخواص واسرار الحيوان والنبات والجماد فى عجائب البلدان والآثار والبقاع فى كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب ولا تمانع بين ذوى الفهم ان فى مواضع من الارض مدنا وقرى لا يدخلها عقرب ولا حية مثل مدينة حمص ومعرة وبصرى وانطاكية وقد كان ببلاد انطاكية اذا أخرج انسان يده خارج السور وقع عليه البق فاذا جذبها الى داخل لم يبق على يده من ذلك شئ الى ان كسر عمود من الرخام فى بعض المواضع بها فاصيب فى أعلاه حق من نحاس فى

فتذاكروا يوما المرور بعامر بن عبد القيس فقال حمران ألا أسبقكم فأخبره فخرج فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف فقال الأمير يريد المرور بك فأحببت أن أعلمك فلم يقطع قراءته فقام من عنده فلما انتهى الى الباب لقيه ابن عامر فقال انه لا يرى لآل ابراهيم عليه فضلا ودخل عليه ابن عامر فأطبق المصحف وحدثه فقال له ابن عامر ألا تغشانا فقال سعد بن أبي الفرحا يحب الشرف فقال ألا نستعملك فقال حصين بن الحر يحب العمل فقال ألا نزوجك فقال ربيعة بن عسل يعجبه النساء فقال ان هذا يزعم انك لا ترى لآل ابراهيم عليك فضلا ففتح المصحف فكان أول ما وقع عليه ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فسعى به حمران وأقام حمران بالبصرة ما شاء الله وأذن له عثمان فقدم المدينة ومعه قوم فسعوا بعامر بن عبد القيس انه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة فألحقه بمعاوية فلما قدم عليه رأى عنده ثريدا فأكل أكلا عربيا فعرف ان الرجل مكذوب عليه فعرف معاوية سبب اخراجه فقال أما الجمعة فاني أشهدها في مؤخر المسجد ثم أرجع في أوائل الناس وأما التزويج فاني خرجت وانا يخطب علي وأما اللحم فقد رأيت ولكني لا آكل ذبائح القصابين منذ رأيت قصابا يجر شاة الى مذبحها ثم وضع السكين على حلقها فما زال يقول النفاق النفاق حتى ذبحها قال فارجع قال لا أرجع الى بلد استحل أهله مني ما استحلوا فكان يكون في السواحل فكان يلقى معاوية فيكثر معاوية ان يقول ما حاجتك فيقول لا حاجة لي فلما أكثر عليه قال ترد علي من حر البصرة شيئا لعل الصوم ان يشتد علي فانه يخف علي في بلادكم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس عثمان وفيها مات المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى ان يصلي عليه الزبير وفيها توفي الطفيل والحصين ابنا الحرث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف شهدا بدرا وأحدا وقيل ماتا سنة احدى وثلاثين وقيل اثنتين وثلاثين

﴿ثم دخلت سنة أربع وثلاثين﴾

قيل فيها كانت غزوة الصواري في قول بعضهم وقد تقدم ذكرها وفيها تكاتب المنحرفون عن عثمان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون انهم نقموا عليه

﴿ذكر الخبر عن ذلك وعن يوم الجرعة﴾

قد ذكرنا خبر المسيرين من الكوفة ومقامهم عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ووفد سعيد بن العاص الى عثمان سنة احدى عشرة من خلافة عثمان وكان سعيد قد ولى قبل مخرجه الى عثمان بسنة وبعض أخرى الأشعث بن قيس اذربيجان وسعد بن قيس الري والنسير العجلي همذان والسائب بن الأقرع أصبهان ومالك بن حبيب ماه وحكيم بن سلام الحزامي الموصل وجرير بن عبد الله قرقيسيا وسلمان بن ربيعة الباب وجعل القعقاع بن عمرو على الحرب وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وخلت الكوفة من الرؤساء فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان ومعه الذين كان ابن السوداء يكاتبهم فأخذه القعقاع بن عمرو فقال انما نستعفي من سعيد فقال أما هذا فنعم فتركه وكاتب يزيد المسيرين في القدوم عليه فسار الأشتر والذين عند عبد الرحمن بن خالد فسبقهم الأشتر فلم يفجأ الناس يوم الجمعة الا والأشتر على باب المسجد يقول جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان وتركت سعيدا يريده على نقصان نسائكم على مائة درهم ورد أولي البلاء منكم الى ألفين ويزعم

داخله بق مصور من نحاس نحو كف فأمضت أيام أو على الفور من ذلك حتى صار البق في وقتنا هذا هم الأكثر من دورهم وهذا حجر المغناطيس يجذب الحديد ولقد رأيت بمصر حية مصورة من حديد أو نحاس توضع على شيء ويدنى منها حجر المغناطيس فيحدث فيها حركة تباعد منه وحجر المغناطيس اذا أصابته رائحة الثوم بطل فعله في الحديد واذا غسل بشيء من الخل أو ناله شيء من عسل النحل عاد الى فعله الأول من جذب الحديد وللمغناطيس في الحديد خواص عجيبة غير ما ذكرنا كالحجر الماص للدم والله عز وجل قد استأثر بعلم الأشياء وأظهر للعباد ما شاء مما لهم فيه الصلاح على قدر الوقت وحاجتهم فيه اليه وأشياء استأثر بعلمها لم يظهرها لخلقه فلا تقف العقول على كنهها وكما يجمع بين أشياء فيحدث لاجتماعها معنى هو غيرها كما يحدث من ماء العفص والزاج عند الاجتماع من شدة السواد وكحدوث جوهر الزجاج عند جمعنا بين الرمل والمغنيسيا والقلى

ان فيكم بستان قريش فاستخف الناس وجعل أهل الرأي ينهونهم فلا يسمع منهم فخرج يزيد وأمر مناديا ينادي من شاء ان يلحق بيزيد لرد سعيد فليفعل فبقي أشراف الناس وحلماؤهم في المسجد وعمرو بن حريث يومئذ خليفة سعيد فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأمرهم بالاجتماع والطاعة فقال له القعقاع أترد السيل عن أدراجه هيهات لا والله لا يسكن الغوغاء الا المشرفية ويوشك ان تنتضى ويعجون عجيج العيدان ويتمنون ما هم فيه اليوم فلا يرده الله عليهم أبدا فاصبر قال أصبر وتحول الى منزله وخرج يزيد بن قيس فنزل الجرعة وهي قريب من القادسية ومعه الأشتر فوصل اليهم سعيد بن العاص فقالوا لا حاجة لنا بك قال انما كان يكفيكم ان تبعثوا الى أمير المؤمنين رجلا والي رجلا وهل يخرج الألف لهم عقول الى رجل واحد ثم انصرف عنهم وأحسوا بمولى له على بعير قد حسر فقال والله ما كان ينبغي لسعيد ان يرجع فقتله الأشتر ومضى سعيد حتى قدم على عثمان فأخبره بما فعلوا وانهم يريدون البدل وانهم يختارون أبا موسى فجعل أبا موسى الأشعري أميرا وكتب اليهم أما بعد فقد أمرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد والله لأفرشنكم عرضي ولأبذلن لكم صبري ولأستصلحنكم بجهدي فلا تدعوا شيئا أحببتموه لا يعصى الله فيه الا سألتموه ولا شيئا كرهتموه لا يعصى الله فيه الا ما استعفيتم منه أنزل فيه عند ما أحببتم حتى لا يكون لكم على الله حجة ولنصبرن كما أمرنا حتى تبلغوا ما تريدون ورجع من الأمراء من قرب من الكوفة فرجع جرير من قرقيسيا وعتيبة بن النهاس من حلوان وخطبهم أبو موسى وأمرهم بلزوم الجماعة وطاعة عثمان فأجابوا الى ذلك وقالوا صل بنا فقال لا الا على السمع والطاعة لعثمان قالوا نعم فصلى بهم وأتاه ولايته فولاهم وقيل سبب يوم الجرعة انه كان قد اجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا أعمال عثمان فأجمع رأيهم فأرسلوا اليه عامر بن عبد الله التميمي ثم العنبري وهو الذي يدعى عامر بن عبد القيس فأتاه فدخل عليه فقال له ان ناسا من المسلمين اجتمعوا ونظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أمورا عظاما فاتق الله وتب اليه فقال عثمان انظروا الى هذا فان الناس يزعمون انه قارئ ثم هو يجيء يكلمني في المحقرات والله ما يدري أين الله فقال عامر بلى والله اني لأدري ان الله لبالمرصاد فأرسل عثمان الى معاوية وعبد الله بن سعد والى سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبد الله بن عامر فجمعهم فشاورهم وقال لهم ان لكل امرئ وزراء ونصحاء وانكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا الي ان أعزل عمالي وان أرجع عن جميع ما يكرهون الى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم فقال له ابن عامر أرى لك يا أمير المؤمنين ان تشغلهم بالجهاد عنك حتى يذلوا لك ولا يكون همة أحدهم الا في نفسه وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته وقال سعيد احسم عنك الداء فاقطع عنك الذي تخاف ان لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا ولا يجتمع لهم أمر فقال عثمان ان هذا هو الرأي لولا ما فيه وقال معاوية أشير عليك ان تأمر أمراء الأجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله وأكفيك أنا أهل الشام وقال عبد الله بن سعد ان الناس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم ثم قام عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين انك قد ركبت الناس بمثل بني أمية فقلت وقالوا وزغت وزاغوا فاعتدل أو اعتزل فان أبيت فاعتزم عزما وأقدم قدما فقال له عثمان ما لك قمل فروك أهذا الجد منك فسكت عمرو حتى تفرقوا فقال والله يا أمير المؤمنين لأنت أكرم علي من ذلك ولكني علمت ان بالباب من يبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت ان يبلغهم قولي فيثقوا بي فأقود اليك خيرا وأدفع عنك شرا فرد عثمان عماله الى أعمالهم وأمرهم بتجهيز الناس في البعوث وعزم على تحريم

عند الطبخ والسبك لذلك وكذلك لو جمع بين ماء القلي وماء المرتك وهو المرداسنج خرج الحادث من مزاجهما كالزبد بياضا واذا مزج ماء القلي بماء الزاج خرج من مزاجهما لون أحمر كالعصفر وكجمعنا في النتاج بين الفرس الأنثى والحمار فيحدث بغلا ولو نتج دابة على أتان لخرج منها بغل أفطس ذو خبث ودهاء يسمى الكودن وقد ذكرنا النتاج الذي كان بصعيد مصر مما يلي الحبشة وما كان ينتج من الثيران على الأتن والحمير على البقر وما كان يحدث من ذلك من الدواب العجيبة التي ليست بحمير ولا بقر كالبغل الذي ليس بدابة ولا حمار وقد ضربنا ضروب التوليدات في أنواع الحيوان والنبات من تطعيمهم الغروس والأشجار وما تولد من الطعوم في المذاق في كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب في أنواع الفلاحات وغيرها وذكرنا باب خواص الأشياء ومعرفتها والطلسمات وعجائبها وهو باب كبير في ذكر بعضه نيابة عن بعض والجزء منه يوهمك الكل واليسير منه يدلك على الكثير ويمكن والله أعلم أن تكون هذه

اعطياتهم ليطيعوه ورد سعيد الى الكوفة فلقيه الناس من الجرعة وردوه كما سبق ذكره قال أبو ثور الحدانى جلست الى حذيفة وأبى مسعود الانصارى بمسجد الكوفة يوم الجرعة فقال أبو مسعود ما أرى ان ترد على عقبيها حتى يكون فيها دماء فقال حذيفة والله لترد على عقبيها ولا يكون فيها محجمة دم وما أرى اليوم شيأ الا قد علمته والنبى صلى الله عليه وسلم حى فرجع سعيد الى عثمان ولم يسفك دم وجاء أبو موسى أميرا وأمر عثمان حذيفة بن اليمان ان يغزو الباب فسار نحوه

﴿ذكر ابتداء قتل عثمان﴾

فى هذه السنة تكاتب نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم بعضهم الى بعض ان أقدموا فان الجهاد عندنا وعظم الناس على عثمان ونالوا منه وليس أحد من الصحابة ينهى ولا يذب الا نفر منهم زيد بن ثابت وأبو أسيد الساعدى وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فاجتمع الناس فكلموا على بن أبى طالب فدخل على عثمان فقال له الناس ورائى وقد كلمونى فيك والله ما ادرى ما اقول لك ولا اعرف شيأ تجهله ولا ادلك على امر لا تعرفه انك لتعلم ما أعلم ما سبقناك الى شئ فنخبرك عنه ولا خلونا بشئ فنبلغكه وما خصصنا بامر دونك وقد رأيت وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت منه ونلت صهره وما ابن ابى قحافة باولى بالعمل منك بالحق ولا ابن الخطاب باولى بشئ من الخير منك وأنت أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحما ولقد نلت من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم ينالاه وما سبقاك الى شئ فالله الله فى نفسك فانك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهالة وان الطريق لواضح بين وان اعلام الدين لقائمة اعلم يا عثمان ان افضل عباد الله امام عادل هدى وهدى فاقام سنة معلومة وأمات بدعة متروكة فوالله ان كلا لبين وان السنن لقائمة لها اعلام وان البدع لقائمة لها اعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وأضل فامات سنة معلومة واحيا بدعة متروكة وانى احذرك الله وسطواته ونقماته فان عذابه شديد أليم واحذرك أن تكون امام هذه الامة الذى يقتل فيفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة ويلبس امورها عليها ويتركها شيعا لا يبصرون الحق لعلو الباطل يموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا فقال عثمان قد علمت والله ليقولن الذى قلت اما والله لو كنت مكانى ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك ولا جئت منكرا أن وصلت رحما وسددت خلة وآويت ضائعا ووليت شبيها بمن كان عمر يولى انشدك الله يا على هل تعلم ان المغيرة بن شعبة ليس هناك قال نعم قال فتعلم ان عمر ولاه قال نعم قال فلم تلومنى ان وليت ابن عامر فى رحمه وقرابته قال على ان عمر كان يطأ على صماخ من ولى ان بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به اقصى العقوبة وأنت لا تفعل ضعفت ورفقت على اقربائك قال عثمان وهم اقرباؤك أيضا فقال أجل ان رحمهم منى لقريبة ولكن الفضل فى غيرهم قال عثمان هل تعلم ان عمر ولى معاوية فقد وليته فقال على انشدك الله هل تعلم ان معاوية كان اخوف لعمر من يرفا غلام عمر له قال نعم قال على فان معاوية يقتطع الامور دونك ويقول للناس هذا أمر عثمان وأنت تعلم ذلك فلا تغير عليه ثم خرج على من عنده وخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر ثم قال أما بعد فان لكل شئ آفة ولكل أمر عاهة وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسترون عنكم ما تكرهون يقولون لكم ويقولون أمثال النعام يتبعون أول ناعق احب مواردهم اليهم البعيد لا يشربون الا نغصا ولا يردون الا عكرا يقوم لهم رائد وقد أعيتهم الامور ألا فقد والله عبتم على ما اقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم ولنت لكم وأوطأتكم

كنفى

الخواص والطلسمات والاشياء المحدثة فى العالم للحركات بما وصفنا والدافعة والمانعة والمنفردة والجاذبة والفاعلة فى الحيوان وغير ذلك مثل الطرد والجذب كانت دلالة لبعض الانبياء فى الامم الخالية جعلها الله كذلك لذلك النبى دلالة ومعجزة تدل على صدقه وتبيينه من غيره ليؤدى عن الله أمره ونهيه وما فيه من الصلاح لخلقه فى ذلك الوقت ثم رفع الله ذلك الشئ وبقيت علومه وما أبانه الله عز وجل مما ذكرنا فى أيدى الناس وأصل ذلك المعنى كما وصفنا اذ كان ما ذكرنا ممكنا غير واجب ولا ممتنع فى القدرة (قال المسعودى) فلنرجع الى ما كنا فيه من أخبار ملوك مصر وكان الملك بعد انقضاء ملك دلوكة العجوز دركوش بن ملوطش (ثم ملك بعده) نورش بن دركوش (ثم ملك بعده) لعس بن نورش نحوا من خمسين سنة (ثم ملك بعده) دسابن نورش نحوا من عشرين سنة (ثم ملك بعده) ابنه ملوطس عشرين سنة (ثم ملك بعده) مكاكيل وكانت له حروب ومسير فى الارض وهو فرعون الاعرج الذى غزا بنى اسرائيل وخرب بيت المقدس (ثم

كنفى وكففت يدى ولسانى عنكم فاجترأتم على اما والله لانا أعز نفرا وأقرب ناصرا وأكثر عددا واحرى ان قلت هلم أتى الى ولقد عددت لكم اقرانا وأفضلت عليكم فضولا وكشرت لكم عن نابى واخرجتم منى خلقا لم اكن احسنه ومنطقا لم أنطق به فكفوا عنى ألسنتكم وعيبكم وطعنكم على ولاتكم فانى كففت عنكم من لو كان هو الذى يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقى هذا الا فما تفقدون من حقكم والله ما قصرت عن بلوغ ما بلغ من كان قبلى ولم تكونوا تختلفون عليه فقام مروان بن الحكم فقال ان شئتم حكمنا والله ما بيننا وبينكم السيف نحن وانتم والله كما قال الشاعر

فرشنا لكم اعراضنا فنبت بكم ❊ مغارسكم تبنون فى دمن الثرى

فقال عثمان اسكت لا سكت دعنى وأصحابى ما منطقك فى هذا الم اتقدم اليك أن لا تنطق فسكت مروان ونزل عثمان عن المنبر فاشتد قوله على الناس وعظم وزاد تألبهم عليه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج هذه السنة بالناس عثمان وفى هذه السنة توفى كعب الاحبار وهو كعب بن مانع واسلم أيام عمر وفيها مات أبو عبس عبد الرحمن بن جبر الانصارى شهد بدرا وفيها مات مسطح بن أثاثة المطلبى وهو ابن ست وخمسين سنة وقيل بل عاش وشهد صفين مع على وهو الاكثر وكان بدريا وفيها توفى عبادة بن الصامت الانصارى وهو ممن شهد العقبة وكان نقيبا بدريا وعاقل بن البكير وهو بدرى أيضا

﴿ثم دخلت سنة خمس وثلاثين﴾

﴿ذكر مسير من سار الى حصر عثمان﴾

قيل فى هذه السنة كان مسير من سار من أهل مصر الى ذى خشب ومسير من سار من أهل العراق الى ذى المروة وكان سبب ذلك ان عبد الله بن سبا كان يهوديا واسلم أيام عثمان ثم تنقل فى الحجاز ثم بالبصرة ثم بالكوفة ثم بالشام يريد اضلال الناس فلم يقدر منهم على ذلك فاخرجه أهل الشام فاتى مصر فاقام فيهم وقال لهم العجب ممن يصدق ان عيسى يرجع ويكذب ان محمدا يرجع فوضع لهم الرجعة فقبلت منه ثم قال لهم بعد ذلك انه كان لكل نبى وصى وعلى وصى محمد فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصيه وان عثمان أخذها بغير حق فانهضوا فى هذا الامر وابدؤا بالطعن على امرائكم واظهروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا به الناس وبث دعاته وكاتب من استفسد فى الامصار وكاتبوه ودعوا فى السر الى ما عليه رأيهم وصاروا يكتبون الى الامصار بكتب يضعونها فى عيب ولاتهم ويكتب أهل كل مصر منهم الى مصر آخر بما يصنعون حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا بذلك الارض اذاعة فيقول أهل كل مصر انا لفى عافية مما ابتلى به هؤلاء الا أهل المدينة فانه جاءهم ذلك عن جميع الامصار فقالوا انا لفى عافية مما فيه الناس فاتوا عثمان فقالوا يا امير المؤمنين ايأتيك عن الناس الذى يأتينا فقال ما جاءنى الا السلامة وأنتم شركائى وشهود المؤمنين فاشيروا على قالوا نشير عليك ان تبعث رجالا ممن تثق بهم الى الامصار حتى يرجعوا اليك باخبارهم فدعا محمد بن مسلمة فارسله الى الكوفة وارسل أسامة ابن زيد الى البصرة وارسل عمار بن ياسر الى مصر وارسل عبد الله بن عمر الى الشام وفرق رجالا سواهم فرجعوا جميعا قبل عمار فقالوا ما أنكرنا شيأ أيها الناس ولا انكره اعلام المسلمين ولا عوامهم وتأخر عمار حتى ظنوا انه قد اغتيل فوصل كتاب من عبد الله بن أبى سرح يذكر ان عمارا قد استماله قوم وانقطعوا اليه منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة ابن بشر فكتب عثمان الى أهل الامصار انى آخذ عمالى بموافاتى كل موسم وقد رفع الى أهل

ملك بعده) مرينوس وكانت له حروب كثيرة بالمغرب (ثم ملك بعده) نقاس بن مرينوس ثمانين سنة (ثم ملك بعده) قومس بن نقاس عشر سنين (ثم ملك بعده) كاميل وكانت له حروب مع ملوك المغرب وغزاه البخت ناصر مرزبان المغرب من قبل ملوك فارس فخرب أرضه وقتل رجاله وسار البخت ناصر نحو المغرب وقد أتينا على أخباره فى كتاب راحة الارواح لان هذا الكتاب رسمناه باخبار مسير الملوك للارض وأخبار مقاتلتهم دون ما ذكرنا فى كتابنا فى أخبار الزمان ولم يزل أمر البخت ناصر ومن معه من جنود فارس ملكت الروم مصر وغلبت عليها فتنصر أهلها فلم يزالوا على ذلك الى أن ملك كسرى انو شروان فغلبت جيوشه على الشام وسارت نحو مصر فملكوها وغلبوا على أهلها نحوا من عشرين سنة وكانت بين الروم وفارس حروب كثيرة فكان أهل مصر يؤدون خراجين خراجا الى فارس وخراجا الى الروم عن بلادهم ثم انجلت فارس عن مصر والشام لامر حدث فى دار مملكتهم فغلب الروم على مصر

المدينة ان اقواما يشتمون ويضربون فمن ادعى شيأ من ذلك فليواف الموسم يأخذ حقه حيث كان
مني أو من عمالي او تصدقوا فان الله يجزي المتصدقين فلما قرئ في الامصار بكى الناس ودعوا
لعثمان وبعث الى عمال الامصار فقدموا عليه في الموسم عبد الله بن عامر وعبد الله بن سعد ومعاوية
وادخل معهم سعيد بن العاص وعمرا فقال ويحكم ما هذه الشكاية والاذاعة اني والله لخائف أن
تكونوا مصدوقا عليكم وما يعصب هذا الا بي فقالوا له ألم تبعث ألم يرجع اليك الخبر عن العوام ألم
يرجع رسلك ولم يشافههم أحد بشئ والله ما صدقوا ولا بروا ولا نعلم لهذا الامر أصلا ولا يحل الاخذ
بهذه الاذاعة فقال أشيروا على فقال سعيد هذا أمر مصنوع يلقى في السر فيتحدث به الناس
ودواء ذلك طلب هؤلاء وقتل الذين يخرج هذا من عندهم وقال عبد الله بن سعد خذ من الناس
الذي عليهم اذا أعطيتهم الذي لهم فانه خير من أن تدعهم وقال معاوية قد وليتني فوليت قوما
ولا يأتيك عنهم الا الخير والرجلان أعلم بناحيتهما والرأى حسن الادب وقال عمرو أرى أنك قد
لنت لهم ورخيت عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى ان تلزم طريقة صاحبيك فتشد
في موضع الشدة وتلين في موضع اللين فقال عثمان قد سمعت كل ما أشرتم به على ولكل أمر باب
يؤتى منه ان هذا الامر الذي يخاف على هذه الامة كائن وان بابه الذي يغلق عليه ليفتحن
فنكفكفه باللين والمواتاة الا في حدود الله فان فتح فلا يكون لاحد على حجة وقد علم الله اني لم آل
الناس خيرا وان رحى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان ان مات ولم يحركها اسكنوا الناس وهبوا لهم
حقوقهم فاذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها فلما نفر عثمان وشخص معاوية والامراء معه
واستقل على الطريق رجز به الحادي فقال

قد علمت ضوامر المطي * وضمرات عوج القسي
ان الامير بعده علي * وفي الزبير خلف رضي

فقال كعب كذبت بل يلي بعده صاحب البغلة الشهباء يعني معاوية فطمع فيها من يومئذ فلما قدم
عثمان المدينة دعا عليا وطلحة والزبير وعنده معاوية فحمد الله معاوية ثم قال أنتم أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وخيرته من خلقه وولاة أمر هذه الامة لا يطمع فيه أحد غيركم اخترتم
صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع وقد كبر وولى عمره ولو انتظرتم به الهرم لكان قريبا مع اني ارجو ان
يكون أكرم على الله من ان يبلغ به ذلك وقد فشت مقالة (٣) خفتها عليكم فما عتبتم فيه من شئ فهذه يدي
لكم به ولا تطمعوا الناس في أمركم فوالله لئن طمعوا فيه لا رأيتم منها أبدا الا ادبارا فقال على مالك
ولذلك لا أم لك قال دع أمي فانها ليست بشر أمهاتكم قد أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم
وأجبني عما أقول لك فقال عثمان صدق ابن أخي انا أخبركم عني وعما وليت ان صاحبي اللذين
كانا قبلي ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتسابا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يعطي قرابته وانا في رهط أهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدي في شئ من ذلك المال القوم فيه فان
رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمري لامركم تبع فقالوا له قد أصبت وأحسنت قد أعطيت عبد الله بن خالد
ابن أسيد خمسين ألفا وأعطيت مروان خمسة عشر ألفا فخذ منهما ذلك فرضوا وخرجوا راضين
وقال معاوية لعثمان اخرج معي الى الشام فانهم على الطاعة قبل ان يهجم عليك ما لا قبل لك به
فقال لا أبيع جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ وان كان فيه خيط عنقي قال فان بعثت
اليك جندا منهم يقيم معك لنائبة ان نابت قال لا اضيق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال والله لتغتالن ولتغزين فقال حسبي الله ونعم الوكيل ثم خرج معاوية فمر على نفر من المهاجرين

والشام وأشهروا
النصرانية فشمل ذلك من
بالشام ومصر الى ان أتى
الله بالاسلام وكان من أمر
المقوقس صاحب القبط
مع النبي صلى الله عليه
وسلم من الهدايا ما كان
الى ان افتتحها عمرو بن
العاص ومن كان معه في
خلافة عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فبنى عمرو
ابن العاص الفسطاط وهو
قصبة مصر في هذا الوقت
وكان ملك مصر وهو
المقوقس صاحب القبط
ينزل اسكندرية في بعض
فصول السنة وفي بعضها
مدينة منف وفي بعضها
قصر الشمع وهو اليوم
يعرف بهذا الاسم في وسط
مدينة الفسطاط ولعمرو
ابن العاص في فتح مصر
اخبار وما كان بينه وبين
المقوقس وقصة لقصر الشمع
وغير ذلك من أخبار مصر
والاسكندرية وما كان
من حروب المسلمين في
ذلك ودخول عمرو
ابن العاص الى مصر
والاسكندرية في الجاهلية
وما كان من خبره مع
الراهب والكرة الذهب
التي كانوا يطهرونها للناس
في أعيادهم ووقوعها في
حجر عمرو بن العاص وذلك
قبل ظهور النبي صلى الله
عليه وسلم قد أتينا على جميع

فيهم علي وطلحة والزبير وعليه ثياب السفر فقام عليهم وقال انكم قد علمتم ان هذا الامر كان
الناس يتغالبون عليه حتى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وكانوا يتفاضلون بالسابقة والقدمة
والاجتهاد فان أخذوا بذلك فالامر امرهم والناس لهم تبع وان طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك
ورده الله الى غيرهم وان الله على البدل لقادر واني قد خلفت فيكم شيخا فاستوصوا به خيرا
وكانفوه تكونوا اسعد منه بذلك ثم ودعهم ومضى فقال علي كنت أرى في هذا خيرا فقال الزبير
والله ما كان قط اعظم في صدرك وصدورنا منه اليوم واتعد المنحرفون عن عثمان يوما يخرجون
فيه بالامصار جميعها اذا سار عنها الامراء فلم يتهيأ لهم ذلك ولما رجع الامراء ولم يتم لهم الوثوب
صاروا يكاتبون في القدوم الى المدينة لينظروا فيما يريدون ويسألوا عثمان عن اشياء لتطير في
الناس وكان بمصر محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة يحرضان على عثمان فلما خرج المصريون
خرج فيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي في خمسمائة وقيل في ألف وفيهم كنانة بن بشر الليثي
وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني وعليهم جميعا الغافقي بن حرب العكي وخرج
اهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدي والاشتر النخعي وزياد بن النضر الحارثي وعبد الله بن
الاصم العامري وهم في عداد أهل مصر وخرج أهل البصرة فيهم حكيم بن جبلة العبدي وذريح
ابن عباد وبشر بن شريح القيسي وابن المحترش وهم بعداد أهل مصر وأميرهم حرقوص بن زهير
السعدي فخرجوا جميعا في شوال واظهروا انهم يريدون الحج فلما كانوا من المدينة على ثلاث تقدم
ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خشب وكان هواهم في طلحة وتقدم ناس من أهل الكوفة وكان
هواهم في الزبير ونزلوا الاعوص وجاءهم ناس من أهل مصر وكان هواهم في علي ونزلوا عامتهم
بذي المروة ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله بن الاصم وقالا لهم
لا تعجلوا حتى ندخل المدينة ونرتاد لكم فقد بلغنا انهم عسكروا لنا فوالله ان كان هذا حقا واستحلوا
قتالنا بعد علم حالنا ان أمرنا الباطل وان كان الذي بلغنا باطلا رجعنا اليكم بالخبر قالوا اذهبا فذهبا
فدخلا المدينة فلقيا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وعليا وطلحة والزبير فقالا انما نريد هذا البيت
ونستعفي من بعض عمالنا واستأذناهم في الدخول فكلهم ابى ونهاهما فرجعا الى أصحابهما
فاجتمع نفر من أهل مصر فأتوا عليا ونفر من أهل البصرة فأتوا طلحة ونفر من أهل الكوفة فأتوا
الزبير وقال كل فريق منهم ان بايعنا صاحبنا والا كذبناهم وفرقنا جماعتهم ثم رجعنا عليهم حتى
نبغتهم فأتى المصريون عليا وهو في عسكر عند أحجار الزيت متقلدا سيفه وقد أرسل ابنه الحسن
الى عثمان فيمن اجتمع اليه فسلموا عليه وعرضوا عليه فصاح بهم وطردهم وقال لقد علم الصالحون
ان جيش ذي المروة وجيش ذي خشب والاعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم
فانصرفوا عنه وأتى البصريون طلحة فقال لهم مثل ذلك وكان قد أرسل ابنيه الى عثمان وأتى
الكوفيون الزبير فقال لهم مثل ذلك وكان قد أرسل ابنه عبد الله الى عثمان فرجعوا وتفرقوا عن
ذي خشب وذي المروة والاعوص الى عسكرهم ليتفرق أهل المدينة ثم يرجعوا اليهم فلما بلغوا
عسكرهم تفرق أهل المدينة فرجعوا بهم فلم يشعر أهل المدينة الا والتكبير في نواحيها ونزلوها
وأحاطوا بعثمان وقالوا من كف يده فهو آمن وصلى عثمان بالناس اياما ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا
الناس من كلامه وأتاهم اهل المدينة وفيهم علي فقال لهم ما ردكم بعد ذهابكم فقالوا اخذنا مع بريد
كتابا بقتلنا واتى طلحة الكوفيين فسألهم عن عودهم فقالوا مثل ذلك وأتى الزبير البصريين
فقالوا مثل ذلك وكل منهم يقول نحن نمنع اخواننا وننصرهم كأنما كانوا على ميعاد فقال لهم علي

ذلك في كتابنا في أخبار
الزمان والكتاب الاوسط
(قال المسعودي) والذي
اتفقت عليه أهل
التواريخ مع تباين ما فيها
ان عدة ملوك مصر من
الفراعنة وغيرها اثنان
وثلاثون فرعونا ومن ملوك
بابل ممن تملك على مصر
خمسة ومن ملوك بابل وهم
العماليق الذين ظهروا
اليها من بلاد الشام أربعة
ومن الروم سبعة ومن
اليونانيين عشرة وذلك
قبل ظهور السيد المسيح
عليه السلام وملكها
اناس من الفرس من
قبل الاكاسرة وكان مدة
من ملك مصر من الفراعنة
والروم والعماليق
واليونانيين ألف سنة
وثلثمائة سنة (قال
المسعودي) وسألت جماعة
من اقباط مصر بالصعيد
وغيره من بلاد مصر من
أهل الخبرة عن تفسير
فرعون فلم يخبروني عن
معنى ذلك ولا تحصل لي
في لغتهم فيمكن والله
أعلم ان هذا الاسم
كان سمة لملوك تلك الاعصار
وأن تلك اللغة تغيرت كتغير
الفهلوية وهي الفارسية
الاولى الى الفارسية الثانية
وكاليونانية الى الرومية وتغير
الحميرية وغير ذلك من اللغات
ولمصر اخبار عجيبة من

كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتم مراحل حتى رجعتم علينا هذا والله أمر أبرم بليل فقالوا ضعوه كيف شئتم لا حاجة لنا فى هذا الرجل ليعتزل عنا وعثمان يصلى بهم وهم يصلون خلفه وهم أدق فى عينه من التراب وكانوا يمنعون الناس من الاجتماع وكتب عثمان الى أهل الامصار يستنجدهم ويأمرهم بالحث للمنع عنه ويعرفهم ما الناس فيه فخرج أهل الامصار على الصعب والذلول فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهرى وبعث عبد الله ابن سعد معاوية بن حديج وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو وقام بالكوفة نفر يحضون على اعانة أهل المدينة منهم عقبة بن عامر وعبد الله بن أبى أوفى وحنظلة الكاتب وغيرهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن التابعين مسروق والاسود وشريح وعبد الله بن حكيم وغيرهم وقام بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر وغيرهم من الصحابة ومن التابعين كعب ابن سور وهرم بن حيان وغيرهما وقام بالشام جماعة من الصحابة والتابعين وكذلك بمصر ولما جاءت الجمعة التى على أثر دخولهم المدينة خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر فقال يا هؤلاء الله الله فوالله ان أهل المدينة ليعلمون انكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فامحوا الخطأ بالصواب وقام محمد بن مسلمة فقال أنا أشهد بذلك فاقعده حكيم بن جبلة وقام زيد بن ثابت فاقعده محمد بن أبى قتيرة وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه فادخل داره واستقتل نفر من أهل المدينة مع عثمان منهم سعد بن أبى وقاص والحسين بن على وزيد بن ثابت وأبو هريرة فأرسل اليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا وأقبل على وطلحة والزبير فدخلوا على عثمان يعودونه من صرعته ويشكون اليه ما يجدون وكان عند عثمان نفر من بنى أمية فيهم مروان بن الحكم فقالوا كلهم لعلى أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع والله لئن بلغت الذى تريد لتمرن عليك الدنيا فقام مغضبا وعاد هو والجماعة الى منازلهم وصلى عثمان بالناس بعد ما نزلوا به فى المسجد ثلاثين يوما ثم منعوه الصلاة وصلى بالناس أميرهم الغافقى وتفرق أهل المدينة فى حيطانهم ولزموا بيوتهم لا يجلس أحد ولا يخرج الا بسيفه ليمتنع به وكان الحصار أربعين يوما ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح وقد قيل ان محمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفة كانا بمصر يحرضان على عثمان وسار محمد بن أبى بكر مع من سار الى عثمان وأقام ابن أبى حذيفة بمصر وغلب عليها لما سار عنها عبد الله بن سعد على ما يأتى فلما خرج المصريون الى قصد عثمان أظهروا انهم يريدون العمرة وخرجوا فى رجب وعليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى وبعث عبد الله بن سعد رسولا الى عثمان يخبره بحالهم وانهم قد أظهروا العمرة وقصدهم خلعه أو قتله فخطب عثمان الناس واعلمهم حالهم وقال لهم انهم قد اسرعوا الفتنة واستطالوا عمرى والله لئن فارقتهم ليتمنون ان عمرى كان عليهم مكان كل يوم سنة مما يرون من الدماء المسفوكة والاحن والاثرة الظاهرة والاحكام المغيرة وكان عبد الله بن سعد خرج الى عثمان فى آثار المصريين باذنه له فلما كان بأيلة بلغه ان المصريين رجعوا الى عثمان فحصروه وان محمد بن أبى حذيفة غلب على مصر واستجابوا له فعاد عبد الله الى مصر فمنع عنها فأتى فلسطين فأقام بها حتى قتل عثمان فلما نزل القوم ذا خشب يريدون قتل عثمان ان لم ينزع عما يكرهون ولما رأى عثمان ذلك جاء الى على فدخل عليه بيته فقال له يا ابن عم ان قرابتى قريبة ولى عليك حق عظيم وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبحى ولك عند الناس قدر وهم يسمعون منك وأحب ان تركب اليهم فتردهم عنى فان فى دخولهم على توهينا لامرى وجراءة على فقال على على أى شئ أردهم عنك قال على ان أصير الى

الدقائق وما يوجد من الدفائن من ذخائر الملوك التى استودعوها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا فمن جميع اخبارها ما ذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لاخيه عبد الملك بن مروان فأتاه رجل متنصح فسأله عن نصحه فقال بالقبة الفلانية كنز عظيم قال عبد العزيز وما مصداق ذلك قال هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر ثم ينتهى بنا الحفر الى قلع باب من الصفر تحته عمود من الذهب على اعلاه ديك عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرد على رأسه صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود فأمر له عبد العزيز بنفقة الوف من الدنانير لاجرة من يحفر من الرجال فى ذلك ويعمل فيه وكان هنالك تل عظيم فاحتفر واحفرة عظيمة فى الارض والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك واوسع فى النفقة وأكثر من الرجال ثم انتهوا فى

ما أشرت اليه ورأيته لى فقال على انى قد كلمتك مرة بعد أخرى فكل ذلك نخرج ونقول ثم ترجع عنه وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد فانك أطعتهم وعصيتنى قال عثمان فانا أعصيهم واطيعك فأمر الناس فركب معه من المهاجرين والانصار ثلاثون رجلا فيهم سعيد ابن زيد وأبو جهم العدوى وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ومن الانصار أبو أسيد الساعدى وأبو حميد وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت وكعب بن مالك ومن العرب نيار بن مكرز فأتوا المصريين فكلموهم وكان الذى يكلمهم على ومحمد بن مسلمة فسمعوا مقالتهما ورجعوا الى مصر فقال ابن عديس لمحمد بن مسلمة أتوصينا بحاجة قال نعم تتقى الله وترد من قبلك عن امامهم فانه قد وعدنا ان يرجع وينزع قال ابن عديس افعل ان شاء الله ورجع على ومن معه الى المدينة فدخل على عثمان فأخبره برجوعهم وكلمه بما فى نفسه ثم خرج من عنده فمكث عثمان ذلك اليوم وجاءه مروان بكرة الغد فقال له تكلم واعلم الناس ان اهل مصر قد رجعوا وان ما بلغهم عن امامهم كان باطلا قبل ان يجىء الناس اليك من أمصارهم ويأتيك ما لا تستطيع دفعه ففعل عثمان فلما خطب الناس قال له عمرو بن العاص اتق الله يا عثمان فانك قد ركبت امورا وركبناها معك فتب الى الله نتب فناداه عثمان وانك هنالك يا ابن النابغة قملت والله جبتك منذ عزلتك عن العمل فنودى من ناحية أخرى تب الى الله فرفع يديه وقال اللهم انى اول تائب وخرج عمرو بن العاص الى منزله بفلسطين وكان يقول والله انى كنت لالقى الراعى فأحرضه على عثمان وانى عليا وطلحة والزبير فحرضهم على عثمان فبينما هو بقصره بفلسطين ومعه ابناه ومحمد بن عبد الله وسلامة بن روح الجذامى اذ مر به راكب من المدينة فسأله عمرو عن عثمان فقال هو محصور فقال عمرو وأنا ابو عبد الله قد يضرط العير والمكواة فى النار ثم مر به راكب آخر فسأله فقال قتل عثمان فقال عمرو وأنا ابو عبد الله اذا حككت قرحة نكأتها فقال له سلامة بن روح يا معشر قريش كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه فقال اردنا ان نخرج الحق من حاصرة الباطل ليكون الناس فى الحق شرعا سواء وقيل ان عليا لما رجع من عند المصريين بعد رجوعهم الى عثمان فقال له تكلم كلاما يسمعه الناس منك ويشهدون عليك ويشهد الله على ما فى قلبك من النزوع والامانة فان البلاد قد تمخضت عليك فلا آمن ان يجىء ركب آخر من الكوفة والبصرة فتقول يا على اركب اليهم فان لم افعل رأيتنى قد قطعت رحمك واستخففت بحقك فخرج عثمان فخطب الخطبة التى نزع فيها واعطى الناس من نفسه التوبة وقال انا اول من اتعظ أستغفر الله مما فعلت واتوب اليه فمثلى نزع وتاب فاذا نزلت فليأتنى اشرافكم فليروا فى رأيهم فوالله لئن ردنى الحق عبدا لاستنن بسنة العبد ولاذلن ذل العبد وما عن الله مذهب الا اليه فوالله لاعطينكم الرضا ولانحين مروان وذويه ولا احتجب عنكم فرق الناس وبكوا حتى اخضلوا لحاهم وبكى هو ايضا فلما نزل عثمان وجد مروان وسعيدا ونفرا من بنى امية فى منزله لم يكونوا شهدوا خطبته فلما جلس قال مروان يا امير المؤمنين أتكلم ام اسكت فقالت نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان لا بل اصمت فانهم والله قاتلوه وموثموه انه قد قال مقالة لا ينبغى له أن ينزع عنها فقال لها مروان ما أنت وذاك فوالله قد مات ابوك وما يحسن يتوضأ فقالت مهلا يا مروان عن ذكر الآباء تخبر عن أبى وهو غائب تكذب عليه وان اباك لا يستطيع ان يدفع عن نفسه اما والله لولا انه عمه وانه يناله غمه لاخبرتك عنه ما لن اكذب عليه قالت فأعرض عنها مروان فقال يا أمير المؤمنين أتكلم أم أسكت قال تكلم فقال مروان بأبى أنت وأمى والله لوددت ان مقالتك هذه كانت

حفرهم الى ظهور رأس الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف لما فى عينيه من الياقوت وشدة نوره ولمعان ضيائه ثم بان جناحاه ثم بانت قوائمه وظهر حول العمود عمود من البنيان بأنواع من الاحجار والرخام وقناطر مقنطرة وطاقات على أبوابه معقودة ولاحت منها تماثيل وصور أشخاص من أنواع الصور والذهب وأجربة من الاحجار قد اطبقت عليها أغطيتها وسبكت وقيد ذلك بأعمدة الذهب فركب عبد العزيز ابن مروان حتى أشرف على الموضع فنظر الى ما ظهر من ذلك فاسرع بعضهم فوضع قدمه على درجة منسبكة من نحاس تنتهى الى ما هنالك فلما استقرت قدمه على المرقاة الرابعة ظهر سيفان عظيمان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها فالتقا على الرجل فلم يدرك حتى جزآه قطعا وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك تصفيرا عجيبا سمعه من كان بالبعد من هنالك وحرك جناحيه فظهرت من تحته أصوات عجيبة قد عملت بالكواكب والحركات اذا ما وقع على

وأنت تمتنع فكنت أول من رضى بها واعان عليها ولكنك قلت ماقلت وقد بلغ الحزام الطبيين وبلغ السيل الزبى وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل والله لاقامة على خطيئة يستغفر منها أجمل من توبة يخوف عليها وأنت ان شئت تقربت بالتوبة ولم تقربت بالخطيئة وقد اجتمع بالباب أمثال الجبال من الناس فقال عثمان فاخرج اليهم فكلمهم فانى أستحى أن أكلمهم فخرج مروان الى الباب والناس يركب بعضهم بعضا فقال ماشأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب شاهت الوجوه الى من أريد جئتم تريدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا اخرجوا عنا والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الى منازلكم فانا والله مانحن بمغلوبين على مافى أيدينا فرجع الناس وأتى بعضهم عليا فاخبره الخبر فاقبل على على عبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث فقال احضرت خطبة عثمان قال نعم قال احضرت مقالة مروان الناس قال نعم فقال على أى عباد الله يالمسلمين انى ان قعدت فى بيتى قال لى تركتنى وقرابتى وحقى وانى ان تكلمت فجاء مايريد يلعب به مروان فصار سيقة له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام مغضبا حتى دخل على عثمان فقال له امارضيت من مروان ولا رضى منك الا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يشاء به والله مامروان بذى رأى فى دينه ولا نفسه وايم الله انى لاراه يوردك ولا يصدرك وما أنا عائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك أذهبت شرفك وغلبت على رأيك فلما خرج على دخلت عليه امرأته نائلة ابنة الفرافصة فقالت قد سمعت قول على لك وليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء قال فما اصنع قالت تتقى الله وتتبع سنة صاحبيك فانك متى اطعت مروان قتلك ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة وانما ترك الناس لمكانه فارسل الى على فاستصلحه فان له قرابة وهو لا يعصى فارسل عثمان الى على فلم يأته وقال قد أعلمته انى غير عائد فبلغ مروان مقالة نائلة فيه فجلس بين يدى عثمان فقال يا ابنة الفرافصة فقال عثمان لا تذكرنها بحرف فأسود وجهك فهى والله أنصح لى فكف مروان وأتى عثمان الى على بمنزله ليلا وقال له انى غير عائد وانى فاعل فقال له على بعد ماتكلمت على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطيت من نفسك ثم دخلت بيتك خرج مروان الى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم فخرج عثمان من عنده وهو يقول خذلتنى وجرأت الناس على فقال على والله انى لاكثر الناس ذبا عنك ولكنى كلما جئت بشئ اظنه لك رضا جاء مروان باخرى فسمعت قوله وتركت قولى ولم يعد على يعمل ما كان يعمل الى ان منع عثمان الماء فقال على لطلحة أريد أن تدخل عليه الروايا وغضب غضبا شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان قال وقد قيل ان عليا كان عند حصر عثمان بخيبر فقدم المدينة والناس مجتمعون عند طلحة وكان ممن له فيه أثر فلما قدم على أتاه عثمان وقال له أما بعد فان لى حق الاسلام وحق الاخاء والقرابة والصهر ولو لم يكن من ذلك شئ وكنا فى الجاهلية لكان عارا على بنى عبد مناف ان ينتزع أخو بنى تيم يعنى طلحة أمرهم فقال له على سيأتيك الخبر ثم خرج الى المسجد فرأى أسامة فتوكأ على يده حتى دخل دار طلحة وهو فى خلوة من الناس فقال له يا طلحة ماهذا الامر الذى وقعت فيه فقال يا أبا الحسن بعد ما مس الحزام الطبيين فانصرف على حتى أتى بيت المال فقال افتحوه فلم يجدوا المفاتيح فكسر الباب وأعطى الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى بقى وحده وسر بذلك عثمان وجاء طلحة فدخل على عثمان وقال له يا أمير المؤمنين أردت أمرا فحال الله بينى وبينه فقال عثمان والله ماجئت تائبا ولكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة

(ذكر

بعض تلك الدرج شئ أوماسها انهافت من هنالك من الرجال الى أسفل تلك الحفيرة وكان فيها من يحفر ويعمل وينقل التراب ويبصر ويتحرك ويأمر وينهى نحو ألف رجل فهلكوا جميعا فجزع عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع النيل نعوذ بالله منه وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما اخرج من هنالك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبرا لهم (قال المسعودى) وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ومن قد أغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز وذخائر الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض ببلاد مصر وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على اذرع يسيرة من بعض الاهرام المقدم ذكرها بان فيه مطلبا عجيبا فاخبروا الاخشيد محمد بن طغج بذلك فاذن لهم فى حفره وأباحهم استعمال الحيلة فى اخراجه فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى أزج واقباء وحجارة مجوفة فى صخر منقور فيه تماثيل قائمة على أرجلها من أنواع الخشب قد طليت بالاطلية

﴿ذكر مقتل عثمان﴾

قد ذكرنا سبب مسير الناس الى قتل عثمان وقد تركنا كثيرا من الاسباب التى جعلها الناس ذريعة الى قتله لعلل دعت الى ذلك ونذكر الآن كيف قتل وما كان بدء ذلك وابتداء الجرأة عليه قبل قتله فكان من ذلك ان ابلا من ابل الصدقة قدم بها على عثمان فوهبها لبعض بنى الحكم فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فاخذها وقسمها بين الناس وعثمان فى الدار قيل وكان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق جبلة بن عمرو الساعدى مر به عثمان وهو فى نادى قومه وبيده جامعة فسلم فرد القوم فقال جبلة لم تردون على رجل فعل كذا وكذا ثم قال لعثمان والله لاطرحن هذه الجامعة فى عنقك أو لتتركن بطانتك هذه الخبيثة مروان وابن عامر وابن سعد منهم من نزل القرآن بذمه وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فاجترأ الناس عليه وقد تقدم قول عمرو بن العاص له فى خطبته قيل وخطب يوما وبيده عصا كان النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر يخطبون عليها فاخذها جهجاه الغفارى من يده وكسرها على ركبته فرمى فى ذلك المكان باكلة وقيل كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم الى من بالآفاق منهم ان أردتم الجهاد فهلموا اليه فان دين محمد صلى الله عليه وسلم قد أفسده خليفتكم فاقيموه فاختلفت قلوب الناس على ماتقدم ذكره وجاء المصريون كما ذكرنا الى المدينة فخرج اليهم على ومحمد بن مسلمة كما تقدم فكلماهم فعادوا ثم رجعوا فلما رجعوا انطلق اليهم محمد بن مسلمة يسألهم عن سبب عودهم فاخرجوا صحيفة فى أنبوبة رصاص وقالوا وجدنا غلام عثمان بالبويب على بعير من ابل الصدقة ففتشنا متاعه فوجدنا فيه هذه الصحيفة بأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وعروة بن البياع وحبسهم وحلق رؤسهم ولحاهم وصلب بعضهم وقيل ان الذى أخذت منه الصحيفة أبو الاعور السلمى فلما رأوه سألوه عن مسيره وهل معه كتاب فقال لا فسألوه فى أى شئ هو فتغير كلامه فانكروه وفتشوه وأخذوا الكتاب منه وعادوا وعاد الكوفيون والبصريون فلما عاد أهل مصر أخبروا بذلك محمد ابن مسلمة وقالوا له قد كلمنا عليا ووعدنا أن يكلمه وكلمنا سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد فقالا لا ندخل فى أمركم وقالوا لمحمد بن مسلمة احضر مع على عند عثمان بعد الظهر فوعدهم بذلك فدخل على ومحمد بن مسلمة على عثمان فاستأذنا للمصريين عليه وعنده مروان فقال دعنى أكلمهم فقال عثمان اسكت فض الله فاك ما انت وهذا الامر اخرج عنى فخرج مروان وقال على ومحمد لعثمان ما قال المصريون فاقسم بالله ما كتبته ولا علم لى به فقال محمد صدق هذا من عمل مروان ودخل عليه المصريون فلم يسلموا عليه بالخلافة فعرفوا الشر فيهم وتكلموا فذكر ابن عديس مافعل عبد الله بن سعد بالمسلمين وأهل الذمة والاستئثار فى الغنائم فاذا قيل له فى ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين وذكروا أشياء مما أحدث بالمدينة وقال له وخرجنا من مصر ونحن نريد قتلك فردنا على ومحمد بن مسلمة وضمنا لنا النزوع عن كل ماتكلمنا فيه فرجعنا الى بلادنا فرأينا غلامك وكتابك وعليه خاتمك تأمر عبد الله بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس فحلف عثمان انه ما كتب ولا أمر ولا علم فقال على ومحمد صدق عثمان قال المصريون فمن كتبه قال لا أدرى قالوا فيجترأ عليك ويبعث غلامك وجمل من الصدقة وينقش على خاتمك ويبعث الى عاملك بهذه الامور العظيمة وأنت لا تعلم قال نعم قال ما أنت الا صادق أو كاذب فان كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لما أمرت به من قتلنا بغير حق وان كنت صادقا فقد استحققت أن تخلع نفسك لضعفك عن هذا الامر وغفلتك وخبث بطانتك ولا ينبغى لنا أن نترك هذا الامر بيد من تقطع الامور دونه لضعفه وغفلته فاخلع نفسك

المانعة من سرعة البلى وتفرق الاجزاء والصور مختلفة منها صورة شيوخ وشبان ونساء وأطفال أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرد والفيروزج والزبرجد ومنها ماوجوهها ذهب وفضة فكسر بعض تلك التماثيل فوجدوا فى أجوافها رمما بالية وأجساما فانية والى جانب كل تمثال منها نوع من الابنية كالبرانى وغيرها من الآلات من المرمر والرخام وفيه نوع من الطلاء الذى قد طلى منه ذلك الميت الموضوع فى تمثال الخشب ومابقى من الطلاء متروك فى ذلك الاناء والطلاء دواء مسحوق واخلاط معمولة لا رائحة لها فجعل منه على النار ففاح منه روائح طيبة مختلفة لا نعرف فى نوع من الانواع التى للطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة مافيه من الناس على اختلاف اسنانهم ومقادير أعمارهم وتباين صورهم وبازاء كل تمثال من تلك التماثيل تمثال من الحجر المرمر أو من الرخام الاخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل والصور عليها أنواع من الكتابات لم يقف على استخراجها أحد

منه كما خلعك الله فقال لا أنزع قميصا ألبسنيه الله ولكنى أتوب وأنزع قالوا لو كان هذا أول ذنب تبت منه قبلنا ولكنا رأيناك تتوب ثم تعود ولسنا منصرفين حتى نخلعك أو نقتلك أو تلحق أرواحنا بالله تعالى وان منعك أصحابك وأهلك قاتلناهم حتى نخلص اليك فقال أما أن أتبرأ من خلافة الله فالقتل أحب الى من ذلك وأما قولكم تقاتلون من منعنى فانى لا آمر أحدا بقتالكم فمن قاتلكم فبغير أمرى قاتل ولو أردت قتالكم لكتبت الى الاجناد فقدموا على أو لحقت ببعض أطرافى وكثرت الاصوات واللغط فقام على يخرج وأخرج المصريين ومضى على الى منزله وحصر المصريون عثمان وكتب الى معاوية وابن عامر وامراء الاجناد يستنجدهم ويأمرهم بالعجل وارسال الجنود اليه فتربص به معاوية فقام فى أهل الشام يزيد بن أسد القسرى جد خالد بن عبد الله القسرى فتبعه خلق كثير فسار بهم الى عثمان فلما كانوا بوادى القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا وقيل بل سار من الشام حبيب بن مسلمة الفهرى وسار من البصرة مجاشع بن مسعود السلمى فلما وصلوا الربذة ونزلت مقدمتهم صرارا بناحية المدينة أتاهم قتل عثمان فرجعوا وكان عثمان قد استشار نصحاءه فى أمره فأشاروا عليه ان يرسل الى على يطلب اليه ان يردهم ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه امداده فقال انهم لا يقبلون التعلل وقد كان منى فى المرة الاولى ما كان فقال مروان أعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك فانهم قوم بغوا عليك ولا عهد لهم فدعا عليا فقال له قد ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمى فارددهم عنى فانى أعطيهم ما يريدون من الحق من نفسى وغيرى فقال على الناس الى عدلك أحوج منهم الى قتلك ولا يرضون الا بالرضا وقد كنت أعطيتهم أولا عهدا فلم تف به فلا تغررنى هذه المرة فانى معطيهم عليك الحق فقال أعطهم فوالله لافين لهم فخرج على الى الناس فقال لهم انما طلبتم الحق وقد أعطيتموه وقد زعم انه منصفكم من نفسه فقال الناس قبلنا فاستوثق منه فانا لا نرضى بقول دون فعل فدخل عليه على فأعلمه فقال اضرب بينى وبينهم أجلا فانى لا أقدر على أن أرد ما كرهوا فى يوم واحد فقال على أما ما كان بالمدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله وصول أمرك قال نعم فأجلنى فيما فى المدينة ثلاثة أيام فأجابه الى ذلك وكتب بينهم كتابا على رد كل مظلمة وعزل كل عامل كرهوه فكف الناس عنه فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح واتخذ جندا فلما مضت الايام الثلاثة ولم يغير شيئا ثار به الناس وخرج عمرو بن حزم الانصارى الى المصريين فأعلمهم الحال وهم بذى خشب فقدموا المدينة وطلبوا منه عزل عماله ورد مظالمهم فقال ان كنت مستعملا من أردتم وعازلا من كرهتم فلست فى شئ والامر أمركم فقالوا والله لتفعلن أو لتخلعن أو لتقتلن فأبى عليهم وقال لا أنزع سربالا سربلنيه الله فحصروه واشتد الحصار عليه فأرسل الى على وطلحة والزبير فحضروا فأشرف عليهم فقال يا أيها الناس اجلسوا فجلسوا المحارب والمسالم فقال لهم يا أهل المدينة أستودعكم الله وأسأله ان يحسن عليكم الخلافة من بعدى ثم قال أنشدكم بالله هل تعلمون انكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم أتقولون ان الله لم يستجب لكم وهنتم عليه وأنتم أهل حقه أم تقولون هان على الله دينه فلم يبال من ولى والدين لم يتفرق أهله يومئذ أم تقولون لم يكن أخذ عن مشورة انما كان مكابرة فوكل الله الامة اذ عصته ولم يشاوروا فى الامامة أم تقولون ان الله لم يعلم عاقبة أمرى وأنشدكم بالله أتعلمون من سابقة خير وقدم خير قدمه الله لى يحق على كل من جاء بعدى ان يعرفوا لى فضلها فمهلا لا تقتلونى فانه لا يحل الا قتل ثلاثة رجل زنى بعد احصانه أو كفر بعد ايمانه أو قتل نفسا بغير حق فانكم اذا قتلتمونى وضعتم السيف على رقابكم ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف

أبدا

من أهل الملك وزعم قوم من ذوى الدراية منهم ان لذلك القلم من حين فقد من الارض اعنى أرض مصر أربعة آلاف سنة وفيما ذكرناه دلالة على ان هؤلاء ليسوا بيهود ولا بنصارى ولم يؤدهم الحفر الا الى ما ذكرنا من هذه التماثيل وكان ذلك فى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وقد كان لمن سلف وخلف من ولاة مصر الى أحمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أخبار عجيبة فيما استخرج فى أيامهم من الدفائن والاموال والجواهر وما أصيب فى هذه المطالب من القبور والخزائن وقد أتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

(ذكر الاسكندرية وبنائها وملوكها وعجائبها وما ألحق بهذا الباب)

ذكر جماعة من أهل العلم أن الاسكندر المقدونى لما استقام ملكه فى بلاده سار يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فأصاب فيها أثر بنيان وعمدا كثيرة من الرخام وفى وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند (وهو القلم

أبدا فالوا أما ما ذكرت من استخارة الناس بعد عمر ثم ولوك فان كل ما صنع الله خيرة ولكن الله جعلك بلية ابتلى بها عباده وأما ما ذكرت من قدمك وسلفك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنت كذلك وكنت أهلا للولاية ولكن أحدثت ما علمته ولا نترك اقامة الحق عليك مخافة الفتنة عاما قابلا وأما قولك انه لا يحل الا قتل ثلاثة فانا نجد فى كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت قتل من سعى فى الارض فسادا وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه وقتل من حال دون شئ من الحق ومنعه وقاتل دونه وقد بغيت ومنعت وحلت دونه وكابرت عليه ولم تقد من نفسك من ظلمت وقد تمسكت بالامارة علينا فان زعمت انك لم تكابرنا عليها فان الذين قاموا دونك ومنعوك منا انما يقاتلون لتمسك بالامارة فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك فسكت عثمان ولزم الدار وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا الا الحسن بن على وابن عباس ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وأشباها لهم واجتمع اليه ناس كثير فكانت مدة الحصار أربعين يوما فلما مضت ثمان عشرة ليلة قدم ركبان من الامصار فأخبر وا بخبر من تهيأ اليهم من الجنود وشجعوا الناس فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعوه كل شئ حتى الماء فأرسل عثمان الى على سرا والى طلحة والزبير وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم انهم قد منعونى الماء فان قدرتم ان ترسلوا الينا ماء فافعلوا فكان أولهم اجابة على وأم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فجاء على فى الغلس فقال يا أيها الناس ان الذى تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين فلا تقطعوا عن هذا الرجل الماء والمادة فان الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقى فقالوا لا والله ولا نعمة عين فرمى بعمامته فى الدار بأنى قد نهضت ورجعت وجاءت أم حبيبة على بغلة لها مشتملة على اداوة فضربوا وجه بغلتها فقالت ان وصايا بنى أمية عند هذا الرجل فأحببت ان أسأله عنها لئلا تهلك أموال الايتام والارامل فقالوا كاذبة وقطعوا حبل البغلة بالسيف فنفرت وكادت تسقط عنها فتلقاها الناس فأخذوها وذهبوا بها الى بيتها فأشرف عثمان يوما فسلم عليهم ثم قال أنشدكم الله هل تعلمون انى اشتريت بئر رومة بمالى ليستعذب بها فجعلت رشائى فيها كرجل من المسلمين قالوا نعم قال فلم تمنعونى ان أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر ثم قال أنشدكم بالله هل تعلمون انى اشتريت ارض كذا فزدتها فى المسجد قيل نعم قال فهل علمتم ان أحدا منع ان يصلى فيه قبلى ثم قال أنشدكم بالله أتعلمون أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عنى كذا وكذا أشياء فى شأنه ففشا النهى فى الناس يقولون مهلا عن أمير المؤمنين فقام الاشتر فقال لعله مكر به وبكم وخرجت عائشة الى الحج واستتبعت أخاها محمدا فأبى فقال والله لئن استطعت ان يحرمهم الله ما يحاولون لافعلن فقال له حنظلة الكاتب تستتبعك أم المؤمنين فلا تتبعها وتتبع ذؤبان العرب الى ما لا يحل وان هذا الامر ان صار الى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف ثم رجع حنظلة الى الكوفة وهو يقول

عجبت لما يخوض الناس فيه ✽ يرومون الخلافة ان تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم ✽ ولاقوا بعدها ذلا ذليلا
وكانوا كاليهود وكالنصارى ✽ سواء كلهم ضلوا السبيلا

وبلغ طلحة والزبير ما لقى على وأم حبيبة فلزموا بيوتهم وبقى عثمان يسقيه آل حزم فى الغفلات فأشرف عثمان على الناس فاستدعى ابن عباس فأمره ان يحج بالناس وكان ممن لزم الباب فقال جهاد هؤلاء احب الى من الحج فأقسم عليه فانطلق قال عبد الله بن عباس بن أبى ربيعة دخلت على عثمان فأخذ بيدى فأسمعنى كلام من على بابه فمنهم من يقول ما تنتظرون به ومنهم من يقول

الاول من أقلام حمير وملوك عاد) أنا شداد بن عاد بن شداد بن عاد شددت بساعدى البلاد وقطعت عظيم العماد من الجبال والاطواد وأنا بنيت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد أردت ان ابنى ههنا كارم وأنقل اليها كل ذى اقدام وكرم من جميع العشائر والامم وذلك اذ لا خوف ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم فأصابنى ما أعجلنى وعما أردت قطعنى ومع وقوعه طال همى وشجنى وقل نومى وسكنى فارتحلت بالامس عن دارى لا لقهر ملك جبار ولا لخوف جيش جرار ولا عن رغبة ولا عن صغار لكن لتمام المقدار وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبار فمن رأى أثرى وعرف خبرى وطول عمرى ونفاذ بصرى وشدة حذرى فلا يغتر بالدنيا بعدى فانها غرارة غدارة تأخذ منك ما تعطى وتسترجع ما تولى وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون اليها ونزل الاسكندر يتدبر هذا الكلام ويعتبره ثم بعث فحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها أميالا وحشد اليها العمد

انظر واعى ان براجع قال فبينما نحن واقفون اذ مر طلحة فقال أين ابن عديس فقام اليه فناجاه
ثم رجع ابن عديس فقال لاصحابه لاتتركوا أحدا يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده فقال لى
عثمان هذا ما أمر به طلحة اللهم اكفنى طلحة فانه حمل على هؤلاء وألبهم على والله انى لارجو أن
يكون منها صفرا وان يسفك دمه قال فاردت ان أخرج فمنعونى حتى امرهم محمد بن ابى بكر
فتركونى اخرج وقيل ان الزبير خرج من المدينة قبل ان يقتل عثمان وقيل ادرك قتله ولما رأى
المصريون ان اهل الموسم يريدون قصدهم وان يجمعوا ذلك الى حجهم مع ما بلغهم من مسير اهل
الامصار قالوا لايخرجنا من هذا الامر الذى وقعنا فيه الا قتل هذا الرجل فيشتغل الناس عنا
بذلك فراموا الباب فمنعهم الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن
معهم من أبناء الصحابة واجتلدوا فزجرهم عثمان وقال انتم فى حل من نصرتى فابوا ففتح الباب
لمنعهم فلما خرج ورآه المصريون رجعوا فركبوا هؤلاء واقسم عثمان على اصحابه ليدخلن فدخلوا
فاغلق الباب دون المصريين فقام رجل من اسلم يقال له نيار بن عياض وكان من الصحابة فنادى
عثمان فبينما هو يناشده أن يعتزلهم اذ رماه كثير بن الصلت الكندى بسهم فقتله فقالوا لعثمان
عند ذلك ادفع الينا قاتله لنقتله به قال لم أكن لاقتل رجلا نصرنى وانتم تريدون قتلى فلما رأوا ذلك
ثاروا الى الباب فلم يمنعهم احد منه والباب مغلق لايقدرون على الدخول منه فجاؤا بنار فاحرقوه
والسقيفة التى على الباب وسار أهل الدار وعثمان يصلى قد افتتح طه فما شغله ما سمع ما يخطئ
وما يتتعتع حتى أتى عليها فلما فرغ جلس الى المصحف يقرأ فيه وقرأ الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فقال لمن عنده بالدار ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى عهدا فانا صابر عليه ولم يحرقوا الباب الا وهم يطلبون
ما هو أعظم منه فاخرج على رجل ان يستقتل أو يقاتل وقال للحسن ان اباك الآن لفى امر عظيم
من امرك فاقسمت عليك لما خرجت اليه فتقدموا فقاتلوا ولم يسمعوا قوله فبرز المغيرة بن الاخنس
ابن شريق وكان قد تعجل من الحج فى عصابة لينصروا عثمان وهو معه فى الدار وارتجز يقول

قد علمت ذات القرون الميل * والحلى والانامل الطفول
لتصدقن بيعتى خليلى * بصارم ذى رونق مصقول
* لا أستقيل اذ أقلت قيلى *

وخرج الحسن بن على وهو يقول

لا دينهم دينى ولا أنا منهم * حتى اسير الى طمار شمام

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول

أنا ابن من حامى عليه باحد * ورد احزابا على رغم سعد

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول

صبرنا غداة الدار والموت واقف * باسيافنا دون ابن أروى نضارب
وكنا غداة الروع فى الدار نصرة * نشافههم بالضرب والموت نائب

وكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير فكان يحدث عن عثمان بآخر ما كان عليه وأقبل أبو هريرة
والناس محجمون فقال هذا يوم طاب فيه الضرب ونادى يا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى
الى النار وبرز مروان وهو يقول

قد علمت ذات القرون الميل * والكف والانامل الطفول

والرخام وأتته المراكب
فيها أنواع الرخام وأنواع
المرمر والاحجار من جزيرة
صقلية وبلاد افريقيه
واقريطش واقاصى بحر
الروم مما يلى مصبه بحر
أوقيانوس وحمل اليه أيضا
من جزيرة رودس وهى
جزيرة مقابلة للاسكندرية
على ليلة منها فى البحر وهى
أول بلاد الافرنجة وهذه
الجزيرة فى وقتنا هذا وهو
سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة دار صناعة الروم
وبها تنشأ المراكب الحربية
وفيها خلق كثير من الروم
ومراكبهم تطرق بلاد
الاسكندرية وغيرها من
بلاد مصر فتغير وتأسر
وتسبي وأمر الاسكندر
الفعلة والصناع أن يدوروا
بما رسم لهم من اساس
سور المدينة وجعل على
كل قطعة من الارض
خشبة قائمة وجعل من
الخشبة الى الخشبة حبالا
منوطة بعضها ببعض
وأوصل جميع ذلك بعمود
من الرخام وكان امام
مضربه وعلق على العمود
جرسا عظيما مصوتا وأمر
الناس والقوام على البنائين
والفعلة والصناع أنهم اذا
سمعوا صوت ذلك الجرس
وتحركت الحبال وقد علق
على كل قطعة منها جرسا
صغيرا ان يضعوا

انى أروع أول الرعيل * بغارة مثل القطا الشليل

فبرز اليه رجل من بنى ليث يدعى البياع فضربه مروان وضرب هو مروان على رقبته فاثبته
وقطع أحد علباويه فعاش مروان بعد ذلك أوقص وقام اليه عبيد بن رفاعة الزرقى ليذفف
عليه فقامت فاطمة ام ابراهيم بن عدى وكانت ارضعت مروان وارضعت له فقالت ان كنت
تريد قتله فقد قتل وان كنت تريد ان تلعب بلحمه فهذا قبيح فتركه وأدخلته بيتها فعرف لها
بنوه ذلك واستعملوا ابنها ابراهيم بعد ونزل الى المغيرة بن الاخنس بن شريق رجل فقتل المغيرة
قال فلما سمع الناس يذكرونه قال انا لله وانا اليه راجعون فقال له عبد الرحمن بن عديس مالك
فقال رأيت فيما يرى النائم هاتفا يهتف فقال بشر قاتل المغيرة بن الاخنس بالنار فابتليت به واقتحم
الناس الدار من الدور التى حولها ودخلوا من دار عمرو بن حزم الى دار عثمان حتى ملؤها ولا يشعر
من بالباب وغلب الناس على عثمان وندبوا رجلا يقتله فانتدب له رجل فدخل عليه البيت فقال
اخلعها وندعك فقال ويحك والله ما كشفت امرأة فى جاهلية ولا اسلام ولا تغنيت ولا تمنيت
ولا وضعت يمينى على عورتى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولست خالعا قميصا كسانيه
الله تعالى حتى يكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة فخرج عنه فقالوا ما صنعت فقال والله
لا ينجيها من الناس الا قتله ولا يحل لنا قتله فأدخلوا عليه رجلا من بنى ليث فقال له لست بصاحبى
لان النبى صلى الله عليه وسلم دعا لك ان تحفظ يوم كذا وكذا ولن تضيع فرجع عنه وفارق القوم
ودخل عليه رجل من قريش فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لك يوم كذا
وكذا فلن تقارف دما حراما فرجع وفارق أصحابه وجاء عبد الله بن سلام ينهاهم عن قتله فقال يا قوم
لا تسلوا سيف الله فيكم فوالله ان سللتموه لا تغمدوه ويلكم ان سلطانكم اليوم يقوم بالدرة فان
قتلتموه لا يقوم الا بالسيف ويلكم ان مدينتكم محفوفة بالملائكة فان قتلتموه لتتركنها فقالوا يا ابن
اليهودية ما أنت وهذا فرجع عنهم وكان آخر من دخل عليه ممن رجع محمد بن أبى بكر فقال له عثمان
ويلك أعلى الله تغضب هل لى اليك جرم الا حقه اخذته منك فأخذ محمد لحيته وقال قد اخزاك الله
يا نعثل فقال لست بنعثل ولكنى عثمان وأمير المؤمنين وكانوا يلقبون به عثمان فقال محمد ما أغنى
عنك معاوية وفلان وفلان فقال عثمان يا ابن أخى فما كان ابوك ليقبض عليها فقال محمد لو رآك
ابى تعمل هذه الاعمال انكرها عليك والذى اريد بك اشد من قبضى عليها فقال عثمان أستنصر
الله عليك وأستعين به فتركه وخرج وقيل بل طعن جبينه بمشقص كان فى يده والاول أصح قال فلما
خرج محمد وعرفوا انكساره ثار قتيرة وسودان بن حمران والغافقى فضربه الغافقى بحديدة معه
وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف واستقر بين يديه وسالت عليه الدماء وجاء سودان
ليضربه فاكبت عليه امرأته واتقت السيف بيدها فنفح أصابعها فاطن أصابع يدها وولت فغمز
أوراكها وقال انها الكبيرة العجز وضرب عثمان فقتله وقيل الذى قتله كنانة بن بشر التجيبى وكان
عثمان رأى النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يقول له انك تفطر الليلة عندنا فلما قتل سقط من
دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه وكان عثمان قد اعتق
من كف يده منهم فلما ضرب سودان ضرب بعض الغلمان رقبة سودان فقتله ووثب قتيرة على
الغلام فقتله وانتهبوا ما فى البيت وخرجوا ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى فلما خرجوا وثب غلام
لعثمان على قتيرة فقتله وثار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى أخذوا ما على النساء واخذ كلثوم
التجيبى ملاءة من على نائلة فضربه غلام لعثمان فقتله وتنادوا ادركوا بيت المال ولا تسبقوا اليه

اساس المدينة دفعة
واحدة من سائر أقطارها
وأحب الاسكندر ان يجعل
ذلك فى وقت يختاره ذى
طالع سعيد فخفق
الاسكندر برأسه واخذته
سنة فى حال ارتقابه الوقت
المحمود المأخوذ فيه الطالع
فجاء غراب فجلس على حبل
الجرس الكبير الذى فوق
العمود فحركه وخرج صوت
الجرس وتحركت الحبال
وخفقت ما عليها من
الاجراس الصغار وكان
ذلك معمولا بحركات
فلسفية وحيل حكمية
فلما رأى الصناع تحرك
تلك الحبال وسمعوا تلك
الاصوات وضعوا الاساس
دفعة واحدة وارتفع
الضجيج بالتحميد والتقديس
فاستيقظ الاسكندر من
رقدته وسأل عن الخبر
فأخبر بذلك فعجب وقال
أردت أمرا وأراد الله غيره
ويأبى الله الا ما يريد أردت
طول بقائها وأراد الله سرعة
فنائها وخرابها وتداول
الملوك اياها وان الاسكندر
لما احكم بنيانها وأثبت
اساسها وجن الليل عليهم
خرجت دواب من البحر
فأتت على جميع ذلك البنيان
فقال الاسكندر حين اصبح
هذا بدء الخراب فى عمارتها
وتحقق مراد البارى فى
زوالها وتطير من فعل

وسمع اصحاب بيت المال كلامهم وليس فيه الا غراران فقالوا النجاة فان القوم انما يحاولون الدنيا فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه وماج الناس وقيل انهم ندموا على قتله وأما عمرو بن الحمق فوثب على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات قال فاما ثلاث منها فانى طعنتهن اياه لله تعالى وأما ست فلما كان فى صدرى عليه وأرادوا قطع رأسه فوقعت نائلة عليه وأم البنين فصحن وضربن الوجوه فقال ابن عديس اتركوه وأقبل عمير بن ضابئ فوثب عليه فكسر ضلعا من اضلاعه وقال حبست ابى حتى مات فى السجن وكان قتله لثمانى عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة الا اثنى عشر يوما وقيل الا ثمانية أيام وقيل بل كان قتله سنة ست وثلاثين لثمانى عشرة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين وقيل بل قتل أيام التشريق وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمانيا وثمانين سنة وقيل تسعين سنة وقيل خمسا وسبعين سنة وقيل ستا وثمانين سنة

﴿ذكر الموضع الذى دفن فيه ومن صلى عليه﴾

قيل بقى عثمان ثلاثة أيام لا يدفن ثم ان حكيم بن حزام القرشى وجبير بن مطعم كلما عليا فى ان يأذن فى دفنه ففعل فلما سمع من قصده بذلك قعدوا له فى الطريق بالحجارة وخرج به ناس يسير من أهله وغيرهم وفيهم الزبير والحسن وابوجهم بن حذيفة ومروان بين المغرب والعشاء فاتوا به حائطا من حيطان المدينة يسمى حش كوكب وهو خارج البقيع فصلى عليه جبير بن مطعم وقيل حكيم بن حزام وقيل مروان وجاء ناس من الانصار ليمنعوا من الصلاة عليه ثم تركوهم خوفا من الفتنة وأرسل على الى من أراد ان يرجم سريره ممن جلس على الطريق لما سمع بهم فنهاهم عنه ودفن فى حش كوكب فلما ظهر معاوية بن ابى سفيان على الناس أمر بذلك الحائط فهدم وأدخل فى البقيع وامر الناس فدفنوا أمواتهم حول قبره حتى اتصل الدفن بمقابر المسلمين وقيل انما دفن بالبقيع مما يلى حش كوكب وقيل شهد جنازته على وطلحة وزيد بن ثابت وكعب بن مالك وعامة من ثم من أصحابه قال وقيل لم يغسل وكفن فى ثيابه

﴿ذكر بعض سيرة عثمان﴾

قال الحسن البصرى دخلت المسجد فاذا أنا بعثمان متكئا على ردائه فأتاه سقاآن يختصمان اليه فقضى بينهما وقال الشعبى لم يمت عمر بن الخطاب حتى ملته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة وقال أخوف ما أخاف على هذه الامة انتشاركم فى البلاد فان جاء الرجل منهم ليستأذنه فى الغزو فيقول قد كان لك فى غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلغك وخير لك من غزوك اليوم ان لا ترى الدنيا ولا تراك وكان يفعل هذا بالمهاجرين من قريش ولم يكن يفعله بغيرهم من اهل مكة فلما ولى عثمان خلى عنهم فانتشروا فى البلاد وانقطع اليهم الناس وكان أحب اليهم من عمر قيل وحج عثمان بالناس سنوات خلافته كلها وحج بأزواج النبى صلى الله عليه وسلم كما كان يصنع عمر وكتب الى الامصار أن يوافيه العمال فى الموسم ومن يشكو منهم وان يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وانه مع الضعيف على القوى مادام مظلوما وقيل كان اول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا طيران الحمام والرمى على الجلاهقات وهى قوس البندق واستعمل عليها عثمان رجلا من بنى ليث سنة ثمان من خلافته فقص الطيور وكسر الجلاهقات قيل وسأل رجل سعيد بن المسيب عن محمد بن أبى حذيفة ما دعاه الى الخروج على عثمان فقال كان يتيما فى حجر عثمان وكان والى ايتام أهل بيته ومحتملا كلهم فسأل عثمان العمل فقال يابنى لو كنت رضا

لاستعملتك

الدواب فلم يزل البناء يبنى فى كل يوم ويحكم ويوكل به من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون وقد خرب البنيان فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما رأى فاقبل يفكر ما الذى يصنع وأى حيلة يوقع فى دفع الاذية عن المدينة فسنحت له الحيلة فى ليلته عند خلوته بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما أصبح دعا بالصناع فاتخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة أذرع فى عرض خمس وجعلت فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها خشب التابوت باستدارتها وقد امسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الاطلية الدافعة للماء حذرا من دخول الماء الى التابوت وقد جعل فيها مواضع للحبال ودخل الاسكندر فى التابوت ورجلان معه من كتابه ممن له علم باتقان التصوير ومبالغة فيه وأمر أن تسد عليهم الابواب وان يطلى بما ذكرنا من الاطلية وأمر فاتى بمركبين عظيمين فاخرجا الى لجة البحر وعلق على التابوت من اسفله مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهوى بالتابوت سفلا اذ كان من شأنه لما فيه من الهواء أن يطفو فوق الماء ولا يرسب فى سفله

لاستعملتك قال فاذن لى فاخرج فاطلب الرزق قال اذهب حيث شئت وجهزه من عنده وحمله واعطاه فلما وقع الى مصر كان فيمن اعان عليه حيث منعه الامارة قيل وعمار بن ياسر كان بينه وبين عباس بن عتبة بن ابى لهب كلام فضربهما عثمان فأورث ذلك تعاديا بين اهل عمار وأهل عباس وكانا تقاذفا قيل سئل سالم بن عبد الله عن محمد بن أبى بكر ما دعاه الى ركوب عثمان قال الغضب والطمع كان من الاسلام بمكان فغره اقوام فطمع وكانت له دالة فلزمه حق فأخذه عثمان من ظهره فاجتمع هذا الى ذلك فصار مذمما بعد ان كان محمدا قيل واستخف رجل بالعباس بن عبد المطلب فضربه عثمان فاستحسن منه ذلك وقال أيفخم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه وأرخص فى الاستخفاف به لقد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك ورضى به قيل وكان كعب ابن ذى الحبكة النهدى يلعب بالنارنجيات فبلغ عثمان فكتب الى الوليد ان يوجعه ضربا فعزره واخبر الناس خبره وقرأ عليهم كتاب عثمان وفيه انه قد جد بكم فجدوا واياكم والهزل فغضب كعب وكان فى الذين خرجوا عليه وكان سيره الى دنباوند فقال فى ذلك للوليد

لعمرى ائن طردتنى ما الى التى ٭ طمعت بها من سقطتى سبيل
رجوت رجوعى يا ابن أروى ورجعتى ٭ الى الحق دهرا غال ذلك غول
فان اغترابى فى البلاد وجفوتى ٭ وشتمى فى ذات الاله قليل
وان دعائى كل يوم وليلة ٭ عليك بدنباوندكم لطويل

قال وأما ضابئ بن الحرث البرجمى فانه استعار فى زمن الوليد بن عقبة من قوم من الانصار كلبا يدعى قرحان يصيد الظباء فحبسه عنهم فانتزعه الانصاريون منه قهرا فهجاهم وقال

تجشم دونى وفد قرحان خطة ٭ تضل لها الوجناء وهى حسير
فباتوا شباعا طاعمين كأنما ٭ حباهم ببيت المرزبان امير
فكلبكم لا تتركوا فهو أمكم ٭ فان عقوق الامهات كبير

فاستعدوا عليه عثمان فعزره وحبسه فما زال فى السجن حتى مات فيه وقال فى الفتك معتذرا الى أصحابه

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى ٭ تركت على عثمان تبكى حلائله
وقائلة قدمات فى السجن ضابئ ٭ الا من لخصم لم يجد من يحاوله

فلذلك صار ابنه عمير سبئيا قال وأما كميل بن زياد وعمير بن ضابئ فانهما سارا الى المدينة لقتل عثمان فاما عمير فانه نكل عنه واما كميل فانه جسر وثاوره فوجأ عثمان وجهه فوقع على استه فقال أوجعتنى يا أمير المؤمنين قال أولست بفاتك قال لا والله فقال عثمان فاستقدمنى وقال دونك فعفا عنه وبقيا الى أيام الحجاج فقتلهما وسيرد ذكر ذلك ان شاء الله تعالى قيل وكان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفا فقال له يوما قد تهيأ مالك فاقبضه قال هولك معونة على مروتك قيل فلما حصر عثمان قال على لطلحة أنشدك الله الا رددت الناس عن عثمان قال لا والله حتى تعطينى بنو أمية الحق من أنفسها وكان عثمان يلقب ذا النورين لانه جمع بين ابنتى النبى صلى الله عليه وسلم قال الاصمعى استعمل عبد الله بن عامر قطن بن عبد عوف على كرمان فاقبل جيش للمسلمين فمنعهم سيل فى واد من العبور وخشى قطن الفوت فقال من عبر له ألف درهم فحملوا انفسهم وعبروا وكانوا أربعة آلاف فاعطاهم أربعة آلاف ألف درهم فأبى ابن عامر ان يجرى ذلك له وكتب الى عثمان فكتب عثمان أن احسبها له فانه انما اعان بها فى سبيل الله فلذلك سميت

وجعل التابوت الى المركبين وطول حباله فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار البحر فنظر والى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف فى صفاء ماء البحر فاذا هم بشياطين على مثال الناس رؤسهم على مثال رؤس السباع وفى أيدى بعضهم الفؤس وفى أيدى بعض المناشير والمقامع يحاكون بذلك صناع المدينة والفعلة وما فى أيديهم من آلات البناء فاثبت الاسكندر ومن معه تلك الصور وأحكموها بالتصوير فى القراطيس على اختلاف أنواعها وتشوه خلقتهم وقدودهم وأشكالهم ثم حرك الحبال فلما أحس بذلك من فى المركبين جذبوا الحبال وأخرجوا التابوت فلما خرج الاسكندر من التابوت وساروا الى مدينة الاسكندرية أمر صناع الحديد والنحاس والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صوره الاسكندر وصاحباه فلما فرغوا منها وضعت على العمد بشاطئ البحر ثم أمرهم فبنوا فلما جن الليل ظهرت تلك الدواب والآفات من البحر فنظرت الى صورها على العمد

الجوائز لاجازة الوادى وقال حسان بن زيد سمعت عليا وهو يخطب الناس و يقول بأعلى صوته يا أيها الناس انكم تكثرون فى وفى عثمان فان مثلى ومثله كما قال الله تعالى ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وقال أبو حميد الساعدى وهو بدرى وكان مجانبا لعثمان فلما قتل عثمان قال والله ما أردنا قتله اللهم لك على أن لا أفعل كذا وكذا ولا أضحك حتى القاك

(ذكر نسبه وصفته وكنيته)

أما نسبه فهو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب وأما صفته فانه كان رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الوجه رقيق البشرة بوجهه أثر جدرى كبير اللحية عظيمها أسمر اللون أصلع عظيم الكراديس عظيم ما بين المنكبين يصفر لحيته وقيل كان كثير شعر الرأس أروح الرجلين وأما كنيته فانه كان يكنى أبا عبد الله بولد جاءه من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الله توفى وعمره ست سنين نقره ديك فى عينه فمرض فمات فى جمادى الاولى سنة أربع من الهجرة وقيل كان يكنى أبا عمرو

(ذكر وقت اسلامه وهجرته)

قيل كان اسلامه قديما قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وكان ممن هاجر الى الحبشة الهجرة الاولى والثانية ومعه فيهما امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ذكر أزواجه وأولاده)

تزوج رقية وام كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له رقية عبد الله وتزوج فاختة بنت غزوان فولدت له عبد الله الاصغر هلك وتزوج أم عمرو بنت جندب بن عمرو بن حممة الدوسية ولدت له عمرا وخالدا وأبانا وعمر ومريم وتزوج فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومية ولدت له الوليد وسعيدا وأم سعيد وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ولدت له عبد الملك هلك وتزوج رملة بنت شيبة بن ربيعة ولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو وتزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبية ولدت له مريم بنت عثمان وقيل ولدت له أم البنين بنت عيينة عبد الملك وعتبة وولدت له نائلة عنبسة وكان له منها أيضا ابنة تدعى أم البنين وكانت عند عبد الله بن يزيد بن أبى سفيان وقتل عثمان وعنده رملة ابنة شيبة ونائلة وأم البنين ابنة عيينة وفاختة بنت غزوان غير انه طلق ام البنين وهو محصور فهؤلاء أزواجه فى الجاهلية والاسلام وأولاده

(ذكر أسماء عماله فى هذه السنة)

كان عماله فى هذه السنة على مكة عبد الله بن الحضرمى وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفى وعلى صنعاء يعلى بن منية وعلى الجند عبد الله بن ربيعة وعلى البصرة عبد الله بن عامر خرج منها ولم يول عثمان عليها احدا وعلى الشام معاوية بن أبى سفيان وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن ابن خالد وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة الفهرى وعلى الاردن أبو الاعور السلمى وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكنانى وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزارى وعلى القضاء أبو الدرداء فى قول بعضهم والصحيح أنه كان توفى قبل أن قتل عثمان وكان عامل عثمان على الكوفة أبو موسى على الصلاة وعلى خراج السواد جابر بن فلان المزنى وهو صاحب المسناة الى جانب الكوفة وسماك الانصارى وعلى خراجها القعقاع بن عمرو وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله وعلى اذربيجان الاشعث ابن قيس الكندى وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وعلى ماه مالك بن حبيب وعلى همذان النسير

مقابلة الى البحر فرجعت الى البحر ولم تعد بعد ذلك ثم لما بنيت الاسكندرية وشيدت أمر الاسكندر ان يكتب على ابوابها هذه الاسكندرية أردت ان ابنيها على الفلاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور والثبات فى الدهور ولم يرد البارى عز وجل ملك السموات والارض ومفنى الامم ان نبنيها كذلك فبنيتها واحكمت بنيانها وشيدت سورها وآتانى الله من كل شئ علما وحكما وسهل لى وجوه الاسباب فلم يتعذر على فى العالم شئ مما أردته ولا امتنع عنى شئ مما طلبته لطفا من الله عز وجل وصنعا لى وصلاحا لى ولعباده من اهل عصرى والحمد لله رب العالمين لا اله الا الله رب كل شئ ورسم الاسكندر بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الاحداث بعده فى مستقبل الزمان من الآفات والعمران والخراب وما يؤول اليه الى وقت دثور العالم وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة كما تدور المدينة يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الازاج والقناطر التى

وعلى الرى سعيد بن قيس وعلى اصبهان السائب بن الاقرع وعلى ماسبذان حبيش وعلى بيت المال عقبة بن عامر وكان على قضاء عثمان زيد بن ثابت (عتيبة بن النهاس بالتاء فوقها نقطتان وبعدها ياء تحتها نقطتان وآخره باء موحدة وعيينة بن حصن بالياء تحتها نقطتان وياء ثانية وآخره نون تصغير عين والنسير بالنون والسين المهملة تصغير نسر)

(ذكر الخبر عمن كان يصلى فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم حين حصر عثمان)

قيل وجاء ذلك اليوم الذى منع فيه عثمان الصلاة سعد القرظ وهو المؤذن الى على بن ابى طالب فقال من يصلى بالناس فقال ادع خالد بن زيد فدعاه فصلى بالناس فهو أول يوم عرف ان اسم أبى أيوب الانصارى خالد بن زيد فصلى أياما ثم صلى بعد ذلك بالناس وقيل بل أمر على سهل بن حنيف فصلى بالناس من اول ذى الحجة الى يوم العيد ثم صلى على بالناس العيد ثم صلى بهم حتى قتل عثمان وقد تقدم غير ذلك فى ذكر قتله

(ذكر ما قيل فيه من الشعر)

قال حسان بن ثابت الانصارى

أتركتم غزو الدروب وراءكم * وغزوتمونا عند قبر محمد
فلبئس هدى المسلمين هديتم * ولبئس أمر الفاجر المتعمد
ان تقدموا نجعل قرى سرواتكم * حول المدينة كل لين مذود
أو تدبروا فلبئس ما سافرتم * ولمثل امر اميركم لم يرشد
وكأن أصحاب النبى عشية * بدن تذبح عند باب المسجد
ابكى أبا عمرو لحسن بلائه * امسى ضجيعا فى بقيع الغرقد

وقال ايضا

ان تمس دار ابن أروى اليوم خاوية * باب صريع وباب محرق خرب
فقد يصادف باغى الخير حاجته * فيها ويهوى اليها الذكر والحسب
يا ايها الناس أبدوا ذات أنفسكم * لا يستوى الصدق عند الله والكذب
قوموا بحق مليك الناس تعترفوا * بغارة عصب من خلفها عصب
فيهم حبيب شهاب الموت يقدمهم * مستلئما قد بدا فى وجهه الغضب

وقال أيضا

من سره الموت صرفا لا مزاج له * فليأت مأسدة فى دار عثمانا
مستشعرى حلق الماذى قد شفعت * قبل المخاطم بيض زان أبدانا
صبرا فدى لكم أمى وما ولدت * قد ينفع الصبر فى المكروه أحيانا
لقد رضينا باهل الشام نافرة * وبالامير وبالاخوان اخوانا
انى لمنهم وان غابوا وان شهدوا * ما دمت حيا وما سميت حسانا
لتسمعن وشيكا فى ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمانا
ضحوا باشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال ابو عمر بن عبد البر وقد ذكر بعض هذه الابيات وقد زاد فيها اهل الشام ولم أر لذكره وجها يعنى ما فيها من ذكر على وهو

ياليت شعرى وليت الطير تخبرنى * ما كان بين على وابن عفانا

تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق وتنفسات للضياء ومنافذ للهواء وقد كانت الاسكندرية تضىء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر واسواقها وشوارعها وأزقتها مقنطرة بها لئلا يصيب أهلها شئ من المطر وقد كان عليها سبعة اسوار من أنواع الحجارة المختلفة الوانها بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما علق على المدينة شقاق الحرير الاخضر لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه فلما أحكم بناؤها وسكنها أهلها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تختطف بالليل أهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير ولما علم الاسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على أعمدة هناك تدعى المسال وهى باقية الى هذه الغاية كل واحد من هذه الاعمدة على هيئة السروة وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا على عمد من نحاس وجعل تحتها صورا واشكالا وكتابة وذلك عند انخفاض درجة من درج الفلك وقربها من هذا العالم وعند أصحاب

وقال الوليد بن عقبة بن ابى معيط يحرض اخاه عمارة

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبى الذى جاء من مصر
فان يك ظنى بابن امى صادقا * عمارة لا يطلب بذحل ولا وتر
يبيت وأوتار ابن عفان عنده * مخيمة بين الخورنق والقصر

فأجابه الفضل بن العباس

اتطلب ثارا لست منه ولا له * وأين ابن ذكوان الصفورى من عمرو
كما اتصلت بنت الحمار بامها * وتنسى أباها اذ تسامى اولى الفخر
ألا ان خير الناس بعد ثلاثة * وصى النبى المصطفى عند ذى الذكر
وأول من صلى وصنو نبيه * وأول من أردى الغواة لدى بدر
فلو رأت الانصار ظلم ابن أمكم * بزعمكم كانوا له حاضرى النصر
كفى ذاك عيبا أن يشيروا بقتله * وأن يسلموه للاحابيش من مصر

قوله وأين ابن ذكوان فان الوليد بن عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو واسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس ويذكر جماعة من النسابين أن ذكوان مولى لامية فتبناه وكناه أبا عمرو ويعنى انك مولى لست من بنى أمية حتى تكون ممن يطلب بثار عثمان وقال غيرهم من الشعراء ايضا بعد مقتله فمن بين مادح وهاج ومن ناع وباك ومن سار فرح فممن مدحه حسان كما تقدم وكعب بن مالك فى آخرين غيرهم كذلك

ذكر بيعة امير المؤمنين على بن ابى طالب

وفى هذه السنة بويع امير المؤمنين على بن ابى طالب وقد اختلفوا فى كيفية بيعته فقيل انه لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا عليا فقالوا له انه لا بد للناس من امام قال لا حاجة لى فى أمركم فمن اخترتم رضيت به فقالوا مانختار غيرك وترددوا اليه مرارا وقالوا له فى آخر ذلك انا لا نعلم أحدا أحق به منك لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعلوا فانى أكون وزيرا خيرا من أن أكون أميرا فقالوا والله مانحن بفاعلين حتى نبايعك قال ففى المسجد فان بيعتى لا تكون خفية ولا تكون الا فى المسجد وكان فى بيته وقيل فى حائط لبنى عمرو بن مبذول فخرج الى المسجد وعليه ازار وطاق وعمامة خز ونعلاه فى يده متوكئا على قوس فبايعه الناس وكان اول من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله فنظر اليه حبيب بن ذؤيب فقال انا لله أول من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الامر وبايعه الزبير وقال لهما على ان احببتما أن تبايعانى وان أحببتما بايعتكما فقالا بل نبايعك وقالا بعد ذلك انما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا وعرفنا أنه لا يبايعنا وهربا الى مكة بعد قتل عثمان باربعة أشهر وبايعه الناس وجاؤا بسعد بن ابى وقاص فقال على بايع فقال لا حتى يبايع الناس والله ماعليك منى بأس فقال خلوا سبيله وجاؤا بابن عمر فقالوا بايع قال لا حتى يبايع الناس قال ائتنى بكفيل قال لا ارى كفيلا قال الاشتر دعنى اضرب عنقه قال على دعوه انا كفيله انك ما علمت لسيئ الخلق صغيرا وكبيرا وبايعت الانصار الا نفرا يسيرا منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وكانوا عثمانية فاما حسان فكان شاعرا لا يبالى مايصنع وأما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال فلما حصر عثمان قال يامعشر الانصار كونوا

الطلسمات المنجمين والفلكيين أنه اذا ارتفع من الفلك درجة وانخفض أخرى فى مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تأتى فى هذا العالم فعل الطلسمات النافعة المانعة والدافعة وقد ذكر هذا جماعة من أصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفى الكتب فى هذا المعنى ولهم فى ذلك سر من أسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعا له وأغيرهم ممن ذهب الى أن ذلك للطف قوى الطبائع التام وغير ذلك مما قاله الناس وما ذكرنا من درج الفلك فموجود فى كتب من تأخر من علماء المنجمين والفلكيين كابى معشر البلخى والخوارزمى ومحمد بن كثير الفرغانى وما شاء الله وحسن اليزيدى ومحمد بن جابر البنانى فى زيجه الكبير وثابت بن قرة وغير هؤلاء ممن تكلم فى علوم هيآت الفلك والنجوم (قال المسعودى) فأما منارة الاسكندرية فذهب الاكثر من المصريين والاسكندرانيين ممن عنى باخبار بلدهم الى أن الاسكندر بن فيليش المقدونى هو الذى بناها على حسب ماقدمنا فى بناء المدينة ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة هى التى بنتها

أنصار الله مرتين فقال له أبو أيوب ماتنصره الا لانه أكثر لك من العبدان وأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك له ما أخذ منهم ولم يبايعه عبد الله بن سلام وصهيب بن سنان وسلمة بن سلامة بن وقش وأسامة بن زيد وقدامة بن مظعون والمغيرة بن شعبة فاما النعمان بن بشير فانه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التى قطعت وقميص عثمان الذى قتل فيه وهرب به فلحق بالشام فكان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الاصابع فاذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظا وجدوا فى أمرهم ثم رفعه فاذا أحس منهم بفتور يقول له عمرو بن العاص حرك لها حوارها تحن فيعلقها وقد قيل ان طلحة والزبير انما بايعا عليا كرها وقيل لم يبايعه الزبير ولا صهيب ولا سلمة بن سلامة بن وقش وأسامة بن زيد وأما على قول من قال ان طلحة والزبير بايعا كرها فقال ان عثمان لما قتل بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقى بن حرب يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالامر فلا يجدونه ووجدوا طلحة فى حائط له ووجدوا سعدا والزبير قد خرجا من المدينة ووجدوا بنى امية قد هربوا الا من لم يطق الهرب وهرب سعيد والوليد ومروان الى مكة وتبعهم غيرهم فاتى المصريون عليا فباعدهم وأتى الكوفيون الزبير فباعدهم وأتى البصريون طلحة فباعدهم وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن يلى الخلافة فارسلوا الى سعد يطلبونه فقال انى وابن عمر لا حاجة لنا فيها فأتوا ابن عمر فلم يجبهم فبقوا حيارى قال بعضهم لبعض لئن رجع الناس الى امصارهم بغير امام لم نأمن الاختلاف وفساد الامة فجمعوا أهل المدينة فقالوا لهم يا أهل المدينة انتم اهل الشورى وأنتم تعقدون الامامة وحكمكم جائز على الامة فانظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع وقد أجلناكم يومكم فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا عليا وطلحة والزبير وناسا كثيرا فغشى الناس عليا فقالوا نبايعك فقد ترى مانزل بالاسلام وما ابتلينا به من بين القرى فقال على دعونى والتمسوا غيرى فانا مستقبلون أمرا له وجوه وله ألوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول فقالوا ننشدك الله ألا ترى مانحن فيه ألا ترى الاسلام ألا ترى الفتنة الا تخاف الله فقال قد اجبتكم واعلموا انى ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم وان تركتمونى فانما أنا كاحدكم الا أنى من أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا ان دخل طلحة والزبير فقد استقامت فبعث البصريون الى الزبير حكيم بن جبلة وقالوا احذر لا تحابه ومعه نفر فجاؤا به يحدونه بالسيف فبايع وبعثوا الى طلحة الاشتر ومعه نفر فأتى طلحة فقال دعنى أنظر مايصنع الناس فلم يدعه فجاء به يتله تلا عنيفا وصعد المنبر فبايع وكان الزبير يقول جاءنى لص من لصوص عبد القيس فبايعت والسيف على عنقى وأهل مصر فرحون فلما اجتمع عليه أهل المدينة وقد خشع أهل الكوفة والبصرة ان كانوا أتباعا لاهل مصر وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظا ولما أصبحوا يوم البيعة وهو يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء على فصعد المنبر وقال ايها الناس عن ملا واذن ان هذا أمركم ليس لاحد فيه حق الا من أمرتم وقد افترقنا بالامس على أمر وكنت كارها لامركم فابيتم الا ان أكون عليكم ألا وانه ليس لى دونكم الا مفاتيح مالكم معى وليس لى ان آخذ درهما دونكم فان شئتم قعدت لكم والا فلا آخذ على أحد فقالوا نحن على ما فارقناك عليه بالامس فقال اللهم اشهد ولما جاؤا بطلحة ليبايع فقال انما ابايع كرها فبايع وكان به شلل فقال رجل يعتاف انا لله وانا اليه راجعون أول يد بايعت يد شلاء لا يتم هذا الامر ثم جىء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع وفى الزبير اختلاف ثم جىء بعده بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا نبايع على اقامة كتاب الله فى القريب والبعيد والعزيز والذليل فبايعهم ثم قام العامة فبايعوا وصار الامر امر أهل المدينة

وجعلتها حرزا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومنهم من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هو الذى بناها وقد قدمنا ذكر هذا الملك فيما سلف من هذا الكتاب ومنهم من رأى أن الذى بنى مدينة رومية هو الذى بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وانما اضيفت الاسكندرية الى الاسكندر لشهرته بالاستيلاء على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا فى ذلك أخبارا كثيرة يدلون بها على ماقالوا والاسكندر لم يطرقه فى هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه فى بلده ويغزوه فى داره فيكون هو الذى جعلها مرقبا وان الذى بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان فى جوف البحر وعلى طرف اللسان الذى هو داخل فى البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره فيها تمثال قد أشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك واذا علت فى الفلك فاصبعه مشيرة نحوها فاذا انخفضت انخفضت يده سفلا يدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير

وكأنهم كما كانوا فيه وتفرقوا الى منازلهم وبويع يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة والناس يحسبون بيعته من قبل عثمان وأول خطبة خطبها على حين استخلف حمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر الفرائض الفرائض أدوها الى الله تعالى يؤدكم الى الجنة ان الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق لا يحل دم امرئ مسلم الا بما يجب بادروا أمر العامة وخاصة احدكم الموت فان الناس امامكم وان ما خلفكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر بالناس أخراهم اتقوا الله عباد الله فى بلاده وعباده انكم مسؤلون حتى عن البقاع والبهائم اطيعوا الله فلا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض ولما فرغ من الخطبة وهو على المنبر قالت السبئية

خذها اليك واحذرن اباحسن * انا نمر الامر امرار الرسن

صولة أقوام كاشداد السفن * بمشرفيات كغدران اللبن

ونطعن الملك بلين كالشطن * حتى يمرون على غير عنن

فقال على

انى عجزت عجزة لا اعتذر * سوف أكيس بعدها واستمر

ارفع من ذيلى ما كنت أجر * واجمع الامر الشتيت المنتشر

ان لم يشاغبنى العجول المنتصر * ان تتركونى والسلاح يبتدر

ورجع على الى بيته فدخل عليه طلحة والزبير فى عدد من الصحابة فقالوا يا على انا قد اشترطنا اقامة الحدود وان هؤلاء القوم قد اشتركوا فى قتل هذا الرجل وأحلوا بانفسهم فقال يا اخوتاه انى لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ماشاؤا فهل ترون موضعا للقدرة على شئ مما تريدون قالوا لا قال فلا والله لا أرى الا رأيا ترونه أبدا الا ان يشاء الله ان هذا الامر امر جاهلية وان لهؤلاء القوم مادة وذلك ان الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الارض آخذ بها أبدا ان الناس من هذا الامر ان حرك على امور فرقة ترى ماترون وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق فاهدؤا عنى وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا واشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج وتركها على حالها وانما هيجه على ذلك هرب بنى أمية وتفرق القوم فبعضهم يقول ما قال على وبعضهم يقول نقضى الذى علينا ولا نؤخره والله ان عليا لمستغن برأيه وليكونن اشد على قريش من غيره فسمع ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته اليهم ونظره لهم وقيامه دونهم وانه ليس له من سلطانهم الا ذاك والاجر من الله عليه ونادى برئت الذمة من عبد لا يرجع الى مولاه فتذامرت السبئية والاعراب وقالوا لنا غدا مثلها ولا نستطيع نحتج فيهم بشئ وقال أيها الناس أخرجوا عنكم الاعراب فليلحقوا بمياههم فأبت السبئية واطاعهم الاعراب فدخل على بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعدة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال دونكم ثأركم فاقتلوه فقالوا عموا عن ذلك فقال هم والله بعد اليوم اعمى وقال

ولو أن قومى طاوعتنى سراتهم * امرتهم أمرا يديخ الاعاديا

وقال طلحة دعنى آت البصرة فلا يفجؤك الا وأنا فى خيل وقال الزبير دعنى آت الكوفة فلا يفجؤك

الا

بيده الى البحر اذا صار العدو منه على نحو من ليلة فاذا دنا وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من ميلين أو ثلاثة فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم ويرمقونه بابصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل والنهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت فى الساعة التى قبلها وصوته مطرب وقد كان ملك الروم فى مدة الوليد ابن عبد الملك بن مروان انفذ خادما من خواص خدمه ذا رأى ودهاء وجاء مستأمنا الى بعض الثغور فورد بآلة حسنة ومعه جماعة فجاء الى الوليد فاخبره أنه من خواص الملك وأنه أراد قتله بموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها أصل وانه استوحش منه ورغب فى الاسلام فاسلم على يد الوليد وتقرب من قلبه وتنصح اليه فى دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفائن فلما رأى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان ههنا أموالا وجواهر ودفائن للملوك فسأله الوليد عن الخبر

الا وأنا فى خيل فقال حتى انظر فى ذلك قيل وقال ابن عباس أتيت عليا بعد قتل عثمان عند عودى من مكة فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به فخرج من عنده فقلت له ما قال لك هذا فقال قال لى قبل مرته هذه ان لك حق الطاعة والنصيحة وأنت بقية الناس وان الرأى اليوم تحرز به ما فى غد وان الضياع اليوم يضيع به ما فى غد أقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على أعمالهم حتى تأتيك بيعتهم ويسكن الناس ثم اعزل من شئت فأبيت عليه ذلك وقلت لا اداهن فى دينى ولا أعطى الدنية فى أمرى قال فان كنت أبيت على فانزع من شئت واترك معاوية فان فى معاوية جرأة وهو فى أهل الشام يستمع منه ولك حجة فى اثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام فقلت لا والله لا استعمل معاوية يومين ثم انصرف من عندى وأنا أعرف فيه أنه يود انى مخطئ ثم عاد الى الآن فقال انى أشرت عليك أول مرة بالذى أشرت وخالفتنى فيه ثم رأيت بعد ذلك ان تصنع الذى رأيت فتعزلهم وتستعين بمن تثق به فقد كفى الله وهم أهون شوكة مما كان قال ابن عباس فقلت لعلى اما المرة الاولى فقد نصحك وأما المرة الثانية فقد غشك قال ولم نصحنى قلت لان معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى تثبتهم لا يبالون من ولى هذا الامر ومتى تعزلهم يقولون أخذ هذا الامر بغير شورى وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك فتنتقض عليك الشام وأهل العراق مع انى لا آمن طلحة والزبير ان يكرا عليك وأنا أشير عليك ان تثبت معاوية فان بايع لك فعلى ان أقلعه من منزله وقال على والله لا أعطيه الا السيف ثم تمثل

وما ميتة ان متها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غولها

فقلت يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لست صاحب رأى فى الحرب اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال بلى فقلت أما والله لئن اطعتنى لاصدرنهم بعد ورد ولاتركنهم ينظرون فى دبر الامور لا يعرفون ما كان وجهها فى غير نقصان عليك ولا اثم لك فقال يا ابن عباس لست من هناتك ولا من هنات معاوية فى شئ قال ابن عباس فقلت له اطعنى والحق بمالك بينبع وأغلق بابك عليك فان العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك فانك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا فأبى على فقال تشير على وارى فاذا عصيتك فاطعنى قال فقلت افعل ان أيسر ما لك عندى الطاعة فقال له على تسير الى الشام فقد وليتكها فقال ابن عباس ما هذا برأى معاوية رجل من بنى أمية وهو ابن عم عثمان وعامله ولست آمن ان يضرب عنقى بعثمان وان أدنى ما هو صانع ان يحبسنى فيتحكم على لقرابتى منك وان كل ما حمل عليك حمل على ولكن اكتب الى معاوية فمنه وعده فقال لا والله لا كان هذا أبدا وكان المغيرة يقول نصحته فلما لم يقبل غششته وخرج فلحق بمكة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أعنى سنة خمس وثلاثين سار قسطنطين بن هرقل فى ألف مركب يريد أرض المسلمين قبل قتل عثمان فسلط الله عليهم ريحا عاصفا فغرقهم ونجا قسطنطين فأتى صقلية فصنعوا له حماما فدخله فقتلوه فيه وقالوا قتلت رجالنا هكذا قال أبو جعفر وهذا قسطنطين هو الذى هزمه المسلمون فى غزوة الصوارى سنة احدى وثلاثين وقتله أهل صقلية فى الحمام وان كانوا قد اختلفوا فى السنة التى كانت الوقعة فيها ولولا قوله ان المراكب غرقت لكانت هذه الحادثة هى تلك فانها فى قول بعضهم كانت سنة خمس وثلاثين * وفى خلافة عثمان مات أوس بن خولى الانصارى وفى خلافة عثمان أيضا مات الجلاس بن سويد الانصارى وكان من المنافقين على عهد رسول الله صلى

فقال تحت منارة الاسكندرية أموال الارض وذلك أن الاسكندر احتوى على الاموال والجواهر التى كانت لشداد بن عاد وملوك العرب بمصر والشام فبنى بها الآزاج تحت الارض وقنطر لها الاقباء والقناطر والسراديب وأودعها تلك الذخائر من العين والورق والجواهر وبنى فوق ذلك هذه المنارة وكان طولها فى الهواء ألف ذراع والمرآة على علوها والديادبة جلوس حولها فاذا نظروا الى العدو فى البحر فى ضوء تلك المرآة صوتوا بمن قرب منهم ونصبوا ونشروا أعلاما فيراها من بعد منهم فيحذر الناس وينذر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش وأناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف المنارة من أعلاها وازيلت المرآة فضج الناس من أهل الاسكندرية وغيرها وعلموا أنها مكيدة وحيلة فى أمرها ولما علم الخادم استفاضة ذلك وأنه سينمى الى الوليد وانه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب فى الليل فى مركب كان قد أعده وواطأ قوما على ذلك من أمره فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا فى هذا الوقت وهو سنة

الله عليه وسلم وحسنت توبته وفيها مات الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو الملقب ببة
وفى آخرها مات الحكم بن أبى العاص وهو والد مروان وعم عثمان * وفيها مات حبان بن منقذ
الانصارى وهو والد يحيى بن حبان (بفتح الحاء المهملة وبالباء الموحدة) وفيها مات عبد الله بن قيس
ابن خالد الانصارى وقيل بل قتل باحد شهيدا وفى خلافته مات قطبة بن عامر الانصارى وهو
عقبى بدرى وفى خلافته مات زيد بن خارجة بن زيد الانصارى وهو الذى تكلم بعد موته وفيها قتل
معبد بن العباس بن عبد المطلب بافريقية فى آخر خلافة عثمان * وفيها مات معيقيب بن أبى
فاطمة وكان من مهاجرة الحبشة وكان على خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بل مات سنة
أربعين فى خلافة على وفيها مات مطيع بن الاسود العدوى وكان اسلامه يوم الفتح * وفى خلافته
مات نعيم بن مسعود الاشجعى وقيل بل قتل فى وقعة الجمل مع مجاشع بن مسعود وفى خلافته مات
عبد الله بن حذافة السهمى وهو بدرى وكان فيه دعابة * وفيها مات عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى
والد عمر الشاعر وكان قد جاء من اليمن لينصر عثمان لما حصر فسقط عن راحلته فمات وأبو رافع
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل مات فى خلافة على وهو أصح * وفى خلافته توفى أبو سبرة
ابن أبى رهم العامرى من عامر بن لؤى وهو بدرى * وفيها مات هاشم بن عتبة بن ربيعة خال
معاوية أسلم يوم الفتح وكان صالحا * وفيها مات أبو الدرداء وقيل عاش بعده والاول أصح

﴿ثم دخلت سنة ست وثلاثين﴾

﴿ذكر تفريق على عماله وخلاف معاوية﴾

وفى هذه السنة فرق على عماله على الامصار فبعث عثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن
شهاب على الكوفة وكان له هجرة وعبيد الله بن عباس على اليمن وقيس بن سعد على مصر وسهل بن
حنيف على الشام فاما سهل فانه خرج حتى اذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا من أنت قال أمير
قالوا على أى شئ قال على الشام قالوا ان كان بعثك عثمان فحيهلا بك وان كان بعثك غيره
فارجع قال أوما سمعتم بالذى كان قالوا بلى فرجع الى على وأما قيس بن سعد فانه لما انتهى الى ايلة
لقيته خيل فقالوا له من أنت قال من قتلة عثمان فأنا اطلب من آوى اليه فانتصر به لله قالوا من
أنت قال قيس بن سعد قالوا امض فمضى حتى دخل مصر فافترق أهل مصر فرقا فرقة دخلت فى
الجماعة فكانوا معه وفرقة اعتزلت بخربتا وقالوا ان قتل قتلة عثمان فنحن معكم والا فنحن على جديلتنا
حتى نحرك أو نصيب حاجتنا وفرقة قالوا نحن مع على مالم يقد من اخواننا وهم فى ذلك مع الجماعة
وكتب قيس الى على بذلك وأما عثمان بن حنيف فسار ولم يرده أحد عن دخول البصرة ولم يجد
لابن عامر فى ذلك رأيا ولا استقلالا بحرب وافترق الناس بها فاتبعت فرقة القوم ودخلت فرقة
فى الجماعة وقالت فرقة ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا وأما عمارة بن شهاب فلما بلغ
زبالة لقيه طليحة بن خويلد وكان خرج يطلب بثار عثمان وهو يقول لهفى على أمر لم يسبقنى ولم
أدركه وكان خروجه عند عود القعقاع من اغاثة عثمان فلما لقى عمارة قال له ارجع فان القوم
لا يريدون بأميرهم بدلا فان أبيت ضربت عنقك فرجع عمارة الى على بالخبر وانطلق عبيد الله
ابن عباس الى اليمن فجمع يعلى بن منية كل شئ من الجباية وخرج به الى مكة فقدمها بالمال
ودخل عبيد الله اليمن ولما رجع سهل بن حنيف من الشام وأتت عليا الاخبار دعا طلحة
والزبير فقال ان الامر الذى كنت أحذركم قد وقع وان الذى قد وقع لا يدرك الا باماتته وانها
فتنة كالنار كلما سعرت ازدادت واستنارت فقالا له ائذن لنا نخرج من المدينة فاما ان نكاثر وأما

اثنتين وثلاثين وثلثمائة
وكان حوالى منارة
الاسكندرية فى البحر
مغاص يخرج منه قطع
من الجواهر تتخذ منه
فصوص للخواتم أنواعا من
الجواهر منه الكركهن
والادرك واشباد جشم
ويقال ان ذلك من الآلات
التى كان اتخذها الاسكندر
للشراب فلما مات كسرتها
أمه ورمت بها فى تلك
المواضع من البحر ومنهم
من رأى أن الاسكندر
اتخذ ذلك النوع من الجوهر
وغرقه حول المنارة لكيلا
تخلو من الناس حولها
لان من شأن الجوهر أن
يكون مطلوبا أبدا فى كل
عصر فى معدنه برا كان
أو بحرا فيكون الموضع
على دوام الاوقات بالناس
معمورا والاكثر مما
يستخرج من الجوهر حول
منارة الاسكندرية
الاشباد جشم وقد رأيت
كثيرا من أصحاب التلويحات
ومن عنى باعمال الجواهر
المشبهة بالمعدنية يعمل
هذه الجواهر المعروفة
بالاشباد جشم ويتخذ منه
النصول وغيرها وكذلك
الفصوص المعروفة
بالباقلون هى ترى ألوانا
مختلفة من حمرة وصفرة
تتلون فى المنظر ألوانا مختلفة
على حسب ما قدمنا

ان

ان تدعنا فقال سأمسك الامر ما استمسك فاذا لم أجد بدا فآخر الداء الكى وكتب الى معاوية
والى أبى موسى فكتب اليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم وبين الكاره منهم للذى كان
والراضى ومن بين ذلك حتى كان على كأنه يشاهدهم وكان رسول على الى أبى موسى معبدا
الاسلمى وكان رسوله الى معاوية سبرة الجهنى فقدم عليه فلم يجبه معاوية بشئ كلما تنجز جوابه
لم يزد على قوله

أدم ادامة حصن أو خذا بيدى * حربا ضروسا تشب الجزل والضرما
فى جاركم وابنكم اذ كان مقتله * شنعاء شيبت الاصداغ واللمما
أعيا المسود بها والسيدون فلم * يوجد لها غيرنا مولى ولا حكما

حتى اذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان فى صفر دعا معاوية رجلا من بنى عبس يدعى قبيصة
فدفع اليه طومارا مختوما عنوانه من معاوية الى على وقال له اذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل
الطومار ثم أوصاه بما يقول واعاد رسول على معه فخرجا فقدما المدينة فى ربيع الاول فدخلها
العبسى كما أمره قد رفع الطومار فتبعه الناس ينظرون اليه وعلموا ان معاوية معترض ودخل
الرسول على على فدفع اليه الطومار ففض ختمه فلم يجد فيه كتابا فقال للرسول ما وراءك قال آمن
انا قال نعم ان الرسول لا يقتل قال ورائى انى تركت قوما لا يرضون الا بالقود قال ممن قال من خيط
رقبتك وتركت ستين ألف شيخ تبكى تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق
قال أمنى يطلبون دم عثمان ألست موتورا كترة عثمان اللهم انى ابرأ اليك من دم عثمان نجا والله
قتلة عثمان الا أن يشاء الله فانه اذا أراد امرا أصابه اخرج قال وانى آمن قال وأنت آمن فخرج
العبسى وصاحت السبئية وقالت هذا الكلب رسول الكلاب اقتلوه فنادى يا آل مضر يا آل
قيس الخيل والنبل اقسم بالله ليردنها عليكم اربعة آلاف خصى فانظروا كم الفحول والركاب
وتعاونوا عليه فمنعته مضر فجعلوا يقولون له اسكت فيقول لا والله لا يفلح هؤلاء أبدا أتاهم ما يوعدون
لقد حل بهم ما يحذرون انتهت والله أعمالهم وذهبت ريحهم فوالله ما امسوا حتى عرف الذل فيهم
واحب أهل المدينة ان يعلموا رأى على فى معاوية وقتاله أهل القبلة أيجسر عليه أم ينكل عنه
وقد بلغهم ان ابنه الحسن دعاه الى القعود وترك الناس فدسوا زياد بن حنظلة التميمى وكان
منقطعا الى على فجلس اليه ساعة فقال له على يا زياد تيسر فقال لاى شئ فقال لغزو الشام فقال
زياد الاناة والرفق أمثل وقال

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

فتمثل على وكأنه لا يريده

متى تجمع القلب الذكى وصارما * وانفا حميا تجتنبك المظالم

فخرج زياد والناس ينتظرونه وقالوا ما وراءك فقال السيف يا قوم فعرفوا ما هو فاعل واستأذنه
طلحة والزبير فى العمرة فاذن لهما فلحقا بمكة ودعا على محمد بن الحنفية فدفع اليه اللواء وولى عبد الله
ابن عباس ميمنته وعمر بن أبى سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الاسد ولاه ميسرته ودعا أبا ليلى
ابن عمر بن الجراح ابن أخى أبى عبيدة بن الجراح فجعله على مقدمته واستخلف على المدينة قثم بن
العباس ولم يول ممن خرج على عثمان احدا وكتب الى قيس بن سعد والى عثمان بن حنيف والى
أبى موسى ان يندبوا الناس الى أهل الشام ودعا أهل المدينة الى قتالهم وقال لهم ان فى سلطان
الله عصمة امركم فاعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكرة بها والله لتفعلن او لينقلن الله عنكم

والتلون من ذلك على
حسب الجوهر فى صفائه
واختلاف نظر البصر فى
ادراكه وتلون هذا النوع
من الجوهر اعنى الباقلون
نحو تلون ريش صدور
الطواويس فانها تتلون
ألوانا مختلفة اذنابها
واجنحتها أعنى الذكور
دون الاناث وقد رأيت
منها بارض الهند ألوانا تظهر
بحس البصر عند تأملها
لا تدرك ولا تحصى ولا
تشبه بلون من الالوان
لما يتراءى من تموج
الالوان فى ريشها ويتأتى
ذلك منها لعظم خلقتها
وكبر أجسامها وسعة
ريشها لان للطواويس
بارض الهند شأنا عجيبا
والذى يحمل منها الى
أرض الاسلام ويخرج من
أرض الهند فيبيض
ويفرخ تكون صغيرة
الاجسام كدرة الالوان
لا تخطف أنوار الابصار
بادراكها وانما تشبه
بالهندية بالشبه اليسير هذا
فى الذكور منها دون
الاناث وذلك نحو النارنج
والاترج المدور حمل من
أرض الهند الى أرض غيرها
بعد الثلثمائة فزرع بعمان
ثم نقل الى البصرة والعراق
والشام حتى كثر فى دور
الناس بطرسوس وغيرها
من الثغور الشامية

سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم أبدا حتى يأرز الامر اليها انهضوا الى هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق وتقضون الذي عليكم (خربنا بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح النون والباء الموحدة وآخره ألف)

﴿ذكر ابتداء أمر وقعة الجمل﴾

فبينما هم كذلك على التجهز لاهل الشام اتاهم الخبر عن طلحة والزبير وعائشة وأهل مكة بنحو آخر وانهم على الخلاف فاعلم على الناس ذلك وان عائشة وطلحة والزبير قد سخطوا امارته ودعوا الناس الى الاصلاح وقال لهم ساصبر مالم أخف على جماعتكم وأكف ان كفوا واقتصر على ما بلغني ثم أتاه انهم يريدون البصرة فسره ذلك وقال ان الكوفة فيها رجال العرب وبيوتاتهم فقال له ابن عباس ان الذي سرك من ذلك ليسوءني ان الكوفة فسطاط فيه من اعلام العرب ولا يحملهم عدة القوم ولا يزال فيها من يسمو الى أمر لا يناله فاذا كان كذلك شغب على الذي قد نال ما يريد حتى تنكسر حدته فقال على ان الامر ليشبه ما تقول وتهيأ للخروج اليهم فندب أهل المدينة للمسير معهم فتثاقلوا فبعث الى عبد الله بن عمر كميلا النخعي فجاء به فدعاه الى الخروج معه فقال انما أنا من أهل المدينة وقد دخلوا في هذا الامر فدخلت معهم فان يخرجوا أخرج معهم وان يقعدوا أقعد قال فاعطني كفيلا قال لا أفعل فقال له على لولا ما أعرف من سوء خلقك صغيرا وكبيرا لأنكرتني دعه فانا كفيله فرجع ابن عمر الى المدينة وهم يقولون والله ما ندري كيف نصنع ان الامر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضيء لنا فخرج من تحت ليلته وأخبر أم كلثوم ابنة على وهي زوجة عمر بالذي سمع وانه يخرج معتمرا مقيما على طاعة على ما خلا النهوض فاصبح على فقيل له حدث الليلة حدث هو أشد من طلحة والزبير وعائشة ومعاوية قال وما ذاك قالوا خرج ابن عمر الى الشام فاتى السوق وأعد الظهر والرجال وأخذ لكل طريق طلابا وماج الناس فسمعت أم كلثوم فاتت عليا فاخبرته الخبر فطابت نفسه وقال انصرفوا والله ما كذبت ولا كذب والله انه عندي ثقة فانصرفوا وكان سبب اجتماعهم بمكة ان عائشة كانت خرجت اليها وعثمان محصور ثم خرجت من مكة تريد المدينة فلما كانت بسرف لقيها رجل من اخوالها من بني ليث يقال له عبيد بن أبي سلمة وهو ابن أم كلاب فقالت له مهيم قال قتل عثمان وبقوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا قال اجتمعوا على بيعة على فقالت ليت هذه انطبقت على هذه ان تم الامر لصاحبك ردوني ردوني فانصرفت الى مكة وهي تقول قتل والله عثمان مظلوما والله لاطلبن بدمه فقال لها ولم والله ان أول من أمال حرفه لانت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر قالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الاخير خير من قولي الاول فقال لها ابن أم كلاب

فمنك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام * وقلت لنا انه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله * وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرا * يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها * وما من وفى مثل من قد غدر

فانصرفت الى مكة فقصدت الحجر فسترت فيه فاجتمع الناس حولها فقالت أيها الناس ان الغوغاء من أهل الامصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما بالامس

وأنطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان بهوسد ولا يعرف فعدمت منه الروائح الخمرية النابية واللون الحسن الذي يوجد فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصية البلد وقال ان هذه المنارة انما جعلت المرآة في أعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر على الاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرآة ترى من يرد في البحر من عدوهم ألا ان من يدخلها يتيه فيها الا أن يكون عارفا بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وممارتها وقد ذكر أن المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر في جيش صاحب المغرب ودخل جماعة منهم على خيولهم الى المنارة فتاهوا فيها وفيها طرق تؤول الى مهاو تهوي الى السرطان الزجاج وفيها مخارق الى البحر فتهوروا بدوابهم وفقد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان تهورهم كان في كرسي بها قدامها وفيها مسجد في هذا الوقت يرابط فيه في الصيف مطوعة المصريين وغيرهم والبلاد

ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه وقد استعمل امثالهم قبله ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام والله لاصبع من عثمان خير من طباق الارض امثالهم ووالله لو ان الذي اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه اذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء اي يغسل فقال عبد الله بن عامر الحضرمي وكان عامل عثمان على مكة ها أنا أول طالب فكان أول مجيب وتبعه بنو أمية على ذلك وكانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان الى مكة ورفعوا رؤسهم وكان أول ما تكلموا بالحجاز وتبعهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بني أمية وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير ويعلى بن أمية وهو ابن منية من اليمن ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم فاناخ بالابطح وقدم طلحة والزبير من المدينة فلقيا عائشة فقالت ما وراءكما فقالا انا تحملنا هرابا من المدينة من غوغاء واعراب وفارقنا قوما حيارى لا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون انفسهم فقالت انهضوا الى هذه الغوغاء فقالوا نأتي الشام فقال ابن عامر قد كفاكم الشام معاوية فأتوا البصرة فان لي بها صنائع ولهم في طلحة هوى قالوا قبحك الله فوالله ما كنت بالمسالم ولا بالمحارب فهلا أقمت كما أقام معاوية فنكفى بك ثم نأتي الكوفة فنسد على هؤلاء القوم المذاهب فلم يجدوا عنده جوابا مقبولا فاستقام الرأي على البصرة وقالوا لها نترك المدينة فانا خرجنا فكان معنا من لا يطيق من بها من الغوغاء ونأتي بلدا مضيعا سيحتجون علينا ببيعة على فتنهضهم كما انهضت أهل مكة فان اصلح الله الامر كان الذي اردنا والا دفعنا بجهدنا حتى يقضي الله ما أراد فاجابتهم الى ذلك ودعوا عبد الله بن عمر ليسير معهم فأبى وقال انا من أهل المدينة افعل ما يفعلون فتركوه وكان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم معها على قصد المدينة فلما تغير رأيها الى البصرة تركن ذلك واجابتهم حفصة الى المسير معهم فمنعها أخوها عبد الله بن عمر وجهزهم يعلى بن منية بستمائة بعير وستمائة ألف درهم وجهزهم ابن عامر بمال كثير ونادى مناديها ان أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون الى البصرة فمن أراد اعزاز الاسلام وقتال المحلين والطلب بثار عثمان وليس له مركب وجهاز فهذا جهاز فحملوا ستمائة على ستمائة بعير وساروا في ألف وقيل في تسعمائة من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس فكانوا في ثلاثة آلاف رجل وبعثت أم الفضل بنت الحرث أم عبد الله بن عباس رجلا من جهينة يدعى ظفرا فاستأجرته على ان يأتي عليا بالخبر فقدم على على بكتابها وخرجت عائشة ومن معها من مكة فلما خرجوا منها أذن مروان بن الحكم ثم جاء حتى وقف على طلحة والزبير فقال على أيكما أسلم بالامرة وأؤذن بالصلاة فقال عبد الله بن الزبير على أبي عبد الله يعني أباه الزبير وقال محمد بن طلحة على أبي محمد يعني أباه طلحة فأرسلت عائشة الى مروان وقالت له أتريد ان تفرق امرنا ليصل بالناس ابن أختي تعني عبد الله بن الزبير وقيل بل صلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد حتى قتل فكان معاذ بن عبيد يقول والله لو ظفرنا لاقتتلنا ما كان الزبير يترك طلحة والامر ولا كان طلحة يترك الزبير والامر وتبعها أمهات المؤمنين الى ذات عرق فبكوا على الاسلام فلم ير يوم كان أكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم فكان يسمى يوم النحيب فلما بلغوا ذات عرق اتى سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بها فقال أين تذهبون وتتركون ثاركم على اعجاز الابل وراءكم يعني عائشة وطلحة والزبير اقتلوهم ثم ارجعوا الى منازلكم فقالوا نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال ان ظفرتما لمن تجعلان الامر اصدقاني قالا نجعله لاحدنا أينا اختاره

مصر والاسكندرية وبلاد الاندلس ورومية وما في الشرق واليمن والمغرب أخبار كثيرة في عجائب البلدان والابنية والآثار وخواص البقاع وما يؤثر في ساكنيها وقطانها أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على الاخبار منها فيما سلف من كتبنا من عجائب العالم من دوابه وبره وبحره فأغنى ذلك عن اعادة ذكره ولم تعرض فيما سلف من هذا الكتاب لذكر بيوت النيران والهياكل المعظمة والبيوت المشرفة وغير ذلك مما يليق بمعناها بل نذكرها في الموضع المستحق بها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

﴿ذكر السودان وأنسابهم واختلاف أجناسهم وأنواعهم وتباينهم في ديارهم وأخبار ملوكهم﴾

(قال المسعودي) لما تفرق ولد نوح في الارض سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ثم افترقوا فسارت منهم طائفة ميمنة بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجة والزنج وسار فريق منهم نحو المغرب وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة والغانو ومريك وكوكو والحبي وغانة وغير ذلك من أنواع الاحابش والدمادم ثم افترق الذين

الناس قال بل تجعلونه لولد عثمان فانكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم قال فلا اراني أسعى الا لاخراجها من بني عبد مناف فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد وقال المغيرة بن شعبة الرأي ما قال سعيد من كان ههنا من ثقيف فليرجع فرجع ومضى القوم ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان واعطى يعلى بن منية عائشة جملا اسمه عسكر اشتراه بثمانين دينارا فركبته وقيل بل كان جملا والرجل من عرينة قال العرني بينما أنا اسير على جمل اذ عرض لي راكب فقال أتبيع جملك قلت نعم قال بكم قلت بالف درهم قال أمجنون أنت قلت ولم والله ما طلبت عليه أحدا الا ادركته ولا طلبني وانا عليه احد الا فته قال لو تعلم لمن نريده انما نريده لام المؤمنين عائشة فقلت خذه بغير ثمن قال بل ترجع معنا الى الرحل فنعطيك ناقة ودراهم قال فرجعت معه فاعطوني ناقة مهرية واربعمائة درهم أو ستمائة وقالوا لي يا أخا عرينة هل لك دلالة بالطريق قلت أنا من ادل الناس قالوا فسر معنا فسرت معهم فلا امر على واد الا سألوني عنه حتى طرقنا الحوأب وهو ماء فنبحتنا كلابه فقالوا أي ماء هذا فقلت هذا ماء الحوأب فصرخت عائشة باعلى صوتها وقالت انا لله وانا اليه راجعون اني لهيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب ثم ضربت عضد بعيرها فاناخته وقالت ردوني انا والله صاحبة ماء الحوأب فاناخوا حولها يوما وليلة فقال لها عبد الله بن الزبير انه كذب ولم يزل بها وهي تمتنع فقال لها النجاء النجاء قد أدرككم علي بن أبي طالب فارتحلوا نحو البصرة فلما كانوا بفنائها لقيهم عمير بن عبد الله التميمي وقال يا أم المؤمنين انشدك الله ان تقدمي اليوم على قوم لم تراسلي منهم أحدا فعجلي ابن عامر فان له بها صنائع فليذهب اليهم ايلقوا الناس الى ان تقدمي ويسمعوا ما جئتم به فارسلته فاندس الى البصرة فاتى القوم وكتبت عائشة الى رجال من أهل البصرة والى الاحنف بن قيس وصبرة بن شيمان وأمثالهم وأقامت بالحفير تنتظر الجواب ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين وكان رجل عامة وألزمه بأبي الاسود الدؤلي وكان رجل خاصة وقال لهما انطلقا الى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها فخرجا فانتهيا اليها بالحفير فاذنت لهما فدخلا وسلما وقالا ان أميرنا بعثنا اليك لنسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا فقالت والله ما مثلي يغطي لبنيه الخبر ان الغوغاء ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثوا فيه وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما نالوا من قتل امام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس فيه وراءنا وما ينبغي لهم من اصلاح هذه القصة وقرأت لا خير في كثير من نجواهم الآية فهذا شأننا الى معروف نامركم به ومنكر ننهاكم عنه فخرج عمران وأبو الاسود من عندها فاتيا طلحة وقالا ما أقدمك فقال الطلب بدم عثمان فقالا ألم تبايع عليا فقال بلى والسيف على عنقي وما أستقيل عليا البيعة ان هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان ثم أتيا الزبير فقالا له مثل قولهما لطلحة وقال لهما مثل قول طلحة فرجعا الى عثمان بن حنيف ونادى مناديها بالرحيل فدخلا على عثمان فبادر أبو الاسود عمران فقال

يا ابن حنيف قد أتيت فانفر * وطاعن القوم وجالد واصبر * وابرز لهم مستلئما وشمر

فقال عثمان انا لله وانا اليه راجعون دارت رحى الاسلام ورب الكعبة فانظروا بأي زيفان نزيف فقال عمران اي والله لتعركنكم عركا طويلا فقال فأشر علي يا عمران فقال اعتزل فاني

مضوا بين المشرق والمغرب فصارت الزنج من المكين والمسكون وبربرا وغيرهم من انواع الزنج وقد قدمنا فيما سلف عند ذكرنا البحر الحبشي والخليج البربري وما عليه من أنواع السودان واتصالهم في ديارهم الى بلاد الدهلك والزيلع وناصع وهؤلاء القوم هم أصحاب جلود النمور والجير وهي ابامهم ومن أرضهم تحمل الى بلاد الاسلام وهي أكبر ما يكون من جلود النمورة وأحسنها للسروج وبحر الزنج والاحابش هو عن يمين بحر الهند وان كانت مياههما متصلة ومن أرضهم يحمل الذبل من ظهور السلاحف وهو الذي يتخذ منه الامشاط كالقرن وأكثر ما تكون الدابة المعروفة بالزرافة في أرضهم وان كانت عامة الوجود في أرض النوبة دون سائر بلاد الاحابش وقد تنوزع في نتاج هذا النوع من الدواب المعروفة بالزرافة فمنهم من رأى ان بدء نتاجها من الابل ومنهم من رأى أن ذلك كان بجمع بين الابل والزرافة وأن النمور ظهرت من ذلك ومنهم من زعم أنه نوع من الحيوان قائم بذاته

قاعد فقال عثمان بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين فانصرف عمران الى بيته وقام عثمان في أمره فأتاه هشام بن عامر فقال ان هذا الامر الذي تريده يسلم الى شر مما تكرهه ان هذا فتق لا يرتق وصدع لا يجبر فارفق بهم وسامحهم حتى يأتي أمر علي فأبى ونادى عثمان في الناس وأمرهم بلبس السلاح فاجتمعوا الى المسجد وأمرهم بالتجهز وأمر رجلا دسه الى الناس خدعا كوفيا قيسيا فقام فقال ايها الناس انا قيس بن العقدية الحميسي ان هؤلاء القوم ان كانوا جاؤا خائفين فقد أتوا من بلد يأمن فيه الطير وان كانوا جاؤا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلة عثمان فاطيعوني وردوهم من حيث جاؤا فقام الاسود بن سريع السعدي فقال أو زعموا أنا قتلة عثمان انما أتوا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا فحصبه الناس فعرف عثمان ان لهم بالبصرة ناصرا فكسره ذلك فاقبلت عائشة فيمن معها حتى انتهوا الى المربد فدخلوا من اعلاه ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه وخرج اليهم من أهل البصرة من اراد أن يكون معها فاجتمع القوم بالمربد فتكلم طلحة وهو في ميمنة المربد وعثمان في ميسرته فانصتوا له فحمد الله واثنى عليه وذكر عثمان وفضله وما استحل منه ودعا الى الطلب بدمه وحثهم عليه وكذلك الزبير فقال من في ميمنة المربد صدقا وبرا وقال من في ميسرته فجرا وغدرا وأمرا بالباطل فقد بايعا عليا ثم جاآ يقولان وتحاثى الناس وتحاصبوا وارهجوا فتكلمت عائشة وكانت جهورية الصوت فحمدت الله وقالت كان الناس يتجنون على عثمان ويزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم فننظر في ذلك فنجده بريا تقيا وفيا ونجدهم فجرة غدرة كذبة وهم يحاولون غير ما يظهرون فلما قووا كاثروه واقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر الا ان مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره أخذ قتلة عثمان واقامة كتاب الله وقرأت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله الآية فافترق أصحاب عثمان فرقتين فرقة قالت صدقت وبرت وقال الآخرون كذبتم والله ما نعرف ما جئتم به فتحاثوا وتحاصبوا فلما رأت عائشة ذلك انحدرت وانحدر اهل الميمنة مفارقين لعثمان بن حنيف حتى وقفوا في المربد في موضع الدباغين وبقي أصحاب عثمان على حالهم ومال بعضهم الى عائشة وبقي بعضهم مع عثمان وأقبل جارية بن قدامة السعدي وقال يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح انه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وابحت حرمتك انه من رأى قتالك يرى قتلك لئن كنت أتيتنا طائعة فارجعي الى منزلك وان كنت أتيتنا مكرهة فاستعيني بالناس وخرج غلام شاب من بني سعد الى طلحة والزبير فقال اما أنت يا زبير فحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدك وأرى امكما معكما فهل جئتما بنسائكما قالا لا قال فما أنا منكم في شيء واعتزل وقال في ذلك

صنتم حلائلكم وقدتم امكم * هذا لعمرك قلة الانصاف
أمرت بجر ذيولها في بيتها * فهوت تشق البيد بالايجاف
غرضا يقاتل دونها أبناؤها * بالنبل والخطي والاسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها * هذا المخبر عنهم والكافي

واقبل حكيم بن جبلة العبدي وهو على الخيل فانشب القتال وأشرع أصحاب عائشة رماحهم وأمسكوا ليمسك حكيم وأصحابه فلم ينته وقاتلهم وأصحاب عائشة كافون يدفعون عن أنفسهم وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها فاقتتلوا على فم السكة وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا الى مقبرة

كقيام الخيل والحمير والبقر وأن ليس سبيلها كسبيل البغال المولدة من الخيل والحمير وتدعى الزرافة بالفارسية اشترا كاو وقد كانت تهدى الى ملوكهم من أرض النوبة كما تحمل الى ملوك العرب ومن مضى من خلفاء بني العباس وولاة مصر وهي دابة طويلة اليدين والرقبة قصيرة الرجلين لا ركبتين لرجليها وانما الركبتان ليديها وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان عند ذكر الزرافة كلاما كثيرا في نتاجها وأن في أعالي بلاد النوبة يجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة في حمارة القيظ الى شرائع المياه فتتسافد هنالك فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فيجيء من ذلك خلق كثير مختلفون في الصور والاشكال منها الزرافة ذات الاظلاف وهي دابة منحنية الى خلفها مصبوبة الظهر الى مؤخرها وذلك لقصر رجليها وللناس في الزرافة كلام كثير على حسب ما قدمنا في بدء نتاجها وأن النمور ببلاد النوبة عظيمة الخلق وان الابل صغيرة الخلق قصيرة القوائم وان ذلك لاتساع أرحام القلاص العربية لحوائج الزمان وغيرها من

بنى مازن وحجز الليل بينهم ورجع عثمان الى القصر وأتى أصحاب عائشة الى ناحية دار الرزق وباتوا يتأهبون وبات الناس يأتونهم واجتمعوا بساحة دار الرزق فغاداهم حكيم بن جبلة وهو يسب وبيده الرمح فقال له رجل من عبد القيس من هذا الذى تسبه قال عائشة قال يا ابن الخبيثة ألأم المؤمنين تقول هذا فطعنه حكيم فقتله ثم مر بامرأة وهو يسبها ايضا فقالت له ألأم المؤمنين تقول هذا يا ابن الخبيثة فطعنها فقتلها ثم سار فاقتتلوا بدار الرزق قتالا شديدا الى ان زال النهار وكثر القتل فى أصحاب عثمان بن حنيف وكثر الجراح فى الفريقين فلما عضتهم الحرب تنادوا الى الصلح وتوادعوا فكتبوا بينهم كتابا على ان يبعثوا رسولا الى المدينة يسأل أهلها فان كان طلحة والزبير أكرها خرج عثمان بن حنيف عن البصرة وأخلاها لهما وان لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير وكتبوا بينهم كتابا بذلك وسار كعب بن سور الى أهل المدينة يسألهم فلما قدمها اجتمع الناس اليه وكان يوم جمعة فقام وقال يا أهل المدينة انا رسول أهل البصرة نسألكم هل أكره طلحة والزبير على بيعة على ام أتياها طائعين فلم يجبه أحد الا اسامة بن زيد فانه قام وقال انهما بايعا وهما مكرهان فامر به تمام بن العباس فواثبه سهل بن حنيف والناس وثار صهيب وأبو أيوب فى عدة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيهم محمد بن مسلمة حين خافوا ان يقتل أسامة فقالوا اللهم نعم فتركوه وأخذ صهيب اسامة بيده الى منزله وقال له اما وسعك ما وسعنا من السكوت قال ما كنت أظن ان الامر كما أرى فرجع كعب وبلغ عليا الخبر فكتب الى عثمان يعجزه وقال والله ما أكرها على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل فان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وان كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا فقدم الكتاب على عثمان وقدم كعب بن سور فارسلوا الى عثمان ليخرج فاحتج بالكتاب وقال هذا امر آخر غير ما كنا فيه فجمع طلحة والزبير الرجال فى ليلة مظلمة ذات رياح ومطر ثم قصدا المسجد فوافقا صلاة العشاء وكانوا يؤخرونها فابطأ عثمان فقدما عبد الرحمن بن عتاب فشهر الزط والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم فاقبلوا عليهم فاقتتلوا فى المسجد فقتلوا وهم اربعون رجلا فادخلا الرجال على عثمان فاخرجوه اليهما فلما وصل اليهما وقد بقى فى وجهه شعرة فاستعظما ذلك وأرسلا الى عائشة يعلمانها الخبر فارسلت اليهما أن خلوا سبيله وقيل لما أخذ عثمان ارسلوا الى عائشة يستشيرونها فى امره فقالت اقتلوه فقالت لها امرأة نشدتك الله فى عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لهم احبسوه فقال لهم مجاشع بن مسعود اضربوه وانتفوا لحيته وحاجبيه واشفار عينيه فضربوه أربعين سوطا ونتفوا لحيته وحاجبيه واشفار عينيه وحبسوه ثم اطلقوه وجعلوا على بيت المال عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق وقد قيل فى اخراج عثمان غير ما تقدم وذلك ان عائشة وطلحة والزبير لما قدموا البصرة كتبت عائشة الى زيد بن صوحان من عائشة ام المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابنها الخالص زيد بن صوحان اما بعد فاذا أتاك كتابى هذا فاقدم فانصرنا فان لم تفعل فخذل الناس عن على فكتب اليها أما بعد فأنا ابنك الخالص ان اعتزلت ورجعت الى بيتك والا فأنا أول من نابذك وقال زيد رحم الله ام المؤمنين أمرت ان تلزم بيتها وأمرنا ان نقاتل فتركت ما أمرت به وأمرتنا به وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه وكان على البصرة عند قدومها عثمان بن حنيف فقال لهم مانقمتم على صاحبكم فقالوا لم نره اولى بها منا وقد صنع ما صنع قال فان الرجل أمرنى فاكتب اليه فاعلمه ما جئتم به على ان أصلى أنا بالناس حتى يأتينا كتابه فوقفوا عنه فكتب فلم يلبث الا يومين أو ثلاثة حتى وثبوا على عثمان عند مدينة الرزق فظفروا به وأرادوا قتله ثم خشوا غضب الانصار فنالوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وضربوه

ابل خراسان فيظهر بينهما وبتولد عنهما الجمال البخت والجمازات ولا يتنج بين بختى وبختية وانما يصح هذا النوع من الابل بين نواتج الابل وهى ذات السنامين وبين قلاص الابل وهى النوق العربية وكنتاج البخت بين الجاوية والمهرية والزرافة أخبار كثيرة قد ذكر ذلك صاحب المنطق فى كتابه الكبير ومنافع أعضائها وغير ذلك من اعضاء سائر الحيوان وقد اتينا على جميع ما يحتاج اليه من ذلك فى كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب والزرافة عجيبة الفعل فى الفهاوتودها الى آهلها وهى كالفيلة منها وحشية ومنها مستأنسة أهلية مع من قد مناذكره من الزنوج والاجناس من الحبشة الذين صاروا عن يمين النيل ولحقوا باسافل البحر الحبشى وقطعت الزنج دون سائر الاحابش الخليج المنفصل من اعلى النيل الذى يصب الى بحر الزنج فسكنت الزنج فى ذلك الصقع واتصلت مساكنهم الى بلاد سفالة وهى أقاصى بلاد الزنج واليه تقصد مراكب العمانيين والسيرافيين وهى غاية مقاصدهم فى

وحبسوه وقام طلحة والزبير خطيبين فقالا يا أهل البصرة توبة لحوبة انما أردنا ان نستعتب امير المؤمنين عثمان فغلب السفهاء الحلماء فقتلوه فقال الناس لطلحة يا أبا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا فقال الزبير هل جاءكم منى كتاب فى شأنه ثم ذكر قتل عثمان واظهر عيب على فقام اليه رجل من عبد القيس فقال أيها الرجل انصت حتى نتكلم فانصت فقال العبدى يا معشر المهاجرين أنتم أول من اجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لكم بذلك فضل ثم دخل الناس فى الاسلام كما دخلتم فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعتم رجلا منكم فرضينا وسلمنا ولم تستأمرونا فى شئ من ذلك فجعل الله للمسلمين فى امارته بركة ثم مات واستخلف عليكم رجلا فلم تشاورونا فى ذلك فرضينا وسلمنا فلما توفى جعل أمركم الى ستة نفر فاخترتم عثمان وبايعتموه عن غير مشورة منا ثم انكرتم منه شيأ فقتلتموه عن غير مشورة منا ثم بايعتم عليا عن غير مشورة منا فما الذى نقمتم عليه فنقاتله هل استأثر بفىء او عمل بغير الحق او أتى شيأ تنكرونه فنكون معكم عليه والا فما هذا فهموا بقتل ذلك الرجل فمنعته عشيرته فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من معه فقتلوا منهم سبعين وبقى طلحة والزبير بعد أخذ عثمان بالبصرة ومعهم بيت المال والحرس والناس معهما ومن لم يكن معهما استتر وبلغ حكيم بن جبلة ما صنع بعثمان بن حنيف فقال لست أخاف الله ان لم أنصره فجاء فى جماعة من عبد القيس ومن تبعه من ربيعة وتوجه نحو دار الرزق وبها طعام اراد عبد الله بن الزبير ان يرزقه اصحابه فقال له عبد الله مالك يا حكيم قال نريد أن نرتزق من هذا الطعام وان تخلوا عثمان فيقيم فى دار الامارة على ما كنتم بينكم حتى يقدم على وايم الله لو اجد اعوانا عليكم ما رضيت بهذه منكم حتى اقتلكم بمن قتلتم ولقد أصبحتم وان دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم اما تخافون الله بم تستحلون الدم الحرام قال بدم عثمان قال فالذين قتلتم هم قتلوا عثمان أما تخافون مقت الله فقال له عبد الله لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلى سبيل عثمان حتى تخلع عليا فقال حكيم اللهم انك حكم عدل فاشهد وقال لاصحابه لست فى شك من قتال هؤلاء القوم فمن كان فى شك فلينصرف وتقدم فقاتلهم فقال طلحة والزبير الحمد لله الذى جمع لنا ثارنا من أهل البصرة اللهم لا تبق منهم أحدا فاقتتلوا قتالا شديدا ومع حكيم أربعة قواد فكان حكيم بحيال طلحة وذريح بحيال الزبير وابن المحترش بحيال عبد الرحمن بن عتاب وحرقوص بن زهير بحيال عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فزحف طلحة لحكيم وهو فى ثلثمائة وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول

اضربهم باليابس * ضرب غلام عابس
من الحياة آيس * فى الغرفات نافس

فضرب رجل رجله فقطعها * فحبا حتى أخذها فرمى بها صاحبه فصرعه وأتاه فقتله ثم اتكأ عليه وقال

ياساق لن تراعى * ان معى ذراعى * احمى بها كراعى

وقال أيضا

ليس على أن أموت عار * والعار فى الناس هو الفرار * والمجد لا يفضحه الدمار

فأتى عليه رجل وهو رثيث رأسه على آخر فقال مالك يا حكيم قال قتلت قال من قتلك قال وسادتى فاحتمله وضمه فى سبعين من أصحابه وتكلم يومئذ حكيم وانه لقائم على رجل واحدة وان السيوف لتأخذهم وما يتتعتع ويقول انا خلفنا هذان وقد بايعا عليا واعطياه الطاعة ثم اقبلا مخالفين محاربين يطلبان بدم عثمان ففرقا بيننا ونحن أهل دار وجوار اللهم انهما لم يريدا عثمان فناداه مناد يا خبيث جزعت من نصبك وأصحابك حين عضك نكال الله بما ركبتم من الامام المظلوم وفرقتم

بحر الزنج كما ان أقاصى بحر الصين متصل ببلاد السيلى وقد تقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكذلك أقاصى بحر الزنج هو بلاد سفالة وأقاصيه بلاد الواق واق وهى أرض كثيرة الذهب كثيرة العجائب حصينة حارة واتخذت الزنج دار مملكة وملكوا عليهم ملكا سموه لوقليمن وهى سمة لسائر ملوكهم فى سائر الاعصار على ما قدمنا آنفا ويركب لوقليمن وهو يملك ملوك سائر الزنوج فى ثلثمائة ألف فارس ودوابهم البقر وليس فى أرضهم خيل ولا بغال ولا ابل ولا يعرفونها وكذلك لا يعرفون الثلج والبرد ولا غيرهم من الاحابش ومنهم أجناس محددة الاسنان يأكل بعضهم بعضا ومساكن الزنج من حد الخليج المتشعب من أعلى النيل الى بلاد سفالة والواق واق ومقدار مسافة مساكنهم واتصال مقاطنهم فى الطول والعرض نحو سبعمائة فرسخ اودية وجبال ورمال والفيلة فى بلاد الزنج فى نهاية الكثرة وحشية كلها غير مستأنسة والزنج لا تستعمل منها شيأ فى حروب ولا غيرها بل تقتلها وذلك أنهم

الجماعة وأصبتم من الدماء فذق وبال الله وانتقامه الى كلام وقتلوا وقتل معهم قتله يزيد بن الاسحم الحدانى فوجد حكيم قتيلا بين يزيد وأخيه كعب وقيل قتله رجل يقال له ضخيم وقتل معه ابنه الاشرف وأخوه الرعل بن جبلة ولما قتل حكيم أرادوا قتل عثمان بن حنيف فقال لهم اما ان سهلا بالمدينة فان قتلتمونى انتصر فخلوا سبيله فقصد عليا وقتل ذريح ومن معه وأفلت حرقوص بن زهير فى نفر من أصحابه فلجؤا الى قومهم فنادى منادى طلحة والزبير من كان فيهم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم فجئ بهم فقتلوا ولم ينج منهم الا حرقوص بن زهير فان عشيرته بنى سعد منعوه وكان منهم فنالهم من ذلك أمر شديد وضربوا فيه اجلا وخشنوا صدور بنى سعد وكانوا عثمانية فاعتزلوا وغضبت عبد القيس حين غضبت سعد ان قتل منهم بعد الوقعة ومن كان هرب اليهم الى ماهم عليه من لزوم الطاعة لعلى فامر طلحة والزبير للناس باعطياتهم وأرزاقهم وفضلا أهل السمع والطاعة فخرجت عبد القيس وكثير من بكر بن وائل حين منعوهم الفضول فبادروهم الى بيت المال وأكب عليهم الناس فاصابوا منهم وخرجوا حتى نزلوا على طريق على واقام طلحة والزبير وليس معهما ثار الاحرقوص بن زهير وكتبوا الى أهل الشام بما صنعوا وصاروا اليه وكتبت عائشة الى أهل الكوفة بما كان منهم وتأمرهم ان يثبطوا الناس عن على وتحثهم على طلب قتلة عثمان وكتبت الى أهل اليمامة والى أهل المدينة بما كان منهم أيضا وسيرت الكتب وكانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وبايع أهل البصرة طلحة والزبير فلما بايعوهما قال الزبير الا ألف فارس اسير بهم الى على اقتله بياتا أو صباحا قبل ان يصل الينا فلم يجبه أحد فقال ان هذه للفتنة التى كنا نحدث عنها فقال له مولاه أتسميها فتنة وتقاتل فيها قال ويلك انا نبصر ولا نبصر ما كان امر قط الا وانا اعلم موضع قدمى فيه غير هذا الامر فانى لا أدرى أمقبل أنا فيه أم مدبر وقال علقمة بن وقاص الليثى لما خرج طلحة والزبير وعائشة رأيت طلحة واحب المجالس اليه أخلاها وهو ضارب بلحيته على صدره فقلت يا أبا محمد أرى احب المجالس اليك اخلاها وأنت ضارب بلحيتك على صدرك ان كرهت شيأ فاجلس قال فقال لى يا علقمة بينا نحن يد واحدة على من سوانا اذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضا انه كان منى فى عثمان شئ ليس توبتى الا ان يسفك دمى فى طلب دمه قال فقلت فرد ابنك محمدا فان لك ضيعة وعيالا فان يك شئ يخلفك قال فامنعه قال فأتيت محمدا ابنه فقلت له لو أقمت فان حدث به حدث كنت تخلفه فى عياله وضيعته قال ما احب ان أسأل عنه الركبان * (يعلى بن منية بضم الميم وسكون النون والياء المثناة باثنتين من تحت وهى امه واسم أبيه أمية عبد الله بن خالد بن اسيد بفتح همزة اسيد جارية بن قدامة بالجيم حكيم بن جبلة بضم الحاء وفتح الكاف وقيل بفتح الحاء وكسر الكاف وصوحان بضم الصاد وآخره نون) *

﴿ذكر مسير على الى البصرة والوقعة﴾

قد ذكرنا فيما تقدم تجهز على الى الشام فبينما هو على ذلك اتاه الخبر عن طلحة والزبير وعائشة من مكة بما عزموا عليه فلما بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح أوله فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم فتثاقلوا فلما رأى زياد بن حنظلة تثاقل الناس انتدب الى على وقال له من تثاقل عنك فانا نخف معك فنقاتل دونك وقام رجلان صالحان من أعظم الانصار أحدهما أبو الهيثم بن التيهان وهو بدرى والثانى خزيمة ابن ثابت قيل هو ذو الشهادتين وقال الحكم ليس بذى الشهادتين مات ذو الشهادتين أيام عثمان

يطرحون لها نوعا من ورق الشجر ولحائه وأغصانه يكون بارضهم فى المياه ويختفى رجال الزنج فترد الفيلة لشربها فاذا وردت وشربت من ذلك الماء أسكرها فتقع ولا مفاصل لقوائمها ولا ركب على حسب ما قدمنا فيخرجون اليها باعظم ما يكون من الحراب فيقتلونها لاخذ انيابها فمن أرضهم تجهز انياب الفيلة فى كل ناب منها خمسون ومائة من بل أكثر من ذلك والاثنان منها ثلثمائة من وأكثر من ذلك فيجهز الاكثر منها من بلاد عمان الى أرض الصين والهند وذلك انها تحمل من بلاد الزنج الى عمان ومن عمان الى حيث ذكرنا ولولا ذلك لكان العاج بارض الاسلام كثيرا وأهل الصين تتخذ ملوكها وقوادها وأراكنتها الاعمدة من من العاج ولا يدخل قوادها ولا أحد من خواصها على ملوكها بشئ من الحديد بل بتلك الاعمدة المتخذة من العاج ورغبتهم فيما استقام من انياب الفيلة ولم يتقوس لاتخاذ الاعمدة منها على ما ذكرنا ويستعمل العاج فى دخن بيوت أصنامها وبخرها كلها

فاجابه الى نصرته قال الشعبى ما نهض فى تلك الفتنة الا ستة نفر بدريون ما لهم سابع وقال سعيد بن زيد ما اجتمع أربعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لخير يعملونه الا وعلى أحدهم قيل وقال أبو قتادة الانصارى لعلى يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلدنى هذا السيف وقد أغمدته زمانا وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين لا يألون الامة غشا وقد أحببت ان تقدمنى فقدمنى وقالت أم سلمة يا أمير المؤمنين لولا ان اعصى الله وانك لا تقبله منى لخرجت معك وهذا ابن عمى وهو والله أعز على من نفسى يخرج معك ويشهد مشاهدك فخرج معه وهو لم يزل معه واستعمله على على البحرين ثم عزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقى فلما أراد على المسير الى البصرة وكان يرجوان يدرك طلحة والزبير فيردهما قبل وصولهما الى البصرة أو يوقع بهما فلما سار استخلف على المدينة تمام بن العباس وعلى مكة قثم بن العباس وقيل امر على المدينة سهل ابن حنيف وسار على من المدينة فى تعبيته التى تعباها لاهل الشام آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين فقالت اخت على بن عدى من بنى عبد شمس

لاهم فاعقر بعلى جمله * ولا تبارك فى بعير حمله * الا على بن عدى ليس له

وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين فى تسعمائة وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج أو يأخذهم فلقيه عبد الله بن سلام فاخذ بعنانه وقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها فوالله ان خرجت منها لا يعود اليها سلطان المسلمين أبدا فسبوه فقال دعوا الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسار حتى انتهى الى الربذة فلما انتهى اليها أتاه خبر سبقهم فاقام بها يأتمر ما يفعل وأتاه ابنه الحسن فى الطريق فقال له لقد أمرتك فعصيتنى فتقتل غدا بمضيعة لا ناصر لك فقال له على انك لا تزال تحن حنين الجارية وما الذى أمرتنى فعصيتك قال أمرتك يوم أحيط بعثمان أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها ثم امرتك يوم قتل ان لا تبايع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة أهل كل مصر فانهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت على وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان ان تجلس فى بيتك حتى يصطلحوا فان كان الفساد كان على يد غيرك فعصيتنى فى ذلك كله فقال اى بنى اما قولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به وأما قولك لا تبايع حتى يبايع أهل الامصار فان الامر أمر أهل المدينة وكرهنا ان يضيع هذا الامر ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرى أحدا أحق بهذا الامر منى فبايع الناس أبا بكر الصديق فبايعته ثم ان أبا بكر انتقل الى رحمة الله وما أرى أحدا أحق بهذا الامر منى فبايع الناس عمر فبايعته ثم ان عمر انتقل الى رحمة الله وما أرى احدا أحق بهذا الامر منى فجعلنى سهما من ستة اسهم فبايع الناس عثمان فبايعته ثم سار الناس الى عثمان فقتلوه وبايعونى طائعين غير مكرهين فانا مقاتل من خالفنى بمن أطاعنى حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين واما قولك أن أجلس فى بيتى حين خرج طلحة والزبير فكيف لى بما قد لزمنى او من تريدنى اتريدنى ان أكون كالضبع التى يحاط بها ويقال ليست ههنا حتى يحل عرقوباها (٢) حتى يخرج واذا لم انظر فيما يلزمنى من هذا الامر ويعنينى فمن ينظر فيه فكف عنك يا بنى ولما قدم على الربذة وسمع بها خبر القوم أرسل منها الى الكوفة محمد بن أبى بكر الصديق ومحمد بن جعفر وكتب اليهم انى اخترتكم على الامصار وفزعت اليكم لما حدث فكونوا لدين الله اعوانا وانصارا وانهضوا الينا فالاصلاح نريد لتعود هذه الامة اخوانا فمضيا وبقى على بالربذة وأرسل الى المدينة فاتاه ما يريده من دابة وسلاح وأمر أمره وقام فى الناس فخطبهم وقال ان الله تبارك

كاستعمال النصارى فى الكنائس الدخنة المعروفة بدخنة مريم وغيرها من الابخرة وأهل الصين لا يتخذون الفيلة فى ارضهم ويتطيرون من اقتنائها عندهم والحرب عليها لخبر كان لهم فى قديم الزمان فى بعض حروبهم والهند كثيرة الاستعمال لما تجهز اليهم من العاج فى نصب الخناجر وهى الحرازى واحدها حرزى وفى قوائم سيوفها وهى القراطل واحدها قرطل وهى سيوف معوجة والاغلب فى استعمال الهند العاج اتخاذها منه الشطرنج والنرد والشطرنج ذو صور واشكال على صور الحيوان من الناطقين وغيرهم كل قطعة من الشطرنج كالشبر فى عرض ذلك كالاكبر الى الاكبر فاذا لعبوا بها فانما يقوم الواحد قائما فينقلها فى بيوتها والاغلب عليهم فى لعبهم القمار بالشطرنج والنرد على الثياب والجواهر وربما أنفذ الى أحد منهم ما معه فيلعب فى قطع أعضاء من جسمه وهو أن يجعلوا بحضرتهم قدرا من النحاس صغيرة على نار فحم فيها دهن لهم أحمر فيغلى ذلك الدهن المدمل للجراح

وتعالى أعزنا بالاسلام ورفعنابه وجعلنابه اخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد يجرى الناس
على ذلك ماشاء الله الاسلام دينهم والحق فيهم والكتاب امامهم حتى أصيب هذا الرجل
بايدى هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الامة ألا ان هذه الامة لابد مفترقة
كما افترقت الامم قبلها فنعوذ بالله من شر ماهو كائن ثم عاد ثانية وقال انه لابد مما هو كائن أن يكون
الا وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تنتحلنى ولاتعمل بعملى وقد
أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم واهدوا بهدى فانه هدى نبيكم واتبعوا سنته وأعرضوا عما أشكل
عليكم حتى تعرضوه على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه وارضوا بالله ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن حكما واماما فلما أراد المسير من الربذة الى البصرة قام اليه ابن
لرفاعة بن رافع فقال يا أمير المؤمنين أى شئ تريد وأين تذهب بنا فقال أما الذى نريد وننوى
فالاصلاح ان قبلوا منا وأجابونا اليه قال فان لم يجيبونا اليه قال ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق
ونصبر قال فان لم يرضوا قال ندعهم ماتركونا قال فان لم يتركونا قال امتنعنا منهم قال فنعم اذن وقام
الحجاج بن غزية الانصارى فقال لأرضينك بالفعل كما ارضيتنى بالقول وقال

دراكها دراكها قبل الفوت * فانفر بنا واسم بنا نحو الصوت
* لازلت نفسى ان تكرهت الموت *

والله لننصرن الله كما سمانا انصارا ثم اتاه جماعة من طئ وهو بالربذة فقيل لعلى هذه جماعة قد
أتتك منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك قال جزى الله كلاهما خيرا وفضل
الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما فلما دخلوا عليه قال لهم ماشهدتمونا به قالوا شهدناك بكل
ما تحب فقال جزاكم الله خيرا فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدين ووافيتم بصدقاتكم المسلمين فنهض
سعيد بن عبيد الطائى فقال يا امير المؤمنين ان من الناس من يعبر لسانه عما فى قلبه وانى والله ما أجد
لسانى يعبر عما فى قلبى وساجهد وبالله التوفيق أما انا فسأنصح لك فى السر والعلانية واقاتل
عدوك فى كل موطن وأرى من الحق لك مالا أراه لاحد غيرك من اهل زمانك لفضلك وقرابتك
فقال رحمك الله قد أدى لسانك عما يجن ضميرك فقتل معه بصفين وسار على من الربذة وعلى مقدمته
أبو ليلى بن عمر بن الجراح والراية مع محمد بن الحنفية وعلى على ناقة حمراء يقود فرسا كميتا فلما نزل
بفيد أتته أسد وطئ فعرضوا عليه انفسهم فقال الزموا قراركم فى المهاجرين كفاية وأتاه رجل
بفيد من الكوفة فقال له من الرجل قال عامر بن مطر الشيبانى قال اخبرنى عما وراءك فاخبره فسأله
عن ابى موسى فقال ان اردت الصلح فابو موسى صاحبه وان اردت القتال فليس بصاحبه فقال على
والله ما اريد الا الصلح حتى يرد علينا ولما نزل على الثعلبية أتاه الذى لقى عثمان بن حنيف وحرسه
فاخبر أصحابه الخبر فقال اللهم عافنى مما ابتليت به طلحة والزبير فلما انتهى الى الاساد أتاه ما لقى
حكيم بن جبلة وقتلة عثمان فقال الله أكبر ما ينجينى من طلحة والزبير ان اصابا ثارهما وقال

دعا حكيم دعوة الزماع * حل بها منزلة النزاع

فلما انتهى الى ذى قار أتاه فيها عثمان بن حنيف وليس فى وجهه شعرة وقيل أتاه بالربذة وكانوا قد
نتفوا شعر رأسه ولحيته على ماذكرناه فقال يا أمير المؤمنين بعثتنى ذا لحية وقد جئتك امرد فقال
اصبت اجرا وخيرا ان الناس وليهم قبلى رجلان فعملا بالكتاب والسنة ثم وليهم ثالث فقالوا
وفعلوا ثم بايعونى وبايعنى طلحة والزبير ثم نكثا بيعتى وألبا الناس على ومن العجب انقيادهما لابى
بكر وعمر وعثمان وخلافهما على والله انهما ليعلمان أنى لست بدون رجل ممن تقدم اللهم فاحلل

والماسك اسيلان الدم فاذا العب فى اصبع من أصابعه وقرقطعها بتلك الخضر وهو مثل النارنج غمس يده فى ذلك الدهن فكواها ثم عاد الى لعبه فاذا توجه عليه اللعب أبان اصبعا ثانية وربما توجه عليه اللعب فى قطع أعضائه كلها من الاصابع والكف ثم الى الذراع والزند وسائر الاطراف وكل ذلك يستعمل فيه الكى بذلك الدهن وهو دهن عجيب يعمل من اخلاط وعقاقير بارض الهند عجيب المعنى لما ذكرنا وماذكرنا عنهم فمستفيض من فعالهم والهند تتخذ الفيلة فى بلادها وتتناتج فى أرضها ليس فيها وحشية وانما هى حربية ومستعملة كاستعمال البقر والابل وأكثرها يأوى الى المروج والضياع والغياض كالجواميس فى أرض الاسلام والفيلة تهرب من المكان الذى يكون فيه الكركدن على حسب ماقدمنا فلا ترعى فى موضع يشم فيه رائحة الكركدن ويعمر الفيل بارض الهند نحوا من أربعمائة سنة كذلك يذكر الزنج لانها تعرف فى ديارها ومفاوزها الفيل العظيم مما يتأتى فيها قتله ومنها الاسود

ماعقدا ولاتبرم ما أحكما فى انفسهما وارهما المساءة فيما قد عملا وأقام بذى قار ينتظر محمدا ومحمدا
فاتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس فقال عبد القيس خير ربيعة وفى كل ربيعة خير
وقال

يالهف مانفسى على ربيعه * ربيعة السامعة المطيعه
قد سبقتنى فيهم الوقيعه * دعا على دعوة سميعه
* حلوابها المنزلة الرفيعه *

وعرضت عليه بكر بن وائل فقال لها ماقال لطئ واسد وأما محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر فانهما أتيا أبا
موسى بكتاب على وقاما فى الناس بامره فلم يجابا الى شئ فلما امسوا دخل ناس من اهل الحجى على
أبى موسى فقالوا ماترى فى الخروج فقال كان الرأى بالامس ليس اليوم ان الذى تهاونتم فيما
مضى هو الذى جر عليكم ماترون انما هما امران القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا
فاختاروا فلم ينفر اليه أحد فغضب محمد ومحمد وأغلظا لابى موسى فقال لهما والله ان بيعة عثمان لفى
عنقى وعنق صاحبكما فان لم يكن بد من قتال لانقاتل أحدا حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا
فانطلقا الى على فاخبراه الخبر وهو بذى قار فقال للاشتر وكان معه أنت صاحبنا فى أبى موسى
والمعترض فى كل شئ اذهب أنت وابن عباس فاصلح ما افسدت فخرجا فقدما الكوفة فكلما أبا
موسى واستعانا عليه بنفر من اهل الكوفة فقام لهم أبو موسى وخطبهم وقال أيها الناس ان أصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه أعلم بالله وبرسوله ممن لم يصحبه وان لكم علينا حقا وانا مؤد اليكم
نصيحة كان الرأى ان لاتستخفوا بسلطان الله وان لاتجترؤا على الله وان تأخذوا من قدم عليكم من
المدينة فتردوهم اليها حتى يجتمعوا فهم أعلم بمن تصلح له الامامة وهذه فتنة صماء النائم فيها خير
من اليقظان واليقظان خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب
والراكب خير من الساعى فكونوا جرثومة من جراثيم العرب فاغمدوا السيوف وانصلوا الاسنة
واقطعوا الاوتار وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الامر وتنجلى هذه الفتنة فرجع ابن عباس
والاشتر الى على فاخبراه الخبر فارسل ابنه الحسن وعمار بن ياسر وقال لعمار انطلق فاصلح
ما افسدت فاقبلا حتى دخلا المسجد وكان اول من أتاهما مسروق بن الاجدع فسلم عليهما
وأقبل على عمار فقال يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان قال على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا قال
فوالله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لكان خيرا للصابرين فخرج أبو موسى فلقى الحسن
فضمه اليه وأقبل على عمار فقال يا أبا يقظان أعدوت على أمير المؤمنين فيمن عدا فاحللت نفسك مع
الفجار فقال لم أفعل ولم يسؤنى فقطع الحسن عليهما الكلام وأقبل على أبى موسى فقال له لم تثبط
الناس عنا فوالله ما أردنا الا الاصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شئ فقال صدقت بابى أنت
وأمى ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون فتنة القاعد
فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى والماشى خير من الراكب وقد جعلنا الله اخوانا وقد
حرم علينا دماءنا وأموالنا فغضب عمار وسبه وقام وقال يا أيها الناس انما قال له وحده أنت فيها
قاعد خير منك قائما فقام رجل من بنى تميم فسب عمارا وقال أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه
أميرنا وسار زيد بن صوحان وطبقته وثار الناس وجعل أبو موسى يكفكف الناس ووقف زيد على
باب المسجد ومعه كتاب اليه من عائشة تأمره فيه بملازمة بيته أو نصرتها وكتاب الى أهل الكوفة
بمعناه فأخرجهما فقرأهما على الناس فلما فرغ منهما قال أمرت ان تقر فى بيتها وأمرنا ان نقاتل
حتى لاتكون فتنة فأمرتنا بما أمرت به وركبت ما أمرنا به فقال له شبث بن ربعى يا عمانى لانه من

والابيض والابلق والاغبر وفى أرض الهند منها مايعمر المائة سنة والمائتين ويضع حمله فى كل سبع سنين ولها بارض الهند آفة عظيمة من نوع من الحيوان يعرف بالزبرقان وهى دابة أصغر من الفهد أحمر ذو زغب وعينين براقتين عجيبة سريعة الوثبة يبلغ فى وثبته الثلاثين والاربعين والخمسين ذراعا وأكثر من ذلك فاذا أشرف على الفيل ورشش عليه بوله بذنبه فيحرقها وربما لحق الانسان فاتى عليه وفى الهند من اذا أشرفت عليه هذه الدابة تعلق باكبر مايكون من الساج وهى أكبر من النخل وأكبر من شجر الجوز تكن الشجرة منها الخلق الكثير من الناس وغيرهم من الحيوان على حسب ماتحمل الى البصرة والعراق ومصر من خشب الساج فى طوله فاذا تعلق الانسان باعلى تلك الشجرة وعجز هذا الحيوان عن ادراكه لصق بالارض ووثب الى أعلى الشجرة فان لم يلحق الانسان فى وثبته رشش من بوله الى أعلى الشجرة والا وضع رأسه فى الارض وصاح صياحا عجيبا فيخرج من فيه قطع دم

عبد القيس وهم يسكنون عمان سرقت بجلولاء فقطعت يدك وعصيت أم المؤمنين ونهاوى الناس
وقام أبو موسى وقال أيها الناس أطيعونى وكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوى اليكم المظلوم
ويأمن فيكم الخائف ان الفتنة اذا أقبلت فقد شبهت فاذا أدبرت بينت وان هذه الفتنة فاقرة كداء
البطن تجرى بها الشمال والجنوب والصبا والدبور تذر الحليم وهو حيران كابن أمس شيموا سيوفكم
وقصدوا رماحكم وقطعوا أوتاركم والزموا بيوتكم خلوا قريشا اذا أبوا الا الخروج من دار الهجرة
وفراق أهل العلم بالامراء استنصحونى ولا تستغشونى أطيعونى يسلم لكم دينكم ودنياكم ويشقى بحر
هذه الفتنة من جناها فقام زيد فشال يده المقطوعة فقال يا عبد الله بن قيس رد الفرات على
ادراجه اردده من حيث يجىء حتى يعود كما بدأ فان قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد فدع عنك
ما لست مدركه سيروا الى أمير المؤمنين وسيد المسلمين انفروا اليه أجمعين تصيبوا الحق فقام
القعقاع بن عمرو فقال انى لكم ناصح وعليكم شفيق أحب لكم ان ترشدوا ولاقولن لكم قولا وهو
الحق أما ما قال الامير فهو الحق لو أن اليه سبيلا وأما ما قال زيد فزيد عدو هذا الامر فلا
تستنصحوه والقول الذى هو الحق انه لا بد من امارة تنظم الناس وتنزع الظالم وتعز المظلوم وهذا
أمير المؤمنين ولى بما ولى وقد أنصف فى الدعاء وانما يدعو الى الاصلاح فانفروا وكونوا من هذا
الامر بمرأى ومسمع وقال عبد الخير الخيوانى يا أبا موسى هل بايع طلحة والزبير قال نعم قال هل
أحدث على ما يحل به نقض بيعته قال لا أدرى قال لا دريت نحن نتركك حتى تدرى هل تعلم أحدا
خارجا من هذه الفتنة انما الناس أربع فرق على بظهر الكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعاوية
بالشأم وفرقة بالحجاز لا غناء بها ولا يقاتل بها عدو فقال أبو موسى أولئك خير الناس وهى فتنة فقال
عبد الخير غلب عليك غشك يا أبا موسى فقال سيحان بن صوحان أيها الناس لا بد لهذا الامر وهؤلاء
الناس من وال يدفع الظالم ويعز المظلوم ويجمع الناس وهذا واليكم يدعوكم لتنظروا فيما بينه
وبين صاحبيه وهو المأمون على الامة الفقيه فى الدين فمن نهض اليه فانا سائرون معه فلما فرغ
سيحان قال عمار هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنفركم الى زوجة رسول الله صلى الله
عليه وسلم والى طلحة والزبير وانى أشهد انها زوجته فى الدنيا والآخرة فانظروا ثم انظروا فى الحق
فقاتلوا معه فقال له رجل انا مع من شهدت له بالجنة على من لم تشهد له فقال له الحسن اكفف عنا
فان للاصلاح اهلا وقام الحسن بن على فقال أيها الناس أجيبوا دعوة أميركم وسيروا الى اخوانكم
فانه سيوجد الى هذا الامر من ينفر اليه والله لان يليه أولوا النهى أمثل فى العاجل والآجل
وخير فى العاقبة فاجيبوا دعوتنا واعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم وان أمير المؤمنين يقول قد
خرجت مخرجى هذا ظالما أو مظلوما وانى أذكر الله رجلا رعى حق الله الا نفر فان كنت مظلوما
اعانى وان كنت ظالما أخذ منى والله ان طلحة والزبير لاول من بايعنى وأول من غدر فهل استأثرت
بمال أو بدلت حكما فانفروا وامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فسامح الناس وأجابوا ورضوا وأتى
قوم من طىء عدى بن حاتم فقالوا ماذا ترى وما تأمر فقال قد بايعنا هذا الرجل وقد دعانا الى جميل
والى هذا الحدث العظيم لننظر فيه ونحن سائرون وناظرون فقام هند بن عمرو فقال ان أمير
المؤمنين قد دعانا وأرسل الينا رسله حتى جاءنا ابنه فاسمعوا الى قوله وانتهوا الى أمره وانفروا الى
أميركم فانظروا معه فى هذا الامر واعينوه برأيكم وقام حجر بن عدى فقال أيها الناس أجيبوا أمير
المؤمنين وانفروا واخفافا وثقالا مروا وأنا أولكم فاذعن الناس للمسير فقال الحسن أيها الناس انى
غاد فمن شاء منكم أن يخرج معى على الظهر ومن شاء فى الماء فنفر معه قريب من تسعة آلاف

ويموت من ساعته وأى
موضع من الشجر سقط
عليه بوله أحرقه وان
أصاب الانسان شئ من
بوله أتلفه وكذلك سائر
الحيوان وملوك الهند
تتخذ فى خزائنها مرارة
هذه الدابة ومذاكيره
ومواضع من أعضائه وهو
السم القاتل من ساعته
ومنه ما يسقى به السلاح
فيتلف من فوره ومذاكير
هذه الدابة كمذاكير كلاب
الماء الذى يخرج منه
الجندبادستر وهذا الكلاب
أمره مشهور عند الصيادلة
وغيرهم وهو اسم فارسى
معرب وانما هو كند
وتفسير ذلك الخصية
فعرب فقيل جندبادستر
والدابة المتقدم ذكرها
المعروفة بالزبرقان لا تأوى
الى موضع يكون فيه
النوشان وهو الكركدن
وتهرب منه كما يهرب منه
الفيل أيضا والفيل يهرب
من السنانير وهى القطاط
ولا يقف لها البتة اذا
أبصرها وقد ذكر عن
ملوك الفرس أنها كانت
توقى الفيلة بالرجالة المقاتلة
حولها ومراعاة حيل
الاعداء عند الحرب بتخلية
السنانير عليها وكذلك
أفعال ملوك السند والهند
الى هذه الغاية وقد ذكر أن
الخنازير ربما تهرب منها

أخذ فى البر ستة آلاف ومائتان وأخذ فى الماء ألفان واربعمائة وقيل ان عليا ارسل الاشتر بعد
ابنه الحسن وعمار الى الكوفة فدخلاها والناس فى المسجد وأبو موسى يخطبهم ويثبطهم والحسن
وعمار معه فى منازعة وكذلك سائر الناس كما تقدم فجعل الاشتر لا يمر بقبيلة فيها جماعة الا دعاهم
ويقول اتبعونى الى القصر فانتهى الى القصر فى جماعة الناس فدخله وأبو موسى فى المسجد
يخطبهم ويثبطهم والحسن يقول له اعتزل عملنا لا أم لك وتنح عن منبرنا وعمار ينازعه فاخرج
الاشتر غلمان ابى موسى من القصر فخرجوا يعدون وينادون يا ابا موسى هذا الاشتر قد دخل
القصر فضربنا وأخرجنا فنزل أبو موسى فدخل القصر فصاح به الاشتر اخرج لا ام لك أخرج
الله نفسك فقال أجلنى هذه العشية فقال هى لك ولا تبيتن فى القصر الليلة ودخل الناس
ينهبون متاع أبى موسى فمنعهم الاشتر وقال أنا له جار فكفوا عنه فنفر الناس فى العدد المذكور
وقيل ان عدد من سار من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل قال أبو الطفيل سمعت عليا يقول ذلك
قبل وصولهم فقعدت فاحصيتهم فما زادوا رجلا ولا نقصوا رجلا وكان على كنانة وأسد وتميم
والرباب ومزينة معقل بن يسار الرياحى وكان على سبع قيس سعد بن مسعود الثقفى عم المختار وعلى
بكر وتغلب وعلة بن محدوج الذهلى وكان على مذحج والاشعريين حجر بن عدى وعلى بجيلة وانمار
وخثعم والازد مخنف بن سليم الازدى فقدموا على أمير المؤمنين بذى قار فلقيهم فى ناس معه فيهم
ابن عباس فرحب بهم وقال يا أهل الكوفة أنتم قاتلتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم حتى صارت
اليكم مواريثهم فمنعتم حوزتكم واعنتم الناس على عدوهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا اخواننا من
أهل البصرة فان رجعوا فذاك الذى نريد وان يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدونا بظلم ولم ندع
امرا فيه صلاح الا آثرناه على ما فيه الفساد ان شاء الله واجتمعوا عنده بذى قار وعبد القيس
باسرها فى الطريق بين على والبصرة ينتظرونه وهم الوف وكان رؤساء الجماعة من الكوفيين
القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند بن عمرو والهيثم بن شهاب وكان رؤساء النفار زيد بن
صوحان والاشتر وعدى بن حاتم والمسيب بن نجبة ويزيد بن قيس وامثال لهم ليسوا دونهم الا انهم
لم يؤمروا منهم حجر بن عدى فلما نزلوا بذى قار دعا على القعقاع فارسله الى أهل البصرة وقال الق
هذين الرجلين وكان القعقاع من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فادعهما الى الالفة والجماعة
وعظم عليهما الفرقة وقال له كيف تصنع فيما جاءك منهما وليس عندك فيه وصاة قال نلقاهم
بالذى امرت به فاذا جاء منهم ما ليس عندنا منك فيه رأى اجتهدنا رأينا وكلمناهم كما نسمع ونرى انه
ينبغى قال انت لها فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة فسلم عليها وقال اى امه ما أشخصك
وما اقدمك هذه البلدة قالت اى بنى الاصلاح بين الناس قال فابعثى الى طلحة والزبير حتى تسمعى
كلامى وكلامهما فبعثت اليهما فجاءا فقال لهما انى سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح
بين الناس فما تقولان انتما أمتابعان أم مخالفان قالا متابعان قال فأخبرانى ما وجه هذا الاصلاح
فوالله لئن عرفناه لنصلحن ولئن أنكرناه لا يصلح قالا قتلة عثمان فان هذا ان ترك كان تركا
للقرآن قال قد قتلتما قتلة عثمان من اهل البصرة وأنتم قبل قتلهم اقرب الى الاستقامة منكم
اليوم قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم
حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف فان تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون وان قاتلتموهم والذين
اعتزلوكم فادالوا عليكم فالذى حذرتم وقويتم به هذا الامر أعظم مما أراكم تكرهون وان أنتم
منعتم مضر وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء

الفيلة وقد كان رجل
بالمولتان من أرض السند
يدعى هرون بن موسى
مولى الازد كان شاعرا
شجاعا ذا رياسة فى قومه
ومنعة بأرض السند مما
يلى أرض المولتان وكان
فى حصن له فالتقى مع
بعض ملوك الهند وقد
قدمت الهند أمامها
الفيلة فبرز هرون بن
موسى أمام الصف وقصد
لعظيم الفيلة وقد خبأ
تحت ثوبه سنورا فلما دنا فى
حملته من الفيل خلى القط
عليه فولى الفيل منهزما لما
بصر بذلك الهر وكان ذلك
سبب هزيمة الجيش وقتل
الملك وغلبت المسلمون
عليهم ولهرون بن موسى
قصيدة يصف فيها ما ذكرناه
وهى

أليس عجيبا بأن تلقه
له فطن الاسد فى جرم فيل
واطرف من قشه زوله
يجل يجل عن الخفشليل
أليس عجيبا بأن بلعما
غليظ الدراك لطيف الخويل
وأوقص مختلف خلقه
طويل النيوب قصير النصيل
ويخضع لليث ليث العرين
بان ناشب الهر من رأس ميل
ويلقى العدو بناب عظيم
وجوف رحيب وصوت ضئيل
وأشبه شئ اذا قسته
بختزير روحا موس غيل

لاهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير قالت عائشة فماذا تقول أنت قال أقول ان هذا الامر دواؤه التسكين فاذا سكن اختلجوا فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثار وان أنتم أبيتم الامكابرة هذا الامر واعتسافه كانت علامة شر وذهاب هذا المال فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا له فيصرعنا واياكم وايم الله انى لاقول هذا القول وأدعوكم اليه وانى لخائف ان لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الامة التى قل متاعها ونزل بها ما نزل فان هذا الامر الذى حدث أمر ليس بقدر وليس كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل قالوا قد أصبت وأحسنت فارجع فان قدم على وهو على مثل رأيك صلح هذا الامر فرجع الى على فأخبره فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه وأقبلت وفود العرب من أهل البصرة نحو على بذى قار قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأى اخوانهم من أهل الكوفة وعلى أى حال نهضوا اليه وليعلموهم ان الذى عليه رأيهم الاصلاح ولا يخطر لهم قتالهم على بال فلما لقوا عشائرهم من أهل الكوفة قال لهم الكوفيون مثل مقالتهم وادخلوهم على على فأخبروه بخبرهم وسأل على جرير بن شرس عن طلحة والزبير فأخبره بدقيق أمرهما وجليله وقال له اما الزبير فيقول بايعنا كرها وأما طلحة فيتمثل الاشعار ويقول

الا أبلغ بنى بكر رسولا * فليس الى بنى كعب سبيل
سيرجع ظلمكم منكم عليكم * طويل الساعدين له فضول

فتمثل على عندها

ألم تعلم أبا سمعان انا * نرد الشيخ مثلك ذا الصداع
ويذهل عقله بالحرب حتى * يقوم فيستجيب لغير داع
فدافع عن خزاعة جمع بكر * وما بك يا سراقة من دفاع

ورجعت وفود أهل البصرة برأى أهل الكوفة ورجع القعقاع من البصرة فقام على خطيبا فحمد الله وذكر الجاهلية وشقاها والاسلام والسعادة وانعام الله على الامة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذى يليه ثم الذى يليه ثم حدث هذا الحدث الذى جره على هذه الامة أقوام طلبوا هذه الدنيا حسدوا من أفاءها الله عليه وعلى الفضيلة وأرادوا رد الاسلام والاشياء على أدبارها والله بالغ أمره ألا وانى راحل غدا فارتحلوا ولا يرتحلن أحد أعان على عثمان بشئ من أمور الناس وليغن السفهاء عنى أنفسهم فاجتمع نفر منهم علباء بن الهيثم وعدى بن حاتم وسالم بن ثعلبة القيسى وشريح بن أوفى والاشتر فى عدة ممن سار الى عثمان ورضى بسير من سار وجاء معهم المصريون وابن السوداء وخالد بن ملجم فتشاوروا فقالوا ما الرأى وهذا على وهو والله أبصر بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان وأقرب الى العمل بذلك وهو يقول ما يقول ولم ينفر اليه سواهم والقليل من غيرهم فكيف به اذا شام القوم وشاموه ورأوا قلتنا فى كثرتهم وأنتم والله ترادون وما أنتم بالحى من شئ فقال الاشتر قد عرفنا رأى طلحة والزبير فينا وأما على فلم نعرف رأيه الى اليوم ورأى الناس فينا واحد فان يصطلحوا مع على فعلى دمائنا فهلموا بنا نثب على على وطلحة فنلحقهما بعثمان فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون فقال عبد الله بن السوداء بئس الرأى رأيت أنتم يا قتلة عثمان بذى قار الفان وخمسمائة أو نحو من ستمائة وهذا ابن الحنظلية يعنى طلحة وأصحابه فى نحو من خمسة آلاف بالاشواق الى أن يجدوا الى قتالكم سبيلا فقال علباء بن الهيثم انصرفوا بنا

ينازعه كل ذى أربع
فما فى الانام له من عديل
ويوصف بالنمر بعد النمور
كما يوصف الربع للعنديل
وشخص يرى يده انفه
فان وصلوه فسيف صقيل
وأقبل كالطود هادى الخميس
بصوت شديد أمام الرعيل
فريسيل كسيل الاتى
بخطم خفيف وجرم ثقيل
فان شمته زاد فى هوله
بشاعة اذنين فى رأس غول
وقد كنت أعددت هراله
قليل التهيب للزنديل
فلما أحس به فى العجاج
أتانا الاله بفتح جليل
وطار وراغم فياله
بقلب نخيب وجسم ثقيل
فسبحان خالقه وحده
اله الانام ورب الفيول
العنديل طائر صغير يكون بارض السند والهند تذكره الشعراء فى اشعارها تمثلا به لصغره والزنديل هو العظيم من الفيلة والمقدم فيها وقد قيل ان الزنديل هو اسم لما اشتد فى الحرب من انياب الفيلة وقد ذكر بعض الشعراء فى هذا المعنى الزنديل عند ذكره للفيل فقال
ذاك الذى مشفره طويل
وهو من الافيال زنديل
وقال آخر
وفيله ذو الطول زنديل
وقد ذكر عمرو بن بحر

عنهم ودعوهم فان قلوا كان أقوى لعدوهم عليهم وان كثروا كان أحرى ان يصطلحوا عليكم دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تتقوون به وامتنعوا من الناس فقال ابن السوداء بئس ما رأيت ود والله الناس انكم انفردتم ولم تكونوا مع أقوام برآء ولو انفردتم لتخطفكم الناس كل شئ فقال عدى بن حاتم والله ما رضيت ولا كرهت ولقد عجبت من تردد من تردد عن قتله (٣) فى خوض الحديث فأما اذا وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة فان لنا عتادا من خيول وسلاح فان أقدمتم أقدمنا وان أمسكتم أمسكنا فقال ابن السوداء أحسنت وقال سالم بن ثعلبة من كان أراد بما أتى الدنيا فانى لم أرد ذلك والله لئن لقيتهم غدا لا أرجع الى شئ واحلف بالله انكم لتفرقن السيف فرق قوم لا تصير أمورهم الا الى السيف فقال ابن السوداء قد قال قولا وقال شريح بن أوفى أبرموا أموركم قبل ان تخرجوا ولا تؤخروا أمرا ينبغى لكم تعجيله ولا تعجلوا أمرا ينبغى لكم تأخيره فانا عند الناس بشر المنازل وما أدرى ما الناس صانعون اذا ما هم التقوا وقال ابن السوداء يا قوم ان عزكم فى خلطة الناس فاذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر فمن أنتم معه لا يجد بدا من أن يمتنع ويشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون فابصروا الرأى وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون وأصبح على على ظهر ومضى ومضى معه الناس حتى نزل على عبد القيس فانضموا اليه وسار من هناك فنزل الزاوية وسار من الزاوية يريد البصرة وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد فلما نزل الناس أرسل شقيق بن ثور الى عمرو بن مرحوم العبدى ان اخرج فاذا خرجت فمل بنا الى عسكر على فخرجا فى عبد القيس وبكر بن وائل فعدلوا الى عسكر على فقال الناس من كان هؤلاء معه غلب وأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال فكان يرسل على اليهم يكلمهم ويدعوهم وكان نزولهم فى النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ونزل بهم على وقد سبق أصحابه وهم يتلاحقون به فلما نزل قال أبو الجرباء للزبير ان الرأى ان تبعث ألف فارس الى على قبل ان يوافى اليه أصحابه فقال انا لنعرف أمور الحرب ولكنهم أهل دعوتنا وهذا أمر حدث لم يكن قبل اليوم من لم يلق الله فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة وقد فارقنا وفدهم على أمر وانا أرجو أن يتم لنا الصلح فأبشروا واصبروا واقبل صبرة بن شيمان فقال لطلحة والزبير انتهزا بنا هذا الرجل فان الرأى فى الحرب خير من الشدة فقالا ان هذا أمر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن ويكون فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زعم قوم انه لا يجوز تحريكه وهم على ومن معه وقلنا نحن انه لا ينبغى لنا ان نتركه ولا نؤخره وقد قال على ترك هؤلاء القوم شر وهو خير من شر منه وقد كاد يتبين لنا وقد جاءت الاحكام بين المسلمين باعمها منفعة وقال كعب بن سور يا قوم اقطعوا هذا العنق من هؤلاء القوم فاجابوه بنحو ما تقدم وقام على يخطب الناس فقام اليه الاعور بن بنان المنقرى فسأله عن اقدامهم على اهل البصرة فقال له على على الاصلاح واطفاء النائرة لعل الله يجمع شمل هذه الامة بنا ويضع حربهم قال فان لم يجيبونا قال تركناهم ما تركونا قال فان لم يتركونا قال دفعناهم عن أنفسنا قال فهل لهم من هذا مثل الذى عليهم قال نعم وقام اليه أبو سلامة الدالانى فقال أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ان كانوا أرادوا الله بذلك قال نعم قال افترى لك حجة بتأخير ذلك قال نعم ان الشئ اذا كان لا يدرك ان الحكم فيه احوطه واعمه نفعا قال فما حالنا وحالهم ان ابتلينا غدا قال انى لارجو ان لا يقتل منا ومنهم احد نقى قلبه لله الا ادخله الله الجنة وقال فى خطبته أيها الناس املكوا عن هؤلاء القوم أيديكم وألسنتكم واياكم ان تسبقونا فان المخصوم

الحافظ فى كتاب الحيوان هذه القصيدة وفسر بعض أبياتها وذكر فى معنى الخنشبيل وتفسيره قول الانصارى فى صفة النخل
تبيض العشاء باذنابها
وفى صدر الارض عنها فضول
ويشبهها المص مص الثرى
اذا جاعت الشاة للخنشبيل
قال وهذا غير قوله
قد علمت جارية عطبول
أنى بنصل السيف خنشبيل
والفيلة لا تنتج ولا تولد الا بارض الزنج والهند ولا تعظم انيابها بارض السند والهند على حسب ما تعظم بارض الزنج والزنج تتخذ من جلود الفيلة الدرق وكذلك الهند ولا يلحق ذلك فى المنعة بشئ من الدرق الصينى والتبتى واللمطى والتجاوى ولا ما يقع من اللين وغير ذلك من انواع الدرق وخرطومه انفه وبه يوصل الطعام والشراب الى جوفه وهو شئ من الغضروف واللحم والعصب وبه يقاتل ويضرب ومنه يصيح وليس صوت الفيل على مقدار عظم جسمه وكبر خلقه وقد كان المنصور عنى بجمع الفيلة لتعظيم الملوك السالفة اياها واقتنائها لها واعدادها للحروب والزينة فى الاعياد وغيرها فانها

غدا من خصم اليوم و بعث اليهم حكيم بن سلامة ومالك بن حبيب ان كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى ننزل وننظر فى هذا الامر وخرج اليه الاحنف بن قيس و بنو سعد مشمرين قد منعوا حرقوص بن زهير وهم معتزلون وكان الاحنف قد بايع عليا بالمدينة بعد قتل عثمان لانه كان قد حج وعاد من الحج فبايعه قال الاحنف ولم ابايع عليا حتى لقيت طلحة والزبير وعائشة بالمدينة وانا اريد الحج وعثمان محصور فقلت لكل منهم ان الرجل مقتول فمن تأمرونني ابايع فكلهم قال بايع عليا فقلت اترضونه لى فقالوا نعم فلما قضيت حجى ورجعت الى المدينة رأيت عثمان قد قتل فبايعت عليا و رجعت الى اهلى و رأيت الامر قد استقام فبينما انا كذلك اذ اتانى آت فقال هذه عائشة وطلحة والزبير بالخريبة يدعونك فقلت ماجاء بهم قال يستنصرونك على قتال على فى دم عثمان فأتانى افظع أمر فقلت ان خذلانى ام المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد وان قتال ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد امرونى ببيعته اشد فلما اتيتهم قالوا جئنا لكذا وكذا قال فقلت يا ام المؤمنين ويا زبير ويا طلحة نشدتكم الله أقلت لكم من تأمرونني ابايع فقلتم بايع عليا فقالوا نعم ولكنه بدل وغير فقلت والله لا اقاتلكم ومعكم ام المؤمنين ولا أقاتل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمرتمونى ببيعته ولكنى اعتزل فأذنوا له فى ذلك فاعتزل بالجلحاء ومعه زهاء ستة آلاف وهى من البصرة على فرسخين فلما قدم على أتاه الاحنف فقال له ان قومنا بالبصرة يزعمون انك ان ظهرت عليهم غدا قتلت رجالهم وسبيت نساءهم قال ما مثلى يخاف هذا منه وهل يحل هذا الا ممن تولى وكفر وهم قوم مسلمون قال اخترنى واحدة من اثنتين اما ان أقاتل معك واما ان أكف عنك عشرة آلاف سيف قال فكيف بما أعطيت أصحابك من الاعتزال قال ان من الوفاء لله قتالهم قال فاكفف عنا عشرة آلاف سيف فرجع الى الناس فدعاهم الى القعود ونادى يا آل خندف فأجابه ناس ونادى يا آل تميم فأجابه ناس ثم نادى يا آل سعد فلم يبق سعدى الا أجابه فاعتزل بهم ونظر ما يصنع الناس فلما كان القتال وظفر على دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرين فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح فقيل لعلى هذا الزبير فقال اما انه أحرى الرجلين ان ذكر بالله تعالى ان يذكر وخرج طلحة فخرج اليهما على حتى اختلفت أعناق دوابهم فقال على لعمرى قد أعددتما سلاحا وخيلا ورجالا ان كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ألم أكن أخا كما فى دينكما تحرمان دمى وأحرم دمكما فهل من حدث أحل لكما دمى قال طلحة ألبت على عثمان قال على يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يا طلحة تطالب بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة أجئت بعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل بها وخبأت عرسك فى البيت أما بايعتنى قال بايعتك والسيف على عنقى فقال على للزبير يا زبير ما أخرجك قال أنت ولا أراك لهذا الامر أهلا ولا أولى به منا فقال له على ألست له أهلا بعد عثمان قد كنا نعدك من بنى عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا وذكره أشياء وقال له تذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى غنم فنظر الى فضحك وضحكت اليه فقلت له لا يدع ابن أبى طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمزه انتقاتلنه وأنت ظالم له قال اللهم نعم ولو ذكرت ما سرت مسيرى هذا والله لا أقاتلك أبدا فانصرف على الى أصحابه فقال أما الزبير فقد أعطى الله عهدا ان لا يقاتلكم ورجع الزبير الى عائشة فقال لها ما كنت فى موطن منذ عقلت الا وأنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا قالت فما تريد ان تصنع قال أريد أن أدعهم وأذهب قال له ابنه عبد الله جمعت بين هذين الفئتين حتى اذا حدد بعضهم لبعض

أو طامرا كب بها الملوك وأمهدها وأخبرنى بعض الكتاب ممن يرجع الى ادب وعقل ومعرفة بايام الناس بمدينة السلام انه اشترى بغلة فى غاية الفراهة والحسن فكان يركبها فى مهماته وتصرفاته وكانت اذا رأت الجمال البخت أو العراب من العمالة أو غيرها فى الطريق نفرت وشبت وكان يلقى منها جهدا جهيدا فيصبر على ذلك المكروه لما هى عليه من الفراهة والحسن وأنه لا يحملها غيرها لعظم جسمه وكبر بطنه وسمنه فلما كان فى بعض الايام اجتازت بباب الطاق وذلك فى أيام المقتدر وقد أخرج الفيلة للرياضة والتمهيد واحتمل عليها الليث بن على الصفار وأصحابه وقد كان مؤنس المظفر الخادم اسره ببلاد فارس حين خرج على السلطان قال فأشرف على قطار من الجمال البخت منهزمة خائفة من الفيل تجمز فى مشيتها لا سبيل ان عليها ان يحبسها المقاود لما لحقها من الجزع فلما رأت البغلة ذلك شبت ووثبت على عقبها وردتنى الى الارض فوقعت كجلد ثور منفوخ ودخلت الجمال الى درب لا ينفذ وقد كانت البغلة

أردت ان تتركهم وتذهب لكنك خشيت رايات ابن أبى طالب وعلمت انها تحملها فتية انجاد وان تحتها الموت الاحمر فجبنت فأحفظه ذلك وقال انى حلفت ان لا أقاتله قال كفر عن يمينك وقاتله فاعتق غلامه مكحولا وقيل سرجس فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمى

لم أر كاليوم اخا اخوان * أعجب من يكفر الايمان

الابيات وقيل انما عاد الزبير عن القتال لما سمع ان عمار بن ياسر مع على فخاف ان يقتل عمارا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم يا عمار تقتلك الفئة الباغية فرده ابنه عبد الله كما ذكرناه وافترق أهل البصرة ثلاث فرق فرقة مع طلحة والزبير وفرقة مع على وفرقة لا ترى القتال منهم الاحنف وعمران ابن حصين وغيرهما وجاءت عائشة فنزلت فى مسجد الحدان فى الازد ورأس الازد يومئذ صبرة ابن شيمان فقال له كعب بن سوران الجوع اذا رأيت لم تستطع اغاهى بحور تندفق فاطعنى ولا تشهدهم واعتزل بقومك فانى أخاف أن لا يكون صلح ودع مضر وربيعة فهما أخوان فان اصطلحا فالصلح أردناه وان اقتتلا كنا حكاما عليهم غدا وكان كعب فى الجاهلية نصرانيا فقال له صبرة أخشى أن يكون فيك شئ من النصرانية أتأمرنى ان اغيب عن اصلاح بين الناس وان أخذل أم المؤمنين وطلحة والزبير ان ردوا عليهم الصلح وأدع الطلب بدم عثمان والله لا أفعل هذا أبدا فاطبق أهل اليمن على الحضور وحضر مع عائشة المنجاب بن راشد فى الرباب وهم تيم وعدى وثور وعكل بنو عبد مناف بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وضبة بن أد بن طابخة وحضر ايضا أبو الجرباء فى بنى عمرو بن تميم وهلال بن وكيع فى بنى حنظلة وصبرة بن شيمان على الازد ومجاشع بن مسعود السلمى على سليم وزفر بن الحرث فى بنى عامر وغطفان ومالك بن مسمع على بكر والخريت ابن راشد على بنى ناجية وعلى اليمن ذو الآجرة الحميرى ولما خرج طلحة والزبير نزلت مضر جميعا وهم لا يشكون فى الصلح ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكون فى الصلح ونزلت اليمن أسفل منهم ولا يشكون فى الصلح وعائشة فى الحدان والناس بالزابوقة على رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفا وردوا حكيما ومالكا الى على انا على ما فارقنا عليه القعقاع ونزل على بحيالهم فنزلت مضر الى مضر وربيعة الى ربيعة واليمن الى اليمن فكان بعضهم يخرج الى بعض لا يذكرون الا الصلح وكان أصحاب على عشرين ألفا وخرج على وطلحة والزبير فتوافقوا فلم يروا أمرا أمثل من الصلح ووضع الحرب فافترقوا على ذلك وبعث على من العشى عبد الله بن عباس الى طلحة والزبير وبعثا محمد ابن أبى طلحة الى على وأرسل على الى رؤساء أصحابه وطلحة والزبير الى رؤساء أصحابهما بذلك فباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التى أشرفوا عليها والصلح وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة وقد أشرفوا على الهلكة وباتوا يتشاورون فاجتمعوا على انشاب الحرب فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم فخرجوا متسللين وعليهم ظلمة فقصد مضرهم الى مضرهم وربيعتهم الى ربيعتهم ويمنهم الى يمنهم فوضعوا فيهم السلاح فثار أهل البصرة وثار كل قوم فى وجوه أصحابهم الذين أتوهم وبعث طلحة والزبير الى الميمنة وهم ربيعة أميرا عليها عبد الرحمن بن الحرث والى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب وثبتا فى القلب وقالا ما هذا قالوا طرقنا أهل الكوفة ليلا فقالا قد علمنا ان عليا غير منته حتى يسفك الدماء وانه لن يطاوعنا فرد أهل البصرة أولئك الكوفيين الى عسكرهم فسمع على وأهل الكوفة الصوت وقد وضع السبئية رجلا قريبا منه يخبره بما يريد فلما قال على ما هذا قال ذلك الرجل ما شعرنا الا وقوم منهم قد بيتونا فرددناهم فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس فارسل على صاحب الميمنة الى الميمنة وصاحب الميسرة الى الميسرة وقال لقد علمت ان طلحة والزبير

حين رمت بى ونفرت من الجمال دخلت ذلك الدرب وجاءت الفيلة على أثر ذلك فلما نظرت البغلة الى الفيلة وعظم خلقها لحقت بالجمال ودخلت بينها كأنها لم تزل معها وذلت كذلال الجمال اذ رآنى جماعة من الناس فرفعونى ودخل الغلام فاخرج البغلة بما استطاع اخراجها حتى مضت الفيلة وأخرجت من وسط تلك الجمال فوالله ما نفرت بعد ذلك من جمل ولقد ألفت الجمال حتى كأنها بعضها لاستصغارها صورة الجمل عند ما شاهدت صورة الفيل وكل حيوان ذى لسان أصل لسانه الى داخل وطرفه الى خارج الا الفيل فان طرف لسانه الى داخل واصله الى خارج والهند تزعم انه لولا ان لسانه مقلوب ثم لقن الكلام لتكلم والهند تشرف الفيل وتفضله على سائر الحيوان لما اجتمع فيه من الخصال المحمودة من علو سمكه وعظم صورته وبدع منظره واتصال صورته وطول خرطومه وسعة أذنه وكبر غرموله مع خفة وطئه وطول عمره وثقل جسمه وقلة اكترائه بما وضع على ظهره وأنه مع كبر هذا الجسم وعظم هذه الصورة يمر بالانسان فلا يحس

غيرمنتهبين حتى يسفكا الدماء وانهما ان يطاوعانا والسبئية لاتفتر ونادى على فى الناس كفوا فلا شئ وكان من رأيهم جميعا فى تلك الفتنة ان لا يقتتلوا حتى يبدؤا يطلبون بذلك الحجة وان لا يقتلوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلوا سلبا ولا يرزؤا بالبصرة سلاحا ولا ثيابا ولا متاعا وأقبل كعب بن سور حتى أتى عائشة فقال ادركى فقد أبى القوم الا القتال لعل الله ان يصلح بك فركبت وألبسوا هودجها الادراع فلما برزت من البيوت وهى على الجمل بحيث تسمع الغوغاء وقفت واقتتل الناس وقاتل الزبير فحمل عليه عمار بن ياسر فجعل يحوزه بالرمح والزبير كاف عنه ويقول أتقتلنى يا أبا اليقظان فيقول لا يا أبا عبد الله وانما كف الزبير عنه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية ولولا ذلك لقتله وبينما عائشة واقفة اذ سمعت ضجة شديدة فقالت ماهذا قالوا ضجة العسكر قالت بخير أو بشر قالوا بشر فما فجأها الا الهزيمة فمضى الزبير من وجهه الى وادى السباع وانما فارق المعركة لانه قاتل تعذيرا لما ذكر له على وأما طلحة فأتاه سهم غرب فاصابه فشك رجله بصفحة الفرس وهو ينادى الى الى عباد الله الصبر الصبر فقال له القعقاع بن عمرو يا أبا محمد انك لجريح وانك عما تريد لعليل فادخل البيوت فدخل ودمه يسيل وهو يقول اللهم خذ لعثمان منى حتى ترضى فلما امتلأ خفه دما وثقل قال لغلامه اردفنى وأمسكنى وأبلغنى مكانا أنزل فيه فدخل البصرة فانزله فى دار خربة فمات فيها وقيل انه اجتاز به رجل من أصحاب على فقال له أنت من أصحاب أمير المؤمنين قال نعم قال امدد يدك أبايعك له فبايعه فخاف ان يموت وليس فى عنقه بيعة ولما قضى دفن فى بنى سعد وقال لم ارشيخا اضيع دما منى وتمثل عند دخول البصرة مثله ومثل الزبير

فان تكن الحوادث أقصدتنى * واخطأهن سهمى حين أرمى
فقد ضيعت حين تبعت سهما * سفاهة ماسفهت وضل حلمى
ندمت ندامة الكسعى لما * شربت رضا بنى سهم برغمى
اطعتهم بفرقة آل لاى * فالقوا للسباع دمى ولحمى

وكان الذى رمى طلحة مروان بن الحكم وقيل غيره وأما الزبير فانه مر بعسكر الاحنف بن قيس فقال والله ماهذا الخيار جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضا لحق ببيته وقال الاحنف للناس من يأتينى بخبره فقال عمرو بن جرموز لاصحابه انا فاتبعه فلما لحقه نظر اليه الزبير قال ماوراءك قال انما أريد ان أسألك فقال غلام للزبير اسمه عطية انه معد قال مايهولك من رجل وحضرت الصلاة فقال ابن جرموز الصلاة فقال الزبير الصلاة فلما نزلا استدبره ابن جرموز فطعنه فى جربان درعه فقتله وأخذ فرسه وسلاحه وخاتمه وخلى عن الغلام فدفنه بوادى السباع ورجع الى الناس بالخبر وقال الاحنف لابن جرموز والله ماادرى احسنت ام اسأت فأتى ابن جرموز عليا فقال لحاجبه استأذن لقاتل الزبير فقال على ائذن له وبشره بالنار واحضر سيف الزبير عند على فأخذه فنظر اليه وقال طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث به الى عائشة لما انجلت الوقعة وانهزم الناس يريدون البصرة فلما رأوا الخيل اطافت بالجمل عادوا قلبا كما كانوا حيث التقوا وعادوا فى أمر جديد ووقفت ربيعة بالبصرة ميمنة وبعضهم ميسرة وقالت عائشة لما انجلت الوقعة وانهزم الناس لكعب بن سور خل عن الجمل وتقدم بالمصحف فادعهم اليه وناولته مصحفا فاستقبل القوم والسبئية امامهم فرموه رشقا واحدا فقتلوه ورموا أم المؤمنين فى هودجها فجعلت تنادى البقية البقية يا بنى ويعلو

بوطئه ولا يشعر بحسن خطوته واستقامة مشيه * وقد وصف عمرو بن بحر الجاحظ الفيل فى كتاب الحيوان فاغرق فى وصفه وأكثر فى مدحه وعدد معانى كثيرة فى صفة الفيل وهيئته وماهو عليه من عجيب التركيب وغريب التأليف والمعانى الصحيحة والاحساسات اللطيفة وفى قبولها التأديب وصحة تميزها وسرعتها الى التلقين والتقويم ومافى ابدانها من الاعضاء الكريمة والاجزاء الشريفة وكم مقدار منافعها ومبلغ مضارها وبكم فضيلة تلك الاحساس فاقت تلك الاجناس وما فيها من الآلات والبرهانات والعلامات النيرات التى جلاها العيون خلقه وفرق بينها وبين عقول عباده وقيدها عليهم وحفظها لهم لتكثر لهم وتزيد بهم الى وضوح الحجة وتسخرهم لتمام النعمة وماذكر الله فى الكتاب الناطق والخبر الصادق وفى الآثار المعروفة والامثال المضروبة فى التجارب الصحيحة وما قالت الشعراء فيه ونطقت به الفصحاء وميزته العلماء وعجبت منه الحكماء وحالها عند الملوك وموضع نفعها عند الحروب وسياستها فى العيون وجلالتها فى

صوتها كثرة الله اذكروا الله والحساب فيأبون الا اقداما فكان أول شئ أحدثته حين أبوا أن قالت أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم وأقبلت تدعو وضج الناس بالدعاء فسمع على فقال ماهذه الضجة قالوا عائشة تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم وقال على اللهم العن قتلة عثمان فأرسلت الى عبد الرحمن بن عتاب وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام أن اثبتا مكانكما وحرضت الناس حين رأت القوم يريدونها ولا يكفون فحملت مضر البصرة حتى قصفت مضر الكوفة حتى زحم على فنخس قفا ابنه محمد وكانت الراية معه وقال له احمل فتقدم حتى لم يجد متقدما الا على سنان رمح فأخذ على الراية من يده وقال يا بنى بين يدى وحملت مضر الكوفة فاجتلدوا قدام الجمل حتى ضرسوا والمجنبتان على حالهما لاتصنع شيأ ومع على قوم من غير مضر منهم زيد بن صوحان فقال له رجل تنح الى قومك مالك ولهذا الموقف ألست تعلم ان مضر بحيالك والجمل بين يديك ان الموت دونه فقال الموت خير من الحياة الموت أريد فاصيب هو وأخوه سيحان وارتث صعصعة أخوهما واشتدت الحرب فلما رأى على ذلك بعث الى ربيعة والى اليمن أن اجمعوا من يليكم فقام رجل من عبد القيس من أصحاب على فقال ندعوكم الى كتاب الله فقالوا وكيف يدعونا اليه من لا يستقيم ولا يقيم حدود الله وقد قتل كعب بن سور داعى الله ورمته ربيعة رشقا واحدا فقتلوه فقام مسلم بن عبد الله العجلى مكانه فرشقوه رشقا واحدا فقتلوه ودعت يمن الكوفة يمن البصرة فرشقوهم وأبى أهل الكوفة الا القتال ولم يريدوا الا عائشة فذكرت أصحابها فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا ثم رجعوا فاقتتلوا وتزاحف الناس وظهرت يمن البصرة على يمن الكوفة فهزمتهم وربيعة البصرة على ربيعة الكوفة فهزمتهم ثم عاد يمن الكوفة فقتل على رايتهم عشرة خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن فلما رأى ذلك يزيد بن قيس أخذها فثبتت فى يده وهو يقول

قد عشت يانفس وقد عشيت * دهرا فقدك اليوم مابقيت * أطلب طول العمر ماحييت

وانما تمثلها وقال ابن أبى غران الهمدانى

جردت سيفى فى رجال الازد * أضرب فى كهولهم والمرد * كل طويل الساعدين نهد

ورجعت ربيعة الكوفة فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل على رايتهم وهم فى الميسرة زيد وعبد الله بن رقية وأبو عبيدة بن راشد بن سلمى وهو يقول اللهم أنت هديتنا من الضلالة واستنقذتنا من الجهالة وابتليتنا بالفتنة فكنا فى شبهة وعلى ريبة وقتل واشتد الامر حتى لزقت ميمنة أهل الكوفة بقلبهم وميسرة أهل البصرة بقلبهم ومنعوا ميمنة أهل الكوفة ان يختلطوا بقلبهم وان كانوا الى جنبهم وفعل مثل ذلك ميسرة أهل الكوفة بميمنة أهل البصرة فلما رأى الشجعان من مضر الكوفة والبصرة الصبر تنادوا اطرفوا اذا فرغ الصبر فجعلوا يقصدون الاطراف الايدى والارجل فما رؤى وقعة كانت أعظم منها قبلها ولا بعدها ولا أكثر ذراعا مقطوعة ولا رجلا مقطوعة وأصيبت يد عبد الرحمن بن عتاب قبل قتله فنظرت عائشة من يسارها فقالت من القوم عن يسارى قال صبرة بن شيمان بنوك الازد فقالت يا آل غسان حافظوا اليوم جلادكم الذى كنا نسمع به وتمثلت

وجالد من غسان أهل حفاظها * وكعب وأوس جالدت وشبيب

وكان الازد يأخذون بعر الجمل يشمونه ويقولون بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك وقالت لمن عن يمينها من القوم عن يمنى قال بكر بن وائل قالت لكم يقول القائل

الصدور وفى طول اعمارها وقوة أبدانها وفى اعتزامها وتصميمها واحقادها وشدة اكترائها وطلبها بطوائلها وارتفاعها عن ذلك السقاط واقتناء السفلة والاراذل وعن ارتخاصها فى الثمن وارتباطها على الخسف وابتذالها وازالتها عن امتناع طبائعها وتمنع غرائزها أن تصلح أبدانها وتنبت أنيابها وتعظم جوارحها وتتسافد وتتلاقح الا فى معادنها وبلادها ومغارس اعراقها مع التماس الملوك ذلك منها وطمع القوم عليها بالتقرب بذلك منها حتى اعجزت الحيل وأخرجت عن حد الطمع وعن الاختبار عن حملها ووضعها ومواضع أعضائها والذى خالفت فيه الاشكال الاربعة التى تحيط بالجميع مما يستناخ أو يقوم أو يمشى أو يطير وجميع ماينتقل عن أولية خلقه ومايبقى على الطبع الاول من صورته وعما ينازعه من شبه الحيوان ومايخالف فيه جميع الحيوان وعلى القول فى شدة قلبه وأسره وفى حدته على ماهو أعظم بدنا وأشد قلبا وأحد ظفرا وأذرب لسانا وهربه مما هو أصغر جسما وأقل حدا وأضعف أسرا وأخمل

وجاؤا اليناق الحديد كانهم * من الغرة القعساء بكر بن وائل

انما بازائكم عبد القيس فاقتتلوا أشد من قتالهم قبل ذلك وأقبلت على كتيبة بين يديها فقالت من القوم قالوا بنو ناجية قالت بخ بخ سيوف أبطحية قرشية فجالدوا جلادا يتفادى منه ثم أطافت بها بنو ضبة فقالت ويها جمرة الجمرات فلما رقوا خالطهم بنو عدى بن عبد مناة وكثروا حولها فقالت من انتم قالوا بنو عدى خالطنا اخوتنا فاقاموا رأس الجمل وضربوا ضربا شديدا ليس بالتعذير ولا يعدلون بالتطريف حتى اذا كثر ذلك وظهر فى العسكر بن جميعا راموا الجمل وقالوا لا يزال القوم أو يصرع الجمل وصار مجنبتا على الى القلب وفعل ذلك أهل البصرة وكره القوم بعضهم بعضا وأخذ عميرة بن يثربى برأس الجمل وكان قاضى البصرة قبل كعب بن سور فشهد الجمل هو وأخوه عبد الله فقال على من يحمل على الجمل فانتدب له هند بن عمرو الجملى المرادى فاعترضه ابن يثربى فاختلفا ضربتين فقتله ابن يثربى ثم حمل علباء بن الهيثم فاعترضه ابن يثربى فقتله وقتل سيحان بن صوحان وارتث صعصعة وقال ابن يثربى

أنا لمن ينكرنى ابن يثربى * قاتل علباء وهند الجملى * وابن لصوحان على دين على

وقال ابن يثربى أيضا

أضربهم ولا أرى أبا حسن * كفى بهذا حزنا من الحزن * انا نمر الامر امرار الرسن

فناداه عمار لقد عذت بحريز وما اليك من سبيل فان كنت صادقا فاخرج من هذه الكتيبة الى وترك الزمام فى يد رجل من بنى عدى حتى اذا كان بين الصفين تقدم عمار وهو ابن تسعين سنه وقيل أكثر من ذلك عليه فرو قد شد وسطه بحبل ليف وهو أضعف من بارزه واسترجع الناس وقالوا هذا لاحق بأصحابه وضربه ابن يثربى فاتقاه عمار بدرقته فنشب سيفه فيها فعالجه فلم يخرج وأسف عمار لرجليه فضربه فقطعهما فوقع على أسته وأخذ أسيرا فأتى به الى على فقال استبقنى فقال أبعد ثلاثة تقتلهم وأمر به فقتل وقيل ان المقتول عمرو بن يثربى وان عميرة بقى حتى ولى قضاء البصرة مع معاوية ولما قتل ابن يثربى تولى ذلك العدوى الزمام فتركه بيد رجل من بنى عدى وبرز فخرج اليه ربيعة العقيلى يرتجز ويقول

يا أمنا أعق أم تعلم * والام تغذو ولدا وترحم

الا ترون كم شجاع يكلم * وتختلى منه يد ومعصم

كذب فهى من ابر أم تعلم ثم اقتتلا فأثخن كل واحد منهما صاحبه فماتا جميعا وقام مقام العدوى الحرث الضبى فما رؤى أشد منه وجعل يقول

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل * نبارز القرن اذا القرن نزل

نبغى ابن عفان بأطراف الاسل * الموت أحلى عندنا من العسل

ردوا علينا شيخنا ثم بجل

وقيل ان هذه الابيات لوسيم بن عمرو الضبى وكان عمرو يحرض أصحابه يوم الجمل وقد أخذ الخطام

ويقول نحن بنو ضبة لا نفر * حتى نرى جماجما تخر * يخر منها العلق المحمر

ويقول يا أمنا يا عيش لن تراعى * كل بنيك بطل شجاع

ويقول يا أمنا يا زوجة النبى * يا زوجة المبارك المهدى

ولم يزل الامر كذلك حتى قتل على الخطام أربعون رجلا قالت عائشة مازال جملى معتدلا حتى فقدت أصوات بنى ضبة قال واخذ الخطام سبعون رجلا من قريش كلهم يقتل وهو آخذ بخطام

ذكر أو عن الاخبار عن خصاله المذمومة وأموره المحمودة وعن القول فى لونه وجلده وشعره ولحمه وشحمه وعظمه وبوله ونحوه وعن لسانه وفمه مع غير ذلك من المواعيد الكثيرة التى تضمن ايراده فلما انتهى الى موضع بطنها وايراد وضعها وما اسلفه من القول فى هذه المعانى التى قدمها أورد جوامع متفرقة ولمعا غير متسقة فى الفيلة وغيرها وأعرض عن ايراد خواص اعضائها وأكثر منافعها وعجيب خصالها وما ذكر من أسرار الطبيعة وما قالته فلاسفة الهند فى بدنها وما أثرته عمن تقدم من حكمائها فى تداولها وعلة تكونها فى أرض الزنج والسند دون سائر البقاع من الارض والسبب المانع لتكونها فى غيرها والتضاد الذى بينها وبين الكركدن مع عظم خلقها وفرارها من السنور مع صغر حجم جسمه ولطافة منظره وعن كثرة الطرب الذى يوجد فى الفيل دون غيره من الحيوان وقبولها الرياضة والدراية والمعرفة عند المحاورة والدهاء والخبث والتمييز وقد ذكر صاحب المنطق فى كتاب الحيوان جملا كثيرة من

الجمل وكان ممن أخذ بزمام الجمل محمد بن طلحة وقال يا أمتاه مرينى بأمرك قالت آمرك أن تكون خير بنى آدم ان تركت فجعل لا يحمل عليه احد الا حمل وقال حاميم لا ينصرون واجتمع عليه نفر كلهم ادعى قتله المكعبر الاسدى والمكعبر الضبى ومعاوية بن شداد العبسى وعفار السعدى النصرى فانفذه بعضهم بالرمح ففى ذلك يقول

واشعث قوام بآيات ربه * قليل الاذى فيما ترى العين مسلم

هتكت له بالرمح جيب قميصه * فخر صريعا لليدين وللفم

يذكرنى حاميم والرمح شاجر * فهلا تلا حاميم قبل التقدم

على غير شئ غير ان ليس تابعا * عليا ومن لا يتبع الحق يندم

وأخذ الخطام عمرو بن الاشرف فجعل لا يدنو منه احد الا خبطه بالسيف فاقبل اليه الحرث بن زهير الازدى وهو يقول

يا أمنا يا خير أم نعلم * اما ترين كم شجاع يكلم * وتختلى هامته والمعصم

فاختلفا ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه وأحدق اهل النجدات والشجاعة بعائشة فكان لا يأخذ الخطام أحد الا قتل وكان لا يأخذه والراية الا معروف عند المطيفين بالجمل فينتسب انا فلان بن فلان فوالله ان كانوا ليقاتلون عليه وانه للموت لا يوصل اليه الا بطلبة وعنت وما رامه احد من اصحاب على الا قتل او أفلت ثم لم يعد وحمل عدى بن حاتم الطائى عليهم ففقئت عينه وجاء عبد الله بن الزبير ولم يتكلم فقالت من انت فقال ابنك ابن اختك قالت واثكل اسماء وانتهى اليه الاشتر فاقتتلا فضربه الاشتر على رأسه فجرحه جرحا شديدا وضربه عبد الله ضربة خفيفة واعتنق كل رجل منهما صاحبه وسقطا الى الارض يعتركان فقال ابن الزبير

اقتلونى ومالكا * واقتلوا مالكا معى

فلو يعلمون من مالك لقتلوه انما كان يعرف بالاشتر فحمل أصحاب على وعائشة فخلصوهما قال الاشتر لقيت عبد الرحمن بن عتاب فلقيت أشد الناس واخرقه فما لبثته ان قتلته ولقيت الاسود ابن عوف فلقيت أشد الناس وأشجعه فما كدت انجو منه فتمنيت انى لم أكن لقيته ولحقنى جندب ابن زهير الغامدى فضربته فقتلته قال ورأيت عبد الله بن حكيم بن حزام وعنده راية قريش وهو يقاتل عدى بن حاتم وهما يتصاولان تصاول الفحلين فتعاورناه فقتلناه قال وأخذ الخطام الاسود ابن أبى البخترى فقتل وهو قرشى أيضا وأخذه عمرو بن الاشرف فقتل وقتل معه ثلاثة عشر رجلا من أهل بيته وهو ازدى وجرح مروان بن الحكم وجرح عبد الله بن الزبير سبعا وثلاثين جراحة من طعنة ورمية قال ومارأيت مثل يوم الجمل ما ينهزم منا أحد وما نحن الا كالجبل الاسود وما يأخذ بخطام الجمل أحد الا قتل حتى ضاع الخطام ونادى على اعقروا الجمل فانه ان عقر تفرقوا فضربه رجل فسقط فما سمعت صوتا قط أشد من عجيج الجمل وكانت راية الازد من أهل الكوفة مع مخنف بن سليم فقتل وأخذها الصقعب وأخوه عبد الله بن سليم فقتل وأخذها العلاء بن عروة فكان الفتح وهى بيده وكانت راية عبد القيس من أهل الكوفة مع القاسم بن سليم فقتل وقتل معه زيد وسيحان ابنا صوحان وأخذها عدة نفر فقتلوا منهم عبد الله بن رقية ثم أخذها منقذ بن النعمان فدفعها الى ابنه مرة بن منقذ فانقضى الحرب وهى فى يده وكانت راية بكر بن وائل فى بنى ذهل مع الحرث بن حسان الذهلى فاقدم وقال يا معشر بكر لم يكن احد له من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل منزلة صاحبكم فتقدم وقاتلهم فقتل ابنه وخمسة من بنى أهله وقتل الحرث فقيل فيه

خصال الفيل ومنافع أعضائه وسلك طريقة مالم يسلكها من تقدم من حكماء الهند من ان العالم بما فيه من الاجسام على جهات ثلاث متفق ومختلف ومضاد وان ذلك فى الجملة هو جماد ونام واخراجهم عن العالم الافلاك والنجوم والبروج وغير ذلك من الاجسام السماوية وليست بجماد ولا نام وانها أحيانا ناطقة (قال المسعودى) فلنرجع الآن الى ما كنا فيه آنفا فى صدر هذا الباب من ذكر الزنج وبلادهم وغيرهم من أنواع الاحابش فالزنج مع كثرة اصطيادها لما ذكرنا من الفيلة وجمعها العاجها غير منتفعة بشئ من ذلك فى آلاتها وانما تتحلى الزنج بالحديد بدلا عن الذهب والفضة وما ذكرنا من دوابهم انها بقر وأنهم عليها يتقاتلون بدلا من الابل والخيل وهى بقر تجرى كالخيل بسروج ولجم ورأيت بالرى نوعا من هذا البقر يبول كما تبول الخيل ويثور بحمله كما تثور الابل اذا استقلت باحمالها وهذا النوع من البقر يحمل عليه المية من الحيوان كالخيل والابل والحمير والبقر وملاكها نوع من المجوس من دفنه

انى الرئيس الحرث بن حسان * لآل ذهل ولآل شيبان

وقال رجل من بنى ذهل

تنعى لنا خير امرئ من عدنان * عند النزال والطعان الاقران

وقال اخوه بشر بن حسان

انا ابن حسان بن خوط وأبى * رسول بكر كلها الى النبى

وقتل رجال من بنى محدوج وقتل من بنى ذهل خمسة وثلاثون رجلا وقال لاخيه رهو يقاتل يا اخى ما احسن قتالنا ان كنا على الحق قال فانا على الحق ان الناس أخذوا يمينا وشمالا وانا تمسكنا باهل بيت نبينا فقاتلا حتى قتلا وجرح يومئذ عمير بن الاهاب الضبى فمر به رجل من اصحاب على وهو فى الجرح يفحص برجليه ويقول

لقد اوردتنا حومة الموت أمنا * فلم ننصرف الا ونحن رواء

لقد كان فى نصر ابن ضبة أمه * وشيعتها مندوحة وغناء

اطعنا قريشا ضلة من حلومنا * ونصرتنا أهل الحجاز عناء

اطعنا بنى تيم بن مرة شقوة * وهل تيم الا اعبد واماء

فقال له الرجل قل لا اله الا الله قال ادن منى فلقنى فى صمم فدنا منه الرجل فوثب عليه فعض اذنه فقطعها وقيل فى عقر الجمل ان القعقاع اتى الاشتر وقد عاد من القتال عند الجمل فقال هل لك فى العود فلم يجبه فقال يا اشتر بعضنا اعلم بقتال بعض منك وحمل القعقاع والزمام مع زفر بن الحرث وكان آخر من أخذ الخطام فلم يبق شيخ من بنى عامر الا أصيب قدام الجمل وزفر بن الحرث يرتجز ويقول

يا أمنا مثلك لا يراع * كل بنيك بطل شجاع * ليس بوهواه ولا براع

وقال القعقاع

اذا وردنا آجنا جهرناه * ولا يطاق ورد ما منعناه

وزحف الى زفر بن الحرث الكلاعى وتسرعت عامر الى حربه فاصيبوا فقال القعقاع لبجير بن دلجة وهو من أصحاب على يا بجير بن دلجة صح بقومك فليعقروا الجمل قبل ان تصابوا وتصاب ام المؤمنين فقال بجير يا آل ضبة يا عمرو بن دلجة ادع بى اليك فدعاه فقال أنا آمن حتى أرجع عنكم قال نعم فاجتث ساق البعير فرمى نفسه على شقه وجرجر البعير فقال القعقاع لمن يليه أنتم آمنون واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير وحملا الهودج فوضعاه وانه كالقنفذ لما فيه من السهام ثم أطافا به وفر من وراء ذلك من الناس فلما انهزموا أمر على مناديا فنادى الا لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور وأمر على نفرا أن يحملوا الهودج من بين القتلى وأمر اخاها محمد بن أبى بكر أن يضرب عليها قبة وقال انظر هل وصل اليها شئ من جراحة فادخل رأسه فى هودجها فقالت من أنت فقال أبغض أهلك اليك قالت ابن الخثعمية قال نعم قالت يا بابى الحمد لله الذى عافاك وقيل لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبى بكر اليه ومعه عمار فاحتملا الهودج فنحياه فادخل محمد يده فيه فقالت من هذا فقال اخوك البر قالت عقق قال يا أخية هل اصابك شئ قالت ما أنت وذاك قال فمن اذا الضلال قالت بل الهداة وقال لها عمار كيف رايت ضرب بنيك اليوم يا أماه قالت است لك بام قال بلى وان كرهت قالت فخرتم ان ظفرتم وأتيتم مثل الذى نقمتم هيهات والله لن يظفر من كان هذا دأبه فابرزوا هودجها

فوضعوها

ولهم خارج الرى قرية لا يسكن معهم فيها غيرهم فاذا مات بالرى اوقزوين شئ مما ذكرنا من البهائم ورد الواحد منهم مع ثوره فاناخه وحمل عليه تلك الجيفة وساربها الى قريته فاكلهم منها وبنيانهم من عظامها ويجففون من لحمها ما يدخرونه لشتائهم فاكثرأ كلهم وأكل بقرهم من تلك اللحمان رطب ويابس وهذا النوع من البقر الغالب عليه حمرة الحدق وسائر البقر تنفر وتهرب من هذا البقر ورأيت باصبهان وقم منها ما فى أنوفها حلق الحديد والصفر قد خرمت فيها الحبال وخطمت بها كما يفعل بالجمال البخت وكذلك بالرى رايت ثورا منها قد عدا نحو ثور من غير هذا النوع فلما رآه تصده قام فزعا من هذا الجنس وليس فى سائر أنواع البقر ما ياوى المياه والجزائر والبحيرات الا البقر المعروف بالحبشية التى تكون ببلاد مصر وأعمالها وبحيرة تنيس ودمياط وما اتصل بتلك الديار وأما الجواميس فانها بالثغر الشامى فى بحر أكبر ما يكون من العجل فى أنوفها حلق الحديد والصفر على ماذكرنا من

فوضعوها اليس قريبا احد وأتاها على فقال كيف انت يا امه قالت بخير قال يغفر الله لك قالت ولك وجاء أعين بن ضبيعة بن أعين المجاشعى حتى اطلع فى الهودج فقالت اليك لعنك الله فقال والله ما أرى الا حميراء فقالت له هتك الله سترك وقطع يدك وابدى عورتك فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمى عريانا فى خربة من خرابات الازد ثم أتى وجوه الناس عائشة وفيهم القعقاع بن عمرو فسلم عليها فقالت انى رأيت بالامس رجلين اجتلدا وارتجزا بكذا فهل تعرف كوفيك قال نعم ذاك الذى قال أعق ام نعلم وكذب انك لابر أم نعلم ولكن لم تطاعى قالت والله لوددت انى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة * وخرج من عندها فأتى عليا فقال له على والله لوددت انى مت من قبل اليوم بعشرين سنة وكان على يقول ذلك اليوم بعد الفراغ من القتال

اليك اشكو عجرى وبجرى * ومعشرا أغشوا على بصرى

قتلت منهم مضرى بمضرى * شفيت نفسى وقتلت معشرى

فلما كان الليل ادخلها أخوها محمد بن أبى بكر البصرة فانزلها فى دار عبد الله بن خلف الخزاعى على صفية بنت الحرث بن ابى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وهى ام طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف وتسلل الجرحى من بين القتلى ليلا فدخلوا البصرة فأقام على بظاهر البصرة ثلاثا واذن للناس فى دفن موتاهم فخرجوا اليهم فدفنوهم وطاف على فى القتلى فلما اتى على كعب بن سور قال أزعمتم انه خرج معهم السفهاء وهذا الحبر قد ترون واتى على عبد الرحمن بن عتاب فقال هذا يعسوب القوم يعنى انهم كانوا يطيفون به واجتمعوا على الرضا به لصلاتهم ومر على طلحة بن عبيد الله وهو صريع فقال لهفى عليك يا ابا محمد انا لله وانا اليه راجعون والله لقد كنت اكره ان ارى قريشا صرعى انت والله كما قال الشاعر

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه * اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وجعل كلما مر برجل فيه خير قال زعم من زعم أنه لم يخرج الينا الا الغوغاء وهذا العابد المجتهد فيهم وصلى على على القتلى من أهل البصرة والكوفة وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء وأمر فدفنت الاطراف فى قبر عظيم وجمع ما كان فى العسكر من شئ وبعث به الى مسجد البصرة وقال من عرف شيأ فليأخذه الا سلاحا كان فى الخزائن عليه سمة السلطان وكان جميع القتلى عشرة آلاف نصفهم من اصحاب على ونصفهم من أصحاب عائشة وقيل غير ذلك وقتل من ضبة ألف رجل وقتل من بنى عدى حول الجمل سبعون رجلا كلهم قد قرأ القرآن سوى الشباب ومن لم يقرأ ولما فرغ على من الوقعة أتاه الاحنف بن قيس فى بنى سعد وكانوا قد اعتزلوا القتال فقال له على تربصت فقال ما كنت أرانى الا وقد احسنت وبأمرك كان ما كان يا امير المؤمنين فارفق فان طريقك الذى سلكت بعيد وأنت الى غدا أحوج منك امس فاعرف احسانى واستصف مودتى لغد ولا تقل مثل هذا فانى لم أزل لك ناصحا ثم دخل على البصرة يوم الاثنين فبايعه اهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة واتاه عبد الرحمن بن ابى بكرة فى المستأمنين ايضا فبايعه فقال له على وما عمل المتربص المتقاعد بى ايضا يعنى أباه ابا بكرة فقال والله انه لمريض وانه على مسرتك لحريص فقال على امش أمامى فمشى معه الى أبيه فلما دخل عليه على قال له تقاعدت بى وتربصت ووضع يده على صدره وقال هذا وجع بين واعتذر اليه فقبل عذره واراده على البصرة فامتنع وقال رجل من أهلك يسكن اليه الناس وسأشير عليه فافترقا على ابن عباس وولى زيادا على الخراج وبيت المال وأمر ابن عباس ان يسمع منه ويطيع وكان زياد معتزلا ثم راح الى عائشة وهو فى دار عبد الله بن

البقر وكذلك منها ببلاد انطاكية وأكثر من ذلك ببلاد السند والهند وطبرستان وقرون تلك البقر أكبر من قرون هذه الجواميس التى بارض الاسلام وطول القرن منها نحو الذراع والذراعين وكذلك الجواميس كثيرة بارض العراق مما يلى صفوف الكوفة والبصرة والبطائح وما اتصل بهذه الديار والناس يذكرون عنقاء مغرب ويصورون العنقاء فى الحمامات وغيرها ولم أجد احدا فى هذه الممالك ممن شاهدته اونمى الى خبره ذكر أنه رآها ولست أدرى كيف ذلك ولعله اسم لا مسمى له ولنرجع الآن الى اخبار الزنج وأخبار ملوكها فاما تفسير اسم ملك الزنج الذى هو وقليمن فمعنى ذلك ابن الرب الكبير لانه اختاره لملكهم والعدل فيهم فمتى جار الملك عليهم فى حكمه وحاد عن الحق قتلوه وحرموا عقبه الملك ويزعمون انه اذا فعل ذلك فقد بطل ان يكون ابن الرب الذى هو ملك السموات والارض ويسمون الخالق عز وجل مكلنجلو وتفسيره الرب الكبير والزنج اولو فصاحة فى السنتهم وفيهم خطباء

خاف وهى اعظم دار بالبصرة فوجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابنى خاف وكان عبد الله
قتل مع عائشة وعثمان قتل مع على وكانت صفية زوجة عبد الله مختمرة تبكى فلما رأته قالت له يا على
يا قاتل الاحبة يا مفرق الجمع أيتم الله منك بنيك كما أيتمت ولد عبد الله منه فلم يرد عليها شيئا ودخل على
عائشة فسلم عليها وقعد عندها ثم قال جبهتنا صفية أما انى لم ارها منذ كانت جارية فلما خرج على
اعادت عليه القول فكف بغلته وقال لقد هممت ان افتح هذا الباب وأشار الى باب فى الدار واقتل
من فيه وكان فيه ناس من الجرحى فأخبر على بمكانهم فتغافل عنهم فسكت وكان مذهبه ان لا يقتل
مدبرا ولا يذفف على جريح ولا يكشف سترا ولا يأخذ مالا ولما خرج على من عند عائشة قال له رجل
من ازد والله لا تغلبنا هذه المرأة فغضب وقال مه لا تهتكن سترا ولا تدخلن دارا ولا تهيجن امرأة
باذى وان شتمن اعراضكم وسفهن امراءكم وصلحاءكم فان النساء ضعيفات ولقد كنا نؤمر بالكف
عنهن وهن مشركات فكيف اذا هن مسلمات ومضى على فلحقه رجل فقال له يا امير المؤمنين قام
رجلان على الباب فتناولا من هو أمض شتيمة لك من صفية قال ويحك لعلها عائشة قال نعم قال
احدهما جزيت عنا أمنا عقوقا وقال الآخر يا أمى توبى فقد اخطأت فبعث القعقاع بن عمرو الى
الباب فاقبل بمن كان له فأحالوا على رجلين من ازد الكوفة وهما عجلان وسعد ابنا عبد الله
فضربهما مائة سوط وأخرجهما من ثيابهما وسألت عائشة يومئذ عمن قتل من الناس منهم معها
ومنهم عليها والناس عندها فكلما نعى واحد من الجميع قالت يرحمه الله فقيل لها كيف ذلك قالت
كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان فى الجنة وفلان فى الجنة وقال على انى لارجو ان
لا يكون احد نقى قلبه لله من هؤلاء الا ادخله الله الجنة ثم جهز على عائشة بكل ما ينبغى لها من
مركب وزاد ومتاع وغير ذلك وبعث معها كل من نجا ممن خرج معها الا من احب المقام واختار
لها أربعين امرأة من نساء البصرة والمعروفات وسير معها اخاها محمد بن أبى بكر فلما كان اليوم
الذى ارتحلت فيه اتاها على فوقف لها وحضر الناس فخرجت وودعتهم وقالت يا بنى لا يعتب
بعضنا على بعض انه والله ما كان بينى وبين على فى القديم الا ما يكون بين المرأة وبين احمائها وانه
على معتبتى لمن الاخيار وقال على صدقت والله ما كان بينى وبينها الا ذاك وانها لزوجة نبيكم
فى الدنيا والآخرة وخرجت يوم السبت غرة رجب وشيعها اميالا وسرح بنيه معها يوما فكان
وجهها الى مكة فأقامت الى الحج ثم رجعت الى المدينة وقال لها عمار حين ودعها أما بعد هذا
المسير من العهد الذى عهد اليك قالت والله انك ما علمت لقوال بالحق قال الحمد لله الذى قضى على
لسانك لى واما المنهزمون فقد ذكرنا حالهم وكان منهم عتبة بن أبى سفيان فخرج هو وعبد الرحمن
ويحيى ابنا الحكم فساروا فى البلاد فلقيهم عصمة بن أبير التيمى فقال لهم هل لكم فى الجوار فقالوا
نعم فأجارهم وأنزلهم حتى برأت جراحهم وسيرهم نحو الشام فى أربعمائة راكب فلما وصلوا الى
دومة الجندل قالوا قد وفيت ذمتك وقضيت ما عليك فرجع واما ابن عامر فانه خرج ايضا فلقيه
رجل من بنى حرقوص يدعى مرى فأجاره وسيره الى الشام واما مروان بن الحكم فاستجار بمالك
ابن مسمع فأجاره ووفى له وحفظ له بنو مروان ذلك فى خلافتهم وانتفعوا به وشرفوه بذلك وقيل
ان مروان نزل مع عائشة بدار عبد الله بن خلف وصحبها الى الحجاز فلما سارت الى مكة سار الى
المدينة وأما عبد الله بن الزبير فانه نزل بدار رجل من الازد يدعى وزيرا فقال له ائت ام المؤمنين
فاعلمها بمكانى ولا يعلم محمد بن ابى بكر فأتى عائشة فاخبرها فقالت على بمحمد فقال لها انه قد
نهانى ان يعلم محمد فلم تسمع قوله وأرسلت الى محمد وقالت اذهب مع هذا الرجل حتى تأتينى بابن

بلغتهم يقف الرجل منهم
الزاهد فيخطب على الخلق
الكثير منهم ويرغبهم فى
القرب من بارئهم ويبعثهم
على طاعته ويرهبهم من
عقابه وصولته ويذكرهم
من مضى من ملوكهم
واسلافهم وليس لهم
شريعة يرجعون اليها بل
رسوم لملوكهم وأنواع من
السياسات يسوسون بها
رعيتهم واكلهم الموز وهو
ببلادهم كثير وكذلك
بارض الهند والغالب على
اقوات الزنج الذرة ونبات
يقال له الكلارى يقلع
من الارض كالكمأة
والراسن ومنه ما هو كثير
ببلاد عدن وما اتصل بها
من ارض اليمن ويشبه
هذا الكلارى القلقاس
الذى يكون بالشام ومصر
ومن غذائهم أيضا العسل
واللحم ومن هوى منهم شيأ
من نبات أو حيوان أو جماد
يعبده وجزائرهم فى البحر
لا تحصى كثرة وفيها
النارجيل يأكله سائر
الزنج ومن بعض تلك
الجزائر جزيرة بينها وبين
ساحل الزنج نحو من يوم
أو يومين فيها خلائق من
المسلمين يقال لهم قنبلوا
ويتوارثها المسلمون على
حسب ما ذكرنا من
أمرها فى هذا الكتاب
وأما النوبة فافترقت

أختك فانطلق معه وخرج عبد الله ومحمد حتى انتهيا الى دار عائشة فى دار عبد الله بن خلف ولما
فرغ على من بيعة اهل البصرة نظر فى بيت المال فرأى فيه ستمائة ألف وزيادة فقسمها على من
شهد معه فأصاب كل رجل منهم خمسمائة فقال لهم ان أظفركم الله بالشام فلكم مثلها
الى اعطياتكم فخاض فى ذلك السبئية وطعنوا على على من وراء وراء وطعنوا فيه ايضا حين
نهاهم عن أخذ أموالهم فقالوا ما يحل لنا دماؤهم ويحرم علينا أموالهم فقال لهم على القوم أمثالكم
من صفح عنا فهو منا ومن لج حتى يصاب فقتاله منى على الصدر والنحر وقال القعقاع ما رأيت شيئا
أشبه بشئ من قتال القلب يوم الجمل بقتال صفين لقد رأيتنا ندافعهم باسنتنا ونتكئ على ازجتنا وهم
مثل ذلك حتى لو ان الرجال مشت عليها لاستقلت بهم وقال عبد الله بن سنان الكاهلى لما كان يوم
الجمل ترامينا بالنبل حتى فنيت وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وتشبكت فى صدورنا وصدورهم
حتى لو سيرت عليها الخيل لسارت ثم قال على السيوف يا بنى المهاجرين فما شبهت أصواتها
الا بضرب القصارين وعلم أهل المدينة بالوقعة يوم الحرب قبل ان تغرب الشمس من نسر مر
بماء حول المدينة ومعه شئ متعلق فسقط منه فاذا كف فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب
وعلم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة بما ينقل اليهم النسور من الايدى والاقدام وأراد على
المقام بالبصرة لاصلاح حالها فاعجلته السبئية عن المقام فانهم ارتحلوا بغير اذنه فارتحل فى
آثارهم ليقطع عليهم أمرا ان أرادوه وقد قيل فى سبب القتال يوم الجمل غير ما تقدم مع الاتفاق
على مسير أصحاب عائشة ونزولهم البصرة والوقعة الاولى مع عثمان بن حنيف وحكيم (وأما مسير
على وعزل أبى موسى) فقال فيه ان عليا لما أرسل محمد بن أبى بكر الى أبى موسى وجرى له ما تقدم
سار هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الى على بالربذة فاعلمه الحال فاعاده على الى أبى موسى يقول له
أرسل الناس فانى لم أولك الا لتكون من اعوانى على الحق فامتنع أبو موسى فكتب هاشم الى
على انى قدمت على رجل غال مشاقق ظاهر الشنآن وأرسل الكتاب مع المحل بن خليفة الطائى
فبعث على الحسن ابنه وعمار بن ياسر يستنفران الناس وبعث قرظة بن كعب الانصارى أميرا
وكتب معه الى أبى موسى انى قد بعثت الحسن وعمارا يستنفران الناس وبعثت قرظة بن كعب
واليا على الكوفة فاعتزل عملنا مذموما مدحورا وان لم تفعل فانى قد أمرته ان ينابذك فان نابذته
فظفر بك يقطعك اربا اربا فلما قدم الكتاب على أبى موسى اعتزل واستنفر الحسن الناس
فنفروا ونحو ما تقدم وسار على عن نحو البصرة فقال جون بن قتادة كنت مع الزبير فجاء فارس
يسير فقال السلام عليك أيها الامير فرد عليه فقال ان هؤلاء القوم قد أتوا مكان كذا وكذا فلم أر
أرث سلاحا ولا أقل عددا ولا أرعب قلوبا منهم ثم انصرف عنه وجاء فارس آخر فقال له ان القوم
قد بلغوا مكان كذا وكذا فسمعوا بما جمع الله لكم من العدد والعدة فخافوا فولوا مدبرين فقال
الزبير ايها عنك فوالله لو لم يجد على بن أبى طالب الا العرفج لدب الينا فيه فانصرف وجاء فارس
وقد كادت الخيل تخرج من الرهج فقال هؤلاء القوم قد أتوك فلقيت عمارا فقلت له وقال لى فقال
الزبير انه ليس فيهم فقال الرجل بلى والله انه لفيهم فقال الزبير والله ما جعله الله فيهم فقال الرجل بلى
والله فلما كرر عليه أرسل الزبير رجلين ينظران فانطلقا ثم رجعا فقالا صدق الرجل فقال الزبير
يا جدع أنفاه يا قطع ظهراه ثم أخذته رعدة فجعل السلاح ينتفض قال جون فقلت ثكلتنى أمى
هذا الذى كنت أريد ان أموت معه او أعيش ما أخذه هذا الامر الا لشئ سمعه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانصرف جون فاعتزل وجاء على فلما تواقف الناس دعا الزبير وطلحة فتواقفوا

فرقتين فرقة فى شرق النيل
وغربه وأناخت على شاطئه
فاتصلت ديارها بديار
القبط من أرض مصر
والصعيد من بلاد اسوان
وغيرها واتسعت مساكن
النوبة على شاطئ النيل
مصعدة ولحقوا بقريب
من أعاليه وبنوا دار مملكة
وهى مدينة عظيمة تدعى
دنقلة والفريق الآخر
من النوبة يقال لهم علوة
وبنوا مدينة عظيمة وسموها
سريه (قال المسعودى)
وانتهيت فى تصنيفى الى
هذا الموضع من كتابنا
هذا فى شهر ربيع الآخر
سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة فأخبرت ان الملك
فى مدينة دنقلة الى النوبة
لبرنى بن سدرو وهو ملك ابن
ملك ابن ملك فصاعدا ومملكه
يحتوى على ام قرية وعلوه
والبلد المتصل بمملكته
بأرض اسوان يعرف
بمريس واليه تضاف الريح
المريسية وعمل هذا الملك
متصل باعمال مصر من
أرض الصعيد ومدينة
أسوان واما البجه فانها
نزلت بين بحر القلزم ونيل
مصر وتشعبوا فرقا وملكوا
عليهم ملكا وفى أرضهم
معادن الذهب وهو التبر
ومعادن الزمرد وتتصل
سراياهم ومناسرهم على
النجب الى بلاد النوبة

وذكر من أمر الزبير وعوده وتكفيره عن يمينه مثل ما تقدم فلما أبوا الا القتال قال على أيكم يأخذ هذا المصحف يدعوهم الى ما فيه فان قطعت يده أخذه بيده الاخرى فان قطعت يده أخذه باسنانه وهو مقتول فقال شاب أنا فطاف به على أصحابه فلم يجبه الا ذلك الشاب ثلاث مرات فسلمه اليه فدعاهم فقطعت يده اليمنى فأخذه باليسرى فقطعت فأخذه بصدره والدماء تسيل على قبائه فقتل فقال على الآن حل قتالهم فقالت أم الفتى

لاهم ان مسلما دعاهم * يتلو كتاب الله لا يخشاهم
وامهم قائمة تراهم * تأمرهم بالقتل لا تنهاهم * قد خضبت من علق لحاهم

وحملت ميمنة على على ميسرتهم فاقتتلوا فلاذ الناس بعائشة وكان أكثرهم من ضبة والازد وكان قتالهم من ارتفاع النهار الى قريب من العصر ثم انهزموا ونادى رجل من الازد كروا فضرب محمد بن على فقطع يده فقال يا معشر الازد فروا واستحر القتل في الازد فنادوا نحن على دين على فقال رجل من بنى ليث

سائل بنا حين لقينا الازدا * والخيل تعدو أشقرا ووردا
لما قطعوا كبدهم والزندا * سحقا لهم في رأيهم وبعدا

وحمل عمار بن ياسر على الزبير فجعل يحوزه بالرمح فقال أتريد ان تقتلني يا أبا اليقظان فقال لا يا أبا عبد الله انصرف فانصرف وجرح عبد الله بن الزبير فالقى نفسه في الجرحى ثم برأ وعقر الجمل واحتمل محمد بن أبى بكر عائشة فانزلها وضرب عليها قبة فوقف على عليها وقال لها استنفرت الناس وقد نفروا وألبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضا في كلام كثير فقالت عائشة ملكت فاسجح نعم ما ابتليت قومك اليوم فسرحها وأرسل معها جماعة من رجال ونساء وجهزها باحتياج * لم أذكر في وقعة الجمل الا ما ذكره أبو جعفر اذ كان أوثق من نقل التاريخ فان الناس قد حشوا تواريخهم بمقتضى أهوائهم وممن قتل يوم الجمل عبد الرحمن بن عبيد الله أخو طلحة له صحبة وعمرو بن عبد الله بن أبى قيس بن عامر بن لؤى له صحبة وفيها قتل المحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس له صحبة واستعمله عمر على مكة ثم عزله وفيها قتل معرض بن علاط السلمى أخو الحجاج بن علاط قتل مع على وفيها قتل مجاشع ومجالد ابنا مسعود السلميان مع عائشة لهما صحبة فاما مجاشع فلا شك أنه قتل في الجمل وقتل عبد الله بن حكيم بن حزام الاسدى القرشى مع عائشة وكان اسلامه يوم الفتح وفيها قتل هند بن أبى هالة الاسيدى امه خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم مع على وقيل مات بالبصرة والاول أصح (الاسيدى بضم الهمزة منسوب الى أسيد بتشديد الياء وهم بطن من تميم) وقتل هلال بن وكيع بن بشر التميمى مع عائشة له صحبة وفيها قتل معاذ بن عفراء أخو معوذ وهما ابنا الحرث بن رفاعة الانصاريان وشهد بدرا وقتل مع على وقيل عاش وقتل في وقعة الحرة (النيهان بفتح التاء فوقها نقطتان وتشديد الياء تحتها نقطتان وآخره نون وشبث بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة وآخره ثاء مثلثة وسيحان بفتح السين المهملة وسكون الياء تحتها نقطتان وفتح الحاء المهملة وآخره نون ونجبة بفتح النون والجيم والباء الموحدة وعميرة بفتح العين وكسر الميم وأبير بضم الهمزة وفتح الباء الموحدة والخريت بكسر الخاء المعجمة والراء المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها نقطتان وفي آخره تاء فوقها نقطتان)

﴿ذكر قصد الخوارج سجستان﴾

في هذه السنة بعد الفراغ من وقعة الجمل خرج حسكة بن عتاب الحبطى وعمران بن الفضيل

فيغيرون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من الحبشة الى ان قوى الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقى وعيذاب وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا في البجه فقويت البجه بمن صاهرها من ربيعة وقويت ربيعة بالبجة على من ناواها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بشر بن مروان بن اسحق وهو من ربيعة يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجة بالجحف البجاوية وهم الحدارب وهم مسلمون من بين سائر البجه والدار حلاس من البجه كفار يعبدون صنما لهم وأما الحبشة فاسم دار مملكتهم كعمى وهى مدينة عظيمة وهى دار مملكة النجاشى وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة يتصل ملك النجاشى بالبحر الحبشى ولهم ساحل لهم فيه مدن كثيرة وهو مقابل لبلاد اليمن فمن

البرجمى في صعاليك من العرب حتى نزلوا زالق من سجستان وقد نكث أهلها فاصابوا منها مالا ثم اتوا زرنج وقد خافهم مرزبانها فصالحوهم ودخلوها فقال الراجز

بشر سجستان بجوع وحرب * بابن الفضيل وصعاليك العرب
لا فضة تغنيهم ولا ذهب

فبعث على عبد الرحمن بن جرو الطائى فقتله حسكة فكتب على الى عبد الله بن العباس يأمره ان يولى سجستان رجلا ويسيره اليها في أربعة آلاف فوجه ربعى بن كاس العنبرى ومعه الحصين ابن أبى الحر العنبرى فلما ورد سجستان قاتلهم حسكة وقتلوه وضبط ربعى البلاد وكان فيروز حصين ينسب الى الحصين بن أبى الحر هذا وهو من سجستان

﴿ذكر قتل محمد بن أبى حذيفة﴾

في هذه السنة قتل محمد بن أبى حذيفة وكان أبوه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس قد قتل يوم اليمامة وترك ابنه محمدا هذا فكفله عثمان بن عفان وأحسن تربيته وكان فيما قيل أصاب شرابا فحده عثمان ثم تنسك محمد وأقبل على العبادة وطلب من عثمان ان يوليه عملا فقال لو كنت أهلا لذلك لوليتك فقال له انى قد رغبت في غزو البحر فائذن لى في اتيان مصر فأذن له وجهزه فلما قدمها رأى الناس عبادته فلزموه وعظموه وغزا مع عبد الله بن سعد غزوة الصوارى وكان محمد يعيبه ويعيب عثمان بتوليته ويقول استعمل رجلا أباح رسول الله دمه فكتب عبد الله الى عثمان ان محمدا قد أفسد على البلاد هو ومحمد بن أبى بكر فكتب اليه أما ابن أبى بكر فانه يوهب لابيه ولعائشة وأما ابن أبى حذيفة فانه ابنى وابن أخى وتربيتى وهو فرخ قريش فكتب اليه ان هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبق الا ان يطير فبعث عثمان الى ابن أبى حذيفة بثلاثين ألف درهم وبجمل عليه كسوة فوضعها محمد في المسجد ثم قال يا معشر المسلمين ألا ترون الى عثمان يخادعنى عن دينى ويرشونى عليه فازداد أهل مصر تعظيما له وطعنا على عثمان وبايعوه على رياستهم فكتب اليه عثمان يذكره بره به وتربيته اياه وقيامه بشأنه ويقول انك كفرت احسانى احوج ما كنت الى شكرك فلم يرده ذلك عن ذمه وتأليب الناس عليه وحثهم على المسير الى حصره ومساعدة من يريد ذلك فلما سار المصريون الى عثمان أقام هو بمصر وخرج عنها عبد الله ابن سعد بن أبى سرح فاستولى عليها وضبطها فلم يزل بها مقيما حتى قتل عثمان وبويع على واتفق معاوية وعمرو بن العاص على خلاف على فسارا الى مصر قبل قدوم قيس بن سعد اليها اميرا فأراد دخولها فلم يقدر على ذلك فخدع محمدا حتى خرج منها الى العريش في ألف رجل فتحصن بها فنصب عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتل وهذا القول ليس بشئ لان عليا استعمل قيسا على مصر أول ما بويع له ولو أن ابن أبى حذيفة قتله معاوية وعمرو قبل وصول قيس الى مصر لاستوليا عليها لانه لم يكن بها أمير يمنعهما عنها ولا خلاف ان استيلاء معاوية وعمرو عليها كان بعد صفين والله أعلم وقيل غير ذلك وهو ان محمد بن أبى حذيفة سير المصريين الى عثمان فلما حصروه اخرج محمد عبد الله بن سعد عن مصر وهو عامل عثمان واستولى عليها فنزل عبد الله على تخوم مصر وانتظر أمر عثمان فطلع عليه راكب فسأله فأخبره بقتل عثمان فاسترجع وسأله عما صنع الناس بعده فأخبره ببيعة على فاسترجع فقال له كأن امرة على تعدل عندك قتل عثمان قال نعم قال أظنك عبد الله بن سعد فقال نعم فقال له ان كانت لك في نفسك حاجة فالنجاء النجاء فان رأى أمير المؤمنين على فيك وفي أصحابك ان ظفر بكم أن يقتلكم أو ينفيكم وهذا بعدى أمير يقدم

الزيلع والدهلك وناصع وهذه مدن فيها خلق من المسلمين الا انهم في ذمة الحبشة وبين ساحل الحبشة ومدينة غلافقة وهى ساحل زبيد من أرض اليمن ثلاثة أيام عرض البحر بين الساحلين ومن هذا الموضع عبرت الحبشة البحر حين ملكت اليمن في أيام ذى نواس وهو صاحب الاخدود المذكور في القرآن وصاحب زبيد في وقتنا هذا ابراهيم بن زياد صاحب الحرملى ومراكبه تختلف الى ساحل الحبشة ويركب فيها التجار بالامتعة وبينهم مهادنة وهذا الموضع من البحر بين هذين الشطين اعنى ساحل اليمن وساحل الحبشة أقل المواضع فيه عرضا وهنالك جزائر بين هذين الساحلين منها جزيرة العقل يقال ان فيها ماء يعرف بماء العقل تستقى منه أرباب المراكب ويفعل في الفراغ والذكاء فعلا جميلا وتذكر بعض الفلاسفة المتقدمين ما يفعل هذا الماء وماله من الخواص وذكر علة ذلك وقد أتينا على الخبر في كتابنا في أخبار الزمان عند ذكرنا الاخبار

عليك فقال من هو قال قيس بن سعد بن عبادة قال عبد الله بن سعد ابعد الله محمد بن أبى حذيفة فانه بغى على ابن عمه وسعى عليه وقد كفله ورباه وأحسن اليه فأساء جواره وجهز اليه الرجال حتى قتل ثم ولى عليه من هو أبعد منه ومن عثمان ولم يمتعه بسلطان بلاده شهرا ولم يره لذلك أهلا وخرج عبد الله هاربا حتى قدم على معاوية وهذا القول يدل على ان قيسا ولى مصر ومحمد بن أبى حذيفة حى وهو الصحيح وقيل ان عمرا سار الى مصر بعد صفين فلقيه محمد بن أبى حذيفة فى جيش فلما رأى عمرو كثرة من معه أرسل اليه فالتقيا واجتمعا فقال له عمرو انه قد كان ما ترى وقد بايعت هذا الرجل يعنى معاوية وما أنا راض بكثير من أمره وانى لأعلم ان صاحبك عليا أفضل من معاوية نفسا وقديما وأولى بهذا الامر فواعدنى موعدا ألتقى معك فيه فى غير جيش تأتى فى مائة وآتى فى مثلها وليس معنا الا السيوف فى القرب فتعاهدا وتعاقدا على ذلك واتعدا العريش ورجع عمرو الى معاوية فأخبره الخبر فلما جاء الاجل سار كل واحد منهما الى صاحبه فى مائة وجعل عمرو له جيشا خلفه ليطوى خبره فلما التقيا بالعريش قدم جيش عمرو على أثره فعلم محمد انه قد غدر به فدخل قصرا بالعريش فتحصن به فحصره عمرو ورماه بالمنجنيق حتى أخذ أسيرا وبعث به عمرو الى معاوية فسجنه وكانت ابنة قرظة امرأة معاوية ابنة عمة محمد بن أبى حذيفة أمها فاطمة بنت عتبة فكانت تصنع له طعاما ترسله اليه فأرسلت اليه يوما فى الطعام مبارد فبرد بها قيوده وهرب فاختفى فى غار فأخذ وقتل والله أعلم وقيل انه بقى محبوسا الى ان قتل حجر بن عدى ثم انه هرب فطلبه مالك بن هبيرة السكونى فظفر به فقتله غضبا لحجر وكان مالك قد شفع الى معاوية فى حجر فلم يشفعه وقيل ان محمد بن أبى حذيفة لما قتل محمد بن أبى بكر خرج فى جمع كثير الى عمرو وأمنه عمرو ثم غدر به وحمله الى معاوية بفلسطين فحبسه ثم انه هرب فأظهر معاوية للناس انه كره هربه وأمر بطلبه فسار فى أثره عبيد الله بن عمرو بن ظلام الخثعمى فادركه بحوران فى غار وجاءت حمر تدخل الغار فلما رأت محمدا نفرت منه وكان هناك ناس يحصدون فقالوا والله ان لنفرة هذه الحمر لشأنا فاذهبوا الى الغار فرأوه فخرجوا من عنده فوافقهم عبيد الله فسألهم عنه ووصفه لهم فقالوا هو فى الغار فأخرجه وكره ان يأتى به معاوية فيخلى سبيله فضرب عنقه وكان ابن خال معاوية

﴿ذكر ولاية قيس بن سعد مصر﴾

وفى هذه السنة فى صفر بعث على قيس بن سعد أميرا على مصر وكان صاحب راية الانصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ذوى الرأى والبأس فقال له سر الى مصر فقد وليتكها واخرج الى رحلك واجمع اليك ثقاتك ومن أحببت ان يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فان ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك وأحسن الى المحسن واشدد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فان الرفق يمن فقال له قيس اما قولك اخرج اليها بجند فوالله لئن لم أدخلها الا بجند آتيها به من المدينة لا أدخلها أبدا فأنا أدع ذلك الجند لك فان كنت احتجت اليهم كانوا منك قريبا وان أردت ان تبعثهم الى وجه من وجوهك كانوا عدة لك فخرج قيس حتى دخل مصر فى سبعة من أصحابه على الوجه الذى تقدم ذكره فصعد المنبر فجلس عليه وأمر بكتاب أمير المؤمنين فقرئ على أهل مصر بامارته ويأمرهم بمبايعته ومساعدته واعانته على الحق ثم قام قيس خطيبا وقال الحمد لله الذى جاء بالحق وأمات الباطل وكبت الظالمين أيها الناس انا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا فقوموا أيها الناس فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله فان نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر وبعث عليها عماله الا قرية منها يقال لها خربتا فيها

المتطببين فى تجاربهم وما كان من قضاياهم فى علاجاتهم ممن سلف قبل ظهور الاسلام وغيرهم ممن اتصل بالملوك والخلفاء بعد ظهور الشرع وقد غلب ابن زياد على هذه الجزيرة وله فى هذا الوقت رجال مرتبون فيها من أصحابه وفى هذا البحر مما يلى بلاد عدن جزيرة تعرف بسقطرة واليها يضاف الصبر السقطرى ولا يوجد الا فيها ولا يحمل الا منها وقد كان ارسطاطاليس بن تمرياحين كتب الى الاسكندر بن فيلبس حين سار الى الشام فى أمر هذه الجزيرة يوصيه بها وأن يبعث اليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها من أجل الصبر السقطرى الذى يقع فى الايارجات وغيرها فسير الاسكندر الى هذه الجزيرة خلقا من اليونانيين أكثرهم من مدينة ارسطاطاليس بن تمرياحين وهى مدينة اسطاغور فى المراكب بأهليهم فى بحر القلزم فغلبوا على من كان بها من ملوك الهند وملكوا الجزيرة وكان للهند بها صنم عظيم فنقل ذلك الصنم فى أخبار يطول ذكرها وتناسل من بالجزيرة من اليونانيين ومضى الاسكندر فظهر

ناس قد اعظموا قتل عثمان عليهم رجل من بنى كنانة ثم من بنى مدلج اسمه يزيد بن الحرث فبعث الى قيس يدعو الى الطلب بدم عثمان وكان مسلمة بن مخلد قد أظهر الطلب أيضا بدم عثمان فأرسل اليه قيس ويحك أعلى تثب فوالله ما أحب ان لى ملك الشام الى مصر وانى قتلتك فبعث اليه مسلمة انى كاف عنك ما دمت أنت والى مصر وبعث قيس وكان حازما الى أهل خربتا انى لا أكرهكم على البيعة وانى كاف عنكم فهادنهم وجبى الخراج ليس أحد ينازعه وخرج أمير المؤمنين الى الجمل ورجع وهو بمكانه فكان أثقل خلق الله على معاوية مخافة ان يقبل على فى أهل العراق وقيس فى أهل مصر فيقع بينهما معاوية فكتب معاوية الى قيس سلام عليك أما بعد فانكم نقمتم على عثمان ضربة بسوط أو شتيمة رجل أو تسييرا آخر واستعمال فتى وقد علمتم ان دمه لا يحل لكم فقد ركبتم عظيما وجئتم أمرا ادّا فتب الى الله يا قيس فانك من المجلبين على عثمان فاما صاحبك فانا استيقنا انه الذى أغرى الناس وحملهم حتى قتلوه وانه لم يسلم من دمه عظم قومك فان استطعت يا قيس ان تكون ممن يطالب بدم عثمان فافعل وتابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقين اذا ظهرت ما بقيت ولمن أحببت من أهلك سلطان الحجاز ما دام لى سلطان وسلنى ما شئت فانى أعطيك واكتب الى برأيك فلما جاءه الكتاب احب ان يدافعه ولا يبدى له أمره ولا يتعجل الى حربه فكتب اليه أما بعد فقد فهمت ما ذكرته من قتل عثمان فذلك شئ لم أقاربه وذكرت ان صاحبى هو الذى أغرى به حتى قتلوه وهذا مما لم اطلع عليه وذكرت أن عظم عشيرتى لم تسلم فأول الناس كان فيه قياما عشيرتى وأما ما عرضته من متابعتك فهذا أمر لى فيه نظر وفكرة وليس هذا مما يسرع اليه وانا كاف عنك وليس يأتيك من قبلى شئ تكرهه حتى ترى ونرى ان شاء الله تعالى فلما قرأ معاوية كتابه رآه مقاربا مباعدا فكتب اليه أما بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فاعدك سلما ولا متباعدا فاعدك حربا وليس مثلى يصانع المخادع وينخدع للمكايد ومعه عدد الرجال واعنة الخيل والسلام فلما قرأ قيس كتابه ورأى انه لا يفيد معه المدافعة والمماطلة أظهر له ما فى نفسه فكتب اليه أما بعد فالعجب من اغترارك بى وطمعك فى واستسقاطك اياى أتسومنى الخروج عن طاعة أولى الناس بالامارة وأقولهم بالحق وأهداهم سبيلا وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة وتأمرنى بالدخول فى طاعتك طاعة ابعد الناس من هذا الامر وأقولهم بالزور وأضلهم سبيلا وابعدهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة ولد ضالين مضلين طاغوت من طواغيت ابليس وأما قولك انى مالئ عليك مصر خيلا ورجالا فوالله ان لم أشغلك بنفسك حتى تكون أهم اليك انك لذو جد والسلام فلما رأى معاوية كتابه ليس منه ونقل عليه مكانه ولم تنجع حيلة فيه فكاده من قبل على فقال لاهل الشام لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا الى غزوه فانه لنا شيعة قد تأتينا كتبه ونصيحته سرا ألا ترون ما يفعل باخوانكم الذين عنده من أهل خربتا يجرى عليهم اعطياتهم وأرزاقهم ويحسن اليهم وافتعل كتابا عن قيس اليه بالطلب بدم عثمان والدخول معه فى ذلك وقرأه على أهل الشام فبلغ ذلك عليا ابلغه ذلك محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر بن أبى طالب واعلمته عيونه بالشام فاعظمه وأكبره فدعا ابنيه وعبد الله بن جعفر فاعلمهم ذلك فقال ابن جعفر يا أمير المؤمنين دع ما يريبك الى ما لا يريبك اعزل قيسا عن مصر فقال على انى والله ما أصدق بهذا عنه فقال عبد الله اعزله فان كان هذا حقا لا يعتزل لك فبينا هم كذلك اذ جاءهم كتاب من قيس يخبر أمير المؤمنين بحال المعتزلين وكفه عن قتالهم فقال ابن جعفر ما أخوفنى ان يكون ذلك ممالاة منه فمره بقتالهم فكتب اليه يأمره بقتالهم فلما قرأ الكتاب

المسيح فتنصر من كان بها الى هذا الوقت وليس فى الدنيا والله أعلم موضع فيه قوم من اليونانيين يحفظون انسابهم لم يداخلهم فى انسابهم روم ولا غيرهم غير أهل هذه الجزيرة وهم فى هذا الوقت تأوى اليهم بوارج الهند الذين يقطعون على المسلمين فى هذه البوارج وهى المراكب على من أراد الصين والهند وغيرها كما يقطع الروم فى الشوانى على المسلمين فى البحر الرومى من ساحل الشام ومصر ويحمل من جزيرة سقطرة الصبر وغيره من العقاقير ولهذه الجزيرة أخبار عجيبة ولما فيها من خواص النبات والعقاقير قد أتينا على كثير من ذكرها فيما سلف من كتبنا وأما غير هؤلاء من الحبشة الذين قدمنا ذكرهم ممن أمعن فى المغرب مثل الزغاوة والكركر والقراقر ومرندة والمرويين والهنديين واللالة والقرماطن وزويلة والعرمد فلكل واحد منهم من هؤلاء وغيرهم من انواع الاحابش ملك ودار مملكة وقد أتينا على ذكر جميع أجناس السودان وانواعهم ومساكنهم ومواضعها من الفلك ولأية علة تفلفلت شعورهم واسودت ألوانهم وغير

كتب جوابه أما بعد فقد عجبت لامرك تأمرني بقتال قوم كافين عنك مفرغيك لعدوك ومتى حاددناهم ساعدوا عليك عدوك فأطعني يا أمير المؤمنين واكفف عنهم فان الرأى تركهم والسلام فلما قرأ على الكتاب قال ابن جعفر يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبى بكر على مصر واعزل قيسا فقد بلغنى ان قيسا يقول ان سلطانا لا يستقيم الا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء وكان ابن جعفر أخا محمد بن أبى بكر لامه فبعث على محمد بن أبى بكر الى مصر وقيل بعث الاشتر النخعى فمات بالطريق فبعث محمدا فقدم محمد على قيس بمصر فقال له قيس ما بال أمير المؤمنين ما غيره أدخل أحد بينى وبينه قال لا وهذا السلطان سلطانك قال لا والله لا أقيم وخرج منها مقبلا الى المدينة وهو غضبان لعزله فجاءه حسان بن ثابت وكان عثمانيا يشمت به فقال له قتلت عثمان ونزعك على فبقى عليك الاثم ولم يحسن لك الشكر فقال له قيس يا أعمى القلب والبصر والله لولا ألقى بين رهطى ورهطك حربا لضربت عنقك اخرج عنى ثم أخاف مروان بن الحكم قيسا بالمدينة فخرج منها هو وسهل بن حنيف الى على فشهدا معه صفين فكتب معاوية الى مروان يتغيظ عليه ويقول له لو امددت عليا بمائة ألف مقاتل لكان أيسر عندى من قيس بن سعد فى رأيه ومكانه فلما قدم قيس على على وأخبره الخبر علم انه كان يقاسى أمورا عظاما من المكايدة وجاءهم خبر قتل محمد بن أبى بكر فعظم محل قيس عنده وأطاعه فى الامر كله ولما قدم محمد مصر قرأ كتاب على على أهل مصر ثم قام فخطب فقال الحمد لله الذى هدانا واياكم لما اختلف فيه من الحق وبصرنى واياكم كثيرا مما كان عمى عنه الجاهلون ألا ان أمير المؤمنين ولانى أمركم وعهد الى ما سمعتم وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب فان يكن ما ترون من امارتى واعمالى طاعة لله فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فانه هو الهادى له وان رأيتم عاملا لى عمل بغير الحق فارفعوه الى وعاتبونى فيه فانى بذلك أسعد وأنتم جديرون وفقنا الله واياكم لصالح الاعمال برحمته ثم نزل ولبث شهرا كاملا حتى بعث الى أولئك القوم المعتزلين الذين كانوا قد وادعهم قيس فقال لهم اما ان تدخلوا فى طاعتنا واما ان تخرجوا عن بلادنا فاجابوه انا لا نفعل فدعنا حتى ننظر الى ما يصير اليه أمرنا فلا تعجل لحربنا فابى عليهم فامتنعوا وأخذوا حذرهم فكانت وقعة صفين وهم هائبون لمحمد فلما رجع على عن معاوية وصار الامر الى التحكيم طمعوا فى محمد وأظهروا له المبارزة فبعث محمد الحرث بن جمهان الجعفى الى أهل خربتا وفيها يزيد بن الحرث مع بنى كنانة ومن معه فقاتلهم فقاتلوه وقتلوه فبعث محمد اليهم أيضا ابن مضاهم الكلبى فقتلوه وقد قيل انه جرى بين محمد ومعاوية مكاتبات كرهت ذكرها فانها مما لا يحتمل سماعها العامة * وفيها قدم ابراز بن مرزبان مرو الى على بعد الجمل مقرا بالصلح فكتب له كتابا الى دهاقين مرو والاساورة ومن بها ثم انهم كفروا واغلقوا نيسابور فبعث على خليد بن قرة وقيل ابن طريف اليربوعى الى خراسان

﴿ ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية ومتابعته له ﴾

قيل كان عمرو بن العاص قد سار عن المدينة قبل أن يقتل عثمان نحو فلسطين وسبب ذلك انه لما أحيط بعثمان قال يا أهل المدينة لا يقيم أحد فيدركه قتل هذا الرجل الا ضربه الله بذل من لم يستطع نصره فليهرب فسار وقيل غير ذلك وقد تقدم وسار معه ابناه عبد الله ومحمد فسكن فلسطين فمر به راكب من المدينة فقال له عمرو ما اسمك قال حصيرة قال عمرو حصر الرجل فما الخبر قال تركت عثمان محصورا ثم مر به راكب آخر بعد أيام فقال له عمرو ما اسمك قال قتال قال قتل الرجل فما الخبر قال قتل عثمان ولم يكن شئ الى ان سرت ثم مر به راكب من المدينة فقال له عمرو

ذلك من أخبارهم وأخبار ملوكهم وعجائب سيرهم وتشعبهم فى انسابهم فى كتابنا فى أخبار الزمان فى الفن الاول من جملة الثلاثين فنا ثم فيما بعد من هذا الكتاب مما لم نذكره فى كتابنا أخبار الزمان مما لا ينبغى ترك ايراده فيه ولا تعريته منه (قال المسعودى) وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما افتتح عمرو بن العاص مصر كتب اليه بمحاربة النوبة فغزاهم المسلمون فوجدهم يرمون الحدق وأبى عمرو بن العاص أن يصالحهم حتى صرف عن مصر ووليها عبد الله بن سعد فصالحهم على رؤس من السبى معلومة مما يسبى هذا الملك المجاور للمسلمين من غيرهم من ممالك النوبة المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الباب المدعو علك مريس وغيرها من أرض النوبة فصار ما قبض منه من السبى سنة جارية فى كل سنة الى هذه الغاية يحمل الى صاحب مصر ويدعى هذا السبى فى العربية بأرض مصر والنوبة بالبقط وعدد ذلك ثلثمائة وخمسة وستون رأسا وأراه رسم على عدد أيام السنة هذا البيت مال

ما اسمك قال حرب قال عمرو ليكون حرب وقال له ما الخبر فقال بايع الناس عليا فقال سلم بن زنباع يا معشر العرب كان بينكم وبين العرب باب فكسر فاتخذوا بابا غيره فقال عمرو وذلك الذى نريده ثم ارتحل عمرو راجلا معه ابناه يبكى كما تبكى المرأة وهو يقول واعثماناه انعى الحياء والدين حتى قدم دمشق وكان قد علم الذى يكون فعمل عليه لان النبى صلى الله عليه وسلم كان قد بعثه الى عمان فسمع من حبر هناك شيأ عرف مصداقه فسأله عن وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ومن يكون بعده فاخبره بأبى بكر وان مدته قصيرة ثم يلى بعده رجل من قومه مثله تطول مدته ويقتل غيلة ثم يلى بعده رجل من قومه تطول مدته ويقتل عن ملا قال ذلك أشر ثم يلى بعده رجل من قومه ينتشر الناس عليه ويكون على رأسه حرب شديدة ثم يقتل قبل ان يجتمع الناس عليه ثم يلى بعده امير الارض المقدسة فيطول ملكه وتجتمع عليه أهل تلك الفرقة ثم يموت وقيل ان عمرا لما بلغه قتل عثمان قال أنا ابو عبد الله أنا قتلته وأنا بوادى السباع ان يل هذا الامر طلحة فهو فتى العرب سيبا وان يله ابن أبى طالب فهو أكره من يليه الى فبلغه بيعة على فاشتد عليه وأقام ينتظر ما يصنع الناس فأتاه مسير عائشة وطلحة والزبير فأقام ينتظر ما يصنعون فأتاه الخبر بوقعة الجمل فارتج عليه أمره فسمع أن معاوية بالشام لا يبايع عليا وانه يعظم شأن عثمان وكان معاوية أحب اليه من على فدعا ابنيه عبد الله ومحمدا فاستشارهما وقال ما تريان اما على فلا خير عنده وهو يدل بسابقته وهو غير مشركى فى شئ من أمره فقال له ابنه عبد الله توفى النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وهم عنك راضون فأرى أن تكف يدك وتجلس فى بيتك حتى يجتمع الناس وقال له ابنه محمد أنت ناب من أنياب العرب ولا أرى ان يجتمع هذا الامر وليس لك فيه صوت فقال عمرو أما أنت يا عبد الله فأمرتنى بما هو خير لى فى دينى وأما أنت يا محمد فأمرتنى بما هو خير لى فى دنياى وشر لى فى آخرتى ثم خرج ومعه ابناه حتى قدم على معاوية فوجد أهل الشام يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان وقال عمرو أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم ومعاوية لا يلتفت اليه فقال لعمرو ابناه الا ترى معاوية لا يلتفت اليك فانصرف الى غيره فدخل عمرو على معاوية فقال له والله لعجب لك انى أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عنى ان قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة ان فى النفس ما فيها حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته ولكنا انما أردنا هذه الدنيا فصالحه معاوية وعطف عليه

﴿ ذكر ابتداء وقعة صفين ﴾

لما عاد على من البصرة بعد فراغه من الجمل قصد الكوفة وأرسل الى جرير بن عبد الله البجلى وكان عاملا على همذان استعمله عثمان والى الاشعث بن قيس وكان على اذربيجان استعمله عثمان أيضا يأمرهما باخذ البيعة والحضور عنده فلما حضرا عنده أراد على ان يرسل رسولا الى معاوية قال جرير أرسلنى اليه فانه لى ود فقال الاشتر لا تفعل فان هواه مع معاوية فقال على دعه حتى ننظر ما الذى يرجع اليه به فبعثه وكتب معه كتابا الى معاوية يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والانصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وحربه اياهما ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والانصار من طاعته فسار جرير الى معاوية فلما قدم عليه ماطله واستنظره واستشار عمرا فاشار عليه ان يجمع أهل الشام ويلزم عليا دم عثمان ويقاتله بهم ففعل معاوية ذلك وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذى قتل فيه مخضوبا بالدم باصابع زوجته نائلة اصبعان منها وشئ من الكف واصبعان مقطوعتان من أصولهما

المسلمين بشرط الهدنة بينهم وبين النوبة وللامير بمصر غير ما ذكرنا من عدد السبى أربعون رأسا وللخليفته المقيم ببلد اسوان المجاورة لارض النوبة وهو المتولى لقبض هذا البقط وهو السبى عشرون رأسا غير الاربعين وللحاكم المقيم باسوان الذى يحضر مع أمير اسوان قبض البقط خمسة أرؤس غير العشرين التى يقبضها الامير ولاثنى عشر شاهدا عدولا من أهل اسوان يحضرون مع الحاكم حين قبض البقط اثنا عشر رأسا من السبى على حسب ما جرى به الرسم فى صدر الاسلام فى بدء ايقاع الهدنة بين المسلمين والنوبة والموضع الذى يتسلم فيه هذا البقط ويحضره من سميناه وغيرهم من النوبة من ثقات الملك يعرف بالقصر وهو على ستة أميال من مدينة اسوان بالقرب من جزيرة بلاق وبلاق هذه مدينة فى الموضع المعروف بالجنادل من الجبال والاحجار وفى هذه المدينة فى هذه الجزيرة يحيط بها ماء النيل كاحاطة ماء الفرات بالمدن التى فى الجزائر بين رحبة مالك ابن طوق وبين الرقة وناوسة وعانة والحديثة

ونصف الابهام وضع معاوية القميص على المنبر وجمع الاجناد اليه فبكوا على القميص مدة وهو على المنبر والاصابع معلقة فيه واقسم رجال من أهل الشام ان لايمسهم الماء الا للغسل من الجنابة وان لا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن قام دونهم فلما عاد جرير الى امير المؤمنين على واخبره خبر معاوية واجتمع أهل الشام معه على قتاله وانهم يبكون على عثمان ويقولون ان عليا قتله وآوى قتلته وانهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه قال الاشتر لعلى قد كنت نهيتك ان ترسل جريرا وأخبرتك بعدوانه وغشه ولو كنت أرسلتنى لكان خيرا من هذا الذى أقام عنده حتى لم يدع بابا نرجو فتحه الا فتحه ولا بابا نخاف منه الا أغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان فقال الاشتر والله لو أتيتهم لم يعينى جوابهم ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر ولو أطاعنى أمير المؤمنين لحبسك واشباهك حتى يستقيم هذا الامر فخرج جرير الى قرقيسيا وكتب الى معاوية فكتب اليه معاوية يامره بالقدوم عليه وقيل كان الذى حمل معاوية على رد جرير البجلى غير مقضى الحاجة شرحبيل بن السمط الكندى وكان سبب ذلك ان شرحبيل كان قد سيره عمر بن الخطاب الى العراق الى سعد بن أبى وقاص وكان معه فقدمه سعد وقربه فحسده الاشعث بن قيس الكندى لمنافسة بينهما فوفد جرير البجلى على عمر فقال له الاشعث ان قدرت ان تنال من شرحبيل عند عمر فافعل فلما قدم على عمر ساله عمر عن الناس فاحسن الثناء على سعد قال وقد قال شعرا

ألا ليتنى والمرء سعد بن مالك * وزبرا وابن السمط فى لجة البحر

فيغرق أصحابى وأخرج سالما * على ظهر قرقور أنادى أبا بكر

فكتب عمر الى سعد يامره بارساله زبرا وشرحبيلا اليه فارسلهما فامسك زبرا بالمدينة وسير شرحبيلا الى الشام فشرف وتقدم وكان أبوه السمط من غزاة الشام فلما قدم جرير بكتاب على الى معاوية فى البيعة انتظر معاوية قدوم شرحبيل فلما قدم عليه أخبره معاوية بما قدم فيه جرير فقال كان امير المؤمنين عثمان خليفتنا فان قويت على الطلب بدمه والا فاعتزلنا فانصرف جرير فقال النجاشى

شرحبيل ما للدين فارقت امرنا * ولكن لبغض المالكى جرير

وقولك ماقد قلت عن أمر اشعث * فاصبحت كالحادى بغير بعير

جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك فنسب الى جده مالك وخرج على فعسكر بالنخيلة وتخلف عنه نفر من أهل الكوفة منهم مرة الهمدانى ومسروق أخذا اعطياتهما وقصدا قزوين فاما مسروق فانه كان يستغفر الله من تخلفه عن على بصفين وقدم عليه عبد الله بن عباس فيمن معه من أهل البصرة وبلغ ذلك معاوية فاستشار عمرا فقال أما اذ سار على فسر اليه بنفسك ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك فتجهز معاوية وتجهز الناس وحضهم عمرو وضعف عليا وأصحابه وقال ان أهل العراق قد فرقوا جمعهم ووهنوا شوكتهم وفلوا حدهم وأهل البصرة مخالفون لعلى بمن قتل منهم وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل وانما سار على فى شرذمة قليلة وقد قتل خليفتكم والله الله فى حقكم أن تضيعوه وفى دمكم ان تبطلوه وكتب معاوية الى أهل الشام وعقد لواء لعمرو ولواء لابنيه عبد الله ومحمد ولواء لغلامه وردان وعقد على لواء لغلامه قنبر فقال عمرو

هل يغنين وردان عنى قنبرا * أوتغنى السكون عنى حميرا * اذا الكماة لبسوا السنورا

فبلغ ذلك عليا فقال

لاصبحن العاصى بن العاصى * سبعين ألفا عاقدى النواصى

وفى مدينة بلاق خلق كثير من الناس ومنبر ونخل كثير فى كلا الشطين وهذه المدينة اليها تنتهى سفن النوبة وسفن المسلمين من بلاد مصر واسوان ومدينة اسوان يسكنها خلق كثير من العرب من قحطان ونزار بن معد من ربيعة ومضر وخلق من قريش وأكثرهم ناقلة من الحجاز وغيره والبلد كثير النخل خصيب كثير الخير تودع النواة الارض فتنبت نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين وليست تربتهم كتربة البصرة ولا الكوفة ولا غيرهما من أرض النخل لان النخل بالبصرة لا ينبت من النوى بل ينبت من الفسال والفسيل وهو النخل الصغير وما يخرج من النواة فليس يثمر ولا يفلح ولمن باسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلة بأرض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وابتيعت هذه الضياع من النوبة فى صدر الزمان فى دولة بنى أمية وبنى العباس وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه ان ناسا من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم ممن

مجنبين الخيل بالقلاص * مستحقبين حلق الدلاص

فلما سمع معاوية ذلك قال ما أرى عليا الا وقد وفى لك وسار معاوية وتانى فى مسيره فلما رأى ذلك الوليد بن عقبة بعث اليه يقول

ألا ابلغ معاوية بن حرب * فانك من اخى ثقة مليم

قطعت الدهر كالسدم المعنى * تهدر فى دمشق فماتريم

وانك والكتاب الى على * كدابغة وقد حلم الاديم

يمنيك الامارة كل ركب * لانقاض العراق بها رسيم

وليس أخو التراب بمن تولى * ولكن طالب التره الغشوم

ولو كنت القتيل وكان حيا * لجرد لا ألف ولا غشوم

ولا نكل عن الاوتار حتى * يبىء بها ولا برم جثوم

وقومك بالمدينة قد أبيروا * فهم صرعى كأنهم الهشيم

فكتب اليه معاوية

ومستعجب مما يرى من أناتنا * ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وبعث على زياد بن النضر الحارثى طليعة فى ثمانية آلاف وبعث مع شريح بن هانئ أربعة آلاف وسار على من النخيلة واخذ معه من بالمدائن من المقاتلة وولى على المدائن سعد بن مسعود عم المختار بن أبى عبيد الثقفى ولما سار على كان معه نابغة بن جعدة فحدا به يوما فقال

قد علم المصران والعراق * ان عليا فحلها العتاق

ابيض جحجاح له رواق * ان الاولى جاروك لا افاقوا

لكم سباق ولهم سباق * قد علمت ذلكم الرفاق

ووجه على من المدائن معقل بن قيس فى ثلاثة آلاف وأمره ان يأخذ على الموصل حتى يوافيه على الرقة فلما وصل الى الرقة قال لاهلها ليعملوا له جسرا يعبر عليه الى الشام فابوا وكانوا قد ضموا سفنهم اليهم فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج وخلف عليهم الاشتر فناداهم الاشتر وقال اقسم بالله لئن لم تعملوا جسرا يعبر عليه أمير المؤمنين لاجردن فيكم السيف ولاقتلن الرجال ولآخذن الاموال فلقى بعضهم بعضا وقالوا انه الاشتر وانه قمن ان يفى لكم بما حلف عليه أو ياتى باكثر منه فنصبوا له جسرا وعبر عليه على وأصحابه وازدحموا عليه فسقطت قلنسوة عبد الله ابن ابى الحصين الازدى فنزل فاخذها ثم ركب وسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج الازدى فنزل فاخذها ثم قال لصاحبه

فان يك ظن الزاجرى الطير صادقا * كما زعموا اقتل وشيكا وتقتل

فقال ابن ابى الحصين ما شئ أحب الى مما ذكرت فقتلا جميعا بصفين ولما بلغ على الفرات دعا زياد ابن النضر الحارثى وشريح بن هانئ فسرحهما أمامه فى اثنى عشر ألفا نحو معاوية على حالهما التى خرجا عليها من الكوفة وكان سبب عودهما اليه انهما حيث سيرهما على من الكوفة أخذا على شاطئ الفرات مما يلى البر فلما بلغا عانات بلغهما ان معاوية قد أقبل فى جنود الشام فقالا لا والله ما هذا لنا برأى نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر وما لنا خير فى ان نلقى جنود الشام بقلة من معنا فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهلها فرجعوا فعبروا من هيت فلحقوا عليا دون قرقيسيا فلما لحقوا عليا قال مقدمتى تأتينى من ورائى فاخبره شريح وزياد بما

جاورهم من أهل اسوان وأنها ضياعه والقوم عبيد لا املاك لهم وانما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها فرد المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل اسوان انها ستنتزع من أيديهم فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا الى من ابتيع منهم من أهل النوبة أنهم اذا حضروا حضرة الحاكم ان لا يقروا لملكهم بالعبودية وأن يقولوا سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم تجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم أنتم عبيد ملككم وأموالكم له فنحن كذلك فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما أوقفوه عليه من هذا المعنى فمضى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين نوع من وصفنا أحرار غير عبيد والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن من النوبة فى غير هذه البلاد المجاورة لاسوان

كان فقال سـدد تما فلما عبر الفرات سيرهما أمامه فلما انتهيا الى سور الروم لقيهما أبو الاعور السلمي فى جند من أهل الشام فارسلا الى على فاعلماه فارسل على الى الاشتر وأمره بالسرعة وقال له اذا قدمت فانت عليهم واياك أن تبدأ القوم بقتال الا ان يبدؤك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع منهم ولا يحملك بغضهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك فانى حثيث المسير فى أثرك ان شاء الله تعالى وكتب على الى شريح وزياد بذلك وأمرهما بطاعة الاشتر فسار الاشتر حتى قدم عليهم واتبع ما أمره وكف عن القتال ولم يزالوا متواقفين حتى كان عند المساء حمل عليهم أبو الاعور السلمي فثبتوا له واضطربوا ساعة ثم انصرف أهل الشام وخرج اليهم من الغد هاشم بن عتبة المرقال وخرج اليه أبو الاعور فاقتتلوا يومهم وصبر بعضهم لبعض ثم انصرفوا وحمل عليهم الاشتر وقال أرونى أبا الاعور وتراجعوا ووقف أبو الاعور وراء المكان الذى كان فيه أول مرة وجاء الاشتر فصف أصحابه بمكان أبى الاعور بالامس فقال الاشتر لسنان بن مالك النخعى انطلق الى أبى الاعور فادعه الى البراز فقال الى مبارزتى أو مبارزتك فقال الاشتر لو أمرتك بمبارزته لفعلت قال نعم والله لو أمرتنى ان أعترض صفهم بسيفى لفعلت فدعا له وقال انما تدعوه لمبارزتى فخرج اليهم فقال أمنونى فانى رسول فأمنوه فانتهى الى أبى الاعور وقال له ان الاشتر يدعوك الى أن تبارزه فسكت طويلا ثم قال ان خفة الاشتر وسوء رأيه حملاه على اجلاء عمال عثمان عن العراق وتقبيح محاسنه وعلى ان سار اليه فى داره حتى قتله فأصبح متبعا بدمه لا حاجة لى فى مبارزته قال له الرسول قد قلت فاسمع منى أجبك قال لا حاجة لى فى جوابك اذهب عنى فصاح به أصحابه فانصرف عنه ورجع الى الاشتر فأخبره فقال لنفسه نظر فوقفوا حتى حجز الليل بينهم وعاد الشاميون من الليل وأصبح على غدوة عند الاشتر وتقدم الاشتر ومن معه فانتهى الى معاوية فواقفه ولحقهم على فتواقفوا طويلا ثم ان عليا طلب لعسكره موضعا ينزل فيه وكان معاوية قد سبق فنزل منزلا اختاره بسيطا واسعا أفيح وأخذ شريعة الفرات وليس فى ذلك الصقع شريعة غيرها وجعلها فى حيزه وبعث عليها أبا الاعور السلمي يحميها ويمنعها فطلب أصحاب على شريعة غيرها فلم يجدوا فأتوا عليا فأخبروه بفعلهم وبعطش الناس فدعا صعصعة بن صوحان فارسله الى معاوية يقول له انا سرنا مسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الاعذار اليكم فقدمت الينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك وهذه أخرى قد فعلتموها منعتم الناس عن الماء والناس غير منتهين فابعث الى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء وليكفوا لننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له فان أردت أن نترك ما جئنا له ونقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا فقال معاوية لاصحابه ماترون فقال الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان اقتلهم عطشا قتلهم الله فقال عمرو بن العاص خل بين القوم وبين الماء وانهم لن يعطشوا وأنت ريان ولكن بغير الماء فانظر فيما بينك وبين الله فاعاد الوليد وعبد الله بن سعد مقالتهما وقالا امنعهم الماء الى الليل فانهم ان لم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمة امنعهم الماء منعهم الله اياه يوم القيامة قال صعصعة انما يمنعه الله الفجرة وشربة الخمر لعنك الله ولعن هذا الفاسق يعنى الوليد بن عقبة فشتموه وتهددوه وقد قيل ان الوليد وابن أبى سرح لم يشهدا صفين فرجع صعصعة فاخبره بما كان وان معاوية قال سيأتيكم رأيى فسرب الخيل الى أبى

وهى بلاد مريس ومعدن الزمرذ فى عمل الصعيد الاعلى من أعمال مدينة قفط ومنها يخرج الى هذا المعدن والموضع الذى فيه الزمرذ يعرف بالخربة مفازة وجبال والجهة تحوى هذا المكان المعروف بالخربة واليها يؤدى الحفارات من برد الى حفر الزمرذ والزمرذ الذى يقتلع من هذا المعدن يتنوع أربعة أنواع النوع الاول منها يعرف بالمر وهو أجودها وأغلاها ثمنا وهو شديد الخضرة كثير الماء تشبه خضرته باشد ما يكون من السلق خضرة وهذا اللون غير كدر ولا ضارب الى السواد والنوع الثانى يدعى بالبحرى ومعناهم فى هذه التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند والزانج والصين ترغب فى هذا النوع من الزمرذ وتباهى فى استعماله ولباسه فى تيجانها وأكاليلها وخواتيمها واسورتها فسمى البحرى لما ذكرنا وهو ثانى المر فى الجودة وتشبه خضرته بالاول والماء كقداح ورق الآس الذى يظهر فى أوائل اغصان الآس واطرافه والنوع الثالث يعرف بالمغربى ومعناهم فى هذه التسمية واضافتهم

الاعور ليمنعهم الماء فلما سمع على ذلك قال قاتلوهم على الماء فقال الاشعث بن قيس الكندى أنا أسير اليهم فسار اليهم فلما دنوا منهم ثاروا فى وجوههم فرموهم بالنبل فتراموا ساعة ثم تطاعنوا بالرماح ثم صاروا الى السيوف فاقتتلوا ساعة وأرسل معاوية يزيد بن أسد البجلى القسرى جد خالد بن عبد الله القسرى فى الخيل الى أبى الاعور فاقبلوا فارسل على شبث بن ربعى الرياحى فازداد القتال فأرسل معاوية عمرو بن العاص فى جند كثير فأخذ يمد أبا الاعور ويزيد بن أسد وأرسل على الاشتر فى جمع عظيم وجعل يمد الاشعث وشبثا فاشتد القتال فقال عبد الله بن عوف الازدى الاحمرى

خلوا لنا ماء الفرات الجارى * أو اثبتوا لجحفل جرار

لكل قرم مستميت شارى * مطاعن برمحه كرار

ضراب هامات العدى مغوار * لم يخش غير الواحد القهار

وقاتلوهم حتى خلوا بينهم وبين الماء وصار فى أيدى أصحاب على فقالوا والله لا نسقيه أهل الشام فارسل على الى أصحابه ان خذوا من الماء حاجتكم وخلوا عنهم فان الله نصركم ببغيهم وظلمهم ومكث على يومين لا يرسل اليهم أحدا ولا يأتيه أحد ثم ان عليا دعا أبا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الانصارى وسعيد بن قيس الهمدانى وشبث بن ربعى التميمى فقال لهم ائتوا هذا الرجل وادعوه الى الله والى الطاعة والجماعة فقال له شبث يا أمير المؤمنين لا نطمعه فى سلطان توليه اياه أو منزلة تكون له بها اثرة عندك ان هو بايعك قال انطلقوا اليه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه وهذا فى أول ذى الحجة فأتوه فدخلوا عليه فابتدأ بشير بن عمرو الانصارى فحمد الله وأثنى عليه وقال يا معاوية ان الدنيا عنك زائلة وانك راجع الى الآخرة وان الله محاسبك بعملك ومجازيك عليه وانى أنشدك الله أن تفرق جماعة هذه الامة وان تسفك دماءها بينها فقطع عليه معاوية الكلام وقال هلا أوصيت بذلك صاحبك فقال أبو عمرو ان صاحبى ليس مثلك ان صاحبى أحق البرية كلها بهذا الامر فى الفضل والدين والسابقة فى الاسلام والقرابة بالرسول صلى الله عليه وسلم قال فماذا يقول قال يأمرك بتقوى الله وأن تجيب ابن عمك الى ما يدعوك اليه من الحق فانه أسلم لك فى دنياك وخير لك فى عاقبة أمرك قال معاوية ونترك دم ابن عفان لا والله لا أفعل ذلك أبدا قال فذهب سعيد بن قيس يتكلم فبادره شبث بن ربعى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معاوية قد فهمت ما رددت على ابن محصن انه والله لا يخفى علينا ما تطلب انك لم تجد شيأ تستغوى به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم الا قولك قتل امامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام وقد علمنا أنك ابطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التى أصبحت تطلب ورب متمنى أمر وطالبه يحول الله دونه وربما أوتى المتمنى امنيته وفوق امنيته ووالله مالك فى واحدة منهما خير والله ان أخطأك ماترجو انك لشر العرب حالا ولئن أصبت ماتمناه لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلى النار فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الامر أهله قال فحمد الله معاوية ثم قال أما بعد فان أول ماعرفت به سفهك وخفة حلمك ان قطعت على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ثم اعترضت بعد فيما لا علم لك به فقد كذبت ولؤمت أيها الاعرابى الجلف الجافى فى كل ما ذكرت ووصفت انصرفوا من عندى فليس بينى وبينكم الا السيف وغضب وخرج القوم فقال له شبث بن ربعى اتهول بالسيف أقسم بالله لنعجلنها اليك فأتوا عليا فأخبروه بذلك فأخذ على يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة من أصحابه ويخرج اليه آخر من أصحاب معاوية ومعه جماعة فيقتتلان فى خيلهما ثم ينصرفان وكرهوا ان

اياه الى المغرب هو أن ملوك المغرب من الافرنجة والنوكبرد والاندلس والجلالقة والوسكنس والصقالبة والروس وان كان أكثر هؤلاء الامم متصلين بالجربى وهو ما بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من ديار ولد يافث بن نوح يتنافسون فى هذا النوع من الزمرذ كتنافس من ذكرنا من ملوك الهند والصين فى النوع المعروف بالبحرى والنوع الرابع هو المسمى بالاصم وهو أدنى الانواع وأقلها ثمنا لقلة مائه وخضرته وهذا النوع يتفاوت فى اللون من الخضرة والقلة وجملة الوصف بهذه الانواع الاربعة فى الجودة والمبالغة فى الثمن هو أكثرها ماء وأصفاها وأكثرها خضرة وأنقاها من السواد والصفرة وغير ذلك من الالوان مع تعرى هذا الجوهر من النموشة فاذا سلم مما ذكرنا كان فى نوعه غاية فى الجودة ونهاية فى الوصف وفى حجارته ما يبلغ الخمسة المثاقيل فى الوزن الى ان ينتهى الى حد العدسة فى المقدار فيدخل ذلك فى النظم من المخانق وغيرها وآفات هذا الجوهر المتنوع كثيرة منها

بالقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام لماخافوا ان يكون فيه من الاستئصال والهلاك فكان علي يخرج مرة الاشتر ومرة حجر بن عدي الكندي ومرة شبث بن ربعي ومرة خالد بن المعمر ومرة زياد بن النضر الحارثي ومرة زياد بن خصفة التيمي ومرة سعيد بن قيس الهمداني ومرة معقل بن قيس الرياحي ومرة قيس بن سعد الانصاري وكان الاشتر أكثرهم خروجا وكان معاوية يخرج اليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وأبا الاعور السلمي وحبيب بن مسلمة الفهري وابن ذي الكلاع الحميري وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وشرحبيل بن السمط الكندي وحمزة بن مالك الهمداني فاقتتلوا أيام ذي الحجة كلها وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة مات حذيفة بن اليمان بعد قتل عثمان بيسير ولم يدرك الجمل وقتل ابناه صفوان وسعيد مع علي بصفين بوصية أبيهما وقيل مات سنة خمس وثلاثين والاول أصح وفيها مات سلمان الفارسي في قول بعضهم وكان عمره مائتين وخمسين سنة هذا أقل ما قيل فيه وقيل ثلثمائة وخمسون سنة وكان قد أدرك بعض أصحاب المسيح عليه السلام وعبد الله بن سعد بن أبي سرح مات بعسقلان حيث خرج مع معاوية الى صفين وكره الخروج معه ومات فيها عبد الرحمن بن عديس البلوي أمير القادمين من مصر لقتل عثمان وكان ممن بايع النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وقيل بل قتل بالشام وفيها مات قدامة بن مظعون الجمحي وهو من مهاجرة الحبشة وشهد بدرا وفيها توفي عمرو بن أبي عمرو بن ضبة الفهري أبو شداد شهد بدرا وفيها استعمل علي على الري يزيد ابن حجية التيمي تيم اللات فكسر من خراجها ثلاثين ألفا فكتب اليه علي يستدعيه فحضر فسأله عن المال قال أين ما غللته من المال قال ما أخذت شيأ فخفقه بالدرة خفقات وحبسه ووكل به سعدا مولاه فهرب منه يزيد الى الشام فسوغه معاوية المال فكان ينال من علي وبقي بالشام الى ان اجتمع الامر لمعاوية فسار معه الى العراق فولاه الري فقيل انه شهد مع علي الجمل وصفين والنهروان ثم ولاه الري وهو الصحيح فكان ما تقدم ذكره

❁(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين)❁

❁(ذكر تتمة أمر صفين)❁

في هذه السنة في المحرم منها جرت موادعة بين علي ومعاوية توادعا على ترك الحرب بينهما حتى ينقضي المحرم طمعا في الصلح واختلفت بينهما الرسل فبعث علي عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الارحبي وشبث بن ربعي وزياد بن خصفة فتكلم عدي بن حاتم فحمد الله وقال أما بعد فانا أتيناك ندعوك الى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا ونحقن به الدماء ونصلح ذات البين ان ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة وأحسنها في الاسلام أثرا وقد استجمع له الناس ولم يبق أحد غيرك وغير من معك فاحذر يا معاوية لا يصيبك وأصحابك مثل يوم الجمل فقال له معاوية كأنك انما جئت متهددا لم تأت مصلحا هيهات يا عدي كلا والله اني لابن حرب لا يقعقع له بالشنان وانك والله من المجلبين على عثمان وانك من قتلته واني لارجو أن تكون ممن يقتله الله به فقال له شبث وزياد بن خصفة جوابا واحدا أتيناك فيما يصلحنا واياك فأقبلت تضرب لنا الامثال دع ما لا ينفع وأجبنا فيما يعم نفعه وقال يزيد بن قيس انا لم نأت الا لنبلغك ما أرسلنا به اليك ونؤدي عنك ما سمعنا منك وان ندع ان ننصح لك وأن نذكر ما يكون به الحجة عليك ويرجع الى الالفة والجماعة ان صاحبنا من قد عرف المسلمون فضله ولا يخفى عليك فاتق الله يا معاوية ولا تخالفه فانا والله ما

الريم والحجارة والعروق البيض التي تشوب هذا الجوهر وتوجد فيه ولا يتناكر بين ذوي الدراية بهذا الجوهر ومن عني بمعرفته أن الحيات والافاعي وسائر أنواع الحيات من الثعابين وغيرها اذا أبصرت الزمرذ الخالص سالت أحداقها وان الملسوع اذا سقي من الزمرذ الخالص وزن دانقين على الفور أمن على نفسه من سري السم في جسده ولا يوجد شيء من أنواع الحيات يقرب من معدنه وأرضه وهو حجر لين رخو يتكاسر اذا ورد على الماس وقد كانت ملوك اليونانيين ومن تلاهم من ملوك الروم تعظم شأن هذا الجوهر وتفضله على غيره من سائر الجواهر لما اجتمع فيه من الخواص العجيبة والمنافع الكثيرة وخفته في الوزن دون سائر الجواهر المعدنية وأكثر ما يوجد من هذه الانواع العروق في الارض وهو المتنافس فيه اذا سلم من الاعوجاج والتنقب واستقام سلكه واستطال ما استدار وأدناه ما يحل في معدنه من التراب ويلتقط من الطين وقد يوجد على ظهر الارض

رأينا في الناس رجلا قط أعمل بالتقوى ولا أزهد في الدنيا ولا أجمع لخصال الخير كلها منه فحمد الله معاوية ثم قال أما بعد فانكم دعوتم الى الطاعة والجماعة فأما الجماعة التي دعوتم اليها فمعنا هي وأما الطاعة لصاحبكم فانا لا نراها الان صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وآوى ثأرنا وصاحبكم يزعم انه لم يقتله فنحن لا نرد عليه ذلك فليدفع الينا قتلة عثمان لنقتلهم ونحن نجيبكم الى الطاعة والجماعة فقال شبث بن ربعي أيسرك يا معاوية ان تقتل عمارا فقال وما يمنعني من ذلك لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان فقال شبث والذي لا اله غيره لا تصل الى ذلك حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الارض والفضاء عليك فقال معاوية لو كان ذلك لكانت عليك أضيق وتفرق القوم عن معاوية وبعث معاوية الى زياد بن خصفة فخلا به وقال له يا أخا ربيعة ان عليا قطع أرحامنا وقتل امامنا وآوى قتلة صاحبنا واني أسألك النصر عليه بعشيرتك ثم لك عهد الله وميثاقه اني أوليك اذا ظهرت أي المصرين أحببت فقال زياد أما بعد فاني على بينة من ربي وما أنعم الله علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين وقام فقال معاوية لعمرو بن العاص ليس نكلم رجلا منهم فيجيب الى خير ما قلوبهم الا كقلب واحد وبعث معاوية الى علي حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الاخنس فدخلوا عليه فحمد الله حبيب وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان عثمان كان خليفة مهديا يعمل بكتاب الله وينيب الى أمره فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع الينا قتلة عثمان ان زعمت انك لم تقتله ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولونه من أجمعوا عليه فقال له علي ما أنت لا أم لك والعزل وهذا الامر اسكت لست هناك ولا باهل له فقال والله لتريني بحيث تكره فقال له علي وما أنت لا أبقى الله عليك ان أبقيت علينا اذهب فصوب وصعد ما بدا لك وقال شرحبيل ما كلامي الا مثل كلام صاحبي فهل عندك جواب غير هذا فقال علي ليس عندي جواب غيره ثم حمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق فانقذ به من الضلالة والهلكة وجمع به من الفرقة ثم قبضه الله اليه فاستخلف الناس أبا بكر واستخلف أبو بكر عمر فأحسنا السيرة وعدلا وقد وجدنا عليهما ان توليا الامور ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فغفرنا ذلك لهما وولي الناس عثمان فعمل باشياء عابها الناس فساروا اليه فقتلوه ثم أتاني الناس فقالوا لي بايع فأبيت فقالوا بايع فان الامة لا ترضى الا بك وانا نخاف ان لم تفعل أن يتفرق الناس فبايعتهم فلم يرعني الا شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية الذي لم يجعل له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الاسلام طليق بن طليق حزب من الاحزاب لم يزل حربا لله ورسوله هو وأبوه حتى دخلا في الاسلام كارهين ولا عجب الا من اختلافكم معه وانقيادكم له وتتركون آل بيت نبيكم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم الا اني أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه وامانة الباطل واحياء الحق ومعالم الدين أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين فقالا تشهد ان عثمان قتل مظلوما فقال لهما لا أقول انه قتل مظلوما ولا ظالما قالا فمن لم يزعم انه قتل مظلوما فنحن منه براء وانصرفا فقال عليه السلام انك لا تسمع الموتى الى قوله فهم مسلمون ثم قال لاصحابه لا يكن هؤلاء في الجد في ضلالهم أجد منكم في الجد في حقكم وطاعة ربكم فتنازع عامر بن قيس الحذمري ثم الطائي وعدي بن حاتم الطائي في الراية بصفين وكانت حذمر أكثر من بني عدي رهط حاتم فقال عبد الله بن خليفة البولاني عند علي يا بني حذمر أعلى عدي تتوثبون وهل فيكم وفي آبائكم مثل عدي وأبيه أليس بحامي القرية ومانع الماء يوم روية أليس ابن ذي المرباع وابن جواد العرب وابن المنهب ماله ومانع جاره ومن لم

في هذا المعدن في وهاده وجباله وما انخفض وارتفع من أرضه نوعان منه وهو المغربي والاصم المقدم ذكرهما وقد يحمل من أرض الهند من بلاد سندان وبحر كنبايت من مملكة البلهرا صاحب الناكور المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب نوعا من الزمرذ يلحق بوصف ما ذكرنا من النور والخضرة والشعاع الا انه حجر صلب أصلب مما وصفنا وأثقل مما ذكرنا ولا يفرق بين هذا النوع المحمول من أرض الهند وبين الانواع الاربعة المقدم ذكرها الا ذو دراية فطن أو ماهر ظريف وهذا النوع الهندي يعرفه أصحاب الجوهر بالمكي لانه يحمل من أرض الهند الى بلاد عدن وغيرها من سواحل اليمن ويؤتى به مكة فاشتهر بهذا الاسم لما وصفنا وبهذا النعت لما ذكرنا وقد أتينا على مبسوط اخبار الجواهر الشفافة وغيرها ووصف معادنها على الشرح والايضاح في كتابنا في أخبار الزمان ووجدت جماعة بصعيد مصر من ذوي الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف هذا النوع من الجوهر

بغدر ولم يفجر ولم يجبن ولم يخن ولم يجبن هـا توافى آبائكم مثـل أبيه أوفيكم مثـله أليس أفضلكم في الاسـلام ووافدكم الى النبى صلى الله عليه وسلم أليس برأسكم يوم النخيلة ويوم القـادسية ويوم المدائن ويوم جلولاء ويوم نهاوند ويوم تستر فقال على حسبك يا ابن خليفة وقال على لتحضر جماعة طئ فاتوه فقـال من كان رأسكم فى هذه المواطن قالوا عدى فقـال ابن خليفة سلهم يا أمير المؤمنين أليسوا راضين برياسة عدى ففعل فقالوا بلى فقال على فعدى أحقكم بالراية وأخذها فلما كان أيام حجر بن عدى طلب زياد عبـد الله بن خليفة ليبعثه مع حجر فسار الى الجبلين ووعده عدى ان يرده وان يسأل فيه فطال عليه ذلك فقال شعرا منه

اتنسى بـلائى سادرا يا ابن حاتم * عشية ما أغنت عديك حذمرا
فدافعت عنك القوم حتى تخاذلوا * وكنت أنا الخصم الالد العذورا
فولوا وما قاموا مقامى كأنما * رأونى ليثا بالاباآت مخـدرا
نصرتك اذخام القريب وابعد الـ * ـبعيد وقد أفردت نصرا مؤزرا
فكان جزائى ان أجر بينكم * سحيبا وان أولى الهوان وأوسرا
وكم عـدة لى منـك أنك راجعى * فلم تغن بالميعاد عنى حبـترا

وسترد قصته بتمامها ان شاء الله تعالى فلما انسلخ المحرم أمر على مناديا فنادى يا أهل الشام يقول لكم أمير المؤمنين قد اسـتدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا اليه فلم تنتهوا عن طغيانكم ولم تجيبوا الى الحق وانى قد نبـذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فاجتمع أهل الشام الى أمرائهم ورؤسائهم وخرج معاويه وعمرو يكتبان الكتائب ويعبيان الناس وكذلك فعل أمير المؤمنين وقال للناس لا تقاتلوهـم حتى يقاتلوكم فانتم بحمـد الله على حجة وترككم قتالهم حجة أخرى فاذا هزمتموهـم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا سـترا ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا شيأ من أموالهم ولا تهيجوا امرأة وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم وصلحاءكم فانهن ضعاف القوى والانفس وكان يقول بهذا المعنى لاصحابه فى كل موطن وحرض أصحـابه فقال عباد الله اتقوا الله وغضوا الابصار واخفضوا الاصوات وأقلوا الكلام ووطنوا أنفسـكم على المنازلة والمجاولة والمزاولة والمناضـلة والمعانقة والمكادمة والمـلازمة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ولا تنازعوا فتفشـلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين اللهم الهمهم الصـبر وأنزل عليهم النصر وأعظم لهم الاجر وأصبح على فجعل على خيل الكوفة الاشتر وعلى جند البصرة سهل بن حنيف وعلى رجالة الكوفة عمار بن ياسر وعلى رجالة البصرة قيس بن سعد وهاشم بن عتبة المرقال معـه الراية وجعل مسعر ابن فدكى على قراء الكوفة وأهل البصرة وبعث معاوية على ميمنته ابن ذى الكلاع الحميرى وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهرى وعلى مقدمتـه أبا الاعور السلمى وعلى خيل دمشـق عمرو بن العاص وعلى رجالة دمشق مسـلم بن عقبة المرى وعلى الناس كلهم الضحاك بن قيس وبايع رجال من أهل الشام على الموت فعقلوا انفسـهم بالعمائم وكانوا خمسة صفوف وخرجوا أول يوم من صفر فاقتتلوا وكان على الذين خرجوا من أهل الكوفة الاشتر وعلى من خرج من أهـل الشام حبيب ابن مسـلمة فاقتتلوا يومهـم قتالا شـديدا معظم النهار ثم تراجعوا وقد انتصف بعضـهم من بعض ثم خرج اليوم الثانى هاشم بن عتبة فى خيل ورجال وخرج اليه من أهـل الشام ابو الاعور السلمى فاقتتلوا يومهـم ذلك ثم انصرفوا وخرج اليوم الثالث عمار بن ياسر وخرج اليـه عمرو بن العاص

فاقتتلوا

الذى هو الزمرد ويخبرون ان هـذا الزمرد يكثر ويقل فى فصـول من السـنة وفى قوة من مواد الهـواء وهبوب نوع من الرياح الاربـع وتقوى الخضرة فيـه والشـعاع النورى فى أوائل الشهر والزيادة فى نور القـمر ولذلك اختـار من عنى بمعرفة أكثر المعادن من الجوهرية وغـيرها أن الـكبريت الابيض والاصفر وغـيرهما من أنواع الكبريت يكثر فى معدنه فى السنة التى يكثر برقها وتشـتد ضواعقهـا على حسب ما أخـبرنا به فيما سـلف مـن هـذا الكتاب عن الكافور من بلاد قيصورة وغيرهـا من أرض الهنـد انه يكثر فى السنة التى تكثر فيها الصـواعق والرعـود والبروق ولولا ان المكثار كحاطب ليل والايجاز لمحة دالة ووحى صرح عن ضمير والبـلاغة ايضاح بايجاز لاسهبت فى هـذا الباب وبـين هـذا الموضـع المعروف بالخربة الذى فيه معدن هـذا النوع من الجوهر وهو الزمرد وبين ما اتصـل به من العـمارة وقرب منه من الديار مسيرة سـبعة أيام وهى قفـط وقـوص وغـيرهما من

فاقتتـلوا أشـد قتال وقال عمار يا أهـل العراق اتريدون ان تنظروا الى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين فلما رأى الله يعز دينه ويظهر رسوله أتى النبى صـلى الله عليـه وسـلم وهو فيما نرى راهب غير راغب ثم قبض النبى صـلى الله عليـه وسلم فوالله ان زال بعده معروفا بعداوة المسلم واتباع المجرم فاثبتوا له وقاتلوه وقال عمار لزياد بن النضر وهو على الخيل احمـل على أهـل الشام فحمل وقاتله الناس وصـبروا له وحمـل عمار فازال عمرو بن العاص عن موضـعه وبارز يومئـذ زياد بن النضر اخاه لامـه واسمه عمرو بن معاوية من بنى المنتفق فلما التقيا تعارفا فانصرف كل واحد منهـما عن صاحبه وتراجع النـاس وخرج من الغد محمد بن على وهو ابن الحنفية وخرج اليه عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى جمعـين عظيمين فاقتتلوا أشـد القتال وأرسـل عبيد الله الى ابن الحنفية يدعوه الى المبارزة فخرج اليـه فحركه على دابته وردّابنه وبرز على الى عبيد الله فرجع عبيد الله وقال محمد لابيه لو تركتنى لرجوت قتله وقال يا أمير المؤمنين وكيف تبرز الى هذا الفاسق والله انى لارغب بك عن أبيـه فقال على يا بنى لا تقل فى أبيه الا خيرا وتراجع النـاس وخرج عبد الله بن عباس اليوم الخامس وخرج اليه الوليد بن عقبة فاقتتلوا قتالا شـديدا فسب الوليد بنى عبد المطلب فطلبه ابن عباس ليبارزه فأبى وقاتل ابن عباس قتالا شـديدا وخرج فى اليوم السادس قيس بن سعد الانصارى وخرج اليـه ابن ذى الكلاع الحميرى فاقتتلوا قتالا شـديدا ثم انصرفوا ثم عاد يوم الثلاثاء وخرج الاشـتر وخرج اليه حبيب فاقتتلوا قتالا شـديدا وانصرفوا عند الظهر ثم ان عليا قال حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم باجمعنا فقام فى الناس عشية الثلاثاء ليـلة الاربعاء خطيبا فحمد الله وأثنى عليـه فقال الحمـد لله الذى لا يبرم ما نقض وما أبرم لم ينقضـه الناقضون ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقـه ولا اختلفت الامة فى شئ ولا جحـد المفضول ذا الفضل فضله وقد ساقنا وهؤلاء القوم الاقدار فنحن بمرأى من ربنا ومسمع فلو شاء عجل النقمة وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الاعمال وجعل الآخرة دار القرار ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى الا وانكم لاقوا القوم غدا فاطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله النصر والصبر والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين فقام القوم يصلحون سلاحهم فمر بهم كعب بن جعيل فقال

أصبحت الامة فى أمر عجب * والملك مجموع غدا لمن غلب
فقلت قولا صادقا غير كذب * ان غدا تهلك اعلام العرب

وعبى على الناس ليلته حتى الصباح وزحف بالناس وخرج اليه معاوية فى اهل الشام فسأل على عن القبائل من اهل الشام فعرف مواقفهـم فقال للازد اكفونا الازد وقال لخثعم اكفونا خثعم وأمر كل قبيلة ان تكفيه اختها من الشام الا ان تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد فيصرفها الى قبيلة أخرى من الشام ليس بالعراق منهم احد مثل بجيلة لم يكن بالشام منهم الا القليل صرفهـم الى لخم فتناهض الناس يوم الاربعاء فاقتتلوا قتالا شـديدا ثم انصرفوا عند المساء وكل غير غالب فلما كان يوم الخميس صلى على بغلس وخرج بالناس الى أهل الشام فزحف اليهـم وزحفوا اليه وكان على ميمنة على عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى وعلى ميسرته عبـد الله بن عباس والقراء مع ثلاثة نفر عمار وقيس بن سعد وعبد الله بن بديل والناس على راياتهم ومراكزهم وعلى فى القلب فى أهل المدينة بين أهل الكوفة والبصرة وأكثر من معـه من أهل المدينة الانصار ومعـه عدد من خزاعة وكنانة وغيرهـم من أهل المدينة وزحف اليهـم ورفع معاوية قبـة عظيمة فالقى عليها

صعيد مصر وقوص راكبة للنيل وبين النيـل وقفط نحو من ميلين ولمـدينتى قفط وقوص أخبار عجيبة فى بدء عمرانهـما وما كان فى أيام الاقباط من أخبارهما الا أن مدينة قفط فى هذا الوقت متداعية للخراب وقوص اعمر والناس فيها اكثر وبوادى البجـة المالكة لهـذا المعـدن معدن الزمرد وتتصـل ديارهـا بالعـلاقى وهى معدن الذهب على حسب ما قدمنا فى هـذا الباب وبين العـلاقى والنيـل خمس عشرة مرحلة وماء أهل العلاقى ما انهـل من السماء ولهم معين يسيل فى وسط العلاقى وأقرب العمارة اليه مدينة اسوان ومنها يستمد العـلاقى والنوبة متصلة تجاراتهما وقوافلهما بمدينة اسوان وأهل اسوان مختلطون بالنوبة (قال المسعودى) واما بلاد الواحات وهى بين بلاد مصر والاسكندرية وصـعيد مصر والمغرب وأرض الاحابش مـن النوبة وغيرهم فقد ذكرنا جملا من أخبارها وكيفية العـمران بها والخواص فى أرضها فيما سلف من كتبنا ولها أرض شبيـة وزاجية وعيون حامضة وغـير ذلك من الطعوم

الثياب وبايعه أكثر أهل الشام على الموت وأحاط بقبته خيل دمشق وزحف عبد الله بن بديل في الميمنة نحو حبيب بن مسلمة وهو في ميسرة معاوية فلم يزل يحوزه ويكشف خيله حتى اضطرهم الى قبة معاوية عند الظهر وحرض عبد الله بن بديل أصحابه فقال ألا ان معاوية ادعى ما ليس له ونازع الحق أهله وعاند من ليس مثله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب الذين قد زين لهم الضلالة وزرع في قلوبهم حب الفتنة ولبس عليهم الامر وزادهم رجسا الى رجسهم فقاتلوا الطغام الجفاة ولا تخشوهم قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وحرض علي أصحابه فقال في كلام له فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبى للسيوف عن الهام والتووا في الاطراف فانه اصون للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجاش واسكن للقلب واميتوا الاصوات فانه أطرد للفشل وأولى بالوقار راياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها الا بايدي شجعانكم واستعينوا بالصدق والصبر فان بعد الصبر ينزل عليكم النصر وقام يزيد بن قيس الارحبي يحرض الناس فقال ان المسلم من سلم في دينه ورأيه وان هؤلاء القوم والله لا يقاتلوننا على اقامة دين ضيعناه واحياء حق امتناه ان يقاتلوننا الا على هذه الدنيا ليكونوا جبارين فيها ملوكا فلو ظهروا عليكم لا أراهم الله ظهورا ولا سرورا الزموكم بمثل سعيد والوليد وابن عامر السفيه الضال يجيز أحدهم بمثل ديته ودية أبيه وجده في جلسة ثم يقول هذا لي ولا اثم علي كأنما اعطى تراثه عن أبيه وامه وانما هو مال الله أفاءه علينا بأرماحنا وسيوفنا فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين فانهم ان يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وهم من قد عرفتم وخبرتم والله ما ازدادوا الى يومهم الا شرا وقاتلهم عبد الله بن بديل في الميمنة قتالا شديدا حتى انتهى الى قبة معاوية وأقبل الذين تبايعوا على الموت الى معاوية فأمرهم ان يصمدوا لابن بديل في الميمنة وبعث الى حبيب بن مسلمة في الميسرة فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة حتى لم يبق منهم الا ابن بديل في مائتين أو ثلثمائة من القراء قد اسند بعضهم الى بعض وانجفل الناس وأمر علي سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينة فاستقبلتهم جموع لاهل الشام عظيمة فاحتملتهم حتى أوقفتهم في الميمنة وكان فيما بين الميمنة الى موقف علي في القلب أهل اليمن فلما انكشفوا انتهت الهزيمة الى علي فانصرف علي يمشي نحو الميسرة فانكشفت عنه مضر من الميسرة وثبتت ربيعة وكان الحسن والحسين ومحمد بنو علي معه حين قصد الميسرة والنبل يمر بين عاتقه ومنكبيه وما من بنيه أحد الا يقيه بنفسه فيرده فبصر به أحمر مولى ابي سفيان أو عثمان فاقبل نحوه فخرج اليه كيسان مولى علي فاختلفا بينهما ضربتان فقتله أحمر فأخذ علي بجيب درع أحمر فجذبه وحمله على عاتقه ثم ضرب به الارض فكسر منكبيه وعضديه ودنا منه أهل الشام فما زاده قربهم الا اسراعا فقال له ابنه الحسن ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي الى هؤلاء القوم من أصحابك فقال يا بني ان لابيك يوما لا يعدوه ولا يبطئ به عنه السعي ولا يعجل به اليه المشي ان أباك والله لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه فلما وصل الى ربيعة نادى بصوت عال كغير المكترث لما فيه الناس لمن هذه الرايات قالوا رايات ربيعة قال بل رايات عصم الله أهلها فصبرهم وثبت أقدامهم وقال للحصين بن المنذر يا فتى الا تدني رايتك هذه ذراعا قال بلى والله وعشرة أذرع فادناها حتى قال حسبك مكانك ولما انتهى علي الى ربيعة تنادوا بينهم يا ربيعة ان أصيب فيكم أمير المؤمنين وفيكم رجل حي افتضحتم

وصاحب الواحات في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك ابن مروان وهو رجل من لواتة الا انه مرواني المذهب ويركب في ألوف من الناس خيلا ورجلا وبينه وبين الاحابش نحو من ستة ايام وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا من العمائر هذا المقدار من المسافة وفي أرضه خواص وعجائب وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا مفتقر اليه ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعناب وقد رأيت صاحب هذا الرجل المقيم بالواحات بباب الاخشيد محمد بن طغج وذلك سنة ثلاثين وثلثمائة وسألته عن كثير من اخبار بلدهم وما احببت أن أعلمه من خواص أرضهم وكذلك كان فعلي مع غيره في سائر الاوقات ممن لم اصل الى بلادهم وأخبرني هذا الرجل عما بارضهم من الشب وأنواع الزاج وما يحمل من بلادهم وما بارضهم من أنواع العيون الحامضة وغير ذلك من المياه المختلفة الطعوم وقد ذكر صاحب المنطق أن ببعض المواضع عيونا حامضة يستعمل ماؤها كاستعمال الخل وذكر

في العرب فقاتلوا قتالا شديدا ما قاتلوا مثله فلذلك قال علي

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حضين تقدما

ويقدمها في الموت حتى يزيرها * حياض المنايا تقطر الموت والدما

أذقنا ابن حرب طعننا وضرابنا * باسيافنا حتى تولى وأحجما

جزى الله قوما صابروا في لقائهم * لدى الموت قوما ما أعف وأكرما

وأطيب اخبارا وأكرم شيمة * اذا كان أصوات الرجال تغمغما

ربيعة أعني انهم أهل نجدة * وبأس اذا لاقوا خميسا عرمرما

ومر به الاشتر وهو يقصد الميسرة والاشتر يركض نحو الفزع قبل الميمنة فقال له علي يا مالك قال لبيك يا أمير المؤمنين قال ائت هؤلاء القوم فقل لهم أين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه الى الحياة التي لا تبقى لكم فمضى الاشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم ما قال علي ثم قال أيها الناس أنا الاشتر الي فاقبل اليه بعضهم وذهب البعض فنادى أيها الناس ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم اخلصوا لي مذحجا فأقبلت مذحج اليه فقال لهم ما أرضيتم ربكم ولا نصحتم له في عدوكم وكيف ذلك وانتم ابناء الحرب واصحاب الغارات وفتيان الصباح وفرسان الطراد وحتوف الاقران ومذحج الطعان الذين لم يكونوا يسبقون بثارهم ولا تطل دماؤهم وما تفعلون هذا اليوم فانه مأثور بعده فانصحوا واصدقوا عدوكم اللقاء فان الله مع الصادقين والذي نفسي بيده ما من هؤلاء وأشار الى أهل الشام رجل على مثل جناح بعوضة من دين اجلوا سواد وجهي يرجع فيه دمه عليكم بهذا السواد الاعظم فان الله قد فضه تبعه من بجانبيه قالوا اتخذ ناحيث احببت فقصد نحو عظمهم مما يلي الميمنة يزحف اليهم ويردهم واستقبله شباب من همدان وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ وكانوا صبروا في الميمنة حتى اصيب منهم ثمانون ومائة رجل وقتل منهم أحد عشر رئيسا كان أولهم ذؤيب بن شريح ثم شرحبيل ثم مرثد ثم هبيرة ثم يريم ثم سمير أولاد شريح فقتل ثم أخذ الراية عميرة ثم الحرث ابنا بشير فقتلا جميعا ثم أخذ الراية سفيان وعبد الله وبكر بنو زيد فقتلوا جميعا ثم أخذ الراية وهب بن كريب فانصرف هو وقومه وهم يقولون ليت لنا عديدنا من العرب يحالفوننا على الموت ثم نرجع فلا ننصرف أو نقتل أو نظفر فسمعهم الاشتر يقولون هذا فقال لهم انا أحالفهم على ان لا نرجع أبدا حتى نظفر أو نهلك فوقفوا معه وفي هذا قال كعب بن جعيل * وهمدان زرق تبتغي من تحالف * وزحف الاشتر نحو الميمنة وثاب اليه الناس وتراجعوا من أهل البصرة وغيرهم فلم يقصد كتيبة الا كشفها ولا جمعا الا جازه ورده فانه كذلك اذ مر به زياد بن النضر الحارثي يحمل الى العسكر وقد صرع وسببه انه قد كان استلحم عبد الله بن بديل واصحابه في الميمنة فتقدم زياد اليهم ورفع رايته لاهل الميمنة فصبروا وقاتل حتى صرع ثم مروا بيزيد بن قيس الارحبي محمولا نحو العسكر وكان قد رفع رايته لاهل الميمنة لما صرع زياد وقاتل حتى صرع فقال الاشتر حين رآه هذا والله الصبر الجميل والفعل الكريم ألا يستحي الرجل أن ينصرف ولا يقتل أو يشفي به على القتل وقاتلهم الاشتر قتالا شديدا ولزمه الحرث بن جمهان الجعفي يقاتل معه فما زال هو ومن رجع اليه يقاتلون حتى كشف أهل الشام وألحقهم بمعاوية والصف الذي معه بين صلاة العصر والمغرب وانتهى الى عبد الله بن بديل وهو في عصابة من القراء نحو المائتين أو الثلثمائة قد لصقوا بالارض كأنهم جثا فكشف عنهم أهل الشام فابصروا اخوانهم فقالوا ما فعل أمير المؤمنين قال حي صالح في الميسرة يقاتل الناس أمامه فقالوا الحمد لله قد كنا ظننا انه قد هلك وهلكتم

المواضع التي تنبع منها العيون المرة وأن قوة مائها في المرارة لا يخالط شيأ الا مره وأن العلة في اختلاف هذه الطعوم في المياه أن الارضين المختلفة مثل مواضع الشب والمواضع النارية والرمادية وذكر الاطعمة التي ببلاد صقلية المقدم ذكرها اذا خالطت الماء افادته طعوما مختلفة على قدر اختلافها وأعداد طعومها وأعداد الطعوم ثمانية فاولها العذب والملح والدسم والحلو والحامض والمر والقابض والحريف وقد تنازع الناس فيما ذكرنا فمنهم من رأى أن أعدادها سبعة ومنهم من ذهب الى أنها ستة وأكثر من قال في اعدادها هو ما ذكرنا آنفا ثمانية وقد قال من سلف في قوى المياه اقاويل مختلفة فمن ذلك أن العذب مغذ وان كان سخنا فان استعمل من داخل أو من خارج فانه ينقي الجسد وان استعمل أكثر مما يحتاج اليه فانه يرخي الاعضاء ويضعفها وأن الماء البارد يشد الاعضاء ويقطع العطش وأن الزيادة منه تخدر الجسد وغيته وأن الماء الاجاج ينفع من سدد الكبد والطحال وأن الماء

وقال عبد الله بن بديل استقدموا بنا فقال الاشتر لا تفعل واثبت مع الناس فانه خير لهم وأبقى لك ولاصحابك فأبى ومضى كما هو نحو معاوية وحوله كأمثال الجبال وبيده سيفان وخرج عبد الله مام أصحابه يقتل كل من دنا منه حتى قتل جماعة ودنا من معاوية فنهض اليه الناس من كل جانب وأحيط به وبطائفة من أصحابه فقاتل حتى قتل وقتل ناس من أصحابه ورجعت طائفة منهم مجرحين فبعث الاشتر الحرث بن جمهان الجعفى فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من انهزم من أصحاب عبد الله حتى نفوا عنهم وانتهوا الى الاشتر وكان معاوية قد رأى ابن بديل وهو يضرب قدما فقال أترونه كبش القوم فلما قتل أرسل اليه لينظر وامن هو فلم يعرفه أهل الشام فجاء اليه فلما رآه عرفه فقال هذا عبد الله بن بديل والله لو استطاعت نساء خزاعة لقاتلتنا فضلا عن رجالها وتمثل بقول حاتم

أخو الحرب اذ عضت الحرب عضها * وان به شمرت يوما به الحرب شمرا

وزحف الاشتر بعك والاشعريين وقال لمذحج اكفونا عكا ووقف فى همدان وقال لكندة اكفونا الاشعريين فاقتتلوا قتالا شديدا الى المساء وقاتلهم الاشتر فى همدان وطوائف من الناس فأزال أهل الشام عن مواضعهم حتى ألحقوهم بالصفوف الخمسة المعقلة بالعمائم حول معاوية ثم حمل عليهم حملة أخرى فصرع أربعة صفوف من المعقلين بالعمائم ودعا معاوية بفرسه فركب وكان يقول أردت أن انهزم فذكرت قول ابن الاطنابة الانصارى وكان جاهليا

أبت لى عفتى فأبى بلائى * واقدامى على البطل المشيح

واعطائى على المكروه مالى * وأخذى الحمد بالثمن الربيح

وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

قال فمنعنى هذا القول من الفرار ونظر الى عمرو وقال اليوم صبر وغدا فخر فقال صدقت وتقدم جندب بن زهير فبارز رأس أزد الشام فقتله الشامى وقتل من رهطه عجل وسعد ابنا عبد الله وقتل أبو زينب بن عوف وخرج عبد الله بن أبى الحصين الازدى فى القراء الذين مع عمار بن ياسر فاصيب معه وتقدم عقبة بن حديد النميرى وهو يقول ألا ان مرعى الدنيا أصبح هشيما وشجرها خضيدا وجديدها سملا وحلوها مر المذاق انى قد سئمت الدنيا وعزفت نفسى عنها وانى أتمنى الشهادة وأتعرض لها فى كل جيش وغارة فأبى الله الا ان يبلغنى هذا اليوم وانى متعرض لها من ساعتى هذه وقد طمعت أن لا أحرمها فما تنتظرون عباد الله بجهاد من عادى الله فى كلام طويل وقال يا اخوتى قد بعت هذه الدار بالتى أمامها وهذا وجهى اليها فتبعه اخوته عبيد الله وعوف ومالك وقالوا لا نطلب رزق الدنيا بعدك فقاتلوا حتى قتلوا وتقدم شمر بن ذى الجوشن فبارز فضرب أدهم بن محرز الباهلى بالسيف وجهه وضربه شمر فلم يضره فعاد شمر فشرب ماء وكان ظمآن ثم أخذ الرمح ثم حمل على أدهم فصرعه وقال هذه بتلك وكانت راية بجيلة مع أبى شداد قيس بن هبيرة الاحمسى وهو قيس بن مكشوح ومكشوح لقب فقال لقومه والله لانتهين بكم الى صاحب الترس المذهب وكان صاحبه عبد الرحمن بن خالد فقاتل الناس قتالا شديدا وشد بسيفه نحو صاحب الترس فعرض له مولى رومى لمعاوية فضرب قدم أبى شداد فقطعها وضربه أبو شداد فقتله وأشرعت اليه الرماح فقتل وأخذ الراية عبد الله بن قلع الاحمسى فقاتل حتى قتل ثم أخذها عفيف بن اياس فلم تزل فى يده حتى تحاجز الناس وقتل حازم بن أبى حازم أخو قيس بن أبى حازم يومئذ وقتل أبوه أيضا له صحبة ونعيم بن صهيب بن العلية البجليون مع على فلما رأى على ميمنة أصحابه قد

الكبريتى ينفع الجراح والقروح العتيقة والحكة والزوقى نافع للحكة والجرب وأن ماء النضار نافع من أوجاع الصلب والعصب وماء الحديد نافع من الاسترخاء فى الاحشاء وما بطن من الاوعية وماء النحاس نافع من الرطوبة والملة الكائنة فى الجسد والرأس وماء الجص ينشف المعدة ويقبضها ويكرشها وماء الزاج يحسن الدم وماء البحر نافع من البرص وقد ذكر جماعة انه ينفع من الاخلاط الفاسدة اذا شرب منه اليسير مع دهن اللوز وله فى البصر ايعاب فظيع وأن اصح المياه للاجساد الابيض البراق الذى يخرج من جبال الصين من مشرق الشمس نحو مغربها القابل بسرعة ما يرد اليه من الحر والبرد وللناس فيما ذكرنا كلام كثير فى أنواع المياه وأوصافها ومنافعها ومضارها ليس كتابنا هذا موضعا له وانما تغلغل بنا الكلام الى ذكرها وتشعب بنا القول الى وصفها وكل ما ذكرنا من بلاد الاحابش ما كان من غربى اليمن وجدة والجار مما يلى بحر القلزم فبلاد قشفة لا خير فى أرضها ولا شئ يحمل من ساحلها الا ما وصفنا من

عادت الى مواضعها وموافقها وكشفت من بازائها من عدوها حتى ضاربوهم فى مواقفهم ومراكزهم أقبل حتى انتهى اليهم فقال انى قد رأيت جولتكم عن صفوفكم يحوزكم الجفاة الطغام واعراب الشام وأنتم لهاميم العرب والسنام الاعظم وعمار الليل بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحق فلولا اقبالكم بعد ادباركم وكركم بعد انحيازكم لوجب عليكم ما يجب على المولى يوم الزحف وكنتم من الهالكين ولكن هون وجدى وشفى أحاح نفسى انى رأيتكم بأخرة حزتموهم كما حازوكم وأزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم تركب أولاهم أخراهم كالابل المطرودة الهيم فالآن فاصبروا فقد نزلت عليكم السكينة وثبتكم الله باليقين ليعلم المنهزم انه مسخط ربه وموبق نفسه فى كلام طويل وكان بشر بن عصمة المرى قد لحق بمعاوية فلما اقتتل الناس بصفين نظر بشر الى مالك بن العقدية الجشمى وهو يفتك باهل الشام فاغتاظ لذلك فحمل على مالك وتجاولا ساعة ثم طعنه بشر بن عصمة فصرعه ولم يقتله وانصرف عنه وقد ندم على طعنته اياه وكان جبارا فقال

وانى لأرجو من مليكى تجاوزا * ومن صاحب الموسوم فى الصدر هاجس

دلفت له تحت الغبار بطعنة * على ساعة فيها الطعان تخالس

فبلغت مقالته ابن العقدية فقال

الا أبلغا بشر بن عصمة أننى * شغلت وألهانى الذين أمارس

وصادفت منى غرة واصبتها * كذلك والابطال ماض وحابس

وحمل عبد الله بن الطفيل البكائى على أهل الشام فلما انصرف حمل عليه رجل من بنى تميم يقال له قيس بن هرة ممن لحق بمعاوية من أهل العراق فوضع الرمح بين كتفى عبد الله واعترضه ابن عم لعبد الله اسمه يزيد بن معاوية فوضع الرمح بين كتفى التميمى فقال له والله لئن طعنته لاطعننك فقال له عليك عهد الله وميثاقه ان رفعت الرمح عن ظهر صاحبك لترفعن سنانك عنى قال نعم فرفع التميمى سنانه ورفع يزيد سنانه فلما رجع الناس الى الكوفة عتب على يزيد بن الطفيل فقال

ألم ترنى حاميت عنك مناصحا * بصفين اذ خلاك كل حميم

ونهنهت عنك الحنظلى وقد أتى * على سابح ذى ميعة وهزيم

وخرج رجل من آل ذى الكلاع من اهل الشام يسأل المبارزة فبرز اليه قيس بن فهدان الكندى فحمل عليه وتجاولا ساعة ثم طعنه عبد الرحمن فقتله وقال

لقد علمت عك بصفين اننا * اذا التقت الخيلان نطعنها شزرا

ونحمل رايات الطعان بحقها * فنوردها بيضا ونصدرها حمرا

وخرج قيس بن يزيد وهو ممن فر الى معاوية فخرج اليه أبو العمرطة بن يزيد فتعارفا فتواقفا ثم انصرفا وأخبر كل واحد منهما أنه لقى اخاه وقاتلت طيئ يومئذ قتالا شديدا فعبيت لهم جموع فأتاهم حمزة بن مالك الهمدانى فقال من القوم فقال له عبد الله بن خليفة وكان شيعيا شاعرا خطيبا نحن طيئ السهل وطيئ الرمل وطيئ الجبل الممنوع ذى النخل نحن طيئ الرماح وطيئ البطاح فرسان الصباح فقال حمزة بن مالك انك لحسن الثناء على قومك واقتتل الناس قتالا شديدا فناداهم يا معشر طيئ فدا لكم طارفى وتالدى قاتلوا على الدين والاحساب وحمل بشر بن العسوس فقاتل ففقئت عينه يومئذ فقال فى ذلك

ألا ليت عينى هذه مثل هذه * ولم أمش فى الاحياء الا بقائد

الزبل والنمور وغيرهما وكذلك ما عليه من ساحل الشحر وبلاد الاحقاف من ساحل حضرموت الى عدن فبلد لا خصب لاهله فيه ولا يحمل من أرضهم الا اللبان وقشار الكندر وهذا البحر اتصاله بالقلزم وهو عين بحر الهند وان كان الماء متصلا وليس فى البحار وما ذكرنا من الخلجان مما احتوى عليه البحر الحبشى اصعب ولا أكثر جبالا ولا أسوك رائحة ولا اقحط ولا اقل خيرا فى بطنه وظهره من بحر القلزم وسائر البحر الحبشى تقطعه المراكب فى ابان سيرها فيه بالليل والنهار الا بحر القلزم فان المراكب تسير فيه بالنهار فاذا جن الليل أرست فى مواضع معروفة كالمراحل المشهورة والمنافذ المعروفة لكثرة جباله وظلمته ووحشته وليس هذا البحر مما اتصل به من بحر الهند والصين وغيره فى شئ وهو بالضد من ذلك لان بحر الهند والصين فى قعره اللؤلؤ وفى جباله الجواهر ومعادن الذهب والفضة والرصاص القلعى وفى افواه دوابه العاج وفى منابته الآبنوس والخيزران والقنا والبقم والساج والعود وأشجار الكافور

ويا ليت رجلي ثم طنت بنصفها * ويا ليت كفي ثم طاحت بساعدي
ويا ليتني لم أبق بعد مطرف * وسعد وبعد المستنير بن خالد
فوارس لم تغذ الحواضن مثلهم * اذا الحرب أبدت عن خدام الخرائد

وقاتلت النخع يومئذ قتالا شديدا فأصيب منهم حيان وبكر ابنا هوذة وشعيب بن نعيم وربيعة بن مالك بن وهبيل وأبي أخو علقمة بن قيس الفقيه وقطعت رجل علقمة يومئذ وكان يقول ما أحب ان رجلي أصح مما كانت وانها لمما أرجو بها الثواب وحسن الجزاء من ربي قال ورأيت أخي في المنام فقلت له ماذا قدمتم عليه فقال لي انا التقينا نحن والقوم عند الله تعالى فاحتججنا فحججناهم فما سررت بشئ سروري بتلك الرؤيا وكان يقال لأبي أبي الصلاة لكثرة صلاته وخرجت حمير في جمعها ومن انضم اليها من أهل الشأم ومقدمهم ذو الكلاع ومعه عبيد الله بن عمر بن الخطاب وهم ميمنة أهل الشأم فقصدوا ربيعة من أهل العراق وكانت ربيعة ميسرة أهل العراق وفيهم ابن عباس على الميسرة فحملوا على ربيعة حملة شديدة فتضعضعت راية ربيعة وكانت الراية مع أبي ساسان حضين بن المنذر فانصرف أهل الشأم عنهم ثم كر عبيد الله بن عمر وقال يا أهل الشأم ان هذا الحي من اهل العراق قتلة عثمان وأنصار علي فشدوا على الناس شدة عظيمة فثبتت ربيعة وصبروا وصبرا حسنا الا قليلا من الضعفاء والفشلة وثبت اهل الرايات واهل الصبر والحفاظ وقاتلوا قتالا حسنا وانهزم خالد بن المعمر مع من انهزم وكان على ربيعة فلما راى أصحاب الرايات قد صبروا رجع وصاح بمن انهزم وامرهم بالرجوع فرجعوا وكان خالد قد سعي به الى علي انه كاتب معاوية فأحضره علي ومعه ربيعة فسأله علي عما قيل وقال له ان كنت فعلت ذلك فالحق بأي بلد شئت لا يكون لمعاوية عليه حكم فأنكر ذلك وقالت ربيعة يا امير المؤمنين لو نعلم انه فعل ذلك لقتلناه فاستوثق منه علي بالعهود فلما فرانهم بعض الناس واعتذر هو بأني لما رأيت رجالا منا قد انهزموا استقبلتهم لاردهم اليكم فاقبلت بمن اطاعني اليكم ولما رجع الى مقامه حرض ربيعة فاشتد قتالهم مع حمير وعبيد الله بن عمر حتى كثرت بينهم القتلى فقتل سمير بن الريان العجلي وكان شديد البأس واتى زياد بن عمر بن خصفة عبد القيس فأعلمهم بما لقيت بكر بن وائل من حمير وقال يا عبد القيس لا بكر بعد اليوم فأتت عبد القيس بني بكر فقاتلوا معهم فقتل ذو الكلاع الحميري وعبيد الله بن عمر قتله محرز بن الصحصح من تيم الله بن ثعلبة من اهل البصرة واخذ سيفه ذا الوشاح وكان لعمر فلما ملك معاوية العراق اخذه منه وقيل بل قتله هانئ بن خطاب الارحبي وقيل قتله مالك بن عمرو التنعي الحضرمي وخرج عمار بن ياسر على الناس فقال اللهم انك تعلم اني لو أعلم ان رضاك في ان أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته اللهم انك تعلم اني لو أعلم ان رضاك في ان أضع ظبة سيفي في بطني ثم أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلته واني لا أعلم اليوم عملا هو ارضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ولو اعلم عملا هو ارضى لك منه لفعلته والله اني لارى قوما ليضربنكم ضربا يرتاب منه المبطلون وايم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت انا على الحق وانهم على الباطل ثم قال من يبتغي رضوان الله ربه ولا يرجع الى مال ولا ولد فأتاه عصابة فقال اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دم عثمان والله ما ارادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبوها وعلموا ان الحق اذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه منها ولم يكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم فخدعوا اتباعهم وقالوا امامنا قتل مظلوما ليكونوا بذلك جبابرة ملوكا فبلغوا ما ترون فلولا هذا ما تبعهم من الناس رجلان اللهم ان تنصرنا فطالما نصرت

والجوز والقرنفل والصندل والافاويه والطيب والعنبر وطيور الببغاء البيض والخضر واحدها ببغة ثم الطواويس وأنواعها في صورها واختلافها في الصغر والكبر ومنها ما يكون كالنعامة كبرا وحشرات أرض الهند الزباد كالسنانير كثيرة بأرض الاسلام متخذة كالسنور وأكثر ما يخرج من ضروعها الطيب المعروف بلبن الزباد وهو نوع من الطيب عجيب ثم ما يظهر في وقت من السنة من جباه الفيلة بأرض الهند ورؤسها من العرق الذي هو كالمسك والهند تراعي ظهور هذا الطيب في الفصل من الزمان الذي يكون فيه فتأخذه وتجعله على بعض أدهانها الطيبة فيكون اعلى طيبها المستطرف عندها والذي تستعمله ملوكها وخواصها لضروب من المنافع منها طيب الرائحة والتعمر الذي قد فاق على سائر الطيب وما يؤثر في الانسان عند شمه اياه واستعماله من ظهور الشبق من الرجال والنساء والطلب للباه والاغتلام والطرب والنشاط والاريحية وكثير من فتاك الهند وشجعانهم يستعمل هذا

وان تجعل لهم الامر فاذخر لهم بما احدثوا في عبادك العذاب الاليم ثم مضى ومعه تلك العصابة فكان لا يمر بواد من أودية صفين الا تبعه من كان هناك من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء الى هاشم بن عتبة بن ابي وقاص وهو المرقال وكان صاحب راية علي وكان أعور فقال يا هاشم أعورا وجبنا لا خير في أعور لا يغشى الباس اركب يا هاشم فركب ومضى معه وهو يقول

أعور يبغي أهله محلا * قد عالج الحياة حتى ملا
لا بد أن يفل أو يفلا * يتلهم بذي الكعوب تلا

وعمار يقول تقدم يا هاشم الجنة تحت ظلال السيوف والموت تحت اطراف الاسل وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين اليوم ألقى الاحبه محمدا وحزبه وتقدم حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له يا عمرو بعت دينك بمصر تبا لك فقال له لا ولكن أطلب بدم عثمان قال أنا أشهد على علمي فيك انك لا تطلب بشئ من فعلك وجه الله وانك ان لم تقتل اليوم تمت غدا فانظر اذا أعطى الناس على قدر نياتهم ما نيتك لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الرابعة ما هي بأبر واتقى ثم قاتل عمار فلم يرجع وقتل وقال حبة بن جوين العرني قلت لحذيفة بن اليمان حدثنا فانا نخاف الفتن فقال عليكم بالفئة التي فيها ابن سمية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق وان آخر رزقه ضياح من لبن وهو الممزوج بالماء من اللبن قال حبة فشهدته يوم قتل وهو يقول ائتوني بآخر رزق لي في الدنيا فأتي بضياح من لبن في قدح أروح له حلقة حمراء فما أخطأ حذيفة مقياس شعرة فقال اليوم ألقى الاحبه محمدا وحزبه والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت انا على الحق وانهم على الباطل ثم قتل قتله أبو الغادية واحتز راسه ابن حوى السكسكي وقيل قتله غيره وقد كان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية وآخر شربة تشربها ضياح من لبن فكان ذو الكلاع يقول لعمرو ما هذا ويحك يا عمرو فيقول عمرو انه سيرجع الينا فقتل ذو الكلاع قبل عمار مع معاوية وأصيب عمار بعده مع علي فقال عمرو لمعاوية ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحا بقتل عمار أو بقتل ذي الكلاع والله لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بعامة أهل الشام الى علي فأتى جماعة الى معاوية كلهم يقول انا قتلت عمارا فيقول عمرو فما سمعته يقول فيخلطون فأتاه ابن حوى فقال انا قتلته فسمعته يقول اليوم ألقى الاحبه محمدا وحزبه فقال له عمرو وأنت صاحبه ثم قال رويدا والله ما ظفرت يداك ولقد اسخطت ربك قيل ان أبا الغادية قتل عمارا وعاش الى زمن الحجاج ودخل عليه فأكرمه الحجاج وقال له أنت قتلت ابن سمية يعني عمارا قال نعم فقال من سره ان ينظر الى عظيم الباع يوم القيامة فلينظر الى هذا الذي قتل ابن سمية ثم سأله أبو الغادية حاجته فلم يجبه اليها فقال نوطئ لهم الدنيا ولا يعطونا منها ويزعم اني عظيم الباع يوم القيامة فقال الحجاج أجل والله من كان ضرسه مثل احد وفخذه مثل جبل ورقان ومجلسه مثل المدينة والربذة انه لعظيم الباع يوم القيامة والله لو أن عمارا قتله أهل الارض كلهم لدخلوا كلهم النار وقال عبد الرحمن السلمي لما قتل عمار دخلت عسكر معاوية لانظر هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا وكنا اذا تركنا القتال تحدثوا الينا وتحدثنا اليهم فاذا معاوية وعمرو وأبو الاعور وعبد الله بن عمرو يتسايرون فأدخلت فرسي بينهم لئلا يفوتني ما يقولون فقال عبد الله لابيه يا أبه قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال قال وما قال قال ألم يكن المسلمون ينقلون في بناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم

للدهن عند اللقاء والحرب لان ذلك عندهم مما يشجع القلب ويقوي النفس ويبعثها على الاقدام وأكثر ما يظهر هذا النوع من العرق في جباه الفيلة في ذلك الفصل من السنة في حال اغتلامها وهيجانها واذا كان ذلك منها هرب عنها سواسها ورعاتها ولا يفرق بين من يعرف وغيره من الناس واذا وجد الفيل ما وصفنا سلك الاودية والجبال والغياض وند عن بلده وغاب عن وطنه فاذا قدم على النوشان الذي هو السكر كذن هرب حينئذ من الفيل ولا يقيم في الموضع الذي هو فيه لأن الفيل عند ذلك بحال السكران لا يعقل ولا يميز بين السكركذن الذي كان يخافه قبل ذلك وغيره فاذا خرج عنه ذلك الفصل من السنة واسترجع عاد الى بلاده على مسيرة شهر وأكثر من ذلك وهو في بقية من سكره فيبقى نحو ذلك المقدار الذي كان هيجانه فيه عليلا ولا يكون ذلك الا في الفحول من الفيلة وذوي الجراءة منها والاقدام وما ذكرنا من طيب المسك وغير ذلك مما عنه أمسكنا من عجائبه وخبرانه وفيما ذكرنا

لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فغشى عليه فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول ويحك يا ابن سمية الناس ينقلون لبنة لبنة وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبة فى الاجر وأنت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية فقال عمرو لمعاوية اما تسمع مايقول عبد الله قال وما يقول فأخبره فقال معاوية أنحن قتلناه انما قتله من جاء به فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون انما قتل عمارا من جاء به فلا أدرى من كان أعجب أهو أم هم فلما قتل عمار قال على لربيعة وهمدان أنتم درعى ورمحى فانتدب له نحو من اثنى عشر وتقدمهم على على بغلة فحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض وقتلوا كل من انتهوا اليه حتى بلغوا معاوية وعلى يقول

أقتلهم ولا أرى معاويه * الجاحظ العين العظيم الحاويه

ثم نادى معاوية فقال علام يقتل الناس بيننا هلم أحاكمك الى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الامور فقال له عمرو أنصفك فقال له معاوية ما أنصفت انك لتعلم انه لم يبرز اليه أحد الا قتله فقال له عمرو وما يحسن بك ترك مبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدى وكان أصحاب على قد وكلوا به رجلين يحافظانه لئلا يقاتل وكان يحمل اذا اغفلا فلا يرجع حتى يخضب سيفه وانه حمل مرة فلم يرجع حتى انثنى سيفه فالقاه اليهم وقال لولا انه انثنى ما رجعت اليكم فقال الاعمش لابى عبد الرحمن هذا والله ضرب غير مرتاب فقال أبو عبد الرحمن سمع القوم شيأ فأدوه ما كانوا بكاذبين وأسر معاوية جماعة من أصحاب على فقال له عمرو اقتلهم فقال عمرو بن أوس الاودى لا تقتلنى فانك خالى قال من أين أنا خالك ولم يكن بيننا وبين أود مصاهرة قال ان أخبرتك فهو أمانى عندك قال نعم قال أليست أختك أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قال بلى قال فانى ابنها وأنت أخوها فأنت خالى فقال معاوية ماله لله أبوه اما كان فى هؤلاء من يفطن لها غيره وخلى سبيله وكان قد أسر على أسارى كثيرة فخلى سبيلهم فجاؤا معاوية وان عمرا ليقول له وقد أسر أيضا أسارى كثيرة اقتلهم فلما وصل أصحابهم قال معاوية يا عمرو لو أطعناك فى هؤلاء الاسارى لوقعنا فى قبيح من الامر وخلى سبيل من عنده وأما هاشم بن عتبة فانه دعا الناس عند المساء وقال ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فالى فأقبل اليه ناس كثير فحمل على أهل الشام مرارا ويصبرون له وقاتل قتالا شديدا وقال لاصحابه لا يهولنكم ماترون من صبرهم فوالله ماهو الا حمية العرب وصبرها تحت راياتها وانهم لعلى الضلال وانكم لعلى الحق ثم حرض أصحابه وحمل فى عصابة من القراء فقاتل قتالا شديدا حتى رأوا بعض مايسرون به فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم شاب وهو يقول

أنا ابن أرباب الملوك غسان * والدائن اليوم بدين عثمان

نبأنا قراؤنا بما كان * ان عليا قتل ابن عفان

ثم يحمل فلا يرجع حتى يضرب بسيفه ويشتم ويلعن فقال له هاشم يا هذا ان هذا الكلام بعده الخصام وان هذا القتال بعده الحساب فاتق الله فانه سائلك عن هذا الموقف وما أردت به قال فانى أقاتلكم لان صاحبكم لا يصلى وأنتم لا تصلون وان صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم ساعدتموه على قتله فقال له هاشم ما أنت وعثمان أقتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناء أصحابه وقراء الناس وهم أهل الدين والعلم وما أهملوا أمر هذا الدين طرفة عين وأما قولك ان صاحبنا لا يصلى فانه أول من صلى وأفقه خلق الله فى دين الله وأولى بالرسول صلى الله عليه وسلم وأما كل

من

تنبيه على غيره وللهند خطب طويل فى ظهور هذا النوع من الطيب فى هذه الجباه من الفيلة والفرق بينه وبين سائر أنواع الدواب مايظهر من الفيل من الجزع عند وروده المياه من الغدران والانهار للشرب اذا كان الماء صافيا فانه يثيره ويكدره ويمتنع من شربه حين صفائه وان ذلك يوجد فى أكثر الخيل اذا وردت الماء وكان صافيا ضربته بايديها فكدرته فتشرب حينئذ وتوافق الخيل الفيلة فى هذا المعنى دون سائر الحيوان وان ذلك لمشاهدة صورها فى الماء لصقالته وصفائه ولعلها بزوال ذلك عند كدره وان الابل الاغلب منها يفعل ذلك ولمعان غير ذلك مما وصفنا من أن ماعظم من الحيوان اذا رأى صورته منعكسة على صفاء الماء اعجبته لعظمها وحسنها ومابان له من حسن الهيئة عما دونه من أنواع الحيوان وليس شئ يفعل ذلك من الحيوان غير ماذكرنا من الخيل والابل وان الفيل مع عظم جسمه ولطافة نفسه وخفة روحه وحسن تمييزه والمعرفة بوليه وعدوه من الناطقين وغيرهم وقبوله

من ترى معى فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجدا فلا يغوينك هؤلاء الاشقياء فقال الفتى فهل لى من توبة قال نعم تب الى الله يتب عليك فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت فرجع الفتى فقال له أهل الشام خدعك العراقى فقال كلا ولكن نصح لى وقاتل هاشم وأصحابه قتالا شديدا حتى رأوا الظفر فاقبلت عليهم عند المغرب كتيبة لتنوخ فقاتلهم هاشم وهو يقول

أعور يبغى أهله محلا * لابد ان يفل او يفلا

قد عالج الحياة حتى ملا * يتلهم بذى الكعوب تلا

فقتل يومئذ تسعة أو عشرة وحمل عليه الحرث بن المنذر التنوخى فطعنه فسقط فارسل اليه على ان قدم لواءك فقال لرسوله انظر الى بطنى فاذا هو انشق فقال الحجاج بن غزية الانصارى

فان تفخروا بابنى بديل وهاشم * فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا

ونحن تركنا عند معترك القنا * أخاك عبيد الله لحما ملحبا

ونحن أحطنا بالبعير وأهله * ونحن سقيناكم سماما مقشبا

ومر على بكتيبة من أهل الشام فرآهم لا يزولون وهم غسان فقال ان هؤلاء لا يزولون الا بطعن وضرب يفلق الهام ويطيح العظام تسقط منه المعاصم والاكف وحتى يقرع جباههم بعمد الحديد أين أهل النصر والصبر طلاب الاجر فأتاه عصابة من المسلمين فدعا ابنه محمدا فقال له تقدم نحو هذه الراية مشيا رويدا على هينتك حتى اذا أشرعت فى صدورهم الرماح فأمسك حتى يأتيك أمرى ففعل وأعد لهم على مثلهم وسيرهم الى ابنه محمد وامره بقتالهم فحملوا عليهم فأزالوهم عن مواقفهم وأصابوا منهم رجالا ومر الاسود بن قيس المرادى بعبد الله بن كعب المرادى وهو صريع فقال عبد الله يا أسود قال لبيك وعرفه وقال له عز على لمصرعك ثم نزل اليه وقال له ان كان جارك ليأمن بوائقك وان كنت لمن الذاكرين الله كثيرا أوصنى رحمك الله فقال أوصيك بتقوى الله وان تناصح أمير المؤمنين وان تقاتل معه المحلين حتى تظهر أو تلحق بالله وأبلغه عنى السلام وقل له قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك فانه من أصبح غدا والمعركة خلف ظهره كان العالى ثم لم يلبث ان مات فأقبل الاسود الى على فاخبره فقال رحمه الله جاهد عدونا فى الحياة ونصح لنا فى الوفاة وقيل ان الذى أشار على أمير المؤمنين على بهذا عبد الرحمن بن الحنبل الجمحى قال فاقتتل الناس تلك الليلة كلها الى الصباح وهى ليلة الهرير فتطاعنوا حتى تقصفت الرماح وتراموا حتى نفد النبل وأخذوا السيوف وعلى يسير فيما بين الميمنة والميسرة ويأمر كل كتيبة ان تقدم على التى تليها فلم يزل يفعل ذلك حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره والاشتر فى الميمنة وابن عباس فى الميسرة وعلى فى القلب والناس يقتتلون من كل جانب وذلك يوم الجمعة واخذ الاشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها وكان قد تولاها عشية الخميس وليلة الجمعة الى ارتفاع الضحى ويقول لاصحابه ازحفوا قيد هذا الرمح ويزحف بهم نحو اهل الشام فاذا فعل ذلك بهم قال ازحفوا قيد هذا القوس فاذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى مل أكثر الناس الاقدام فلما رأى الاشتر ذلك قال اعيذكم بالله ان ترضعوا الغنم سائر اليوم ثم دعا بفرسه فركبه وترك رايته مع حيان بن هوذة النخعى وخرج يسير فى الكتائب ويقول من يشترى نفسه ويقاتل مع الاشتر يظهر أو يلحق بالله فاجتمع اليه ناس كثير فيهم حيان بن هوذة النخعى وغيره فرجع الى المكان الذى كان فيه وقال لهم شدوا شدة فدى لكم خالى وعمى ترضون بها الرب وتعزون بها الدين ثم نزل وضرب وجه دابته وقال لصاحب رايته اقدم بها وحمل على القوم وحملوا معه فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم الى

الرياضة تمتنع انثاه كما تمتنع النوق اذا القحت وليس شئ من الدواب يمتنع من السفاد من الاناث عند حملها الا الفيلة والابل وهذا باب ان نحن تقصيناه وذكرنا مافيه طال به الكتاب وخرج عن حد الاختصار والايجاز وقد أتينا على وصف جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وغيره من كتبنا فلنذكر الآن أنواعا من ولد يافث بن نوح اذ كنا قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كثيرا من ذكر الامم مع اختلاف ألوانهم وتباينهم فى ديارهم واختلافهم فى أحوالهم ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر الصقالبة ومساكنها واخبار ملوكها واجناسها ﴾

الصقالبة من ولد مادار بن يافث بن نوح واليه يرجع سائر اجناس الصقالبة وبه يلحقون فى أنسابهم هذا قول كثير من أهل الدراية ممن عنى بهذا الشان ومساكنهم بالجربى الى ان تتصل بالمغرب وهم اجناس مختلفة وبينهم حروب ولهم ملوك ومنهم من ينقاد الى دين النصرانية الى رأى اليعقوبية ومنهم من لا

عسكرهم ثم قاتلوه عند العسكر قتالا شديدا وقتل صاحب رايته ولما رأى على الظفر من ناحيته امسده بالرجال فقال عمرو بن العاص لوردان مولاه اتدرى مامثلى ومثلك ومثل الاشتر قال لا قال كالاشقران تقدم عقروان تأخرعقر لئن تاخرت لاضربن عنقك قال أما والله ياأبا عبد الله لاوردنك حياض الموت ضع يدك على عاتقى ثم جعل يتقدم ويتقدم ويقول لاوردنك حياض الموت واشتد القتال فلما رأى عمرو ان أمر أهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك قال لمعاوية هل لك فى امر أعرضه عليك لا يزيدنا الا اجتماعا ولا يزيدهم الا فرقة قال نعم قال نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها هذا حكم بيننا وبينكم فان أبى بعضهم ان يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغى لنا ان نقبل فتكون فرقة بينهم وان قبلوا مافيها رفعنا القتال عنا الى أجل فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا هذا حكم كتاب الله عزوجل بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهله من لثغور العراق بعد أهله فلما رآها الناس قالوا نجيب الى كتاب الله فقال لهم على عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم فان معاوية وعمرا وابن أبى معيط وحبيبا وابن أبى سرح والضحاك ليسوا باصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم اطفالا ثم رجالا فكانوا شر اطفال وشر رجال ويحكم والله مارفعوها الا خديعة ووهنا ومكيدة فقالوا لا يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنأبى ان نقبله فقال لهم على فانى انما أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب فانهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه فقال له مسعر بن فدكى التميمى وزيد بن حصين الطائى فى عصابة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك ياعلى أجب الى كتاب الله عزوجل اذ دعيت اليه والا دفعناك برمتك الى القوم أونفعل بك مافعلنا بابن عفان قال فاحفظوا عنى نهيى اياكم واحفظوا مقالتكم لى فان تطيعونى فقاتلوا وان تعصونى فاصنعوا مابدا لكم قالوا ابعث الى الاشتر فليأتك فبعث على يزيد بن هانى الى الاشتر يستدعيه فقال الاشتر ليست هذه الساعة التى ينبغى لك ان تزيلنى عن موقفى انى قد رجوت ان يفتح الله لى فرجع يزيد فاخبره وارتفعت الاصوات وارتفع الرهج من ناحية الاشتر فقالوا والله مانراك الا أمرته ان يقاتل فقال على هل رأيتمونى ساررته أليس كلمته على رؤسكم وأنتم تسمعون قالوا فابعث اليه فليأتك والا والله اعتزلناك فقال له ويلك يايزيد قل له أقبل الى فان الفتنة قد وقعت فابلغه ذلك فقال الاشتر ألرفع المصاحف قال نعم قال والله لقد ظننت انها ستوقع اختلافا وفرقة انها مشورة ابن العاهر ألا ترى الى الفتح ألا ترى مايلقون ألا ترى ماصنع الله لنا ان ينبغى ان أدع هؤلاء وانصرف عنهم فقال له يزيد أتحب أن تظفر وأمير المؤمنين يسلم الى عدوه أو يقتل قال لا والله سبحان الله فاعلمه بقولهم فاقبل اليهم الاشتر وقال ياأهل العراق ياأهل الذل والوهن احين علوتم القوم وظنوا انكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم الى مافيها وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها وسنة من أنزلت عليه فامهلونى فواقا فانى قد أحسست بالفتح قالوا لا قال امهلونى عدو الفرس فانى قد طمعت فى النصر قالوا اذن ندخل معك فى خطيئتك قال فخبرونى عنكم متى كنتم محقين أحين تقاتلون وخياركم يقتلون فانتم الآن اذا أمسكتم عن القتال مبطلون أم أنتم الآن محقون فقتلاكم الذين لاتنكرون فضلهم وهم خير منكم فى النار قالوا دعنا منك يااشتر قاتلناهم لله وندع قتالهم لله قال خدعتم وانخدعتم ودعيتم الى وضع الحرب فاجبتم ياأصحاب الجباه السود كنا نظن صلاتكم زهادة فى الدنيا وشوقا الى لقاء الله فلا أرى مرادكم الا الدنيا ألا قبحا ياأشباه النيب الجلالة ماأنتم برائين بعدها عزا أبدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبوه وسبهم وضربوا وجه

كتاب له ولا ينقاد الى شريعة وهم جاهلية لايعرفون شيأ من الشرائع وهؤلاء أجناس فنهم جنس كان الملك فيهم قديما فى صدر الزمان وكان ملكهم يدعى ماجل وهذا الجنس يدعى ولىناوكان يتلوهذا الجنس فى القديم سائر أجناس الصقالبة لكون الملك فيهم وانقياد سائر ملوكهم اليه ثم يتلوهذا الجنس من أجناس الصقالبة اصطبرانه وجنس يقال له دلاونه وملكهم فى هذا الوقت يدعى بصقلابج وملكهم يدعى وابج صلاف وجنس يقال لهم بامحيق وملكهم يدعى عرابه وهذا الجنس أشجع أجناس الصقالبة وأفرس وجنس يدعى ماين وملكهم يدعى ريبيرثم جنس عند الصقالبة مهيب لعلل يطول ذكرها وأوصاف يكثر شرحها وتفرقهم من ملة ينقادون اليها ثم جنس يقال له مرارة ثم جنس يقال له جروانى ثم جنس يقال له صاصيف ثم جنس يقال له حانين وما سميناه من أسماء بعض ملوك هذه الاجناس فهى معروفة لملكهم

دابته بسياطهم وضربوا وجوه دوابهم بسوطه فصاح بهم على فكفوا وقال الناس قد قبلنا ان نجعل القرآن بيننا وبينهم حكما فجاء الاشعث بن قيس الى على فقال أرى الناس قد رضوا بما دعوهم اليه من حكم القرآن فان شئت أتيت معاوية فسألته مايريد قال ائته فاتاه فقال لمعاوية لاى شئ رفعتم هذه المصاحف قال لنرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله به فى كتابه تبعثون رجلا ترضون به ونبعث نحن رجلا نرضى به نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه قال له الاشعث هذا الحق فعاد الى على فاخبره فقال الناس قد رضينا وقبلنا فقال أهل الشام قد رضينا عمرا وقال الاشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج انا قد رضينا بأبى موسى الاشعرى فقال على قد عصيتمونى فى أول الامر فلا تعصونى الآن لا أرى ان أولى أباموسى فقال الاشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكى لا نرضى الا به فانه قد حذرنا ماوقعنا فيه قال على فانه ليس بثقة قد فارقنى وخذل الناس عنى ثم هرب منى حتى امنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك قالوا والله لانبالى أنت كنت أم ابن عباس لانريد الا رجلا هو منك ومن معاوية سواء قال على فانى أجعل الاشتر قالوا وهل سعر الارض غير الاشتر فقال قد أبيتم الا أباموسى قالوا نعم قال فاصنعوا ماأردتم فبعثوا اليه وقد اعتزل القتال وهو بعرض فاتاه مولى له فقال ان الناس قد اصطلحوا فقال الحمد لله قال قد جعلوك حكما قال انا لله وانا اليه راجعون وجاء أبوموسى حتى دخل العسكر وجاء الاشتر عليا فقال ألزنى بعمرو بن العاص فوالله لئن ملأت عينى منه لاقتلنه وجاء الاحنف بن قيس فقال ياأمير المؤمنين انك قد رميت بحجر الارض وانى قد عجمت أباموسى وحلبت اشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر وانه لا يصلح لهؤلاء القوم الا رجل يدنو منهم حتى يصير فى أكفهم ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم فان أبيت أن تجعلنى حكما فاجعلنى ثانيا أو ثالثا فانه لم يعقد عقدة الا حللتها ولا يحل عقدة أعقدها الا عقدت أخرى أحكم منها فابى الناس الا أباموسى والرضا بالكتاب فقال الاحنف ان أبيتم الا أباموسى فادفئوا ظهره بالرجال وحضر عمرو بن العاص عند على ليكتب القضية بحضوره فكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماتقاضى عليه أمير المؤمنين فقال عمرو هو أميركم وأما أميرنا فلا فقال الاحنف لاتمح اسم أمير المؤمنين فانى أخاف ان محوتها ان لاترجع اليك أبدا لاتمحها وان قتل الناس بعضهم بعضا فابى ذلك على مليا من النهار ثم ان الاشعث بن قيس قال امح هذا الاسم فمحاه فقال على الله أكبر سنة بسنة والله انى لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية فكتب محمد رسول الله وقالوا لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فامرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحوه فقلت لاأستطيع فقال ارنيه فاريته فمحاه بيده وقال انك ستدعى الى مثلها فتجيب فقال عمرو سبحان الله أنشبه بالكفار ونحن مؤمنون فقال على يابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليا وللمؤمنين عدوا فقال عمرو والله لا يجمع بينى وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبدا فقال على انى لارجو أن يطهر الله مجلسى منك ومن اشباهك وكتب الكتاب هذا ماتقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان قاضى على على أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم اننا ننزل عند حكم الله وكتابه وان لايجمع بيننا غيره وان كتاب الله بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيى ماأحيا ونميت ماأمات فما وجد الحكمان فى كتاب الله وهما أبوموسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به ومالم يجداه فى كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ الحكمان من على ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق انهما آمنان على انفسهما وأهلهما والامة لهما

والجنس الذى سميناه المعروف بسربيق يحرقون أنفسهم بالنار اذا مات فيهم الملك الرئيس ويحرقون دوابهم ولهم أفعال مثل أفعال الهند وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب طرفا من ذكرهم عند ذكرنا لجبل القبخ والخزر وأن فى بلاد الخزر مع الخزر خلقا من الصقالبة والروس وانهم يحرقون أنفسهم بالنيران وهذا الجنس من الصقالبة وغيرهم متصلون بالشرق ويبعدون من الغرب فالاول من ملوك الصقالبة ملك الدير وله مدن واسعة وعمائر كثيرة وتجار المسلمين يقصدون دار ملكه بانواع التجارات ثم يلى هذا الملك من ملوك الصقالبة ملك الافرغ وله مدن وعمائر كثيرة وجيوش واسعة وعدد كثير ويحارب الروم والافرغ والنوكبرد وغيرهؤلاء من الامم والحرب بينهم سجال ثم يلى هذا الملك من بلاد الصقالبة ملك الترك وهذا الجنس أحسن الصقالبة صورة وأكثرهم عددا واشدهم بأسا والصقالبة اجناس كثيرة وانواع واسعة لاياتى كتابنا هذا على وصف اجناسهم وتفريع انواعهم وقد قدمنا الاخبار عن الملك الذى كان ينقاد

انصار على الذى يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ان يحكما بين هذه الامة لا يردانها فى حرب ولا فرقة حتى يعصيا وأجل القضاء الى رمضان وان أحبا ان يؤخرا ذلك أخراه وان مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام وشهد الاشعث ابن قيس وسعيد بن قيس الهمدانى وورقاء بن سمى البجلى وعبد الله بن محل العجلى وحجر بن عدى الكندى وعبد الله بن الطفيل العامرى وعقبة بن زياد الحضرمى ويزيد بن حجية التميمى ومالك ابن كعب الهمدانى ومن أصحاب معاوية ابو الاعور السلمى وحبيب بن مسلمة وزمل بن عمرو العذرى وحمزة بن مالك الهمدانى وعبد الرحمن بن خالد المخزومى وسبيع بن يزيد الانصارى وعتبة بن أبى سفيان ويزيد بن الحر العبسى وقيل للاشتر ليكتب فيها فقال لا صحبتنى يمينى ولا نفعتنى بعدها شمالى ان خط لى فى هذه الصحيفة ولست على بينة من ربى من ضلال عدوى أولستم قد رأيتم الظفر فقال له الاشعث والله ما رأيت ظفرا هلم الينا لا رغبة بك عنا فقال بلى والله الرغبة عنك فى الدنيا للدنيا وفى الآخرة للآخرة لقد سفك الله بسيفى دماء رجال ما انت خير عندى منهم ولا احرم دما قال فكأنما قصع الله على انف الاشعث الحمم وخرج الاشعث بالكتاب يقرؤه على الناس حتى مر على طائفة من بنى تميم فيهم عروة بن ادية اخو أبى بلال فقرأه عليهم فقال عروة تحكمون فى أمر الله الرجال لا حكم الا لله ثم شد بسيفه فضرب به عجز دابة الاشعث ضربة خفيفة واندفعت الدابة وصاح به اصحاب الاشعث فرجع وغضب للاشعث قومه وناس كثير من اهل اليمن فمشى اليه الاحنف بن قيس ومسعر بن فدكى وناس من تميم فاعتذر واقبل وشكر وكتب الكتاب يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على ان يوافى اميرالمؤمنين على موضع الحكمين بدومة الجندل أو باذرح فى شهر رمضان وقيل لعلى ان الاشتر لا يقر بما فى الصحيفة ولا يرى الا قتال القوم فقال على وانا والله ما رضيت ولا احببت ان ترضوا فاذا أبيتم الا ان ترضوا فقد رضيت واذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الاقرار الا ان يعصى الله ويتعدى كتابه فقاتلوا من ترك أمر الله واما الذى ذكرتم من تركه أمرى وما انا عليه فليس من أولئك فلست اخاف على ذلك ياليت فيكم مثله اثنين ياليت فيكم مثله واحدا يرى فى عدوى ما ارى اذا لخفت على مؤنتكم ورجوت ان يستقيم لى بعض أودكم وقد نهيتكم فعصيتمونى فكنت أنا وأنتم كما قال اخو هوازن

وهل أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

والله لقد فعلتم فعلة ضعضعت قوة واسقطت منة واورثت وهنا وذلة ولما كنتم الاعلين وخاف عدوكم الاجتياح واستحر بهم القتل ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف فدعوكم الى ما فيها ليفثؤكم عنهم ويقطعوا الحرب ويتربصوا بكم المنون خديعة ومكيدة فاعطيتموهم ما سألوا وأبيتم الا ان تدهنوا وتجيزوا وايم الله ما أظنكم بعدها توفقون الرشد ولا تصيبون باب الحزم ثم رجع الناس عن صفين فلما رجع على خالفت الحرورية وخرجت وكان ذلك أول ما ظهرت وانكرت تحكيم الرجال ورجعوا على غير الطريق الذى اقبلوا فيه أخذوا على طريق البر وعادوا وهم أعداء متباغضون وقد فشا فيهم التحكيم يقطعون الطريق بالتشاتم والتضارب بالسياط يقول الخوارج يا أعداء الله ادهنتم فى امر الله ويقول الاخرون فارقتم امامنا وفرقتم جماعتنا وساروا حتى جازوا النخيلة ورأوا بيوت الكوفة فاذا بشيخ فى ظل بيت عليه أثر المرض فسلم عليه أمير المؤمنين فرد ردا حسنا فقال له على ارى وجهك متغيرا من مرض قال نعم قال لعلك كرهته قال ما

اليه ملوكهم فى قديم الزمان وهو ماجل واينانا وهذا الجنس أصل من أصول الصقالبة معظم فى اجناسهم وله قدم فيهم ثم اختلفت الكلمة بين اجناسهم فزال نظامهم وتحزبت اجناسهم وملك كل جنس منهم ملكا على حسب ما ذكرنا من ملوكهم لامور يطول ذكرها وقد اتينا على جمل من شرحها وكثير من مبسوطها فى كتابنا اخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة

ذكر الافرنجة والجلالقة وملوكهم

الافرنجة والصقالبة والنوكبرد والاسبان ويأجوج ومأجوج والترك والخزر وبرجان واللان والجلالقة وغير من ذكرنا ممن حل الجرا وهو الشمال لا خلاف بين اهل البحث والنظر من الشرعيين ان جميع من ذكرنا من هؤلاء الامم من ولد يافث ابن نوح فالافرنجة اشد هؤلاء الاجناس باسا وأمنعهم هيبة وأكثرهم عدة وأوسعهم ملكا وأكثرهم مدنا واحسنهم نظاما وانقيادا لملوكهم واكثرهم طاعة الا ان الجلالقة اشد من الافرنجة

احب أنه بغيرى فقال أليس احتسابا للخير فيما اصابك قال بلى قال فابشر برحمة ربك وغفران ذنبك من أنت يا عبد الله قال صالح بن سليم قال ممن أنت قال أما الاصل فمن سلامان طيئ وأما الدعوة والجوار ففى سليم بن منصور فقال سبحان الله ما أحسن اسمك واسم أبيك ومن اعتزيت اليه واسم ادعائك هل شهدت معنا غزاتنا هذه قال لا والله ولقد أردتها ولكن ما ترى من أثر الحمى منعنى عنها فقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية خبرنى ما يقول الناس فيما كان بيننا وبين اهل الشام قال فيهم المسرور وهم أغشاء الناس وفيهم المكبوت الآسف بما كان بينك وبينهم وأولئك نصحاء الناس لك قال صدقت جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيآتك فان المرض لا أجر فيه ولكن لا يدع على العبد ذنبا الا حطه وانما الاجر فى القول باللسان والعمل باليد والرجل وان الله عز وجل ليدخل بصدق النية والسريرة الصالحة عالما من عباده الجنة ثم مضى غير بعيد فلقيه عبد الله بن وديعة الانصارى فدنا منه وسلم عليه وسايره فقال له ما سمعت الناس يقولون فى أمرنا قال منهم المعجب به ومنهم الكاره له قال فما قول ذوى الرأى قال يقولون ان عليا كان له جمع عظيم ففرقه وكان له حصن حصين فهدمه فحتى يبنى ما هدم ويجمع ما فرق ولو كان مضى بمن اطاعه اذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك كان ذلك الحزم قال على انا هدمت ام هم هدموا أنا فرقت ام هم فرقوا اما قولهم لو كان مضى بمن اطاعه فقاتل حتى يظفر أو يهلك فوالله ما خفى هذا عنى وان كنت لسخيا بنفسى عن الدنيا طيب النفس بالموت ولقد هممت بالاقدام على القوم فنظرت الى هذين قد ابتدرانى يعنى الحسن والحسين ونظرت الى هذين قد استقدمانى يعنى عبد الله بن جعفر ومحمد بن على فعلمت ان هذين ان هلكا انقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الامة وكرهت ذلك واشفقت على هذين ان يهلكا وايم الله لئن لقيتهم بعد يومى هذا لالقينهم وليسوا معى فى عسكر ولا دار ثم مضى واذا على يمينه قبور سبعة أو ثمانية فقال على ما هذه فقيل يا امير المؤمنين ان خباب بن الارت توفى بعد مخرجك وأوصى بأن يدفن فى الظهر وكان الناس انما يدفنون فى دورهم وافنيتهم وكان أول من دفن بظاهر الكوفة ودفن الناس الى جنبه فقال على رحم الله خبابا فقد أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى فى جسمه احوالا ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا ووقف عليها وقال السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضى عن الله عز وجل ثم اقبل حتى حاذى سكة الثوريين فسمع البكاء فقال ما هذه الاصوات فقيل البكاء على قتلى صفين فقال أما انى اشهد لمن قتل منهم صابرا محتسبا بالشهادة ثم مر بالفائشيين فسمع مثل ذلك ثم مر بالشباميين فسمع رجة شديدة فوقف فخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامى فقال له على ايغلبكم نساؤكم الا تنهونهن عن هذا الرنين قال يا امير المؤمنين لو كانت دارا أو دارين او ثلاثا قدرنا على ذلك ولكن قتل من هذا الحى ثمانون ومائة قتيل فليس دار الا وفيها البكاء فأما نحن معشر الرجال فانا لا نبكى ولكنا نفرح بالشهادة قال على رحم الله قتلاكم وموتاكم فاقبل يمشى معه وعلى راكب فقال له على ارجع ووقف ثم قال له ارجع فان مشى مثلك مع مثلى فتنة للوالى ومذلة للمؤمن ثم مضى حتى مر بالناعطيين وكان جلهم عثمانية فسمع بعضهم يقول والله ما صنع على شيأ ذهب ثم انصرف فى غير شئ فلما رأوه أبلسوا فقال على لاصحابه وجوه قوم ما رأوا الشام ثم قال لاصحابه من فارقناهم آنفا خير من هؤلاء ثم قال

باسا واعظم منهم نكاية والرجل من الجلالقة يقاوم عدة من الافرنجة وكلمة الافرنجة متفقة على ملك واحد لا تنازع بينهم فى ذلك ولا تحزب واسم دار مملكتهم فى وقتنا هذا نويره وهى مدينة عظيمة ولهم من المدن نحو خمسين ومائة مدينة غير العمائر والكور وكان اوائل بلاد الافرنجة قبل ظهور الاسلام فى البحر جزيرة رودس وهى الجزيرة التى ذكرنا أنها مقابلة للاسكندرية وان فيها دار صناعة المراكب فى وقتنا هذا للروم ثم جزيرة اقريطس وقد كانت للافرنجة أيضا ففتحها المسلمون ونزلوها الى هذه الغاية وكانت بلاد افريقية وجزيرة صقلية للافرنجة ايضا وقد أتينا على اخبار هذه الجزائر وخبر الجزيرة المعروفة بالبركان وهى الاطمة التى يخرج منها اجسام من النار كاجساد الناس بلا رؤس فتعلو فى الهواء بالليل ثم تسقط فى البحر فتطفو على الماء وهى الحجارة التى يحك بها الكتابة من الدفاتر وهى خفاف بيض على هيئة الشهد وأكوار الزنابير الصغار وهى الاطمة المعروفة

أخوك الذى ان احرضتك ملمة * من الدهر لم يبرح لبثك واجما
وليس أخوك بالذى ان تشعبت * عليك الامور ظل يلحاك لائما

ثم مضى فلم يزل يذكر الله حتى دخل القصر فلما دخل الكوفة لم يدخل الخوارج معه فأتوا حروراء فنزلوا بها وقتل أويس القرنى بصفين وقيل بل مات بدمشق وقيل بارمينية وقيل بسجستان وفيها قتل جندب بن زهير الازدى وهو من الصحابة مع على وقتل بصفين ايضا حابس بن سعد الطائى مع معاوية وهو خال يزيد بن عدى بن حاتم فقتل يزيد قاتله غدرا فأراد عدى اسلامه الى أولياء المقتول فهرب الى معاوية وممن شهد صفين مع على خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ولم يقاتل فلما قتل عمار بن ياسر جرد سيفه وقاتل حتى قتل وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية وقتل مع على سهيل بن عمرو بن أبى عمر الانصارى وهو بدرى وممن شهد وقتل فيها مع على من المهاجر بن خالد بن الوليد وله صحبة (شريح بن هانى بضم الشين وآخره حاء مهملة الهمدانى بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة نسبة الى همدان قبيلة كبيرة من اليمن حمرة بن مالك بضم الحاء المهملة وسكون الميم وآخره راء حضين بن المنذر بضم الحاء المهملة وفتح الضاد المعجمة يريم بفتح الياء تحتها نقطتان وكسر الراء وسكون الياء الثانية وآخره ميم بديل بن ورقاء بضم الباء الموحدة وفتح الدال المهملة حازم بن ابى حازم بالحاء المهملة حبة بن جوين بفتح الحاء المهملة والباء المشددة الموحدة والعرنى بضم العين المهملة وفتح الراء وآخره نون)

﴿ ذكر استعمال جعدة بن هبيرة على خراسان ﴾

وفى هذه السنة بعث على جعدة بن هبيرة المخزومى الى خراسان بعد عوده من صفين فانتهى الى نيسابور وقد كفروا وامتنعوا فرجع الى على فبعث خليد بن قرة اليربوعى فحاصر أهلها حتى صالحوه وصالحه اهل مرو

﴿ ذكر اعتزال الخوارج عليا ورجوعهم اليه ﴾

ولما رجع على من صفين فارقه الخوارج وأتوا حروراء فنزل بها منهم اثنا عشر ألفا ونادى مناديهم ان امير القتال شبث بن ربعى التميمى وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا اليشكرى والامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فلما سمع على ذلك وأصحابه قامت الشيعة فقالوا له فى أعناقنا بيعة ثانية نحن أولياء من واليت واعداء من عاديت فقالت الخوارج استبقتم أنتم وأهل الشام الى الكفر كفرسى رهان بايع أهل الشام معاوية على ما احبوا وكرهوا وبايعتم أنتم عليا على انكم اولياء من والى واعداء من عادى فقال لهم زياد بن النضر والله ما بسط على يده فبايعناه قط الا على كتاب الله وسنة نبيه ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا له نحن اولياء من واليت واعداء من عاديت ونحن كذلك وهو على الحق والهدى ومن خالفه ضال مضل وبعث على عبد الله بن عباس الى الخوارج وقال لا تعجل الى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك فخرج اليهم فاقبلوا يكلمونه فلم يصبر حتى راجعهم فقال ما نقمتم من الحكمين وقد قال تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فكيف بامة محمد صلى الله عليه وسلم فقالت الخوارج أما ما جعل الله حكمه الى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو اليهم وما حكم فامضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه حكم فى الزانى مائة جلدة وفى السارق القطع فليس للعباد ان ينظروا فى هذا قال ابن عباس فان الله تعالى يقول يحكم به ذوا عدل منكم فقالوا أو تجعل الحكم فى الصيد والحرث و بين المرأة وزوجها كالحكم فى دماء المسلمين وقالوا له أعدل عندك

بأطمة صقلية وفيها هلك مرقونوس الحكيم الذى صنف كتاب ايساغوجى وهو المدخل الى علم المنطق وهذا الكتاب بهذا الرجل يعرف وكذلك أتينا على ذكر سائر آطام الارض كأطمة وادى برهوت من بلاد حضرموت وبلاد الشحر وأطمة بلاد الزنج من بحر الصين وأطمة بلاد أسك وهى ما بين بلاد فارس وهذه النار ترى بالليل من نحو عشرين فرسخا وهى مشهورة بأرض الاسلام وتفسير أطمة هى عين النار التى تعرض من الارض ولم نتعرض فى هذا الكتاب لذكر الخاصة الكبريتية والزاجية ولا الحمامات التى تظهر من مائها النار كالخاصة التى ببلاد ماسبذان من أرض اذربيجان والنهروان والصيمرة وهذه الخاصة فى قرية من قرى اذربيجان يقال لها القومان وهى أطمة تظهر من وسط مائها النار وهى اطمة عجيبة تمنع ورود الماء عن اطفائها وتدفعه بشدة قوتها وسلطان لهبها وهى احدى عجائب العالم اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وقد أتينا على منافع أنواع المياه بجوامع ذكرناها

عمرو بن العاص وهو بالامس يقاتلنا فان كان عدلا فلسنا بعدول وقد حكمتم فى أمر الله الرجال وقد أمضى الله حكمه فى معاوية وأصحابه ان يقتلوا او يرجعوا وقد كتبتم بينكم وبينهم كتابا وجعلتم بينكم الموادعة وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب مذ نزلت براءة الا من أقر بالجزية وبعث على زياد بن النضر فقال انظر بأى رؤسهم أشد اطاعة فاخبره بأنه لم يرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس فخرج على فى الناس حتى دخل اليهم فأتى فسطاط يزيد بن قيس فدخله فصلى ركعتين وأمره على أصبهان والرى ثم خرج حتى انتهى اليهم وهم يخاصمون ابن عباس فقال ألم أنهك عن كلامهم ثم تكلم فقال اللهم هذا مقام من يفلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة ثم قال لهم من زعيمكم قالوا ابن الكوا قال فما أخرجكم علينا قالوا حكومتك يوم صفين قال أنشدكم الله أتعلمون انهم حيث رفعوا المصاحف وقلتم نجيبهم قلت لكم انى أعلم بالقوم منكم انهم ليسوا بأصحاب دين وذكر ما كان قاله لهم ثم قال لهم قد اشترطت على الحكمين ان يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فان حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف وان أبيا فنحن عن حكمهما براء قالوا فخبرنا أتراه عدلا تحكيم الرجال فى الدماء فقال انا لسنا حكمنا الرجال انما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق انما يتكلم به الرجال قالوا فخبرنا عن الاجل لم جعلته بينكم قال ليعلم الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله يصلح فى هذه الهدنة هذه الامة ادخلوا مصركم رحمكم الله فدخلوا من عند آخرهم وقيل والخوارج يزعمون انهم قالوا له صدقت قد كنا كما ذكرت وكان ذلك كفرا منا وقد تبنا الى الله فتب كما تبنا نبايعك والا فنحن مخالفون فبايعنا على وقال ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى يجبى المال ويسمن الكراع ثم نخرج الى عدونا وقد كذب الخوارج فيما زعموا

﴿ ذكر اجتماع الحكمين ﴾

ولما جاء وقت اجتماع الحكمين أرسل على أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثى وأوصاه أن يقول لعمرو بن العاص ان عليا يقول لك ان أفضل الناس عند الله عز وجل من كان العمل بالحق أحب اليه وان نقصه من الباطل وان زاده يا عمرو والله انك لتعلم أين موضع الحق فلم تتجاهل ان أوتيت طمعا يسيرا كنت لله به ولاوليائه عدوا وكان والله ما أوتيت قد زال عنك ويحك فلا تكن للخائنين خصيما ولا للظالمين ظهيرا أما انى اعلم بيومك الذى أنت فيه نادم وهو يوم وفاتك تتمنى انك لم تظهر لمسلم عداوة ولم تأخذ على حكم رشوة فلما بلغه تغير وجهه ثم قال متى كنت أقبل مشورة على أو أنتهى الى أمره أو أعتد برأيه فقال له وما يمنعك يا ابن النابغة ان تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم مشورته فقد كان من هو خير منك ابو بكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه فقال له ان مثلى لا يكلم مثلك فقال شريح بأى أبويك ترغب عنى يا ابن النابغة أبأبيك الوسط ام بأمك النابغة فقام عنه وارسل على ايضا معهم عبد الله بن عباس ليصلى بهم ويلى أمورهم ومعهم ابو موسى الاشعرى وارسل معاوية عمرو بن العاص فى أربعمائة من اهل الشام حتى توافوا من دومة الجندل بأذرح وكان عمرو اذا اتاه كتاب من معاوية لا يدرى بما جاء فيه ولا يسأله أهل الشام عن شىء وكان أهل العراق يسألون ابن عباس عن كتاب يصله من على فان كتمهم ظنوا به الظنون وقالوا أتراه كتب بكذا وكذا فقال لهم ابن عباس اما تعقلون أما ترون رسول معاوية يجىء لا يعلم أحد بما جاء به ولا يسمع لهم صياح وأنتم عندى كل يوم تظنون فى الظنون وحضر معهم ابن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وابن الزبير وعبد

ولم نلوح بها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الواحات من بلاد مصر وان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما تقدم من كتبنا

﴿ ذكر النوبرد وملوكها ﴾

قد تقدم ذكرنا للنوبرد وانهم من ولد يافث بن نوح وبلادهم متصلة بالمغرب ومحاذيهم بالجر اولهم جزائر كثيرة فيها امم من الناس وهم ذوو بأس شديد ومنعة ولهم مدن كثيرة يجمعهم ملك واحد واسماء ملوكهم فى سائر الاعصار أركيس والمدينة العظمى من مدنهم ودار مملكتهم هى تبنى يخترقها نهر عظيم وهى جانبان وهذا النهر احد انهار العالم الموصوفة بالكبر والعجائب يقال لها سانيط قد ذكره جماعة ممن عنى بهذا المعنى ممن تقدم وكان المسلمون ممن جاورهم من بلاد الاندلس والمغرب غلبوهم على مدن كثيرة من مدنهم مثل مدينة تارة طاريتو (قال المسعودى) وجدت فى كتاب وقع الى الفسطاط بمصر سنة ست وثلاثين وثلثمائة اهداه عرمار الاسقف بمدينة زهرة من مدن الافرنجة فى سنة ثمان وعشرين

الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهرى وأبو جهم بن حذيفة العدوى والمغيرة بن شعبة وكان سعد بن أبى وقاص على ماء لبنى سليم بالبادية فأتاه ابنه عمر فقال له ان أبا موسى وعمرا قد شهدهما نفر من قريش فاحضر معهم فانك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الشورى ولم تدخل فى شئ كرهته هذه الامة وأنت أحق الناس بالخلافة فلم يفعل وقيل بل حضرهم سعد وندم على حضوره فأحرم بعمرة من بيت المقدس وقال المغيرة بن شعبة لرجال من قريش أترون أحدا يستطيع ان يأتى برأى يعلم به أيجتمع الحكمان أم لا فقالوا لا فقال انى اعلمه منهما فدخل على عمرو بن العاص فقال كيف ترانا معشر من اعتزل الحرب فانا قد شككنا فى الامر الذى استبان لكم فيها فقال له عمرو أراكم خلف الابرار أمام الفجار فانصرف المغيرة الى أبى موسى فقال له مثل قوله لعمرو فقال له أبو موسى أراكم أثبت الناس رأيا فيكم بقية الناس فعاد المغيرة الى أصحابه وقال لهم لا يجتمع هذان على أمر واحد فلما اجتمع الحكمان قال عمرو يا أبا موسى ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوما قال اشهد قال ألست تعلم ان معاوية وآل معاوية أولياؤه قال بلى قال فما يمنعك منه وبيته فى قريش كما قد علمت فان خفت ان يقول الناس ليست له سابقة فقل وجدته ولى عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السياسة والتدبير وهو أخو أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبه وقد صحبه وعرض له بسلطان فقال أبو موسى يا عمرو اتق الله فاما ما ذكرت من شرف معاوية فان هذا ليس على الشرف تولاه أهله ولو كان على الشرف لكان لآل ابرهة بن الصباح انما هو لاهل الدين والفضل مع أنى لو كنت معطيه أفضل قريش شرفا أعطيته على بن أبى طالب واما قولك ان معاوية ولى دم عثمان فوله هذا الامر فلم أكن لاوليه وأدع المهاجرين الاولين وأما تعريضك لى بالسلطان فوالله لو خرج معاوية لى من سلطانه كله لما وليته وما كنت لارتشى فى حكم الله ولكنك ان شئت أن تحيى اسم عمر بن الخطاب رحمه الله قال له عمرو فما يمنعك من ابنى وأنت تعلم فضله وصلاحه فقال ان ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته فى هذه الفتنة فقال عمرو ان هذا الامر لا يصلح الا لرجل يأكل ويطعم وكانت فى ابن عمر غفلة فقال له ابن الزبير افطن فانتبه فقال والله لا أرشو عليها شيأ أبدا وقال يا ابن العاص ان العرب قد أسندت اليك أمرها بعد ما تقارعوا بالسيوف فلا تردنهم فى فتنة وكان عمرو قد عود أبا موسى ان يقدمه فى الكلام يقول له أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسن منى فتكلم وتعود ذلك أبو موسى وأراد عمرو بذلك كله ان يقدمه فى خلع على فلما أراده عمرو على ابنه أو على معاوية فأبى وأراد أبو موسى ابن عمر فأبى عمرو وقال له عمرو خبرنى ما رأيك قال أرى ان نخلع هذين الرجلين ونجعل الامر شورى فيختار المسلمون لانفسهم من احبوا فقال عمرو الرأى ما رأيت فاقبلا الى الناس وهم مجتمعون فقال عمرو يا أبا موسى اعلمهم ان رأينا قد اتفق فتكلم أبو موسى فقال ان رأينا قد اتفق على أمر نرجو ان يصلح الله به أمر هذه الامة فقال عمرو صدق وبر تقدم يا أبا موسى فتكلم فتقدم أبو موسى فقال له ابن عباس ويحك والله انى لاظنه قد خدعك ان كنتما اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلم به قبلك ثم تكلم به بعده فانه رجل غادر ولا آمن ان يكون قد أعطاك الرضا بينكما فاذا قمت فى الناس خالفك وكان أبو موسى مغفلا فقال انا قد اتفقنا وقال أيها الناس انا قد نظرنا فى أمر هذه الامة فلم نر اصلح لامرها ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيى ورأى عمرو عليه وهو ان نخلع عليا ومعاوية ويولى الناس أمرهم من أحبوا وانى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا

وثلثمائة الى الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ولى عهد أبيه عبد الرحمن صاحب الاندلس فى هذا الوقت فى عهده يا أمير المؤمنين ان اول ملوك افرنجة قلوزويه وكان مجوسيا فتنصر هو وابنه لذريق وابنه دفشرت ثم ولى بعده ابنه لذريق ثم ولى بعده قرلمان بن دفشرت ثم ولى بعده ابنه تنين ثم ولى بعده نازلة بن تنين وكانت ولايته ستا وعشرين سنة وكان فى أيام الحكم صاحب الاندلس وقد تواقع اولاده ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت الافرنجة بسببهم وصار لذريق بن نازلة صاحب ملكهم فملك ثمانيا وعشرين سنة وستة اشهر وهو الذى اقبل الى طرطوسة فحاصرها ثم ولى بعده ابنه نازلة وهو الذى تهادى مع محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان محمد يخاطب بالامام وكانت ولايته تسعا وثلاثين سنة وستة اشهر

أمركم وولوا عليكم من رأيتموه أهلا ثم تنحى وأقبل عمرو فقام وقال ان هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه وانا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبى معاوية فانه ولى ابن عفان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه فقال سعد ما أضعفك يا أبا موسى عن عمرو ومكايده فقال أبو موسى فما أصنع وافقنى على أمر ثم نزع عنه فقال ابن عباس لا ذنب لك يا أبا موسى الذنب لمن قدمك فى هذا المقام قال غدر فما أصنع فقال ابن عمر انظر والى ما صار أمر هذه الامة صار الى رجل ما يبالى ما صنع والى آخر ضعيف وقال عبد الرحمن بن أبى بكر لو مات الاشعرى قبل هذا اليوم لكان خيرا له وقال أبو موسى الاشعرى لعمرو لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال عمرو ان مثلك مثل الحمار يحمل اسفارا فحمل شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسوط وحمل ابن لعمرو على شريح فضربه بالسوط أيضا وحجز الناس بينهم وكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شئ ندامتى على ضرب عمرو بالسوط ولم أضربه بالسيف والتمس أهل الشام أبا موسى فهرب الى مكة ثم انصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ورجع ابن عباس وشريح الى على وكان على اذا صلى الغداة يقنت فيقول اللهم العن معاوية وعمرا وأبا الاعور وحبيبا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد فبلغ ذلك معاوية فكان اذا قنت سب عليا وابن عباس والحسن والحسين والاشتر وقد قيل ان معاوية حضر الحكمين وانه قام عشية فى الناس فقال أما بعد من كان متكلما فى هذا الامر فليطلع لنا قرنه قال ابن عمر فاطلقت حبوتى فاردت ان أقول يتكلم فيه رجال قاتلوك وأباك على الاسلام فخشيت ان أقول كلمة تفرق الجماعة ويسفك فيها دم وكان ما وعد الله فيه الجنان أحب الى من ذلك فلما انصرفت الى المنزل جاءنى حبيب بن مسلمة فقال ما منعك ان تتكلم حين سمعت هذا الرجل يتكلم قلت أردت ذلك ثم خشيت فقال حبيب وفقت وعصمت وهذا أصح لانه ورد فى الصحيح

﴿ذكر خبر الخوارج عند توجيه الحكمين وخبر يوم النهر﴾

لما أراد على ان يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج زرعة بن البرج الطائى وحرقوص بن زهير السعدى فقالا له لا حكم الا لله فقال على لا حكم الا لله وقال حرقوص بن زهير تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا فقال على قد اردتكم على ذلك فعصيتمونى وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتابا وشرطنا شروطا واعطينا عليها عهودا وقد قال الله تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم فقال حرقوص ذلك ذنب ينبغى ان تتوب عنه فقال على ما هو ذنب ولكنه عجز عن الرأى وقد نهيتكم فقال زرعة يا على لئن لم تدع تحكيم الرجال لاقاتلنك أطلب وجه الله تعالى فقال على بؤسا لك ما أشقاك كأنى بك قتيلا تسفى عليك الرياح قال وددت لو كان ذلك فخرجا من عنده يحكمان وخطب على ذات يوم فحكمت المحكمة فى جوانب المسجد فقال على الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل ان سكتوا غممناهم وان تكلموا حججناهم وان خرجوا علينا قاتلناهم فوثب يزيد بن عاصم المحاربى فقال الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغن عنه اللهم انا نعوذ بك من اعطاء الدنية فى ديننا فان أعطاء الدنية فى الدين ادهان فى أمر الله وذل راجع باهله الى سخط الله يا على أبا القتل تخوفنا أما والله انى لارجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات ثم لتعلم أينا أولى بها صليا ثم خرج هو واخوة له ثلاثة فاصيبوا مع الخوارج بالنهر وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة ثم خطب على يوما آخر فقام رجل فقال لا حكم الا لله ثم توالى عدة رجال يحكمون فقال على

ثم ولى بعده ابنه لذريق ستة أعوام ثم وثب عليه قائد الافرنجة المسمى برشة وملك افرنجة فاقام فى ملكهم ثمان سنين وهو الذى صالح المجوس عن بلده سبع سنين بستمائة رطل ذهب وستمائة رطل فضة يؤديها صاحب الافرنجة اليه ثم ولى بعده نازلة بن بغريرة أربع سنين ثم ملك بعد نازلة اخوه ومكث احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ثم ولى بعده لذريق بن نازلة وهو ملك افرنجة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة واستوت مملكته عشر سنين الى هذا التاريخ على حسب ما نمى الينا من خبره (قال المسعودى) وأشد ما على الاندلس من الامم المحاربة لهم الجلالقة كما أن الافرنجة حرب لهم غير أن الجلالقة أشد بأسا وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الاندلس فى هذا الوقت وزير من ولد أمية يقال له أحمد بن اسحق فقبض عليه عبد الرحمن لامر كان منه استحق عليه فى الشريعة العقوبة فقتله عبد الرحمن وكان للوزير أخ يقال له أمية فى مدينة من ثغور الاندلس يقال لها شنتبرين فلما نمى اليه ما فعل بأخيه عصى على عبد الرحمن

لله أكبر كلمة حق أريد بها باطل أما ان لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نقاتلكم حتى تبدؤنا وانا فيكم أمر الله ثم رجع الى مكانه من الخطبة ثم ان الخوارج لقي بعضهم بعضا واجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم فزهدهم في الدنيا وأمرهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم قال اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها الى بعض كور الجبال أو الى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة فقال له حرقوص بن زهير ان المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك فلا تدعونكم زينتها وبهجتها الى المقام بها ولا تلفتنكم عن طلب الحق وانكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فقال حمزة بن سنان الاسدي يا قوم ان الرأي ما رأيتم فولوا أمركم رجلا منكم فانكم لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون اليها فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسي فأبيا وعرضوها على عبد الله بن وهب فقال هاتوها أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقا من الموت فبايعوه لعشر خلون من شوال وكان يقال له ذو الثفنات ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي فقال ابن وهب اشخصوا بنا الى بلدة نجتمع فيها لانفاذ حكم الله فانكم اهل الحق قال شريح نخرج الى المدائن فننزلها ونأخذ بأبوابها ونخرج منها سكانها ونبعث الى اخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا فقال زيد بن حصين انكم ان خرجتم مجتمعين اتبعتم ولكن اخرجوا وحدانا مستخفين فأما المدائن فان بها من يمنعكم ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهروان وتكاتبوا اخوانكم من أهل البصرة قالوا هذا الرأي وكتب عبد الله بن وهب الى من بالبصرة منهم يعلمونهم ما اجتمعوا عليه ويحثونهم على اللحاق بهم وسير الكتاب اليهم فأجابوه انهم على اللحاق به فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة وساروا يوم السبت فخرج شريح بن أوفى العبسي وهو يتلو قول الله تعالى فخرج منها خائفا يترقب الى سواء السبيل وخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي فاتبعه أبوه فلم يقدر عليه فانتهى الى المدائن ثم رجع فلما بلغ ساباط لقيه عبد الله بن وهب الراسبي في نحو عشرين فارسا فأراد عبد الله قتله فمنعه عمرو بن مالك النبهاني وبشر بن زيد البولاني وأرسل عدي الى سعد بن مسعود عامل علي على المدائن يحذره أمرهم فأخذ أبواب المدائن وخرج في الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد وسار في طلبهم فأخبر عبد الله بن وهب خبره فرابأ طريقه وسار على بغداد ولحقهم سعد بن مسعود بالكرخ في خمسمائة فارس عند المساء فانصرف اليهم عبد الله في ثلاثين فارسا فاقتتلوا ساعة وامتنع القوم منهم وقال أصحاب سعد لسعد ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر خلهم فليذهبوا واكتب الى أمير المؤمنين فان أمرك باتباعهم اتبعتهم وان كفاكهم غيرك كان في ذلك عافية لك فأبى عليهم فلما جن عليهم الليل خرج عبد الله بن وهب فعبر دجلة الى أرض جوخى وسار الى النهروان فوصل الى أصحابه وقد أيسوا منه وقالوا ان كان هلك وليناه الامر زيد بن حصين أو حرقوص بن زهير وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم فردهم أهلوهم كرها منهم القعقاع بن قيس عم الطرماح بن حكيم وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكائي وبلغ عليا أن سالم بن ربيعة العبسي يريد الخروج فأحضره عنده ونهاه فانتهى ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليا أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت فشرط لهم فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم

فقال

فصار في حيز ردمير ملك الجلالقة فأعانه على المسلمين ودله على عوراتهم ثم خرج أمية في بعض الايام من المدينة يتصيد في بعض متنزهاتها فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول اليها وكتب الى عبد الرحمن ومضى أمية بن اسحق أخو الوزير المقتول الى ردمير فاصطفاه واستوزره وصيره في جملته وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس بثورة مملكة الجلالقة المتقدمة صفة بنيانها وأسوارها في باب جمل الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وأخبار الاندلس وغير ذلك وكان عبد الرحمن في مائة ألف أو يزيدون فكانت وقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة في شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة بعد الكسوف الذي كان في هذا الشهر ثلاثة ايام وكانت للمسلمين عليهم ثم أنابوا بعد ان حوصروا وألجئوا الى المدينة فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق خمسين ألفا وقيل ان الذي منع ردمير من طلب من نجا من المسلمين أمية ابن اسحق وخوفه الكمين

فقال له بايع على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربيعة على سنة أبي بكر وعمر قال له علي ويلك لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونا على شيء من الحق فبايعه فنظر اليه علي وقال أما والله لكأني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت وكأني بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة وأما خوارج البصرة فانهم اجتمعوا في خمسمائة رجل وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي فعلم بهم ابن عباس فأتبعهم أبا الاسود الدؤلي فلحقهم بالجسر الاكبر فتوافقوا حتى حجز بينهم الليل وأدلج مسعر بأصحابه وأقبل يعترض الناس وعلى مقدمته الاشرس بن عوف الشيباني وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر فلما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى الى مكة ورد علي ابن عباس الى البصرة قام في الكوفة فخطبهم فقال الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أما بعد فان المعصية تورث الحسرة وتعقب الندم وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري ونحلتكم رأيي لو كان لقصير أمر ولكن أبيتم الا ما أردتم فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

ألا ان هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما وأحييا ما امات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين استعدوا وتأهبوا للمسير الى الشام وأصبحوا في معسكركم ان شاء الله يوم الاثنين ثم نزل وكتب الى الخوارج بالنهر بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين الى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس أما بعد فان هذين الرجلين اللذين ارتضيناهما حكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله فلم يعملا بالسنة ولم ينفذا القرآن حكما فبرئ الله منهما ورسوله والمؤمنون فاذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا الينا فانا سائرون الى عدونا وعدوكم ونحن على الامر الاول الذي كنا عليه فكتبوا اليه أما بعد فانك لم تغضب لربك وانما غضبت لنفسك فان شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك والا فقد نبذناك على سواء ان الله لا يحب الخائنين فلما قرأ كتابهم أيس منهم ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس حتى يلقى اهل الشام فيناجزهم فقام في اهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه من ترك الجهاد في الله وادهن في أمره كان على شفا هلكة الا أن يتداركه الله بنعمته فاتقوا الله وقاتلوا من حاد الله ورسوله وحاول أن يطفئ نور الله فقاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين الذين ليسوا بقراء القرآن ولا فقهاء في الدين ولا علماء في التأويل ولا لهذا الامر بأهل في سابقة الاسلام والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل تيسروا للمسير الى عدوكم من أهل المغرب وقد بعثنا الى اخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم فاذا اجتمعتم شخصنا ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله وكتب الى ابن عباس أما بعد فانا خرجنا الى معسكرنا بالنخيلة وقد اجمعنا على المسير الى عدونا من أهل المغرب فاشخص الى الناس حتى يأتيك رسولي وأقم حتى يأتيك أمري والسلام عليك فقرأ ابن عباس الكتاب على الناس وندبهم مع الاحنف بن قيس فشخص ألف وخمسمائة فخطبهم وقال يا أهل البصرة أتاني كتاب أمير المؤمنين فأمرتكم بالنفير اليه فلم يشخص منكم اليه الا ألف وخمسمائة وأنتم ستون ألف مقاتل سوى أبنائكم وعبيدكم ألا انفروا اليه مع جارية بن قدامة السعدي ولا يجعلن رجل على

ورغبه فيما كان في معسكر المسلمين من الاموال والعدد والخزائن ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان أمية بعد ذلك استأمن الى عبد الرحمن وتخلص من ردمير فقبله عبد الرحمن أحسن قبول وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكر مع عدة من قواده الى الجلالقة وكانت لهم معهم حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين في الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى هذه الغاية وردمير ملك الجلالقة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان قبله على الملك اردون الفرس والجلالقة والافرنجة تدين بدين النصرانية على رأي الملكية (رجع الحديث) ومدينة طاربنو ومدينة سيرين وغيرهما من مدنهم الكبار سكنها المسلمون مدة من الزمان * ثم ان النوبرد أنابوا ورجعوا على من كان في تلك المدن من المسلمين فأخرجوهم عنها بعد حرب طويل وما ذكرنا من المدن في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في أيدي النوبرد (قال المسعودي) وما

نفسه سبيلا فانى موقع بكل من وجدته متخلفا عن دعوته عاصيا لامامه فلا يلومن رجل الا نفسه فخرج جارية فاجتمع اليه ألف وسبعمائة فوافوا عليا وهم ثلاثة آلاف ومائتان فجمع اليه رؤس أهل الكوفة ورؤس الاسباع ووجوه الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة أنتم اخوانى وانصارى وأعوانى على الحق وأصحابى الى جهاد المحلين بكم أضرب المدبر وارجو تمام طاعة المقبل وقد استنفرت أهل البصرة فأتانى منهم ثلاثة آلاف ومائتان فليكتب لى رئيس كل قبيلة ما فى عشيرته من المقاتلة وابناء المقاتلة الذين ادركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم ويرفع ذلك الينا فقام اليه سعد بن قيس الهمدانى فقال يا أمير المؤمنين سمعا وطاعة أنا أول الناس أجاب ما طلبت وقام معقل بن قيس وعدى بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدى وأشراف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك وكتبوا اليه ما طلب وأمروا أبناءهم وعبيدهم أن يخرجوا معهم ولا يتخلف منهم متخلف فرفعوا اليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفا من الابناء ممن أدرك وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم وكان جميع أهل الكوفة خمسة وستين ألفا سوى أهل البصرة وهم ثلاثة آلاف ومائتا رجل وكتب الى سعد بن مسعود بالمدائن يأمره بارسال من عنده من المقاتلة وبلغ عليا ان الناس يقولون لو سار بنا الى قتال هذه الحرورية فاذا فرغنا منهم توجهنا الى قتال المحلين فقال لهم بلغنى أنكم قلتم كيت وكيت وان غير هؤلاء الخارجين أهم الينا فدعوا ذكرهم وسيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكا ويتخذوا عباد الله خولا فناداه الناس أن سر بنا يا أمير المؤمنين حيث احببت وقام اليه صيفى بن فسيل الشيبانى فقال يا أمير المؤمنين نحن حزبك وانصارك نعادى من عاداك ونشايع من اناب الى طاعتك من كانوا وأينما كانوا فانك ان شاء الله ان تؤتى من قلة عدد وضعف نية اتباع

﴿ذكر قتال الخوارج﴾

قيل لما اقبلت الخارجة من البصرة حتى دنت من النهروان رأى عصابة منهم رجلا يسوق بامرأة على حمار فدعوه فانتهروه فافزعوه وقالوا له من أنت قال أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له أفزعناك قال نعم قالوا لا روع عليك حدثنا عن أبيك حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله ينفعنا به فقال حدثنى أبى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيه بدنه يمسى فيها مؤمنا ويصبح كافرا ويصبح كافرا ويمسى مؤمنا فقالوا لهذا الحديث سألناك فما تقول فى أبى بكر وعمر فأثنى عليهما خيرا قالوا ما تقول فى عثمان فى أول خلافته وفى آخرها قال انه كان محقا فى أولها وفى آخرها قالوا فما تقول فى على قبل التحكيم وبعده قال انه أعلم بالله منكم وأشد توقيا على دينه وانفذ بصيرة فقالوا انك تتبع الهوى وتوالى الرجال على أسمائها لا على أفعالها والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحدا فأخذوه وكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهى حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل مواقير فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم فتركها فى فيه فقال آخر أخذتها بغير حلها وبغير ثمن فألقاها ثم مر بهم خنزير لاهل الذمة فضربه أحدهم بسيفه فقالوا هذا فساد فى الارض فلقى صاحب الخنزير فأرضاه فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال لئن كنتم صادقين فيما أرى فما على منكم من بأس انى مسلم ما أحدثت فى الاسلام حدثا ولقد آمنتمونى قلتم لا روع عليك فأضجعوه فذبحوه فسال دمه فى الماء وأقبلوا الى المرأة فقالت أنا امرأة ألا تتقون الله فبقروا بطنها وقتلوا ثلاث نسوة من

ذكرنا من الجلالقة والافرنجة والصقالبة والنوبرد وغيرها من الامم فديارهم متقاربة والاكثر منهم حرب لاهل الاندلس فى هذا الوقت ذو منعة وقوة عظيمة على ما قدمنا من نسبه وأخباره وقد كان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام سار الى الاندلس فى اول دولة بنى العباس وله أخبار كثيرة فى كيفية وصوله الى الاندلس ودار مملكة الاندلس قرطبة على ما ذكرنا ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وثغور فى أطراف أرضهم وربما يجتمع عليهم من جاورهم من الامم من ولديافث من الجلالقة وبرجان والافرنجة وغيرهما من الامم وصاحب الاندلس فى هذا الوقت يركب فى مائة ألف وهو ذو منعة بالرجال والمال والكراع والعدد والله أعلم

﴿ذكر عاد وملوكها﴾

ذكر جماعة من ذوى العناية باخبار العالم أن الملك يؤثر من بعد نوح فى عاد الاولى التى بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ومصداق ذلك قوله عز وجل وأنه أهلك عادا الاولى فانه يدل على تقدمهم وأن هنالك عادا ثانية وأخبر الله عن ملكهم

طيئ وقتلوا أم سنان الصيداوية فلما بلغ عليا قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم الناس بعث اليهم الحرث بن مرة العبدى ليأتيهم وينظر ما بلغه عنهم ويكتب به اليه ولا يكتمه فلما دنا منهم يسائلهم قتلوه وأتى عليا الخبر والناس معه فقالوا يا أمير المؤمنين علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفونا فى عيالنا وأموالنا سر بنا الى القوم فاذا فرغنا منهم سرنا الى عدونا من أهل الشام وقام اليه الاشعث بن قيس وكلمه بمثل ذلك وكان الناس يرون ان الاشعث يرى رأيهم لانه كان يقول يوم صفين أنصفنا قوم يدعون الى كتاب الله فلما قال هذه المقالة علم الناس انه لم يكن يرى غير رأيهم فأجمع على على ذلك وخرج فعبر الجسر وسار اليهم فلقيه منجم فى مسيره فأشار عليه أن يسير وقتا من النهار فقال له ان أنت سرت فى غيره لقيت أنت وأصحابك ضرا شديدا فخالفه على وسار فى الوقت الذى نهاه عنه فلما فرغ من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه ثم قال لو سرنا فى الساعة التى أمر بها المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون شيأ سار فى الساعة التى أمر بها المنجم فظفر وكان المنجم مسافر بن عفيف الازدى فأرسل على الى أهل النهر أن ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم اقتلهم بهم ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل المغرب فلعل الله يقبل بقلوبكم ويردكم الى خير مما أنتم عليه من أمركم فقالوا كلنا قتلهم وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم وخرج اليهم قيس بن سعد بن عبادة فقال لهم عباد الله أخرجوا الينا طلبتنا منكم وادخلوا فى هذا الامر الذى خرجتم منه وعودوا بنا الى قتال عدونا وعدوكم فانكم ركبتم عظيما من الامر تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين فقال له عبد الله بن شجرة السلمى ان الحق قد أضاء لنا فلسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر فقال ما نعلمه غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم قالوا لا قال نشدتكم الله فى أنفسكم أن تهلكوها فانى لا أرى الفتنة الا وقد غلبت عليكم وخطبهم أبو أيوب الانصارى فقال عباد الله انا واياكم على الحال الاولى التى كنا عليها ليست بيننا وبينكم فرقة فعلام تقاتلوننا فقالوا انا لو تابعناكم اليوم حكمتم غدا قال فانى أنشدكم الله ان تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتى فى قابل وأتاهم على فقال أيتها العصابة التى أخرجها عداوة المراء واللجاجة وصدها عن الحق الهوى وطمح بها النزق وأصبحت فى الخطب العظيم انى نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الامة غدا صرعى بأثناء هذا الوادى وبأهضام هذا الغائط بغير بينة من ربكم ولا برهان مبين ألم تعلموا انى نهيتكم عن الحكومة ونبأتكم انها مكيدة وان القوم ليسوا بأصحاب دين فعصيتمونى فلما فعلت شرطت واستوثقت على الحكمين ان يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة فنبذنا أمرهما ونحن على الامر الاول فمن أين أتيتم فقالوا انا حكمنا فلما حكمنا أثمنا وكنا بذلك كافرين وقد تبنا فان تبت فنحن معك ومنك وان أبيت فانا منابذوك على سواء فقال على أصابكم حاصب ولا بقى منكم وابر أبعد ايمانى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتى معه وجهادى فى سبيل الله أشهد على نفسى بالكفر لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين ثم انصرف عنهم وقيل انه كان من كلامه لهم يا هؤلاء ان أنفسكم قد سولت لكم فراق هذه الحكومة التى أنتم بدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره وأنبأتكم ان القوم انما طلبوها مكيدة ووهنا فأبيتم على اباء المخالفين وعندتم عنود النكداء العاصين حتى صرفت رأيى الى رأيكم رأى معاشر والله أخفاء الهام سفهاء الاحلام فلم آت لا أبا لكم هجرا والله ما ختلتكم عن أموركم ولا أخفيت شيأ من هذا الامر عنكم ولا أوطأتكم عشوة ولا أدنيت لكم الضراء وان كان أمرنا لامر المسلمين ظاهرا فأجمع رأى ملئكم ان اختار رجلين فأخذنا عليهما ان يحكما بما فى القرآن ولا يعدواه فتاها فتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور

ونطق بشدة بطشهم وما بنوه من الابنية المشيدة التى تدعى على مر الدهور العادية وقد أخبر الله تعالى عن قول نبيه هود عليه السلام وخطابه اياهم أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين وعاد أول من ملك فى الارض من هذه الطائفة بعد أن أهلك الله عز وجل الكفار من قوم نوح وذلك لقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة وذلك أن هؤلاء القوم كانوا فى هيآت النخل طولا وكانوا فى اتصال الاعمار وطولها بحسب ذلك من القدر وكانت نفوسهم قوية واكبادهم غليظة ولم يكن فى الارض أمة هى أشد بطشا وأكثر آثارا وأقوى عقولا وأكثر أحلاما من قوم عاد ولم يكن الهلاك بمرض فى أجسامهم لقوة آثار الطبيعة فيها وما أوتوه من الزيادة الى تمام البنية وكمال الهيئة على حسب ما أخبر الله عز وجل وكان عاد رجلا جبارا عظيم الخلقة وهو عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وكان عاد يعبد القمر وذكروا انه رأى من صلبه أربعة آلاف ولد وانه تزوج ألف

هوا عماوالنقة فى أيدينا حين خالفا سبيل الحق واتباعا لا يعرف فبينوا لنا بم تستحلون قتالنا والخروج عن جماعتنا وتضعون اسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضون الناس تضربون رقابهم ان هذا لهو الخسران المبين والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها فكيف بالنفس التى قتلها عند الله حرام فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيئوا للقاء الله الرواح الرواح الى الجنة فعاد على عنهم ثم ان الخوارج قصدوا جسر النهر وكانوا غربه فقال لعلى أصحابه انهم قد عبروا النهر فقال لن يعبروا فارسلوا طليعة فعاد وأخبرهم انهم عبروا النهر وكان بينهم وبينه عطفة من النهر فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم فعاد فقال انهم قد عبروا النهر فقال على والله ما عبروه وان مصارعهم لدون الجسر والله لا يقتل منكم عشرة ولا يسلم منهم عشرة وتقدم على اليهم فرآهم عند الجسر لم يعبروه وكان الناس قد شكوا فى قوله وارتاب به بعضهم فلما رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا وأخبروا عليا بحالهم فقال والله ما كذبت ولا كذبت ثم انه عبأ أصحابه فجعل على ميمنته حجر ابن عدى وعلى ميسرته شبث بن ربعى أو معقل بن قيس الرياحى وعلى الخيل أبا أيوب الانصارى وعلى الرجالة أبا قتادة الانصارى وعلى أهل المدينة وهم سبعمائة أو ثمانمائة قيس بن سعد بن عبادة وعبت الخوارج فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائى وعلى الميسرة شريح بن أوفى العبسى وعلى خيلهم حمزة بن سنان الاسدى وعلى رجالتهم حرقوص بن زهير السعدى وأعطى على أبا أيوب الانصارى راية الامان فناداهم أبو أيوب فقال من جاء تحت هذه الراية فهو آمن ومن لم يقتل ولم يستعرض ومن انصرف منكم الى الكوفة أو الى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة اخواننا منكم فى سفك دمائكم فقال فروة بن نوفل الاشجعى والله ما أدرى على أى شئ نقاتل عليا أرى ان انصرف حتى تتضح لى بصيرتى فى قتاله أو اتابعه فانصرف فى خمسمائة فارس حتى نزل البندنيجين والدسكرة وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلوا الكوفة وخرج الى على نحو مائة وكانوا أربعة آلاف فبقى مع عبد الله بن وهب ألف وثمانمائة فزحفوا الى على وكان على قد قال لاصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤكم فتنادوا الرواح الى الجنة وحملوا على الناس فافترقت خيل على فرقتين فرقة نحو الميمنة وفرقة نحو الميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ونهض اليهم الرجال بالرماح والسيوف فما لبثوا ان أناموهم فلما رأى حمزة بن سنان الهلاك نادى اصحابه أن انزلوا فذهبوا لينزلوا فلم يلبثوا أن حمل عليهم الاسود بن قيس المرادى وجاءتهم الخيل من نحو على فاهلكوا فى ساعة فكانما قيل لهم موتوا فماتوا وجاء أبو أيوب الانصارى الى على فقال يا أمير المؤمنين قتلت زيد بن حصين الطائى طعنته فى صدره خرج السنان من ظهره وقلت له ابشر يا عدو الله بالنار فقال ستعلم غدا أينا أولى بها صليا فقال له على هو أولى بها صليا وجاءه هانئ بن خطاب الازدى وزياد بن خصفة يحتجان فى قتل عبد الله بن وهب فقال كيف صنعتما فقالا لما رأيناه عرفناه فابتدرناه وطعناه برمحينا فقال كلا كما قاتل وحمل جيش بن ربيعة الكنانى على حرقوص بن زهير فقتله وحمل عبد الله بن زحر الخولانى على عبد الله بن شجرة السلمى فقتله ووقع شريح بن أوفى الى جانب جدار فقاتل عليه وكان جل من يقاتله همدان فقال

قد علمت جارية عبسيه * ناعمة فى أهلها مكفيه

انى سأحمى ثلمتى العشيه

فحمل عليه قيس بن معاوية فقطع رجله فجعل يقاتلهم وهو يقول * القرم يحمى شوله معقولا

فحمل

امرأة وكانت بلاده متصلة باليمن وهى بلاد الاحقاف وبلاد سنجار وبلاد عمان الى حضرموت على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا وقد ذكر جماعة من الاخبار بين ممن عنى بأخبار العرب أن عادا لما توسط العمر اجتمع له الولد وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده وظهور الكثرة مع تشييد الملك واستقامة الامر غمر احسانه الناس وقرى الضيف وأحواله منتظمة والدنيا عليه مقبلة فعاش ألف سنة ومائتى سنة ثم مات وكان الملك بعده فى الاكبر من ولده وهو شديد ابن عاد وكان ملكه خمسمائة سنة وثمانين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعده) أخوه شداد بن عاد وكان ملكه تسعمائة سنة ويقال انه احتوى على سائر ممالك العالم وهو الذى بنى مدينة ارم ذات العماد على حسب ما قدمنا فيما سلف من كتبنا عند اخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس فى كيفيتها وماهيتها وفى أى بلاد هى وهذه عاد الثانية التى ذكرها الله تعالى فقال ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد والى هذه المدينة انتهى البطش

فحمل عليه قيس أيضا فقتله فقال الناس

اقتتلت همدان يوما ورجل * اقتتلوا من غدوة حتى الاصل

ففتح الله لهمدان الاجل

(ذكر مقتل ذى الثدية)

قد روى جماعة ان عليا كان يحدث أصحابه قبل ظهور الخوارج ان قوما يخرجون يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية علامتهم رجل مخدج اليد سمعوا ذلك منه مرارا فلما خرج أهل النهروان سار بهم اليهم على وكان منه ومنهم ما كان فلما فرغ أمر أصحابه ان يلتمسوا المخدج فالتمسوه فقال بعضهم ما نجده حتى قال بعضهم ما هو فيهم وهو يقول والله انه لفيهم والله ما كذبت ولا كذبت ثم انه جاءه رجل فبشره فقال يا أمير المؤمنين قد وجدناه وقيل بل خرج على فى طلبه قبل ان يبشره الرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفى والريان بن صبرة فوجدوه فى حفرة على شاطئ النهر فى خمسين قتيلا فلما استخرجه نظر الى عضده فاذا لحم مجتمع كثدى المرأة وحلمة عليها شعرات سود فاذا مدت امتدت حتى تحاذى يده الطولى ثم تترك فتعود الى منكبيه فلما رآه قال الله أكبر ما كذبت ولا كذبت لولا أن تتكلوا عن العمل لاخبرتكم بما قص الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لمن قاتلهم مستبصرا فى قتالهم عارفا الحق الذى نحن عليه وقال حين مر بهم وهم صرعى بؤسا لكم لقد ضركم من غركم قالوا يا أمير المؤمنين من غرهم قال الشيطان وأنفس امارة بالسوء غرتهم بالامانى وزينت لهم المعاصى ونبأتهم انهم ظاهرون قيل واخذ ما فى عسكرهم من شئ فاما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسمه بين المسلمين وأما المتاع والاماء والعبيد فانه رده على أهله حين قدم وطاف عدى بن حاتم فى القتلى على ابنه طرفة فدفنه ودفن رجال من المسلمين قتلاهم فقال على حين بلغه أتقتلونهم ثم تدفنونهم ارتحلوا فارتحل الناس فلم يقتل من أصحاب على الا تسعة وقيل كانت الوقعة سنة ثمان وثلاثين وكان فيمن قتل من أصحابه يزيد بن نويرة الانصارى وله صحبة وسابقة وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان أول من قتل

(ذكر رجوع على الى الكوفة)

ولما فرغ على من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه وقال ان الله قد أحسن بكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم قالوا يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا وعاد أكثرها قصدا فارجع الى مصرنا فلنستعد ولعل أمير المؤمنين يزيد فى عدتنا فانه أقوى لنا على عدونا وكان الذى تولى كلامه الاشعث بن قيس فاقبل حتى نزل النخيلة فأمر الناس ان يلزموا عسكرهم ويوطنوا على الجهاد أنفسهم وان يقلوا زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا الى عدوهم فاقاموا فيه أياما ثم تسللوا من معسكرهم فدخلوا الا رجالا من وجوه الناس وترك المعسكر خاليا فلما رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه فى المسير وقال لهم أيضا أيها الناس استعدوا للمسير الى عدوكم ومن فى جهاده القربة الى الله عز وجل ودرك الوسيلة عنده حيارى عن الحق جفاة عن الكتاب يعمهون فى طغيانهم فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا وكفى بالله نصيرا فلم ينفروا ولا تيسروا فتركهم أياما حتى اذا آيس من ان يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذى يبطئ بهم فمنهم المعتل ومنهم المتكره وأقلهم من نشط فقام فيهم فقال عباد الله ما بالكم اذا أمرتكم أن تنفروا اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وبالذل والهوان من العز خلفا وكلما ناديتكم الى الجهاد دارت أعينكم

ولشداد بن عاد سير فى الارض وطواف فى البلاد عظيم فى ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب وحروب كثيرة أعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار ومعولنا فى ذلك على ما بسطناه من أخبارهم فى كتاب أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا تفرق الناس قبائل وتشعب الانساب وما قالوا فى ذلك من الاشعار جملا من أخبار عاد ونبيها هود فأما تنازع الناس ممن سلف وخلف فى العلة التى بها عظمت أجسامهم وطالت أعمارهم فقد أتينا على ذكر ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الروس السبعية من السياسة الملوكية وكذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف

(ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها)

قد ذكرنا فيما سلف ذكر ثمود فى غير هذا الكتاب وكان ملك ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشى وديارهم بفج الناقة وبيوتهم الى وقتنا هذا أبنية منحوتة فى الجبال ورممهم باقية

كأنكم من الموت فى سكرة وكان قلوبكم مألوسة وأنتم لا تعقلون فكان أبصاركم كمه وأنتم لا تبصرون لله أنتم ما أنتم الا أسد الشرى فى الدعة وثعالب رواغة حين تدعون الى البأس ما أنتم لى بثقة سجيس الليالى ما أنتم بركب يصال به لعمر الله لبئس حشاش الحرب أنتم افكم تكادون ولا تكيدون وينتقص اطرافكم وأنتم لا تتحاشون ولا تنام عينكم وأنتم فى غفلة ساهون ثم قال اما بعد فان لى عليكم حقا وان لكم على حقا فاما حقكم على فالنصيحة لكم ما صحبتكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كى لا تجهلون وتأديبكم كى تعلموا وأما حقى عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لى فى المغيب والمشهد والاجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم فان يرد الله بكم خيرا تنزعوا عما أكره وترجعوا الى ما أحب تنالوا ما تطلبون وتدركوا ما تأملون

﴿ذكر عدة حوادث﴾

قيل وحج بالناس هذه السنة عبيد الله بن عباس وكان عامل على على اليمن وكان على مكة والطائف قثم بن العباس وكان على المدينة سهل بن حنيف وقيل تمام بن العباس وكان على البصرة عبد الله بن عباس وعلى مصر محمد بن أبى بكر ولما سار على الى صفين استخلف على الكوفة أبا مسعود الانصارى وكان على خراسان خليد بن قرة اليربوعى وكان بالشام معاوية بن أبى سفيان وفيها قتل حازم بن أبى حازم أخو قيس الاحمسى البجلى بصفين مع على وفيها مات خباب بن الارت شهد بدرا وما بعدها وشهد صفين مع على والنهروان وقيل لم يشهدها كان مريضا ومات قبل قدوم على الى الكوفة وقد تقدم ذكره وقيل مات سنة تسع وثلاثين وكان عمره ثلاثا وستين سنة وفيها قتل أبو الهيثم بن التيهان بصفين مع على وقيل عاش بعدها يسيرا وقتل بها أخوه عبيد بن التيهان وكان أبو الهيثم أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة فى قول وهو بدرى وفيها قتل يعلى بن منية وهى امه واسم أبيه أمية التميمى وهو ابن أخت عتبة بن غزوان وقيل ابن عمته وكان قد شهد الجمل مع عائشة ثم شهد صفين مع على فقتل بها وكان اسلامه يوم الفتح وشهد حنينا وقتل بصفين مع على أبو عمرة الانصارى النجارى والد عبد الرحمن وهو أيضا بدرى وفيها قتل أبو فضالة الانصارى فى قول وهو بدرى وفيها توفى سهل بن حنيف الانصارى فى قول وهو بدرى وشهد مع على حروبه وتوفى بها صهيب بن سنان وصفوان بن بيضاء وهو بدرى وفى هذه السنة توفى عبد الله بن سعد بن أبى سرح بعسقلان فجأة وهو فى الصلاة وترك الخروج مع معاوية الى صفين وقيل شهدها ولا يصح

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين﴾

﴿ذكر ملك عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن أبى بكر الصديق﴾

فى هذه السنة قتل محمد بن أبى بكر الصديق بمصر وهو عامل على عليها وقد ذكرنا سبب توليته على اياه مصر وعزل قيس بن سعد ودخوله مصر وانفاذه ابن مضاهم الكلبى الى أهل خربتا فلما مضى ابن مضاهم اليهم قتلوه وخرج معاوية بن حديج السكونى وطلب بدم عثمان ودعا اليه فاجابه ناس وفسدت مصر على محمد بن أبى بكر فبلغ ذلك عليا فقال ما لمصر الا أحد الرجلين صاحبنا الذى عزلنا يعنى قيسا أو الاشتر وكان الاشتر قد عاد بعد صفين الى عمله بالجزيرة وقال على لقيس أقم عندى على شرطتى حتى تنقضى الحكومة ثم تسير الى آذربيجان فلما بلغ عليا أمر مصر كتب الى الاشتر وهو بنصيبين يستدعيه فحضر عنده فاخبره خبر أهل مصر وقال ليس لها غيرك فاخرج اليها فانى لو لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله واخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق أبلغ وتشدد حين لا يغنى الا الشدة فخرج الاشتر يتجهز الى مصر وأتت معاوية عيونه بذلك فعظم عليه

وكان

وآثارهم بادية وذلك فى طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادى القرى وبيوتهم منحوتة فى الصخر بأبواب صغار ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا وهذا يدل على أن أجسامهم على قدر أجسامنا دون ما يخبر به القصاص من بعد أجسامهم وليس هؤلاء كعاد اذ كانت آثارهم ومواضع مساكنهم وبنيانهم بارض الشحر تدل على بعد أجسامهم وكان ملك الملك الاول من ملوكهم مائتى سنة وهو عاد بن ارم ابن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح (ثم ملك بعده) جندع بن عمرو بن الديل ابن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وكان ملكه الى أن هلك مائتى سنة وتسعين سنة وملك جندع هذا بعد أن كان من أمر صالح النبى صلى الله عليه وسلم ما كان على ما ذكرنا أربعين سنة فجميع ما ملك هذا الملك وهو جندع ثلثمائة وسبع وعشرون سنة فهؤلاء ملوك ثمود وبعث الله صالحا نبيا وهو غلام حدث لثمود على فترة كانت بينه وبين هود نحو من مائة سنة فدعاهم الى الله وملكهم يومئذ هو جندع بن عمرو على ما ذكرنا

وكان قد طمع فى مصر فعلم ان الاشتر ان قدمها كان أشد عليه من محمد بن أبى بكر فبعث معاوية الى المقدم على أهل الخراج بالقلزم وقال له ان الاشتر قد ولى مصر فان كفيتنيه لم آخذ منك خراجا ما بقيت وبقيت فخرج الحابسات حتى أتى القلزم واقام به وخرج الاشتر من العراق الى مصر فلما انتهى الى القلزم استقبله ذلك الرجل فعرض عليه النزول فنزل عنده فاتاه بطعام فلما أكل أتاه بشربة من عسل قد جعل فيه سما فسقاه اياه فلما شربها مات وأقبل معاوية يقول لاهل الشام ان عليا قد وجه الاشتر الى مصر فادعوا الله عليه فكانوا يدعون الله عليه كل يوم وأقبل الذى سقاه الى معاوية فاخبره بهلاك الاشتر فقام معاوية خطيبا ثم قال اما بعد فانه كانت لعلى يمينان فقطعت احداهما بصفين يعنى عمار بن ياسر وقطعت الاخرى اليوم يعنى الاشتر فلما بلغ عليا موته قال للبدين وللفم وكان قد ثقل عليه لاشياء نقلت عنه وقيل انه لما بلغه قتله قال انا لله وانا اليه راجعون مالك وما مالك وهل موجود مثل ذلك لو كان من حديد لكان قيدا أو من حجر لكان صلدا على مثله فلتبك البواكى وهذا أصح لانه لو كان كارها له لم يوله مصر وكان الاشتر قد روى الحديث عن عمر وعلى وخالد بن الوليد وأبى ذر وروى عنه جماعة وقال أحمد بن صالح كان ثقة قيل ولما بلغ محمد بن أبى بكر انفاذ الاشتر شق عليه فكتب اليه على أما بعد فقد بلغنى موجدتك من تسريحى الاشتر الى عملك وانى لم أفعل ذلك الا استبطاء لك فى الجهاد ولا ازديادا منى لك فى الجد ولو نزعت ما تحت يدك لوليتك ما هو أيسر عليك مؤنة منه وأعجب اليك ولاية ان الرجل الذى كنت وليته أمر مصر كان لنا نصيحا وعلى عدونا شديدا وقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون فرضى الله عنه وضاعف له الثواب اصبر لعدوك وشمر للحرب وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك ما أهمك ويعنك على ما ولاك وكتب اليه محمد أما بعد فقد انتهى الى كتابك وفهمته وليس أحد من الناس أرضى برأى أمير المؤمنين ولا أجهد على عدوه ولا أرأف بوليه منى وقد خرجت فعسكرت وأمنت الناس الا من نصب لنا حربا واظهر لنا خلافا وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظه والسلام وقيل اغتيل الاشتر بمصر بعد قتل محمد بن أبى بكر وكان أهل الشام ينتظرون بعد صفين أمر الحكمين فلما تفرقا بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ولم يزدد الا قوة واختلف الناس بالعراق على على فما كان لمعاوية هم الا مصر وكان يهاب أهلها لقربهم منه وشدتهم على من كان على رأى عثمان وكان يرجو أنه اذا ظهر عليها ظهر على حرب على لعظم خراجها فدعا معاوية عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر بن أبى ارطاة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد وأبا الاعور السلمى وشرحبيل بن السمط الكندى فقال لهم أتدرون لم جمعتكم فانى جمعتكم لامر لى مهم فقالوا لم يطلع الله على الغيب أحدا وما نعلم ما تريد فقال عمرو بن العاص دعوتنا لتسألنا عن رأينا فى مصر فان كنت جمعتنا لذلك فاعزم واصبر فنعم الرأى رأيت فى افتتاحها فان فيه عزك وعز أصحابك وكبت عدوك وذل أهل الشقاق عليك فقال معاوية أهمك يا ابن العاص ما أهمك وذلك ان عمرا كان صالح معاوية على قتال على على ان له مصر طعمة ما بقى وأقبل معاوية على أصحابه وقال اصاب أبو عبد الله فما ترون فقالوا ما نرى الا ما رأى عمرو قال فكيف أصنع فان عمرا لم يفسر كيف أصنع فقال عمرو أرى ان تبعث جيشا كثيفا عليهم رجل حازم صابر صارم تأمنه وتثق به فيأتى مصر فانه سيأتيه من كان على مثل رأينا فيظاهره على عدونا فان اجتمع جندك ومن بها على رأينا رجوت ان ينصرك الله فقال معاوية أرى ان نكاتب من بها من شيعتنا فنمنيهم ونأمرهم بالثبات ونكاتب

فلم يجب صالحا من قومه الا نفر يسير وكبر صالح ولم يزدد قومه من الايمان الا بعدا فلما تواتر عليهم اعذاره وانذاره ووعده ووعيده ساموه المعجزات واظهار العلامات ليمنعوه من دعائهم وليعجزوه عن خطابهم فحضر عيدلهم وقد أظهروا أوثانهم وكان القوم أصحاب ابل فساموه الآية من جنس أموالهم وطالبوه بما هو مجانس لاملاكهم من بعد اتفاق آرائهم فقال له زعيم من زعمائهم يا صالح ان كنت صادقا فى قولك وانك معبر عن ربك فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ولتكن وبراء سوداء عشراء نتوجا حالكة صافية اللون ذات عرف وناصية وشعر ووبر فاستغاث بربه فتحركت الصخرة وتململت وبدا منها حنين وأنين ثم انصدعت من بعد تمخض شديد كتمخض المرأة حين الولادة وظهر منها ناقة على ما طلبوه من الصفة ثم تلاها من الصخرة سقب لها نحوها فى الوصف فأمعنا فى رعى الكلأ وطلب المرعى فآمن خلق ممن حضره وزعيمهم الذى سأله وهو جندع بن عمرو وأقامت الناقة يحلبون من لبنها ما يشربه ثمود كلها وضايقتهم فى الكلأ والماء وكان فى ثمود امرأتان

من بها من عدونا فندعوهم الى صلحنا ونمنيهم شكرنا ونخوفهم حربنا فان كان ما أردنا بغير قتال فذاك
الذى أردنا والا كان حربهم من بعد ذلك انك يا ابن العاص بورك لك فى الشدة والعجلة وأنا بورك
لى فى التؤدة قال عمرو افعل ماترى فما أرى أمرنا يصير الا الى الحرب فكتب معاوية الى مسلمة
ابن مخلد ومعاوية بن حديج السكونى وكانا قد خالفا عليا يشكرهما على ذلك ويحثهما على الطلب
بدم عثمان ويعدهما المواساة فى سلطانه وبعثه مع مولاه سبيع فلما وقفا عليه أجاب مسلمة بن
مخلد الانصارى عن نفسه وعن ابن حديج أما بعد فان الامر الذى بذلناله أنفسنا واتبعنا به أمر الله
أمر نرجو به ثواب ربنا والنصر على من خالفنا وتعجيل النقمة على من سعى على امامنا وأما ما
ذكرت من المواساة فى سلطانك فالله ان ذلك أمر ماله نهضنا ولا اياه أردنا فعجل الينا بخيلك
ورجلك فان عدونا قد أصبحوا لنا هائبين فان يأتنا مدد يفتح الله عليك والسلام فجاءه الكتاب
وهو بفلسطين فدعا أولئك النفر وقال لهم ماترون قالوا نرى ان تبعث جندا فأمر عمرو بن العاص
ليتجهز اليها وبعث معه ستة آلاف رجل ووصاه بالتؤدة وترك العجلة وسار عمرو فنزل ادانى
أرض مصر فاجتمعت اليه العثمانية فأقام بهم وكتب الى محمد بن أبى بكر أما بعد فتنح عنى بدمك يا ابن
أبى بكر فانى لا أحب أن يصيبك منى ظفر ان الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم
مسلموك فاخرج منها انى لك من الناصحين وبعث معه كتاب معاوية فى المعنى أيضا ويتهدده
بقصده حصار عثمان فارسل محمد الكتابين الى على ويخبره بنزول عمرو بارض مصر وانه رأى
التثاقل ممن عنده ويستمده فكتب اليه على يأمره ان يضم شيعته اليه ويعده انفاذ الجيوش اليه
ويأمره بالصبر لعدوه وقتاله وقام محمد بن أبى بكر فى الناس وندبهم الى الخروج الى عدوهم مع
كنانة بن بشر فانتدب معه ألفان وخرج محمد بن أبى بكر بعده فى ألفين وكنانة على مقدمته وأقبل
عمرو نحو كنانة فلما دنا منه سرح الكتائب كتيبة بعد كتيبة فجعل كنانة لاتأتيه كتيبة الا حمل عليها
فالحقها بعمرو بن العاص فلما رأى ذلك بعث الى معاوية بن حديج فاتاه فى مثل الدهم فاحاطوا
بكنانة وأصحابه واجتمع أهل الشام عليهم من كل جانب فلما رأى ذلك كنانة نزل عن فرسه ونزل
معه أصحابه فضاربهم بسيفه حتى استشهد وبلغ قتله محمد بن أبى بكر فتفرق عنه أصحابه وأقبل نحوه
عمرو ومابقى معه أحد فخرج محمد يمشى فى الطريق فانتهى الى خربة فى ناحية الطريق فأوى
اليها وسار عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط وخرج معاوية بن حديج فى طلب محمد بن أبى بكر
فانتهى الى جماعة على قارعة الطريق فسألهم عنه فقال أحدهم دخلت تلك الخربة فرأيت فيها
رجلا جالسا فقال ابن حديج هو هو فدخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشا وأقبلوا به نحو
الفسطاط فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبى بكر الى عمرو بن العاص وكان فى جنده وقال أتقتل أخى
صبرا ابعث الى ابن حديج فانهه عنه فبعث اليه يأمره ان يأتيه بمحمد فقال قتلتم كنانة بن
بشر واخلى انا محمدا أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر هيهات هيهات فقال لهم
محمد بن أبى بكر اسقونى ماء فقال له معاوية بن حديج لاسقانى الله ان سقيتك قطرة ابدا انكم منعتم
عثمان شرب الماء والله لاقتلنك حتى يسقيك الله من الحميم والغساق فقال له محمد يا ابن
اليهودية النساجة ليس ذلك اليك انما ذلك الى الله يسقى أولياءه ويظمئ أعداءه أنت وأمثالك
أما والله لو كان سيفى بيدى مابلغتم منى هذا ثم قال له أتدرى ما أصنع بك أدخلك جوف حمار ثم
أحرقه عليك بالنار فقال محمد ان فعلت بى ذلك فطالما فعلتم ذلك بأولياء الله وانى لأرجو أن يجعلها
عليك وعلى أوليائك ومعاوية وعمرو نارا تلظى كلما خبت زادها الله سعيرا فغضب منه وقتله ثم ألقاه

ذواتا حسن وجمال فزارها
رجلان من ثمود وهما قدار
ابن سالف ومصدع بن
مفرج والمرأتان عنيزة بنت
زعيم وصدوف بنت المحيا
فقالت صدوف لو كان لنا
فى هذا اليوم ماء لاسقينا كم
خمرا وهذا يوم الناقة وورودها
ولاسبيل لنا الى الشرب
فقالت عنيزة بلى والله لو أن
لنا رجالا لكفونا اياها وهل
هى الا بعير من الابل فقال
قدار يا صدوف ان
أنا كفيتك أمر الناقة فما
لى عندك فقالت نفسى
وهل حائل دونها عنك
فاجابت الاخرى صاحبها
بنحو ذلك فقالا ميلا علينا
بالخمر فشربا حتى توسطا
السكر ثم خرجا فاستغويا
تسعة رهط وهم التسعة
الذين أخبر الله تعالى
عنهم فى كتابه بقوله وكان
فى المدينة تسعة رهط
يفسدون فى الارض
ولا يصلحون وقصدوا
طريق الناقة فى حال صدورها
فضرب قدار عرقوبها
بالسيف فعرقبها واتبع
صاحبه الآخر العرقوب
الآخر فخرت الناقة
لوجهها ووجا قدار لبتها
فنحرها ولاذ السقب بهضبة
فلحقه بعضهم فعقره وورد
صالح فنظر الى مافعلوه
فوعدهم العذاب وكان
ذلك فى يوم الاربعاء

فى جيفة حمار ثم أحرقه بالنار فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا وقنتت فى دبر الصلاة
تدعو على معاوية وعمرو وأخذت عيال محمد اليها فكان القاسم بن محمد بن أبى بكر فى عيالها ولم
تأكل من ذلك الوقت شواء حتى توفيت وقد قيل ان محمدا قاتل عمرا ومن معه قتالا شديدا فقتل
كنانة وانهزم محمد واختبأ عند جبلة بن مسروق فدل عليه معاوية بن حديج فأحاط به فخرج محمد
فقاتل حتى قتل وأما على فلما جاءه كتاب محمد بن أبى بكر فاجابه عنه ووعده المدد وقام فى الناس خطيبا
وأخبرهم خبر مصر وقصد عمرو اياها وندبهم الى انجادهم وحثهم على ذلك وقال اخرجوا بنا الى
الجرعة وهى بين الكوفة والحيرة فلما كان الغد خرج الى الجرعة فنزلها بكرة وأقام بها حتى انتصف
النهار فلم يأته أحد فرجع فلما كان العشى استدعى أشراف الناس وهو كئيب فقال الحمد لله على
ماقضى من أمره وقدر من فعله وابتلانى بكم أيتها الفرقة التى لاتطيع اذا أمرت ولاتجيب اذا
دعوت لا أبا لغيركم ماتنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم فوالله لئن جاء الموت وليأتينى ليفرقن
بينى وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير كثير لله دركم أما دين يجمعكم ولا حمية تحميكم اذا أنتم سمعتم
بعدوكم ينتقص بلادكم ويشن الغارة عليكم أوليس عجيبا ان معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه
على غير عطاء ولا معونة فى السنة المرة والمرتين والثلاث الى أى وجه شاء وأنا أدعوكم وأنتم أولو
النهى وبقية الناس على العطاء والمعونة فتتفرقون عنى تعصوننى وتختلفون على فقام كعب بن مالك
الارحبى وقال يا أمير المؤمنين اندب الناس لهذا اليوم كنت أدخر نفسى ثم قال أيها الناس اتقوا الله
وأجيبوا امامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوه وأنا أسير اليه فخرج معه ألفان فقال له سر فوالله
ما اظنك تدركهم حتى ينقضى أمرهم فسار بهم خمسا ثم ان الحجاج بن غزية الانصارى قدم من
مصر فاخبره بقتل محمد بن أبى بكر وكان معه وقدم عليه عبد الرحمن بن شبيب الفزارى من الشام
وكان عينه هناك فاخبره ان البشارة من عمرو وردت بقتل محمد وملك مصر وسرور أهل الشام
بقتله فقال على اما ان حزننا عليه بقدر سرورهم به لا بل يزيد اضعافا فارسل على فاعاد الجيش الذى
نفذهم وقام فى الناس خطيبا وقال ألا ان مصر قد افتتحها الفجرة أولوا الجور والظلمة الذين
صدوا عن سبيل الله وبغوا الاسلام عوجا ألا وان محمد بن أبى بكر استشهد فعند الله نحتسبه أما والله
وان كان كما علمت لمن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحب هدى المؤمن
انى والله ما ألوم نفسى على تقصير وانى لمقاساة الحروب لجد بصير وانى لاتقدم على الامر
وأعرف وجه الحزم وأقوم فيكم بالرأى المصيب واستصرخكم معلنا وأناديكم نداء المستغيث فلا
تسمعون لى قولا ولا تطيعون لى أمرا حتى تصير بى الامور الى عواقب المساءة فأنتم القوم لايدرك
بكم الثار ولا تنقض بكم الاوتار دعوتكم الى غياث اخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فتجرجرتم
جرجرة الجمل الاشدق وتثاقلتم الى الارض تثاقل من ليست له نية فى جهاد العدو ولا اكتساب
الاجر ثم خرج الى منكم جنيد متذائب كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون فاف لكم ثم نزل
(معاوية بن حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين جارية بن قدامة بالجيم وفى آخره ياء تحتها
نقطتان بسر بن أبى أرطاة بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة)

﴿ذكر ارسال معاوية عبد الله بن الحضرمى الى البصرة﴾

فى هذه السنة بعد مقتل محمد بن أبى بكر واستيلاء عمرو بن العاص على مصر سير معاوية عبد الله
ابن الحضرمى الى البصرة وقال له ان جل أهلها يرون رأينا فى عثمان وقد قتلوا فى الطلب بدمه
فهم لذلك حنقون يودون أن يأتيهم من يجمعهم وينهض بهم فى الطلب بثارهم ودم امامهم

فقالوا له مستهزئين يا صالح
متى يكون ماوعدتنا به من
العذاب عن ربك فقال
تصبح وجوهكم يوم مونس
وهو يوم الخميس مصفرة
ويوم العروبة محمرة ويوم
شيار مسودة ثم يصبحكم
العذاب يوم أول وسنذكر
فيما يرد من هذا الكتاب
اسماء الشهور والايام
بلغتهم فهم التسعة بقتل
صالح وقالوا ان كان صادقا
كنا قد عاجلناه قبل أن
يعاجلنا وان كان كاذبا كنا
قد ألحقناه بناقته فاتوه ليلا
فحالت الملائكة بينهم وبينه
وأمطرتهم الحجارة ومنعه
الله منهم فلما اصبحوا انظروا
الى وجوههم كما وعدهم
صفراء كأنها الورس قد
حالت الالوان وتغيرت
الاجسام وتيقن القوم
صدق الوعيد وأن العذاب
واقع بهم وخرج صالح فى
ليلة الاحد من بين ظهرانيهم
مع من خف من المؤمنين
فنزل موضع مدينة الرملة
من بلاد فلسطين وأتاهم
العذاب يوم الاحد وفيهم
يقول بعض من آمن بصالح
عليه السلام
أراكم يا رجال بنى عنيد
كأن وجوهكم طليت بورس
ويوم عروبة احمرت وجوه
مصفرة ونادوا يا لعرس
ويوم شيار فاسودت وجوه
من الحين قبل طلوع شمس

فانزل في مضر وتودد الازد فانهم كلهم معك ودع ربيعة فلن ينحرف عنك أحد سواهم لانهم كلهم ترابية فاحذرهم فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة وكان ابن عباس قد خرج الى علي بالكوفة واستخلف زياد بن أبيه على البصرة فلما وصل ابن الحضرمي الى البصرة نزل في بني تميم فأتاه العثمانية مسلمين عليه وحضره غيرهم فخطبهم وقال ان عثمان امامكم امام الهدى قتل مظلوما قتله علي فطلبتم بدمه فجزاكم الله خيرا فقال الضحاك بن قيس الهلالي وكان على شرطة ابن عباس فقال قبح الله ما جئتنا به وما تدعونا اليه أتيتنا والله بمثل ما أتانا به طلحة والزبير أتيانا وقد بايعنا عليا واستقامت أمورنا فحملانا على الفرقة حتى ضرب بعضنا بعضا ونحن الآن مجتمعون على بيعته وقد أقال العثرة وعفا عن المسيء أفتأمرنا ان ننتضي أسيافنا ويضرب بعضنا بعضا ليكون معاوية أميرا والله ليوم من أيام علي خير من معاوية وآل معاوية فقام عبد الله بن خازم السلمي فقال للضحاك اسكت فلست بأهل ان تتكلم ثم أقبل على ابن الحضرمي فقال نحن أنصارك ويدك والقول قولك فاقرأ كتابك فاخرج كتاب معاوية اليهم يذكرهم فيه آثار عثمان فيهم وحبه العافية وسده ثغورهم ويذكر قتله ويدعوهم الى الطلب بدمه ويضمن انه يعمل فيهم بالسنة ويعطيهم عطاءين في السنة فلما فرغ من قراءته قام الاحنف فقال لا ناقتي في هذا ولا جملي واعتزل القوم وقام عمرو بن مرحوم العبدي فقال أيها الناس الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا تنكثوا بيعتكم فتقع بكم الواقعة وكان عباس بن صحار العبدي مخالفا لقومه في حب علي فقام وقال لننصرنك بأيدينا وألسنتنا فقال له المثنى بن مخربة العبدي والله لئن لم ترجع الى مكانك الذي جئتنا منه لنجاهدنك بأسيافنا ورماحنا ولا يغرنك هذا الذي يتكلم يعني ابن صحار فقال ابن الحضرمي لصبرة بن شيمان أنت ناب من أنياب العرب فانصرني فقال لو نزلت في داري لنصرتك فلما رأى زياد ذلك خاف فاستدعى حضين بن المنذر ومالك بن مسمع فقال أنتم يا معشر بكر بن وائل انصار أمير المؤمنين وثقاته وقد كان من ابن الحضرمي ما ترون وأتاه من اتاه فامنعوني حتى يأتيني أمر امير المؤمنين فقال حضين بن المنذر نعم وقال مالك وكان رأيه مائلا الى بني أمية هذا أمر لي فيه شركاء استشير فيه وانظر فلما رأى زياد تثاقل مالك خاف ان تختلف عليه ربيعة فارسل الى صبرة بن شيمان الحداني الازدي يطلب ان يجيره وبيت مال المسلمين فقال ان حملته الى داري أجرتكما فنقله الى داره بالحدان ونقل المنبر أيضا فكان يصلي الجمعة بمسجد الحدان ويطعم الطعام فقال زياد لجابر بن وهب الراسبي يا أبا محمد اني لا أرى ابن الحضرمي يكف وأراه سيقاتلكم ولا أدري ما عند أصحابه فانظر ما عندهم فلما صلى زياد جلس في المسجد واجتمع الناس اليه فقال جابر يا معشر الازد ان تميما تزعم أنهم هم الناس وانهم أصبر منكم عند البأس وقد بلغني انهم يريدون أن يسيروا اليكم ويأخذوا جاركم ويخرجوه قسرا فكيف أنتم اذا فعلوا ذلك وقد أجرتموه وبيت مال المسلمين فقال صبرة بن شيمان وكان مفخما ان جاء الاحنف جئت وان جاء حاتم جئت وان جاء شبابهم ففينا شباب وكتب زياد الى علي بالخبر فارسل علي اليه أعين بن ضبيعة المجاشعي ثم التميمي ليفرق قومه عن ابن الحضرمي فان امتنعوا قاتل بمن أطاعه من عصاه وكتب الى زياد يعلمه ذلك فقدم أعين فأتى زيادا فنزل عنده وجمع رجالا وأتى قومه ونهض الى ابن الحضرمي ومن معه ودعاهم فشتموه وواقفهم نهاره ثم انصرف عنهم فدخل عليه قوم قيل انهم من الخوارج وقيل وضعهم ابن الحضرمي على قتله وكان معهم فقتلوه غيلة فلما قتل أعين أراد زياد قتالهم فارسلت تميم الى الازد انا لم نعرض لجاركم فما تريدون الى جارنا فكرهت الازد قتالهم وقالوا ان عرضوا لجارنا منعناه وكتب زياد الى علي بخبر

فلما كان أوّل في ضحاه
أتتهم صيحة عمت بنعس

وفيهم يقول حناف بن عمرو وكان ممن اعتزلهم من المؤمنين وبان عن ديارهم

كانت ثمود ذوي عز ومكرمة
ما ان يضام لهم في الناس من جار
لا يرهبون من الاعداء حولهم
وقع السيوف ولا نزعا باوتار
فاهلكوا ناقة كانت لربهم
قد أنذروها وكانوا غير أنذار
نادوا قدارا ولحم السقب بينهم
هل للعجول وهل للسقب من ثار
لم يرعيا صالح في عقر ناقته
وأخفروا العهد هذيا أي اخفار
فصادفوا عنده من ربه حرسا
فشدّ خوار وسهم شدنا باحجار

(وسنذكر) فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لتفرق الناس مما يلي من اخبار ثمود جملا وما كان من أمر الناس بأرض بابل وافتراق لغاتهم وما قاله كل فريق منهم من الشعر على حسب ما أعطاه الله من اللسان وان كنا قد أتينا على شرح ذلك على الكمال فيما تقدم لنا من كتابنا اخبار الزمان وبالله التوفيق

﴿ذكر مكة وأخبارها وبناء البيت ومن تداوله من جرهم وغيرها وما لحق بهذا الباب﴾

خبر أعين وقتله فارسل علي جارية بن قدامة السعدي وهو من بني سعد من تميم وبعث معه خمسين رجلا وقيل خمسمائة من تميم وكتب الى زياد يأمره بمعونة جارية والاشارة عليه فقدم جارية البصرة فحذره زياد ما أصاب أعين فقام جارية في الازد فجزاهم خيرا وقال عرفتم الحق اذ جهله غيركم وقرأ كتاب علي الى أهل البصرة يوبخهم ويتهددهم ويعنفهم ويتوعدهم بالمسير اليهم والايقاع بهم وقعة تكون وقعة الجمل عندها هباء فقال صبرة بن شيمان سمعا لامير المؤمنين وطاعة نحن حرب لمن حاربه وسلم لمن سالمه وقال أبو صفرة والد المهلب لزياد لو أدركت يوم الجمل ما قاتل قومي أمير المؤمنين وقيل ان أبا صفرة كان توفي في مسيره الى صفين والله أعلم وسار جارية الى قومه وقرأ عليهم كتاب علي ووعدهم فاجابه أكثرهم فسار الى ابن الحضرمي ومعه الازد ومن تبعه من قومه وعلى خيل ابن الحضرمي عبد الله بن خازم السلمي فاقتتلوا ساعة وأقبل شريك بن الاعور الحارثي فصار مع جارية فانهزم ابن الحضرمي فتحصن بقصر سنبيل ومعه ابن خازم فأتته أمه عجلى وكانت حبشية فامرته بالنزول فأبى فقالت والله لتنزلن أو لانزعن ثيابي فنزل ونجا واحرق جارية القصر بمن فيه فهلك ابن الحضرمي وسبعون رجلا معه وعاد زياد الى القصر وكان قصر سنبيل لفارس قديما وصار لسنبيل السعدي وحوله خندق وكان فيمن احترق دراع بن بدر أخو حارثة بن بدر فقال عمرو بن العرندس

ردد نا زيادا الى داره * وجار تميم دخانا ذهب
لحى الله قوما شووا جارهم * ولم يدفعوا عنه حر اللهب

في أبيات غير هذه وقال جرير

غدرتم بالزبير فما وفيتم * وفاء الازد اذ منعوا زيادا
فأصبح جارهم بنجاة عز * وجار مجاشع أمسى رمادا
فلو عاقدت حبل ابي سعيد * لذاد القوم ما حمل النجادا
وادنى الخيل من رهج المنايا * واغشاها الاسنة والصعادا

جارية بن قدامة بالجيم والياء تحتها نقطتان وحارثة بن بدر بالحاء المهملة وبعدها ثاء مثلثة وعبد الله ابن خازم بالخاء المعجمة والزاي والمثنى بن مخربة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المشددة وآخره باء موحدة

﴿ذكر خبر الخريت بن راشد وبني ناجية﴾

قيل وفي هذه السنة أظهر الخريت بن راشد الناجي الخلاف على علي فجاء الى أمير المؤمنين وكان معه ثلاثمائة من بني ناجية خرجوا مع علي من البصرة فشهدوا معه الجمل وصفين وأقاموا معه بالكوفة الى هذا الوقت فحضر عند علي في ثلاثين راكبا فقال له يا علي والله لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك واني غدا مفارق لك وذلك بعد تحكيم الحكمين فقال له ثكلتك أمك اذا تعصي ربك وتنكث عهدك ولا تضر الا نفسك خبرني لم تفعل ذلك فقال لانك حكمت وضعفت عن الحق وركنت الى القوم الذين ظلموا فانا عليك زار وعليهم ناقم ولكم جميعا مباين فقال له علي هلم ادارسك الكتاب واناظرك في السنن وافاتحك أمورا أنا أعلم بها منك فلعلك تعرف ما أنت له الآن منكر قال فاني عائد اليك قال لا يستهوينك الشيطان ولا يستخفنك الجهال والله لئن استرشدتني وقبلت مني لاهدينك سبيل الرشاد فخرج من عنده منصرفا الى أهله وسار من ليلته هو وأصحابه فلما سمع بمسيرهم علي قال بعدا لهم كما بعدت ثمود ان الشيطان اليوم استهواهم

ولما أسكن ابراهيم ولده اسمعيل مكة مع أمه هاجر واستودعه خالقه على حسب ما أخبر الله عنه أنه اسكنه بواد غير ذي زرع وكان موضع البيت ربوة حمراء أمر ابراهيم هاجر أن تتخذ عليه عريشا يكون لها مسكنا وكان من ظما اسمعيل وهاجر ما كان الى أن أنبع الله لهما زمزم وأخط الشجر واليمن فتفرق العماليق وجرهم في البلاد ومن هنالك من بقايا عاد فبقيت العماليق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والدار الخصيبة وعليهم السميدع بن هود ابن لابي بن قنطور بن كركر ابن حيدان فلما أمعنت بنو كركر في المسير وقد عدمت الماء والمرعى واشتد بها الجهد اقبل السميدع ابن هود يحثهم على السير في شعر له ويشجعهم فيما قد نزل بهم وهو

سيروا بني الكركر في البلاد
اني أرى ذا الدهر في فساد
قد سار من قحطان ذي الرشاد

جرهم لما هدها التعادي فأشرف روادهم وهم المتقدمون لطلب الماء على الوادي فنظروا الطير ترتفع وتنخفض فهبطوا الوادي ونظروا الى العريش على الربوة الحمراء وفيها هاجر واسمعيل وقد زمت حول الماء بالاحجار ومنعته من الجريان وقد روي أن النبي

وأضاهم وهو غدا متبرئ منهم فقال له زياد بن خصفة البكري يا أمير المؤمنين انه لم يعظم علينا فقدهم فنأسى عليهم انهم قلما يزيدون في عددنا لو أقاموا ولقلما ينقصون من عددنا بخروجهم عنا ولكنا نخاف ان يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليك من أهل طاعتك فأذن لي في اتباعهم حتى أردهم عليك فقال أتدري أين توجهوا قال لا ولكني أسأل وأتبع الاثر فقال له اخرج رحمك الله وانزل دير أبي موسى وأقم حتى يأتيك أمري فان كانوا ظاهرين فان عمالي سيكتبون بخبرهم فخرج زياد فأتى داره وجمع أصحابه من بكر بن وائل وأعلمهم الخبر فسار معه مائة وثلاثون رجلا فقال حسبي ثم سار حتى أتى دير أبي موسى فنزله يوما ينتظر أمر علي وأتى عليا كتاب من قرظة بن كعب الانصاري يخبره أنهم توجهوا نحو نفر وأنهم قتلوا رجلا من الدهاقين كان أسلم فأرسل علي الى زياد يأمره باتباعهم ويخبره خبرهم وانهم قتلوا رجلا مسلما ويأمره بردهم اليه فان أبوا يناجزهم وسير الكتاب مع عبد الله بن وال فاستأذنه عبد الله في المسير مع زياد فأذن له وقال له اني لارجو ان تكون من أعواني على الحق وأنصاري على القوم الظالمين قال ابن وال فوالله ما أحب أن لي بمقالته تلك حمر النعم وسار بكتاب علي الى زياد وساروا حتى أتوا نفر فقيل انهم ساروا نحو جرجرايا فتبعوا آثارهم حتى أدركوهم بالمذار وهم نزول قد أقاموا يومهم وليلتهم واستراحوا فأتاهم زياد وقد تقطع أصحابه وتعبوا فلما رأوهم ركبوا خيولهم وقال لهم الخريت اخبروني ما تريدون فقال له زياد وكان مجربا رفيقا قد ترى ما بنا من التعب والذي جئناك له لا يصلحه الكلام علانية ولكن ننزل ثم نخلو جميعا فنتذاكر أمرنا فان رأيت ما جئناك به حظا لنفسك قبلته وان رأينا فيما نسمع منك أمرا نرجو فيه العافية لم نرده عليك قال فانزل فنزل زياد وأصحابه على ماء هناك وأكلوا شيئا وعلقوا على دوابهم ووقف زياد في خمسة فوارس بين أصحابه وبين القوم وكانوا قد نزلوا أيضا وقال زياد لاصحابه ان عدتنا كعدتهم وأرى أمرنا يصير الى القتال فلا تكونوا أعجز الفريقين وخرج زياد الى الخريت فسمعهم يقولون جاءنا القوم وهم كالون تعبون فتركناهم حتى استراحوا هذا والله سوء الرأي فدعاه زياد وقال له ما الذي نقمت على أمير المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا فقال لم أرض صاحبكم اماما ولا سيرتكم سيرة فرأيت ان اعتزل وأكون مع من يدعو الى الشورى فقال له زياد وهل يجتمع الناس على رجل يداني صاحبك الذي فارقته علما بالله وسنته وكتابه مع قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم وسابقته في الاسلام فقال له ذلك لا أقول لا فقال له زياد ففيما قتلت ذلك الرجل المسلم فقال له ما أنا قتلته وانما قتله طائفة من أصحابي قال فادفعهم الينا قال ما لي الى ذلك سبيل فدعا زياد أصحابه ودعا الخريت أصحابه فاقتتلوا قتالا شديدا تطاعنوا بالرماح حتى لم يبق رمح وتضاربوا بالسيوف حتى انحنت وعقرت عامة خيولهم وكثرت الجراحة فيهم وقتل من أصحاب زياد رجلان ومن أولئك خمسة وجاء الليل فحجز بينهما وقد كره بعضهم بعضا وجرح زياد فسار الخريت من الليل وسار زياد الى البصرة وأتاهم خبر الخريت انه أتى الاهواز فنزل بجانب منها وتلاحق به ناس من أصحابهم فصاروا نحو مائتين فكتب زياد الى علي بخبرهم وانه مقيم يداوي الجرحى وينتظر أمره فلما قرأ علي كتابه قام اليه معقل بن قيس فقال يا أمير المؤمنين كان ينبغي ان يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل واحد منهم عشرة فاذا لحقوهم استأصلوهم وقطعوا دابرهم فأما ان يلقاهم عددهم فلعمري ليصبرن لهم فان العدة تصبر للعدة فقال تجهز يا معقل اليهم وندب معه ألفين من أهل الكوفة منهم يزيد بن المعقل الاسدي وكتب علي الى ابن عباس يأمره ان يبعث من أهل البصرة رجلا شجاعا معروفا بالصلاح في ألفي رجل الى معقل وهو أمير

أصحابه

صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله أمنا هاجر لولا أنها عجلت ومنعت ماء زمزم من أن يجري بما حوطت حوله من الاحجار لجرى الماء على وجه الارض فسلم الرواد عليها واستأذنوها في نزولهم وشربهم من الماء فأنست اليهم وأذنت لهم في النزول فتلقوا من كان وراءهم من أهاليهم وأخبروهم خبر الماء فنزلوا الوادي مطمئنين مستبشرين بالماء وبما أضاء الوادي من نور النبوة وموضع البيت الحرام وتكلم اسمعيل بالعربية بخلاف لغة أبيه وقد ذكرنا في هذا الكتاب وغيره ما قاله الناس في ذلك من قحطان ونزار وتزوج اسمعيل بالجداء بنت سعد العملاقي وقد كان ابراهيم استأذن سارة في زيارة اسمعيل فأذنت له فوافى مكة واسمعيل في الصيد ومعه أمه هاجر فسلم على الجداء زوجة اسمعيل فلم ترد عليه السلام فقال هل من منزل فقالت لاها الله قال فما فعل رب البيت قالت هو غائب فقال لها اذا ورد فأخبريه ان ابراهيم يقول لك بعد مسئلته عنك وعن أمك استبدل بعتبة بيتك غيرها وانصرف ابراهيم من فوره نحو الشام وراح اسمعيل وهاجر فنظر الى الوادي قد أشرق وأنار

أصحابه حتى يأتي معقلا فاذا لقيه كان معقل الامير وكتب الى زياد بن خصفة يشكره ويأمره بالعود واجتمع على الخريت الناجي علوج من أهل الاهواز كثير أرادوا كسر الخراج ولصوص وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه وطمع أهل الخراج في كسره فكسروه وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس وكان عاملا لعلي عليها في قول من يزعم انه لم يمت سنة سبع وثلاثين فقال ابن عباس لعلي أنا أكفيك فارس بزياد يعني ابن أبيه فأمره بارساله اليها وتعجيل تسييره فأرسل زيادا اليها في جمع كثير فوطئ بلاد فارس فأدوا الخراج واستقاموا وسار معقل بن قيس ووصاه علي فقال له اتق الله ما استطعت ولا تبغ على أهل القبلة ولا تظلم أهل الذمة ولا تتكبر فان الله لا يحب المتكبرين فقدم معقل الاهواز ينتظر مدد البصرة فابطأ عليه فسار عن الاهواز يطلب الخريت فلم يسر الا يوما حتى أدركه المدد مع خالد بن معدان الطائي فساروا جميعا فلحقوهم قريب جبل من جبال رامهرمز فصف معقل أصحابه فجعل على ميمنته يزيد بن المعقل وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبي من أهل البصرة وصف الخريت أصحابه فجعل من معه من العرب ميمنة ومن معه من أهل البلد والعلوج ميسرة ومعهم الاكراد وحرض كل واحد منهما أصحابه وحرك معقل رأسه مرتين ثم حمل في الثالثة فصبروا له ساعة ثم انهزموا فقتل أصحاب معقل منهم سبعين رجلا من بني ناجية ومن معهم من العرب وقتلوا نحوا من ثلاثمائة من العلوج والاكراد وانهزم الخريت بن راشد فلحق باسياف البحر وبها جماعة كثيرة من قومه فما زال يسير فيهم ويدعوهم الى خلاف علي ويخبرهم ان الهدى في حربه حتى اتبعه منهم ناس كثير وأقام معقل بأرض الاهواز وكتب الى علي بالفتح فقرأ علي الكتاب على أصحابه واستشارهم فقالوا كلهم نرى أن تأمر معقلا أن يتبع آثار الفاسق حتى يقتله أو ينفيه فانا لا نأمن ان يفسد عليك الناس فكتب الى معقل يثني عليه وعلى من معه ويأمره باتباعه وقتله أو نفيه فسأل معقل عنه فأخبر بمكانه بالاسياف وانه قد رد قومه عن طاعة علي وأفسد من عنده من عبد القيس وسائر العرب وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صفين وذلك العام فسار اليهم معقل فأخذ على فارس وانتهى الى أسياف البحر فلما سمع الخريت بمسيره قال لمن معه من الخوارج أنا على رأيكم وان عليا لم ينبغ له أن يحكم وقال للآخرين من أصحابه ان عليا حكم ورضي فخلعه حكمه الذي ارتضاه وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة واليه كان يذهب وقال سرا للعثمانية أنا والله على رأيكم قد والله قتل عثمان مظلوما فأرضى كل صنف منهم وقال لمن منع الصدقة شدوا أيديكم على صدقاتكم وصلوا بها أرحامكم وكان فيها نصارى كثير قد أسلموا فلما اختلف الناس قالوا والله لديننا الذي خرجنا منه خير من دين هؤلاء لا ينهاهم دينهم عن سفك الدماء فقال لهم الخريت ويحكم لا ينجيكم من القتل الا قتل هؤلاء القوم والصبر فان حكمهم فيمن أسلم ثم ارتد أن يقتل ولا يقبلون منه توبة ولا عذرا فخدعهم جميعهم وأتاه من كان من بني ناجية وغيرهم خلق كثير فلما انتهى معقل اليه نصب راية أمان وقال من أتاها من الناس فهو آمن الا الخريت وأصحابه الذين حاربونا أول مرة فتفرق عن الخريت جل من كان معه من غير قومه وعبى معقل أصحابه وزحف نحو الخريت ومعه قومه مسلمهم ونصرانيهم ومانع الزكاة منهم فقال الخريت لمن معه قاتلوا عن حريمكم وأولادكم فوالله لئن ظهروا عليكم ليقتلنكم وليسبنكم فقال له رجل من قومه هذا والله ما جرته علينا يدك ولسانك فقال سبق السيف العذل وسار معقل في الناس يحرضهم ويقول أيها الناس ما تريدون أفضل مما سبق لكم من الاجر العظيم ان الله ساقكم الى قوم منعوا الصدقة وارتدوا عن الاسلام ونكثوا البيعة ظلما فأشهد لمن قتل منكم بالجنة ومن

والاغنام تتنسم الآثار فقال لزوجته الجداء هل كان لك بعدي من خبر قالت نعم شيخ ورد علي وأخبرته بالقصة فقال ذلك أبي خليل الرحمن وقد أمرني بتخليتك فالحقي بأهلك فلا خير فيك وتسامعت جرهم بني كركر ونزولهم الوادي وما هم فيه من الخصب وادرار الضرع وهم في حال قحط فبادروا نحو مكة وعليهم الحرث ابن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن ظالم بن هالة بن هني بن نبت بن جرهم حتى أتوا الوادي ونزلوا مكة واستوطنوها مع اسمعيل ومن تقدمهم من العماليق من بني كركر وقد قيل في كركر انه من العماليق وقيل انه من جرهم والاشهر أنه من العماليق وتزوج اسمعيل زوجته الثانية وهي شامة بنت مهلهل ابن سعد بن عوف بن هني ابن نبت واستأذن ابراهيم سارة في زيارة اسمعيل فاستحلفته غيرة عليه انه اذا أتى الموضع لا ينزل من ركابه وقد تنازع الناس على أي شيء كان ركوبه فمنهم من قال كان راكبا على البراق ومنهم من قال على أتان وقيل غير ذلك من الحيوان فلما أتى ابراهيم الوادي سلم على زوجته

بقى منكم فان الله مقر عينه بالفتح ثم حمل معقل وجميع من معه فقاتلوا قتالا شديدا وصبروا له ثم ان النعمان بن صهبان الراسبى بصر بالخريت فحمل عليه فطعنه فصرع عن دابته ثم اختلفا ضربتين فقتله النعمان وقتل معه فى المعركة سبعون ومائة رجل وذهب الباقون يمينا وشمالا وسبى معقل من أدرك من حريمهم وذرياتهم وأخذ رجالا كثيرا فأما من كان مسلما فخلاه وأخذ بيعته وترك له عياله واما من كان ارتد فعرض عليهم الاسلام فرجعوا فخلى سبيلهم وسبيل عيالهم الا شيخا كبيرا نصرانيا منهم يقال له الرماحس لم يسلم فقتله وجمع من منع الصدقة وأخذ منهم صدقة عامين وأما النصارى وعيالهم فاحتملهم مقبلا بهم واقبل المسلمون معهم يشيعونهم فلما ودعوهم بكى الرجال والنساء بعضهم الى بعض حتى رحمهم الناس وكتب معقل الى على بالفتح ثم أقبل بهم حتى مر على مصقلة بن هبيرة الشيبانى وهو عامل على على اردشيرخره وهم خمسمائة انسان فبكى النساء والصبيان وصاح الرجال يا أبا الفضل يا حامى الرجال ومأوى المعضب وفكاك العناة امنن علينا واشترنا وأعتقنا فقال مصقلة اقسم بالله لا تصدقن عليكم ان الله يجزى المتصدقين وبلغ قوله معقلا فقال والله لو أعلم انه قالها توجعا عليهم وازراء علينا لضربت عنقه ولو كان فى ذلك تفانى تميم وبكر ثم ان مصقلة اشتراهم من معقل بخمسمائة ألف فقال له معقل عجل المال الى أمير المؤمنين فقال انا أبعث الآن ببعضه ثم كذلك حتى لا يبقى منه شئ وأقبل معقل الى على فأخبره بما كان منه فاستحسنه وبلغ عليا ان مصقلة اعتق الاسرى ولم يسألهم ان يعينوه بشئ فقال ما أظن مصقلة الا قد تحمل حمالة سترونه عن قريب منها مبلدا وكتب اليه يطلب منه المال او يحضر عنده فحضر عنده وحمل من المال مائتى ألف قال ذهل بن الحرث فاستدعانى ليلة فطعمنا ثم قال ان امير المؤمنين يسألنى هذا المال ولا أقدر عليه فقلت والله لو شئت ما مضت جمعة حتى تحمله فقال والله ما كنت لاحملها قومى اما والله لو كان ابن هند ما طالبنى بها ولو كان ابن عفان لوهبها لى ألم تره أطعم الاشعث بن قيس كل سنة من خراج اذربيجان مائة ألف قال فقلت ان هذا لا يرى ذلك الرأى ولا يترك منها شيأ فهرب مصقلة من ليلته فلحق بمعاوية وبلغ عليا ذلك فقال ماله ترحه الله فعل فعل السيد وفر فرار العبد وخان خيانة الفاجر أما انه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه فان وجدنا له شيأ أخذناه والا تركناه ثم سار على الى داره فهدمها واجاز عتق السبى وقال اعتقهم مبتاعهم وصارت أثمانهم دينا على معتقهم وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعة لعلى فكتب اليه مصقلة من الشام مع رجل من نصارى تغلب اسمه حلوان يقول له ان معاوية قد وعدك الامارة والكرامة فاقبل ساعة يلقاك رسولى والسلام فأخذه مالك بن كعب الارحبى فسرحه الى على فقطع يده فمات وكتب نعيم الى مصقلة يقول

لا ترمين هداك الله معترضا * بالظن منك فما بالى وحلوانا
ذاك الحريص على ما نال من طمع * وهو البعيد فلا يحزنك ان خانا
ماذا أردت الى أرساله سفها * ترجو سقاط امرئ لم يلف وسنانا
قد كنت فى منظر عن ذا ومستمع * تحمى العراق وتدعى خير شيبانا
حتى تقحمت أمرا كنت تكرهه * للراكبين له سرا واعلانا
عرضته لعلى انه اسد * يمشى العرضنة من آساد خفانا
لو كنت اديت مال القوم مصطبرا * للحق أحييت أحيانا وموتانا
لكن لحقت باهل الشام ملتمسا * فضل ابن هند وذاك الرأى أشجانا

اسمعيل الجرهمية فسلمت عليه ورحبت به وتلقته باحسن لقاء وسألها عن اسمعيل وهاجر فاخبرته بخبرهما وأنهما فى رعيهما وعرضت عليه النزول فابى وقيل ان هاجر كانت قد ماتت ولها من السن تسعون سنة وألحت الجرهمية على ابراهيم فى النزول فابى فقدمت اليه لبنا وشرائح من لحم الصيد فدعا فيه بالبركة وجاءته بحجر كان فى البيت فمال عن ركابه وجعلته تحت قدمه اليمنى ثم رجلت شعره ودهنته ثم حولت الحجر الى شماله فوضع رجله اليسرى عليه أيضا ومال برأسه نحوها فرجلته ودهنته فاثرت قدماه فى الحجر على ما وصفنا من ترتيب اليمين والشمال فلما رأت الجرهمية ذلك اكبرت ما شاهدته وهذا الحجر هو مقام ابراهيم فقال لها ابراهيم ارفعيه فسيكون له شان ونبأ بعد حين ثم قال لها اذا جاءك اسمعيل فقولى له ان ابراهيم يقرأ عليك السلام ويقول لك احتفظ بعتبة بيتك فنعمت العتبة هى وسار ابراهيم راجعا نحو الشام وقيل انما سمى اسمعيل لان الله سمع دعاء هاجر ورحمها حين هربت من سيدتها

فاليوم تقرع سن العجز من ندم * ماذا تقول وقد كان الذى كانا
أصبحت تبغضك الأحياء قاطبة * لم يرفع الله بالبغضاء انسانا

فلما وقع الكتاب اليه علم أنه قد هلك وأتاه التغلبيون فطلبوا منه دية صاحبهم فوداهم وقال بعض الشعراء فى بنى ناجية

سما لكمو بالخيل قودا عوابسا * اخو ثقة ما يبرح الدهر غازيا
فصبحكم فى رجله وخيوله * بضرب ترى منه المدجج هاويا
فأصبحتم من بعد كبر ونخوة * عبيد العصا لا تمنعون الذراريا

وقال مصقلة بن هبيرة

لعمرى لئن عاب أهل العراق * على انتعاش بنى ناجيه
لاعظم من عتقهم رقهم * وكفى بعتقهم عاليه
وزايدت فيهم لاطلاقهم * وغاليت ان العلا غاليه

﴿ذكر امر الخوارج بعد النهروان﴾

لما قتل أهل النهروان خرج أشرس بن عوف الشيبانى على على بالدسكرة فى مائتين ثم سار الى الانبار فوجه اليه على الابرش بن حسان فى ثلثمائة فواقعه فقتل أشرس فى ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ثم خرج هلال بن علفة من تيم الرباب ومعه أخوه مجالد فأتى ماسبذان فوجه اليه على معقل بن قيس الرياحى فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين وكان قتلهم فى جمادى الاولى سنة ثمان وثلاثين ثم خرج الاشهب بن بشر وقيل الاشعث وهو من بجيلة فى مائة وثمانين رجلا وأتى المعركة التى أصيب فيها هلال وأصحابه فصلى عليهم ودفن من قدر عليه منهم فوجه اليهم على جارية بن قدامة السعدى وقيل حجر بن عدى فاقبل اليهم الاشهب فاقتتلا بجرجرايا من أرض جوخى فقتل الاشهب وأصحابه فى جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين ثم خرج سعيد بن قفل التيمى من تيم الله بن ثعلبة فى رجب بالبندنيجين ومعه مائتا رجل فأتى درزنجان وهى من المدائن على فرسخين فخرج اليهم سعد بن مسعود فقتلهم فى رجب سنة ثمان وثلاثين ثم خرج ابو مريم السعدى التميمى فأتى شهرزور وأكثر من معه من الموالى وقيل لم يكن معه من العرب غير ستة نفر هو أحدهم واجتمع معه مائتا رجل وقيل أربعمائة وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة فأرسل اليه على يدعوه الى بيعته ودخول الكوفة فلم يفعل وقال ليس بيننا غير الحرب فبعث اليه على شريح بن هانئ فى سبعمائة فحمل الخوارج على شريح وأصحابه فانكشفوا وبقى شريح فى مائتين فانحاز الى قرية فتراجع اليه بعض أصحابه ودخل الباقون الكوفة فخرج على بنفسه وقدم بين يديه جارية بن قدامة السعدى فدعاهم جارية الى طاعة على وحذرهم القتل فلم يجيبوا ولحقهم على أيضا فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه فقتلهم أصحاب على ولم يسلم منهم غير خمسين رجلا استأمنوا فامنهم وكان فى الخوارج أربعون رجلا جرحى فأمر على بادخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برؤا وكان قتلهم فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج ولجرأتهم قاربوا الكوفة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس فى هذه السنة قثم بن العباس من قبل على وكان عامله على مكة وكان على اليمن عبيد الله ابن عباس وعلى البصرة عبد الله بن عباس وعلى خراسان خليد بن قرة اليربوعى وقيل كان ابن أبزى

سارة أم اسحق وقيل ان الله سمع دعاء ابراهيم وقبض اسمعيل وله مائة وسبع وثلاثون سنة فدفن فى المسجد الحرام حيال الموضع الذى فيه الحجر الاسود * وولد لاسمعيل اثنا عشر ولدا ذكرا وهم نابت وقيذار واربل ومبشم ومسمع ودوما ودوام ومشى وحدا ونيم وبطور ونابش وكل هؤلاء قد أنسل وقد كان ابراهيم قدم الى مكة ولاسمعيل ثلاثون سنة حين أمره الله تعالى ببناء البيت فبناه وكان اسمعيل يأتى بالحجر من عشرة جبال ذكرت وطوله ثلاثون ذراعا وعرضه اثنان وعشرون ذراعا وسمكه سبعة أذرع وجعل له بابا ولم يسقف ووضع الركن موضعه والصق المقام بالبيت وذلك قوله عز وجل واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل الآية وأمر الله تعالى ابراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج ولما قبض اسمعيل قام بالبيت بعده نابت بن اسمعيل ثم قام من بعده أناس من جرهم لغلبة جرهم على ولد اسمعيل وكان ملك جرهم يومئذ الحرث بن مضاض وهو أول من ولى البيت وكان ينزل هناك فى

واما الشام ومصر فكان بهما معاوية وعماله وفي هذه السنة مات صهيب بن سنان في قول بعضهم وكان عمره سبعين سنة ودفن بالبقيع

﴿ثم دخلت سنة تسع وثلاثين﴾

﴿ذكر سرايا أهل الشام الى بلاد امير المؤمنين عليه السلام﴾

وفي هذه السنة فرق معاوية جيوشه في العراق في أطراف علي فوجه النعمان بن بشير في ألف رجل الى عين التمر وفيها مالك بن كعب مسلحة لعلي في ألف رجل وكان مالك قد أذن لاصحابه فأتوا الكوفة ولم يبق معه الا مائة رجل فلما سمع بالنعمان كتب الى أمير المؤمنين يخبره ويستمده فخطب على الناس وأمرهم بالخروج اليه فتثاقلوا وواقع مالك النعمان وجعل جدار القرية في ظهور أصحابه وكتب مالك الى مخنف بن سليم يستعينه وهو قريب منه واقتتل مالك والنعمان أشد قتال فوجه مخنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلا فانتهوا الى مالك وقد كسروا جفون سيوفهم واستقتلوا فلما رآهم أهل الشام انهزموا عند المساء وظنوا ان لهم مددا وتبعهم مالك فقتل منهم ثلاثة نفر ولما تثاقل أهل الكوفة عن الخروج الى مالك صعد على المنبر فخطبهم ثم قال يا أهل الكوفة كلما سمعتم بجمع من أهل الشام أظلكم انجحر كل امرئ منكم في بيته وأغلق عليه بابه انجحار الضب في جحره والضبع في وجارها المغرور من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب لا احرار عند النداء ولا اخوان عند النجاء انا لله وانا اليه راجعون ماذا منيت به منكم عمي لا يبصرون وبكم لا ينطقون وصم لا يسمعون انا لله وانا اليه راجعون ووجه معاوية في هذه السنة أيضا سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل وأمره ان يأتي هيت فيقطعها ثم يأتي الانبار والمدائن فيوقع بأهلها فأتى هيت فلم يجد بها أحدا ثم اتى الانبار وفيها مسلحة لعلي تكون خمسمائة رجل وقد تفرقوا ولم يبق منهم الا مائتا رجل وكان سبب تفرقهم انه كان عليهم كميل بن زياد فبلغه ان قوما بقرقيسيا يريدون الغارة على هيت فسار اليهم بغير أمر علي فأتى أصحاب سفيان وكميل غائب عنها فأغضب ذلك عليا على كميل فكتب اليه ينكر ذلك عليه وطمع سفيان في أصحاب علي لقتالهم فقاتلهم فصبر أصحاب علي ثم قتل صاحبهم وهو أشرس بن حسان البكري وثلاثون رجلا واحتملوا ما في الانبار من أموال أهلها ورجعوا الى معاوية وبلغ الخبر عليا فأرسل في طلبهم فلم يدركوا وفيها أيضا وجه معاوية عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر الفزاري في ألف وسبعمائة رجل الى تيماء وأمره ان يصدق من مر به من أهل البوادي ويقتل من امتنع ففعل ذلك وبلغ مكة والمدينة وفعل ذلك واجتمع اليه بشر كثير من قومه وبلغ ذلك عليا فأرسل المسيب بن نجبة الفزاري في ألفي رجل فلحق عبد الله بتيماء فاقتتلوا حين زالت الشمس قتالا شديدا وحمل المسيب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات لا يريد قتله ويقول له النجاء النجاء فدخل ابن مسعدة وعامة من معه الحصن وهرب الباقون نحو الشام وانتهب الاعراب ابل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة وحصره ومن معه ثلاثة أيام ثم ألقى الحطب في الباب وحرقه فلما رأوا الهلاك أشرفوا عليه وقالوا يا مسيب قومك فرق لهم وأمر بالنار فأطفئت وقال لاصحابه قد جاءتني عيوني فأخبروني ان جندا قد أتاكم من الشام فقال له عبد الرحمن بن شبيب سرحني في طلبهم فأبى ذلك عليه فقال غششت أمير المؤمنين وداهنت في أمرهم وفيها أيضا وجه معاوية الضحاك ابن قيس وأمره ان يمر بأسفل واقصة ويغير على كل من مر به ممن هو في طاعة علي من الاعراب وأرسل ثلاثة آلاف رجل معه فسار الناس وأخذ الاموال ومضى الى الثعلبية وقتل وأغار على

الموضع المعروف بقعيقعان في هذا الوقت وكان كل من دخل مكة بتجارة عشرها عليه وذلك في أعلى مكة وملك العماليق السميدع بن هود بن حدر ابن مازن بن لاي بن قنطورا وكان ينزل اجيادا من أسفل مكة وكان يعشر من دخل مكة من ناحيته وكانت بينهم حروب فخرج الحرث ابن مضاض ملك جرهم تتقعقع معه الرماح والدرق فسمي الموضع بقعيقعان لما ذكرنا وخرج السميدع ملك العماليق ومعه الجياد من الخيل فعرف الموضع باجياد الى هذا الوقت فكانت على الجرهميين وافتضحوا فسمي الموضع فاضحا الى هذا الوقت ثم اصطلحوا ونحروا الجزر وطبخوا فسمي الموضع بطابخ الى الآن وصارت ولاية البيت الى العماليق ثم كانت لجرهم عليهم وأقاموا ولاة البيت نحو ثلثمائة سنة وكان آخر ملوكهم الحرث بن مضاض الاصغر ابن عمرو بن الحرث بن مضاض الاكبر وزادوا في بناء البيت ورفعته على ما كان عليه من بناء ابراهيم عليه السلام وبغت جرهم في الحرم وطغت حتى فسق

مسلحة علي وانتهى الى القطقطانة فلما بلغ ذلك عليا أرسل اليه حجر بن عدي في أربعة آلاف وأعطاهم خمسين درهما فلحق الضحاك بتدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلا وقتل من أصحابه رجلان وحجز بينهما الليل فهرب الضحاك وأصحابه ورجع حجر ومن معه وفي هذه السنة سار معاوية بنفسه حتى شارف دجلة ثم نكص راجعا واختلف فيمن حج هذه السنة فقيل حج بالناس عبيد الله بن عباس من قبل علي وقيل بل حج عبد الله أخوه وذلك باطل فان عبد الله بن عباس لم يحج في خلافة علي وانما كان هذه السنة على الحج عبيد الله بن عباس وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي فاختلف عبيد الله ويزيد بن شجرة واتفقا على ان يحج بالناس شيبة بن عثمان وقيل ان الذي حج من جانب علي قثم بن العباس وكان عمال علي على البلاد من تقدم ذكرهم

﴿ذكر مسير يزيد بن شجرة الى مكة﴾

وفي هذه السنة دعا معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي وهو من أصحابه فقال له اني أريد ان أوجهك الى مكة لتقيم للناس الحج وتأخذ لي البيعة بمكة وتنفي عنها عامل علي فأجابه الى ذلك وسار الى مكة في ثلاثة آلاف فارس وبها قثم بن العباس عامل علي فلما سمع به قثم خطب أهل مكة وأعلمهم بمسير الشاميين ودعاهم الى حربهم فلم يجيبوه بشيء وأجابه شيبة بن عثمان العبدري بالسمع والطاعة فعزم قثم على مفارقة مكة واللحاق ببعض شعابها ومكاتبة أمير المؤمنين بالخبر فان أمده بالجيوش قاتل الشاميين فنهاه أبو سعيد الخدري عن مفارقة مكة وقال له أقم فان رأيت منهم القتال وبك قوة فاعمل برأيك والا فالمسير عنها أمامك فأقام وقدم الشاميون ولم يعرضوا القتال أحد وأرسل قثم الى أمير المؤمنين يخبره فسير جيشا فيهم الريان بن ضمرة بن هوذة بن علي الحنفي وأبو الطفيل أول ذي الحجة وكان قدوم ابن شجرة قبل التروية بيومين فنادى في الناس أنتم آمنون الا من قاتلنا ونازعنا واستدعى أبا سعيد الخدري وقال له اني أريد الالحاد في الحرم ولو شئت لفعلت لما فيه أميركم من الضعف فقل له يعتزل الصلاة بالناس واعتزلها أنا ويختار الناس رجلا يصلي بهم فقال أبو سعيد لقثم ذلك فاعتزل الصلاة واختار الناس شيبة بن عثمان فصلى بهم وحج بهم فلما قضى الناس حجهم رجع يزيد الى الشام وأقبل خيل علي فأخبروا بعود أهل الشام فتبعوهم وعليهم معقل بن قيس فادركوهم وقد رحلوا عن وادي القرى فظفروا بنفر منهم فأخذوهم أسارى وأخذوا ما معهم ورجعوا بهم الى أمير المؤمنين ففادى بهم أسارى كانت له عند معاوية (الرهاوي منسوب الى الرها قبيلة من العرب وقد ضبطه عبد الغني بن سعيد بفتح الراء قبيلة مشهورة واما المدينة فبضم الراء)

﴿ذكر غارة أهل الشام على أهل الجزيرة﴾

وفيها سير معاوية عبد الرحمن بن قباث بن أشيم الى بلاد الجزيرة وفيها شبيب بن عامر جد الكرماني الذي كان بخراسان وكان شبيب بنصيبين فكتب الى كميل بن زياد وهو بهيت يعلمه خبرهم فسار كميل اليه نجدة له في ستمائة فارس فادركوا عبد الرحمن ومعه معن بن يزيد السلمي فقاتلهما كميل وهزمهما فغلب على عسكرهما وأكثر القتل في أهل الشام وأمر ان لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح وقتل من أصحاب كميل رجلان وكتب الى علي بالفتح فجزاه خيرا وأجابه جوابا حسنا ورضي عنه وكان ساخطا عليه لما تقدم ذكره وأقبل شبيب بن عامر من نصيبين فرأى كميلا قد أوقع بالقوم فهنأه بالظفر واتبع الشاميين فلم يلحقهم فعبر الفرات وبث خيله فأغارت على أهل الشام حتى بلغ بعلبك فوجه معاوية اليه حبيب بن مسلمة فلم يدركه ورجع شبيب فأغار على نواحي الرقة فلم يدع

رجل منهم في الحرم بامرأة وكان الرجل يدعى باساف والمرأة نائلة فمسخهما الله عز وجل حجرين صيرا بعد ذلك وثنين وعبدا تقربا بهما الى الله تعالى وقيل بل هما حجران نحتا ومثلا بمن ذكرنا وسميا باسميهما فبعث الله على جرهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات فهلك كثير منهم وكثر ولد اسمعيل وصاروا ذوي قوة ومنعة فغلبوا على اخوالهم جرهم وأخرجوهم من مكة فلحقوا بجهينة فأتاهم في بعض الليالي السيل فذهب بهم وكان الموضع يعرف باضم وقد ذكر ذلك أمية بن أبي الصلت الثقفي في شعر له فقال

وجرهم دمنوا تهامة في الـ
ـدهر فسالت بجمعهم اضم

(وفي ذلك) يقول الحرث ابن مضاض الاصغر الجرهمي

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالي والجدود العواثر
وكنا لاسمعيل صهرا وولاة
ولما تدر فيها علينا الدوائر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت

العثمانية بها ماشية الا استاقها ولا خيلا ولا سلاحا الا أخذه وعاد الى نصيبين وكتب الى على فكتب اليه على ينهاه عن أخذ أموال الناس الا الخيل والسلاح الذى يقاتلون به وقال رحم الله شبيبا لقد أبعد الغارة وعجل الانتصار

﴿ ذكر غارة الحرث بن نمر التنوخى ﴾

ولما قدم يزيد بن شجرة على معاوية وجه الحرث بن نمر التنوخى الى الجزيرة ليأتيه بمن كان فى طاعة على فأخذ من أهل دارا سبعة نفر من بنى تغلب وكان جماعة من بنى تغلب قد فارقوا عليا الى معاوية فسألوه فى اطلاق أصحابهم فلم يفعل فاعتزلوه أيضا وكتب معاوية الى على ليفاديه بمن أسر معقل بن قيس من أصحاب يزيد بن شجرة فسيرهم على الى معاوية وأطلق معاوية هؤلاء وبعث على رجلا من خثعم يقال له عبد الرحمن الى ناحية الموصل ليسكن الناس فلقيه أولئك التغلبيون الذين اعتزلوا معاوية وعليهم قريع بن الحرث التغلبى فتشاتموا ثم اقتتلوا فقتلوه فأراد على ان يوجه اليهم جيشا فكلمته ربيعة وقالوا هم معتزلون لعدوك داخلون فى طاعتك وانما قتلوه خطأ فأمسك عنهم

﴿ ذكر أمر ابن العشبة ﴾

بعث معاوية زهير بن مكحول العامرى من عامر الاجدار الى السماوة وأمره ان يأخذ صدقات الناس وبلغ ذلك عليا فبعث ثلاثة نفر جعفر بن عبد الله الأشجعى وعروة بن العشبة والجلاس بن عمير الكلبيين ليصدقوا من فى طاعته من كلب وبكر بن وائل فوافوا زهيرا فاقتتلوا فانهزم أصحاب على وقتل جعفر بن عبد الله ولحق ابن العشبة بعلى فعنفه وعلاه بالدرة فغضب ولحق بمعاوية وكان زهير قد حمل ابن العشبة على فرس فلذلك اتهمه واما الجلاس فانه مر براع فأخذ جبته وأعطاه جبة خز فادركته الخيل فقالوا أين أخذ هؤلاء الترابيون فاشار اليهم أخذوا ههنا ثم أقبل الى الكوفة

﴿ ذكر أمر مسلم بن عقبة بدومة الجندل ﴾

وبعث معاوية مسلم بن عقبة المرى الى دومة الجندل وكان أهلها قد امتنعوا من بيعة على ومعاوية جميعا فدعاهم الى طاعة معاوية وبيعته فامتنعوا وبلغ ذلك عليا فسير مالك بن كعب الهمدانى فى جمع الى دومة الجندل فلم يشعر مسلم الا وقد وافاه مالك فاقتتلوا يوما ثم انصرف مسلم منهزما وأقام مالك أياما يدعو أهل دومة الجندل الى البيعة لعلى فلم يفعلوا فقالوا لا نبايع حتى يجتمع الناس على امام فانصرف وتركهم وفيها توجه الحرث بن مرة العبدى الى بلاد السند غازيا متطوعا بامر أمير المؤمنين على فغنم وأصاب غنائم وسبيا كثيرا وقسم فى يوم واحد ألف رأس وبقى غازيا الى ان قتل بارض القيقان هو ومن معه الا قليلا سنة اثنتين وأربعين أيام معاوية

﴿ ذكر ولاية زياد بن أمية بلاد فارس ﴾

وفى هذه السنة ولى على زيادا كرمان وفارس وسبب ذلك انه لما قتل ابن الحضرمى واختلف الناس على على طمع أهل فارس وكرمان فى كسر الخراج فطمع أهل كل ناحية وأخرجوا عمالهم وأخرج أهل فارس سهل بن حنيف فاستشار على الناس فقال له جارية بن قدامة ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل صلب الرأى عالم بالسياسة كاف لما ولى قال من هو قال زياد فامر على ابن عباس ان يولى زيادا فسيره اليها فى جمع كثير فوطئ بهم أهل فارس وكانت قد اضطربت فلم يزل يبعث الى رؤسهم يعد من ينصره ويمنيه ويخوف من امتنع عليه وضرب بعضهم ببعض فدل بعضهم على عورة بعض وهربت طائفة وأقامت طائفة فقتل بعضهم

نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
فبدلنا ربى بها دار غربة
بها الذئب يعوى والعدو المحاصر

وفيما ذكرنا من أخبارهم يقول عمرو بن الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمى
وكنا ولاة البيت والقاطن الذى
اليه يؤدى نذره كل محرم
سكناها قبل الظباء ورائة
لها عن بنى هى بن نبت بن جرهم

وفى ذلك يقول
كهف ناجرهم وأية كهف
وولاة لبيته والحجاب
فسقوا فى الحرام بعد تقاهم
واستعاضوا العقاب بعد الثواب

ثم صارت ولاية البيت فى ولد اياد بن نزار بن معد وكانت حروب كثيرة بين مضر واياد وكانت لمضر على اياد فانجلوا عن مكة الى العراق * وسنورد بعد هذا جملا من أخبار مكة وولد نزار وخزاعة وغيرهم (قال المسعودى) وقد أتينا على جمل من الاخبار فى هذا الباب من أخبار جرهم وغيرها ووجدت فى وجه آخر من الروايات أن أول ملك من ملوك جرهم ملك بمكة مضاض بن عمرو بن

بعضا وصفت له فارس ولم يلق منهم جمعا ولا حربا وفعل مثل ذلك بكرمان ثم رجع الى فارس وسكن الناس واستقامت له ونزل اصطخر وحصن قلعة تسمى قلعة زياد قريب اصطخر ثم تحصن فيها بعد ذلك منصور اليشكرى فهى تسمى قلعة منصور وقيل ابن عباس أشار بولايته وقد تقدم ذكره وفيها مات أبو مسعود الانصارى البدرى وقيل فى أول خلافة معاوية وقيل غير ذلك ولم يشهد بدرا وانما قيل له بدرى لانه نزل ماء بدر وانقرض عقبه

﴿ ثم دخلت سنة أربعين ﴾

﴿ ذكر سرية بسر بن أبى ارطاة الى الحجاز واليمن ﴾

فى هذه السنة بعث معاوية بسر بن أبى ارطاة وهو من عامر بن لؤى فى ثلاثة آلاف فسار حتى قدم المدينة وبها أبو أيوب الانصارى عامل على عليها فهرب أبو أيوب فاتى عليا بالكوفة ودخل بسر المدينة ولم يقاتله أحد فصعد منبرها فنادى عليه يا دينار يا نجار يا زريق وهذه بطون من الانصار شيخى شيخى عهدته ههنا بالامس فاين هو يعنى عثمان ثم قال والله لولا ما عهد الى معاوية ما تركت بها محتلما فارسل الى بنى سلمة فقال والله ما لكم عندى أمان حتى تأتونى بجابر بن عبد الله فانطلق جابر الى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها ماذا ترين ان هذه بيعة ضلالة وقد خشيت ان أقتل قالت أرى ان تبايع فانى قد أمرت ابنى عمر وختنى ابن زمعة ان يبايعا وكانت ابنتها زينب تحت ابن زمعة فاتاه جابر فبايعه وهدم بالمدينة دورا ثم سار الى مكة فخاف أبو موسى الاشعرى ان يقتله فهرب منه وأكره الناس على البيعة ثم سار الى اليمن وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملا لعلى فهرب منه الى على بالكوفة واستخلف على على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثى فاتاه بسر فقتله وقتل ابنه وأخذ ابنين لعبيد الله بن عباس صغيرين هما عبد الرحمن وقثم فقتلهما وكانا عند رجل من كنانة بالبادية فلما أراد قتلهما قال له الكنانى لم تقتل هذين ولا ذنب لهما فان كنت قاتلهما فاقتلنى معهما فقتله وقتلهما بعده وقيل ان الكنانى أخذ سيفه وقاتل عن الغلامين وهو يقول

الليث من يمنع حافات الدار * ولا يزال مصلتا دون الجار

وقاتل حتى قتل وأخذ الغلامين فذبحهما فخرج نسوة من بنى كنانة فقالت امرأة منهن يا هذا قتلت الرجال فعلام تقتل هذين والله ما كانوا يقتلون فى الجاهلية والاسلام والله يا ابن أبى ارطاة ان سلطانا لا يقوم الا بقتل الصبى الصغير والشيخ الكبير ونزع الرحمة وعقوق الارحام لسلطان سوء وقتل بسر فى مسيره ذلك جماعة من شيعة على باليمن وبلغ عليا الخبر فارسل جارية بن قدامة السعدى فى ألفين ووهب بن مسعود فى ألفين فسار جارية حتى أتى نجران فقتل بها ناسا من شيعة عثمان وهرب بسر وأصحابه منه واتبعه جارية حتى أتى مكة فقال بايعوا أمير المؤمنين فقالوا قد هلك فلمن نبايع قال لمن بايع له أصحاب على فبايعوا خوفا منه ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلى بالناس فهرب منه فقال جارية لو وجدت أبا سنور لقتلته ثم قال لاهل المدينة بايعوا الحسن ابن على فبايعوه وأقام يومه ثم عاد الى الكوفة ورجع أبو هريرة يصلى بهم وكانت أم ابنى عبيد الله أم الحكم جويرية بنت خويلد بن قارظ وقيل عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان فلما قتل ولداها ولهت عليهما فكانت لا تعقل ولا تصغى ولا تزال تنشدهما فى المواسم فتقول

يا من أحس بابنى اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بابنى اللذين هما * مخ العظام فمخى اليوم مزدهف

سعد بن الرقيب بن هى بن نبت بن جرهم بن قحطان مائة سنة ثم ملك بعده ابنه عمرو بن مضاض مائة وعشرين سنة ثم ملك بعده الحرث بن عمرو مائتى سنة وقيل دون ذلك ثم ملك بعده عمرو بن الحرث مائتى سنة وقيل دون ذلك ثم ملك مضاض بن عمرو الاصغر ابن الحرث بن عمرو بن سعد ابن الرقيب بن هى بن نبت ابن جرهم بن قحطان أربعين سنة وانقرضت العرب العاربة من عاد وثمود وعبيد وطسم وجديس والعماليق واياد وجرهم ولم يبق من العرب الا من كان من عدنان وقحطان ودخل من بقى ممن ذكرنا من العرب البائدة فى عدد قحطان وعدنان فانمحت أنسابهم وزالت آثارهم وقد كانت العماليق بغت فى الارض فسلط الله عليهم ملوك الارض فافنتها وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا للروم وأنسابها من لحق بولد عملاق وغيرهم فمن ذكرنا ولد عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وأن علماء العرب تنسبهم الى غير هذا النسب وهو الاشهر

يامن أحس بابنى اللذين هما * قلبى وسمعى فقلبى اليوم مختطف
من ذل والهة حيرى مدلهة * على صبيين ذلا اذ غدا السلف
نبئت بسرا وماصدقت مازعموا * من افكهم ومن القول الذى اقترفوا
احنى على ودجى ابنى مرهفة * من الشفار كذاك الاثم يعترف

وهى أبيات مشهورة فلما سمع أمير المؤمنين بقتلهما جزع جزعا شديدا ودعا على بسر فقال اللهم اسلبه دينه وعقله فأصابه ذلك وفقد عقله فكان يهذى بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضربه ولم يزل كذلك حتى مات ولما استقر الامر لمعاوية دخل عليه عبيد الله بن عباس وعنده بسر فقال لبسر وددت ان الارض أنبتتنى عندك حين قتلت ولدى فقال هاك سيفى فاهوى عبيد الله ليتناوله فاخذه معاوية وقال لبسر أخزاك الله شيخا قد خرفت والله لو تمكن منه لبدأ بى قال عبيد الله أجل ثم ثنيت به (سلمة بكسر اللام بطن من الانصار) وقيل ان مسير بسر الى الحجاز كان سنة اثنتين وأربعين فاقام بالمدينة شهرا يستعرض الناس لا يقال له عن احد انه شرك فى دم عثمان الا قتله وفيها جرت مهادنة بين على ومعاوية بعد مكاتبات طويلة على وضع الحرب ويكون لعلى العراق ولمعاوية الشام لا يدخل أحدهما بلد الآخر بغارة (بسر بضم الباء الموحدة والسين المهملة زريق بالزاى والراء قبيلة من الانصار أيضا وجارية بالجيم والراء)

﴿ذكر فراق ابن عباس البصرة﴾

فى هذه السنة خرج عبد الله بن عباس من البصرة ولحق بمكة فى قول اكثر أهل السير وقد أنكر ذلك بعضهم وقال لم يزل عاملا عليها لعلى حتى قتل على وشهد صلح الحسن مع معاوية ثم خرج الى مكة والاول أصح وانما كان الذى شهد صلح الحسن عبيد الله بن عباس وكان سبب خروجه انه مر بأبى الاسود فقال لو كنت من البهائم لكنت جملا ولو كنت راعيا لما بلغت المرعى فكتب أبو الاسود الى على أما بعد فان الله عز وجل جعلك واليا مؤتمنا وراعيا مستوليا وقد بلوناك فوجدناك عظيم الامانة ناصحا للرعية توفر لهم فيئهم وتكف نفسك عن دنياهم ولا تأكل أموالهم ولا ترتشى فى أحكامهم وان ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ولم يسعنى كتمانك رحمك الله فانظر فيما هناك واكتب الى برأيك فيما أحببت والسلام فكتب اليه على أما بعد فمثلك نصح الامام والامة ووالى على الحق وقد كتبت الى صاحبك فيما كتبت الى ولم أعلمه بكتابك فلا تدع اعلامى بما يكون بحضرتك مما النظر فيه صلاح للامة فانك بذلك جدير وهو حق واجب عليك والسلام وكتب الى ابن عباس فى ذلك فكتب اليه ابن عباس أما بعد فان الذى بلغك باطل وانى لما تحت يدى لضابط وله حافظ فلا تصدق الظنين والسلام فكتب اليه على أما بعد فاعلمنى ما أخذت من الجزية ومن اين أخذت وفيما وضعت فكتب اليه ابن عباس أما بعد فقد فهمت تعظيمك مرزاة ما بلغك انى رزئته من أهل هذه البلاد فابعث الى عملك من أحببت فانى ظاعن عنه والسلام واستدعى اخواله من بنى هلال بن عامر فاجتمعت معه قيس كلها فحمل مالا وقال هذه ارزاقنا اجتمعت فتبعه أهل البصرة فلحقوه بالطف يريدون أخذ المال فقالت قيس والله لا يوصل اليه وفينا عين تطرف فقال صبرة بن شيمان الحدانى يامعشر الازد ان قيسا اخواننا وجيراننا واعواننا على العدو وان الذى يصيبكم من هذا المال لقليل وهم لكم خير من المال فأطاعوه فانصرفوا وانصرفت معهم بكر وعبد القيس وقاتلهم بنو تميم فنهاهم الاحنف فلم يسمعوا منه فاعتزلهم وحجز

فى الناس وقد رثتهم الشعراء فقال بعض من رثاهم

مضى آل عملاق فلم يبق منهم
خطير ولا ذو نخوة متشاوس
عتوا فاباد الله منهم وحكمه
على الناس هذا وعده وهو سائس

وأما طسم وجديس فتفانت فى نحو من سبعين سنة فى البرارى بما كان بينهم من الشحناء وطلب الرياسة فدثروا ولم يبق لهم باقية فضربت بهم العرب المثل وضربت بهم الشعراء المقال فمن ذلك ماقاله بعض الشعراء ممن رثاهم فى قوله

فو يلى من جوى هم رسيس
من اللأوا لطسم أو جديس
بنو عم تفانوا بالمذاكى
وباليوم الاحم العيطموس

وأما الرس وأصحابه فقد قدمنا ذكرهم فيما سلف من كتبنا وهم قوم حنظلة ابن صفوان العبسى بعثه الله اليهم فكذبوه وقد ذكرنا من خبره لمعا وقد قيل فى أصحاب الرس أوجه كثيرة غير ماذكرنا فى هذا الكتاب وقد ذكرت هذه القبائل فى التوراة وكل يرجع الى ولد سام بن نوح من بنى

الناس بينهم ومضى ابن عباس الى مكة

﴿ذكر مقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام﴾

وفى هذه السنة قتل على فى شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه وقيل لاحدى عشرة وقيل لثلاث عشرة بقيت منه وقيل فى شهر ربيع الآخر سنة أربعين والاول أصح قال أنس بن مالك مرض على فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر فجلست عنده فاتاه النبى صلى الله عليه وسلم فنظر فى وجهه فقال له أبو بكر وعمر يانبى الله مانراه الا ميتا فقال لن يموت هذا الآن وان يموت حتى يملأ غيظا ولن يموت الا مقتولا وقيل من غير وجه ان عليا كان يقول مايمنع اشقاكم ان يخضب هذه من هذه يعنى لحيته من دم رأسه وقال عثمان بن المغيرة كان على لما دخل رمضان يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند أبى جعفر لا يزيد على ثلاث لقم يقول أحب ان يأتينى أمر الله وانا خميص وانما هى ليلة أوليلتان فلم تمض ليلة حتى قتل وقال الحسن بن كثير عن أبيه قال خرج على من الفجر فاقبل الاوز يصحن فى وجهه فطردوهن عنه فقال ذروهن فانهن نوائح فضربه ابن ملجم فى ليلته وقال الحسن بن على يوم قتل على خرجت البارحة وأبى يصلى فى مسجد داره فقال لى يابنى انى بت أوقظ أهلى لانها ليلة الجمعة صبيحة بدر فملكتنى عيناى فنمت فسنح لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ماذا لقيت من أمتك من الاود واللدد قال والاود العوج واللدد الخصومات فقال لى ادع عليهم فقلت اللهم ابدلنى بهم من هو خير منهم وابدلهم بى من هو شر منى فجاء ابن النباح فآذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فضربه ابن ملجم فقتله وكان عليه السلام اذا رأى ابن ملجم قال

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مرادى

وكان سبب قتله ان عبد الرحمن بن ملجم المرادى والبرك بن عبد الله التميمى الصريمى وقيل اسم البرك الحجاج وعمرو بن بكر التميمى السعدى وهم من الخوارج اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولاتهم ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد فقال ابن ملجم أنا أكفيكم عليا وكان من أهل مصر وقال البرك بن عبد الله أنا أكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا ان لا ينكص أحدهم عن صاحبه الذى توجه اليه حتى يقتله أو يموت دونه وأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا السبع عشرة من رمضان وقصد كل رجل منهم الجهة التى يريد فاتى ابن ملجم الكوفة فلقى أصحابه بالكوفة وكتمهم أمره ورأى يوما أصحابا له من تيم الرباب وكان على قد قتل منهم يوم النهر عدة فتذاكروا قتلى النهر ولقى معهم امرأة من تيم الرباب اسمها قطام وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر وكانت فائقة الجمال فلما رآها أخذت قلبه فخطبها فقالت لا أتزوجك حتى تشتفى لى فقال وما تريدين قالت ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل على فقال اما قتل على فما أراك ذكرتيه وأنت تريديننى قالت بلى التمس غرته فان أصبته شفيت نفسك ونفسى ونفعك العيش معى وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال والله ما جاء بى الا قتل على فلك ما سألت قالت سأطلب لك من يشد ظهرك ويساعدك وبعثت الى رجل من قومها اسمه وردان وكلمته فاجابها وأتى ابن ملجم رجلا من أشجع اسمه شبيب بن بجرة فقال له هل لك فى شرف الدنيا والآخرة قال وماذا قال قتل على قال شبيب ثكلتك امك لقد جئت شيأ ادا كيف تقدر على قتله قال اكمن له فى المسجد فاذا خرج الى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه فان

ارم بن سام ومن ولده عوص ابن ارم ومن ولده عابر بن ارم ومن ولده ماش بن ارم فولد عوص عاد بن عوص وولد عابر ثمود بن عابر وولد ماش بن ارم نبيط بن ماش فصار النبط وملوكها ترجع فى أنسابها الى نبيط ابن ماش فحل عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وولده الاحقاف من بلاد حضرموت وحل ثمود بن عابر بن ارم ابن سام بن نوح وولده أكناف الحجاز وحل جديس ابن عابر بلاد جو وهى بلاد اليمامة مابين البحرين والحجاز وهذا البلد فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بيد ولد الاخيضر العلوى وهو من ولد الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو مجاور للبحرين ومن فيها الى هذا الوقت وحل طسم ابن لوذ بن سام بن نوح وولده اليمامة مع بنى جديس وحل عملوق بن لاذ بن سام ابن نوح الحجاز وقد ذكرنا ولد عيلام فيما سلف من هذا الكتاب أنهم حلوا الاهواز وفارس وهو عيلام بن سام بن نوح وحل نبيط بن ماش بن ارم بن سام

نجونا فقد شفينا أنفسنا وان قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال ويحك لو كان غير على كان أهون قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه فى الاسلام وما أجدنى أنشرح لقتله قال أما تعلمه قتل أهل النهر العباد الصالحين قال بلى قال فنقتله بمن قتل من أصحابنا فاجابه فلما كان ليلة الجمعة وهى الليلة التى واعد ابن ملجم أصحابه على قتل على وقتل معاوية وعمرو فاخذ سيفه ومعه شبيب ووردان وجلسوا مقابل السدة التى يخرج منها على للصلاة فلما خرج على نادى أيها الناس الصلاة الصلاة فضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب وضربه ابن ملجم على قرنه بالسيف وقال الحكم لله لا لك يا على ولا لاصحابك وهرب وردان فدخل منزله فاتاه رجل من أهله فاخبره وردان بما كان فانصرف عنه وجاء بسيفه فضرب به وردان حتى قتله وهرب شبيب فى الغلس وصاح الناس فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر وفى يد شبيب السيف فاخذه وجاس عليه فلما رأى الحضرمى الناس قد أقبلوا فى طلبه وسيف شبيب فى يده خشى على نفسه فتركه ونجا وهرب شبيب فى غمار الناس ولما ضرب ابن ملجم عليا قال لا يفوتنكم الرجل فشد الناس عليه فاخذوه وتأخر على وقدم جعدة بن هبيرة وهو ابن أخته أم هانى يصلى بالناس الغداة وقال على أحضروا الرجل عندى فأدخل عليه فقال أى عدو الله ألم أحسن اليك قال بلى قال فما حملك على هذا قال شحذته أربعين صباحا وسألت الله ان يقتل به شر خلقه فقال على لا أراك الا مقتولا به ولا أراك الا من شر خلق الله ثم قال النفس بالنفس ان هلكت فاقتلوه كما قتلنى وان بقيت رأيت فيه رأيى يا بنى عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن الا قاتلى انظر يا حسن ان أنا مت من ضربتى هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلن بالرجل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور هذا كله وابن ملجم مكتوف فقالت له أم كلثوم ابنته أى عدو الله لا بأس على أبى والله مخزيك قال فعلى من تبكين والله ان سيفى اشتريته بالف وسممته بالف ولو كانت هذه الضربة باهل مصر ما بقى منهم أحد ودخل جندب ابن عبد الله على على فقال ان فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن قال ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تبكيا على شئ زوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضائع واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصيما وللمظلوم ناصرا واعملا بما فى كتاب الله ولا تأخذكما فى الله لومة لائم ثم نظر الى محمد بن الحنفية فقال هل حفظت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال فانى أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير اخويك العظيم حقهما عليك وتزين أمرهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم قال أوصيكما به فانه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما ان أباكما كان يحبه وقال للحسن أوصيك أى بنى بتقوى الله واقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء فانه لا صلاة الا بطهور وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه فى الدين والتثبت فى الامر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجتناب الفواحش ثم كتب وصيته ولم ينطق الا بلا اله الا الله حتى مات رضى الله عنه وأرضاه وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات فلما قبض بعث الحسن الى ابن ملجم فاحضره فقال للحسن هل لك فى خصلة انى والله قد أعطيت الله عهدا أن لا أعاهد عهدا الا وفيت به وانى عاهدت الله عند الحطيم ان أقتل عليا ومعاوية أو أموت دونهما فان شئت خليت بينى وبينه فلك الله على ان لم أقتله ثم بقيت ان آتيك حتى أضع يدى فى يدك

فقال

ابن نوح ببابل فغلبوا على العراق وهم النبط ومنهم ملوك بابل الذين قدمنا ذكرهم وأنهم الملوك الذين عمروا الارض ومهدوا البلاد وكانوا أشرف ملوك الارض فادال منهم الدهر وسلبهم الملك والعز فصاروا على ما هم عليه من الذل فى هذا الوقت بالعراق وغيرها وقد زعم جماعة من المتكلمين منهم ضرار بن عمرو بن ثمامة بن الاشرس وعمرو بن بحر الجاحظ أن النبط خير من العرب لان من جعل الله تبارك وتعالى النبى صلى الله عليه وسلم منهم لم يدع أكثر شرف فى الدنيا الا وقد أعراهم منه وسلبهم اياه ولا نعمة على من جعل الله تعالى النبى عليه السلام منهم أكبر من النبى صلى الله عليه وسلم ولا بلوى على من لم يجعل الله عز وجل النبى صلى الله عليه وسلم منهم أكبر من خروج النبى صلى الله عليه وسلم عنهم الا انهم مع هذا كله لهم عند الله فضل ما بين النعمة والبلاء (قال المسعودى) ولما لم يبال من قدمنا ذكره من تشريف النبط وتفضيلهم على ولد قحطان وعدنان وفيهم الفضل والشرف من النبوة

فقال له الحسن لا والله حتى تعاين النار ثم قدمه فقتله وأخذه الناس فادرجوه فى بوارى وأحرقوه بالنار قال عمرو بن الاصم قلت للحسن بن على ان هذه الشيعة تزعم ان عليا مبعوث قبل القيامة فقال كذب والله هؤلاء الشيعة لو علمنا انه مبعوث قبل القيامة ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله اما قوله هذه الشيعة فلا شك انه يعنى طائفة منها فان كل شيعة لا تقول هذا انما تقوله طائفة يسيرة منهم ومن مشهورى هذه الطائفة جابر بن يزيد الجعفى الكوفى وقد انقرض القائلون بهذه المقالة فيما نعلمه (بجرة بفتح الباء والجيم والبرك بضم الباء الموحدة وفتح الراء وآخره كاف) واما البرك بن عبد الله فانه قعد لمعاوية فى تلك الليلة التى ضرب فيها على فلما خرج معاوية ليصلى الغداة شد عليه بالسيف فوقع السيف فى أليته فاخذ فقال ان عندى خبرا أسرك به فان أخبرتك فنافعى ذلك قال نعم قال ان أخالى قد قتل عليا هذه الليلة قال فلعله لم يقدر على ذلك قال بلى ان عليا ليس معه أحد يحرسه فامر به معاوية فقتل وبعث معاوية الى الساعدى وكان طبيبا فلما نظر اليه قال اختر اما أن أحمى حديدة فاضعها موضع السيف واما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد وتبرأ منها فان ضربتك مسمومة فقال معاوية أما النار فلا صبر لى عليها واما الولد فان فى يزيد وعبد الله ما تقر به عينى فسقاه شربة فبرئ ولم يولد له بعدها وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه اذا سجد وهو أول من عملها فى الاسلام وقيل ان معاوية لم يقتل البرك وانما أمر فقطعت يده ورجله وبقى الى ان ولى زياد البصرة وكان البرك قد صار اليها وولد له فقال له زياد يولد لك وتركت أمير المؤمنين لا يولد له فقتله وصلبه وأما عمرو بن بكر فانه جلس لعمرو ابن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى بطنه فامر خارجة بن أبى حبيبة وكان صاحب شرطته وهو من بنى عامر بن لؤى فخرج ليصلى بالناس فشد عليه وهو يرى انه عمرو بن العاص فضربه فقتله فاخذه الناس الى عمرو فسلموا عليه بالامرة فقال من هذا قالوا عمرو قال فمن قتلت قالوا خارجة قال اما والله يا فاسق ما ظننته غيرك فقال عمرو أردتنى وأراد الله خارجة فقدمه عمرو فقتله قال ولما بلغ عائشة قتل على قالت

فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

ثم قالت من قتله فقيل رجل من مراد فقالت

فان يك نائيا فلقد نعاه * نعى ليس فى فيه التراب

فقالت زينب بنت أبى سلمة أتقولين هذا لعلى فقالت انى أنسى فاذا نسيت فذكرونى وقال ابن أبى مياس المرادى

فنحن ضربنا يالك الخير حيدرا * أبا حسن مامومة فتفطرا
ونحن خلعنا ملكه من نظامه * بضربة سيف اذ علا وتجبرا
ونحن كرام فى الصباح أعزة * اذا المرء بالموت ارتدى وتازرا

﴿وقال أيضا﴾

ولم أر مهرا ساقه ذو سماحة * كمهر قطام بين عرب ومعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وان غلا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

وقال أبو الاسود الدئلى فى قتل على

ألا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا

والملك والعزة قال لهم المحتج عن قحطان ونزار اذا كان النبط قد صاروا أفضل من العرب لما امتحن الله به النبط من سلبه النبوة منهم وأنعم على العرب بكون النبى صلى الله عليه وسلم منهم فللعرب أيضا التعلق بهذه العلة التى اعتل بها النبط فتقول قد صرنا بعد أفضل من النبط لما امتحنا به من سلب ما جعل الله للنبط من الفضل فى شدة امتحانهم بسلب النبى صلى الله عليه وسلم عنهم والنبط أيضا قد صاروا دون العرب اذ للعرب من فضل النبى صلى الله عليه وسلم مما جعله الله لهم بتعريتهم من فضل النبط على شدة امتحانهم بتعرية الله اياهم من النبى صلى الله عليه وسلم ما لبس النبط فتصير العرب أيضا خيرا من النبط وهذا لا يصح لهم الا كما يصح عليهم والكلام متوجه عليهم فيما قالوه ومكافئ لعلتهم فيما أوردوه من تفضيل النبط على العرب وقد ذكرنا تنازع الناس فى الانساب والفضل بها وبالاعمال دون الانساب ومن قال ان العمل دون النسب وما قالته الشعوبية وغيرها فى كتابنا المقالات فى

أفى شهر الصيام فجعتمونا * بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا * ورحلها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها * ومن قرأ المثانى والمبينا
اذا استقبلت وجه ابى حسين * رأيت البدر راع الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت * بانك خيرها حسبا ودينا

وقال بكر بن حسان الباهرى

قل لابن ملجم والاقدار غالبة * هدمت للدين والاسلام أركانا
قتلت افضل من يمشى على قدم * وأعظم الناس اسلاما وايمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما * سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبى ومولاه وناصره * اضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له * مكان هرون من موسى بن عمرانا
قد كان يخبرهم هو بمقتله * قبل المنية ازمانا فازمانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر * فقلت سبحان رب العرش سبحانا
انى لاحسبه ما كان من انس * كلا ولكنه قد كان شيطانا
فلا عفا الله عنه سوء فعلته * ولا سقى قبر عمران بن حطانا
ياضربة من شقى ما اراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
بل ضربة من غوى اوردته لظى * وسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته * الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

(ذكر مدة خلافته ومقدار عمره)

وقد قال بعضهم كانت خلافته خمس سنين الا ثلاثة أشهر وكان عمره ثلاثا وستين سنة وقيل كان عمره تسعا وخمسين وقيل خمسا وستين وقيل ثمانيا وخمسين والاول أصح ولما قتل دفن عند مسجد الجماعة وقيل فى القصر وقيل غير ذلك والاصح ان قبره هو الموضع الذى يزار ويتبرك به

(ذكر نسبه وصفته ونسائه واولاده)

كان آدم شديد الادمة ثقيل العينين عظيمهما ذا بطن أصلع عظيم اللحية كثير شعر الصدر هو الى القصر أقرب وقيل كان فوق الربعة وكان ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها وكان من أحسن الناس وجها ولا يغير شيبه كثير التبسم واما نسبه فهو على ابن أبى طالب واسم أبى طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف وهو أول خليفة أبواه هاشميان ولم يل الخلافة الى وقتنا هذا من أبواه هاشميان غيره وغير الحسن ولده ومحمد الامين فان أباه هرون الرشيد وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور * وأما أزواجه فاول زوجة تزوجها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عليها حتى توفيت عنده وكان له منها الحسن والحسين وقد ذكر انه كان له منها ابن آخر يقال له محسن وانه توفى صغيرا وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى ثم تزوج بعدها أم البنين بنت حرام الكلابية فولدت له العباس وجعفرا وعبد الله وعثمان قتلوا مع الحسين بالطف ولا بقية لهم غير العباس وتزوج ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية فولدت له عبيد الله وابا بكر قتلا مع الحسين وقيل ان عبيد الله قتله المختار بالمذار وقيل لا بقية لهما وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له محمدا الاصغر

أصول الديانات وقد ذكر أبو الحسن أحمد بن يحيى فى كتابه فى الرد على الشعوبية عللا كثيرة وذكر أن من اختصه الله تعالى من عباده واصطفاه من خلقه اذ ذاك على طريق الثواب أم على طريق التفضيل قال فان زعم زاعم أن ذلك ثواب خرج من معقول كلام العرب ومفهوم خطابها لانه لا يقال لمن أعطى الاجير أجرته ووفى العامل ثوابه قد اختص فلان فلانا بعطيته وانما يقال ذلك اذا تطوع عليه بالعطية بغير عمل ومنعها غيره بغير جرم وان زعموا انه تفضل قلنا لهم فاذا جاز ان يصرف الله عز وجل رحمته الى بعض خلقه بغير عمل استحقوها به فلم لا يجوز أن يشرفهم بانسابهم وان لم تكن الانساب من أعمالهم فان قالوا ليس من العدل أن يشرفهم بغير أعمالهم قلنا لهم أرأيتم ان عارضكم معارض فزعم انه ليس من العدل أن يمن عليهم برحمته دون غيرهم بغير عمل كان منهم وبغير معصية كانت من غيرهم ماذا يكون الفصل بينكم معاشر الشعوبية وبينه وقد أخبر الله عمن اصطفاه من خلقه فقال ان الله اصطفى آدم ونوحا

ويحيى ولا عقب لهما وقيل ان محمدا الام ولد وقتل مع الحسين وقيل انها ولدت له عونا وله من الصهباء بنت ربيعة التغلبية وهى من السبى الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر وولدت له عمر بن على ورقية بنت على فعمر عمر حتى بلغ خمسا وثمانين سنة فحاز نصف ميراث على ومات بينبع وتزوج على امامة بنت أبى العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له محمدا الاوسط وله محمد بن على الاكبر الذى يقال له ابن الحنفية أمه خولة بنت جعفر من بنى حنيفة وتزوج على أيضا أم سعيد ابنة عروة بن مسعود الثقفية فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى وأم كلثوم وكان له بنات من أمهات شتى لم يذكرن لنا منهن أم هانى وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وامامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة ونفيسة كلهن من أمهات أولاد وتزوج أيضا مخباة بنت امرئ القيس بن عدى الكلبية فولدت له جارية هلكت صغيرة كانت تخرج الى المسجد فيقال لها من أخوالك فتقول وه وه تعنى كلبا فجميع ولده أربعة عشر ذكرا وسبع عشرة امرأة وكان النسل منهم للحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس بن الكلابية وعمر بن التغلبية

(ذكر عماله)

وكان عامله على البصرة هذه السنة عبد الله بن عباس وقد ذكرنا الاختلاف فى أمره وكان اليه الصدقات والجند والمعاون أيام ولايته كلها وكان على قضائها من قبل على أبو الاسود الدئلى وكان على فارس زياد وقد ذكرنا مسيره اليها وكان على اليمن عبيد الله بن عباس حتى كان من أمره وأمر بسر بن أبى ارطاة ما ذكر وكان على الطائف ومكة وما اتصل بذلك قثم بن عباس وكان على المدينة أبو أيوب الانصارى وقيل سهل بن حنيف وكان عند قدوم بسر عليه من أمره ما كان وذكر

(ذكر بعض سيرته)

كان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خازنا لعلى على بيت المال فدخل على يوما وقد زينت ابنته فرأى عليها لؤلؤة كان عرفها لبيت المال فقال من أين لها هذه لاقطعن يدها فلما رأى أبو رافع جده فى ذلك قال أنا والله يا أمير المؤمنين زينتها بها فقال على لقد تزوجت بفاطمة ومالى فراش الا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار ومالى خادم غيرها قال ابن عباس قسم علم الناس خمسة أجزاء فكان لعلى منها أربعة أجزاء ولسائر الناس جزء شاركهم على فيه فكان أعلمهم به وقال أحمد بن حنبل ما جاء لاحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ما جاء لعلى وقال عمرو بن ميمون لما ضرب عمر بن الخطاب وجعل الخلافة فى الستة من الصحابة فلما خرجوا من عنده قال ان يولوها الاجلح يسلك بهم الطريق فقال له ابنه عبد الله فما يمنعك يا أمير المؤمنين من توليته قال أكره ان أتحملها حيا وميتا وقال عاصم بن كليب عن أبيه قدم على على مال من أصبهان فقسمه على سبعة أسهم فوجد فيه رغيفا فقسمه على سبعة ودعا أمراء الاسباع فاقرع بينهم لينظر أيهم يعطى أولا وقال هرون بن عنترة عن أبيه دخلت على على بالخورنق وهو فصل شتاء وعليه خلق قطيفة وهو يرعد فيه فقلت يا أمير المؤمنين ان الله قد جعل لك ولاهلك فى هذا المال نصيبا وأنت تفعل هذا بنفسك فقال والله ما أرزأكم شيأ وما هى الا قطيفتى التى أخرجتها من المدينة وقال يحيى بن سلمة استعمل على عمرو بن سلمة على اصبهان فقدم ومعه مال وزقاق فيها عسل وسمن فأرسلت أم كلثوم بنت على الى عمرو تطلب منه سمنا وعسلا فارسل اليها ظرف عسل وظرف سمن فلما كان الغد خرج على واحضر المال والعسل والسمن ليقسم فعد الزقاق

وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم والواجب على ذى النسب الشريف والمجد الرفيع أن لا يجعل ذلك سلما الى التراخى عن الاعمال الموافقة لنسبه والاتكال على آبائه فان شرف الانساب يحض على شرف الاعمال والشريف بهذا أولى اذ كان الشرف يدعو الى الشرف ولا يثبط عنه كما أن الحسن يدعو الى الحسن ويحرك عليه وأكثر الممدوحين انما مدحوا باعمالهم دون أنسابهم وهذا كثير فى أشعار الناس ومنثور كلامهم وقد قال الشاعر فى هاشم بن عبد مناف وهو امام ذوى الانساب *
عمرو الذى هشم الثريد لقومه
ورجال مكة مسنتون عجاف
فمدحه بعمله ولم يذكر نسبه وان كان شريفا رفيعا وانما ينبغى لذوى الانساب أن يكونوا كما قال أخوهم وشريكهم فى النسب
وانى وان كنت ابن سيد عامر
وفى السر منها والصريح المهذب
فما سودتنى عامر عن وراثة
أبى الله أن أسمو بام ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى
أذاها وأرمى من رماها بمقنب
وكما قال الآخر

فنقصت زقين فساله عنهما فكتمه وقال نحن نحضرهما فعزم عليه الا ذكرهما له فاخبره فارسل الى أم كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا فامر التجار بتقويم مانقص منهما فكان ثلاثة دراهم فارسل اليها فاخذها منها ثم قسم الجميع قيل وخرج من همذان فرأى رجلين يقتتلان ففرق بينهما ثم مضى فسمع صوتا ياغوثاه بالله فخرج يحضر نحوه وهو يقول اتاك الغوث فاذا رجل يلازم رجلا فقال ياأمير المؤمنين بعت هذا ثوبا بسبعة دراهم وشرطت أن لا يعطيني مغموزا ولا مقطوعا وكان شرطهم يومئذ فاتاني بهذه الدراهم فأبيت ولزمته فلطمني فقال للاطم ماتقول فقال صدق ياأمير المؤمنين فقال اعطه شرطه فاعطاه وقال للملطوم اقتص قال أو اعفو ياأمير المؤمنين قال ذلك اليك ثم قال يامعشر المسلمين خذوه فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب ثم ضربه خمس عشرة درة وقال هذا نكال لما انتهكت من حرمته ولما قتل على عليه السلام قام ابنه الحسن خطيبا فقال لقد قتلتم الليلة رجلا فى ليلة نزل فيها القرآن وفيها رفع عيسى وفيها قتل يوشع بن نون والله ماسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده والله ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فى السرية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره والله ماترك صفراء ولا بيضاء الاثمانمائة أو سبعمائة أرصدها لجارية وقال سفيان ان عليا لم يبن آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وان كان ليؤتى بحبوبه من المدينة فى جراب وقيل انه أخرج سيفاله الى السوق فباعه وقال لو كان عندى أربعة دراهم ثمن ازار لم أبعه وكان لا يشترى ممن يعرفه واذا اشترى قميصا قدر كمه على طول يده وقطع الباقى وكان يختم على الجراب الذى فيه دقيق الشعير الذى يأكل منه ويقول لاأحب أن يدخل بطنى الاما أعلم وقال الشعبى وجد على درعاله عند نصرانى فاقبل به الى شريح وجلس الى جانبه وقال لو كان خصمى مسلما لساويته وقال هذه درعى فقال النصرانى ماهى الادرعى ولم يكذب أمير المؤمنين فقال شريح لعلى ألك بينة قال لا وهو يضحك فاخذ النصرانى الدرع ومشى يسيرا ثم عاد وقال أشهد ان هذه أحكام الانبياء أمير المؤمنين قدمنى الى قاضيه وقاضيه يقضى عليه ثم أسلم واعترف ان الدرع سقطت من على عند مسيره الى صفين ففرح على باسلامه ووهب له الدرع وفرسا وشهد معه قتال الخوارج وقيل ان عليا روى وهو يحمل فى ملحفته تمرا قد اشتراه بدرهم فقيل له ياأمير المؤمنين الانحمله عنك فقال أبو العيال احق بحمله وقال الحسن بن صالح تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر أزهد الناس فى الدنيا على بن أبى طالب وقال المدائنى نظر على الى قوم ببابه فقال لقنبر مولاه من هؤلاء قال شيعتك ياأمير المؤمنين قال ومالى لاأرى فيهم سيما الشيعة قال وماسيماهم قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظما عمش العيون من البكاء ومناقبه لاتحصى قد جمعت قضاياه فى كتاب مفرد

﴿ذكر بيعة الحسن بن على﴾

وفى هذه السنة أعنى سنة أربعين بويع الحسن بن على بعد قتل أبيه وأول من بايعه قيس بن سعد الانصارى وقال له ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وقتال المحلين فقال الحسن على كتاب الله وسنة رسوله فانهما يأتيان على كل شرط فبايعه الناس وكان الحسن يشترط عليهم انكم مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فارتابوا بذلك وقالوا ماهذا لكم بصاحب ومايريد هذا الا القتال

﴿ذكر عدة حوادث﴾

لسنا وان كرمت أوائلنا
يوما على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ونفعل كالذى فعلوا

(قال المسعودى) ولما خرج عمرو بن عامر وولده من مارب انخزع بنو ربيعة فنزلوا تهامة فسموا خزاعة لانخزاعهم ولما ثارت الحرب بين اياد ومضر ابنى نزار وكانت على اياد قلعت الحجر الاسود ودفنته فى بعض المواضع فرأت ذلك امرأة من خزاعة فاخبرت قومها فاشترطوا على مضر انهم ان ردوا الحجر جعلوا ولاية البيت فيهم فوفوا لهم بذلك ووليت خزاعة أمر البيت وكان أول من وليه منهم عمرو بن لحى واسم لحى حارثة بن عامر فغير دين ابراهيم وبدله وبعث العرب على عبادة التماثيل لخبر قد ذكرناه فى هذا الكتاب وغيره حين خرج الى الشام ورأى قوما يعبدون الاصنام فاعطوه منها صنما فنصبه على الكعبة وقويت خزاعة وعم الناس ظلم عمرو بن لحى وفى ذلك يقول رجل من جرهم كان على دين الحنيفية

ياعمرو لاتظلم بمكة ٭
انها بلد حرام
سائل بعاد أين هم
وكذاك تخترم الانام

حج بالناس هذه السنة المغيرة بن شعبة وافتعل كتابا على لسان معاوية فيقال انه عرف يوم التروية ونحر يوم عرفة خوفا ان يفطن لفعله وقيل فعل ذلك لانه بلغه ان عتبة بن أبى سفيان مصبحه واليا على الموسم وفيها بويع معاوية بالخلافة ببيت المقدس وكان قبل ذلك يدعى بالامير فى بلاد الشام فلما قتل على دعى بأمير المؤمنين هكذا قال بعضهم وقد تقدم انه بويع بالخلافة بعد اجتماع الحكمين والله أعلم وكانت خلافة الحسن ستة أشهر وفيها مات الاشعث بن قيس الكندى بعد قتل على بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن على وفيها مات حسان بن ثابت وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من الصحابة وفيها مات شرحبيل بن السمط الكندى وهو من أصحاب معاوية قيل له صحبة وقيل لاصحبة له وفى أول خلافة على مات جهجاه الغفارى له صحبة ٭ وفيها مات الحرث ابن خزيمة الانصارى شهد بدرا وأحدا وغيرهما ٭ وفيها مات خوات بن جبير الانصارى بالمدينة وكان قد خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم الى بدر فرجع لعذر فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وهو صاحب ذات النحيين وفى خلافة على مات قرظة بن كعب الانصارى بالكوفة وقيل بل مات فى امارة المغيرة على الكوفة لمعاوية شهد أحدا وغيرها وشهد سائر المشاهد مع على ومات معاذ بن عفراء الانصارى فى أول خلافة على وهو بدرى شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى خلافته مات أبو لبابة بن عبد المنذر الانصارى وكان نقيبا شهد بدرا وقيل بل استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ورده من طريق بدر وضرب له بسهمه ٭ وفيها توفى معيقيب بن أبى فاطمة الدوسى له صحبة قديم الاسلام هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وكان على خاتم النبى صلى الله عليه وسلم وكان مجذوما واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال وكان معه الخاتم أيام عثمان فمن يده وقع الخاتم وقيل انه توفى آخر خلافة عثمان

﴿ثم دخلت سنة احدى وأربعين﴾

﴿ذكر تسليم الحسن بن على الخلافة الى معاوية﴾

كان أمير المؤمنين على قد بايعه أربعون ألفا من عسكره على الموت لما ظهر ما كان يخبرهم به عن أهل الشام فبينما هو يتجهز للمسير قتل عليه السلام واذا أراد الله أمرا فلا مرد له فلما قتل وبايع الناس ولده الحسن بلغه مسير معاوية فى أهل الشام اليه فتجهز هو والجيش الذين كانوا بايعوا عليا وسار عن الكوفة الى لقاء معاوية وكان قد نزل مسكن فوصل الحسن الى المدائن وجعل قيس ابن سعد بن عبادة الانصارى على مقدمته فى اثنى عشر ألفا وقيل بل كان الحسن قد جعل على مقدمته عبد الله بن عباس فجعل عبد الله على مقدمته فى الطلائع قيس بن سعد بن عبادة فلما نزل الحسن المدائن نادى مناد فى العسكر الا ان قيس بن سعد قتل فانفروا فنفروا ونهبوا سرادق الحسن ونهبوا متاعه حتى نازعوه بساطا كان تحته فازدادوا لهم بغضا ومنهم ذعرا ودخل المقصورة البيضاء بالمدائن وكان الامير على المدائن سعد بن مسعود الثقفى عم المختار بن أبى عبيد فقال له المختار وهو شاب هل لك فى الغنى والشرف قال وماذاك قال تستوثق من الحسن وتستأمن به الى معاوية فقال له عمه عليك لعنة الله أثب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوثقه بئس الرجل أنت فلما رأى الحسن تفرق الامر عنه كتب الى معاوية وذكر شروطا وقال له ان أنت أعطيتنى هذا فانا سميع مطيع وعليك ان تفى لى به وقال لاخيه الحسين وعبد الله بن جعفر انى قد راسلت معاوية فى الصلح فقال له الحسين انشدك الله أن لاتصدق احدوثة معاوية وتكذب احدوثة أبيك فقال له الحسن اسكت أنا أعلم بالامر منك فلما انتهى كتاب الحسن الى معاوية امسكه وكان

وبنى العماليق الذين ٭
لهم بها كان السوام

ولما أكثر عمرو بن لحى من نصب الاصنام حول الكعبة وغلب على العرب عبادتها وامتحنت الحنيفية منهم الا الملما قال فى ذلك سحنة بن خلف الجرهمى

ياعمرو انك قد أحدثت آلهة
شتى بمكة حول البيت انصابا
وكان للبيت رب واحد أبدا
فقد جعلت له فى الناس اربابا
لتعرفن بأن الله فى مهل
سيصطفى دونكم للبيت حجابا

وعمر عمرو بن لحى ثلثمائة سنة وخمسا وأربعين سنة وكانت ولاية البيت فى خزاعة وفى مضر ثلاث خصال الاجارة بالناس من عرفة والافاضة بالناس غداة النحر الى منى فانتهى ذلك منهم الى أبى سيارة فدفع أبو سيارة من مزدلفة الى منى أربعين سنة على حمار له ولم يعتل فى ذلك حتى أدركه الاسلام فكانت العرب تتمثل به فتقول أصح من عير أبى سيارة وفى أبى سيارة يقول قائلهم

نحن دفعنا عن أبى سياره
حتى أفاض محرما حماره

قد أرسل عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس الى الحسن قبل وصول الكتاب ومعهما صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها وكتب اليه أن اشترط فى هذه الصحيفة التى ختمت أسفلها ماشئت فهو لك فلما أتت الصحيفة الى الحسن اشترط اضعاف الشروط التى سال معاوية قبل ذلك وامسكها عنده فلما سلم الحسن الامر الى معاوية طلب أن يعطيه الشروط التى فى الصحيفة التى ختم عليها معاوية فابى ذلك معاوية وقال له قد أعطيتك ما كنت تطلب فلما اصطلحا قام الحسن فى أهل العراق فقال يا أهل العراق انه سخى بنفسى عنكم ثلاث قتلكم أبى وطعنكم اياى وانتهابكم متاعى وكان الذى طلب الحسن من معاوية أن يعطيه ما فى بيت مال الكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف وخراج دارابجرد من فارس وان لا يشتم عليا فلم يجبه الى الكف عن شتم على فطلب أن لا يشتم وهو يسمع فاجابه الى ذلك ثم لم يف له به أيضا وأما خراج دارابجرد فان أهل البصرة منعوه منه وقالوا هو فيئنا لا نعطيه أحدا وكان منعهم بامر معاوية أيضا وتسلم معاوية الامر لخمس بقين من ربيع الاول من هذه السنة وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى جمادى الاولى وقيل انما سلم الحسن الامر الى معاوية لانه لما راسله معاوية فى تسليم الخلافة اليه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال انا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم وانما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع وكنتم فى مسيركم الى صفين ودينكم امام دنياكم وأصبحتم اليوم ودنياكم امام دينكم الا وقد أصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهر وان تطلبون بثاره واما الباقى فخاذل واما الباكى فثائر الا وان معاوية دعانا الامر ليس فيه عز ولا نصفة فان أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه الى الله عز وجل بظبا السيوف وان أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا فناداه الناس من كل جانب البقية البقية وأمض الصلح ولما عزم على تسليم الامر الى معاوية خطب الناس فقال أيها الناس انما نحن امراؤكم وضيفانكم ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وكرر ذلك حتى ما بقى فى المجلس الا من بكى حتى سمع نشيجه فلما سار والى معاوية فى الصلح فاصطلحا على ما ذكرناه وسلم اليه الحسن الامر وكانت خلافة الحسن على قول من يقول انه سلم الامر فى ربيع الاول خمسة أشهر ونحو نصف شهر وعلى قول من يقول فى ربيع الآخر يكون ستة أشهر وشيأ وعلى قول من يقول فى جمادى الاولى يكون سبعة أشهر وشيأ والله تعالى أعلم ولما اصطلحا وبايع الحسن معاوية دخل معاوية الكوفة وبايعه الناس وكتب الحسن الى قيس بن سعد وهو على مقدمته فى اثنى عشر ألفا يأمره بالدخول فى طاعة معاوية فقام قيس فى الناس فقال أيها الناس اختاروا الدخول فى طاعة امام ضلالة أو القتال مع غير امام فقال بعضهم بل نختار الدخول فى طاعة امام ضلالة فبايعوا معاوية أيضا فانصرف قيس فيمن تبعه على ما نذكره ولما دخل معاوية الكوفة قال له عمرو بن العاص ليأمر الحسن ان يقوم فيخطب الناس ليظهر لهم عيه فخطب معاوية الناس ثم أمر الحسن أن يخطبهم فقام فحمد الله بديهة ثم قال أيها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله عز وجل قال لنبيه وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين فلما قاله قال له معاوية اجلس وحقدها على عمرو وقال هذا من رأيك ولحق الحسن بالمدينة وأهل بيته وحشمهم وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة قيل للحسن ما حملك على ما فعلت فقال كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوما لا يثق بهم أحد أبدا الا غلب ليس أحد منهم يوافق آخر فى رأى ولا هوى مختلفين لا نية لهم فى خير ولا

مستقبل القبلة يدعو جاره والنسء للشهور الحرم وكانت النسأة فى بنى مالك ابن كنانة وكان أولهم القلمس حذيفة بن عبد ثم ولده فبولع ابن حذيفة وورد الاسلام وآخرهم أبو ثمامة وذلك أن العرب كانت اذا فرغت من الحج وأرادت الصدر اجتمعت اليه فيقوم فيهم فيقول اللهم انى قد أحللت أحد الصفرين الصفر الاول وأنسأت الآخر للعام المقبل وظهر الاسلام وقد عادت الشهور الحرم الى بدئها على ما كانت عليه فى أصلها وذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وما ذكر عليه السلام فى هذا الحديث الى آخره فأخبر الله عز وجل عنهم بذلك بقوله تعالى انما النسىء زيادة فى الكفر الآية وقد فخر بذلك عمرو بن قيس الفراسى فقال

ألسنا الناسئين الى معد
شهور الحل نجعلها حراما

وقد كان قصى بن كلاب ابن مرة تزوج ابنة مليك ومليك هو آخر من ولى البيت من خزاعة وقد كان عمرو بن لحى حين عمر

شر لقد لقى أبى منهم أمورا عظاما فليت شعرى لمن يصلحون بعدى وهى أسرع البلاد خرابا ولما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل فقال له يا مسود وجوه المسلمين فقال لا تعذلنى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام بنى أمية ينزون على منبره رجلا فرجلا فساءه ذلك فانزل الله عز وجل انا أعطيناك الكوثر وهو نهر فى الجنة وانا أنزلناه فى ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية

﴿ذكر صلح معاوية وقيس بن سعد﴾

وفيها جرى الصلح بين معاوية وقيس بن سعد وكان قيس امتنع من ذلك وسبب امتناعه ان عبيد الله ابن عباس لما علم بما يريده الحسن من تسليم الامر الى معاوية كتب الى معاوية يسأله الامان لنفسه على ما أصاب من مال وغيره فاجابه الى ذلك وأرسل عبد الله بن عامر فى جيش كثيف فخرج اليهم عبيد الله ليلا وترك جنده الذين هو عليهم بغير أمير وفيهم قيس بن سعد فامر ذلك الجند عليهم قيس بن سعد وتعاقدوا هو وهم على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة على ولمن كان معه على دمائهم وأموالهم وقيل ان قيسا كان هو الامير على ذلك الجيش فى المقدمة على ما ذكرنا وكان شديد الكراهة لامارة معاوية بن أبى سفيان فلما بلغه ان الحسن بن على صالح معاوية اجتمع معه جمع كثير وبايعوه على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة على على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا فى الفتنة فراسله معاوية يدعوه الى طاعته وأرسل اليه بسجل وختم على أسفله وقال له اكتب فى هذا ما شئت فهو لك فقال عمرو لمعاوية لا تعطه هذا وقاتله فقال معاوية على رسلك فانا لا نخلص الى قتلهم حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام فما خير العيش بعد ذلك فانى والله لا أقاتله أبدا حتى لا أجد من قتاله بدا فلما بعث اليه معاوية ذلك السجل اشترط قيس له ولشيعة على الامان على ما أصابوا من الدماء والاموال ولم يسأل فى سجله ذلك مالا وأعطاه معاوية ما سأل ودخل قيس ومن معه فى طاعته وكانوا يعدون دهاة الناس حين ثارت الفتنة خمسة يقال انهم ذوو رأى العرب ومكيدتهم معاوية وعمرو والمغيرة بن شعبة وقيس بن سعد وعبد الله بن بديل الخزاعى وكان قيس وابن بديل مع على وكان المغيرة معتزلا بالطائف ولما استقر الامر لمعاوية دخل عليه سعد بن أبى وقاص فقال السلام عليك أيها الملك فضحك معاوية وقال ما كان عليك يا أبا اسحق لو قلت يا أمير المؤمنين فقال اتقولها جذلان ضاحكا والله ما أحب انى وليتها بما وليتها به

﴿ذكر خروج الخوارج على معاوية﴾

قد ذكرنا فيما تقدم اعتزال فروة بن نوفل الاشجعى فى خمسمائة من الخوارج ومسيرهم الى شهرزور وتركوا قتال على والحسن فلما سلم الحسن الامر الى معاوية قالوا قد جاء الآن ما لا شك فيه فسيروا الى معاوية فجاهدوه فاقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى حلوا بالنخيلة عند الكوفة وكان الحسن بن على قد سار يريد المدينة فكتب اليه معاوية يدعوه الى قتال فروة فلحقه رسوله بالقادسية أو قريبا منها فلم يرجع وكتب الى معاوية لو آثرت ان اقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك فانى تركتك لصلاح الامة وحقن دمائها فارسل اليهم معاوية جمعا من أهل الشام فقاتلوهم فانهزم أهل الشام فقال معاوية لاهل الكوفة والله لا أمان لكم عندى حتى تكفوهم فخرج أهل الكوفة فقاتلوهم فقالت لهم الخوارج أليس معاوية عدونا وعدوكم دعونا حتى نقاتله فان أصبناه كنا قد كفينا كم عدوكم وان أصابنا كنتم قد كفيتمونا فقالوا لا بد لنا من قتالكم فأخذت أشجع صاحبهم فروة فحادثوه ووعظوه فلم يرجع فأخذوه قهرا وأدخلوه الكوفة

ما ذكرنا من السنين مات وله من الولد وولد الولد ألف ولما حضر مليكا الوفاة وهو آخر من ولى البيت من خزاعة وقد كان عمرو على ما ذكرنا جعل ولاية البيت الى ابنته زوج قصى بن كلاب فقال انها لا تقوم بفتح الباب وغلقه فجعل ولاية البيت اليها وفتح الباب وغلقه الى رجل من خزاعة يعرف بابى غبشان الخزاعى فباعه أبو غبشان ببعير وزق خمر فارسلت العرب ذلك مثلا فقالت اخسر من صفقة أبى غبشان فى بيعه لولاية البيت ببعير وزق من الخمر ونقل ولاية البيت من قومه من خزاعة الى قصى بن كلاب وفى ذلك يقول الشاعر

أبو غبشان أظلم من قصى
وأظلم من بنى فهر خزاعه
فلا تلحوا قصيا فى شراه
ولوموا شيخكم اذ كان باعه

وقال فى ذلك آخر

اذا افتخرت خزاعة فى قديم
وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهرا
بزق بئس مفتخر الفخور

وقد كانت ولاية البيت فى

فاستعمل الخوارج عليهم عبد الله بن أبى الحوساء رجلا من طيئ فقاتلهم أهل الكوفة فقتلوهم فى ربيع الاول وقيل فى ربيع الآخر وقتل ابن أبى الحوساء وكان ابن أبى الحوساء حين ولى أمر الخوارج قد خوف من السلطان ان يصلبه فقال

مالى أبالى اذا أرواحنا قبضت * ماذا فعلتم بأوصال وأبشار
تجرى المجرة والنسران عن قدر * والشمس والقمر السارى بمقدار
وقد علمت وخير القول أنفعه * ان السعيد الذى ينجو من النار

﴿ ذكر خروج حوثرة بن وداع ﴾

ولما قتل ابن أبى الحوساء اجتمع الخوارج فولوا أمرهم حوثرة بن وداع بن مسعود الاسدى فقام فيهم وعاب فروة بن نوفل لشكه فى قتال على ودعا الخوارج وسار من براز الروز وكان بها حتى قدم النخيلة فى مائة وخمسين وانضم اليه نوفل بن أبى الحوساء وهم قليل فدعا معاوية أبا حوثرة فقال له اخرج الى ابنك فلعله يرق اذا رآك فخرج اليه وكلمه وناشده وقال الا أجيئك بابنك فلعلك اذا رأيته كرهت فراقه فقال انا الى طعنة من يد كافر برمح انقلب فيه ساعة أشوق منى الى ابنى فرجع أبوه فاخبر معاوية بقوله فسير معاوية اليهم عبد الله بن عوف الاحمر فى ألفين وخرج أبو حوثرة فيمن خرج فدعا ابنه الى البراز فقال يا أبت لك فى غيرى سعة وقاتلهم ابن عوف وصبر وابارز حوثرة عبد الله بن عوف فطعنه ابن عوف فقتله وقتل أصحابه الا خمسين رجلا دخلوا الكوفة وذلك فى جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين ورأى ابن عوف بوجه حوثرة أثر السجود وكان صاحب عبادة فندم على قتله وقال

قتلت أخا بنى أسد سفاها * لعمر أبى فالقيت رشدى
قتلت مصليا محياء ليل * طويل الحزن ذا بر وقصد
قتلت أخا تقى لأنال دنيا * وذاك لشقوتى وعثار جدى
فهب لى توبة يا رب واغفر * لما قارفت من خطا وعمد

﴿ ذكر خروج فروة بن نوفل ومقتله ﴾

ثم ان فروة بن نوفل الاشجعى خرج على المغيرة بن شعبة بعد مسير معاوية فوجه اليه المغيرة خيلا عليها شبث بن ربعى ويقال معقل بن قيس فلقيه بشهرزور فقتله وقيل قتل ببعض السواد

﴿ ذكر شبيب بن بجرة ﴾

كان شبيب مع ابن ملجم حين قتل عليا فلما دخل معاوية الكوفة أتاه شبيب كالمتقرب اليه فقال انا وابن ملجم قتلنا عليا فوثب معاوية من مجلسه مذعورا حتى دخل منزله وبعث الى أشجع وقال لئن رأيت شبيبا أو بلغنى انه ببابى لاهلكنكم أخرجوه عن بلدكم وكان شبيب اذا جن عليه الليل خرج فلم يلق أحدا الا قتله فلما ولى المغيرة الكوفة خرج عليه بالطف قريب الكوفة فبعث اليه المغيرة خيلا عليها خالد بن عرفطة وقيل معقل بن قيس فاقتتلوا فقتل شبيب وأصحابه

﴿ ذكر معين الخارجى ﴾

وبلغ المغيرة ان معين بن عبد الله يريد الخروج وهو رجل من محارب وكان اسمه معنا فصغر فارسل اليه وعنده جماعة فاخذ وحبس وبعث المغيرة الى معاوية يخبره أمره فكتب اليه ان شهد انى خليفة فخل سبيله فاحضره المغيرة وقال له أتشهد ان معاوية خليفة وانه أمير المؤمنين فقال أشهد ان الله عز وجل حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور

خزاعة ثلثمائة سنة واستقام أمر قصى وعشر على من دخل مكة من غير قريش وبنى الكعبة ورتب قريشا على منازلها فى النسب بمكة وبنو الابطح من قريش وهم الاباطح وجعل الظاهرى ظاهرا وقريش البطاح هى قبائل بنى عبد مناف وبنى عبد الدار وبنى عبد العزى ابنى قصى وزهرة ومخزوم وتيم بن مرة وجمح وسهم وعدى وهم لعقة الدم وبنو عتيك ابن عامر بن لؤى وقريش الظواهر بنو محارب والحرث بن فهر وبنو الادرم بن غالب بن فهر وبنو هصيص بن عامر بن لؤى وفى ذلك يقول ذكوان مولى عبد الدار للضحاك ابن قيس الفهرى

تطاولت للضحاك حتى رددته
الى نسب فى قومه متقاصر
فلو شاهدتنى من قريش عصابة
قريش بطاح لاقريش الظواهر
ولكنهم غابوا وأصبحت شاهدا
فقبحت من حامى ذمار وناصر

فريقان منهم ساكن بطن يثرب

فامر به فقتل قتله قبيصة الهلالى فلما كان أيام بشر بن مروان جلس رجل من الخوارج على باب قبيصة حتى خرج فقتله ولم يعرف قاتله حتى خرج قاتله مع شبيب بن يزيد فلما قدم الكوفة قال يا أعداء الله أنا قاتل قبيصة

﴿ ذكر خروج أبى مريم ﴾

ثم خرج أبو مريم مولى بنى الحرث بن كعب ومعه امرأتان قطام وكحيلة وكان أول من أخرج معه النساء فعاب ذلك عليه أبو بلال بن أدية فقال قد قاتل النساء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين بالشام وسأردهما فردهما فوجه اليه المغيرة جابرا البجلى فقاتله فقتل أبو مريم وأصحابه ببادوريا

﴿ ذكر خروج أبى ليلى ﴾

وكان أبو ليلى رجلا اسود طويلا فاخذ بعضادتى باب المسجد بالكوفة وفيه عدة من الاشراف وحكم بصوت عال فلم يعرض له أحد فخرج وتبعه ثلاثون رجلا من الموالى فبعث فيه المغيرة معقل ابن قيس الرياحى فقتله بسواد الكوفة سنة اثنتين وأربعين

﴿ ذكر استعمال المغيرة بن شعبة على الكوفة ﴾

وفيها استعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة فاتاه المغيرة بن شعبة فقال له استعملت عبد الله على الكوفة وأباه على مصر فتكون أميرا بين نابى الاسد فعزله عنها واستعمل المغيرة على الكوفة وبلغ عمرا ما قال المغيرة فدخل على معاوية فقال استعملت المغيرة على الخراج فيغتال المال ولا تستطيع ان تأخذه منه استعمل على الخراج رجلا يخافك ويتقيك فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة ولما ولى المغيرة الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الرى وكان يكثر سب على على منبر الرى وبقى عليها الى ان ولى زياد الكوفة فاقره عليها وغزا الديلم ومعه عبد الله بن الحجاج التغلبى وقتل ديلميا وأخذ سلبه فأخذه منه كثير فناشده الله فى رده عليه فلم يفعل فاختفى له وضربه على وجهه بالسيف أو بعصا هشم وجهه فقال

من مبلغ ابناء خندف اننى * ادركت طائلتى من ابن شهاب
أدركته ليلا بعقوة داره * فضربته قدما على الانياب
هلا خشيت وأنت عاد ظالم * بقصور أبهر أسرتى وعقابى

﴿ ذكر ولاية بسر على البصرة ﴾

فى هذه السنة ولى بسر بن أبى ارطاة البصرة وكان السبب فى ذلك ان الحسن لما صالح معاوية أول سنة احدى وأربعين وثب حمران بن ابان على البصرة فاخذها وغلب عليها فبعث اليه معاوية بسر بن أبى ارطاة وأمره بقتل بنى زياد بن أبيه وكان زياد على فارس قد أرسله اليها على بن أبى طالب فلما قدم بسر البصرة خطب على منبرها وشتم عليا ثم قال نشدت الله رجلا يعلم انى صادق الا صدقنى أو كاذب الا كذبنى فقال أبو بكرة اللهم انا لا نعلمك الا كاذبا قال فامر به فخنق فقام أبو لؤلؤة الضبى فرمى بنفسه عليه فمنعه واقطعه أبو بكرة مائة جريب وقيل لابى بكرة ما حملك على ذلك فقال يناشدنا بالله ثم لا نصدقه وأرسل معاوية الى زياد ان فى يدك مالا من مال الله فادّ ما عندك منه فكتب اليه زياد انه لم يبق عندى شئ ولقد صرفت ما كان عندى فى وجهه واستودعت بعضه لنازلة ان نزلت وحملت ما فضل الى أمير المؤمنين رحمة الله عليه فكتب اليه معاوية أن أقبل ننظر فيما وليت فان استقام بيننا أمر والا رجعت الى مأمنك فامتنع فاخذ بسر

ومنهم فريق ساكن بالمشاعر

والاحلاف من قريش بنو عبد الدار بن قصى وسهم وجمح وعدى ومخزوم والمطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة وتيم وبنو الحرث بن لؤى وفى ذلك يقول عمرو بن أبى ربيعة المخزومى فى امرأة

ولها فى المطيبين جدود
ثم نالت ذوائب الاحلاف
انها بين عامر بن لؤى
حين تدعى وبين عبد مناف

وأخذت قريش الايلاف من الملوك وتفسير ذلك الامن وتقرشت والتقريش الجمع ومنه قول ابن حلزة اليشكرى

اخوة قرشوا الذنوب علينا
فى حديث من دهرنا وقديم

ورحلت قريش حين أخذ لها الايلاف من الملوك الى الشام والحبشة واليمن والعراق وفى ذلك يقول مطرف الخزاعى

يا أيها الرجل المحول رحله
هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذين العهد من آفاقها
والراحلين برحلة الايلاف

ولقريش أخبار كثيرة وكذلك لجرهم وخزاعة وغيرهما من معد قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا واغناذكر فى هذا الكتاب

أولاد زياد الاكابر منهم عبد الرحمن وعبيد الله وعباد وكتب الى زياد لتقدمن على أمير المؤمنين أولا أقتلن بنيك فكتب اليه زياد لست بارحا من مكانى حتى يحكم الله بينى و بين صاحبك وان قتلت ولدى فالمصير الى الله ومن ورائنا الحساب وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون فاراد بسر قتلهم فأتاه أبو بكرة فقال قد أخذت ولد أخى بلا ذنب وقد صالح الحسن معاوية على ما أصاب أصحاب على حيث كانوا فليس عليهم ولا على أبيهم سبيل وأجله أياما حتى يأتيه بكتاب معاوية فركب أبو بكرة الى معاوية وهو بالكوفة فلما أتاه قال له يا معاوية ان الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الاطفال قال وماذاك يا أبا بكرة قال بسر يريد قتل بنى أخى زياد فكتب له بتخليتهم فأخذ كتابه الى بسر بالكف عن أولاد زياد وعاد فوصل البصرة يوم الميعاد وقد أخرج بسر أولاد زياد مع طلوع الشمس ينتظر بهم الغروب ليقتلهم واجتمع الناس لذلك وهم ينتظرون أبا بكرة اذ رفع لهم على نجيب أو برذون يكده فوقف عليه ونزل عنه والاح بثوبه وكبر وكبر الناس معه فاقبل يسعى على رجليه فأدرك بسرا قبل ان يقتلهم فدفع اليه كتاب معاوية فأطلقهم وقد كان معاوية كتب الى زياد حين قتل على يتهدده فقام خطيبا فقال العجب من ابن آكلة الاكباد وكهف النفاق ورئيس الاحزاب يتهددنى و بينى و بينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ابن عباس والحسن بن على فى سبعين ألفا واضعى سيوفهم على عواتقهم اما والله لئن خلص الى ليجدنى أحمر ضرابا بالسيف فلما صالح الحسن معاوية وقدم معاوية الكوفة تحصن زياد فى القلعة التى يقال لها قلعة زياد * قول من قال فى هذا ان زيادا عنى ابن عباس وهم لان ابن عباس فارق عليا فى حياته وقيل ان معاوية أرسل هذا الى زياد فى حياة على فقال زياد هذه المقالة وعنى بها عليا وكتب زياد الى على يخبره بما كتب اليه معاوية فاجابه بما هو مشهور وقد ذكرناه فى استلحاق معاوية زيادا (كل ما فى هذا الخبر بسر فهو بضم الباء الموحدة والسين المهملة الساكنة)

﴿ذكر ولاية ابن عامر البصرة لمعاوية﴾

ثم أراد معاوية ان يولى عتبة بن أبى سفيان البصرة فكلمه ابن عامر وقال له ان لى بالبصرة ودائع وأموالا فان لم تولنى عليها ذهبت فولاه البصرة فقدمها فى آخر سنة احدى وأربعين وجعل اليه خراسان وسجستان فجعل على شرطته حبيب بن شهاب وعلى القضاء عميرة بن يثرب أخا عمرو وقد تقدم فى وقعة الجمل ان عميرة قتل فيها وقيل عمرو وهو المقتول والله سبحانه أعلم بالصواب

﴿ذكر ولاية قيس بن الهيثم خراسان﴾

وفى هذه السنة استعمل ابن عامر قيس بن الهيثم السلمى على خراسان وكان أهل باذغيس وهراة وبوشنج قد نكثوا فسار الى بلخ فأخرب نوبهارها وكان الذى تولى ذلك عطاء بن السائب مولى بنى ليث وهو الخشك وانما سمى عطاء الخشك لانه أول من دخل مدينة هراة من المسلمين من باب خشك واتخذ قناطر على ثلاثة أنهار من بلخ على فرسخ فقيل قناطر عطاء ثم ان أهل بلخ سألوا الصلح ومراجعة الطاعة فصالحهم قيس وقيل انما صالحهم الربيع بن زياد سنة احدى وخمسين وسيرد ذكره ثم قدم قيس على ابن عامر فضربه وحبسه واستعمل عبد الله بن خازم فارسل اليه أهل هراة وباذغيس وبوشنج يطلبون الامان والصلح فصالحهم وحمل الى ابن عامر مالا (عبد الله بن خازم بالخاء المعجمة)

﴿ذكر خروج سهم بن غالب﴾

وفى هذه السنة خرج سهم بن غالب الهجيمى على ابن عامر فى سبعين رجلا منهم الخطيم الباهلى

وهو

لما ننبه بها على ما سلف وسنورد عند ذكرنا تفرق الناس من بابل جملا من أخبار مكة وعبد المطلب والحبشة وغير ذلك مما الحق بهذا المعنى ان شاء الله تعالى

﴿ذكر جوامع الاخبار ووصف الارض والبلدان وحنين النفوس للاوطان﴾

(ذكر) ذوو الدراية أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الارض كتب الى حكيم من حكماء العصر انا أناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد أن نتبوأ الارض ونسكن البلاد والامصار فصف لى المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره الترب والاهوية فى سكانها فكتب اليه ذلك الحكيم اعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى قد قسم الارض أقساما شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فما تناهى فى التشريق فهو مكروه لاحتراقه وناريته وحدته واحراقه لمن دخل فيه وما تناهى مغربا أيضا أضر سكانه لموازاته ما أوغل فى التشريق وهكذا ما تناهى

وهو يزيد بن مالك وانما قيل له الخطيم لضربة ضربها على وجهه فنزلوا بين الجسرين والبصرة فمر بهم عبادة بن قرص الليثى من الغزو ومعه ابنه وابن أخيه فقال لهم الخوارج من أنتم قالوا قوم مسلمون قالوا كذبتم قال عبادة سبحان الله اقبلوا منى ما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منى فانى كذبته وقاتلته ثم أتيته فأسلمت فقبل ذلك منى قالوا أنت كافر وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه فخرج اليهم ابن عامر بنفسه وقاتلهم فقتل منهم عدة وانحاز بقيتهم الى أجمة وفيهم سهم والخطيم فعرض عليهم ابن عامر الامان فقبلوه فأمنهم فرجعوا فكتب اليه معاوية يأمره بقتلهم فكتب اليه ابن عامر انى قد جعلت لهم ذمتك فلما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين هرب سهم والخطيم فخرجا الى الاهواز فاجتمع الى سهم جماعة فاقبل بهم الى البصرة فأخذ قوما فقالوا نحن يهود فخلاهم وقتل سعدا مولى قدامة بن مظعون فلما وصل الى البصرة تفرق عنه أصحابه فاختفى سهم وقيل انهم تفرقوا عنه بعد استخفائه فطلب الامان وظن انه يسوغ له عند زياد ما ساغ له عند ابن عامر فلم يؤمنه زياد وبحث عنه فدل عليه فأخذه وقتله وصلبه فى داره وقيل لم يزل مستخفيا الى ان مات زياد فأخذه عبيد الله بن زياد فصلبه سنة أربع وخمسين وقيل قبل ذلك فقال رجل من الخوارج

فان تكن الاحزاب باؤا بصلبه ... فلا يبعدن الله سهم بن غالب

واما الخطيم فانه سأله زياد عن قتل عبادة فأنكره فسيره الى البحرين ثم أعاده بعد ذلك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

قيل وفى هذه السنة ولد على بن عبد الله بن عباس وقيل ولد سنة أربعين قبل ان يقتل على والاول أصح وباسم على سماه وقال سميته باسم أحب الناس الى وحج بالناس هذه السنة عتبة بن أبى سفيان وقيل عنبسة بن أبى سفيان وفى هذه السنة استعمل عمرو بن العاص عقبة بن نافع بن عبد قيس وهو ابن خالة عمرو على افريقية فانتهى الى لواتة ومزاتة فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته فقتل وسبى ثم افتتح فى سنة اثنتين وأربعين غدامس فقتل وسبى وفتح فى سنة ثلاث وأربعين كورا من كور السودان وافتتح ودان وهى من برقة وافتتح عامة بلاد بربر وهو الذى اختط القيروان سنة خمسين وسيذكر ان شاء الله تعالى وفيها مات لبيد بن ربيعة الشاعر وقيل مات يوم دخل معاوية الكوفة وعمره مائة سنة وسبع وخمسون سنة وقيل مات فى خلافة عثمان وله صحبة وترك الشعر مذ أسلم

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين﴾

فى هذه السنة غزا المسلمون اللان وغزوا الروم أيضا فهزموهم هزيمة منكرة وقتلوا جماعة من بطارقتهم وفيها ولد الحجاج بن يوسف فى قول وفيها ولى معاوية مروان بن الحكم المدينة وولى خالد بن العاص بن هشام مكة فاستقضى مروان عبد الله بن الحرث بن نوفل وكان على الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى قضائها شريح وعلى خراسان قيس بن الهيثم استعمله ابن عامر وقيل استعمله معاوية لما استقامت له الامور فلما ولى ابن عامر البصرة أقره عليها

﴿ذكر الخبر عن تحرك الخوارج﴾

وفى هذه السنة تحركت الخوارج الذين كانوا انحازوا وعمن قتل فى النهر ومن كان ارتث من جراحته فى النهر فبرؤا وعفا على عنهم وكان سبب خروجهم ان حيان بن ظبيان السلمى كان خارجيا وكان قد ارتث يوم النهر فلما برأ لحق بالرى فى رجال معه فأقاموا بها حتى بلغهم مقتل على فدعا أصحابه وكانوا بضعة عشر أحدهم سالم بن ربيعة العبسى فاعلمهم بقتل على فقال سالم لا شلت يمين

فى الشمال أضر ببرده وقره وثلوجه وآفاته الاجسام فأورثها الآلام وما اتصل بالجنوب وأوغل فيه أحرق بناريته ما اتصل به من الحيوان ولذلك صار المسكون من الارض جزأ يسيرا ناسب الاعتدال وأخذ بحظه من حسن القسمة وسأصف لك يا أمير المؤمنين القطع المسكونة من الارض (أما الشام) فسحب وآكام وريح وغمام وغدق ركام ترطب الاجسام وتبلد الاحلام وتصفى الالوان لاسيما أرض حمص فانها تحسن الجسم وتصفى اللون وتبلد الفهم وتنزح غوره وتجفى الطبع وتذهب بماء القريحة وتنصب العقول والشام يا أمير المؤمنين وان كانت على ما وصفت لك فهى مسرح خصب ووابل سكب كثرت أشجاره واطردت أنهاره وغمرت أعشاره وبه منازل الانبياء والقدس المجتبى وفيه جل أشراف خلق الله تعالى من الصالحين والمتعبدين وجباله مساكن المجتهدين والمنفردين (وأما أرض مصر) فأرض قوراء غوراء ديار الفراعنة ومنازل الجبابرة تحمد بفضل نيلها

علت قذاله بالسيف وحمدوا الله على قتله رضى الله عنه ولا رضى عنهم ثم ان سالما رجع عن رأى الخوارج بعد ذلك وصلح ودعاهم حيان الى الخروج ومقاتلة أهل القبلة فاقبلوا الى الكوفة فأقاموا بها حتى قدمها معاوية واستعمل على الكوفة المغيرة بن شعبة فأحب العافية وأحسن السيرة وكان يؤتى فيقال له ان فلانا يرى رأى الشيعة وفلانا يرى رأى الخوارج فيقول قضى الله ان لا يزالوا مختلفين وسيحكم الله بين عباده فامنه الناس وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضا ويتذاكرون مكان اخوانهم بالنهر فاجتمعوا على ثلاثة نفر على المستورد بن علفة التيمى من تيم الرباب وعلى معاذ بن جوين الطائى وهو ابن عم زيد بن حصين الذى قتل يوم النهر وعلى حيان بن ظبيان السلمى واجتمعوا فى أربعمائة فتشاوروا فيمن يولون عليهم فكلهم دفع الامارة عن نفسه ثم اتفقوا فولوا المستورد وبايعوه وذلك فى جمادى الآخرة واتعدوا للخروج واستعدوا وكان خروجهم غرة شعبان سنة ثلاث وأربعين (علفة بضم العين المهملة وتشديد اللام المكسورة وفتح الفاء)

﴿ذكر قدوم زياد على معاوية﴾

وفى هذه السنة قدم زياد على معاوية وكان سبب ذلك ان زيادا كان قد استودع ماله عبد الرحمن ابن أبى بكرة وكان عبد الرحمن يلى ماله بالبصرة وبلغ معاوية ذلك فبعث المغيرة بن شعبة لينظر فى أموال زياد فاخذ عبد الرحمن فقال له ان كان أبوك قد أساء الى لقد أحسن عمك يعنى زيادا وكتب الى معاوية انى لم أجد فى يد عبد الرحمن مالا يحل لى أخذه فكتب اليه معاوية أن عذب عبد الرحمن فاراد ان يعذر وبلغ ذلك معاوية فقال لعبد الرحمن احتفظ بما فى يدبك وألقى على وجهه حريرة ونضحها بالماء فغشى عليه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم خلاه وكتب الى معاوية انى عذبته فلم أصب عنده شيأ وحفظ لزياد يده عنده ثم دخل المغيرة على معاوية فقال معاوية حين رآه

اغاموضع سر المرءان * باح بالسر أخوه المنتصح
فاذا بحت بسر فالى * ناصح يستره أولا تبح

فقال المغيرة يا أمير المؤمنين ان تستودعنى تستودع ناصحا مشفقا وماذلك فقال له معاوية ذكرت زيادا واعتصامه بفارس فلم أنم ليلتى فقال المغيرة ما زياد هناك فقال معاوية داهية العرب معه أموال فارس يدبر الحيل ما يؤمننى ان يبايع لرجل من أهل هذا البيت فاذا هو قد أعاد الحرب جذعة فقال المغيرة أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى اتيانه قال نعم وتلطف له فأتاه المغيرة وقال له ان معاوية استخفه الوجل حتى بعثنى اليك ولم يكن أحد يمد يده الى هذا الامر غير الحسن وقد بايع فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغنى معاوية عنك قال أشر على وارم الغرض الاقصى فان المستشار مؤتمن فقال له المغيرة أرى ان تصل حبلك بحبله وتشخص اليه ويقضى الله وكتب اليه معاوية بامانه بعد عود المغيرة عنه فخرج زياد من فارس نحو معاوية ومعه المنجاب بن راشد الضبى وحارثة ابن بدر الغدانى وسرح عبد الله بن عامر عبد الله بن خازم فى جماعة الى فارس وقال لعلك تلقى زيادا فى طريقك فتأخذه فسار ابن خازم فلقى زيادا بارجان فأخذ بعنانه وقال انزل يا زياد فقال له المنجاب تنح يا ابن السوداء والا علقت يدك بالعنان وكانت بينهم منازعة فقال له زياد قد أتانى كتاب معاوية وأمانه فتركه ابن خازم وقدم زياد على معاوية وسأله عن أموال فارس فأخبره بما حمل منها الى على وبما أنفق منها فى الوجوه التى تحتاج الى النفقة وما بقى عنده وانه مودع للمسلمين فصدقه معاوية فيما أنفق وفيما بقى عنده وقبضه منه وقيل ان زيادا لما قال لمعاوية قد بقيت بقية

وذمها أكثر من حمدها هواؤها راكد وحرها زائد وشرها وارد تكدر الالوان وتخيب الفطن وتكثر الاحن وهى معدن الذهب والجوهر والزمرد والاموال ومغارس الغلات غير أنها تسمن الابدان وتسود الابشار وتنوفيها الاعمار وفى أهلها مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة الا انها بلد مكسب لا بلد مسكن لترادف فتنها واتصال شرورها (وأما اليمن) فيضعف الاجسام ويذهب الاحلام ويذهب بالرطوبة فى أهله همم كبار ولهم أحساب وأخطار ومغابضه خصبة وأطرافه جدبة وفى هوائه انقلاب وفى سكانه اغتيال وبهم قطعة من الحسن وشعبة من الترفه وفقرة من الفصاحة (وأما الحجاز) فحاجز بين الشام واليمن والتهائم هواؤه حرور وليله سهور يحف الاجسام ويجنف الادمغة ويشجع القلوب ويبسط الهمم ويبعث على الاحن وهو بلد محل قحط جدب ضنك (وأما المغرب) فيقسى القلب ويوحش الطبع

من المال وقد أودعتها مكث معاوية برده فكتب زياد كتبا الى قوم أودعهم المال وقال لهم قد علمتم مالى عندكم من الامانة فتدبروا كتاب الله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية فاحتفظوا بما قبلكم وسمى فى الكتب المال الذى أقر به لمعاوية وأمر رسوله ان يتعرض لبعض من يبلغ ذلك معاوية ففعل رسوله وانتشر ذلك فقال معاوية لزياد حين وقف على الكتب أخاف ان تكون مكرت بى فصالحنى على ماشئت فصالحه على شئ وحمله اليه ومبلغه ألف ألف درهم واستأذنه فى نزول الكوفة فأذن له فكان المغيرة يكرمه ويعظمه فكتب معاوية الى المغيرة ليلزم زيادا وحجر بن عدى وسليمان بن صرد وشبث بن ربعى وابن الكوا ابن الحمق بالصلاة فى الجماعة فكانوا يحضرون معه الصلاة وانما ألزمهم ذلك لانهم كانوا من شيعة على)

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج هذه السنة بالناس عنبسة بن أبى سفيان وفيها مات حبيب بن مسلمة الفهرى بارمينية وكان أمير المعاوية عليها وكان قد شهد معه حروبه كلها وفيها مات عثمان بن طلحة بن أبى طلحة العبدرى له صحبة وفيها مات ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب وهو الذى صارع النبى صلى الله عليه وسلم وصفوان بن أمية بن خلف الجمحى وله صحبة وفيها مات هانئ بن نيار بن عمرو الانصارى وهو خال البراء بن عازب وقيل سنة خمس وأربعين وكان بدريا عقبيا (نيار بكسر النون وفتح الياء تحتها نقطتان وآخره راء)

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين﴾

فى هذه السنة غزا بسر بن أبى ارطاة الروم وشتى بارضهم حتى بلغ القسطنطينية فيما زعم الواقدى وأنكر ذلك قوم من أهل الاخبار وقالوا لم يشت بسر بأرض الروم قط وفيها مات عمرو بن العاص بمصر يوم الفطر وكان عمل عليها العمر أربع سنين ولعثمان أربع سنين الاشهرين ولمعاوية سنتين الاشهرا وفيها ولى معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص مصر فوليها نحوا من سنتين وفيها مات محمد بن مسلمة بالمدينة فى صفر وصلى عليه مروان بن الحكم وعمره سبع وسبعون سنة

﴿ذكر مقتل المستورد الخارجى﴾

وفيها قتل المستورد بن علفة التيمى تيم الرباب وقد ذكر سنة اثنتين وأربعين تحرك الخوارج وبيعتهم له ومخاطبته بأمير المؤمنين فلما كان هذه السنة أخبر المغيرة بن شعبة بأنهم اجتمعوا فى منزل حيان بن ظبيان السلمى واتعدوا للخروج غرة شعبان فأرسل المغيرة صاحب شرطته وهو قبيصة بن الدمون فاحاط بدار حيان هو ومن معه واذا عنده معاذ بن جوين ونحو عشرين رجلا وثارت امرأته وهى أم ولد كانت له كارهة فأخذت سيوفهم فالقتها تحت الفراش وقاموا ليأخذوا سيوفهم فلم يجدوها فاستسلموا فانطلق بهم الى المغيرة فحبسهم بعد ان قررهم فلم يعترفوا بشئ وذكروا أنهم اجتمعوا لقراءة القرآن ولم يزالوا فى السجن نحو سنة وسمع اخوانهم فحذروا وخرج صاحبهم المستورد فنزل الحيرة واختلفت الخوارج اليه فرآهم حجار بن أبجر فسألوه ان يكتم عليهم ليلتهم تلك فقال لهم سأكتم عليكم الدهر فخافوه ان يذكرهم للمغيرة فتحولوا الى دار سليم بن محدوج العبدى وكان صهر المستورد ولم يذكر حجار من أخبارهم شيأ وبلغ المغيرة خبرهم وانهم عازمون على الخروج تلك الايام فقام فى الناس فحمد الله ثم قال لقد علمتم انى لم أزل أحب لجماعتكم العافية وأكف عنكم الاذى وخشيت ان يكون ذلك أدب سوء لسفهائكم وقد خشيت من ان لا نجد بدا من ان لا يؤخذ الحليم التقى بذنب الجاهل السفيه فكفوا عنها سفهاءكم

وبطيش اللب ويذهب بالرحمة ويكسب الشجاعة ويقشع الضراعة وفى أهله غدر ولهم خب ومكر ديارهم مختلفة وهممهم غير مؤتلفة ولديارهم فى آخر الزمان نبأ عظيم وخطب جسيم من أمر يظهر وأحوال تبهر (وأما العراق) فنار الشرق وسرة الارض وقلبها اليه تحادرت المياه وبه اتصلت النضارة وعنده وقف الاعتدال فصفت أمزجة أهله ولطفت اذهانهم واحتدت خواطرهم واتصلت مسراتهم فظهر منهم الدهاء وقويت عقولهم وثبتت بصائرهم وقلب الارض العراق وهو المجتبى من قديم الزمان وهو مفتاح الشرق ومسلك النور ومسرح العينين ومدنه المدائن وما والاها ولاهله أعدل الالوان وأنقى الروائح وأفضل الامزجة وأطوع القرائح وفيهم جوامع الفضائل وفوائد المبرات وفضائله كثيرة لصفاء جوهره وطيب نسيمه واعتدال تربته واغداق الماء عليه ورفاهية العيش به (وأما الجبال) فتخشن الاجسام وتغلظها وتبلد الافهام وتقطعها وتفسد الاحلام وتعيت الهمم لما

قبل ان يشمل البلاء عوامكم وقد بلغنا ان رجالا يريدون ان يظهروا فى المصر بالشقاق والنفاق والخلاف وايم الله لايخرجون فى حى من احياء العرب الا أهلكتهم وجعلتهم نكالا لمن بعدهم فقام اليه معقل بن قيس الرياحى فقال أيها الامير اعلمنا هؤلاء القوم فان كانوا منا كفيناكهم وان كانوا غيرنا أمرت أهل الطاعة فاتاك كل قبيلة بسفهائهم فقال ما سمى لى أحد باسمه فقال معقل أنا أكفيك قومى فليكفك كل رئيس قومه فاحضر المغيرة الرؤساء وقال لهم ليكفنى كل رجل منكم قومه والا فوالله لاتحولن عما تعرفون الى ما تنكرون وعما تحبون الى ما تكرهون فرجعوا الى قومهم فناشدوهم الله والاسلام الا دلوهم على كل من يريد ان يهيج الفتنة وجاء صعصعة بن صوحان الى عبد القيس وكان قد علم بمنزل حيان فى دار سليم ولكنه كره ان يؤخذ من عشيرته على فراقه لاهل الشام وبغضه لرأيهم وكره مساءة أهل بيت من قومه فقام فيهم فقال أيها الناس ان الله وله الحمد لما قسم الفضل خصكم بأحسن القسم فاجبتم الى دين الله الذى اختاره لنفسه وارتضاه لملائكته ورسله ثم أقمتم حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ثم اختلف الناس بعده فثبتت طائفة وارتدت طائفة وادهنت طائفة وتربصت طائفة فلزمتم دين الله ايمانا به وبرسوله وقاتلتم المرتدين حتى قام الدين وأهلك الله الظالمين ولم يزل الله يزيدكم بذلك خيرا حتى اختلفت الامة بينها فقالت طائفة نريد طلحة والزبير وعائشة وقالت طائفة نريد أهل المغرب وقالت طائفة نريد عبد الله بن وهب الراسبى وقلتم أنتم لانريد الا أهل بيت نبينا الذين ابتدأنا الله عز وجل من قبلهم بالكرامة تسديدا من الله عز وجل لكم وتوفيقا فلم تزالوا على الحق لازمين له آخذين به حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مثل هديكم الناكثين يوم الجمل والمارقين يوم النهر وسكت عن ذكر أهل الشام لان السلطان لهم فلا قوم أعدى لله ولكم ولاهل بيت نبيكم من هذه المارقة الخاطئة الذين فارقوا امامنا واستحلوا دماءنا وشهدوا علينا بالكفر فاياكم ان تؤوهم فى دوركم أو تكتموا عليهم شيأ فانه لاينبغى لحى من احياء العرب ان يكون أعدى لهذه المارقة منكم وقد ذكر لى ان بعضهم فى جانب من الحى وأنا باحث عن ذلك فان يك حقا تقربت الى الله بدمائهم فان دماءهم حلال وقال يا معشر عبد القيس ان ولاتنا هؤلاء اعرف شئ بكم وبرأيكم فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلا فانهم أسرع شئ اليكم والى مثلكم ثم جلس وكل قوم قال لعنهم الله وبرئ منهم لانؤويهم ولئن علمنا بمكانهم لنطلعنك عليهم غير سليم بن محدوج فانه لم يقل شيأ ورجع كئيبا يكره أن يخرج أصحابه من داره فيلوموه ويكره أن يؤخذوا فى داره فيهلكوا ويهلك معهم وجاء أصحاب المستورد اليه فاعلموه بما قام به المغيرة فى الناس وبما قام به رؤسهم فيهم فسأل ابن محدوج عما قام به صعصعة فى عبد القيس فاخبره وقال كرهت أن اعلمكم فتظنوا انه ثقل على مكانكم فقال له قد أكرمت المثوى وأحسنت ونحن مرتحلون عنك وبلغ الخبر الذين فى محبس المغيرة من الخوارج فقال معاذ ابن جوين بن حصين فى ذلك

الا أيها الشارون قد حان لامرئ * شرى نفسه لله أن يترحلا
أقمتم بدار الخاطئين جهالة * وكل امرئ منكم يصاد ليقتلا
فشدوا على القوم العداة فانما * اقامتكم للذبح رأيا مضللا
الا فاقصدوا يا قوم للغاية التى * اذا ذكرت كانت أبر وأعدلا
فياليتنى فيكم على ظهر سابح * شديد القصيرى دارعا غير اعزلا
وياليتنى فيكم أعادى عدوكم * فيسقينى كأس المنية أولا

هى عليه من غلظ التربة ومتانة الهواء وتكاثفه واختلاف مهابه وسوء منصرفاته والاخلاق والصور يا أمير المؤمنين تناسب البلد وتحاذيه وتقارنه وتوازيه وتوافقه وتضاهيه وكل بلد اعتدل هواؤه وخف ماؤه ولطف غذاؤه كانت صور أهله وخلائقهم تناسب البلد وتحاذيه وتشاكل ما عليه اركانه وما اسس عليه بنيانه وكل بلد يزول عن الاعتدال انتسب أهله الى سوء الحال (وأما خراسان) فتكبر الهام وتعظم الاجسام وتلطف الاحلام ولاهلها عقول وهمم طامحة وفيهم غوص وتفكير ورأى وتقدير (وأما بلد فارس) فخصب الفضاء رقيق الهواء مترا كم الماء معتم بالاشجار كثير الثمار وفى أهله شح ولهم خب وغرائزهم سيئة وهممهم دنيئة وفيهم مكر وخداع (وأما بلد خوزستان) فهى كدرة الاهواء تفسد الاحلام وتبلد الافهام وتخبث الهمم وتستأصل الكرم تساق أهله سوق الانعام وهم الهمج الطغام (وأما أرض الجزيرة) فتناسب البر بالهواء اللطيف وفيها

يعز على أن تخافوا وتطردوا * ولما اجرد فى المحلين منصلا
ولما يفرق جمعهم كل ماجد * اذا قلت قد ولى وأدبر اقبلا
مشيحا بنصل السيف فى حمس الوغى * يرى الصبر فى بعض المواطن امثلا
وعز على أن تصابوا وتنقصوا * وأصبح ذا بث أسيرا مكبلا
ولو أننى فيكم وقد قصدوا لكم * أثرت اذا بين الفريقين قسطلا
فيارب جمع قد فللت وغارة * شهدت وقرن قد تركت مجدلا

وأرسل المستورد الى أصحابه فقال لهم اخرجوا من هذه القبيلة واتعدوا سوراء فخرجوا اليها متقطعين فاجتمعوا بها الاثمائة رجل وساروا الى الصراة فسمع المغيرة بن شعبة خبرهم فدعا رؤساء الناس فاستشارهم فيمن يرسله اليهم فقال له عدى بن حاتم كلنا لهم عدو ولرأيهم مبغض وبطاعتك مستمسك فايناشئت سار اليهم وقال له معقل بن قيس انك لاتبعث اليهم أحدا ممن ترى حولك الا رأيته سامعا مطيعا ولهم مفارقا ولهلاكهم محبا ولا أرى أن تبعث اليهم أحدا من الناس أعدى لهم منى فابعثنى اليهم فانا أكفيكهم باذن الله تعالى فقال اخرج على اسم الله فجهز معه ثلاثة آلاف وقال المغيرة لصاحب شرطته الصق بمعقل شيعة على فانه كان من رؤساء أصحابه فاذا اجتمعوا استأنس بعضهم ببعض وهم أشد استحلالا لدماء هذه المارقة وأجرأ عليهم من غيرهم فقد قاتلوهم قبل هذه المرة وقال له صعصعة بن صوحان نحوا من قول معقل فقال له المغيرة اجلس فانما أنت خطيب فأحفظه ذلك وانما قال له ذلك لانه بلغه انه يعيب عثمان بن عفان ويكثر ذكر على ويفضله وكان المغيرة دعاه وقال له اياك أن يبلغنى عنك انك تعيب عثمان واياك أن يبلغنى انك تظهر شيأ من فضل على فانا أعلم بذلك منك ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا باظهار عيبه للناس فنحن ندع شيأ كثيرا مما أمرنا به ونذكر الشئ الذى لانجد منه بدا ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا فان كنت ذاكرا فضله فاذكره بينك وبين أصحابك فى منازلكم سرا وأما علانية فى المسجد فان هذا لايحتمله الخليفة لنا فكان يقول له نعم ثم يبلغه عنه انه فعل ذلك فحقد عليه المغيرة فاجابه بهذا الجواب فقال له صعصعة وما أنا الا خطيب فقط قال أجل فقال والله انى للخطيب الصليب الرئيس أما والله لو شهدتنى يوم الجمل حيث اختلفت القنا فشؤون تفرى وهامة تختلى لعلمت انى الليث النهد فقال حسبك لعمرى لقد أوتيت لسانا فصيحا وخرج معقل ومعه ثلاثة آلاف فارس نقاوة الشيعة وسار الى سوراء ولحقه أصحابه واما الخوارج فانهم ساروا الى بهرسير وأرادوا العبور الى المدينة العتيقة التى فيها منازل كسرى فمنعهم سماك بن عبيد الازدى العبسى وكان عاملا عليها فكتب اليه المستورد يدعوه الى البراءة من عثمان وعلى وان يتولاه وأصحابه فقال سماك بئس الشيخ أنا اذا واعاد الجواب على المستورد يدعوه الى الجماعة وان يأخذ له الامان فلم يجب وأقام بالمدائن ثلاثة أيام ثم بلغه مسير معقل اليهم فجمعهم المستورد وقال لهم ان المغيرة قد بعث اليكم معقل بن قيس وهو من السبائية المفترين الكاذبين فاشيروا على برأيكم فقال بعضهم خرجنا نريد الله والجهاد وقد جاؤنا فاين نذهب بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وقال بعضهم بل نتنحى ندعو الناس ونحتج عليهم بالدعاء فقال لهم لا أرى ان نقيم حتى يأتونا وهم مستريحون بل أرى ان نسير بين أيديهم فيخرجوا فى طلبنا فينقطعوا ويتبددوا فنلقاهم على تلك الحال فساروا فعبروا بجرجرايا ومضوا الى أرض جوخى ثم بلغوا المذار فاقاموا بها وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم فسأل كيف صنع المغيرة فاخبر بفعله فاستدعى شريك بن الاعور الحارثى وكان من شيعة على فقال له

خصب وسرح ولاهلها باس ومراس والبر يا أمير المؤمنين أفضل قطع الارض وأسناها وأشرفها وأعلاها نحو الانجاد والتهائم لجاية الهواء الاقذاء عن سكانه ودفعه الآفات عن قطانه وسماحة المثوى وتهذيب الماء وصحة المتنسم وارتفاع الاكدار وذهاب الاضرار واعلم يا أمير المؤمنين أن الله تبارك وتعالى قسم الارض أقساما فضل بعضها على بعض فأفضل أقسامها العراق فهو سيد الآفاق وقد سكنه أجيال وأمم ذوو كمال (وأما الهند والصين وبلاد الروم) فلا حاجة بى الى وصفها لك لانها منازل شاسعة وبلدان نائية كافرة طاغية وفى الذى ذكرته لك ما اشفى بك الى ما شمرت الى علمه وكل ما وصفته فى هذه البلدان فهو الاعم من أمور أهلها والاغلب على أحوالهم فان وجد فيهم أحد بخلاف ذلك فهو النادر يا أمير المؤمنين والحكم للاغلب (قال المسعودى) وذكر جماعة من أهل العلم بالسير والاخبار أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أراد الشخوص الى العراق حين بلغه ما عليه الاعاجم من الجمع ببلادهم سأل كعب الاحبار

اخرج الى هذه المارقة ففعل وانتخب معه ثلاثة آلاف فارس من الشيعة وكان أكثرهم من ربيعة وسار بهم الى المذار وأمامه معقل بن قيس فسار الى المدائن حتى بلغه اقباله نحوهم فشق ذلك على الناس فقال لهم معقل انهم ساروا لتتبعوهم وتتبددوا وتنقطعوا فتلحقوهم وقد تعبتم وانه لا يصيبكم شئ من ذلك الا وقد أصابهم مثل ذلك وسار فى آثارهم وقدم بين يديه أبا الرواغ الشاكرى فى ثلاثمائة فارس فتبعهم أبو الرواغ حتى لحقهم بالمذار فاستشار أصحابه فى قتالهم قبل قدوم معقل فقال بعضهم لا نفعل وقال بعضهم بل نقاتلهم فقال لهم ان معقلا أمرنى أن لا أقاتلهم فقالوا له ينبغى أن تكون قريبا منهم حتى يأتى معقل وكان ذلك عند المساء فباتوا يتحارسون حتى أصبحوا فلما ارتفع النهار خرجت الخوارج اليهم وكانوا أيضا ثلاثمائة وحملوا عليهم فانهزم أصحاب أبى الرواغ ساعة ثم صاح بهم أبو الرواغ الكرة الكرة وحمل ومعه أصحابه فلما دنوا من الخوارج عادوا منهزمين الا انهم لم يقتل منهم أحد فصاح بهم أبو الرواغ أيضا ثكلتكم أمهاتكم ارجعوا بنا نكن قريبا منهم لا نفارقهم حتى يقدم علينا أميرنا وما أقبح بنا أن نرجع الى الجيش منهزمين من عدونا فقال له بعض أصحابه ان الله لا يستحى من الحق قد والله هزمونا فقال له لا أكثر الله فينا مثلك انا مالم نفارق المعركة لم نهزم ومتى عطفنا عليهم وكنا قريبا منهم فنحن على حال حسنة فقفوا قريبا منهم فان أتوكم وعجزتم عنهم فتأخروا قليلا فاذا حملوا عليكم وعجزتم عن قتالهم فانحازوا الى حامية فاذا رجعوا عنكم فاعطفوا عليهم وكونوا قريبا منهم فان الجيش يأتيكم عن ساعة فجعلت الخوارج كلما حملت عليهم انحازوا منهم فاذا عاد الخوارج رجع أبو الرواغ فى آثارهم فلم يزالوا كذلك الى وقت الظهر فنزل الطائفتان يصلون ثم أقاموا الى العصر وكان أهل القرى والسيارة قد أخبروا معقلا بالتقاء الخوارج وأصحابه وان الخوارج نطرد أصحابه بين أيديهم فاذا رجعوا عاد أصحابه خلفهم فقال معقل ان كان ظنى فى أبى الرواغ صادقا فلا يأتيكم منهزما أبدا ثم أسرع السير فى سبعمائة من أهل القوة واستخلف محرز بن شهاب التميمى على ضعفة الناس فلما أشرفوا على أبى الرواغ قال لاصحابه هذه غبرة فقدموا بنا الى عدونا حتى لا يرانا أصحابنا انا نعينا عنهم وهبناهم فتقدم حتى وقف مقابل الخوارج ولحقهم معقل فلما دنا منهم غربت الشمس فصلى بأصحابه وصلى أبو الرواغ بأصحابه وصلى الخوارج أيضا وقال أبو الرواغ لمعقل ان لهم شدات منكرات فلا تأتها بنفسك ولكن قف وراء الناس تكون ردا لهم فقال نعم ما رأيت فبيناهو يخاطبه حملت الخوارج عليهم فانهزم عامة أصحاب معقل وثبت هو فنزل الى الارض ومعه أبو الرواغ فى نحو مائتى رجل فلما غشيهم المستورد استقبلوه بالرماح والسيوف فانهزمت خيل معقل ساعة ثم ناداهم مسكين بن عامر وكان شجاعا أين الفرار وقد نزل أميركم الا تستحيون ثم رجع ورجعت معه خيل عظيمة ومعقل بن قيس يقاتل الخوارج بمن معه فلم يزل يقاتلهم حتى ردهم الى البيوت ثم لم يلبثوا الا قليلا حتى جاءهم محرز بن شهاب فيمن معه فجعلهم معقل ميمنة وميسرة وقال لهم لا تبرحوا حتى تصبحوا وتثوروا اليهم ووقف الناس بعضهم مقابل بعض فبيناهم متواقفون أتى الخوارج عين لهم فاخبرهم ان شريك بن الاعور قد أقبل اليهم من البصرة فى ثلاثة آلاف فقال المستورد لاصحابه لا أرى ان نقيم لهؤلاء جميعا ولكنى أرى ان نرجع الى الوجه الذى جئنا منه فان أهل البصرة لا يتبعونا الى أرض الكوفة فهون علينا قتال أهل الكوفة ثم أمرهم بالنزول ليريحوا دوابهم ساعة ففعلوا ثم دخلوا القرية وأخذوا منها من دلهم على الطريق الذى أقبلوا منه وعادوا راجعين وأما معقل فانه بعث من يأتيه بخبرهم حين لم ير سوادهم

فعاد

عن العراق فقال يا أمير المؤمنين ان الله لما خلق الاشياء ألحق كل شئ بشئ فقال العقل أنا لاحق بالعراق فقال العلم وأنا معك فقال المال وأنا لاحق بالشام فقالت الفتن وأنا معك فقال الخصب وأنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك فقال الفقر وأنا لاحق بالحجاز فقالت القناعة وأنا معك فقال الشقاء وأنا لاحق بالبوادى فقالت الصحة وأنا معك (قال المسعودى) وأوسط الاقاليم الاقليم الذى ولدنا به وان كانت الايام أنأت بيننا وبينه وساحقت مساقتنا عنه وولدت فى قلوبنا الحنين اليه اذ كان وطننا ومسقطنا وهو اقليم بابل وقد كان هذا الاقليم عند ملوك الفرس جليلا وقدره عظيما وكانت عنايتهم اليه مصروفة وكانوا يشتون بالعراق وأكثرهم يصيفون بالجبال ويتنقلون فى الفصول الى الصرود من الارض والحرور وقد كان أهل المروآت فى الاسلام كابى دلف القاسم ابن على العجلى وغيره يشتون فى الحرور وهو العراق ويصيفون فى الصرود وهى الجبال وفى ذلك يقول أبو دلف

فعاد اليه بالخبر انهم قد ساروا فخاف أن تكون مكيدة وخاف البيات فاحتاط هو وأصحابه وتحارسوا الى الصباح فلما أصبحوا أتاهم من أخبرهم بمسيرهم وجاء شريك بن الاعور فيمن معه فأتى معقلا فتساءلا ساعة وأخبره معقل بخبرهم فدعا شريك أصحابه الى المسير مع معقل فلم يجيبوه فاعتذر الى معقل بخلاف أصحابه وكان صديقا له يجمعهما رأى الشيعة ودعا معقل أبا الرواغ وأمره باتباعهم فقال له زدنى مثل الذين كانوا معى ليكون أقوى لى ان أرادوا مناجزتى فبعث معه ستمائة فارس فسار واسرعا حتى أدركوا الخوارج بجرجرايا وقد نزلوا فنزل بهم أبو الرواغ مع طلوع الشمس فلما رأوهم قالوا ان قتال هؤلاء أيسر من قتال من يأتى بعدهم فحملوا على أبى الرواغ وأصحابه حملة صادقة فانهزم أصحابه وثبت فى مائة فارس فقاتلهم طويلا وهو يقول

ان الفتى كل الفتى من لم يهل * اذا الجبان حاد عن وقع الاسل

قد علمت انى اذا البأس نزل * أروع يوم الهيج مقدام بطل

ثم عطف أصحابه من كل جانب فصدقوهم القتال حتى أعادوهم الى مكانهم فلما رأى المستورد ذلك علم أنهم ان أتاهم معقل ومن معه هلكوا فمضى هو وأصحابه فعبر وادجلة ووقعوا فى أرض بهرسير وتبعهم أبو الرواغ حتى نزل بهم بساباط فلما نزل بهم قال المستورد لاصحابه ان هؤلاء هم حماة أصحاب معقل وفرسانه ولو علمت انى أسبقهم اليه بساعة لسرت اليه فواقعته ثم أمر من يسأل عن معقل فسألوا بعض من على الطريق فاخبروهم انه نزل ديلمايا وبينهم ثلاثة فراسخ فلما أخبر المستورد بذلك ركب وركب أصحابه وأقبل حتى انتهى الى جسر ساباط وهو جسر نهر ملك وهو من جانبه الذى يلى الكوفة وأبو الرواغ من جانب المدائن فقطع المستورد الجسر ولما رآهم أبو الرواغ قد ركبوا عبى أصحابه واعتزل الى صحراء بين المدائن وساباط ليكون القتال بها ووقف ينتظرهم فلما قطع المستورد الجسر سار الى ديلمايا نحو معقل ليوقع به فانتهى اليه وأصحابه متفرقون عنه وهو يريد الرحيل وقد تقدم بعض أصحابه فلما رآهم معقل نصب رايته ونادى ياعباد الله الارض الارض فنزل معه نحو مائتى رجل فحملت الخوارج عليهم فاستقبلوهم بالرماح جثاة على الركب فلم يقدروا عليهم فتركوهم وعدلوا الى خيولهم فحالوا بينهم وبينها وقطعوا أعنتها فذهبت فى كل جانب ثم مالوا على المتفرقين من أصحاب معقل ففرقوا بينهم ثم رجعوا الى معقل وأصحابه وهم على الركب فحملوا عليهم فلم يتحلحلوا فحملوا أخرى فلم يقدروا عليهم فقال المستورد لاصحابه لينزل نصفكم ويبقى نصفكم على الخيل ففعلوا واشتد الحال على أصحاب معقل وأشرفوا على الهلاك فبيناهم كذلك اذ أقبل أبو الرواغ عليهم فيمن معه وكان سبب عوده اليهم انه أقام بمكانه ينتظرهم فلما أبطؤا عليه أرسل من يأتيه بخبرهم فرأوا الجسر مقطوعا ففرحوا ظنا منهم ان الخوارج فعلوا ذلك هيبة لهم فرجعوا الى أبى الرواغ فاخبروه انهم لم يروهم وان الجسر قد قطعوه هيبة لهم فقال لهم أبو الرواغ لعمرى مافعلوا هذا الا مكيدة وما أراهم الا وقد سبقوكم الى معقل حيث رأوا فرسان أصحابه معى وقد قطعوا الجسر ليشغلوكم به عن لحاقهم فالنجاء النجاء فى الطلب ثم أمر أهل القرية فعقدوا الجسر وعبر عليه واتبع الخوارج فلقيه أوائل الناس منهزمين فصاح بهم الى الى فرجعوا اليه واخبروه الخبر وانهم تركوا معقلا يقاتلهم وما يظنونه الا قتيلا فجد فى السير ورد معه كل من لقيه من المنهزمين فانتهى الى العسكر فرأى راية معقل منصوبة والناس يقتتلون فحمل أبو الرواغ ومن معه على الخوارج فأزالوهم غير بعيد ووصل أبو الرواغ الى معقل فاذا هو متقدم يحرض أصحابه فشدوا على الخوارج شدة منكرة ونزل المستورد ومن

وانى امرؤ كسروى الفعال أصيف الجبال وأشتو العراقا

واما خص به هذا الاقليم من كثرة مرافقه واعتدال أرضه وغضارة عيشه ومادة الوافدين اليه وهى دجلة والفرات وعموم الامن فيه وبعد الخوف عنه وتوسطه الاقاليم السبعة كانت الاوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد لان أرضه من اقليم بابل الذى تشعبت الآراء عن أهله بحكمة الامور كما يقع ذلك عن القلب وبذلك اعتدلت ألوان أهله وأجسامهم فسلموا من شقرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة وغلظ البربر ومن جفا من الامم واجتمعت فيهم محاسن جميع الاقطار وكما اعتدلوا فى الجبلة كذلك لطفوا فى الفطنة والتمسك بمحاسن الامور واشرف هذا الاقليم مدينة السلام ويعز على ما أصارتنى اليه الاقدار من فراق هذا المصر الذى عن بقعته فصلنا وفى قاعته تجمعنا لكنه الزمن الذى من سيمته التشتيت والدهر الذى من شروطه الابانة ولقد أحسن أبو دلف العجلى حيث يقول

أيا نكبة الدهر التى طوحت بنا

معه من الخوارج ونزل أصحاب معقل أيضا ثم اقتتلوا طويلا من النهار بالسيوف أشد قتال ثم ان المستورد نادى معقلا ليبرز اليه فبرز اليه فمنعه أصحابه فلم يقبل منهم وكان معه سيفه ومع المستورد رمحه فقال أصحاب معقل خذ رمحك فأبى واقبل على المستورد فطعنه المستورد برمحه فخرج السنان من ظهره وتقدم معقل والرمح فيه الى المستورد فضربه بالسيف فخالط دماغه فوقع المستورد ميتا ومات معقل أيضا وكان معقل قد قال ان قتلت فأميركم عمرو بن محرز بن شهاب التميمي فلما قتل أخذ الراية عمرو ثم حمل فى الناس على الخوارج فقتلوهم ولم ينج منهم غير خمسة أو ستة وقال ابن الكلبي كان المستورد من تيم ثم من بنى رباح واحتج بقول جرير

ومنا فتى الفتيان والجود معقل * ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا

يعنى هذه الوقعة

﴿ذكر عود عبد الرحمن الى ولاية سجستان﴾

فى هذه السنة استعمل عبد الله بن عامر عبد الرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وعلى شرطته عباد بن الحصين الحبطى ومعه من الاشراف عمرو بن عبيد الله بن معمر وغيره فكان يغزو البلد قد كفر أهله فيفتحه حتى بلغ كابل فحصرها أشهرا ونصب عليها المجانيق فثلم سورها ثلمة عظيمة فبات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين حتى أصبح فلم يقدروا على سدها وخرجوا من الغد يقاتلون فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة ثم سار الى بست ففتحها عنوة وسار الى رزان فهرب أهلها وغلب عليها ثم سار الى خشك فصالحه أهلها ثم أتى الرخج فقاتلوه فظفر بهم وفتحها ثم سار الى زابلستان وهى غزنة وأعمالها فقاتله أهلها وقد كانوا نكثوا ففتحها وعاد الى كابل وقد نكث أهلها ففتحها

﴿ذكر غزوة السند﴾

استعمل عبد الله بن عامر على ثغر السند عبد الله بن سوار العبدى ويقال ولاه معاوية من قبله فغزا القيقان فأصاب مغنما ووفد على معاوية واهدى له خيلا قيقانية ورجع فغزا القيقان فاستنجدوا بالترك فقتلوه وفيه يقول الشاعر

وابن سوار على عداته * موقد النار وقتال السغب

وكان كريما لم يوقد احد فى عسكره نارا فرأى ذات ليلة نارا فقال ما هذه قالوا امرأة نفساء يعمل لها الخبيص فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثة أيام

﴿ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان﴾

قيل وفى هذه السنة عزل عبد الله بن عامر قيس بن الهيثم القيسى ثم السلمى عن خراسان واستعمل عبد الله بن خازم وسبب ذلك ان قيسا ابطأ بالخراج والهدية فقال عبد الله بن خازم لعبد الله بن عامر ولنى خراسان اكفكها فكتب له عهده فبلغ ذلك قيسا فخاف ابن خازم وشغبه فترك خراسان واقبل فازداد ابن عامر غضبا لتضييعه الثغر فضربه وحبسه وبعث رجلا من يشكر على خراسان وقيل بعث أسلم بن زرعة الكلابى ثم ابن خازم وقيل فى عزله غير ذلك وهو ان ابن خازم قال لابن عامر انك استعملت على خراسان قيسا وهو ضعيف وانى أخاف ان لقى حربا أن ينهزم بالناس فتهلك خراسان وتفتضح اخوالك يعنى قيس عيلان قال ابن عامر فما الرأى قال تكتب لى عهدا ان هو انصرف عن عدو قمت مقامه فكتب له وجاش جماعة من طخارستان فشاوره قيس فأشار عليه ابن خازم أن ينصرف حتى يجتمع اليه اطرافه فلما سار مرحلة أو اثنتين أخرج ابن خازم عهده

ابادى سبا فى شرقها والمغارب
فقى بالتى تهوى فقد طرت بالتى
اليها تناهت راجعات المصائب وقد ذكر الحكماء فيما خرجنا اليه من هذا المعنى أن من علامة وفاء المرء ودوام عهده حنينه الى اخوانه وشوقه الى أوطانه وبكاءه على ما مضى من زمانه وأن من علامة الرشد أن تكون النفوس الى مولدها مشتاقة والى مسقط رأسها تواقة وللالاف والعادة قطع الرجل نفسه لصلة وطنه وقال ابن الزبير ليس الناس بشئ من أقسامهم اقنع منهم بأوطانهم وقال بعض حكماء العرب عمر الله البلدان بحب الاوطان وقالت الهند حرمة بلدك عليك كحرمة والديك لان غذاءك منهما وغذاءهما منك وقال آخر أولى البلدان بصبابتك بلد رضعت ماءه وطعمت غذاءه وقال آخر ميلك الى موضع مولدك من كرم محتدك وقال بقراط يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها وقال افلاطون غذاء الطبيعة من أنفع أدويتها وقال جالينوس يتروح العليل

وقام بأمر الناس ولقى العدو فهزمهم وبلغ الخبر الكوفة والبصرة والشام فغضب القيسية وقالوا خدع قيسا وابن عامر وشكوا الى معاوية فاستقدمه فاعتذر مما قيل فيه فقال معاوية قم غدا فاعتذر فى الناس فرجع الى أصحابه وقال انى أمرت بالخطبة ولست بصاحب كلام فاجلسوا حول المنبر فاذا قلت فصدقونى فقام من الغد فحمد الله واثنى عليه ثم قال انما يتكلف الخطبة امام لا يجد منها بدا او احمق يهمر من رأسه ولست بواحد منهما وقد علم من عرفنى انى بصير بالفرص وثاب اليها وقاف عند المهالك انفذ بالسرية واقسم بالسوية انشد الله من عرف ذلك منى فليصدقنى فقال اصحابه صدقت فقال يا أمير المؤمنين انك فيمن نشدت فقل بما تعلم فقال صدقت

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج هذه السنة مروان بن الحكم وكان على المدينة وكان على مكة خالد بن العاص بن هشام وعلى الكوفة المغيرة وعلى البصرة عبد الله بن عامر وفيها مات عبد الله بن سلام وله صحبة مشهورة وهو من علماء أهل الكتاب وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة

﴿ثم دخلت سنة أربع وأربعين﴾

فى هذه السنة دخل المسلمون مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم وشتوا بها وغزا بسر بن أبى ارطاة فى البحر

﴿ذكر عزل عبد الله بن عامر عن البصرة﴾

وفى هذه السنة عزل عبد الله بن عامر عن البصرة وسببه ان ابن عامر كان حليما كريما لينا لا يأخذ على أيدى السفهاء ففسدت البصرة فى أيامه فشكى ذلك الى زياد فقال له جرد السيف فقال له انى أكره ان أصلحهم بفساد نفسى ثم ان ابن عامر أوفد وفدا من البصرة الى معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة وفيهم ابن الكواء واسمه عبد الله بن أبى أوفى اليشكرى فسألهم معاوية عن أهل العراق وعن أهل البصرة خاصة فقال ابن الكواء يا أمير المؤمنين ان أهل البصرة قد أكلهم سفهاؤهم وضعف عنهم سلطانهم وعجز ابن عامر وضعفه فقال له معاوية تتكلم عن أهل البصرة وهم حضور فلما عاد أهل البصرة أبلغوا ابن عامر فغضب وقال أى أهل العراق أشد عداوة لابن الكواء فقيل عبد الله بن أبى شيخ اليشكرى فولاه خراسان فبلغ ذلك ابن الكواء فقال ان ابن دجاجة يعنى ابن عامر قليل العلم فى ظن ان ولاية عبد الله خراسان تسوءنى لوددت انه لم يبق يشكرى الا عادانى وانه ولاه وقيل ان الذى ولاه ابن عامر خراسان طفيل بن عوف اليشكرى فلما علم معاوية حال البصرة أراد عزل ابن عامر فارسل اليه يستزيره فجاء اليه فرده على عمله فلما ودعه قال انى سائلك ثلاثا فقل هن لك فقال هن لك وأنا ابن أم حكيم قال ترد على عملى ولا تغضب قال قد فعلت قال وتهب لى مالك بعرفة قال قد فعلت قال وتهب لى دورك بمكة قال قد فعلت قال وصلتك رحم فقال ابن عامر يا أمير المؤمنين انى سائلك ثلاثا فقل هن لك فقال هن لك وأنا ابن هند قال ترد على مالى بعرفة قال قد فعلت قال ولا تحاسب لى عاملا ولا تتبع لى أثرا قال قد فعلت قال وتنكحنى ابنتك هندا قال قد فعلت ويقال ان معاوية قال له اختر اما أن اتبع أثرك وأحاسبك بما صار اليك وأردك واما ان أعزلك وأسوغك ما أصبت فاختار العزل وان لا يسوغه ما أصاب فعزله وولى البصرة الحرث بن عبد الله الازدى

﴿ذكر استلحاق معاوية زيادا﴾

وفى هذه السنة استلحق معاوية زياد بن سمية فزعموا ان رجلا من عبد القيس كان مع زياد لما وفد

بنسيم أرضه كما تنبت الحبة ببلل القطر وللنفوس فى علة حنينها الى الاوطان كلام ليس هذا موضعه وقد ذكرناه فى كتابنا المترجم بسر الحياة وفى كتاب طب النفوس ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر لبطل أول العلم وضاع آخره اذ كان كل علم من الاخبار يستخرج وكل حكمة منها تستنبط والفقه منها يستثار والفصاحة منها تستفاد وأصحاب القياس عليها يبنون وأهل المقالات بها يحتجون ومعرفة الناس منها تؤخذ وأمثال الحكماء فيها توجد ومكارم الاخلاق ومعاليها منها تقتبس وآداب سياسة الملك والحزم منها تلتمس وكل غريبة منها تعرف وكل عجيبة منها تستظرف وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل ويستعذب موقعه الاحمق والعاقل ويأنس بمكانه وينزع اليه الخاصى والعامى ويميل الى روايته العربى والعجمى وبعد فانه يوصل به كل كلام ويتزين به فى كل مقام ويتجمل به فى كل مشهد ويحتاج اليه فى كل محفل ففضيلة علم الاخبار

على معاوية فقال لزياد ان لابن عامر عندي يدا فان أذنت لي أتيته قال على ان تحدثني بما يجرى بينك وبينه قال نعم فاذن له فاتاه فقال له ابن عامر هيه هيه وابن سمية يقبح آثارى ويعترض لعمالى لقد هممت ان آتى بقسامة من قريش يحلفون بالله ان اباسفيان لم ير سمية فلما رجع سأله زياد فلم يخبره فالح عليه حتى أخبره فاخبر زياد بذلك معاوية فقال معاوية لحاجبه اذا جاء ابن عامر فاضرب وجه دابته عن أقصى الابواب ففعل ذلك به فاتى ابن عامر يزيد فشكا ذلك اليه فركب معه حتى أدخله فلما نظر اليه معاوية قام فدخل فقال يزيد لابن عامر اجلس فكم عسى أن يقعد فى البيت عن غير مجلسه فلما أطالا خرج معاوية وهو يتمثل

لنا سياق ولكم سباق * قد علمت ذلكم الرفاق

ثم قعد فقال يا ابن عامر أنت القائل فى زياد ما قلت أما والله لقد علمت العرب انى كنت أعزها فى الجاهلية وان الاسلام لم يزدنى الا عزا وانى لم أتكثر بزياد من قلة ولم أتعزز به من ذلة ولكن عرفت حقا له فوضعته موضعه فقال يا أمير المؤمنين نرجع الى ما يحب زياد قال اذا نرجع الى ما تحب فخرج ابن عامر الى زياد فترضاه فلما قدم زياد الكوفة قال قد جئتكم فى أمر ما طلبته الا لكم قالوا ما تشاء قال تلحقون نسبى بمعاوية قالوا أما بشهادة الزور فلا فاتى البصرة فشهد له رجال هذا جميع ما ذكره أبو جعفر فى استلحاق معاوية نسب زياد ولم يذكر حقيقة الحال فى ذلك انما ذكر حكاية جرت بعد استلحاقه وأنا أذكر سبب ذلك وكيفيته فانه من الامور المشهورة الكبيرة فى الاسلام لا ينبغى اهمالها وكان ابتداء حاله ان سمية أم زياد كانت لدهقان زندورد بكسكر فمرض الدهقان فدعا الحرث بن كلدة الطبيب الثقفى فعالجه فبرأ فوهبه سمية فولدت عند الحرث أبا بكرة واسمه نفيع فلم يقر به ثم ولدت نافعا فلم يقر به أيضا فلما نزل أبو بكرة الى النبى صلى الله عليه وسلم حين حصر الطائف قال الحرث لنافع أنت ولدى وكان قد زوج سمية من غلام له اسمه عبيد وهو رومى فولدت له زيادا وكان أبو سفيان بن حرب سار فى الجاهلية الى الطائف فنزل على خمار يقال له أبو مريم السلولى وأسلم أبو مريم بعد ذلك وصحب النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان لابى مريم قد اشتهيت النساء فالتمس لى بغيا فقال له هل لك فى سمية فقال هاتها على طول ثدييها وذفر بطنها فاتاه بها فوقع عليها فعلقت بزياد ثم وضعته سنة احدى من الهجرة فلما كبر ونشأ استكتبه أبو موسى الاشعرى لما ولى البصرة ثم ان عمر بن الخطاب استكفى زيادا أمرا فقام فيه مقاما مرضيا فلما عاد اليه حضر وعند عمر المهاجرون والانصار فخطب خطبة لم يسمعوا بمثلها فقال عمرو بن العاص لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان وهو حاضر والله انى لاعرف أباه ومن وضعه فى رحم أمه فقال على يا أبا سفيان اسكت فانك لتعلم ان عمر لو سمع هذا القول منك لكان اليك سريعا فلما ولى على الخلافة استعمل زيادا على فارس فضبطها وحمى قلاعها واتصل الخبر بمعاوية فساءه ذلك وكتب الى زياد يتهدده ويعرض له بولادة أبى سفيان اياه فلما قرأ زياد كتابه قام فى الناس وقال العجب كل العجب من ابن آكلة الاكباد ورأس النفاق يخوفنى بقصده اياى وبينى وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والانصار أما والله لو أذن لى فى لقائه لوجدنى أحمر مخشياضرابا بالسيف وبلغ ذلك عليا فكتب اليه انى وليتك ما وليتك وانا أراك له أهلا وقد كانت من أبى سفيان فلتة من أمانى الباطل وكذب النفس لا توجب له ميراثا ولا تحل له نسبا وان معاوية يأتى الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام فلما قتل على وكان من أمر زياد ومصالحته معاوية

بينة على كل علم وشرف منزلته صحيح فى كل فهم فلا يصبر على فهمه وتيقن ما فيه وايراده واصداره الانسان فتجرد له وفهم معناه وذاق ثمرته واستسفر من غرره ونال من سروره وقد قالت الحكماء الكتاب نعم الجليس ونعم الذخر ان شئت ألهتك نوادره وأضحكتك بوادره وان شئت أشجتك مواعظه وان شئت تعجبت من غرائب فوائده وهو يجمع لك الاول والآخر والغائب والحاضر والناقص والوافر والبادى والحاضر والشكل وخلافه والحسن وضده وهو ميت ينطق عن الموت ويترجم عن الاحياء وهو مؤنس ينشط بنشاطك وينام بنومك ولا ينطق معك الا بما تهوى ولا نعلم جارا أبر ولا خليطا انصف ولا رفيقا اطوع ولا معلما اخضع ولا صاحبا اظهر كفاية وأقل خيانة ولا أبدى نفعا ولا أحمد أخلاقا ولا أدوم سرورا ولا اسكت غيبة ولا أحسن موافاة ولا اعجل مكافاة ولا اخف مؤنة منه ان نظرت اليه اطال امتاعك وشحذ طباعك وأيد فهمك وأكثر

ما ذكرناه وضع زياد مصقلة بن هبيرة الشيبانى وضمن له عشرين ألف درهم ليقول لمعاوية ان زيادا قد أكل فارس برا وبحرا وصالحك على ألفى ألف درهم والله ما أرى الذى يقال الا حقا فاذا قال لك وما يقال فقل يقال انه ابن أبى سفيان ففعل مصقلة ذلك ورأى معاوية أن يستميل زيادا واستصفى مودته باستلحاقه فاتفقا على ذلك واحضر الناس وحضر من يشهد لزياد وكان فيمن حضر أبو مريم السلولى فقال له معاوية بم تشهد يا أبا مريم فقال أنا اشهد ان ابا سفيان حضر عندى وطلب منى بغيا فقلت له ليس عندى الا سمية فقال ائتنى بها على قذرها ووضرها فأتيته بها فخلا معها ثم خرجت من عنده وان اسكتيها ليقطران منيا فقال له زياد مهلا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فاستلحقه معاوية وكان استلحاقه أول ما ردت به أحكام الشريعة علانية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالولد للفراش وللعاهر بالحجر وكتب زياد الى عائشة من زياد بن أبى سفيان وهو يريد أن تكتب له الى زياد بن أبى سفيان فيحتج بذلك فكتبت من عائشة ام المؤمنين الى ابنها زياد وعظم ذلك على المسلمين عامة وعلى بنى أمية خاصة وجرى أقاصيص يطول بذكرها الكتاب فاضربنا عنها ومن اعتذر لمعاوية قال انما استلحق معاوية زيادا لان انكحة الجاهلية كانت أنواعا لا حاجة الى ذكر جميعها وكان منها ان الجماعة يجامعون البغى فاذا حملت وولدت ألحقت الولد بمن شاءت منهم فيلحقه فلما جاء الاسلام حرم هذا النكاح الا انه أقر كل ولد كان ينسب الى أب من أى نكاح كان من أنكحتهم على نسبه ولم يفرق بين شئ منها فتوهم معاوية ان ذلك جائز له ولم يفرق بين استلحاق فى الجاهلية والاسلام وهذا مردود لاتفاق المسلمين على انكاره ولانه لم يستلحق أحد فى الاسلام مثله ليكون به حجة قيل أراد زياد أن يحج بعد أن استلحقه معاوية فسمع أخوه أبو بكرة وكان مهاجرا له من حين خالفه فى الشهادة بالزنا على المغيرة بن شعبة فلما سمع بحجه جاء الى بيته وأخذ ابنا له وقال له يا بنى قل لابيك انى سمعت انك تريد الحج ولا بد من قدومك الى المدينة ولا شك أن تطلب الاجتماع بام حبيبة بنت أبى سفيان زوج النبى صلى الله عليه وسلم فان أذنت لك فاعظم به خزيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وان منعتك فاعظم به فضيحة فى الدنيا وتكذيبا لاعدائك فترك زياد الحج وقال جزاك الله خيرا فقد أبلغت فى النصح

﴿ذكر غزو المهلب السند﴾

وفيها غزا المهلب بن أبى صفرة ثغر السند فاتى بنة والاهواز وهما بين الملتان وكابل فلقيه العدو وقاتله ولقى المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارسا من الترك فقاتلوه فقتلوا جميعا فقال المهلب ما جعل هؤلاء الاعاجم اولى بالتشمير منا فحذف الخيل وكان أول من حذفها من المسلمين وفى يوم بنة يقول الازدى

ألم تر أن الازد ليلة بيتوا * ببنة كانوا خير جيش المهلب

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس فى هذه السنة معاوية وفيها عمل مروان بن الحكم المقصورة بالمدينة وهو أول من عملها بها وكان معاوية قد عملها بالشام لما ضربه الخارجى وفيها توفيت أم حبيبة بنت أبى سفيان زوج النبى صلى الله عليه وسلم وفيها قتل رفاعة العدوى من عدى رباب وهو بصرى له صحبة

﴿ثم دخلت سنة خمس وأربعين﴾

فيها ولى معاوية الحرث بن عبد الله الازدى البصرة فى أولها حين عزل ابن عامر وهو من أهل الشام فاستعمل الحرث على شرطته عبد الله بن عمرو الثقفى فبقى الحرث أميرا على البصرة أربعة

علمك وتعرف منه فى شهر ما لا تأخذه من أفواه الرجال فى دهر ويغنيك عن كد الطلب وعن الخضوع لمن انت أثبت منه أصلا وأسمح فرعا وهو المعلم الذى لا يجفوك وان قطعت عنه المائدة لم يقطع عنك الفائدة وهو الذى يطيعك بالليل طاعته لك بالنهار

أشهر ثم عزله وولاها زيادا

﴿ذكر ولاية زياد ابن أبيه البصرة﴾

قدم زياد الكوفة فأقام ينتظر امارته عليها فقيل ذلك للمغيرة بن شعبة فسار الى معاوية فاستقاله الامارة وطلب منه ان يعطيه منازل بقرقيسيا ليكون بين قيس فخافه معاوية وقال له لترجعن الى عملك فابى فازداد معاوية تهمة له فرده على عمله فعاد الى الكوفة ليلا وأرسل الى زياد فاخرجه منها وقيل ان المغيرة لم يسر الى الشام وانما معاوية أرسل الى زياد وهو بالكوفة فامره بالمسير الى البصرة فولاه البصرة وخراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان فقدم البصرة آخر شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين والفسق ظاهر فاش فخطبهم خطبته البتراء لم يحمد الله فيها وقيل بل حمد الله فقال الحمد لله على افضاله واحسانه ونسأله مزيدا من نعمه اللهم كما زدتنا نعما فالهمنا شكرا على نعمك علينا أما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموقد لاهله النار الباقي عليهم سعيرها ماياتي سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام فيثب فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأن لم تسمعوا نبي الله ولم تقرؤا كتاب الله ولم تعلموا ما أعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته في الزمن السرمد الذي لا يزول أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون انكم أحدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الدين يعتذرون بغير العذر وتغطون على المختلس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يخشى معادا ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بهم ماترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب حرام على الطعام والشراب حتى اسويها بالارض هدما واحراقا انى رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به أوله لين في غير ضعف وشدة في غير جبرية وعنف وانى لاقسم بالله لآخذن الولي بالولي والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح منكم بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لي قناتكم ان كذبة المنبر مشهورة فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي من بيت منكم فانا ضامن لما ذهب له اياي ودلج الليل فانى لا أوتى بمدلج الا سفكت دمه وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع اليكم واياي ودعوى الجاهلية فاني لا أجد أحدا دعا بها الا قطعت لسانه وقد أحدثتم أحداثا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما غرقناه ومن حرق على قوم حرقناه ومن نقب بيتا نقبت عن قلبه ومن نبش قبرا دفنته فيه حيا فكفوا عني أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم لساني ويدي واياي لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه وقد كانت بيني وبين أقوام احن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان مسيئا فلينزع عن اساءته انى لو علمت ان أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته فاذا فعل لم أناظره فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس أيها الناس انا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيأنا بمناصحتكم واعلموا أنني مهما

ويطيعك في السفر كطاعته لك في الحضر وقد قال الله تبارك وتعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم كاخباره عن نفسه بالكرم وفي ذلك يقول بعض أهل الادب
لما علمت بانى لست أعجزهم
فوتا ولا هربا قدمت أحتجب
فصرت بالبيت مسرورا به

قصرت عنه فانى لا أقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقا بليل ولا حابسا رزقا ولا عطاء عن ابانه ولا مجمرا لكم بعثا فادعوا الله بالصلاح لائمتكم فانهم ساستكم المؤدبون وكهفكم الذي اليه تأوون ومتى تصلحوا يصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم مع انه لو استجيب لكم لكان شرا لكم أسأل الله أن يعين كلا على كل فاذا رأيتموني أنفذ فيكم الامر فانفذوه على اذلاله وان لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي فقام اليه عبد الله بن الاهتم فقال اشهد أيها الامير انك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب فقال كذبت ذاك نبي الله داود فقال الاحنف قد قلت فأحسنت أيها الامير والثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وانا لن نثني حتى نبتلي فقال زياد صدقت فقام اليه أبو بلال مرداس بن أدية وهو من الخوارج وقال أنبأ الله بغير ما قلت قال الله تعالى وابراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى فأوعدنا الله خيرا مما أوعدتنا يا زياد فقال زياد انا لا نجد الى ما تريد أنت وأصحابك سبيلا حتى نخوض اليها الدماء واستعمل زياد على شرطته عبد الله بن حصن وأجل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة وعاد اليه وصول الخبر فكان يؤخر العشاء الآخرة ثم يصلي فيأمر رجلا أن يقرأ سورة البقرة أو مثلها يرتل القرآن فاذا فرغ أمهل بقدر ما يرى ان انسانا يبلغ أقصى البصرة ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج فيخرج فلا يرى انسانا الا قتله فاخذ ذات ليلة اعرابيا فأتى به زيادا فقال هل سمعت النداء فقال لا والله قدمت بحلوبة لي وغشيني الليل فاضطررتها الى موضع وأقمت لاصبح ولا علم لي بما كان من الامير فقال أظنك والله صادقا ولكن في قتلك صلاح الامة ثم أمر به فضربت عنقه وكان زياد أول من شدد أمر السلطان وأكد الملك لمعاوية وجرد سيفه وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه الناس خوفا شديدا حتى أمن بعضهم بعضا وحتى كان الشئ يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه ولا يغلق أحد بابه وادر العطاء وبنى مدينة الرزق وجعل الشرط أربعة آلاف وقيل له ان السبيل مخوفة فقال لا اعاني شيأ وراء المصر حتى أصلح المصر فان غلبني فغيره أشد غلبة منه فلما ضبط المصر وأصلحه تكلف ما وراء ذلك فاحكمه

﴿ذكر عمال زياد﴾

استعان زياد بعدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم عمران بن حصين الخزاعي ولاه قضاء البصرة وانس بن مالك وعبد الرحمن بن سمرة وسمرة بن جندب فأما عمران فاستعفى من القضاء فأعفاه واستقضى عبد الله بن فضالة الليثي ثم أخاه عاصما ثم زرارة بن أوفى وكانت أخته عند زياد وقيل ان زيادا أول من سير بين يديه بالحراب والعمد واتخذ الحرس رابطة خمسمائة لا يفارقون المسجد وجعل خراسان ارباعا واستعمل على مرو أمير بن احمر وعلى نيسابور خليد بن عبد الله الحنفي وعلى مرو الروذ والفارياب والطالقان قيس بن الهيثم وعلى هراة وباذغيس وبوشنج نافع بن خالد الطاحي ثم غضب عليه فعزله وسبب تغيره عليه ان نافعا بعث بخوان بادزهر الى زياد قوائمه منه فاخذ نافع منها قائمة وعمل مكانها قائمة من ذهب وبعث الخوان مع غلام له اسمه زيد وكان يلي أمور نافع كلها فسعى زيد بنافع الى زياد وقال انه خانك وأخذ قائمة الخوان فعزله زياد وحبسه وكتب عليه كتابا بمائة ألف وقيل بثمانمائة ألف فشفع فيه رجال من وجوه الازد فاطلقه واستعمل الحكم بن عمرو الغفاري وكانت له صحبة وكان زياد قال لحاجبه ادع لي الحكم يريد الحكم بن ابي العاص الثقفي ليوليه خراسان فخرج حاجبه فرأى الحكم بن عمرو الغفاري

جذلا
حاوى البراءة لا شكوى ولا شغب
فردا يحدثني حقا وينطق لي
عن علم ما غاب عني منهم الكتب
المؤنسون هم اللاتي عنيت بهم
فليس لي في جليس غيرهم أرب
لله در جليس لا جليسهم
فذا عشيرهم للسوء يرتقب
وقد كان عبد الله بن عبد

فاستدعاه فحين رآه زياد قال له ما أردتك ولكن الله أرادك فولاه خراسان وجعل معه رجالا على جباية الخراج منهم أسلم بن زرعة الكلابى وغيره وغزا الحكم طخارستان فغنم غنائم كثيرة ثم مات واستخلف أنس بن أبى أناس بن زنيم فعزله زياد وكتب الى خليد بن عبد الله الحنفى بولاية خراسان ثم بعث الربيع بن زياد الحارثى فى خمسين ألفا من البصرة والكوفة

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة مروان بن الحكم وكان على المدينة وفيها مات زيد بن ثابت الانصارى وقيل سنة خمس وخمسين وعاصم بن عدى الانصارى البلوى وكان بدريا وقيل لم يشهدها بل رده رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وضرب له بسهمه وكان عمره مائة وعشرين سنة وفيها مات سلمة بن سلامة بن وقش الانصارى بالمدينة وشهد العقبة وبدرا وكان عمره سبعين سنة وفيها توفى ثابت بن الضحاك بن خليفة الكلابى وهو من أصحاب الشجرة وهو أخو أبى جبيرة بن الضحاك

(ثم دخلت سنة ست وأربعين)

فى هذه السنة كان مشتى مالك بن عبد الله بأرض الروم وقيل بل كان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وقيل بل كان مالك بن هبيرة السكونى وفيها انصرف عبد الرحمن بن خالد من بلاد الروم الى حمص ومات

(ذكر وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد)

وكان سبب موته انه كان قد عظم شأنه عند أهل الشام ومالوا اليه لما عندهم من آثار أبيه ولغنائه فى بلاد الروم ولشدة بأسه فخافه معاوية وخشى منه وأمر ابن أثال النصرانى أن يحتال فى قتله وضمن له ان يضع عنه خراجه ما عاش وان يوليه خراج حمص فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس اليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها فمات بحمص فوفى له معاوية بما ضمن له وقدم خالد بن عبد الرحمن بن خالد المدينة فجلس يوما الى عروة بن الزبير فقال له عروة ما فعل ابن أثال فقام من عنده وسار الى حمص فقتل ابن أثال فحمل الى معاوية فحبسه أياما ثم غرمه ديته ورجع خالد الى المدينة فأتى عروة فقال عروة ما فعل ابن أثال فقال قد كفيتك ابن أثال ولكن ما فعل ابن جرموز يعنى قاتل الزبير فسكت عروة

(ذكر خروج سهم والخطيم)

وفيها خرج الخطيم وهو يزيد بن مالك الباهلى وسهم بن غالب الهجيمى فحكما فأما سهم فانه خرج الى الاهواز فحكم بها ثم رجع فاختفى وطلب الامان فلم يؤمنه زياد وطلبه حتى أخذه وقتله وصلبه على بابه مدة وأما الخطيم فان زيادا سيره الى البحرين ثم أقدمه وقال لمسلم بن عمرو الباهلى والد قتيبة بن مسلم اضمنه فأبى وقال ان بات خارجا عن بيته أعلمتك ثم أتاه مسلم فقال له لم يبت الخطيم الليلة فى بيته فأمر به فقتل وألقى فى باهلة وقد تقدم ذلك أتم من هذا وانما ذكرناه ههنا لانه قتل هذه السنة

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة عتبة بن أبى سفيان وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها توفى صالح بن كيسان مولى بنى غفار وقيل مولى بنى عامر وقيل الخزاعى

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين)

فى هذه السنة كان مشتى مالك بن هبيرة بأرض الروم ومشتى عبد الرحمن القينى بانطاكية

العزيز بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب لا يجالس الناس ويزاول مقبرة وكان لا يرى الا وفى يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر واعظا أوعظ من قبر ولا ممتعا أمتع من كتاب ولا شيأ أسلم من الوحدة فقيل له قد جاء فى الوحدة ما جاء فقال ما أفسدها للجاهل وقد قال بعض الشعراء فيمن يجمع الكتب

(ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حديج)

وفيها عزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر وولیها معاوية بن حديج وكان عثمانيا فمر به عبد الرحمن بن أبى بكر فقال له يا معاوية قد أخذت جزاءك من معاوية قد قتلت أخى محمد بن أبى بكر لتلى مصر فقد وليتها فقال ما قتلت محمدا الا بما صنع بعثمان فقال عبد الرحمن فلو كنت انما تطلب بدم عثمان ما شاركت معاوية فيما صنع حيث عمل عمرو بالاشعرى ما عمل فوثبت أول الناس فبايعته (حديج بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبالجيم)

(ذكر غزوة الغور)

فى هذه السنة سار الحكم بن عمرو الى جبال الغور فغزا من بها وكانوا ارتدوا فأخذهم بالسيف عنوة وفتحها وأصاب منها مغانم كثيرة وسبايا ولما رجع الحكم من هذه الغزوة مات بمرو فى قول بعضهم وكان الحكم قد قطع النهر فى ولايته ولم يفتح وكان أول المسلمين شرب من النهر مولى للحكم اغترف بترسه فشرب وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين وكان أول المسلمين فعل ذلك ثم رجع

(ذكر مكيدة للمهلب)

وكان المهلب مع الحكم بن عمرو بخراسان وغزا معه بعض جبال الترك فغنموا وأخذ الترك عليهم الشعاب والطرق فعيى الحكم بالامر فولى المهلب الحرب فلم يزل يحتال حتى أسر عظيما من عظماء الترك فقال له اما أن تخرجنا من هذا الضيق أولا قتلنك فقال له أوقد النار حيال طريق من هذه الطرق وسير الاثقال نحوه فانهم سيجتمعون فيه ويخلون ما سواه من الطرق فبادرهم الى طريق أخرى فما يدركونكم حتى تخرجوا منه ففعل ذلك فسلم الناس بما معهم من الغنائم وحج بالناس هذه السنة عتبة بن أبى سفيان وقيل عنبسة بن أبى سفيان وكان الولاة من تقدم ذكرهم

(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين)

فيها كان مشتى عبد الرحمن القينى بانطاكية وصائفة عبد الله بن قيس الفزارى وغزوة مالك بن هبيرة السكونى البحر وغزوة عقبة بن عامر الجهنى بأهل مصر البحر وبأهل المدينة وفيها استعمل زياد غالب بن فضالة الليثى على خراسان وكانت له صحبة وحج بالناس مروان وهو يتوقع العزل لموجدة كانت من معاوية عليه وارتجع معاوية منه فدك وكان وهبها له وكان ولاة الامصار من تقدم ذكرهم

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين)

فيها كان مشتى مالك بن هبيرة بأرض الروم وفيها كانت غزوة فضالة بن عبيد جربة وشتى بها وفتحت على يده وأصاب فيها شيأ كثيرا وفيها كانت صائفة عبد الله بن كرز البجلى وفيها كانت غزوة يزيد ابن شجرة الرهاوى فى البحر فشتى بأهل الشام وفيها كانت غزوة عقبة بن نافع البحر فشتى بأهل مصر

(ذكر غزوة القسطنطينية)

فى هذه السنة وقيل سنة خمسين سير معاوية جيشا كثيفا الى بلاد الروم للغزاة وجعل عليهم سفيان بن عوف وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم فتثاقل واعتل فأمسك عنه أبوه فأصاب الناس فى غزاتهم جوع ومرض شديد فأنشأ يزيد يقول

ما ان أبالى بما لاقت جموعهم * بالفرقدونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الانماط مرتفعا * بدير مران عندى أم كلثوم

ولا يعلم ما فيها
زوامل للاسفار لا علم عندهم
بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا
باحماله أو راح ما فى الغرائر

(ذكر تنازع الناس فى المعنى الذى من أجله سمى اليمن يمنا والعراق عراقا والشام شاما والحجاز حجازا)

تنازع الناس فى اليمن

وأم كلثوم امرأته وهي ابنة عبد الله بن عامر فبلغ معاوية شعره فاقسم عليه ليلحقن بسفيان في أرض الروم ليصيبه ما أصاب الناس فسار ومعه جمع كثير اضافهم اليه أبوه وكان في هذا الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الانصاري وغيرهم وعبد العزيز بن زرارة الكلابي فاوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية فاقتتل المسلمون والروم في بعض الايام واشتدت الحرب بينهم فلم يزل عبد العزيز يتعرض للشهادة فلم يقتل فانشأ يقول

قد عشت في الدهر اطوارا على طرق * شتى فصادفت منها اللين والبشعا

كلا بلوت فلا النعماء تبطرني * ولا تخشعت من لأوائها جزعا

لايملأ الامر صدري قبل موقعه * ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا

ثم حمل على من يليه فقتل فيهم وانغمس بينهم فشجره الروم برماحهم حتى قتلوه رحمه الله فبلغ خبر قتله معاوية فقال لابيه والله هلك فتى العرب فقال ابني أو ابنك قال ابنك فآجرك الله فقال

فان يكن الموت أودى به * وأصبح مخ الكلابي ريرا

فكل فتى شارب كأسه * فاما صغيرا واما كبيرا

ثم رجع يزيد والجيش الى الشام وقد توفي أبو أيوب الانصاري عند القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها فاهلها يستسقون به وكان قد شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد صفين مع علي وغيرها من حروبه

﴿ذكر عزل مروان عن المدينة وولاية سعيد﴾

وفيها عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة في ربيع الاول وأمر سعيد بن العاص عليها في ربيع الآخر وقيل في ربيع الاول وكانت ولاية مروان كلها بالمدينة لمعاوية ثماني سنين وشهرين وكان على قضاء المدينة عبد الله بن الحرث بن نوفل فعزله سعيد حين ولي واستقضى أبا سلمة بن عبد الرحمن

﴿ذكر وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام﴾

في هذه السنة توفي الحسن بن علي سمته زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي ووصى ان يدفن عند النبي صلى الله عليه وسلم الا أن تخاف فتنة فينقل الى مقابر المسلمين فاستأذن الحسين عائشة فاذنت له فلما توفي أراد دفنه عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرض اليهم سعيد بن العاص وهو الامير فقام مروان بن الحكم وجمع بني أمية وشيعتهم ومنع عن ذلك فاراد الحسين الامتناع فقيل له ان أخاك قال اذا خفتم الفتنة ففي مقابر المسلمين وهذه فتنة فسكت وصلى عليه سعيد بن العاص فقال له الحسين لولا انه سنة لما تركتك تصلي عليه

﴿ثم دخلت سنة خمسين﴾

فيها كانت غزوة بسر بن ارطاة وسفيان بن عوف الازدي أرض الروم وغزوة فضالة بن عبيد الانصاري في البحر

﴿ذكر وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة﴾

في هذه السنة في شعبان كانت وفاة المغيرة بن شعبة في قول بعضهم وهو الصحيح وكان الطاعون قد وقع بالكوفة فهرب المغيرة منه فلما ارتفع الطاعون عاد الى الكوفة فطعن فمات وكان طوالا أعور ذهبت عينه يوم اليرموك وتوفي وهو ابن سبعين سنة وقيل كان موته سنة احدى وخمسين

وتسميته فمنهم من زعم أنه انما سمي يمنا لانه عن يمين الكعبة وسمي الشام شاما لانه عن شمال الكعبة وسمي الحجاز حجازا لانه حاجز بين اليمن والشام نحو ما أخبر الله عز وجل عن الفرق الذي بين بحر القلزم وبحر الروم بقوله عز وجل وجعل بين البحرين حاجزا وانما سمي العراق عراقا لمصب المياه اليه كالدجلة والفرات وغيرهما من الانهار وأظنه مأخوذا من عراقي الدلو وعراقي القربة ومنهم من زعم أن اليمن انما سمي يمنا ليمنه والشأم شاما لشؤمه وهذا قول يعزى الى قطرب النحوي في آخرين من الناس ومنهم من رأى انه انما سمي يمنا لان الناس حين تفرقت لغاتهم ببابل تيامن بعضهم يمين الشمس وهو اليمن وبعضهم تشاءم فوسم له

وقيل سنة تسع وأربعين فلما مات المغيرة استعمل معاوية زيادا على الكوفة وهو أول من جمع له فلما وليها سار اليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب وكان زياد يقيم بالكوفة ستة أشهر وبالبصرة ستة أشهر فلما وصل الكوفة خطبهم فحصب وهو على المنبر فجلس حتى أمسكوا ثم دعا قوما من خاصته فامرهم فأخذوا أبواب المسجد ثم قال ليأخذ كل رجل منكم جليسه ولا يقولن لا أدري من جليسي ثم أمر بكرسي فوضع له على باب المسجد فدعاهم أربعة أربعة يحلفون ما منا من حصبك فمن حلف خلاه ومن لم يحلف حبسه حتى صار الى ثلاثين وقيل الى ثمانين فقطع أيديهم على المكان وكان أول قتيل قتله زياد بالكوفة أوفى بن حصن وكان بلغه عنه شيء فطلبه فهرب فعرض الناس زياد فمر به فقال من هذا قال أوفى بن حصن فقال زياد أتتك بحائن رجلاه وقال له ما رأيك في عثمان قال ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه قال فما تقول في معاوية قال جواد حليم قال فما تقول في قال بلغني انك قلت بالبصرة والله لآخذن البريء بالسقيم والمقبل بالمدبر قال قد قلت ذاك قال خبطتها خبط عشواء فقال زياد ليس النفاخ بشر الزمرة فقتله ولما قدم زياد الكوفة قال له عمارة بن عقبة بن أبي معيط ان عمرو بن الحمق يجمع اليه شيعة أبي تراب فارسل اليه زياد ما هذه الجماعات عندك من أردت كلامه ففي المسجد وقيل الذي سعى بعمرو يزيد بن رويم فقال له زياد قد أبسطت به ولو علمت ان مخ ساقه قد سال من بغضي ما هجته حتى يخرج علي فاتخذ زياد المقصورة حين حصب فلما استخلف زياد سمرة على البصرة أكثر القتل فيها فقال ابن سيرين قتل سمرة في غيبة زياد هذه ثمانية آلاف فقال له زياد أتخاف ان تكون قتلت بريأ فقال لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت وقال أبو السوار العدوي قتل سمرة من قومي في غداة واحدة سبعة وأربعين كلهم قد جمع القرآن وركب سمرة وما فاتي أوائل خيله رجلا فقتلوه فمر به سمرة وهو يتشحط في دمه فقال ما هذا فقيل أصابه أوائل خيلك فقال اذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أسنتنا

﴿ذكر خروج قريب﴾

وفيها خرج قريب الازدي وزحاف الطائي بالبصرة وهما ابنا خالة وزياد بالكوفة وسمرة على البصرة فاتيا بني ضبيعة وهم سبعون رجلا وقتلوا منهم شيخا وخرج على قريب وزحاف شباب من بني علي وبني راسب فرموهم بالنبل وقتل عبد الله بن أوس الطاحي قريبا وجاء برأسه واشتد زياد في أمر الخوارج فقتلهم وأمر سمرة بذلك فقتل منهم بشرا كثيرا وخطب زياد على المنبر فقال يا أهل البصرة والله لتكفنني هؤلاء أو لابدأن بكم والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطياتكم درهما فثار الناس بهم فقتلوهم

﴿ذكر ارادة معاوية نقل المنبر من المدينة﴾

وفي هذه السنة أمر معاوية بمنبر النبي صلى الله عليه وسلم ان يحمل من المدينة الى الشام وقال لا يترك هو وعصا النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهم قتلة عثمان وطلب العصا وهي عند سعد القرظ فحرك المنبر فكسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية فاعظم الناس ذلك فتركه وقيل أتاه جابر وأبو هريرة وقالا له يا أمير المؤمنين لا يصلح ان تخرج منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع وضعه ولا تنقل عصاه الى الشام فانقل المسجد فتركه وزاد فيه ست درجات واعتذر عما صنع فلما ولي عبد الملك بن مروان هم بالمنبر فقال له قبيصة بن ذؤيب أذكرك الله ان تفعل ان معاوية حركه فكسفت الشمس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري فليتبوأ

مقعده من النار وهو مقطع الحقوق عندهم بالمدينة فتركه عبد الملك فلما كان الوليد ابنه وج هم
بذلك فارسل سعيد بن المسيب الى عمر بن عبد العزيز فقال كلم صاحبك لا يتعرض للمسجد ولا لله
والسخط له فكلمه عمر فتركه ولما حج سليمان بن عبد الملك أخبره عمر بما كان من الوليد فقال سليمان
ما كنت أحب ان يذكر عن أمير المؤمنين عبد الملك هذا ولا عن الوليد ما لنا ولهذا أخذنا الدنيا
فهى فى أيدينا ونريد ان نعمد الى علم من أعلام الاسلام يوفد اليه فنحمله هذا ما لا يصلح وفيها عزل
معاوية بن حديج السكونى عن مصر ووليها مسلمة بن مخلد مع افريقية وكان معاوية بن أبى سفيان
بعث قبل ان يولى مسلمة افريقية ومصر عقبة بن نافع الى افريقية وكان اختط قيروانها وكان
موضعه غيضة لا ترام من السباع والحيات وغيرها فدعا الله عليها فلم يبق منها شئ الا خرج هاربا
حتى ان كانت السباع لتحمل أولادها وبنى الجامع فلما عزل معاوية بن أبى سفيان معاوية بن
حديج السكونى عن مصر عزل عقبة عن افريقية وجمعها لمسلمة بن مخلد فهو أول من جمع له
المغرب مع مصر فولى مسلمة افريقية مولى له يقال له أبو المهاجر فلم يزل عليها حتى هلك معاوية بن
أبى سفيان

﴿ذكر ولاية عقبة بن نافع افريقية وبناء مدينة القيروان﴾

قد ذكر أبو جعفر الطبرى ان فى هذه السنة ولى مسلمة بن مخلد افريقية وان عقبة ولى قبله
افريقية وبنى القيروان والذى ذكره أهل التاريخ من المغاربة أن ولاية عقبة بن نافع افريقية
كانت هذه السنة وبنى القيروان ثم بقى الى سنة خمس وخمسين ووليها مسلمة بن مخلد وهم أخبر
ببلادهم * وأنا أذكر ما أثبتوه فى كتبهم قالوا ان معاوية بن أبى سفيان عزل معاوية بن حديج عن
افريقية حسب واستعمل عليها عقبة بن نافع الفهرى وكان مقيما ببرقة وزويلة مذ فتحها أيام
عمرو بن العاص وله فى تلك البلاد جهاد وفتوح فلما استعمله معاوية سير اليه عشرة آلاف
فارس فدخل افريقية وانضاف اليه من أسلم من البربر فكثر جمعه ووضع السيف فى أهل البلاد
لانهم كانوا اذا دخل اليهم أمير أطاعوا وأظهر بعضهم الاسلام فاذا عاد الامير عنهم نكثوا وارتد
من أسلم ثم رأى ان يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم ليأمنوا من ثورة تكون
من أهل البلاد فقصد موضع القيروان وكان دجلة مشتبكة بها من أنواع الحيوان من السباع
والحيات وغير ذلك فدعا الله وكان مستجاب الدعوة ثم نادى أيتها الحيات والسباع انا أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنا فانا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك
اليوم الى الدواب تحمل أولادها وتنتقل فرآه قبيل كثير من البربر فأسلموا وقطع الاشجار وأمر
ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وكان دورها ثلاثة
آلاف باع وستمائة باع وتم أمرها سنة خمس وخمسين وسكنها الناس وكان فى اثناء عمارة المدينة
يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب ودخل كثير من البربر فى الاسلام واتسعت خطة المسلمين
وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها

﴿ذكر ولاية مسلمة بن مخلد افريقية﴾

ثم ان معاوية بن أبى سفيان استعمل على مصر وافريقية مسلمة بن مخلد الانصارى فاستعمل
مسلمة على افريقية مولى له يقال له أبو المهاجر فقدم افريقية وأساء عزل عقبة واستخف به وسار
عقبة الى الشام وعاتب معاوية على ما فعله به أبو المهاجر فاعتذر اليه ووعده باعادته الى عمله
وتمادى الامر فتوفى معاوية وولى بعده ابنه يزيد فاستعمل عقبة بن نافع على البلاد سنة اثنتين

هذا الاسم وسنذكر تفرق
هذه القبائل من أرض
بابل بعد هذا الموضع
وبعض ما قالوه فى ذلك من
الشعر عند سيرهم فى
الارض واختيارهم البقاع
وقيل انما سمى الشام شاما
لشامات فى أرضه بيض
وسود وذلك فى الترب
والبقاع وأنواع النبات
والاشجار وهذا قول الكلبى
وقال الشرقى بن القطامى

وستين فسار اليها وقد ذكر الواقدى ان عقبة بن نافع ولى افريقية سنة ست وأربعين واختط
القيروان ولم يزل عقبة على افريقية الى سنة اثنتين وستين فعزله يزيد بن معاوية واستعمل أبا
المهاجر مولى الانصار فحبس عقبة وضيق عليه فلما بلغ يزيد بن معاوية ما فعل بعقبة كتب اليه
يأمره باطلاقه وارساله اليه ففعل ذلك ووصل عقبة الى يزيد فاعاده الى افريقية واليا عليها فقبض
على أبى المهاجر واوثقه وساق من خبر كسيلة مثل ما نذكره ان شاء الله تعالى سنة اثنتين وستين

﴿ذكر هرب الفرزدق من زياد﴾

وفيها طلب زياد الفرزدق استعدت عليه بنو نهشل وفقيم وسبب ذلك ان الفرزدق هاجيت
الاشهب بن رميلة والبعيث فسقطا فاستعدى عليه بنو نهشل وبنو فقيم زياد ابن أبيه واستعدى على
أيضا يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك قال فلم يعرفنى زياد حتى قيل له الغلام الاعرابى الذى أنهب
ماله وثيابه فعرفنى قال الفرزدق وكان أبى غالب قد ارسلنى فى جلب له ابيعه وأمتار له فبعت الجلب
بالبصرة وجعلت ثمنه فى ثوبى فعرض لى رجل فقال لشد ما تستوثق منها اما لو كان مكانك رجل
أعرفه ما صر عليها فقلت ومن هو قال غالب بن صعصعة وهو أبو الفرزدق فدعوت أهل المربد
ونثرتها فقال لى قائل ألق رداءك ففعلت فقال آخر ألق ثوبك ففعلت وقال آخر ألق عمامتك
ففعلت فقال آخر ألق ازارك فقلت لا القيه وامشى مجردا انى لست بمجنون وبلغ الخبر زيادا
فقال هذا احمق يضرى الناس بالنهب فارسل خيلا الى المربد ليأتوه بى فاتانى رجل من بنى الهجيم
على فرس له وقال النجاء النجاء وأردفنى خلفه ونجوت فاخذ زياد عمين لى ذهيلا والزحاف ابنى
صعصعة وكانا فى الديوان فحبسهما أياما ثم كلم فيهما فاطلقهما وأتيت أبى فاخبرته خبرى فحقدها
على زياد ثم وفد الاحنف بن قيس وجارية بن قدامة السعديان والجون بن قتادة العبشمى والحتات
ابن يزيد أبو منازل المجاشعى الى معاوية بن أبى سفيان فاعطى كل رجل منهم جائزة مائة ألف
واعطى الحتات سبعين ألفا فلما كانوا فى الطريق ذكر كل منهم جائزته فرجع الحتات الى معاوية
فقال ما ردك قال فضحتنى فى بنى تميم اما حسبى صحيح أولست ذا سن السن مطاعا فى عشيرتى قال
بلى قال فما بالك خسست بى دون القوم وأعطيت من كان عليك أكثر ممن كان لك وكان حضر الجمل
مع عائشة وكان الاحنف وجارية يريدان عليا وان كان الاحنف والجون اعتزلا القتال مع على
لكنهما كانا يريدانه قال انى اشتريت من القوم دينهم ووكلتك الى دينك ورأيك فى عثمان وكان
عثمانيا فقال وانا فاشترمنى دينى فامر له باتمام جائزته ثم مات الحتات فحبسها معاوية فقال
الفرزدق فى ذلك

أبوك وعمى يا معاوى أورثا * تراثا فيحتاز التراث أقاربه
فما بال ميراث الحتات أخذته * وميراث صخر جامد لك ذائبه
فلو كان هذا الامر فى جاهلية * علمت من المرء القليل حلائبه
ولو كان فى دين سوى ذا شنئتم * لنا حقنا أو غص بالماء شاربه
ألست أعز الناس قوما وأسرة * وامنعهم جارا اذا ضيم جانبه
وما ولدت بعد النبى وآله * كمثل حصان فى الرجال يقاربه
وبيتى الى جنب الثريا فناؤه * ومن دونه البدر المضىء كواكبه
أنا ابن الجبال الشم فى عدد الحصى * وعرق الثرى عرقى فمن ذا يحاسبه
وكم من أب لى يا معاوى لم يزل * اغر يبارى الريح أزور جانبه

انما سمى الشام شاما لسام
ابن نوح لانه أول من نزله
وقطن فيه فلما سكنته العرب
تطيرت من أن تقول سام
فقالت شام وقيل ان سامرا
انما سميت بذلك اضافة الى
سام وقيل ان أول من
سكنها من خلفاء بنى العباس
سماها بهذا الاسم وانما
سر من رآها وقد ذكر فى
أسماء هذه المعاقل والبقاع

غنته فروع المالكين ولم يكن * أبوك الذى من عبد شمس يقاربه
تراه كنصل السيف يهتز للندى * كريما يلاقى المجد ماطر شاربه
طويل نجاد السيف مذ كان لم يكن * قصى وعبد شمس ممن يخاطبه

يريد بالمالكين مالك بن حنظلة ومالك بن زيد مناة بن تميم وهما جداه لان الفرزدق ابن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فلما بلغ معاوية شعره ردّ على أهله ثلاثين ألفا فأغضبت أيضا زيادا عليه فلما استعدت عليه نهشل وفقيم ازداد عليه غضبا فطلبه فهرب وأتى عيسى بن خصيلة السلمى ليلا وقال له ان هذا الرجل قد طلبنى وقد لفظنى الناس وقد أتيتك لتغيبنى عندك فقال مرحبا بك فكان عنده ثلاث ليال ثم قال له قد بدا لى ان آتى الشام فسيره وبلغ زيادا مسيره فأرسل فى أثره فلم يدرك وأتى الروحاء فنزل فى بكر بن وائل فأمن ومدحهم بقصائد ثم كان زياد اذا نزل البصرة نزل الفرزدق الكوفة واذا نزل الكوفة نزل الفرزدق البصرة فبلغ ذلك زيادا فكتب الى عامله على الكوفة وهو عبد الرحمن بن عبيد يأمره بطلب الفرزدق ففارق الكوفة نحو الحجاز فاستجار بسعيد بن العاص فأجاره فمدحه الفرزدق ولم يزل بالمدينة مرة وبمكة مرة حتى هلك زياد وقد قيل ان الفرزدق انما قال هذا الشعر لان الحتات لما أسلم آخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية فلما مات الحتات بالشام ورثه معاوية بتلك الاخوة فقال الفرزدق هذا الشعر وهذا القول الذى ليس بشئ لان معاوية لم يكن يجهل ان هذه الاخوة لا يرث بها أحد (الحتات بضم الحاء وبتاءين مثناتين من فوقهما بينهما الف)

﴿ذكر وفاة الحكم بن عمرو الغفارى﴾

فى هذه السنة توفى الحكم بن عمرو الغفارى بمرو بعد انصرافه من غزوة جبل الاشل فى قول وقد تقدم ذكر وفاته فى قول آخر وكان زياد قد كتب اليه ان أمير المؤمنين معاوية أمرنى ان اصطفى له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة فكتب اليه الحكم بلغنى ما أمر به أمير المؤمنين وانى وجدت كتاب الله قبل كتابه وانه والله لو أن السموات والارض كانتا رتقا على عبد ثم اتقى الله لجعل له فرجا ومخرجا ثم قال للناس اغدوا على أعطياتكم ومالكم فقسمه بينهم ثم قال اللهم ان كان لى عندك خير فاقبضنى اليك فتوفى بمرو وله صحبة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس هذه السنة معاوية وقيل بل حج ابنه يزيد وكان العمال على البلاد من تقدم ذكرهم وفيها توفى سعد بن ابى وقاص بالعقيق فحمل على الرقاب الى المدينة فدفن بها وقيل توفى سنة أربع وخمسين وقيل سنة خمس وخمسين وعمره أربع وسبعون وقيل ثلاث وثمانون سنة وهو أحد العشرة وكان قصيرا دحداحا وفيها توفيت صفية بنت حيى زوج النبى صلى الله عليه وسلم وقيل توفيت أيام عمر وفيها توفى عثمان بن أبى العاص الثقفى وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس توفى بالبصرة وأبو موسى الاشعرى وقيل توفى سنة اثنتين وخمسين وفيها توفى زيد بن خالد الجهنى وقيل توفى سنة ثمان وستين وقيل ثمان وسبعين وفيها توفى مدلاج بن عمرو السلمى وكان قد شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم لهم صحبة

﴿ثم دخلت سنة احدى وخمسين﴾

وفيها كان مشتى فضالة بن عبيد بأرض الروم وغزوة بسر بن أبى أرطاة الصائفة

ذكر

والامصار وجوه غير ما ذكرنا قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا

﴿ذكر اليمن وأنسابها وما قاله الناس فى ذلك﴾

اختلف الناس فى أنساب قحطان فحكى هشام بن الكلبى عن أبيه والشرقى ابن القطامى أنهما كانا يذهبان الى أن قحطان ابن الهميسع بن نبت وهو نابت

﴿ذكر مقتل حجر بن عدى وعمرو بن الحمق وأصحابهما﴾

فى هذه السنة قتل حجر بن عدى وأصحابه وسبب ذلك ان معاوية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة احدى وأربعين فلما أمره عليها دعاه وقال له أما بعد فان لذى الحلم قبل اليوم تقرع العصا وقد يجزى عنك الحكيم بغير التعليم وقد أردت ايصاءك باشياء كثيرة أنا تاركها اعتمادا على بصرك ولست تاركا ايصاءك بخصلة لا تترك شتم على وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب لاصحاب على والاقصاء لهم والاطراء بشيعة عثمان والادناء لهم فقال له المغيرة قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذممنى وستبلو فتحمد أو تذم فقال بل نحمد ان شاء الله فأقام المغيرة عاملا على الكوفة وهو أحسن شئ سيرة غير أنه لا يدع شتم على والوقوع فيه والدعاء لعثمان والاستغفار له فاذا سمع ذلك حجر بن عدى قال بل اياكم فذم الله ولعن ثم قام وقال أنا اشهد ان من تذمون أحق بالفضل ومن تزكون أولى بالذم فيقول له المغيرة يا حجر اتق هذا السلطان وغضبه وسطوته فان غضب السلطان يهلك أمثالك ثم يكف عنه ويصفح فلما كان آخر امارته قال فى على وعثمان ما كان يقوله فقام حجر فصاح صيحة بالمغيرة سمعها كل من بالمسجد وقال له مر لنا أيها الانسان بأرزاقنا فقد حبستها عنا وليس ذلك لك وقد أصبحت مولعا بذم أمير المؤمنين فقام أكثر من ثلثى الناس يقولون صدق حجر وبر مر لنا بأرزاقنا فان ما أنت عليه لا يجدى علينا نفعا وأكثروا من هذا القول وأمثاله فنزل المغيرة فاستأذن عليه قومه ودخلوا وقالوا علام تترك هذا الرجل يجترئ عليك فى سلطانك ويقول لك هذه المقالة فيوهن سلطانك ويسخط عليك أمير المؤمنين معاوية فقال لهم المغيرة انى قد قتلته سيأتى من بعدى أمير يحسبه مثلى فيصنع به ما ترونه يصنع بى فيأخذه ويقتله انى قد قرب أجلى ولا أحب ان أقتل خيار أهل هذا المصر فيسعدون وأشقى ويعز فى الدنيا معاوية ويشقى فى الآخرة المغيرة ثم توفى المغيرة وولى زياد فقام فى الناس فخطبهم عند قدومه ثم ترحم على عثمان وأثنى على أصحابه ولعن قاتليه فقام حجر ففعل كما كان يفعل بالمغيرة ورجع زياد الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث فبلغه ان حجرا يجتمع اليه شيعة على ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه وانهم حصبوا عمرو بن حريث فشخص زياد الى الكوفة حتى دخلها فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وحجر جالس ثم قال أما بعد فان غب البغى والغى وخيم ان هؤلاء جموا فأشروا وأمنونى فاجترؤا على الله لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم ولست بشئ ان لم أمنع الكوفة من حجر وأدعه نكالا لمن بعده ويل أمك يا حجر سقط العشاء بك على سرحان وأرسل الى حجر يدعوه وهو بالمسجد فلما أتاه رسول زياد يدعوه قال أصحابه لا تأته ولا كرامة فرجع الرسول فأخبر زيادا فأمر صاحب شرطته وهو شداد بن الهيثم الهلالى ان يبعث اليه جماعة ففعل فسبهم أصحاب حجر فرجعوا وأخبروا زيادا فجمع أهل الكوفة وقال تشجون بيد وتأسون بأخرى أبدانكم معى وقلوبكم مع حجر الاحمق هذا والله من دحسكم والله ليظهرن لى براءتكم أو لآتينكم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم فقالوا معاذ الله أن يكون لنا رأى الا طاعتك وما فيه رضاك قال فليقم كل رجل منكم فليدع من عند حجر من عشيرته وأهله ففعلوا وأقاموا أكثر أصحابه عنه وقال زياد لصاحب شرطته انطلق الى حجر فان تبعك فائتنى به والا فشدوا عليهم بالسيوف حتى تأتونى به فأتاه صاحب الشرطة يدعوه فمنعه أصحابه من اجابته فحمل عليهم فقال أبو العمرطة الكندى لحجر انه ليس معك من معه سيف غيرى وما يغنى عنك سيفى قم فالحق بأهلك يمنعك قومك وزياد ينظر اليهم وهو على المنبر وغشيهم أصحاب زياد وضرب رجل من الحمراء رأس عمرو بن الحمق بعمود

ابن اسمعيل بن ابراهيم والخليل يحتجان لذلك بوجوه من الاخبار منها ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ما رواه هشام عن أبيه عن ابن عباس ورواه الهيثم عن الكلبى عن أبى صالح أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على فتية من الانصار يتناضلون فقال ارموا يا بنى اسمعيل فان أباكم كان

فوقع وحمله أصحابه الى الازد فاختفى عندهم حتى خرج وانحاز أصحاب حجر الى أبواب كندة وضرب بعض الشرطة يد عائذ بن حملة التميمي وكسر نابه وأخذ عمودا من بعض الشرط فقاتل به وحمى حجرا وأصحابه حتى خرجوا من أبواب كندة وأتى حجر ببغلته فقال له أبو العمرطة اركب فقد قتلتنا ونفسك وحمله حتى اركبه وركب أبو العمرطة فرسه ولحقه يزيد بن طريف المسلى فضرب أبا العمرطة على فخذه بالعمود وأخذ أبو العمرطة سيفه فضرب به رأسه فسقط ثم برأ وله يقول عبد الله بن همام السلولى

ألوم ابن لوم ماعدا بك حاسرا * الى بطل ذى جرأة وشكيم
معاود ضرب الدارعين بسيفه * على الهام عند الروع غير لئيم
الى فارس الغارين يوم تلاقيا * بصفين قرم خير نجل قروم
حسبت ابن برصاء الحتار قتاله * قتالك زيدا يوم دار حكيم

وكان ذلك السيف أول سيف ضرب به فى الكوفة فى اختلاف بين الناس ومضى حجر وأبو العمرطة الى دار حجر واجتمع اليهما ناس كثير ولم يأته من كندة كثير أحد فارسل زياد وهو على المنبر مذحج وهمدان الى جبانة كندة وأمرهم ان يأتوه بحجر وأرسل سائر أهل اليمن الى جبانة الصائدين وأمرهم ان يمضوا الى صاحبهم حجر فيأتوه به ففعلوا فدخل مذحج وهمدان الى جبانة كندة فاخذوا كل من وجدوا فاثنى عليهم زياد فلما رأى حجر قلة من معه أمرهم بالانصراف وقال لهم لا طاقة لكم بمن قد اجتمع عليكم وما أحب ان تهلكوا فخرجوا فادركهم مذحج وهمدان فقاتلوهم وأسروا قيس بن يزيد ونجا الباقون فاخذ حجر طريقا الى بنى حوت فدخل دار رجل منهم يقال له سليم بن يزيد وأدركه الطلب فاخذ سليم سيفه ليقاتل فبكى بناته فقال حجر بئسما أدخلت على بناتك اذا قال والله لا تؤخذ من دارى أسيرا ولا قتيلا وأنا حى فخرج حجر من خوخة فى داره فأتى النخع فنزل دار عبد الله بن الحرث أخى الاشتر فاحسن لقاءه فبينما هو عنده اذ قيل له ان الشرط تسأل عنك فى النخع وسبب ذلك ان أمة سوداء لقيتهم فقالت من تطلبون فقالوا حجر ابن عدى فقالت هو فى النخع فخرج حجر من عنده فأتى الازد فاختفى عند ربيعة بن ناجد فلما أعياهم طلبه دعا زياد محمد بن الاشعث وقال له والله لتأتينى به أو لاقطعن كل نخلة لك وأهدم دورك ثم لا تسلم منى حتى أقطعك اربا اربا فاستمهله فامهله ثلاثا وأحضر قيس بن يزيد أسيرا فقال له زياد لا بأس عليك قد عرفت رأيك فى عثمان وبلاءك مع معاوية بصفين وانك انما قاتلت مع حجر حمية وقد غفرتها لك ولكن ائتنى بأخيك عمير فاستأمن له منه على ماله ودمه فامنه فاتاه به وهو جريح فاثقله حديدا وأمر الرجال ان يرفعوه ويلقوه ففعلوا به ذلك مرارا فقال قيس بن يزيد لزياد ألم تؤمنه قال بلى قد أمنته على دمه ولست أهريق له دما ثم ضمنه وخلى سبيله ومكث حجر ابن عدى فى بيت ربيعة يوما وليلة فارسل الى محمد بن الاشعث يقول له ليأخذ له من زياد امانا حتى يبعث به الى معاوية فجمع محمد جماعة منهم جرير بن عبد الله وحجر بن يزيد وعبد الله بن الحرث أخو الاشتر فدخلوا على زياد فاستأمنوا له على ان يرسله الى معاوية فاجابهم فارسلوا الى حجر بن عدى فحضر عند زياد فلما رآه قال مرحبا بك أبا عبد الرحمن حرب أيام الحرب وحرب وقد سالم الناس على أهلها تجنى براقش فقال حجر ما خلعت طاعة ولا فارقت جماعة وانى على بيعتى فامر به الى السجن فلما ولى قال زياد والله لاحرصن على قطع خيط رقبته وطلب أصحابه فخرج عمرو بن الحمق حتى أتى الموصل ومعه رفاعة بن شداد فاختفيا بجبل هناك فرفع خبرهما الى عامل الموصل فسار اليهما

رامياارموا وانا مع ابن الادرع رجل من خزاعة فرمى القوم نبالهم وقالوا يارسول الله من كنت معه فقد نضل فقال ارموا وأنا معكم جميعا (قال المسعودى) وسائر ولد قحطان من حمير وكهلان يأبى هذا القول وينكره وقد ثبت أن قحطان هو يقطن وانما عرب فقيل له قحطان (وحكى ابن

فخرجا

فخرجا اليه فاما عمرو فكان قد استسقى بطنه ولم يكن عنده امتناع وأما رفاعة فكان شابا قويا فركب فرسه ليقاتل عن عمرو فقال له عمرو وما ينفعنى قتالك عنى انج بنفسك فحمل عليهم فافرجوا له فنجا وأخذ عمرو أسيرا فسألوه من أنت فقال من ان تركتموه كان أسلم لكم وان قتلتموه كان أضر عليكم ولم يخبرهم فبعثوه الى عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفى الذى يعرف بابن أم الحكم وهو ابن أخت معاوية فعرفه فكتب فيه الى معاوية فكتب اليه انه زعم انه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه فاطعنه كما طعن عثمان فاخرج وطعن فمات فى الاولى منهن أو الثانية وجد زياد فى طلب أصحاب حجر فهربوا وأخذ من قدر عليه منهم فأتى بقبيصة بن ضبيعة العبسى بأمان فحبسه وجاء قيس بن عباد الشيبانى الى زياد فقال له ان امرأ منا يقال له صيفى من رؤس أصحاب حجر فبعث زياد فأتى به فقال يا عدو الله ما تقول فى أبى تراب قال ما أعرف أبا تراب فقال ما أعرفك به أتعرف على بن أبى طالب قال نعم قال فذاك أبو تراب قال كلا ذاك أبو الحسن والحسين فقال له صاحب الشرطة يقول الامير هو أبو تراب وتقول لا قال فان كذب الامير أكذب أنا وأشهد على باطل كما شهد فقال له زياد وهذا أيضا على بالعصا فاتى بها فقال ما تقول فى على قال أحسن قول قال اضربوه فضربوه حتى لصق بالارض ثم قال أقلعوا عنه ما قولك فى على قال والله لو شرحتنى بالموسى ما قلت فيه الا ما سمعت منى قال لتلعننه أو لاضربن عنقك قال لا أفعل فاوثقوه حديدا وحبسوه قيل وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الاشعث فى مواطنه ثم دخل الكوفة فجلس فى بيته فقال حوشب للحجاج ان هنا امرأ صاحب فتن لم تكن فتنة بالعراق الا وثب فيها وهو ترابى يلعن عثمان وقد خرج مع ابن الاشعث حتى هلك وقد جاء فجلس فى بيته فبعث اليه الحجاج فقتله فقال بنو أبيه لال حوشب سعيتم بصاحبنا فقالوا وأنتم أيضا سعيتم بصاحبنا يعنى صيفيا الشيبانى وأرسل زياد الى عبد الله بن خليفة الطائى فتوارى فبعث اليه الشرط فاخذوه فخرجت اخته النوار فحرضت طيأ فثاروا بالشرط وخلصوه فرجعوا الى زياد فاخبروه فاخذ عدى بن حاتم وهو فى المسجد فقال ائتنى بعبد الله قال وما حاله فاخبره فقال لا علم لى بهذا قال لتأتينى به قال لا آتيك به أبدا آتيك بابن عمى تقتله والله لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه فامر به الى السجن فلم يبق بالكوفة يمنى ولا ربعى الا كلم زيادا وقالوا تفعل هذا بعدى بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فانى أخرجه على شرط ان يخرج ابن عمه عنى فلا يدخل الكوفة ما دام لى سلطان فاجابوه الى ذلك وأرسل عدى الى عبد الله يعرفه ما كان وأمره ان يلحق بجبلى طيئ فخرج اليهما وكان يكتب الى عدى ليشفع فيه ليعود الى الكوفة وعدى يمنيه فما كتب اليه يعاتبه ويرثى حجرا وأصحابه قوله

تذكرت ليلى والشبيبة اعصرا * وذكر الصبا برح على من تذكرا
وولى الشباب فافتقدت غصونه * فيالك من وجد به حين أدبرا
فدع عنك تذكار الشباب وفقده * وأسبابه اذ بان عنك فاجمرا
وبك على الخلان لما تخرموا * ولم يجدوا عن منهل الموت مصدرا
دعتهم مناياهم ومن حان يومه * من الناس فاعلم انه لن يؤخرا
أولئك كانوا شيعة لى وموئلا * اذا اليوم ألفى ذا احتدام مذكرا
وما كنت أهوى بعدهم متعللا * بشئ من الدنيا ولا أن أعمرا
اقول ولا والله انسى اذكارهم * محيس الليالى او أموت فأقبرا

الكلبى) أن اسم يقطن فى التوراة الجبار بن عابر ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح والواضح من أنساب اليمن وما تدين به كهلان وحمير ابنا قحطان الى هذا الوقت قولا وعملا وينقله الباقى عن الماضى والصغير عن الكبير والذى وجدت عليه التواريخ القديمة للعرب وغيرهما من الامم وعليه وجدت الاكثر من

على أهل عذراء السلام مضاعفا * من الله وليسق الغمام الكنهورا
ولاقى بها حجر من الله رحمة * فقد كان أرضى الله حجر وأعذرا
ولا زال تهطال ملث وديمة * على قبر حجر أو ينادى فيحشرا
فيا حجر من للخيل تدمى نحورها * وللملك المغرى اذا ما تغشمرا
ومن صادق بالحق بعدك ناطق * بتقوى ومن ان قيل بالجور غيرا
فنعم أخو الاسلام كنت واننى * لاطمع ان تؤتى الخلود وتحبرا
وقد كنت تعطى السيف فى الحرب حقه * وتعرف معروفا وتنكر منكرا
فيا أخوينا من هميم عصمتما * وبشرتما بالصالحات فابشرا
ويا أخوى الخندفيين أبشرا * بما معنا حييتما ان تتبرا
ويا أخوتا من حضرموت وغالب * وشيبان لقيتم جنانا مبشرا
سعدتم فلم أسمع بأصوب منكم * حجاجا لدى الموت الجليل واصبرا
سأبكيكم مالاح نجم وغرد الحمام ببطن الواديين وقرقرا
فقلت ولم أظلم أغوث بن طئ * متى كنت أخشى بينكم أن أسيرا
هبلتم الا قاتلتم عن أخيكم * وقد ذب حتى مال ثم تجورا
تفرجتم عنى فغودرت مسلما * كأنى غريب من اياد واعصرا
فمن لكم مثلى لدى كل غارة * ومن لكم مثلى اذا البأس أصحرا
ومن لكم مثلى اذا الحرب قامت * واوضع فيها المستميت وشمرا
فها انا ذا آوى بأجبال طئ * طريدا فلو شاء الاله لغيرا
نفانى عدوى ظالما عن مهاجرى * رضيت بما شاء الاله وقدرا
وأسلمنى قومى بغير جناية * كان لم يكونوا لى قبيلا ومعشرا
فان ألف فى دار باجبال طئ * وكان معانا من عصير ومحضرا
فما كنت أخشى ان أرى متغربا * لحا الله من لاحى عليه وكثرا
لحا الله قيل الحضرميين وائلا * ولاقى الفنانى بالسنان المؤمرا
ولاقى الردى القوم الذين تحزبوا * علينا وقالوا قول زور ومنكرا
فلا يدعنى قوم لغوث وطئ * اذا دهرهم اشقى بهم وتغيرا
فلم اغزهم فى المعلمين ولم أثر * عليهم عجاجا بالكويفة اكدرا
فبلغ خليلى ان رحلت مشرقا * جديلة والحيين معنا وبحترا
ونبهان والافناء من جذم طئ * ولم ألك فيكم ذا الغناء العشنزرا
الم تذكروا يوم العذيب أليتى * امامكم أن لا أرى الدهر مدبرا
وكرى على مهران والجمع حابس * وقتلى الهمام المستميت المسورا
ويوم جلولاء الوقيعة لم ألم * ويوم نهاوند الفتوح وتسترا
وينسوننى يوم الشريعة والقنا * بصفين فى اكتافهم قد تكسرا
جزى ربه عنى عدى بن حاتم * برفضى وخذلانى جزاء موفرا
اتنسى بلائى سادرا يا ابن حاتم * عشية ما اغنت عديك حذمرا

فدفعت

شيوخ ولد قحطان من حمير وكهلان بأرض اليمن والتهائم والانجاد وبلاد حضرموت والشحر والاحقاف وبلاد عمان وغيرها من الامصار أن الصحيح فى نسب قحطان أنه قحطان بن عابر بن شالخ وهو قينان بن ارفخشذ بن سام ابن نوح وقد كان لعابر ثلاثة أولاد فالغ وقحطان وملكان والخضر عليه السلام من

فدفعت عنك القوم حتى تخاذلوا * وكنت أنا الخصم الالد العذورا
تولوا وما قاموا مقامى كانما * رأونى ليثا بالاباءة مخدرا
وقد تقدم ما فعله عبد الله مع عدى فى وقعة صفين فلهذا لم نذكره ههنا
نصرتك اذ خان القريب وأنفض البعيد وقد أفردت نصرا موزرا
فكان جزائى أن أجرر بينكم * سحيبا وان أولى الهوان وأوسرا
وكم عدة لى منك انك راجعى * فلم تغن بالميعاد عنى حبترا
فاصبحت أرعى النيب طورا وتارة * أهرهر ان راعى الشويهات هرهرا
كأنى لم أركب جوادا لغارة * ولم أترك القرن الكمى مقطرا
ولم أعترض بالسيف منكم مغيرة * اذا النكس مشى القهقرى ثم جرجرا
ولم أستحث الركض فى اثر عصبة * ميممة عليا سجاس وأبهرا
ولم أذعر الابلام منى بغارة * كورد القطا ثم انحدرت مظفرا
ولم أر فى خيل تطاعن مثلها * بقزوين أو شروين او أغزكيدرا
فذلك دهر زال عنى حمده * وأصبح لى معروفه قد تنكرا
فلا يبعدن قومى وان كنت غائبا * وكنت المضاع فيهم والمكفرا
ولا خير فى الدنيا ولا العيش بعدهم * وان كنت عنهم نائى الدار محصرا

فمات عبد الله بالجبلين قبل موت زياد ثم أتى زياد بكريم بن عفيف الخثعمى من أصحاب حجر بن عدى فقال ما اسمك قال كريم بن عفيف قال ما أحسن اسمك واسم أبيك وأسوأ عملك ورأيك فقال له اما والله ان عهدك برأيى منذ قريب قال وجمع زياد من أصحاب عدى اثنى عشر رجلا فى السجن ثم دعا رؤساء الارباع يومئذ وهم عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان وقيس بن الوليد على ربع ربيعة وكندة وأبا بردة بن أبى موسى على ربع مذحج وأسد فشهد هؤلاء ان حجرا جمع اليه الجموع وأظهر شتم الخليفة ودعا الى حرب أمير المؤمنين وزعم ان هذا الامر لا يصلح الا فى آل أبى طالب ووثب بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين وأظهر عذر أبى تراب والترحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤس أصحابه على مثل رأيه وأمره ونظر زياد فى شهادة الشهود وقال انى لاحب أن يكونوا أكثر من أربعة فدعا الناس ليشهدوا عليه فشهد اسحق وموسى ابنا طلحة بن عبيد الله والمنذر بن الزبير وعمارة بن عقبة ابن أبى معيط وعمرو بن سعد بن أبى وقاص وغيرهم وكتب فى الشهود شريح بن الحرث القاضى وشريح بن هانئ فاما شريح بن هانئ فكان يقول ما شهدت وقد لمته ثم دفع زياد حجر بن عدى وأصحابه الى وائل بن حجر الحضرمى وكثير بن شهاب وأمرهما ان يسيرا بهم الى الشام فخرجوا عشية فلما بلغوا الغريين لحقهم شريح بن هانئ وأعطى وائلا كتابا وقال أبلغه أمير المؤمنين فاخذه وساروا حتى انتهوا بهم الى مرج عذراء عند دمشق وكانوا حجر بن عدى الكندى والارقم بن عبد الله الكندى وشريك بن شداد الحضرمى وصيفى بن فسيل الشيبانى وقبيصة بن ضبيعة العبسى وكريم بن عفيف الخثعمى وعاصم بن عوف البجلى وورقاء بن سمى البجلى وكدام بن حيان وعبد الرحمن بن حسان العنزيان ومحرز بن شهاب التميمى وعبد الله بن حوية السعدى التميمى فهؤلاء اثنا عشر رجلا واتبعهم زياد برجلين وهما عتبة بن الاخنس من سعد بن بكر وسعد بن نمران الهمدانى فتموا أربعة عشر رجلا فبعث معاوية الى وائل بن حجر وكثير بن شهاب فادخلهما وأخذ

ولد ملكان فى قول كثير من الناس وولد لقحطان احد وثلاثون ذكرا وأمهم حبى بنت روق بن فزارة بن سعد بن سويد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح فولد قحطان يعرب بن قحطان وولد يعرب يشجب وولد يشجب ولدين أحدهما عبد شمس وهو سبا بن يشجب وانما سمى سبا لسبيه السبايا فولد سبا حمير وكهلان ابنى

كتابهما فقرأه ودفع اليه وائل كتاب شريح بن هانئ فاذا فيه بلغنى ان زيادا كتب شهادتى وان شهادتى على حجر انه ممن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حرام الدم والمال فان شئت فاقتله وان شئت فدعه فقال معاوية ما أرى هذا الا قد أخرج نفسه من شهادتكم وحبس القوم بمرج عذراء فوصل اليهم الرجلان اللذان ألحقهما زياد بحجر وأصحابه فلما وصلا سار عامر بن الاسود العجلى الى معاوية ليعلمه بهما فقام اليه حجر بن عدى فى قيوده فقال له أبلغ معاوية ان دماءنا عليه حرام وأخبره انا قد أومنا وصالحناه وصالحنا وانا لم نقتل أحدا من أهل القبلة فيحل له دماؤنا فدخل عامر على معاوية فاخبره بالرجلين فقام يزيد بن أسد البجلى فاستوهبه ابنى عمه وهما عاصم وورقاء وكان جرير بن عبد الله البجلى قد كتب فيهما يزكيهما ويشهد لهما بالبراءة مما شهد عليهما فاطلقهما معاوية وشفع وائل بن حجر فى الارقم فتركه له وشفع أبو الاعور السلمى فى عتبة بن الاخنس فتركه وشفع حمزة بن مالك الهمدانى فى سعد بن نمران فوهبه له وشفع حبيب بن مسلمة فى ابن حوية فتركه له وقام مالك بن هبيرة السكونى فقال دع لى ابن عمى حجرا فقال له هو رأس القوم وأخاف ان خليت سبيله أن يفسد على مصره فيحتاج ان نشخصك اليه بالعراق فقال والله ما أنصفتنى يا معاوية قاتلت معك ابن عمك يوم صفين حتى ظفرت وعلا كعبك ولم تخف الدوائر ثم سألتك ابن عمى فمنعتنى ثم انصرف فجلس فى بيته فبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعى والحصين بن عبد الله الكلابى وأبا شريف البدى الى حجر وأصحابه ليقتلوا من أمر بقتله منهم فاتوه عند المساء فلما رأى الخثعمى أحدهم أعور قال يقتل نصفنا وينرك نصفنا فتركوا ستة وقتلوا ثمانية وقالوا لهم قبل القتل انا قد أمرنا ان نعرض عليكم البراءة من على واللعن له فان فعلتم تركناكم وان أبيتم قتلناكم فقالوا لسنا فاعلى ذلك فامر فحفرت القبور وأحضرت الاكفان وقام حجر وأصحابه يصلون عامة الليل فلما كان الغد قدموهم ليقتلوهم فقال لهم حجر بن عدى اتركونى أتوضأ وأصلى فانى ما توضأت الا صليت فتركوه فصلى ثم انصرف منها وقال والله ما صليت صلاة قط أخف منها ولولا ان تظنوا فى جزعا من الموت لاستكثرت منها ثم قال اللهم انا نستعديك على أمتنا فان أهل الكوفة شهدوا علينا وان أهل الشام يقتلوننا اما والله لئن قتلتمونى بها فانى لاول فارس من المسلمين هلك فى واديها وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها ثم مشى اليه هدبة بن فياض بالسيف فارتعد فقالوا له زعمت انك لا تجزع من الموت فابرأ من صاحبك وندعك فقال ومالى لا أجزع وأرى قبرا محفورا وكفنا منشورا وسيفا مشهورا وانى والله ان جزعت من القتل لا أقول ما يسخط الرب فقتلوه وقتلوا ستة فقال عبد الرحمن بن حسان العنزى وكريم الخثعمى ابعثوا بنا الى أمير المؤمنين فنحن نقول فى هذا الرجل مثل مقالته فاستأذنوا معاوية فيهما فاذن باحضارهما فلما دخلا عليه قال الخثعمى الله الله يا معاوية فانك منقول من هذه الدار الزائلة الى الدار الآخرة الدائمة ثم مسؤل عما أردت بسفك دمائنا فقال له ما تقول فى على قال أقول فيه قولك قال أتبرأ من دين على الذى يدين الله به فسكت وقام شمر بن عبد الله من بنى قحافة بن خثعم فاستوهبه فوهبه له على ان لا يدخل الكوفة فاختار الموصل فكان يقول لو مات معاوية قدمت الكوفة فمات قبل معاوية بشهر ثم قال لعبد الرحمن بن حسان يا أخا ربيعة ما تقول فى على قال دعنى ولا تسألنى فهو خير لك قال والله لا أدعك قال أشهد انه كان من الذاكرين الله تعالى كثيرا من الآمرين بالحق والقائمين بالقسط والعافين عن الناس قال فما قولك فى عثمان قال هو أول من فتح أبواب الظلم وأغلق أبواب الحق قال قتلت نفسك قال بل اياك قتلت ولا ربيعة

بالوادى

سبا والثانى لم يعقب وانما العقب من ولد هذين وهما حمير وكهلان فهذا المتفق عليه عند أهل الخبرة بهما والمتيقن لديهم وكان الهيثم ابن عدى الطائى يقول اسمعيل تكلم بلغة جرهم لان اسمعيل كان سريانى اللسان على لغة أبيه خليل الرحمن حين أسكنه هو وأمه هاجر بمكة على ما ذكرنا فصاهر جرهم ونشأ على لغتها

بالوادى يعنى ليشفعوا فيه فرده معاوية الى زياد وأمره ان يقتله شر قتلة فدفنه حيا فكان الذين قتلوا حجر بن عدى وشريك بن شداد الحضرمى وصيفى بن فسيل الشيبانى وقبيصة بن ضبيعة العبسى ومحرز بن شهاب السعدى التميمى وكدام بن حيان العنزى وعبد الرحمن بن حسان العنزى الذى دفنه زياد حيا فهؤلاء السبعة قتلوا ودفنوا وصلى عليهم قيل ولما بلغ الحسن البصرى قتل حجر وأصحابه قال صلوا عليهم وكفنوهم ودفنوهم واستقبلوا بهم القبلة قالوا نعم قال حجوهم ورب الكعبة وأما مالك بن هبيرة السكونى حين لم يشفعه معاوية فى حجر فجمع قومه وسار بهم الى عذراء ليخلص حجرا وأصحابه فلقيته قتلتهم فلما رأوه علموا انه جاء ليخلص حجرا فقال لهم ما وراءكم قالوا قد تاب القوم وجئنا لنخبر أمير المؤمنين فسكت وسار الى عذراء فلقيه بعض من جاء منها فأخبره بقتل القوم فأرسل الخيل فى أثر قتلتهم فلم يدركوهم ودخلوا على معاوية فأخبروه فقال لهم انما هى حرارة يجدها فى نفسه وكأنها طفئت وعاد مالك الى بيته ولم يأت معاوية فلما كان الليل أرسل اليه معاوية بمائة ألف درهم وقال ما منعنى أن أشفعك الا خوفا ان يعيدوا الناس حربا فيكون فى ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر فأخذها وطابت نفسه ولما بلغ خبر حجر عائشة أرسلت عبد الرحمن بن الحرث الى معاوية فيه وفى أصحابه فقدم عليه وقد قتلهم فقال له عبد الرحمن أين غاب عنك حلم أبى سفيان قال حين غاب عنى مثلك من حلماء قومى وحملنى ابن سمية فاحتملت وقالت عائشة لولا انا لم نغير شيئا الا صارت بنا الامور الى ما هو أشد منه لغيرنا قتل حجر أما والله ان كان ما علمت لمسلما حجاجا معتمرا وقال الحسن البصرى أربع خصال كن فى معاوية لو لم تكن فيه الا واحدة لكانت موبقة انتزاؤه على هذه الامة بالسيف حتى أخذ الامر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة واستخلافه بعده ابنه سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجرا وأصحاب حجر فيا ويلا له من حجر ويا ويلا له من حجر وأصحاب حجر قيل وكان الناس يقولون أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن على وقتل حجر ودعوة زياد وقالت هند بنت زيد الانصارية ترثى حجرا وكانت تتشيع

ترفع أيها القمر المنير ❊ تبصر هل ترى حجرا يسير

يسير الى معاوية بن حرب ❊ ليقتله كما زعم الامير

تجبرت الجبابر بعد حجر ❊ وطاب لها الخورنق والسدير

وأصبحت البلاد له محولا ❊ كأن لم يحيها مزن مطير

الا يا حجر حجر بنى عدى ❊ تلقتك السلامة والسرور

أخاف عليك ما أردى عديا ❊ وشيخا فى دمشق له زئير

فان تهلك فكل زعيم قوم ❊ من الدنيا الى هلك يصير

وقد قيل فى قتله غير ما تقدم وهو ان زيادا خطب يوم جمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة فقال له حجر بن عدى الصلاة فمضى فى خطبته فقال له الصلاة فمضى فى خطبته فلما خشى حجر بن عدى فوت الصلاة ضرب بيده الى كف من حصى وقام الى الصلاة وقام الناس معه فلما رأى زياد ذلك نزل فصلى بالناس وكتب الى معاوية وكثر عليه فكتب اليه معاوية ليشده فى الحديد ويرسله اليه فلما أراد أخذه قام قومه ليمنعوه فقال حجر لا ولكن سمعا وطاعة فشد فى الحديد وحمل الى معاوية فلما دخل عليه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال معاوية أمير المؤمنين أنا والله

ونطق بكلامها وزعم آخرون أن يكون اسمعيل نشأ على لغة جرهم ويقولون ان الله عز وجل أعطاه هذه اللغة وذلك أن ابراهيم خلفه هو وأمه هاجر واسمعيل ابن ست عشرة سنة وقيل ابن

لا آقيلك ولا استقيلك أخرجوه فاضربوا عنقه فقال حجر الذين يلون أمره دعونى حتى أصلى ركعتين فقال الواصل فصلى ركعتين خفف فيهما ثم قال لولا ان تظنوا بى غير الذى اردت لاطلتهما وقال لمن حضره من قومه لا تطلقوا عنى حديدا ولا تغسلوا عنى دما فانى لاق معاوية غدا على الجادة وضربت عنقه قال فلقيت عائشة معاوية فقالت له أين كان حلمك عن حجر فقال لم يحضرنى رشيد قال ابن سيرين بلغنا ان معاوية لما حضرته الوفاة جعل يقول يومى منك يا حجر طويل (عباد بضم العين وفتح الباء الموحدة وتخفيفها)

﴿ ذكر استعمال الربيع على خراسان ﴾

وفى هذه السنة وجه زياد ربيع بن زياد الحارثى أميرا على خراسان وكان الحكم بن عمرو الغفارى قد استخلف عند موته أنس بن أبى أناس فعزله زياد وولى خليد بن عبد الله الحنفى ثم عزله وولى الربيع بن زياد أول سنة احدى وخمسين وسير معه خمسين ألفا بعيالاتهم من أهل الكوفة والبصرة منهم بريدة بن الحصيب وأبو برزة ولهما صحبة فسكنوا خراسان فلما قدمها غزا بلخ ففتحها صلحا وكانت قد أغلقت بعد ما صالحهم الاحنف بن قيس فى قول بعضهم وفتح قهستان عنوة وقتل من بناحيتها من الاتراك وبقى منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن مسلم فى ولايته

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة مات جرير بن عبد الله البجلى وقيل سنة أربع وخمسين وكان اسلامه فى السنة التى توفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها مات سعيد بن زيد وقيل سنة اثنتين وقيل ثمان وخمسين ودفن بالمدينة وهو أحد العشرة وأبو بكرة نفيع بن الحرث له صحبة وهو أخو زياد لامه وفيها ماتت ميمونة بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم بسرف وفيه دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ماتت سنة ثلاث وستين وقيل ست وستين وحج بالناس هذه السنة يزيد بن معاوية وكان العمال بهذه السنة من تقدم ذكرهم (بريدة بضم الباء الموحدة وفتح الراء المهملة والحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وآخره باء موحدة)

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ﴾

فيها كانت غزوة سفيان بن عوف الاسدى الروم وشتى بارضهم وتوفى بها فى قول فاستخلف عبد الله بن مسعدة الفزارى وقيل ان الذى شتى هذه السنة بارض الروم بسر بن أبى ارطاة ومعه سفيان بن عوف وغزا الصائفة هذه السنة محمد بن عبد الله الثقفى

﴿ ذكر خروج زياد بن خراش العجلى ﴾

وفى هذه السنة خرج زياد بن خراش العجلى فى ثلثمائة فارس فاتى أرض مسكن من السواد فسير اليه زياد خيلا عليها سعد بن حذيفة أو غيره فقتلوهم وقد صاروا الى ماه

﴿ ذكر خروج معاذ الطائى ﴾

وخرج على زياد أيضا رجل من طىء يقال له معاذ فأتى نهر عبد الرحمن بن أم الحكم فى ثلاثين رجلا هذه السنة فبعث اليه زياد من قتله وأصحابه وقيل بل حل لواءه واستأمن ويقال لهم أصحاب نهر عبد الرحمن

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس سعيد بن العاص وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها مات عمران بن الحصين الخزاعى بالبصرة وأبو أيوب الانصارى واسمه خالد بن زيد شهد العقبة وبدرا وقد تقدم انه توفى سنة تسع

أربع عشرة سنة فى واد غير ذى زرع ولا أنيس فحفظهما الله تعالى وأنبع لهما زمزم وعلم اسمعيل هذه اللغة العربية قالوا ولغة جرهم غير هذه اللغة ووجدنا لغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد فهذا يقضى بابطال قول من قال ان

واربعين عند القسطنطينية وكعب بن عجرة وله خمس وسبعون سنة

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ﴾

فيها كان مشتى عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفى بأرض الروم وفيها فتحت رودس جزيرة فى البحر فتحها جنادة بن أبى أمية الازدى ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم وكانوا أشد شىء على الروم يعترضونهم فى البحر فياخذون سفنهم وكان معاوية يدر لهم العطاء وكان العدو قد خافهم فلما توفى معاوية أقفلهم ابنه يزيد وقيل فتحت سنة ستين

﴿ ذكر وفاة زياد ﴾

وفى هذه السنة توفى زياد بن أبيه بالكوفة فى شهر رمضان وكان سبب موته انه كتب الى معاوية انى قد ضبطت العراق بشمالى ويمينى فارغة فاشغلها بالحجاز فكتب له عهده على الحجاز فبلغ أهل الحجاز فاتى نفر منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب فذكروا ذلك فقال ادعوا الله عليه ثم استقبل القبلة ودعا ودعوا معه وكان من دعائه ان قال اللهم اكفنا شر زياد فخرجت طاعونة على اصبع يمينه فمات منها فلما حضرته الوفاة دعا شريحا القاضى فقال له قد حدث ما ترى وقد أمرت بقطعها فاشر على فقال له شريح انى أخشى أن يكون الاجل قد دنا فتلقى الله أجذم وقد قطعت يدك كراهية لقائه أو ان يكون فى الاجل تأخير فتعيش أجذم وتعير ولدك فقال لا أبيت والطاعون فى لحاف واحد فخرج شريح من عنده فسأله الناس فاخبرهم فلاموه وقالوا هلا أشرت بقطعها فقال المستشار مؤتمن وأراد زياد قطعها فلما نظر الى النار والمكاوى جزع وتركه وقيل بل تركه لما أشار عليه شريح بتركه ولما حضرته الوفاة قال له ابنه قد هيأت لك ستين ثوبا أكفنك بها فقال له يا بنى قد دنا من أبيك لباس هو خير من لباسه أو سلب سريع فمات ودفن بالثوية الى جانب الكوفة فلما بلغ موته ابن عمر قال اذهب ابن سمية لا الآخرة أدركت ولا الدنيا بقيت عليك وكان مولده سنة احدى من الهجرة قال مسكين الدارمى يرثيه

رأيت زيادة الاسلام ولت * جهارا حين ودعنا زياد

فقال الفرزدق يجيبه ولم يكن هجا زيادا حتى مات

أمسكين أبكى الله عينيك انما * جرى فى ضلال دمعها فتحدرا

بكيت امرأ من أهل ميسان كافرا * ككسرى على عدانه أو كقيصرا

أقول له لما أتانى نعيه * به لا بظبى بالصريمة أعفرا

وكان زياد فيه حمرة وفى عينه اليمنى انكسار أبيض اللحية مخروطها عليه قميص ربما رقعه

﴿ ذكر وفاة الربيع ﴾

وفيها مات الربيع بن زياد الحارثى عامل على خراسان من قبل زياد وكان سبب موته انه سخط قتل حجر بن عدى حتى انه قال لا تزال العرب تقتل صبرا بعده ولو نفرت عند قتله لم يقتل رجل منهم صبرا ولكنها أقرت فذلت ثم مكث بعد هذا الكلام جمعة ثم خرج يوم الجمعة فقال أيها الناس انى قد مللت الحياة وانى داع بدعوة فامنوا ثم رفع يديه بعد الصلاة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فاقبضنى اليك عاجلا وامن الناس ثم خرج فما توارت ثيابه حتى سقط فحمل الى بيته واستخلف ابنه عبد الله ومات من يومه ثم مات ابنه بعده بشهرين واستخلف خليد بن يربوع الحنفى فاقره زياد ولما مات زياد كان على البصرة سمرة بن جندب وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد فاقر سمرة على البصرة ثمانية عشر شهرا وقيل ستة أشهر ثم عزله معاوية فقال سمرة لعن الله معاوية والله

اسمعيل اعرف بلغة جرهم ولو وجب أن يكون اسمعيل عربى اللسان لاجل جرهم لوجب أن تكون لغته موافقة للغة جرهم أو لغيرها ممن نزل مكة وقد وجدنا قحطان سريانى اللسان وولده يعرب بخلاف لسانه وليس

لو أطعت الله كما أطعته ما عذبني أبدا وجاء رجل الى سمرة فأدى زكاة ماله ثم دخل المسجد فصلى فأمر سمرة بقتله فقتل فمر به أبو بكرة فقال يقول الله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى قال وما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير فمات شر ميتة (الثوية بضم الثاء المثلثة وفتح الواو والياء تحتها نقطتان موضع فيه مقبرة)

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

حج بالناس هذه السنة سعيد بن العاص وكان عامل المدينة وخرجت هذه السنة وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى البصرة سمرة وعلى خراسان خليد بن يربوع الحنفي (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وسكون الياء المعجمة باثنتين من تحتها) وفيها مات عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بطريق مكة في نومة نامها وقيل توفي بعد ذلك وفيها توفي فيروز الديلمي وكانت له صحبة وكان معاوية قد استعمله على صنعاء وفيها مات عمرو بن حزم الانصاري وفيها مات فضالة بن عبيد الانصاري بدمشق وكان قاضيا لمعاوية وقيل مات آخر أيام معاوية وقيل غير ذلك شهد أحدا وما بعدها

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين ﴾

﴿ ذكر غزوة الروم وفتح جزيرة أرواد ﴾

فيها كان مشتى محمد بن مالك بأرض الروم وصائفة معن بن يزيد السلمي وفيها فتح المسلمون ومقدمهم جنادة بن أبي أمية جزيرة أرواد قرب القسطنطينية فأقاموا بها سبع سنين وكان معهم مجاهد بن جبر فلما مات معاوية وولي ابنه يزيد أمرهم بالعود فعادوا

﴿ ذكر عزل سعيد عن المدينة واستعمال مروان ﴾

وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة واستعمل مروان وكان سبب ذلك ان معاوية كتب الى سعيد بن العاص ان يهدم دار مروان ويقبض أمواله كلها ليجعلها صافية ويقبض منه فدك وكان وهبها له فراجعه سعيد بن العاص في ذلك فأعاد معاوية الكتاب بذلك فلم يفعل سعيد ووضع الكتابين عنده فعزله معاوية وولى مروان وكتب اليه يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص وهدم داره فأخذ الفعلة وسار الى دار سعيد ليهدمها فقال له سعيد يا أبا عبد الملك أتهدم داري قال نعم كتب الى أمير المؤمنين ولو كتب اليك في هدم داري لفعلت فقال ما كنت لأفعل قال بلى والله قال كلا وقال لغلامه ائتني بكتاب معاوية فجاءه بالكتابين فلما رآهما مروان قال كتب اليك فلم تفعل ولم تعلمني فقال سعيد ما كنت لأمن عليك وانما أراد معاوية ان يحرض بيننا فقال مروان أنت والله خير مني وعاد ولم يهدم دار سعيد وكتب سعيد الى معاوية العجب مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا انه يضغن بعضنا على بعض فأمير المؤمنين في حلمه وصبره على ما يكره من الاخبثين وعفوه وادخاله القطيعة بيننا والشحناء وتوارث الاولاد ذلك فوالله لو لم نكن أولاد أب واحد لما جمعنا الله عليه من نصرة أمير المؤمنين الخليفة المظلوم وباجتماع كلمتنا لكان حقا على أمير المؤمنين ان يرعى ذلك فكتب اليه معاوية يعتذر من ذلك ويتنصل وانه عائد الى أحسن ما يعهده وقدم سعيد على معاوية فسأله عن مروان فأثنى عليه خيرا فقال له معاوية ما باعد بينه وبينك قال خافني على شرفه وخفته على شرفي قال فما ذا له عندك قال أسره شاهدا وغائبا

﴿ ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على خراسان ﴾

وفي هذه السنة عزل معاوية سمرة بن جندب واستعمل على البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان

منزلة يعرب عند الله أعلى من منزلة اسمعيل ولا منزلة قحطان أعلى من منزلة ابراهيم فأعطاه فضيلة اللسان العربي التي أعطيها يعرب بن قحطان ولولد نزار وولد قحطان خطب طويل ومناظرات

سنة أشهر وفيها استعمل معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان وكان سبب ولايته انه قدم عليه بعد موت أبيه فقال له معاوية من استعمل أبوك على الكوفة والبصرة فأخبره فقال لو استعملك أبوك لاستعملتك فقال عبيد الله انشدك الله ان يقولها الي أحد بعدك لو استعملك أبوك وعمك لاستعملتك فولاه خراسان وقال له اتق الله ولا تؤثرن على تقواه شيئا فان في تقواه عوضا وقر عرضك من ان تدنسه واذا أعطيت عهدا فف به ولا تبيعن كثيرا بقليل ولا يخرجن منك أمر حتى تبرمه فاذا خرج فلا يردن عليك واذا لقيت عدوك فغلبوك على ظهر الارض فلا يغلبوك على بطنها ولا تطمعن أحدا في غير حقه ولا تؤيسن أحدا من حق هو له ثم ودعه وكان عمر عبيد الله خمسا وعشرين سنة وسار الى خراسان فقطع النهر الى جبال بخارا على الابل فكان أول من قطع جبال بخارا في جيش ففتح رامني ونسف وبيكند وهي من بخارا ثم أصاب البخارية وغنم منهم غنائم كثيرة ولما لقي الترك وهزمهم كان مع ملكهم زوجته فعجلوها عن لبس خفيها فلبست أحدهما وبقي الآخر فأخذه المسلمون فقوم بمائتي ألف درهم وكان قتاله الترك من زحوف خراسان التي تذكر فظهر منه بأس شديد وأقام بخراسان سنتين

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس هذه السنة مروان بن الحكم وهو أمير المدينة وكان على الكوفة عبد الله بن خالد وقيل الضحاك بن قيس وعلى البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان وفي هذه السنة توفي أبو قتادة الانصاري وعمره سبعون سنة وقيل مات سنة أربعين وصلى عليه علي وكبر عليه سبعا وشهد مع علي حروبه كلها وهو بدري وفيها توفي حويطب بن عبد العزى وله مائة وعشرون سنة وفيها توفي ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد وقيل توفي أسامة سنة ثمان وخمسين وفيها توفي سعيد بن يربوع بن عنكثة وكان عمره مائة وأربعا وعشرين سنة وله صحبة ومخرمة بن نوفل وهو من مسلمة الفتح وعمره مائة سنة وخمس عشرة سنة وعبد الله بن أنيس الجهني وفيها قتل زيد بن شجرة الرهاوي في غزوة غزاها وقيل سنة ثمان وخمسين

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين ﴾

في هذه السنة كان مشتى سفيان بن عوف الازدي في قول وقيل بل الذي شتى هذه السنة عمرو ابن محرز وقيل بل عبد الله بن قيس الفزاري وقيل بل مالك بن عبد الله

﴿ ذكر ولاية ابن زياد البصرة ﴾

في هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة وولاها عبيد الله بن زياد وكان سبب ذلك ان عبد الله خطب على منبر البصرة فحصبه رجل من بني ضبة فقطع يده فأتاه بنو ضبة وقالوا ان صاحبنا جنى ما جنى وقد عاقبته ولا نأمن أن يبلغ خبرنا أمير المؤمنين فيعاقب عقوبة تعم فاكتب لنا كتابا الى أمير المؤمنين يخرج به أحدنا اليه يخبره انك قطعت على شبهة وأمر لم يتضح فكتب لهم فلما كان رأس السنة توجه عبد الله الى معاوية ووافاه الضبيون بالكتاب وادعوا انه قطع صاحبهم ظلما فلما رأى معاوية الكتاب قال أما القود من عمالي فلا سبيل اليه ولكن أدي صاحبكم من بيت المال وعزل عبد الله عن البصرة واستعمل ابن زياد عليها فولى ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة الكلابي فلم يغز ولم يفتح بها شيئا

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد عن الكوفة وولاها الضحاك بن قيس وقيل ما تقدم وفيها مات

كثيرة لا يأتي عليها كتابنا هذا في التنازع والتفاخر بالانبياء والملوك وغير ذلك مما قد أتينا على ذكر جمل من حجاجهم وما أدلى به كل فريق منهم ممن سلف وخلف وكذلك مناظرات السودان والبيضان

لارقم بن أبى الارقم المخزومى وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختفى فى داره بمكة وكان عمره ثمانين سنة وزيادة وقيل مات يوم مات أبو بكرة وفيها توفى أبو اليسر كعب بن عمرو الانصارى وهو بدرى وشهد صفين مع على وقيل توفى قبل وحج بالناس هذه السنة مروان بن الحكم

﴿ثم دخلت سنة ست وخمسين﴾

فيها كان مشتى جنادة بن أبى أمية بارض الروم وقيل عبد الرحمن بن مسعود وقيل غزا فيها فى البحر يزيد بن شجرة وفى البر عياض بن الحرث واعتمر معاوية فيها فى رجب وحج بالناس الوليد بن عتبة ابن أبى سفيان

﴿ذكر البيعة ليزيد بولاية العهد﴾

وفى هذه السنة بايع الناس يزيد بن معاوية بولاية عهد أبيه وكان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة بن شعبة فان معاوية أراد ان يعزله عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص فبلغه ذلك فقال الرأى ان أشخص الى معاوية فاستعفيه ليظهر للناس كراهتى للولاية فسار الى معاوية وقال لاصحابه حين وصل اليه ان لم أكسبكم الآن ولاية وامارة لا أفعل ذلك أبدا ومضى حتى دخل على يزيد وقال له انه قد ذهب اعيان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وآله وكبراء قريش وذوو اسنانهم وانما بقى أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا وأعلمهم بالسنة والسياسة ولا أدرى ما يمنع أمير المؤمنين ان يعقد لك البيعة قال أوترى ذلك يتم قال نعم فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة فاحضر المغيرة وقال له ما يقول يزيد فقال يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفى يزيد منك خلف فاعقد له فان حدث بك حادث كان كهفا للناس وخلفا منك ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة قال ومن لى بهذا قال أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد أهل البصرة وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك قال فارجع الى عملك وتحدث مع من تثق اليه فى ذلك وترى ونرى فودعه ورجع الى أصحابه فقالوا مه قال لقد وضعت رجل معاوية فى غرز بعيد الغاية على أمة محمد وفتقت عليهم فتقا لا يرتق أبدا وتمثل

بمثلى شاهدى النجوى وغالى * بى الاعداء والخصم الغضابا

وسار المغيرة حتى قدم الكوفة وذاكر من يثق اليه ومن يعلم انه شيعة لبنى أمية أمر يزيد فاجابوا الى بيعته فأوفد منهم عشرة ويقال اكثر من عشرة واعطاهم ثلاثين ألف درهم وجعل عليهم ابنه موسى بن المغيرة وقدموا على معاوية فزينوا له بيعة يزيد ودعوه الى عقدها فقال معاوية لا تعجلوا باظهار هذا وكونوا على رأيكم ثم قال لموسى بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم قال بثلاثين ألفا قال لقد هان عليهم دينهم وقيل أرسل أربعين رجلا وجعل عليهم ابنه عروة فلما دخلوا على معاوية قاموا خطباء فقالوا انما أشخصهم اليه النظر لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا يا أمير المؤمنين كبرت سنك وخفنا انتشار الحبل فانصب لنا علما وحد لنا حدا ننتهى اليه فقال اشيروا على فقالوا نشير بيزيد ابن أمير المؤمنين فقال أو قد رضيتموه قالوا نعم قال وذلك رأيكم قالوا نعم ورأى من وراءنا فقال معاوية لعروة سرا عنهم بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم قال باربعمائة دينار قال لقد وجد دينهم عندهم رخيصا وقال لهم ننظر ما قدمتم له ويقضى الله ما أراد والاناة خير من العجلة فرجعوا وقوى عزم معاوية على البيعة ليزيد فارسل الى زياد يستشيره فأحضر زياد عبيد بن كعب النميرى وقال له ان لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع وان الناس قد أبدع بهم خصلتان اذاعة السر واخراج النصيحة الى غير أهلها وليس موضوع

والعرب والعجم ومناظرات الشعوبية فى كتابنا أخبار الزمان * وزعم الهيثم بن عدى أن جرهم بن عابر بن سبا بن يقطن هو قحطان وتأول الهيثم قول النبى صلى الله عليه وسلم حين قال للرماة من الانصار ارموا يا بنى اسمعيل أنه عليه

الامر الا أحد رجلين رجل آخرة يرجو ثوابها ورجل دنيا له شرف فى نفسه وعقل يصون حسبه وقد خبرتهما منك وقد دعوتك لامر اتهمت عليه بطون الصحف ان أمير المؤمنين كتب يستشيرنى فى كذا وكذا وانه يتخوف نفرة الناس ويرجو طاعتهم وعلاقة أمر الاسلام وضمانه عظيم ويزيد صاحب رسلة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد فالق أمير المؤمنين وأد اليه فعلات يزيد وقل له رويدك بالامر فاحرى لك ان يتم لك لا تعجل فان دركا فى تأخير خير من فوت فى عجلة فقال له عبيد أفلا غير هذا قال وما هو قال لا تفسد على معاوية رأيه ولا تبغض اليه ابنه وألقى انا يزيد فاخبره ان أمير المؤمنين كتب اليك يستشيرك فى البيعة له وانك تتخوف خلاف الناس عليه لهنات ينقمونها عليه وانك ترى له ترك ما ينقم عليه لتستحكم له الحجة على الناس ويتم ما تريد فتكون قد نصحت أمير المؤمنين وسلمت مما تخاف من أمر الامة فقال زياد لقد رميت الامر بحجره أشخص على بركة الله فان أصبت فما لا ينكر وان يكن خطأ فغير مستغش وتقول بما ترى ويقضى الله بغيب ما يعلم فقدم على يزيد فذكر ذلك له فكف عن كثير مما كان يصنع وكتب زياد معه الى معاوية يشير بالتؤدة وان لا يعجل فقبل منه فلما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد فارسل الى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر هذا أراد ان دينى عندى اذن لرخيص وامتنع ثم كتب معاوية بعد ذلك الى مروان بن الحكم انى قد كبرت سنى ودق عظمى وخشيت الاختلاف على الامة بعدى وقد رأيت ان أتخير لهم من يقوم بعدى وكرهت ان أقطع أمرا دون مشورة من عندك فاعرض ذلك عليهم واعلمنى بالذى يردون عليك فقام مروان فى الناس فاخبرهم به فقال الناس أصاب ووفق وقد أحببنا ان يتخير لنا فلا يألو فكتب مروان الى معاوية بذلك فاعاد عليه الجواب يذكر يزيد فقام مروان فيهم وقال ان أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد بعده فقام عبد الرحمن بن أبى بكر فقال كذبت والله يا مروان وكذب معاوية ما الخيار أردتما لامة محمد ولكنكم تريدون ان تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل فقال مروان هذا الذى أنزل الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما الآية فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت يا مروان يا مروان فانصت الناس وأقبل مروان بوجهه فقالت أنت القائل لعبد الرحمن انه نزل فيه القرآن كذبت والله ما هو به ولكنه فلان بن فلان ولكنك أنت فضض من لعنة نبى الله وقام الحسين بن على فانكر ذلك وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير فكتب مروان بذلك الى معاوية وكان معاوية قد كتب الى عماله بتقريظ يزيد ووصفه وان يوفدوا اليه الوفود من الامصار فكان فيمن أتاه محمد بن عمرو بن حزم من المدينة والاحنف بن قيس فى وفد أهل البصرة فقال محمد بن عمرو لمعاوية ان كل راع مسؤل عن رعيته فانظر من تولى أمر أمة محمد فاخذ معاوية بهر حتى جعل يتنفس فى يوم شات ثم وصله وصرفه وأمر الاحنف ان يدخل على يزيد فدخل عليه فلما خرج من عنده قال له كيف رأيت ابن أخيك قال رأيت شبابا ونشاطا وجلدا ومزاحا ثم ان معاوية قال للضحاك بن قيس الفهرى لما اجتمع الوفود عنده انى متكلم فاذا سكت فكن أنت الذى تدعو الى بيعة يزيد وتحثنى عليها فلما جلس معاوية للناس تكلم فعظم أمر الاسلام وحرمة الخلافة وحقها وما أمر الله به من طاعة ولاة الامر ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة وعرض ببيعته فعارضه الضحاك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أمير المؤمنين انه لا بد للناس من وال بعدك وقد بلونا الجماعة والالفة فوجدناهما أحقن للدماء وأصلح للدهماء وآمن للسبل وخيرا فى العاقبة والايام عوج رواجع والله كل يوم هو فى شأن ويزيد ابن أمير المؤمنين فى

السلام نسبهم الى اسمعيل من جهة الامهات وما نالهم من الولايات من ولد اسمعيل لان النبى صلى الله عليه وسلم لا يزيل نسبا قد ثبت ولا يثبت نسب قوم

حسن هديه وقصد سيرته على ما علمت وهو من أفضلنا علما وحلما وأبعدنا رأيا فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك ومفزعا نلجأ اليه ونسكن فى ظله وتكلم عمرو بن سعيد الاشدق بنحو من ذلك ثم قام يزيد بن المقنع العذرى فقال هذا أمير المؤمنين وأشار الى معاوية فان هلك فهذا وأشار الى يزيد ومن أبى فهذا وأشار الى سيفه فقال معاوية اجلس فأنت سيد الخطباء وتكلم من حضر من الوفود فقال معاوية للاحنف ما تقول يا أبا بحر فقال نخافكم ان صدقنا ونخاف الله ان كذبنا وأنت يا أمير المؤمنين اعلم بيزيد فى ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه فان كنت تعلمه لله تعالى وللامة رضا فلا تشاور فيه وان كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر الى الآخرة وانما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا وقام رجل من أهل الشام فقال ما ندرى ما تقول هذه المعدية العراقية وانما عندنا سمع وطاعة وضرب وازدلاف فتفرق الناس يحكون قول الاحنف وكان معاوية يعطى المقارب ويدارى المباعد ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس وبايعه فلما بايعه أهل العراق والشام سار الى الحجاز فى ألف فارس فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن على أول الناس فلما نظر اليه قال لا مرحبا ولا أهلا بدنة يترقرق دمها والله مهريقه قال مهلا فانى والله لست بأهل لهذه المقالة قال بلى ولشر منها ولقيه ابن الزبير فقال لا مرحبا ولا أهلا خب ضب تلعة يدخل رأسه ويضرب بذنبه ويوشك والله ان يؤخذ بذنبه ويدق ظهره نحياه عنى فضرب وجه راحلته ثم لقيه عبد الرحمن بن أبى بكر فقال له معاوية لا أهلا ولا مرحبا شيخ قد خرف وذهب عقله ثم أمر فضرب وجه راحلته ثم فعل بابن عمر نحو ذلك فأقبلوا معه لا يلتفت اليهم حتى دخل المدينة فحضروا بابه فلم يؤذن لهم على منازلهم ولم يروا منه ما يحبون فخرجوا الى مكة فأقاموا بها وخطب معاوية بالمدينة فذكر يزيد فمدحه وقال من أحق منه بالخلافة فى فضله وعقله وموضعه وما أظن قوما بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم وقد أنذرت ان أغنت النذر ثم أنشد متمثلا

قد كنت حذرتك آل المصطلق ❊ وقلت يا عمرو أطعنى وانطلق

انك ان كلفتنى ما لم أطق ❊ ساءك ما سرك منى من خلق

دونك ما استسقيته فاحس وذق

ثم دخل على عائشة وقد بلغها انه ذكر الحسين وأصحابه فقال لاقتلنهم ان لم يبايعوا فشكاهم اليها فوعظته وقالت له بلغنى انك تتهددهم بالقتل فقال يا أم المؤمنين هم أعز من ذلك ولكنى بايعت ليزيد وبايعه غيرهم افترين ان أنقض بيعة قد تمت قالت فارفق بهم فانهم يصيرون الى ما تحب ان شاء الله قال افعل وكان فى قولها له ما يؤمنك ان أقعد لك رجلا يقتلك وقد فعلت بأخى ما فعلت تعنى أخاها محمدا فقال لها كلا يا أم المؤمنين انى فى بيت أمن قالت أجل ومكث بالمدينة ما شاء الله ثم خرج الى مكة فلقيه الناس فقال أولئك النفر نتلقاه فلعله قد ندم على ما كان منه فلقوه ببطن مر فكان أول من لقيه الحسين فقال له معاوية مرحبا وأهلا يا ابن رسول الله وسيد شباب المسلمين فأمر له بدابة فركب وسايره ثم فعل بالباقين مثل ذلك وأقبل يسايرهم لا يسير معه غيرهم حتى دخل مكة فكانوا أول داخل وآخر خارج ولا يمضى يوم الا ولهم صلة ولا يذكر لهم شيأ حتى قضى نسكه وحمل اثقاله وقرب مسيره فقال بعض أولئك النفر لبعض لا تخدعوا فما صنع بكم هذا لحبكم وما صنعه الا لما يريد فأعدوا له جوابا فاتفقوا على ان يكون المخاطب له ابن الزبير فأحضرهم معاوية وقال قد علمتم سيرتى فيكم وصلتى لارحامكم وحملى ما كان منكم ويزيد أخوكم وابن عمكم وأردت ان تقدموه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمرون وتجبون المال

الى غيرآبائهم وقد نقلوا ذلك قولا وعملا وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أن سائلا سأله من مراد عن سبا أرجلا كان أو امرأة أو واديا أوجبلا فقال له كان رجلا

وتقسمونه

وتقسمونه لا يعارضكم فى شئ من ذلك فسكتوا فقال ألا تجيبون مرتين ثم اقبل على ابن الزبير فقال هات لعمرى انك خطيبهم فقال نعم نخيرك بين ثلاث خصال قال اعرضهن قال تصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كما صنع أبو بكر او كما صنع عمر قال معاوية ما صنعوا قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف أحدا فارتضى الناس أبا بكر قال ليس فيكم مثل أبى بكر وأخاف الاختلاف قالوا صدقت فاصنع كما صنع أبو بكر فانه عهد الى رجل من قاصية قريش ليس من بنى أبيه فاستخلفه وان شئت فاصنع كما صنع عمر جعل الامر شورى فى ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ولا من بنى أبيه قال معاوية هل عندك غير هذا قال لا ثم قال فأنتم قالوا قولنا قوله قال فانى أحببت ان أتقدم اليكم انه قد اعذر من انذر انى كنت اخطب منكم فيقوم الى القائم منكم فيكذبنى على رؤس الناس فأحمل ذلك وأصفح وانى قائم بمقالة فاقسم بالله لئن رد على أحدكم كلمة فى مقامى هذا لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف الى رأسه فلا يبقين رجل الا على نفسه ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف فان ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبتز أمر دونهم ولا يقضى الا عن مشورتهم وانهم قد رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله فبايع الناس وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر ثم ركب رواحله وانصرف الى المدينة فلقى الناس أولئك النفر فقالوا لهم زعمتم انكم لا تبايعون فلم رضيتم وأعطيتم وبايعتم قالوا والله ما فعلنا فقالوا ما منعكم ان تردوا على الرجل قالوا كادنا وخفنا القتل وبايعه أهل المدينة ثم انصرف الى الشام وجفا بنى هاشم فأتاه ابن عباس فقال له ما بالك جفوتنا قال ان صاحبكم لم يبايع ليزيد فلم تنكروا ذلك عليه فقال يا معاوية انى لخليق ان انحاز الى بعض السواحل فأقيم به ثم انطق بما تعلم حتى ادع الناس كلهم خوارج عليك قال يا أبا العباس تعطون وترضون وترادون وقيل ان ابن عمر قال لمعاوية ابايعك على انى ادخل فيما يجتمع عليه الامة فوالله لو اجتمعت على حبشى لدخلت معها ثم عاد الى منزله فاغلق بابه ولم يأذن لاحد قلت ذكر عبد الرحمن بن أبى بكر لا يستقيم على قول من يجعل وفاته سنة ثلاث وخمسين وانما يصح على قول من يجعلها بعد ذلك الوقت

❊(ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان بن عفان)❊

فى هذه السنة استعمل معاوية سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان وعزل ابن زياد وسبب ذلك انه سأل معاوية ان يستعمله على خراسان فقال ان بها عبيد الله بن زياد فقال والله لقد اصطنعك أبى حتى بلغت باصطناعه المدى الذى لا تجارى اليه ولا تسامى فما شكرت بلاءه ولا جازيته وقدمت هذا يعنى يزيد وبايعت له والله لانا خير منه أبا وأما ونفسا فقال معاوية اما بلاء أبيك فقد يحق علينا الجزاء به وقد كان من شكرى لذلك انى قد طلبت بدمه واما فضل أبيك على أبيه فهو والله خير منى واما فضل أمك على أمه فلعمرى امرأة من قريش خير من امرأة من كلب واما فضلك عليه فوالله ما أحب ان الغوطة ملئت رجالا مثلك فقال له يزيد يا أمير المؤمنين ابن عمك وأنت أحق من نظر فى أمره قد عتب عليك فاعتبه فولاه حرب خراسان وولى اسحق بن طلحة خراجها وكان اسحق ابن خالة معاوية أمه أم ابان بنت عتبة بن ربيعة فلما صار بالرى مات اسحق فولى سعيد حربها وخراجها فلما قدم خراسان قطع النهر الى سمرقند فخرج اليه الصغد فتواقفوا يوما الى الليل ولم يقتتلوا فقال مالك بن الريب

ولد له عشرة فتشاءم أربعة وتيامن ستة فالذين تشاءموا لخم وجذام وعاملة وغسان والذين تيامنوا حمير والازد ومذحج وكنانة والاشعريون وأنمار الذين هم بجيلة

مازلت يوم الصفد ترعد واقفا * من الجبن حتى خفت ان تتنصرا

فلما كان من الغد اقتتلوا فهزمهم سعيد وحصرهم فى مدينتهم فصالحوه وأعطوه رهنا منهم خمسين غلاما من أبناء عظمائهم فسار الى ترمذ ففتحها صلحا ولم يف لاهل سمرقند وجاء بالغلمان معه الى المدينة وكان ممن قتل معه قثم بن عباس بن عبد المطلب وفى هذه ماتت جويرية بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم

﴿ثم دخلت سنة سبع وخمسين﴾

فيها كان مشتى عبد الله بن قيس بأرض الروم وفيها عزل مروان بن الحكم عن المدينة واستعمل عليها الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وقيل لم يعزل مروان هذه السنة وحج بالناس الوليد بن عتبة وكان العامل على الكوفة الضحاك بن قيس وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى خراسان سعيد بن عثمان وفى هذه السنة مات عبد الله بن عامر وقيل سنة تسع وخمسين وعبد الله بن قدامة السعدى وله صحبة وقيل هو عبد الله بن عمرو بن وقدان السعدى وانما قيل له السعدى لان أباه استرضع فى بنى سعد بن بكر وهو من بنى عامر بن لؤى وعثمان بن شيبة بن أبى طلحة العبدرى وهو جد بنى شيبة سدنة الكعبة ومفتاحها معهم الى الآن واسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين وجبير بن مطعم بن نوفل القرشى له صحبة وام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وقيل بقيت الى قتل الحسين

﴿ثم دخلت سنة ثمان وخمسين﴾

فى هذه السنة غزا مالك بن عبد الله الخثعمى أرض الروم وعمرو بن يزيد الجهنى فى البحر وقيل جنادة بن أبى أمية

﴿ذكر عزل الضحاك عن الكوفة واستعمال ابن ام الحكم﴾

وفى هذه السنة عزل معاوية الضحاك بن قيس عن الكوفة واستعمل عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفى وهو ابن ام الحكم وهو ابن أخت معاوية وفى عمله هذه السنة خرجت الخوارج الذين كان المغيرة بن شعبة حبسهم فجمعهم حيان بن ظبيان السلمى ومعاذ بن جوين الطائى فخطباهم وحثاهم على الجهاد فبايعوا حيان بن ظبيان وخرجوا الى بانقيا فسار اليهم الجيش من الكوفة فقتلوهم جميعا ثم ان عبد الرحمن ابن أم الحكم طرده أهل الكوفة لسوء سيرته فلحق بخاله معاوية فولاه مصر فاستقبله معاوية بن حديج على مرحلتين من مصر فقال له ارجع الى خالك فلعمرى لا تسير فينا سيرتك فى اخواننا من أهل الكوفة فرجع الى معاوية ثم ان معاوية ابن حديج وفد الى معاوية وكان اذا قدم الى معاوية زينت له الطرق بقباب الريحان تعظيما لشأنه فدخل على معاوية وعنده اخته ام الحكم فقالت من هذا يا امير المؤمنين قال بخ بخ هذا معاوية بن حديج قالت لا مرحبا تسمع بالمعيدى خير من ان تراه فسمعها معاوية بن حديج فقال على رسلك يا ام الحكم والله لقد تزوجت فما أكرمت وولدت فما أنجبت اردت ان يلى ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار فى اخواننا من أهل الكوفة وما كان الله ليريه ذلك ولو فعل ذلك لضربناه ضربا يطاطئ منه ولو كره هذا القاعد يعنى خاله معاوية فالتفت اليها معاوية وقال كفى فكفت

﴿ذكر خروج طواف بن غلاق﴾

كان قوم من الخوارج بالبصرة يجتمعون الى رجل اسمه جدار فيتحدثون عنده ويعيبون

وخثعم وقال ابن المنذر هو أنمار بن اياس بن عمرو ابن الغوث بن نبت بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبا (قال المسعودى) وقد تنوزع فى نسب أنمار فذهب

السلطان فأخذهم ابن زياد فحبسهم ثم عاد بهم وعرض عليهم ان يقتل بعضهم بعضا ويخلى سبيل القاتلين ففعلوا فأطلقهم وكان ممن قتل طواف فعذلهم أصحابهم وقالوا اقتلتم اخوانكم قالوا أكرهنا وقد يكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالايمان وندم طواف وأصحابه فقال طواف أما من توبة فكانوا يبكون وعرضوا على أولياء من قتلوا الدية فأبوا وعرضوا عليهم القود فأبوا ولقى طواف الهثهاث بن ثور السدوسى فقال له اماترى لنا من توبة فقال ما أجد لك الا آية فى كتاب الله عز وجل قوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فدعا طواف أصحابه الى الخروج والى ان يفتكوا بابن زياد فبايعوه فى سنة ثمان وخمسين وكانوا سبعين رجلا من بنى عبد القيس بالبصرة فسعى بهم رجل من أصحابهم الى ابن زياد فبلغ ذلك طوافا فعجل الخروج فخرجوا من ليلتهم فقتلوا رجلا ومضوا الى الجلحاء فندب ابن زياد الشرط البخارية فقاتلوهم فانهزم الشرط حتى دخلوا البصرة واتبعوهم وذلك يوم عيد الفطر وكثرهم الناس فقاتلوا فقتلوا وبقى طواف فى ستة نفر وعطش فرسه فأقحمه الماء فرماه البخارية بالنشاب حتى قتلوه وصلبوه ثم دفنه أهله فقال شاعر منهم

يارب هب لى التقى والصدق فى ثبت * واكف المهم فانت الرازق الكافى
حتى أبيع التى تفنى بآخرة * تبقى على دين مرداس وطواف
وكهمس وأبى الشعثاء اذ نفروا * الى الاله ذوى اخباب زحاف

﴿ذكر قتل عروة ابن أدية وغيره من الخوارج﴾

فى هذه السنة اشتد عبيد الله بن زياد على الخوارج فقتل منهم جماعة كثيرة منهم عروة ابن أدية أخو أبى بلال مرداس ابن أدية وأدية أمهما وأبوهما حدير وهو تميمى وكان سبب قتله ان ابن زياد كان قد خرج فى رهان له فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع اليه الناس وفيهم عروة فاقبل على ابن زياد يعظه وكان مما قال له أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما قال ذلك ظن ابن زياد انه لم يقل ذلك الا ومعه جماعة فقام وركب وترك رهانه فقيل لعروة ليقتلنك فاختفى فطلبه ابن زياد فهرب وأتى الكوفة فاخذ وقدم به على ابن زياد فقطع يديه ورجليه وقتله وقيل ابنته واما أخوه أبو بلال مرداس فكان عابدا مجتهدا عظيم القدر فى الخوارج وشهد صفين مع على فانكر التحكيم وشهد النهروان مع الخوارج وكانت الخوارج كلها تتولاه ورأى على ابن عامر قباء فأنكره فقال هذا لباس الفساق فقال أبو بكرة لا تقل هذا للسلطان فان من أبغض السلطان أبغضه الله وكان لا يدين بالاستعراض ويحرم خروج النساء ويقول لا نقاتل الا من قاتلنا ولا نجبى الا من حمينا وكانت البثجاء امرأة من بنى يربوع تحرض على ابن زياد وتذكر تجبره وسوء سيرته وكانت من المجتهدات فذكرها ابن زياد فقال لها أبو بلال ان التقية لا بأس بها فتغيبى فان هذا الجبار قد ذكرك قالت أخشى ان يلقى أحد بسببى مكروها فأخذها ابن زياد فقطع يديها ورجليها فمر بها أبو بلال فى السوق فعض على لحيته وقال اهذه أطيب نفسا بالموت منك يا مرداس ما ميتة أموتها أحب الى من ميتة البثجاء ومر أبو بلال ببعير قد طلى بقطران فغشى عليه ثم أفاق فتلا سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ثم ان ابن زياد ألح فى طلب الخوارج فملأ منهم السجن وأخذ الناس بسببهم وحبس أبا بلال قبل ان يقتل أخاه عروة فرأى السجان عبادته فاذن له كل ليلة فى اتيان أهله فكان يأتيهم ليلا ويعود مع الصبح وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد فذكر ابن زياد الخوارج ليلة فعزم على قتلهم فانطلق

الاكثر الى أن أنمارا وايادا وربيعة ومضر بنو نزار بن معد بن عدنان وانمار دخلوا فى اليمن فاضيفوا اليه وما ذكرناه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيمن تيامن

صديق مرداس اليه فاعلمه الخبر وبات السجان بليلة سوء خوفا ان يعلم مرداس فلا يرجع فلما كان الوقت الذى كان يعود فيه اذا به قد أتى فقال له السجان أما بلغك ما عزم عليه الامير قال بلى ثم قال جئت قال نعم لم يكن جزاؤك منى مع احسانك الى ان تعاقب وأصبح عبيد الله يقتل الخوارج فلما أحضر مرداس قام السجان وكان ظئر العبيد الله فشفع فيه وقص عليه قصته فوهبه له وخلى سبيله ثم انه خاف ابن زياد فخرج فى أربعين رجلا الى الاهواز فكان اذا اجتاز به مال لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ثم يرد الباقى فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث اليهم جيشا عليهم أسلم بن زرعة الكلابى سنة ستين وقيل أبو حصين التميمى وكان الجيش ألفى رجل فلما وصلوا الى أبى بلال ناشدهم الله ان لا يقاتلوه فلم يفعلوا ودعاهم أسلم الى معاودة الجماعة فقالوا أتردوننا الى ابن زياد الفاسق فرمى أصحاب أسلم رجلا من أصحاب أبى بلال فقتلوه فقال أبو بلال قد بدؤكم بالقتال فشد الخوارج على أسلم وأصحابه شدة رجل واحد فهزموهم فقدموا البصرة فلام ابن زياد أسلم وقال هزمك أربعون وأنت فى ألفين لا خير فيك فقال لأن تلومنى وأنا حى خير من ان تثنى على وأنا ميت فكان الصبيان اذا رأوا أسلم صاحوا به أما أبو بلال وراءك فشكا ذلك الى ابن زياد فنهاهم فانتهوا وقال رجل من الخوارج

أألفا مؤمن منكم زعمتم * ويقتلهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم * ولكن الخوارج مؤمنونا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس الوليد بن عتبة فى هذه السنة وفيها مات عقبة بن عامر الجهنى وله صحبة وشهد صفين مع معاوية وفيها توفيت عائشة عليها السلام وسمرة بن جندب وله صحبة ومالك بن عبادة الغافقى وله صحبة وعميرة بن يثربى قاضى البصرة فاستقضى مكانه هشام بن هبيرة

﴿ثم دخلت سنة تسع وخمسين﴾

فى هذه السنة كان مشتى عمرو بن مرة الجهنى بارض الروم فى البر وغزا فى البحر جنادة بن أبى أمية وقيل لم يكن فى البحر غزوة هذه السنة وفى هذه السنة عزل عبد الرحمن ابن أم الحكم عن الكوفة واستعمل عليها النعمان بن بشير الانصارى وقد تقدم سبب عزله وقيل كان عزله سنة ثمان وخمسين

﴿ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان﴾

وفيها استعمل معاوية عبد الرحمن بن زياد على خراسان وقدم بين يديه قيس بن الهيثم السلمى وأخذ أسلم بن زرعة فحبسه وأخذ منه ثلثمائة ألف درهم ثم قدم عبد الرحمن وكان كريما حريصا ضعيفا لم يغز غزوة واحدة وبقى بخراسان الى ان قتل الحسين فقدم على يزيد ومعه عشرون ألف ألف درهم فقال ان شئت حاسبناك وأخذنا ما معك ورددناك الى عملك وان شئت أعطيناك ما معك وعزلناك وتعطى عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم قال بل تعطينى ما معى وتعزلنى ففعل فأرسل عبد الرحمن الى ابن جعفر بالف ألف وقال هذه خمسمائة ألف من يزيد وخمسمائة ألف منى

﴿ذكر عزل ابن زياد عن البصرة وعوده اليها﴾

وفى هذه السنة عزل معاوية عبيد الله بن زياد عن البصرة وأعاده اليها وسبب ذلك ان ابن زياد وفد على معاوية فى وجوه أهل البصرة وفيهم الاحنف وكان سيء المنزلة من عبيد الله فلما دخلوا رحب معاوية بالاحنف وأجلسه معه على سريره فاحسن القوم الثناء على ابن زياد والاحنف

وتشام فى أخبار الآحاد وليس بمجيئه مجيء الاستفاضة التى يقطع بها العدد ويثبت بها الحكم للناس فى هؤلاء كلام كثير وقد ذكر هشام عن أبيه الكلبى قال كان يقال

ساكت

ساكت فقال له معاوية مالك يا أبا بحر لا تتكلم فقال ان تكلمت خالفت القوم فقال معاوية انهضوا فقد عزلته عنكم واطلبوا واليا ترضونه فلم يبق أحد الا أتى رجلا من بنى أمية أو من أهل الشام والاحنف لم يبرح من منزله فلم يأت أحدا فلبثوا أياما ثم جمعهم معاوية وقال لهم من اخترتم فاختلفت كلمتهم والاحنف ساكت فقال مالك لا تتكلم فقال ان وليت علينا أحدا من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحدا وان وليت من غيرهم فانظر فى ذلك فرده معاوية عليهم وأوصاه بالاحنف وقبح رأيه فى مباعدته فلما هاجت الفتنة لم يف له غير الاحنف

﴿ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميرى بنى زياد وما كان منه﴾

كان يزيد بن مفرغ الحميرى مع عباد بن زياد بسجستان فاشتغل عنه بحرب الترك فاستبطأه ابن مفرغ وأصاب الجند الذين مع عباد ضيق فى علوفات دوابهم فقال ابن مفرغ

ألا ليت اللحى كانت حشيشا * فتعلفها دواب المسلمينا

وكان عباد بن زياد عظيم اللحية فقيل ما أراد غيرك فطلب فهرب منه وهجاه بقصائد وكان مما هجاه به قوله

اذا أودى معاوية بن حرب * فبشر شعب رحلك بانصداع
وأشهد ان أمك لم تباشر * أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمرا فيه لبس * على وجل شديد وارتياع

وقال أيضا

ألا أبلغ معاوية بن حرب * مغلغلة من الرجل اليمانى
أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زانى
فاشهد ان رحمك من زياد * كرحم الفيل من ولد الاتان

وقدم يزيد بن مفرغ البصرة وعبيد الله بن زياد بالشام عند معاوية فكتب اليه أخوه عباد بما كان منه فاعلم عبيد الله معاوية به وأنشده الشعر واستأذنه فى قتل ابن مفرغ فلم يأذن له وأمره بتأديبه ولما قدم ابن مفرغ البصرة استجار بالاحنف وغيره من الرؤساء فلم يجره أحد فاستجار بالمنذر بن الجارود فاجاره وأدخله داره وكانت ابنته عند عبيد الله بن زياد فلما قدم عبيد الله البصرة أخبره بمكان ابن مفرغ وأتى المنذر عبيد الله مسلما فارسل عبيد الله الشرط الى دار المنذر فاخذوا ابن مفرغ وأتوه به والمنذر عنده فقال له المنذر أيها الامير انى قد أجرته فقال يا منذر يمدحك وأباك ويهجونى وأبى وتجيره على ثم أمر به فسقى دواء ثم حمل على حمار وطيف به وهو يسلح فى ثيابه فقال يهجو المنذر

تركت قريشا ان أجاور فيهم * وجاورت عبد القيس أهل المشقر
اناس اجارونا فكان جوارهم * اعاصير من فسو العراق المبذر
فاصبح جارى من جذيمة نائما * ولا يمنع الجيران غير المشمر

فقال لعبيد الله

يغسل الماء ما صنعت وقولى * راسخ منك فى العظام البوالى

ثم سيره عبيد الله الى أخيه عباد بسجستان فكلمت اليمانية بالشام معاوية فيه فأرسل الى عباد فأخذه من عنده فقدم على معاوية وقال فى طريقه

عدس ما لعباد عليك امارة * امنت وهذا تحملين طليق

لسائر ولد سبا السبئيون ولم يكن لهم قبائل تجمعهم دون سبا وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر عمرو ابن عامر مزيقيا وخبر طريفة الكاهنة وخبر عمران الكاهن وهو أخو عمرو

لعمرى لقد نجاك من هوة الردى * امام وحبل للامام وثيق
سأشكر ما أوليت من حسن نعمة * ومثلى بشكر المنعمين حقيق

فلما دخل على معاوية بكى وقال ركب منى مالم يرتكب من مسلم مثله على غير حدث قال أولست القائل * الا ابلغ معاوية بن حرب * القصيدة فقال لا والله الذى عظم حق أمير المؤمنين ماقلت هذا وانما قاله عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان واتخذنى ذريعة الى هجاء زياد قال ألست القائل * فاشهد ان امك لم تباشر * أبا سفيان فى أشعار كثيرة هجوت بها ابن زياد اذهب فقد عفونا عنك فانزل أى أرض الله شئت فنزل الموصل وتزوج بها فلما كان ليلة بنائه بامرأته خرج حين أصبح الى الصيد فلقى انسانا على حمار فقال من أين أقبلت فقال من الاهواز قال فما فعل ماء مسرقان ٣ قال على حاله فارتاح الى البصرة فقدمها ودخل على عبيد الله فآمنه وغضب معاوية على عبد الرحمن بن الحكم فكلم فيه فقال لا أرضى عنه حتى يرضى عنه ابن زياد فقدم البصرة على عبيد الله وقال له

لانت زيادة فى آل حرب * أحب الى من احدى بنانى
أراك أخا وعما وابن عم * فلا أدرى بغيب ما ترانى

فقال أراك شاعر سوء ورضى عنه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس هذه السنة عثمان بن محمد بن أبى سفيان وكان الوالى على الكوفة النعمان بن بشير وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى المدينة الوليد بن عتبة وعلى خراسان عبد الرحمن بن زياد وعلى سجستان عباد بن زياد وعلى كرمان شريك بن الاعور وفيها مات قيس بن سعد بن عبادة الانصارى بالمدينة وقيل سنة ستين وكان قد شهد مع على مشاهده كلها وفيها مات سعيد بن العاص وولد عام الهجرة وقتل أبوه يوم بدر كافرا وفيها مات مرة بن كعب البهرى السلمى وله صحبة وفيها مات أبو محذورة الجمحى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يزل يؤذن بها حتى مات وولده من بعده وقيل مات سنة تسع وستين وفيها مات عبد الله بن عامر بن كريز بمكة فدفن بعرفات وفيها مات أبو هريرة فحمل جنازته ولد عثمان بن عفان لهواه كان فى عثمان وفيها اغزا المسلمون حصن كمخ ومعهم عمير بن الحباب السلمى فصعد عمير السور ولم يزل يقاتل عليه وحده حتى كشف الروم فصعد المسلمون ففتحه بعمير وبذلك كان يفتخر ويفخر له بذلك

﴿تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله ثم دخلت سنة ستين﴾

ابن عامر وأخبار العرم والسيل وما كان من كهانتهما فى أمر السد وسيل العرم وتفرق القبائل من مارب ومن لحق بعمان وشنوءة والسراة والشام وغير ذلك من بقاع الارض

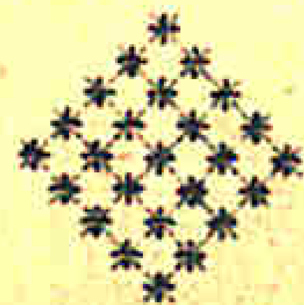
﴿فهرسة الجزء الرابع من تاريخ الكامل للعلامة ابن الاثير الجزرى﴾

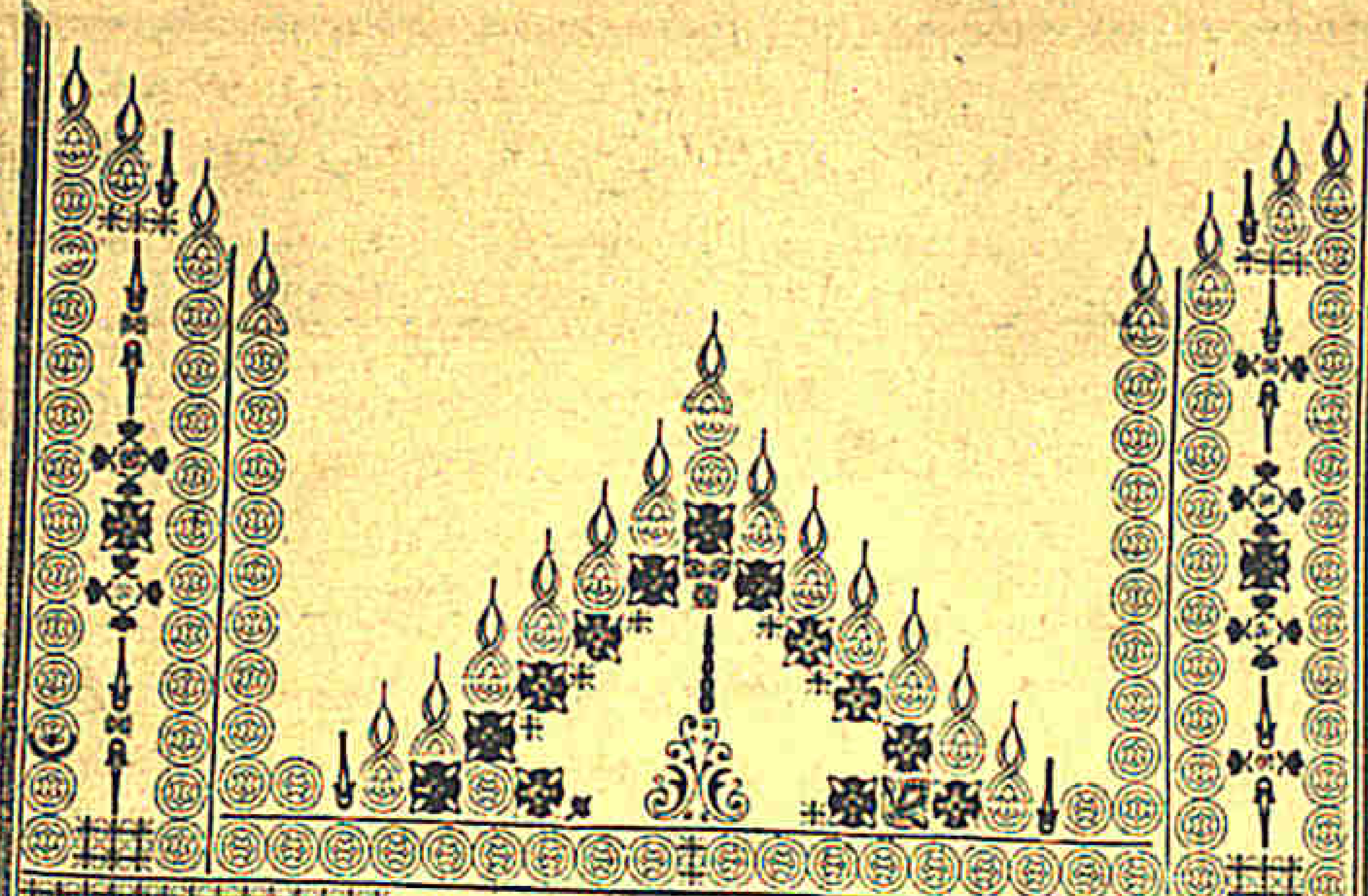
فهرسة تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي

(الجزء الرابع)

من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري الملقب بعز الدين رحمه الله آمين

وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر
للامام أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي رحمه الله





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ثم دخلت سنة ستين﴾

فى هذه السنة كانت غزوة مالك بن عبد الله سورية ودخول جنادة رودس وهدمه مدينتها فى قول بعضهم وفيها توفى معاوية بن أبى سفيان وكان قد أخذ على وفد أهل البصرة البيعة ليزيد

﴿ذكر وفاة معاوية بن أبى سفيان﴾

خطب معاوية قبل مرضه وقال انى كزرع مستحصد وقد طالت امرتى عليكم حتى مللتكم ومللتمونى وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقى ولن يأتيكم بعدى الا من أنا خير منه كما ان من قبلى كان خيرا منى وقد قيل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه اللهم انى قد أحببت لقاءك فاحبب لقائى وبارك لى فيه فلم يمض غير قليل حتى ابتدأ به مرضه فلما مرض المرض الذى مات فيه دعا ابنه يزيد فقال يا بنى انى قد كفيتك الشد والترحال ووطأت لك الامور وذللت لك الاعداء وأخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك ما لم يجمعه أحد فانظر أهل الحجاز فانهم أصلك وأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب وانظر أهل العراق فان سألوك ان تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل فان عزل عامل أيسر من أن يشهر عليك مائة ألف سيف وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك فان رابك من عدوك شئ فانتصر بهم فاذا أصبتهم فاردد أهل الشام الى بلادهم فانهم ان أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم وانى لست أخاف عليك ان ينازعك فى هذا الامر الا أربعة نفر من قريش الحسين بن على وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر فاما ابن عمر فانه رجل قد وقذته العبادة فاذا لم يبق أحد غيره بايعك وأما الحسين بن على فهو رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فان خرج وظفرت به فاصفح عنه فان له رحما ماسة وحقا عظيما وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم وأما ابن أبى بكر فان رأى أصحابه صنعوا شيأ صنع مثله ليس له همة الا فى النساء واللهو وأما الذى يجثم لك جثوم الاسد ويراوغك مراوغة الثعلب فان أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فان هو فعلها بك فظفرت به فقطعه اربا اربا واحقن دماء قومك

﴿ذكر اليمن وملوكها ومقدار سنيها﴾

أول من يعد من ملوك اليمن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه عبد شمس وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا الآية علة تسمى سبأ على ما قيل والله أعلم وكان ملكه أربعمائة سنة وأربعا وثمانين سنة (ثم ملك) بعده ولده حمير بن سبا بن يشجب ابن يعرب وكان أشجع الناس فى وقته وأفرسهم وأكثرهم جمالا وكان ملكه خمسين سنة وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل وكان يعرف بالمتوج وكان أول من وضع على رأسه تاج الذهب من ملوك اليمن (ثم ملك) بعده أخوه كهلان بن سبا فطال عمره وكبر سنه واستقامت له الامور وكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل غير ذلك ثم عاد الملك بعد أن هلك كهلان الى ولد حمير لاخبار يطول ذكرها وتنازع فى الملك ولد حمير وكهلان (ثم ملك) أبو مالك عمرو بن سبا واتصل ملكه وغمر الناس عدله وشملهم احسانه وكان ملكه ثلثمائة سنة (وقيل) ان أول من ملك بعد كهلان الرائش وهو الحرث بن ذى سدد (ثم ملك) جبار بن غالب بن افريقس بن صيفى

ما استطعت هكذا فى هذه الرواية ذكر عبد الرحمن بن أبى بكر وليس بصحيح فان عبد الرحمن بن أبى بكر كان قد مات قبل معاوية وقيل ان يزيد كان غائبا فى مرض أبيه وموته وان معاوية أحضر الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المرى فأمرهما ان يؤديا عنه هذه الرسالة الى يزيد ابنه وهو الصحيح ثم مات بدمشق لهلال رجب وقيل للنصف منه وقيل لثمان بقين منه وكان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما مذ اجتمع له الامر وبايع له الحسن بن على وقيل كان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وقيل وثلاثة أشهر الا أياما وكان عمره خمسا وسبعين سنة وقيل ثلاثا وسبعين سنة وقيل توفى وهو ابن ثمان وسبعين سنة وقيل خمس وثمانين وقيل لما اشتدت علته وأرجف به قال لاهله احشوا عينى اثمدا وادهنوا رأسى ففعلوا وبرقوا وجهه بالدهن ثم مهد له فجلس وأذن للناس فسلموا قياما ولم يجلس احد فلما خرجوا عنه قالوا هو أصح الناس فقال معاوية عند خروجهم من عنده

وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا أتضعضع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وكان به النفاثات فمات من يومه فلما حضرته الوفاة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسانى قميصا فحفظته وقلم أظفاره يوما فاخذت قلامته فجعلتها فى قارورة فاذا مت فالبسونى ذلك القميص واسحقوا تلك القلامة وذروها فى عينى وفى فمى فعسى الله أن يرحمنى ببركتها ثم تمثل بشعر الاشهب بن زميلة النهشلى

اذا مت مات الجود وانقطع الندى * من الناس الا من قليل مصرد
وردت أكف السائلين وأمسكوا * من الدين والدنيا بخلف مجدد

فقالت احدى بناته كلا يا أمير المؤمنين بل يدفع الله عنك فقال متمثلا بشعر الهذلى واذا المنية البيت وقال لاهله اتقوا الله فانه لا واقى لمن لا يتقى الله ثم قضى وأوصى ان يرد نصف ماله الى بيت المال كأنه أراد أن يطيب له الباقى لان عمر قاسم عماله وأنشد لما حضرته الوفاة

ان تناقش يكن نقاشك يا رب * عذابا لا طوق لى بالعذاب
أو تجاوز فانت رب صفوح * عن مسىء ذنوبه كالتراب

ولما اشتد مرضه أخذت ابنته رملة رأسه فى حجرها وجعلت تفليه فقال انك لتفلينه حولا قلبا جمع المال من شب الى دب فليته لا يدخل النار ثم تمثل

لقد سعيت لكم من سعى ذى نصب * وقد كفيتكم التطواف والرحلا

وبلغه ان قوما يفرحون بموته فانشد

فهل من خالد ان ما هلكنا * وهل بالموت يا للناس عار

وكان فى مرضه ربما اختلط فى بعض الاوقات فقال مرة كم بيننا وبين الغوطة فصاحت بنته واحزناه فافاق فقال ان تنفرى فقد رأيت منفرا فلما مات خرج الضحاك بن قيس حتى صعد المنبر واكفان معاوية على يديه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان معاوية كان عود العرب وحد العرب وجد العرب قطع الله به الفتنة وملكه على العباد وفتح به البلاد ألا انه قد مات وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين عمله ثم هو الهرج الى يوم القيامة فمن كان يريد يشهده فعند الاولى وصلى عليه الضحاك وقيل لما اشتد مرضه أى مرض معاوية كان ولده يزيد بحوارين فكتبوا اليه يحثونه على المجىء ليدركه فقال يزيد شعرا

ابن يشجب بن سبا وكان ملكه مائة سنة ونحو أربعين سنة وقيل ان هذا الملك هو ابرهة بن الرائش المعروف بذى المنار (ثم ملك) بعده الرائش بن شداد بن ملطاط وكان ملكه مائة وخمسا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده ابرهة بن الرائش وهو ذو منار وكان ملكه مائة وثمانين سنة (ثم ملك) بعده أخوه المعبد بن ابرهة وهو ذو الاذعار وكان ملكه خمسا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش وقد تنوزع فى مقدار ملكه فنهم من رأى أنه عاش عشر سنين ومنهم من ذكر سبعا ومنهم من قال ستا (ثم ملك) تبع الاول وكان ملكه أربعمائة سنة وذكر كثير من الناس أن بلقيس قتلته وقيل غير ذلك والاشهر ما قدمنا (ثم ملكت) بعده بلقيس بنت الهدهاد وكان لمولدها خبر ظريف ذكرته الرواة فيما روى أنه تصور لابيها فى بعض قنصه حيتان سوداء وبيضاء فامر بقتل السوداء منهما وما ظهر له بعد ذلك من شيخ وشاب من الجن وان الشيخ زوجه بابنته واشترط عليه شروطا فعلقت منه ببلقيس ونقض

جاء البريد بقرطاس يخب به * فاوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا فى كتابكم * قال الخليفة أمسى مثبتا وجعا
ثم انبعثنا الى خوص مزممة * نرمى الفجاج بها لا نأتلى سرعا
فمادت الارض أو كادت تميد بنا * كأن أغبر من أركانها انقطعا
من لم تزل نفسه توفى على شرف * توشك مقاليد تلك النفس ان تقعا
لما انتهينا وباب الدار منصفق * وصوت رملة ريع القلب فانصدعا
ثم ارعوى القلب شيأ بعد طيرته * والنفس تعلم ان قد اثبتت جزعا
أودى ابن هند وأودى المجد يتبعه * كانا جميعا فقاما قاطنين معا
أغر أبلج يستسقى الغمام به * لو قارع الناس عن احسابهم قرعا

فاقبل يزيد وقد دفن فاتى قبره فصلى عليه

﴿ذكر نسبه وكنيته وأزواجه وأولاده﴾

أما نسبه فهو معاوية بن أبى سفيان واسم أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب وكنيته أبو عبد الرحمن وأما نساؤه وولده فمنهن ميسون بنت بحدل ابن انيف الكلبية أم يزيد ابنه وقيل ولدت بنتا اسمها أمة رب المشارق فماتت صغيرة ومنهن فاختة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف فولدت له عبد الرحمن وعبد الله ابنى معاوية وكان عبد الله أحمق اجتاز يوما بطحان وبغله يطحن وفى عنقه جلاجل فسأل عن الجلاجل فقال جعلتها فى عنقه لاعلم ان قد قام فلم تدر الرحا فقال أرأيت ان قام وحرك رأسه كيف تعلم فقال الطحان ان بغلى ليس له عقل مثل عقل الامير وأما عبد الرحمن فمات صغيرا ومنهن نائلة ابنة عمارة الكلبية تزوجها وقال لميسون انظرى اليها فنظرت اليها وقالت رأيتها جميلة ولكنى رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن رأس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوجها حبيب بن مسلمة الفهرى ثم خلف عليها بعده النعمان بن بشير وقتل فوضع رأسه فى حجرها ومنهن كنوة بنت قرظة أخت فاختة غزا قبرس وهى معه فماتت هناك

﴿ذكر بعض سيرته واخباره وقضاته وكتابه﴾

لما بويع معاوية بالخلافة استعمل على شرطته قيس بن حمزة الهمدانى ثم عزله واستعمل زمل ابن عمرو العذرى وقيل السكسكى وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون الرومى وعلى حرسه رجل من الموالى يقال له المختار وقيل أبو المخارق مالك مولى حمير وكان أول من اتخذ الحرس وكان على حجابه سعد مولاه وعلى القضاء فضالة بن عبيد الانصارى فمات فاستقضى ابا ادريس الخولانى وكان على ديوان الخاتم عبد الله بن محصن الحميرى وكان أول من اتخذ ديوان الخاتم وكان سبب ذلك ان معاوية أمر لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم وكتب له بذلك الى زياد ففتح عمرو الكتاب وصير المائة مائتين فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية وطلبها من عمرو وحبسه فقضاها عنه أخوه عبد الله بن الزبير فاحدث عند ذلك معاوية ديوان الخاتم وحزم الكتب ولم تكن تحزم قال عمر بن الخطاب تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية قيل وقدم عمرو بن العاص من مصر على معاوية ومعه أهل مصر فقال لهم عمرو لا تسلموا على معاوية بالخلافة فانه أهيب لكم فى قلبه وصغروا ما استطعتم فلما قدموا قال معاوية لحجابه كأنى بابن النابغة وقد صغر أمرى عند القوم فانظروا اذا دخل القوم فتعتعوهم أشد ما يحضركم فكان أول من دخل عليه رجل منهم يقال له

تلك الشروط المأخوذة عليه لما انقابت عنه فى خبر طريف وهو موجود فى كتب التابعة وانما نحكى هذه الاخبار على حسب ما وجدناه فى كتب الاخباريين وعلى حسب ما توجبه الشريعة والتسليم لها وليس قصدنا من ذلك وصف أقاويل أصحاب القدم لانهم ينكرون هذا ويمنعونه وانما نحكى فى هذا الكتاب أقاويل أصحاب الحديث المنقادين للشرع والمسلمين للحق واخبار الشياطين على حسب ما نطق به الكتاب المنزل على النبى المرسل وما قارن ذلك من الدلائل الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم واعجاز الخليقة ان يأتوا بمثل هذا القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكان ملك بلقيس عشرين ومائة سنة وكان من أمرها مع سليمان عليه السلام ما ذكر الله عز وجل فى كتابه وما اقتص من خبر الهدهد وما اقتص من أمرهما فلك سليمان اليمن ثلاثا وعشرين سنة ثم عاد بعد ذلك الملك الى حمير فلكهم ناشر النعم بن عمرو بن يعفر وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة (ثم ملك)

ابن

ابن الخياط فقال السلام عليك يا رسول الله وتتابع القوم على ذلك فلما خرجوا قال لهم عمرو لعنكم الله نهيتكم ان تسلموا عليه بالامارة فسلمتم عليه بالنبوة قيل ودخل عبيد الله بن أبى بكرة على معاوية ومعه ولد له فاكثر من الاكل فلحظه معاوية وفطن عبيد الله وأراد ان يغمز ابنه فلم يرفع رأسه حتى فرغ من الاكل ثم عاد عبيد الله وليس معه ابنه فقال معاوية ما فعل ابنك التلقامة قال اشتكى قال قد علمت ان أكله سيورثه داء قال جويرية بن اسماء قدم أبو موسى الاشعرى على معاوية فى برنس أسود فقال السلام عليك يا أمين الله قال وعليك السلام فلما خرج قال معاوية قدم الشيخ لاوليه والله لا اوليه وقال عمرو بن العاص لمعاوية ألست انصح الناس لك قال بذلك نلت ما نلت وقال جويرية بن اسماء كان بسر بن ارطاة عند معاوية فنال من على وزيد بن عمر بن الخطاب حاضر وامه أم كلثوم بنت على فعلاه بالعصا وشجه فقال معاوية لزيد عمدت الى شيخ قريش وسيد أهل الشام فضربته وأقبل على بسر فقال تشتم عليا وهو جده وهو ابن الفاروق على رؤس الناس اترى ان يصبر على ذلك فارضاهما جميعا وقال معاوية انى لارفع نفسى من ان يكون ذنب أعظم من عفوى وجهل اكبر من حلمى وعورة لا اواريها بسترى واساءة أكثر من احسانى وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم يا ابن أخى انك قد لهجت بالشعر فاياك والنسيب بالنساء فتعر الشريفة والهجاء فتعر كريما وتستثير لئيما والمدح فانه طعمة الوقاح ولكن افخر بمفاخر قومك وقل من الامثال ما تزين به نفسك وتؤدب به غيرك قال عبد الله بن صالح قيل لمعاوية أى الناس أحب اليك قال اشدهم لى تحبيبا الى الناس وقال معاوية العقل والحلم والعلم أفضل ما أعطى العباد فاذا ذكر ذكر واذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر واذا غضب كظم واذا قدر غفر واذا اساء استغفر واذا وعد انجز قال عبد الله بن عمير اغلظ لمعاوية رجل فاكثر فقيل له أتحلم عن هذا فقال انى لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا وقال محمد بن عامر لام معاوية عبد الله بن جعفر على الغناء فدخل عبد الله على معاوية ومعه بديح ومعاوية قد وضع رجلا على رجل فقال عبد الله لبديح ايها يا بديح فتغنى فحرك معاوية رجله فقال عبد الله يا أمير المؤمنين فقال معاوية ان الكريم طروب قال ابن عباس ما رأيت اخلق للملك من معاوية ان كان ليرد الناس منه ارجاء وادرحب ولم يكن كالضيق الحصحص الحصر يعنى ابن الزبير وكان مغضبا وقال صفوان ابن عمرو مر عبد الملك بقبر معاوية فوقف عليه فترحم فقال رجل قبر من هذا فقال قبر رجل كان والله فيما علمته ينطق عن علم ويسكت عن حلم اذا اعطى اغنى واذا حارب افنى ثم عجل له الدهر ما أخره لغيره ممن بعده هذا قبر أبى عبد الرحمن معاوية ومعاوية أول خليفة بايع لولده فى الاسلام وأول من وضع البريد وأول من سمى الغالية التى تتخذ من الطيب غالية وأول من عمل المقصورة فى المساجد وأول من خطب جالسا فى قول بعضهم

﴿ذكر بيعة يزيد﴾

قيل وفى رجب من هذه السنة بويع يزيد بالخلافة بعد موت أبيه على ما سبق من الخلاف فيه فلما تولى كان على المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى الكوفة النعمان بن بشير ولم يكن ليزيد همة الا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية بيعته فكتب الى الوليد يخبره بموت معاوية وكتابا آخر صغيرا فيه أما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام فلما أتاه نعى معاوية فظع به وكبر عليه وبعث الى مروان بن الحكم فدعاه وكان مروان عاملا على المدينة من

بعده كليكرب بن تبع وكان ملكه ثلثمائة سنة وعشرين سنة وسكن قومه نحو الشرق من بلاد خراسان والتبت والصين وسجستان (ثم ملك) بعده حسان بن تبع فاستقام له الامر ثم وقع بعد ذلك فى ملكه تنازع وخلاف وكان ملكه الى أن قتل خمسا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده عمرو بن تبع وهو القاتل لاخيه حسان الملك الماضى وكان ملكه أربعا وستين سنة ويقال انه عدم النوم لما كان من فعله فى قتل أخيه (ثم ملك) بعده تبع بن حسان بن كليكرب وهو الملك السائر من اليمن الى الحجاز وكانت له مع الاوس والخزرج حروب وأراد هدم الكعبة فنعه من كان معه من أحبار اليهود فكساها القصب اليمانى وسار نحو اليمن وقد تهود وغلب على اليمن اليهودية ورجعوا عن عبادة الاصنام وكان ملكه نحو مائة سنة (ثم ملك) عمرو بن تبع بعد تفرق وتنازع كان بينهم فى الملك ثم خلع عن الملك وملكوا عليهم مرثد بن كلال وكان فى اليمن تنازع وحروب وكان ملكه أربعين سنة (ثم ملك) بعده وكيعة بن مرثد

قبل الوليد فلما قدمها الوليد كان مروان يختلف اليه متكارها فلما رأى الوليد ذلك منه شتمه عند
جلسائه فبلغ ذلك مروان فانقطع عنه ولم يزل مصارما له حتى جاء نعي معاوية فلما عظم على الوليد
هلاكه وما أمر به من بيعة هؤلاء النفر استدعى مروان فلما قرأ الكتاب بموت معاوية استرجع
وترحم عليه واستشاره الوليد كيف يصنع قال أرى ان تدعوهم الساعة وتأمرهم بالبيعة فان
فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم وان أبوا ضربت أعناقهم قبل ان يعلموا بموت معاوية فانهم ان علموا
بموته وثب كل رجل منهم بناحية وأظهر الخلاف ودعا الى نفسه اما ابن عمر فلا يرى القتال ولا يحب
ان يلي على الناس الا ان يدفع اليه هذا الامر عفوا فأرسل الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو
غلام حدث الى الحسين وابن الزبير يدعوهما فوجدهما في المسجد وهما جالسان فأتاهما في ساعة
لم يكن الوليد يجلس فيها للناس فقال أجيبا الامير فقالا انصرف الآن نأتيه وقال ابن الزبير
للحسين ما تراه بعث الينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها فقال الحسين أظن ان طاغيتهم
قد هلك فبعث الينا ليأخذنا بالبيعة قبل ان يفشو في الناس الخبر فقال وانا ما أظن غيره فما تريد ان
تصنع قال الحسين اجمع فتياني الساعة ثم أمشي اليه وأجلسهم على الباب وأدخل عليه قال
فاني أخافه عليك اذا دخلت قال لا آتيه الا وأنا قادر على الامتناع فقام فجمع اليه أصحابه وأهل
بيته ثم أقبل على باب الوليد وقال لاصحابه اني داخل فاذا دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فادخلوا
علي بأجمعكم والا فلا تبرحوا حتى أخرج اليكم ثم دخل فسلم ومروان عنده فقال الحسين الصلة خير
من القطيعة والصلح خير من الفساد وقد آن لكما ان تجتمعا أصلح الله ذات بينكما وجلس فأقرأه
الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه الى البيعة فاسترجع الحسين وترحم على معاوية وقال اما
البيعة فان مثلي لا يبايع سرا ولا يجتزى بها مني سرا فاذا خرجت الى الناس ودعوتهم للبيعة
ودعوتنا معهم كان الامر واحدا فقال له الوليد وكان يحب العافية انصرف فقال له مروان لئن
فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه احبسه فان
بايع والا ضربت عنقه فوثب عند ذلك الحسين وقال ابن الزرقاء أأنت تقتلني أم هو كذبت والله
ولؤمت ثم خرج حتى أتى منزله فقال مروان للوليد عصيتني لا والله لا يمكنك من نفسه مثلها أبدا
فقال الوليد وبخ غيرك يا مروان والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال
الدنيا وملكها واني قتلت حسينا ان قال لا أبايع والله اني لا أظن امرأ يحاسب بدم الحسين
لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة قال مروان قد أصبت يقول له هذا وهو غير حامد له على رأيه
وأما ابن الزبير فقال الآن آتيكم ثم أتى داره فكمن فيها ثم بعث الى الوليد فوجده قد جمع
أصحابه واحترز فألح عليه الوليد وهو يقول امهلوني فبعث اليه الوليد مواليه فشتموه وقالوا له يا ابن
الكاهلية لتأتين الامير أو ليقتلنك فقال لهم والله لقد استربت لكثرة الارسال فلا تعجلوني حتى
أبعث الى الامير من يأتيني برأيه فبعث اليه أخاه جعفر بن الزبير فقال رحمك الله كف عن
عبد الله فانك قد أفزعته وذعرته وهو يأتيك غدا ان شاء الله تعالى فمر رسلك فلينصرفوا عنه
فبعث اليهم فانصرفوا وخرج ابن الزبير من ليلته فأخذ طريق الفرع هو وأخوه جعفر ليس
معهما ثالث وسار نحو مكة فسرح الرجال في طلبه فلم يدركوه فرجعوا وتشاغلوا به عن
الحسين ليلتهم ثم أرسل الرجال الى الحسين فقال لهم أصبحوا ثم ترون ونرى وكانوا يبقون عليه
فكفوا عنه فسار من ليلته وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة وأخذ معه بنيه واخوته وبني أخيه
وجل أهل بيته الا محمد بن الحنفية فانه قال له يا أخي أنت أحب الناس الي وأعزهم علي ولست

ادخر

وكان ملكه تسعا وثلاثين
سنة (ثم ملك) بعده ابرهة بن
الصباح بن وكيعة بن مرثد
وهو الذي يدعى شيبة الحمد
وكان ملكه ثلاثا وتسعين
سنة وقيل أقل من ذلك
وكان علامة وله سير مدونة
(ثم ملك) بعده عمرو بن
ذي قيفان وكان ملكه سبع
عشرة سنة (ثم ملك) بعده
ذو شناتر ولم يكن من أهل
بيت الملك فغرى بالاحداث
من أبناء الملوك وطالبهم بما
يطالب به النسوان وأظهر
الفسق باليمن واللواط وعدل
مع ذلك في الرعية وانصف
المظلوم وكان ملكه ثلاثين
سنة وقيل تسعا وعشرين
سنة وقتله يوسف ذو نواس
وكان من أبناء الملوك خوفا
على نفسه وانفة أن يفسق
به (ثم ملك) بعده يوسف
ذو نواس بن زرعة بن تبع
الاصغر بن حسان بن
كلبكرب وقد ذكرنا خبره في
غير هذا الموضع من كتبنا
وما كان من أمره مع
أصحاب الاخدود وتحريقه
اياهم بالنار وهم الذين أخبر
الله تعالى عنهم في كتابه فقال
قتل أصحاب الاخدود النار
ذات الوقود واليه عبرت
الحبشة من بلاد ناصع
والزيلع وهو ساحل الحبشة
على حسب ما ذكرنا الى
بلاد زبيد من أرض اليمن

ادخر النصيحة لاحد من الخلق أحق بها منك تنح ببيعتك عن يزيد وعن الامصار ما استطعت
وابعث رسلك الى الناس وادعهم الى نفسك فان بايعوا لك حمدت الله على ذلك وان أجمع الناس
على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك اني أخاف ان
تأتي مصرا وجماعة من الناس فيختلفوا عليك فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون
لاول الاسنة فاذا خير هذه الامة كلها نفسا وأبا وأما أضيعها دما وأذلها أهلا قال الحسين فأين
اذهب يا أخي قال انزل مكة فان اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك وان نأت بك لحقت بالرمال
وشعف الجبال وخرجت من بلد الى بلد حتى تنظر الى ما يصير أمر الناس ويفرق لك الرأي فانك
أصوب ما يكون رأيا وأحزمه عملا حين تستقبل الامور استقبالا ولا تكون الامور أبدا أشكل
منها حين تستدبرها قال يا أخي قد نصحت وأشفقت وأرجو أن يكون رأيك سديدا وموفقا ان شاء
الله ثم دخل المسجد وهو يتمثل بقول يزيد بن مفرغ

لا ذعرت السوام في شفق الصبح ... مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى من المهانة ضيما * والمنايا يرصدنني ان أحيدا

ولما سار الحسين نحو مكة قرأ فخرج منها خائفا يترقب الآية فلما دخل مكة قرأ ولما توجه تلقاء
مدين الآية ثم ان الوليد أرسل الى ابن عمر ليبايع فقال اذا بايع الناس بايعت فتركوه وكانوا
لا يتخوفونه وقيل ان ابن عمر كان هو وابن عباس بمكة فعادا الى المدينة فلقيهما الحسين وابن الزبير
فسألاهما ما وراءكما فقالا موت معاوية وبيعة يزيد فقال ابن عمر لا تفرقا جماعة المسلمين وقدم هو
وابن عباس المدينة فلما بايع الناس بايعا قال ودخل ابن الزبير مكة وعليها عمرو بن سعيد فلما دخلها
قال انا عائذ بالبيت ولم يكن يصلي بصلاتهم ولا يفيض بافاضتهم وكان يقف هو وأصحابه ناحية

(ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو بن سعيد)

في هذه السنة عزل الوليد بن عتبة عن المدينة عزله يزيد واستعمل عليها عمرو بن سعيد الاشدق
فقدمها في رمضان فدخل عليه أهل المدينة وكان عظيم الكبر واستعمل على شرطته عمرو بن
الزبير لما كان بينه وبين أخيه عبد الله من البغضاء فأرسل الى نفر من أهل المدينة فضربهم ضربا
شديدا لهواهم في أخيه عبد الله منهم أخوه المنذر بن الزبير وابنه محمد بن المنذر وعبد الرحمن بن
الاسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم فضربهم
الاربعين الى الخمسين الى الستين فاستشار عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير فيمن يرسله الى أخيه
فقال لا توجه اليه رجلا أنكأ له مني فجهز معه الناس وفيهم أنيس بن عمرو الاسلمي في سبعمائة
فجاء مروان بن الحكم الى عمرو بن سعيد فقال له لا تغز مكة واتق الله ولا تحل حرمة البيت وخلوا
ابن الزبير فقد كبر وله ستون سنة وهو لجوج فقال عمرو بن الزبير والله لنغزونه في جوف الكعبة
على رغم أنف من رغم وأتى أبو شريح الخزاعي الى عمرو فقال له لا تغز مكة فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انما أذن لي بالقتال فيها ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالامس فقال له
عمرو نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ فسار أنيس في مقدمته وقيل ان يزيد كتب الى عمرو بن
سعيد ليرسل عمرو بن الزبير الى أخيه عبد الله ففعل فأرسله ومعه جيش نحو الفي رجل فنزل
أنيس بذي طوى ونزل عمرو بالابطح فأرسل عمرو الى أخيه برّ يمين يزيد وكان حلف ان لا يقبل
بيعته الا أن يؤتى به في جامعة وتعال حتى اجعل في عنقك جامعة من فضة لا ترى ولا يضرب الناس
بعضهم بعضا فانك في بلد حرام فأرسل عبد الله بن الزبير عبد الله بن صفوان نحو أنيس فيمن معه من

ففرق يوسف نفسه بعد
حروب طويلة خوفا من
العار وكان ملكه مائتي
سنة وستين سنة وقيل أقل
من ذلك وذلك أن النجاشي
ملك الحبشة لما بلغه فعل
ذي نواس باتباع المسيح عليه
السلام وما يعذبهم به من
أنواع العذاب والتحريق
بالنار بعث اليه الحبشة
وعليهم ارباط بن اصحمة
فملك اليمن عشرين سنة ثم
وثب عليه ابرهة الاشرم بن
يكسوم فقتله وملك اليمن
فلما بلغ ذلك من فعله الى
النجاشي غضب عليه وحلف
بالمسيح أن يجز ناصيته
ويريق دمه ويطأ تربته يعني
أرض اليمن فبلغ ذلك ابرهة
فجز ناصيته وجعلها في حق
من العاج وجعل دمه في
قارورة وجعل من تراب
اليمن في جراب وانفذ ذلك
الى النجاشي ملك الحبشة
وضم الى ذلك هدايا كثيرة
وألطافا وكتب اليه يعترف
بالعبودية ويحلف له بدين
النصرانية أنه في طاعته
وأنه بلغه أن الملك حلف
بالمسيح أن يجز ناصيته
ويريق دمه ويطأ أرضه وقد
انفذت الى الملك ناصيتي
فليجزها بيده وبدمي في
قارورة فليهرقه وبجراب
من تربة بلادي فليطأه
بقدميه وليطفئ الملك عني

أهل مكة ممن اجتمع اليه فهزمه ابن صفوان بذى طوى وأجهز على جريحهم وقتل أنيس بن عمرو وسار مصعب بن عبد الرحمن الى عمرو بن الزبير فتفرق عن عمرو أصحابه فدخل دار ابن علقمة فأتاه أخوه عبيدة فأجاره ثم أتى عبدالله فقال له انى قد أجرت عمرا فقال أتجير من حقوق الناس هذا ما لا يصلح وما أمرتك ان تجير هذا الفاسق المستحل لحرمات الله ثم أقاد عمرا من كل من ضربه الا المنذر وابنه فانهما أبيا ان يستقيدا ومات تحت السياط

(ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين بن على ليسير اليهم وقتل مسلم بن عقيل)

لما خرج الحسين من المدينة الى مكة لقيه عبدالله بن مطيع فقال له جعلت فداءك أين تريد قال أما الآن فمكة وأما بعد فانى أستخير الله قال خار الله لك وجعلنا فداءك فاذا أتيت مكة فاياك ان تقرب الكوفة فانها بلدة مشؤومة بها قتل أبوك وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتى على نفسه الزم الحرم فانك سيد العرب لا يعدل بك أهل الحجاز أحدا ويتداعى اليك الناس من كل جانب لا تفارق الحرم فداك عمى وخالى فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك فأقبل حتى نزل مكة وأهلها يختلفون اليه ويأتونه ومن بها من المعتمرين وأهل الآفاق وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة فهو قائم يصلى عندها عامة النهار ويطوف ويأتى الحسين فيمن يأتيه ولا يزال يشير عليه بالرأى وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير لان أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين باقيا بالبلد ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمر وابن الزبير عن البيعة أرجفوا بيزيد واجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد الخزاعى فذكروا مسير الحسين الى مكة وكتبوا اليه عن نفر منهم سليمان بن صرد الخزاعى والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وغيرهم بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فالحمد لله الذى قصم عدوك الجبار العنيد الذى انتزى على هذه الامة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضا منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وانه ليس علينا امام فأقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الحق والنعمان بن بشير فى قصر الامارة لسنا نجتمع معه فى جمعة ولا عيد ولو بلغنا اقبالك الينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وسيروا الكتاب مع عبدالله بن سبع الهمدانى وعبدالله بن وال ثم كتبوا اليه كتابا آخر وسيروه بعد ليلتين فكتب الناس معه نحوا من مائة وخمسين صحيفة ثم ارسلوا اليه رسولا ثالثا يحثونه على المسير اليه ثم كتب اليه شبث بن ربعى وحجار بن أبجر ويزيد بن الحرث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدى ومحمد بن عمير التميمى بذلك فكتب اليهم الحسين عند اجتماع الكتب عنده أما بعد فقد فهمت كل الذى اقتصصتم وقد بعثت اليكم بأخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل وأمرته ان يكتب الى بحالكم وأمركم ورأيكم فان كتب الى انه قد اجتمع رأى ملئكم وذوى الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم اليكم وشيكا ان شاء الله فلعمرى ما الامام الا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحق والسلام واجتمع ناس من الشيعة بالبصرة فى منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية بنت سعد وكانت تتشيع وكان منزلها لهم مألفا يتحدثون فيه فعزم يزيد بن نبيط على الخروج الى الحسين وهو من عبد القيس وكان له بنون عشرة فقال أيكم يخرج معى فخرج معه ابنان له عبدالله وعبيدالله فساروا فقدموا عليه بمكة ثم ساروا معه فقتلوا معه ثم دعا الحسين مسلم بن عقيل فسيره نحو الكوفة وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف فان رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل اليه بذلك فاقبل مسلم الى المدينة فصلى فى مسجد

رسول الله صلى الله عليه وسلم وودع أهله واستأجر دليلين من قيس فاقبلا به فضلا الطريق وعطشوا فمات الدليلان من العطش وقالا اسلك هذا الطريق الى الماء فكتب مسلم الى الحسين انى أقبلت الى المدينة واستأجرت دليلين فضلا الطريق واشتد عليهما العطش فماتا وأقبلنا حتى انتهينا الى الماء فلم ننج الا بحشاشة أنفسنا وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبيت وقد تطيرت فان رأيت أعفيتنى وبعثت غيرى فكتب اليه الحسين أما بعد فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب الى الا الجبن فامض لوجهك والسلام فسار مسلم حتى أتى الكوفة ونزل فى دار المختار وقيل غيرها وأقبلت الشيعة تختلف اليه فكلما اجتمعت اليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين فيبكون ويعدونه من أنفسهم القتال والنصرة واختلفت اليه الشيعة حتى علم بمكانه وبلغ ذلك النعمان بن بشير وهو أمير الكوفة فصعد المنبر فقال أما بعد فلا تسارعوا الى الفتنة والفرقة فان فيهما تهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الاموال وكان حليما ناسكا يحب العافية ثم قال انى لا أقاتل من لم يقاتلنى ولا أثب على من لا يثب على ولا أنبه نائمكم ولا أتحرش بكم ولا آخذ بالقرف ولا الظنة ولا التهمة ولكنكم ان أبديتم صفحتكم ونكثتم بيعتكم وخالفتم امامكم فوالله الذى لا اله غيره لاضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه بيدى ولم يكن لى منكم ناصر ولا معين أما انى ارجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل فقام اليه عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمى حليف بنى أمية فقال انه لا يصلح ما ترى الا الغشم ان هذا الذى أنت عليه رأى المستضعفين فقال أن أكون من المستضعفين فى طاعة الله أحب الى من أن أكون من الاعزين فى معصية الله ونزل فكتب عبدالله بن مسلم الى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل الكوفة ومبايعة الناس له ويقول له ان كان لك فى الكوفة حاجة فابعث اليها رجلا قويا ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك فى عدوك فان النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعف وكان هو أول من كتب اليه ثم كتب اليه عمارة بن الوليد بن عقبة وعمرو بن سعد بن أبى وقاص بنحو ذلك فلما اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجون مولى معاوية فأقرأه الكتب واستشاره فيمن يوليه الكوفة وكان يزيد عاتبا على عبيدالله بن زياد فقال له سرجون أرأيت لو نشر لك معاوية كنت تأخذ برأيه قال نعم فأخرج عهد عبيدالله على الكوفة فقال هذا رأى معاوية ومات وقد أمر بهذا الكتاب فأخذ برأيه وجمع الكوفة والبصرة لعبيدالله وكتب اليه بعهده وسيره اليه مع مسلم بن عمرو الباهلى والد قتيبة فأمره بطلب مسلم بن عقيل وبقتله أو نفيه فلما وصل كتابه الى عبيدالله أمر بالتجهز ليبرز من الغد وكان الحسين قد كتب الى أهل البصرة نسخة واحدة الى الاشراف فكتب الى مالك بن مسمع البكرى والاحنف بن قيس والمنذر بن الجارود ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم وعمرو بن عبيدالله بن معمر يدعوهم الى كتاب الله وسنة رسوله وان السنة قد ماتت والبدعة قد أحييت فكلهم كتموا كتابه الا المنذر بن الجارود فانه خاف أن يكون دسيسا من ابن زياد فأتاه بالرسول والكتاب فضرب عنق الرسول وخطب الناس وقال أما بعد فوالله ما بى تقرن الصعبة وما يقعقع لى بالشنان وانى لنكل لمن عادانى وسلم لمن حاربنى وأنصف القارة من راماها يا أهل البصرة ان أمير المؤمنين قد ولانى الكوفة وأنا غاد اليها بالغداة وقد استخلفت عليكم أخى عثمان بن زياد فاياكم والخلاف والارجاف فوالله لئن بلغنى عن رجل منكم خلاف لاقتلنه وعريفه ووليه ولآخذن الادنى بالاقصى حتى تستقيموا ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق وانى انا ابن زياد أشبهته من بين من وطئ الحصى فلم ينتزعنى شبه خال ولا ابن عم ثم خرج من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهلى وشريك بن الاعور

غضبه فقد أبرزت عينه وهو على سرير ملكه فلما وصل ذلك الى النجاشى استصوب رأيه واستحسن عقله وصفح عنه * وأبرهة ابن يكسوم هو الذى سار بأصحاب الفيل لاخراب الكعبة وذلك لاربعين سنة خلت من ملك كسرى انوشروان فعدل الى الطائف فبعثت معه ثقيف بابى رغال ليدله على الطريق السهل الى مكة فهلك أبو رغال فى الطريق بموضع يقال له المغمس بين الطائف ومكة فرجم قبره بعد ذلك وفى ذلك يقول جرير بن الخطفى فى الفرزدق

اذا مات الفرزدق فارجموه
كما ترمون قبر أبى رغال

(قال المسعودى) رحمه الله وقيل ان أبا رغال وجهه صالح النبى صلى الله عليه وسلم على صدقات الاموال فخالف أمره وأساء السيرة فوثب عليه ثقيف وهو قسى ابن منبه فقتله قتلة شنيعة لسوء سيرته فى أهل الحرم فقال غيلان بن سلمة وذكر قسوة أبيهم ثقيف على أبى رغال نحن قسى وقسا أبونا وفى ذلك يقول أمية بن أبى الصلت الثقفى

نفوا عن أرضهم عدنان طرا
وكانوا للقبائل قاهرينا
وهم قتلوا الرئيس أبا رغال
بمكة اذ يسوق بها الوضينا

وفى ذلك يقول عمرو بن دراك العبدى

ترانى ان قطعت حبال قيس
وخالفت المرور على تميم
لاعظم من فخار أبى رغال
وأجور فى الحكومة من سذوم

وقال مسكين الدارمى

وأرجم قبره فى كل عام
كرجم الناس قبر أبى رغال

وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب قصة الحبشة وورودهم الحرم وما كان من أمرهم فى ذلك قال وفى طريق العراق الى مكة وذلك بين الثعلبية والهند نحو النظامية موضع يعرف بقبر العبادى ترجمه المارة الى هذه الغاية كما ترجم قبر أبى رغال وللعبادى خبر ظريف قد أتينا على ذكره فى كتاب أخبار الزمان وفى كتاب حدائق الاذهان وفى أخبار أهل البيت رضى الله عنهم فكان ملك ابرهة على اليمن الى أن هلك بعد أن رجع من الحرم وقد سقطت أنامله وتقطعت أوصاله حين بعث الله عليه الطير الابابيل ثلاثا وأربعين سنة وكان قدوم أصحاب الفيل مكة يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمانمائة واثنين وثلاثين سنة للاسكندروست

الحارثى وحشمه وأهل بيته وكان شريك شيعيا وقيل كان معه خمسمائة فتساقطوا عنه فكان
أول من سقط شريك ورجوا ان يقف عليهم ويسبقه الحسين الى الكوفة فلم يقف على أحد منهم
حتى دخل الكوفة وحده فجعل يمر بالمجالس فلا يشكون انه الحسين فيقولون مرحبا بك يا ابن
رسول الله وهو لا يكلمهم وخرج اليه الناس من دورهم فساءه ما رأى منهم وسمع النعمان فاغلق
عليه الباب وهو لا يشك انه الحسين وانتهى اليه عبيد الله ومعه الخلق يصيحون فقال له النعمان
أنشدك الله الا تنحيت عنى فوالله ما أنا بمسلم اليك أمانتى ومالى فى قتالك من حاجة فدنا منه عبيد
الله وقال له افتح لا فتحت فسمعها انسان خلفه فرجع الى الناس وقال لهم انه ابن مرجانة ففتح له
النعمان فدخل وأغلقوا الباب وتفرق الناس وأصبح فجلس على المنبر وقيل بل خطبهم من يومه
فقال أما بعد فان أمير المؤمنين ولانى مصركم وثغركم وفيئكم وأمرنى بانصاف مظلومكم واعطاء
محرومكم وبالاحسان الى سامعكم ومطيعكم وبالشدة على مريبكم وعاصيكم وانا متبع فيكم أمره
ومنفذ فيكم عهده فانا لمحسنكم كالوالد البر ولمطيعكم كالاخ الشقيق وسيفى وسوطى على من ترك
أمرى وخالف عهدى فليبق امرؤ على نفسه ثم نزل فاخذ العرفاء والناس أخذا شديدا وقال
اكتبوا الى الغرباء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين
رأيهم الخلاف والشقاق فمن كتبهم الى فبرئ ومن لم يكتب لنا أحدا فيضمن لنا ما فى عرافته
أن لا يخالفنا فيهم مخالف ولا يبغى علينا منهم باغ فمن لم يفعل فبرئت منه الذمة وحلال لنا دمه وماله
وأيما عريف وجد فى عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه الينا صلب على باب داره
وألقيت تلك العرافة من العطاء وسير الى موضع بعمان الزارة ثم نزل وسمع مسلم بمقالة عبيد الله
فخرج من دار المختار وأتى دار هانئ بن عروة المرادى فدخل بابه واستدعى هانئا فخرج اليه فلما
رآه كره مكانه فقال له مسلم أتيتك لتجيرنى وتضيفنى فقال له هانئ لقد كلفتنى شططا ولولا دخولك
دارى لاحببت ان تنصرف عنى غير انه يأخذنى من ذلك ذمام ادخل فآواه فاختلفت الشيعة
اليه فى دار هانئ ودعا ابن زياد مولى له وأعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال له اطلب مسلم بن عقيل
وأصحابه والقهم وأعطهم هذا المال وأعلمهم انك منهم واعلم اخبارهم ففعل ذلك وأتى مسلم بن
عوسجة الاسدى بالمسجد فسمع الناس يقولون هذا يبايع للحسين وهو يصلى فلما فرغ من صلاته
قال له يا عبد الله انى امرؤ من أهل الشام أنعم الله على بحب أهل هذا البيت وهذه ثلاثة آلاف
درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغنى انه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد سمعت نفرا يقولون انك تعلم أمر هذا البيت وانى أتيتك لتقبض المال وتدخلنى على
صاحبك أبايعه وان شئت أخذت بيعتى له قبل لقائى اياه فقال لقد سرنى لقاؤك اياى لتنال الذى
تحب وينصر الله بك أهل بيت نبيه وقد ساءنى معرفة الناس هذا الامر منى قبل ان يتم مخافة
هذا الطاغية وسطوته فاخذ بيعته والمواثيق المعظمة لينا صحن وليكتمن واختلف اليه أياما
ليدخله على مسلم بن عقيل ومرض هانئ بن عروة فاتاه عبيد الله يعوده فقال له عمارة بن عبد
السلولى انما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية وقد أمكنك الله فاقتله فقال هانئ ما أحب
ان يقتل فى دارى وجاء ابن زياد فجلس عنده ثم خرج فما مكث الا جمعة حتى مرض شريك بن
الاعور وكان قد نزل على هانئ وكان كريما على ابن زياد وعلى غيره من الامراء وكان شديد
التشيع قد شهد صفين مع عمار فارسل اليه عبيد الله انى رائح اليك العشية فقال لمسلم ان هذا
الفاجر عائدى العشية فاذا جلس اخرج اليه فاقتله ثم اقعد فى القصر ليس أحد يحول بينك وبينه

عشرة سنة ومائتين من
تاريخ العرب الذى أوله
حجة العدد وسنذكر بعد
هذا فى الموضع المستحق له
من هذا الكتاب جملا من
تاريخ العالم وتاريخ
الانبياء والملوك فى باب
نفرده لذلك ان شاء الله
تعالى (ثم ملك اليمن بعد
ابرهة الاشرم ولده يكسوم)
فعم أذاه سائر اليمن وكان
ملكه الى أن هلك عشرين
سنة (ثم ملك بعده مسروق
ابن ابرهة) فاشتدت وطأته
على اليمن وعم أذاه سائر
الناس وزاد على أبيه
وأخيه فى الاذى وكانت
أمه من آل ذى يزن وكان
سيف بن ذى يزن قد ركب
البحار ومضى الى قيصر
يستنجده فاقام ببابه سبع
سنين وأبى أن ينجده وقال
أنتم يهود والحبشة نصارى
وليس فى الديانة أن ينصر
المخالف على الموافق فمضى
الى كسرى أنوشروان
فاستنجده ومت اليه
بالقرابة وسأله النصرة فقال
له كسرى وما هذه القرابة
التى ادليت بها الى فقال
أيها الملك الجبلة وهى
الجلدة البيضاء اذ كنت
أقرب اليك منهم فوعده
أنوشروان بالنصرة على
السودان وشغل بحرب
الروم وغيرها من الامم

فان برئت من وجعى سرت الى البصرة حتى أكفيك أمرها فلما كان من العشى أتاه عبيد الله
وقام مسلم بن عقيل ليدخل فقال له شريك لا يفوتنك اذا جلس فقال هانئ بن عروة لا أحب
ان يقتل فى دارى فجاء عبيد الله فجلس وسأل شريكا عن مرضه فاطال فلما رأى شريك ان مسلما
لا يخرج خشى ان يفوته فاخذ يقول

ما تنتظرون بسلمى لا تحيوها * اسقونيها وان كانت بها نفسى

فقال ذلك مرتين أو ثلاثا فقال عبيد الله ما شأنه ترونه يخلط فقال له هانئ نعم ما زال هذا دأبه قبيل
الصبح حتى ساعته هذه فانصرف وقيل ان شريكا لما قال اسقونيها وخلط كلامه فطن به مهران
فغمز عبيد الله فوثب فقال له شريك أيها الامير انى أريد ان أوصى اليك فقال اعود اليك فقال له
مهران انه أراد قتلك فقال وكيف مع اكرامى له وفى بيت هانئ ويد أبى عنده فقال له مهران هو
ما قلت لك فلما قام ابن زياد خرج مسلم بن عقيل فقال له شريك ما منعك من قتله قال خصلتان اما
احداهما فكراهية هانئ أن يقتل فى منزله واما الاخرى فحديث حدثنيه على عن النبى صلى الله
عليه وسلم ان الايمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن بمؤمن فقال له هانئ لو قتلته لقتلت فاسقا فاجرا
كافرا غادرا ولبث شريك بعد ذلك ثلاثا ثم مات فصلى عليه عبيد الله فلما علم عبيد الله ان شريكا
كان حرض مسلما على قتله قال والله لا أصلى على جنازة عراقى أبدا ولولا ان قبر زياد فيهم لنبشت
شريكا ثم ان مولى ابن زياد الذى دسه بالمال اختلف الى مسلم بن عوسجة بعد موت شريك
فادخله على مسلم بن عقيل فاخذ بيعته وقبض ماله وجعل يختلف اليهم ويعلم أسرارهم وينقلها
الى ابن زياد وكان هانئ قد انقطع عن عبيد الله بعذر المرض فدعا عبيد الله محمد بن الاشعث
وأسماء بن خارجة وقيل دعا معهما بعمرو بن الحجاج الزبيدى فسألهم عن هانئ وانقطاعه فقالوا
انه مريض فقال بلغنى انه يجلس على باب داره وقد برأ فالقوه فمروه ان لا يدع ما عليه فى ذلك فاتوه
فقالوا له ان الامير قد سأل عنك وقال لو أعلم انه شاك لعدته وقد بلغه انك تجلس على باب دارك وقد
استبطأك والجفاء لا يحتمله السلطان أقسمنا عليك لو ركبت معنا فلبس ثيابه وركب معهم فلما
دنا من القصر أحست نفسه بالشر فقال لحسان بن أسماء بن خارجة يا ابن أخى انى لهذا الرجل
لخائف فما ترى فقال ما أتخوف عليك شيأ فلا تجعل على نفسك سبيلا ولم يعلم أسماء مما كان شيأ
وأما محمد بن الاشعث فانه علم به قال فدخل القوم على ابن زياد وهانئ معهم فلما رآه ابن زياد قال
لشريح القاضى انتك بخائن رجلاه فلما دنا منه قال عبيد الله

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

وكان ابن زياد مكرما له فقال هانئ وما ذاك فقال يا هانئ ما هذه الامور التى تربص فى دارك
لامير المؤمنين والمسلمين جئت بمسلم فادخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال وظننت ان ذلك
يخفى لك قال ما فعلت قال بلى وطال بينهما النزاع فدعا ابن زياد مولاه ذاك العين فجاء حتى وقف
بين يديه فقال أتعرف هذا قال نعم وعلم هانئ انه كان عينا عليهم فسقط فى يده ساعة ثم راجعته نفسه
قال اسمع منى وصدقنى فوالله لا أكذبك والله ما دعوته ولا علمت بشئ من أمره حتى رأيته جالسا
على بابى يسألنى النزول على فاستحييت من رده ولزمنى من ذلك ذمام فادخلته دارى وضفته وقد
كان من أمره الذى بلغك فان شئت أعطيتك الآن موثقا تطمئن به ورهينة تكون فى يدك حتى
انطلق وأخرجه من دارى وأعود اليك فقال لا والله لا تفارقنى أبدا حتى تأتينى به قال لا آتيك
بضيفى تقتله أبدا فلما كثر الكلام قام مسلم بن عمرو الباهلى وليس بالكوفة شامى ولا بصرى

ومات سيف بن ذى يزن
فاتى ابنه معديكرب بن
سيف فصاح على باب الملك
فلما سأل عن حاله قال لى
قبل الملك ميراث فوقف
بين يدى أنوشروان فسأله
عن ميراثه فقال أنا ابن
الشيخ الذى وعده الملك
بالنصرة على الحبشة
فوجه معه وهرز اصبهبد
الديلمى فى أهل السجون
فقال ان فتحوا فلنا وان
هلكوا فلنا وكلا الوجهين
فتح فحملوا فى السفن
ومعهم خيولهم وعددهم
وأموالهم حتى أتوا ابلة
البصرة وهى برج البحر
ولم يكن حينئذ بصرة
ولا كوفة وهذه مدن
اسلامية فركبوا فى سفن
البحر وساروا حتى أتوا
ساحل حضرموت بموضع
يقال له مثوب فخرجوا من
السفن وقد كان أصيب
بعضهم فى البحر فامرهم
وهرز أن يحرقوا السفن
ليعلموا أنه الموت ولا وجه
يؤملون المفر اليه فيجهدون
أنفسهم وفى ذلك يقول
رجل من حضرموت
أصبح من مثوب الف فى
الجنن
من رهط ساسان ورهط
مهرسن
ليخرجوا السودان من
أرض اليمن
دلهم قصد السبيل ذو يزن

غيره فقال خلني واياه حتى أكلمه لما رأى من لجاجه وأخذ هانئا وخلا به ناحية من ابن زياد بحيث يراهما فقال له يا هانئ أنشدك الله ان تقتل نفسك وتدخل البلاء على قومك ان هذا الرجل ابن عم القوم وليسوا بقاتليه ولا ضائريه فادفعه اليه فليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة انما تدفعه الى السلطان قال بلى والله ان علي في ذلك خزيا وعارا الا ادفع ضيفي وانا صحيح شديد الساعد كثير الاعوان والله لو كنت واحدا ليس لي ناصر لم ادفعه حتى أموت دونه فسمع ابن زياد ذلك فقال أدنوه مني فادنوه منه فقال والله لتأتيني به او لاضربن عنقك قال اذن والله تكثر البارقة حول دارك وهو يرى ان عشيرته ستمنعه فقال ابالبارقة تخوفني وقيل ان هانئا لما رأى ذلك الرجل الذي كان عينا لعبيد الله علم انه قد أخبره الخبر فقال أيها الامير قد كان الذي بلغك ولن أضيع يدك عندي وأنت آمن واهلك فسر حيث شئت فاطرق عبيد الله عند ذلك ومهران قائم على رأسه وفي يده معكزة فقال واذلاه هذا الحائك يؤمنك في سلطانك فقال خذه فاخذ مهران ضفيرتي هانئ وأخذ عبيد الله القضيب ولم يزل يضرب انفه وجبينه وخده حتى كسر انفه وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب وضرب هانئ يده الى قائم سيف شرطي وجبذه فمنع منه فقال له عبيد الله احروري احللت بنفسك وحل لنا قتلك ثم أمر به فألقي في بيت واغلق عليه فقام اليه اسماء بن خارجة فقال ارسله يا غادر أمرتنا ان نجيئك بالرجل فلما أتيناك به هشمت وجهه وسيلت دماءه وزعمت انك تقتله فامر به عبيد الله فلهز وتعتع ثم ترك فجلس فاما ابن الاشعث فقال رضينا بما رأى الامير لنا كان أو علينا وبلغ عمرو بن الحجاج ان هانئا قد قتل فأقبل في مذحج حتى احاطوا بالقصر ونادى انا عمرو بن الحجاج هذه فرسان مذحج ووجوهها لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة فقال عبيد الله لشريح القاضي وكان حاضرا ادخل على صاحبهم فانظر اليه ثم اخرج اليهم فاعلمهم انه حي ففعل شريح فلما دخل عليه قال له هانئ يا للمسلمين اهلكت عشيرتي أين اهل الدين أين أهل النصر ايحذرونني عدوهم وابن عدوهم وسمع الضجة فقال يا شريح اني لاظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين انه ان دخل علي عشرة نفر انقذوني فخرج شريح ومعه عين ارسله ابن زياد قال شريح لولا مكان العين لابلغتهم قول هانئ فلما خرج شريح اليهم قال قد نظرت الى صاحبكم وانه حي لم يقتل فقال عمرو وأصحابه اذ لم يقتل فالحمد لله ثم انصرفوا وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنادى في أصحابه يا منصور أمت وكان شعارهم وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفا وحوله في الدور اربعة آلاف فاجتمع اليه ناس كثير فعقد مسلم لعبد الله ابن عزيز الكندي على ربع كندة وقال سر امامي وعقد لمسلم بن عوسجة الاسدي على ربع مذحج واسد وعقد لابي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة واقبل نحو القصر فلما بلغ ابن زياد اقباله تحرز في القصر واغلق الباب واحاط مسلم بالقصر وامتلأ المسجد والسوق من الناس وما زالوا يجتمعون حتى المساء وضاق بعبيد الله أمره وليس معه في القصر الا ثلاثون رجلا من الشرط وعشرون رجلا من الاشراف وأهل بيته ومواليه واقبل اشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين والناس يسبون ابن زياد وأباه فدعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي وأمره ان يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم وامر محمد بن الاشعث ان يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية امان لمن جاءه من الناس وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن ابجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن الضبابي وترك وجوه الناس

في شعره طويل وغا خبرهم الى ملك اليمن مسروق بن ابرهة فاتاهم في مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان ومن سائر من سكن اليمن من الناس وتصاف القوم وكان مسروق على فيل عظيم فقال وهرز لمن كان معه من الفرس اصدقوهم الخبر واستشعروا الصبر ثم تأمل ملكهم وقد نزل عن الفيل فركب جملا ثم نزل عن الجمل فركب فرسا ثم أنف أن يحارب على فرس فركب حمارا استصغارا لاصحاب السفن فقال وهرز ذهب ملكه وتنقل من كبير الى صغير وكان بين عيني مسروق ياقوتة حمراء معلقة في تاجه بمعلاق من الذهب تضيء كالنار فرمى وهرز ورمى القوم وقال وهرز لاصحابه قد رميت ابن الحمارة فانظروا ان كان القوم يجتمعون عليه ويتفرقون عنه فقد هلك فنظروا اليهم يجتمعون ويتفرقون عنه فاخبروه بذلك فقال احملوا على القوم واصدقوهم فانكشفت الحبشة وأخذهم السيف ورفع رأس مسروق ورؤس خواص الحبشة ورؤسائهم فقتل منهم نحو ثلاثين ألفا وقد كان أنوشروان اشترط

عنده استئناسا بهم لقلة من معه وخرج أولئك النفر يخذلون الناس وأمر عبيد الله من عنده من الاشراف أن يشرفوا على الناس من القصر فيمنوا أهل الطاعة ويخوفوا أهل المعصية ففعلوا فلما سمع الناس مقالة اشرافهم أخذوا يتفرقون حتى ان المرأة تأتي ابنها واخاها وتقول انصرف الناس يكفونك ويفعل الرجل مثل ذلك فما زالوا يتفرقون حتى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلا فلما رأى ذلك خرج متوجها نحو أبواب كندة فلما خرج الى الباب لم يبق معه أحد فمضى في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب فانتهى الى باب امرأة من كندة يقال لها طوعة أم ولد كانت للاشعث واعتقها فتزوجها اسيد الحضرمي فولدت له بلالا وكان بلال قد خرج مع الناس وهي تنتظره فسلم عليها ابن عقيل وطلب الماء فسقته فجلس فقالت له يا عبد الله الم تشرب قال بلى قالت فاذهب الى أهلك فسكت فقالت له ثلاثا فلم يبرح فقالت سبحان الله اني لا أحل لك الجلوس على بابي فقال لها ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة فهل لك الى أجر ومعروف ولعلي اكافئك به بعد اليوم قالت وما ذاك قال انا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني قالت ادخل فادخلته بيتا في دارها وعرضت عليه العشاء فلم يتعش وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول في ذلك البيت فقال لها ان لك لشأنا في ذلك البيت وسألها فلم تخبره فالح عليها فاخبرته واستكتمته وأخذت عليه الايمان بذلك فسكت واما ابن زياد فلما لم يسمع الاصوات قال لاصحابه انظروا هل ترون منهم أحدا فنظروا فلم يروا أحدا فنزل الى المسجد قبيل العتمة واجلس أصحابه حول المنبر وأمر فنودي برئت الذمة من رجل من الشرط والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلى العتمة الا في المسجد فامتلأ المسجد فصلى بالناس ثم قام فحمد الله ثم قال أما بعد فان ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق فبرئت الذمة من رجل وجدناه في داره ومن أتانا به فله ديته وأمرهم بالطاعة ولزومها وأمر الحصين بن تميم ان يمسك أبواب السكك ثم يفتش الدور وكان على الشرط وهو من بني تميم ودخل ابن زياد وعقد لعمرو بن حريث وجعله على الناس فلما أصبح جلس للناس ولما أصبح بلال ابن تلك العجوز التي آوت مسلم بن عقيل أتى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فاخبره بمكان ابن عقيل فاتى عبد الرحمن اباه وهو عند ابن زياد فاسره بذلك فاخبر به محمد بن زياد فقال له ابن زياد قم فأتني به الساعة وبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في سبعين من قيس حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل فلما سمع الاصوات عرف انه قد أتي فخرج اليهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار ثم عادوا اليه فحمل عليهم فاخرجهم مرارا وضرب بكير بن حمران الاحمري فم مسلم فقطع شفته العليا وسقط ثنيتاه وضرب به مسلم على رأسه وثنى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه فلما رأوا ذلك اشرفوا على سطح البيت وجعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه فلما رأى ذلك خرج عليهم بسيفه فقاتلهم في السكة فقال له محمد بن الاشعث لك الامان فلا تقتل نفسك فاقبل يقاتلهم وهو يقول

أقسمت لا أقتل الا حرا * وان رأيت الموت شيأ نكرا
أو يخلط البارد سخنا مرا * رد شعاع الشمس فاستقرا
كل امرئ يوما يلاقي شرا * اخاف ان اكذب أو اغرا

فقال له محمد انك لا تكذب ولا تخدع القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاربيك وكان قد أثخن بالحجارة وعجز عن القتال فاسند ظهره الى حائط تلك الدار فاتاه منه ابن الاشعث والناس غير عمرو ابن عبيد الله السلمي فانه قال لا ناقة لي في هذا ولا جمل وأتي ببغلة فحمل عليها وانتزعوا سيفه فكانه

على معدي كرب شروطا منها أن الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها وفي ذلك يقول الشاعر

على أن ينكحوا النسوان منهم
وأن لا ينكحوا في الفارسينا

فتوج وهرز معديكرب بتاج كان معه وقفازات من الفضة البسه اياها ورتبه في ملكه على اليمن وكتب الى أنوشروان بالفتح وخلف هناك جماعة من أصحابه وكان جميع ما ملكت الاحابش اثنتين وسبعين سنة وكان ملك مسروق ابن ابرهة الى أن قتل ثلاث سنين وذلك لخمس وأربعين خلت من ملك أنوشروان وأتت معدي كرب الوفود من العرب تهنيه بالملك فاتاه عبد المطلب وجذامية بن أبي الصلت وقد ذكرنا خبر عبد المطلب ووفادته على ابن ذي يزن في هذا الكتاب فيما بعد وما قيل من الشعر في مسير الفرس الى اليمن ونصرتهم على الحبشة يقول بعض أولاد فارس

نحن خضنا البحار حتى فككنا
حميرا من بلية السودان
بليوث من آل ساسان شوس
يمنعون الحريم بالمران

ايس من نفسه فدمعت عيناه ثم قال هـذا أول الغدر قال محمد ارجو ان لا يكون عليـك باس قال وماهو الا الرجاء أين أمانكم ثم بكى فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمى من يطلب مثل الذى نطلب اذا نزل به مثـل الذى نزل بك لم يبك فقال ما أبكى لنفسى ولكنى أبكى لاهلى المنقلبين اليكم أبكى للحسين وآل الحسـين ثم قال لمحمد بن الاشعث انى أراك ستعجز عن أمانى فهل تستطيع ان تبعث من عندك رجلا يخبر الحسين بحالى ويقول له عنى ليرجع باهل بيته ولا يغره أهل الكوفة فانهـم أصحاب أبيـك الذين كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتـل فقال له ابن الاشعث والله لافعلن ثم كتب بما قال مسلم الى الحسين فلقيه الرسول بزبالة فاخبره فقال كل ما قدر نازل عند الله نحتسب انفسـنا وفساد امتنا وكان سبب مسـيره من مكة كتاب مسلم اليه يخبره انه بايعه ثمـانية عشر ألفا ويستحثه للقدوم وأما مسـلم فان محمدا اقدم به القصر ودخل محمد على عبيد الله فاخبره الخبر وبامانه له فقال له عبيد الله ما انت والامان ما ارسـلناك لتؤمنه انما ارسـلناك لتاتينا به فسكت محمد ولما جاس مسلم على باب القصر رأى جرة فيها ماء بارد فقال اسقونى من هذا المـاء فقال له مسلم بن عمرو الباهلى اتراها ما أبردهـا والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم فى نار جهنم فقال له ابن عقيـل من أنت قال أنا من عرف الحق اذ تركته ونصح الامة والامام اذ غششته وسمع واطاع اذ عصيته أنا مسلم بن عمرو فقال له ابن عقيـل لامك الثكل ما اجفاك وأفظك واقسى قلبك واغلظك أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود فى نار جهنم منى قال فدعا عمـارة بن عقبة بمـاء بارد فصب له فى قدح فاخذ ليشرب فامتلأ القدح دما ففعل ذلك ثلاثا فقال لو كان من الرزق المقسوم شربته وادخل على ابن زياد فلم يسلم عليـه بالامارة فقال له الحرسى ألا تسلم على الامير فقـال ان كان يريد قتلى فما سلامى عليه وان كان لا يريد قتلى فليكثرن تسليمى عليه فقال له ابن زياد لعمرى لتقتلن فقال كذلك قال نعم قال فدعنى أوص الى بعض قومى قال افعل فقـال لعمر بن سـعد ان بينى و بينـك قرابة ولى اليك حاجة وهى سر فلم يمكنه من ذكرها فقال له ابن زياد لا تمتنع من حاجة ابن عمك فقام معه فقال ان على بالكوفة دينا استدنته انفقته سبعمائة درهم فاقضها عنى وانظر جثتى فاسـتوهبها فوارها وابعث الى الحسين من يرده فقال عمر لابن زياد انه قال كذا وكذا فقـال ابن زياد لا يخونك الامـين ولكن قد يؤتمن الخائن اما مالك فهو لك تصنع به ما شئت وأما الحسين فان لم يردنا لم نرده وان أرادنا لم نكف عنه واما جثته فانا لن نشفعك فيها وقيل انه قال اما جثته فانا اذا قتلناه لا نبالى ما صنع بها ثم قال لمسلم يا ابن عقيل أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتت بينهم وتفرق كلمتهم فقال كلا ولكن أهل هذا المصر زعموا ان أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم اعمال كسرى وقيصر فاتيناهم لنامر بالعدل وندعو الى حكم الكتاب والسنة فقال وما انت وذاك يا فاسق الم يكن يعمل بذلك فيهم اذ أنت تشرب الخمر بالمدينة قال انا اشرب الخمر والله ان الله يعلم أنك تعلم أنك غـير صادق وانى لست كما ذكرت وان احق الناس بشرب الخمر منى من يلغ فى دماء المسلمين فيقتل النفس التى حرم الله قتلها على الغضب والعداوة وهو يلهو ويلعب كانه لم يصنع شيأ فقال له ابن زياد قتلنى الله ان لم اقتلك قتلة لم يقتلها أحد فى الاسلام قال اما انك أحق من احدث فى الاسـلام ما ليس فيه اما انك لا تدع سوء القتـلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة ولا احد من النـاس أحق بهـا منك فشتمه ابن زياد وشتم الحسـين وعليا وعقيلا فلم يكلمه مسـلم ثم أمر به فاصعد فوق القصر لتضرب رقبته ويتبعوا رأسه جسده فقال مسلم لابن الاشعث والله لولا أمانك ما استسلمت قم بسيفك دونى قد اخفرت ذمتك فاصعد مسلم فوق القصر وهو يستغفر و يسبح وأشرف به على موضع الحذائين

ويبيض بواترتلالا
كسـنى البرق فى ذرى
الابدان
فقتلنا مسروق اذ تاه لما
أن تداعت قبائل الحبشان
وفلقنا ياقوته بين عينيـ
ـه بشابة الفتى الساسانى
وهرز الديلمى لمـا رآه
رابط الجأش ثابت الاركان
وحوينا بلاد قحطان قسرا
ثم سرنا الى ذرى غمدان
فنعمنا فيه بكل سرور
ومننا على بنى قحطان
وفى ذلك يقول البحترى
يمـدح ابناء العجم ويذكر
فضل الفرس على أسلافه
لانه من قحطان
فكم لكم من يد يزكو الثناء
بها
ونعمـة ذكرهـا باق على
الزمن
ان تفـعلوها فليست بكر
أنعمكم
ولا يد كايادبكم على اليمن
ايام جلى أنوشروان جدكم
غيابة الذل عن سـيف بن
ذى يزن
اذ لا تزال خيول الفـرس
دافعة
بالضرب والطعن عن صنعا
وعن عدن
انتم بنو المنعم المجدى ونحن
بنو
من فاز منكم بفضل الطول
والمنن

فضربت عنقـه وكان الذى قتله بكير بن حمران الذى ضربه مسـلم ثم أتبع رأسه جسده فلمـا نزل بكير قال له ابن زياد ما كان يقول وأنتم تصعدون به قال كان يسبح الله ويستغفر فلما قتلته قلت له ادن منى الحمـد لله الذى أمكن منك واقادنى منك فضربته ضربة لم تغن شـيأ فقـال اماترى فى خدش تخدشنيه وفاء من دمك أيها العبـد فقال ابن زياد وفخرا عند الموت قال ثم ضربته الثانيـة فقتلته وقام محمد بن الاشعث فكلم ابن زياد فى هانئ وقال له قد عرفت منزلته فى المصر وبيته وقد علم قومه انى أنا وصاحبى سقناه اليك فانشدك الله لمـا وهبته لى فانى أكره عداوة قومـه فوعده ان يفعل فلمـا كان من مسلم ما كان بدا له فامر بهانئ حين قتل مسلم فاخرج الى السوق فضربت عنقه قتله مولى تركى لابن زياد قال فبصر به عبد الرحمن بن الحصين المرادى بعد ذلك بخازر مع ابن زياد فقتله فقال عبـد الله بن الزبير الاسـدى فى قتل هانئ ومسـلم وقيل قاله الفرزدق (الزبير بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة)

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظرى * الى هانئ فى السوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السـيف وجهـه * وآخر يهوى من طمار قتيـل

وهى أبيات وبعث ابن زياد براسيهما الى يزيد فكتب اليـه يزيد يشكره ويقول له وقد بلغنى ان الحسين قد توجه نحو العراق فضع المراصد والمسالح واحترس واحبس على التهمة وخذ على الظنة غير ان لا تقتل الا من قاتلك قيل وكان مخرج ابن عقيل بالكوفة لثمـان ليـال مضين من ذى الحجة سنة ستين وقيل لتسع مضين منه قيل وكان فيمن خرج معه المختار بن أبى عبيد وعبـد الله بن الحرث ابن نوفل فطلبهما ابن زياد وحبسهما وكان فيمن قاتل مسلما محمد بن الاشعث وشبث بن ربعى التميمى والقعقاع بن شور وجعـل شبث يقول انتظروا بهم الليـل لئـلا يتفرقوا فقال له القعقاع انك قد سددت عليهم وجه مهربهم فافرج لهم يتفرقوا

(ذكر مسير الحسين الى الكوفة)

قيل لمـا أراد الحسين المسير الى الكوفة بكتب أهل العراق اليه أتاه عمر بن عبد الرحمن بن الحرث ابن هشام وهو بمكة فقال له انى أتيتك لحاجـة أريد ذكرها نصيحة لك فان كنت ترى انك مستنصحى قلتها واديت ما على من الحق فيها وان ظننت انك لا مستنصحى كففت عمـا أريد فقال له قل فوالله ما أستغشك وما أظنك بشئ من الهوى قال له قد بلغنى انك تريد العراق وانى مشفق عليك انك تأتى بلدا فيه عمـاله وامراؤه ومعهم بيوت الاموال وانمـا النـاس عبيد الدينار والدرهم فلا آمن عليك ان يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب اليه ممن يقاتلك معه فقال له الحسين جزاك الله خيرا يا ابن عم فقد علمت انك مشيت بنصح وتكلمت بعقـل ومهما يقض من أمر يكن أخذت برأيك أو تركته فانت عندى أحمد مشير وانصح ناصح قال وأتاه عبد الله بن عباس فقال له قد أرجف الناس انك سائر الى العراق فبين لى ما أنت صانع فقال له قد اجمعت السـير فى أحـد يومى هذين ان شاء الله تعـالى فقال له ابن عبـاس فانى أعيذك بالله من ذلك خبرنى رحمك الله أتسير الى قوم قتلوا أمـيرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم وان كانوا انمـا دعوك اليهـم وأميرهـم عليهم قاهر لهم وعمـاله تجبى بلادهـم فانمـا دعوك الى الحرب ولا آمن عليك ان يغروك و يكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا اليك فيكونوا أشـد الناس عليك فقال الحسين فانى استخير الله وانظر ما يكون فخرج ابن عباس وأتاه ابن الزبير فحدثه ساعة ثم قال ما أدرى ما تركنا هؤلاء القوم وقد كففنا عنهم ونحن أبنـاء المهاجرين وولاة هـذا الامر دونهـم

(قال المسعودى) وأتت
معـديكرب الوفود من
العرب تهنيـه بعود الملك
اليـه وأشراف العرب
وزعمـاؤها وفيهـم عبـد
المطلب بن هـاشم بن عبد
مناف وخويلد بن اسد بن
عبد العزى بن قصى وجد
امية بن أبى الصلت الثقفى
وقيـل أبو الصلت ابوه
فدخلوا اليه وهو فى أعلى
قصره بمدينة صـنعاء
المعروف بغمدان وهو
مضمخ بالعنبر وسواد
المسك يلوح على مفرقه
وسيفه بين يديه وعلى يمينه
و بساره الملوك وأبناء
المقاول فتكلمت الخطباء
ونطقت الزعماء وقـد
تقدمهم عبـد المطلب بن
هاشم فقال عبـد المطلب
ان الله جل جـلاله قد
احلك أيهـا الملك محـلا
رفيعا صـعبا منيعا شامخا
باذخا وانبتك منبتا طابت
أرومته وعزت جرثومته
وثبت أصله و بسق فرعه
فى أكرم معـدن واطيب
موضـع وموطن فانت
ابيت اللعن رأس العرب
وتبعها الذى يخطب له
وأنت أيهـا الملك ذروة
العـرب الذى له تنقاد
وعمودهـا الذى عليـه
العمـاد ومعقلها الذى
تلتجئ اليه العباد سلفك

خبرنى ماتريد أن تصنع فقال الحسين لقد حدثت نفسى باتيانى الكوفة ولقد كتبت الى شيعتى بها وأشراف الناس واستخير الله فقال له ابن الزبير أما لو كان لى بها مثل شيعتك لما عدلت عنها ثم خشى ان يتهمه فقال له اما انك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الامر ههنا لما خالفنا عليك وساعدناك وبايعناك ونصحنا لك فقال له الحسين ان أبى حدثنى ان لها كبشا به تستحل حرمتها فما أحب ان أكون انا ذلك الكبش قال فاقم ان شئت وتولينى أنا الامر فتطاع ولا تعصى قال ولا أريد هذا أيضا ثم انهما أخفيا كلامهما فالتفت الحسين الى من هناك وقال أتدرون ما يقول قالوا لا ندرى جعلنا الله فداك قال انه يقول أقم فى هذا المسجد اجمع لك الناس ثم قال له الحسين والله لأن أقتل خارجا منها بشبر أحب الى من ان أقتل فيها ولان أقتل خارجا منها بشبرين أحب الى من ان أقتل خارجا منها بشبر وايم الله لو كنت فى جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا فى حاجتهم والله ليعتدن على كما اعتدت اليهود فى السبت فقام ابن الزبير فخرج من عنده فقال الحسين ان هذا ليس شئ من الدنيا أحب اليه من ان اخرج من الحجاز وقد علم ان الناس لا يعدلونه بى فود أنى خرجت حتى يخلو له قال فلما كان من العشى أو من الغد أتاه ابن عباس فقال يا ابن عم انى أتصبر ولا أصبر انى أتخوف عليك فى هذا الوجه الهلاك والاستئصال ان أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم أقم فى هذا البلد فانك سيد أهل الحجاز فان كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب اليهم فلينفوا عاملهم وعدوهم ثم اقدم عليهم فان أبيت الا ان تخرج فسر الى اليمن فان بها حصونا وشعابا وهى أرض عريضة طويلة ولابيك بها شيعة وأنت عن الناس فى عزلة فتكتب الى الناس وترسل وتبث دعاتك فانى أرجو ان يأتيك عند ذلك الذى تحب فى عافية فقال له الحسين يا ابن عم انى والله لاعلم انك ناصح مشفق وقد ازمعت واجمعت المسير فقال له ابن عباس فان كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيتك فانى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه ثم قال له ابن عباس لقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز وهو اليوم لا ينظر اليه أحد معك والله الذى لا اله الا هو لو أعلم انى ان أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس أطعتنى فاقمت لفعلت ذلك ثم خرج ابن عباس من عنده فمر بابن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير ثم أنشد قائلا

يا لك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضى واصفرى * ونقرى ما شئت ان تنقرى

هذا الحسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز قيل وكان الحسين يقول والله لا يدعونى حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفى فاذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرام المرأة قال والفرام خرقة تجعلها المرأة فى قبلها اذا حاضت ثم خرج الحسين يوم التروية فاعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص وهو أمير على الحجاز ليزيد بن معاوية مع أخيه يحيى يمنعونه فابى عليهم ومضى وتضاربوا بالسياط وامتنع الحسين وأصحابه وساروا فمروا بالتنعيم فرأى بها عيرا قد أقبلت من اليمن بعث بها بحير بن ريسان من اليمن الى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن وعلى العير الورس والحلل فاخذه الحسين وقال لاصحاب الابل من أحب منكم أن يمضى معنا الى العراق أوفينا كراه وأحسنا صحبته ومن أحب ان يفارقنا من مكاننا أعطيناه نصيبه من الكراء فمن فارق منهم أعطاه حقه ومن سار معه أعطاه كراه وكساه ثم سار فلما انتهى الى الصفاح لقيه الفرزدق الشاعر فقال له أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب فقال له الحسين بين لى خبر الناس خلفك قال الخبير سألت قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء والله

خير سلف وانت لنا منهم خير خلف فلن يخمد ذكر من أنت سلفه وان يهلك من أنت خلفه أيها الملك نحن أهل الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذى أبهجنا من كشف الكرب فرحا ونحن وفد التهنئة لا وفد الرزية فقال له الملك وايهم أنت أيها المتكلم قال أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال الملك معدى كرب بن سيف ابن اختنا قال نعم قال أدنوه منى فأدناه ثم أقبل عليه وعلى الوفد فقال لهم مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا مرتجلا يعطى عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانتم أهل الليل والنهار لكم الكرامة ما أقمتم والحباء اذ ظعنتم ثم قام أبو زمعة جذامية بن أبى الصلت الثقفى فانشأ يقول

ليطلب الوتر أمثال ابن ذى يزن
فى لجة البحر اجوالا واحوالا
حتى أتى ببنى الاحرار يحملهم
تخالهم فى سواد الليل اجبالا
لله درهم من عصبة خرجوا
ما ان رأيت لهم فى الناس امثالا

يفعل ما يشاء فقال الحسين صدقت لله الامر يفعل ما يشاء وكل يوم ربنا فى شأن ان نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر وان حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريرته قال وأدرك الحسين كتاب عبد الله بن جعفر مع ابنيه عون ومحمد وفيه أما بعد فانى أسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابى هذا فانى مشفق عليك من هذا الوجه ان يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ان هلكت اليوم طفئ نور الارض فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فانى فى أثر كتابى والسلام قيل وقام عبد الله بن جعفر الى عمرو بن سعيد فقال له اكتب للحسين كتابا تجعل له الامان فيه وتمنيه فيه البر والصلة واسأله الرجوع وكان عمرو عامل يزيد على مكة ففعل عمرو ذلك وأرسل الكتاب مع أخيه يحيى بن سعيد ومع عبد الله بن جعفر فلحقاه وقرآ عليه الكتاب وجهدا ان يرجع فلم يفعل وكان مما اعتذر به اليهما ان قال انى رأيت رؤيا رأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرت فيها بامر انا ماض له على كان أولى فقالا ما تلك الرؤيا فقال ما حدثت بها أحدا وما انا محدث بها أحدا حتى ألقى ربى ولما بلغ ابن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن نمير التميمى صاحب شرطته فنزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية الى خفان وما بين القادسية الى القطقطانة والى جبل لعلع فلما بلغ الحسين الحاجر كتب الى أهل الكوفة مع قيس بن مسهر الصيداوى يعرفهم قدومه ويأمرهم بالجد فى أمرهم فلما انتهى قيس الى القادسية أخذه الحصين فبعث به الى ابن زياد فقال له ابن زياد اصعد القصر فسب الكذاب ابن الكذاب الحسين بن على فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان هذا الحسين بن على خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا رسوله اليكم وقد فارقته بالحاجر فاجيبوه ثم لعن ابن زياد وأباه واستغفر لعلى فامر به ابن زياد فرمى من أعلى القصر فتقطع فمات ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة فانتهى الى ماء من مياه العرب فاذا عليه عبد الله بن مطيع فلما رآه قام اليه فقال بابى أنت وأمى يا ابن رسول الله ما أقدمك فاحتمله فانزله فاخبره الحسين فقال له عبد الله أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الاسلام ان تنتهك أنشدك الله فى حرمة قريش أنشدك الله فى حرمة العرب فوالله لئن طلبت ما فى أيدى بنى أمية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحدا أبدا والله انها لحرمة الاسلام وحرمة قريش وحرمة العرب فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض نفسك لبنى أمية فابى الا ان يمضى وكان زهير بن القين البجلى قد حج وكان عثمانيا فلما عاد جمعهما الطريق وكان يساير الحسين من مكة الا أنه لا ينزل معه فاستدعاه يوما الحسين فشق عليه ذلك ثم أجابه على كره فلما عاد من عنده نقل ثقله الى ثقل الحسين ثم قال لاصحابه من أحب منكم أن يتبعنى والا فانه آخر العهد وسأحدثكم حديثا غزونا بلنجر ففتح علينا وأصبنا غنائم ففرحنا وكان معنا سلمان الفارسى فقال لنا اذا أدركتم سيد شباب أهل محمد فكونوا أشد فرحا بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم فاما أنا فاستودعكم الله ثم طلق زوجته وقال لها الحقى باهلك فانى لا أحب ان يصيبك فى سببى الا خير ولزم الحسين حتى قتل معه وأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل بالثعلبية فقال له بعض أصحابه ننشدك الله الا رجعت من مكانك فانه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف عليك ان يكونوا عليك فوثب بنو عقيل وقالوا والله لا نبرح حتى ندرك ثارنا أو نذوق كما ذاق مسلم فقال الحسين لا خير فى العيش بعد هؤلاء فقال له بعض أصحابه انك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس اليك أسرع ثم ارتحلوا فانتهوا الى زبالة وكان لا يمر بماء الا اتبعه من عليه حتى انتهى الى زبالة فاتاه خبر مقتل

أرسلت اسدا على سود الكلاب فقد
امسى شريدهم فى الارض فلالا
فاشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا
فى رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذ شالت نعامتهم
وأسبل اليوم فى برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ولمعديكرب بن سيف بن ذى يزن كلام كثير مع عبد المطلب وكوائن اخبره بها فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم وبدء ظهوره بشر به عبد المطلب وأخبره عن أحواله وما يكون من أمره وحبا جميع الوفد وانصرفوا وقد أتينا على ما كان من أخبارهم فى كتابنا أخبار الزمان فاغنى عن اعادته ووصفه (قال المسعودى) وأقام معديكرب بن سيف ابن ذى يزن ملكا على اليمن واصطنع عبيدا من الحبشة حرابة يمشون بين يديه بالحراب فركب فى بعض الايام من باب قصره المعروف بغمدان بمدينة صنعاء فلما صار الى رحبتها عطفت عليه الحرابة من الحبشة فقتلوه بحرابهم وكان ملكه أربع سنين

أخيه من الرضاعة عبد الله بن بقطر وكان سرحه الى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يعلم بقتله فأخذته خيل الحصين فسيره من القادسية الى ابن زياد فقال له اصعد فوق القصر والعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأيي فصعد فأعلم الناس بقدوم الحسين ولعن ابن زياد وأباه فألقاه من القصر فتكسرت عظامه وبقى به رمق فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه فلما عيب ذلك عليه قال انما أردت أن أريحه فقال بعضهم لم يكن الذي ذبحه عبد الملك بن عمير ولكنه رجل يشبه عبد الملك فلما أتى الحسين خبر قتل أخيه من الرضاعة ومسلم بن عقيل أعلم الناس ذلك وقال قد خذلتنا شيعتنا فمن أحب أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منا ذمام فتفرقوا يمينا وشمالا حتى بقى في أصحابه الذين جاؤا معه من مكة وانما فعل ذلك لأنه علم ان الاعراب ظنوا انه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة أهله فأراد أن يعلموا علام يقدمون عليه ثم سار حتى نزل بطن العقبة فلقيه رجل من العرب فقال له أنشدك الله الا انصرفت فوالله ما تقدم الا على الاسنة وحد السيوف ان هؤلاء الذين بعثوا اليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطؤا لك الاشياء فقدمت عليهم لكان ذلك رأيا فاما على هذه الحال التي تذكر فلا أرى ان تفعل فقال انه لا يخفى على ما ذكرت ولكن الله عز وجل لا يغلب على أمره ثم ارتحل منها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفي هذه السنة حج بالناس عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق وكان العامل على مكة والمدينة وفيها مات جرهد الاسلمي له صحبة وفي أيام معاوية مات حارثة بن النعمان الانصاري وهو بدري وفي أيامه أيضا مات دحية بن خليفة الكلبي الذي كان يشبهه جبريل اذا نزل بالوحي وفي أول خلافته مات رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان الانصاري وكان بدريا وشهد مع علي الجمل وصفين وفي أيامه مات عمرو بن أمية الضمري بالمدينة وفي أيامه مات عثمان بن حنيف الانصاري وعثمان بن أبي العاص الثقفي وفي أيامه مات عتبان بن مالك الانصاري شهد بدرا وفي أيام معاوية مات سهل ابن الحنظلية وهو ابن الربيع الانصاري بدمشق وفي أيامه بعد سنة سبع وخمسين مات السائب ابن أبي وداعة السهمي ومات في أيامه سراقة بن عمرو الانصاري وهو بدري وفي أيامه مات زياد ابن لبيد الانصاري في آخرها وهو بدري وفي أيامه مات معقل بن يسار المزني واليه ينسب نهر معقل بالبصرة وقيل مات في أيام يزيد (معقل بالعين المهملة والقاف ويسار بالياء المثناة والسين المهملة) وفي أيامه مات ناجية بن جندب بن عمير صاحب بدن النبي صلى الله عليه وسلم وفيها مات نعمان بن عمرو بن رفاعة الانصاري وهو الذي كان فيه مزاح ودعابة وشهد بدرا وقيل بل الذي مات ابنه وفي آخر أيامه مات عبد الله بن مالك بن بحينة له صحبة وفيها مات عبد الله بن مغفل بن عبد غنم المزني بالبصرة (ومغفل بضم الميم وفتح الغين المعجمة وفتح الفاء المشددة) وفي أيامه مات هند بن جارية بن هند الاسلمي وفي سنة ستين توفي حكيم بن حزام وله مائة وعشرون سنة ستون في الجاهلية وستون في الاسلام وفيها مات أبو أسيد الساعدي واسمه مالك بن ربيعة وهو بدري وقيل مات سنة خمس وستين وهو آخر من مات من البدريين وقيل مات سنة ثلاثين ولا يصح وفي أول أيام معاوية مات أبو بردة هانئ بن نيار البلوي حليف الانصار وهو عقبي بدري وشهد مع علي حروبه كلها وفي أيامه مات أبو ثعلبة الخشني له صحبة وقيل مات سنة خمس وسبعين وفي أيامه مات أبو جهم بن حذيفة العدوي القرشي في آخرها وقيل شهد بنيان الكعبة أيام ابن الزبير وكان قد شهد قريشا حين بنتها وفي أول أيامه مات أبو حثمة الانصاري والدسهل وفي آخر أيامه مات أبو قيس الجهني شهد الفتح وفي

وهو آخر ملوك اليمن من قحطان فعدد ملوكهم سبعة وثلاثون ملكا ملكوا ثلاثة آلاف سنة ومائة وتسعين سنة (قال المسعودي) وأما عبيد بن شرية الجرهمي حين وفد على معاوية وسأله عن أخبار اليمن وملوكها وتواريخ سنيها فانه ذكر أن أول ملوك اليمن على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملك مائة سنة وأربعا وثمانين سنة (ثم ملك) بعده الحرث بن شداد بن ملطاط بن عمرو مائة وخمسا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده ابرهة بن الرائش وهو ابرهة ذو المنار مائة وثلاثا وثلاثين سنة (ثم ملك) بعده افريقس بن ابرهة مائة وأربعا وستين سنة (ثم ملك) بعده أخوه الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو وهو ذو الصرح سنة (ثم ملكت) بعده بلقيس بنت الهدهاد سبع سنين (ثم ملك) سليمان بن داود عليهما السلام ثلاثا وعشرين سنة على حسب ما قدمنا من أمر بلقيس (ثم ملك) بعده رحبعم بن سليمان سنة ثم رجع الملك الى حمير فملك من بعد رحبعم ابن سليمان ناشر النعم بن يعفر بن عمرو ذي الادعار

سنة ستين توفي صفوان بن المعطل السلمي بسميساط وقيل انه قتل شهيدا قبل هذا وفيها توفيت الكلابية التي استعاذت من النبي صلى الله عليه وسلم حين تزوجها ففارقها وكانت قد أصابها جنون وتوفي بلال بن الحرث المزني أبو عبد الرحمن وفي آخر أيامه مات وائل بن حجر الحضرمي وأبو ادريس الخولاني (هند بن جارية بالجيم والياء المثناة من تحتها وحارثة بن النعمان بالحاء المهملة والثاء المثلثة أبو أسيد بضم الهمزة وفتح السين)

﴿ثم دخلت سنة احدى وستين﴾

﴿ذكر مقتل الحسين رضي الله عنه﴾

وسار الحسين من شراف فلما انتصف النهار كبر رجل من أصحابه فقال له مما كبرت قال رأيت النخل فقال رجلان من بني أسد ما بهذه الارض نخلة قط فقال الحسين فما هو فقالا لا نراه الا هوادي الخيل فقال وأنا أيضا أراه ذلك وقال لهما أما لنا ملجأ نلجأ اليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد فقالا بلى هذا ذو حسم الى جنبك تميل اليه عن يسارك فان سبقت القوم اليه فهو كما تريد فمال اليه فما كان بأسرع من ان طلعت الخيل وعدلوا اليهم فسبقهم الحسين الى الجبل فنزل وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ثم اليربوعي فوقفوا مقابل الحسين وأصحابه في نحر الظهيرة فقال الحسين لاصحابه وفتيانه اسقوا القوم ورشفوا الخيل ترشيفا ففعلوا وكان مجيء الحر من القادسية أرسله الحصين بن نمير التميمي في هذه الالف يستقبل الحسين فلم يزل موافقا الحسين حتى حضرت صلاة الظهر فامر الحسين مؤذنه بالاذان فأذن وخرج الحسين اليهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انها معذرة الى الله واليكم اني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ورسلكم أن اقدم الينا فليس لنا امام لعل الله ان يجعلنا بك على الهدى فقد جئتكم فان تعطوني ما أطمئن اليه من عهودكم أقدم مصركم وان لم تفعلوا أو كنتم بقدمي كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذي أقبلت منه فسكتوا وقالوا للمؤذن اقم فاقام وقال الحسين للحر أتريد ان تصلي أنت بأصحابك فقال بل صل أنت ونصلي بصلاتك فصلى بهم الحسين ثم دخل واجتمع اليه أصحابه وانصرف الحر الى مكانه ثم صلى بهم الحسين العصر ثم استقبلهم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فانكم ان تتقوا الله وتعرفوا الحق لاهله يكن أرضى لله ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الامر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان فان أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم ورسلكم انصرفت عنكم فقال الحر انا والله ما ندري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر فاخرج خرجين مملوأين صحفا فنثرها بين أيديهم فقال الحر فانا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك وقد أمرنا انا اذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد فقال الحسين الموت أدنى اليك من ذلك ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا فمنعهم الحر من ذلك فقال له الحسين ثكلتك أمك ما تريد فقال له أما والله لو غيرك من العرب يقولها ما تركت ذكر أمه بالثكل كائنا من كان ولكني والله ما لي الى ذكر أمك من سبيل الا باحسن ما يقدر عليه فقال له الحسين ما تريد قال الحر أريد أن أنطلق بك الى ابن زياد قال الحسين اذن والله لا أتبعك قال الحر اذن والله لا أدعك فترادا الكلام فقال له الحر اني لم أومر بقتالك وانما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تردك الى المدينة حتى أكتب الى ابن زياد وتكتب أنت الى يزيد أو الى ابن زياد فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن ابتلي بشيء من أمرك فتياسر عن طريق العذيب والقادسية والحر يسايره

خمسا وثلاثين سنة وقد قيل في تسميته ذا الاذعار خبر تأباه العقول وتنكر النفوس كون مثله في العالم ويجوز كون ذلك في المقدور وانه انما سمي ذا الاذعار لانه وصل الى قوم في اقاصي مفاوز اليمن وحضرموت مشوهي الخلقة عجيبي الصورة وجوههم في صدورهم فلما رأى أهل اليمن ذلك اذعرهم ما شاهدوا من ذلك وجزعت منه نفوسهم فسمي ذا الاذعار وقيل غير ذلك والله أعلم بكيفيته (ثم ملك) بعده عمرو بن شمر بن افريقس ثلاثا وخمسين سنة (ثم ملك) بعده من ولده كليكرب بن تبع وهو تبع أبو كرب اسعد كليكرب أربعا وثمانين سنة (ثم ملك) بعده كلال بن سويب اربعا وسبعين سنة (ثم ملك) بعده تبع بن حسان بن تبع (ثم ملك) بعده مرثد سبعا وثلاثين سنة (ثم ملك) بعده ابرهة ابن الصباح ثلاثا وسبعين سنة (ثم ملك) بعده ذو شناتر ابن زرعة ويقال يوسف ويقال بل اسمه عريب بن قطن تسعا وثمانين سنة (ثم ملك) بعده حنيفة ويعرف بذي الشناتر أربعا وثمانين سنة فذلك ألف وتسعمائة وسبع

ثم ان الحسين خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل فى عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله ان يدخله مدخله ألا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفىء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وانا أحق من غيرى وقد أتتنى كتبكم ورسلكم ببيعتكم وانكم لا تسلمونى ولا تخذلونى فان أتممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم وانا الحسين بن على ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسى مع نفسكم وأهلى مع أهلكم فلكم فىّ اسوة وان لم تفعلوا ونقضتم عهدى وخلعتم بيعتى فلعمرى ماهى لكم بنكير لقد فعلتموها بابى وأخى وابن عمى مسلم بن عقيل والمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فانما ينكث على نفسه وسيغنى الله عنكم والسلام فقال له الحرانى أذكرك الله فى نفسك فانى أشهد لئن قاتلت لتقتلن فقال له الحسين أبالموت تخوفنى وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلونى وما أدرى ما أقول لك ولكنى أقول كما قال أخو الاوسى لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أين تذهب فانك مقتول فقال

سأمضى وما بالموت عار على الفتى * اذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما
وواسى رجالا صالحين بنفسه * وخالف مثبورا وفارق مجرما
فان عشت لم أندم وان مت لم ألم * كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

فلما سمع ذلك الحر تنحى عنه فكان يسير ناحية عنه حتى انتهى الى عذيب الهجانات كان به هجائن النعمان ترعى هنالك فنسب اليها فاذا هو بار بعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرسا لنافع بن هلال يقال له الكامل ومعهم دليلهم طرماح بن عدى فانتهوا الى الحسين فاقبل اليهم الحر وقال ان هؤلاء النفر من أهل الكوفة وانا حابسهم أو رادهم فقال الحسين لامنعنهم مما امنع منه نفسى انما هؤلاء أنصارى وهم بمنزلة من جاء معى فان تممت على ما كان بينى وبينك والا ناجزتك فكف الحر عنهم فقال لهم الحسين أخبرونى خبر الناس خلفكم فقال له مجمع بن عبيد الله العامرى وهو أحدهم أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم فهم ألب واحد عليك وأما سائر الناس بعدهم فان قلوبهم تهوى اليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك وسألهم عن رسوله قيس بن مسهر فاخبروه بقتله وما كان منه فترقرقت عيناه بالدموع ولم يملك دمعته ثم قرأ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا اللهم اجعل لنا ولهم الجنة واجمع بيننا وبينهم فى مستقر رحمتك ورغائب مذخور ثوابك وقال له الطرماح بن عدى والله ما أرى معك كثير أحد ولو لم يقاتلك الا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم ولقد رأيت قبل خروجى من الكوفة بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس مالم تر عيناى جمعا فى صعيد واحد أكثر منه قط ليسيروا اليك فانشدك الله ان قدرت على ان لا تقدم اليهم شبرا فافعل فان أردت ان تنزل بلدا يمنعك الله به حتى ترى رأيك ويستبين لك ما أنت صانع فسر حتى أنزلك جبلنا أجاء فهو والله جبل امتنعنا به من ملوك غسان وحمير والنعمان بن المنذر ومن الاحمر والابيض والله ما ان دخل علينا ذل قط فاسير معك حتى أنزلك ثم تبعث الى الرجال ممن بأجا وسلمى من طىء فوالله لا يأتى عليك عشرة أيام حتى يأتيك طىء رجالا وركبانا ثم أقم فينا ما بدا لك فان هاجك هيج فانا زعيم لك بعشرين ألف طائى يضربون بين يديك باسيافهم فوالله لا يوصل اليك أبدا وفيهم عين

وعشرون سنة وانما ذكرنا ما حكيناه عن عبيد بن شرية فى ترتيب ملوكهم وتباين تواريخ سنيهم لنأتى على جميع ما قيل فى ذلك من التنازع والله ولى التوفيق ولما قتلت الحبشة معديكرب بن سيف بن ذى يزن على حسب ما قدمنا فى الرحبة بحرابهم كان بصنعاء خليفة لوهرز فى جماعة من العجم ممن كان ضمهم وهرز الى معديكرب فركب وأتى على من كان هنالك من الحبشة وضبط البلد وكتب بذلك الى وهرز وهو بباب أنوشروان الملك وذلك بالمدائن من ارض فارس فاعلم وهرز بذلك الملك فسيره فى البر فى اربعة آلاف من الاساورة وامره باصلاح اليمن وان لا يبقى على احد من بقايا الحبشة ولا على جعد قطط قد شرك السودان فى نسبه فاتى وهرز اليمن ونزل صنعاء فلم يترك بها أحدا من السودان ولا من انسابهم وملك أنوشروان وهرز على اليمن الى ان هلك بصنعاء ثم ملك بعده رجل من فارس يقال له سيحان (ثم ملك) بعده خورادالشهر (ثم ملك) بعده ابن سيحان (ثم ملك) بعده المرزبان خرحسوا وكان من اهل

تطرف فقال له جزاك الله وقومك خيرا انه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ولا ندرى على ما تنصرف بنا وبهم الامور فودعه وسار الى أهله ووعده ان يوصل الميرة الى أهله ويعود الى نصره ففعل ثم عاد الى الحسين فلما بلغ عذيب الهجانات لقيه خبر قتله فرجع الى أهله ثم سار الحسين حتى بلغ قصر بنى مقاتل فرأى فسطاطا مضروبا فقال لمن هذا فقيل لعبيد الله بن الحر الجعفى فقال ادعوه لى فلما أتاه الرسول يدعوه قال انا لله وانا اليه راجعون والله ما خرجت من الكوفة الا كراهية ان يدخلها الحسين وأنا بها والله ما أريد أن أراه ولا يرانى فعاد الرسول الى الحسين فأخبره فلبس الحسين نعليه ثم جاء فسلم عليه ودعاه الى نصره فاعاد عليه ابن الحر تلك المقالة قال فالا تنصرنى فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا فوالله لا يسمع داعيتنا أحد ثم لا ينصرنا الا هلك فقال له أما هذا فلا يكون أبدا ان شاء الله تعالى ثم قام الحسين فخرج الى رحله ثم سار ليلا ساعة فخفق برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون والحمد لله رب العالمين فاقبل اليه ابنه على بن الحسين فقال يا أبت جعلت فداك مم حمدت واسترجعت قال يا بنى انى خفقت خفقة فعن لى فارس على فرس فقال القوم يسيرون والمنايا تسير اليهم فعلمت ان أنفسنا نعيت الينا فقال يا أبت لا أراك الله سوأ ألسنا على الحق قال بلى والذى يرجع اليه العباد قال اذن لا نبالى ان نموت محقين فقال له جزاك الله من ولد خير ما جزى ولدا عن والده فلما أصبح نزل فصلى ثم عجل الركوب فاخذ يتياسر باصحابه يريد أن يفرقهم فاتى الحر فرده وأصحابه فجعل اذا ردهم نحو الكوفة ردا شديدا امتنعوا عليه وارتفعوا فلم يزالوا يتياسرون حتى انتهوا الى نينوى المكان الذى نزل به الحسين فلما نزلوا اذا راكب مقبل من الكوفة فوقفوا ينتظرونه فسلم على الحر ولم يسلم على الحسين وأصحابه ودفع الى الحر كتابا من ابن زياد فاذا فيه أما بعد فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابى ويقدم عليك رسولى فلا تنزله الا بالعراء فى غير حصن وعلى غير ماء وقد أمرت رسولى ان يلزمك فلا يفارقك حتى يأتينى بانفاذك أمرى والسلام فلما قرأ الكتاب قال لهم الحر هذا كتاب الامير يأمرنى أن اجعجع بكم فى المكان الذى يأتينى فيه كتابه وقد أمر رسوله ان لا يفارقنى حتى أنفذ رأيه وامره واخذهم الحر بالنزول على غير ماء ولا فى قرية فقالوا دعنا ننزل فى نينوى أو الغاضرية أو شفية فقال لا أستطيع هذا الرجل قد بعث عينا على فقال زهير بن القين للحسين انه لا يكون والله بعد ما ترون الا ما هو اشد منه يا ابن رسول الله وان قتال هؤلاء الساعة اهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم فلعمرى ليأتيننا من بعدهم ما لا قبل لنا به فقال الحسين ما كنت لابدأهم بالقتال فقال له زهير سر بنا الى هذه القرية حتى ننزلها فانها حصينة وهى على شاطئ الفرات فان منعونا قاتلناهم فقتالهم أهون علينا من قتال من يجىء بعدهم فقال الحسين ما هى قال العقر قال اللهم انى أعوذ بك من العقر ثم نزل وذلك يوم الخميس الثانى من محرم سنة احدى وستين فلما كان الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف وكان سبب مسيره اليه ان عبيد الله بن زياد كان قد بعثه على أربعة آلاف الى دستبى وكانت الديلم قد خرجوا اليها وغلبوا عليها وكتب له عهده على الرى فعسكر بالناس فى حمام اعين فلما كان من أمر الحسين ما كان دعا ابن زياد عمر بن سعد وقال له سر الى الحسين فاذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت الى عملك فاستعفاه فقال نعم على ان ترد عهدنا فلما قال له ذلك قال امهلنى اليوم حتى انظر فاستشار نصحاءه فكلهم نهاه وأتاه حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أخته فقال أنشدك الله يا خالى ان لا تسير الى الحسين فتأثم وتقطع رحمك فوالله لان تخرج من دنياك ومالك وسلطان

بيت مملكة فارس (ثم ملك) بعده خرحسوا وكان مولده باليمن (ثم ملك) بعده باذان ابن ساسان (قال المسعودى) فهؤلاء جميع من ملك اليمن من قحطان والحبشة والفرس وقد ملك اليمن رجل من ولد ابراهيم الخليل عليه السلام وهو يعد من ملوك اليمن واسمه هينبة بن اميم ابن بدل بن مدين بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان له شأن عظيم فى اليمن وطالت ايامه وذكره امرؤ القيس فى شعره فقال

وهينبة الذى زادت قواه * على زيدان اذحان الزوال
تمكن قائما وبنى طريقا * الى زيدان اعيط لا ينال

ويقال انه منتبه بن اميم ابن بدل بن لسان بن ابراهيم الخليل وقد كانت ملوك اليمن تنزل بمدينة ظفار مثل آل ذى شعر وآل ذى الكلاع وآل ذى اصبح وآل ذى يزن الا اليسير منهم فانهم نزلوا غيرها وكان على باب ظفار مكتوب بالقلم الاول فى حجر أسود يوم شيدت ظفار قيل لمن أنت فقالت لحمير الاخيار ثم سيلت من بعد ذلك فقالت

ان ملكى للاحبش الاشرار

الارض لو كان لك خير من ان تلقى الله بدم الحسين فقال افعل وبات ليلته مفكرا فى أمره فسمع وهو يقول

أأترك ملك الرى والرى رغبة * أم ارجع مذموما بقتل حسين

وفى قتله النار التى ليس دونها * حجاب وملك الرى قرة عين

ثم أتى ابن زياد فقال له انك قد وليتنى هذا العمل وسمع الناس به فان رأيت ان تنفذلى ذلك فافعل وابعث الى الحسين من اشراف الكوفة من لست أغنى فى الحرب منه وسمى أناسا فقال له ابن زياد لست استأمرك فيمن أريد ان أبعث فان سرت بجندنا والا فابعث الينا بعهدنا قال فانى سائر فاقبل فى ذلك الجيش حتى نزل بالحسين فلما نزل به بعث اليه رسولا يسأله ما الذى جاء به فقال الحسين كتب الى أهل مصركم هذا ان أقدم عليهم فاما اذ كرهونى فانى انصرف عنهم فكتب عمر الى ابن زياد يعرفه ذلك فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال

الآن اذ علقت مخالبنا به * يرجو النجاة ولات حين مناص

ثم كتب الى عمر يأمره ان يعرض على الحسين بيعة يزيد فاذا فعل ذلك رأينا رأينا وان يمنعه ومن معه الماء فارسل عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام ونادى عبد الله بن أبى الحصين الازدى وعداده فى بجيلة يا حسين أما تنظر الى الماء لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا فقال الحسين اللهم اقتله عطشا ولا تغفر له أبدا قال فمرض فيما بعد فكان يشرب الماء القلة ثم يقىء ثم يعود فيشرب حتى يتغر غرثم يقىء ثم يشرب فما يروى فما زال كذلك حتى مات فلما اشتد العطش على الحسين وأصحابه أمر أخاه العباس بن على فسار فى عشرين راجلا يحملون القرب وثلاثين فارسا فدنوا من الماء فقاتلوا عليه وملؤا القرب وعادوا ثم بعث الحسين الى عمر بن سعد عمرو بن قرظة بن كعب الانصارى ان القنى الليلة بين عسكرى وعسكرك فخرج اليه عمر فاجتمعا وتحادثا طويلا ثم انصرف كل واحد منهما الى عسكره وتحدث الناس ان الحسين قال لعمر بن سعد اخرج معى الى يزيد بن معاوية وندع العسكرين فقال عمر أخشى ان تهدم دارى قال ابنيها لك خيرا منها قال تؤخذ ضياعى قال أعطيك خيرا منها من مالى بالحجاز فكره ذلك عمر وتحدث الناس بذلك ولم يسمعوه وقيل بل قال له اختاروا منى واحدة من ثلاث اما ان ارجع الى المكان الذى أقبلت منه واما ان أضع يدى فى يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بينى وبينه رأيه واما أن تسيروا بى الى أى ثغر من ثغور المسلمين شئتم فاكون رجلا من أهله لى مالهم وعلى ما عليهم وقد روى عن عقبة بن سمعان انه قال صحبت الحسين من المدينة الى مكة ومن مكة الى العراق ولم أفارقه حتى قتل وسمعت جميع مخاطباته الناس الى يوم مقتله فوالله ما أعطاهم ما يتذاكر به الناس من انه يضع يده فى يد يزيد ولا ان يسيروه الى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعونى أرجع الى المكان الذى أقبلت منه أو دعونى أذهب فى هذه الارض العريضة حتى ننظر الى ما يصير اليه أمر الناس فلم يفعلوا ثم التقى الحسين وعمر بن سعد مرارا ثلاثا أو اربعا فكتب عمر بن سعد الى عبيد الله بن زياد أما بعد فان الله اطفأ النائرة وجمع الكلمة وقد اعطانى الحسين ان يرجع الى المكان الذى أقبل منه أو ان نسيره الى أى ثغر من الثغور شئنا أو ان يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده وفى هذا لكم رضا وللامة صلاح فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال هذا كتاب رجل ناصح لاميره مشفق على قومه نعم قد قبلت فقام اليه شمر بن ذى الجوشن فقال أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك والى جنبك والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده فى يدك ليكونن أولى بالقوة والعزة ولتكونن أولى بالضعف والعجز ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه

ثم سيلت من بعد ذلك فقالت

ان ملكى لفارس التجار وقليلا ما يلبث القوم فيها منذ شيدت مشيدها للبوار من اسود يلقيهم البحر فيها تشعل النار فى اعالى الديار وهذا خبر عن ملوك تداولوها اخبروا عن ملكهم قبل كونه فتداولتها الملوك على حسب ما وصفنا وينتظر فى المستقبل من الزمان ما ذكرنا من وقود النيران فى اعالى الديار وعند اهل اليمن ان ديارهم سيغلب عليها الاحابش فى آخر الزمان بعد هنات وكوائن وأحداث وبعث النبى صلى الله عليه وسلم وعلى اليمن عمال كسرى ثم غلب الاسلام فظفر بحمد الله * وقد أتينا على أخبار من ذكرناه من الملوك وسيرهم ومطافاتهم فى البلاد وحروبهم وأبنيتهم فى سائر مطافاتهم فى الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الكتاب * وبلد اليمن طويل عريض حده مما يلى مكة الموضع المعروف بلجة الملك سبع مراحل الى صنعاء ومن صنعاء الى عمان وهو آخر عمل اليمن تسع مراحل والمرحلة

فان عاقبت كنت ولى العقوبة وان عفوت كان ذلك لك والله لقد بلغنى ان الحسين وعمر يتحدثان عامة الليل بين العسكرين فقال ابن زياد نعم ما رأيت أخرج بهذا الكتاب الى عمر فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمى فان فعلوا فليبعث بهم الى سلما وان أبوا فليقاتلهم وان فعل فاسمع له واطع وان أبى فانت الامير عليه وعلى الناس واضرب عنقه وابعث الى برأسه وكتب معه الى عمر بن سعد أما بعد فانى لم أبعثك الى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندى شافعا انظر فان نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم الى سلما وان أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فانه عاق شاق قاطع ظلوم فان أنت مضيت لامرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وان أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر والسلام فلما أخذ شمر الكتاب كان معه عبد الله بن أبى المحل بن حزام عند ابن زياد وكانت عمته أم البنين بنت حزام عند على فولدت له العباس وعبد الله وجعفرا وعثمان فقال لابن زياد ان رأيت ان تكتب لبنى اختنا امانا فافعل فكتب لهم امانا فبعث به مع مولى له اليهم فلما رأوا الكتاب قالوا لا حاجة لنا فى أمانكم امان الله خير من امان ابن سمية فلما أتى شمر بكتاب ابن زياد الى عمر قال له مالك ويلك قبح الله ما جئت به والله انى لاظنك أنت ثنيته ان يقبل ما كنت كتبت اليه به أفسدت علينا أمرا كنا رجونا ان يصلح والله لا يستسلم الحسين أبدا والله ان نفس أبيه لبين جنبيه فقال له شمر ما أنت صانع قال أتولى ذلك ونهض اليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم وجاء شمر فدعا العباس بن على واخوته فخرجوا اليه فقال أنتم يابنى أختى آمنون فقالوا له لعنك الله ولعن امانك لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا امان له ثم ركب عمر والناس معه بعد العصر والحسين جالس أمام بيته محتبيا بسيفه اذ خفق برأسه على ركبته وسمعت أخته زينب الضجة فدنت منه فايقظته فرفع رأسه فقال انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال انك تروح الينا قال فلطمت أخته وجهها وقالت ياويلتاه قال ليس لك الويل يا أخية اسكتى رحمك الله قال له العباس أخوه يا أخى أتاك القوم فنهض فقال يا أخى اركب بنفسى فقال له العباس بل أروح انا فقال اركب أنت حتى تلقاهم فتقول مالكم ومابدا لكم وتسألهم عما جاء بهم فاتاهم فى نحو عشرين فارسا فيهم زهير بن القين فسألهم فقالوا جاء الامير بكذا وكذا قال فلا تعجلوا حتى أرجع الى أبى عبد الله فاعرض عليه ما ذكرتم فوقفوا ورجع العباس اليه بالخبر ووقف أصحابه يخاطبون القوم ويذكرونهم الله فلما أخبره العباس بقولهم قال له الحسين ارجع اليهم فان استطعت ان تؤخرهم الى غدوة لعلنا نصلى لربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أنى كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار وأراد الحسين أيضا ان يوصى أهله فرجع اليهم العباس وقال لهم انصرفوا عنا العشية حتى ننظر فى هذا الامر فاذا أصبحنا التقينا ان شاء الله فاما رضيناه واما رددناه فقال عمر بن سعد ما ترى يا شمر قال أنت الامير فاقبل على الناس فقال ما ترون فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدى سبحان الله والله لو كان من الديلم ثم سألكم هذه المسئلة لكان ينبغى أن تجيبوهم وقال قيس بن الاشعث بن قيس أجبهم لعمرى ليصبحنك بالقتال غدوة فقال لو أعلم ان يفعلوا ما أخرتهم العشية ثم رجع عنهم فجمع الحسين أصحابه بعد رجوع عمر فقال أثنى على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء اللهم انى أحمدك على ان أكرمتنا بالنبوة وجعلت لنا أسماعا وأبصارا وأفئدة وعلمتنا القرآن وفقهتنا فى الدين فاجعلنا لك من الشاكرين أما بعد فانى لا أعلم أصحابا أوفى ولا أخير

من خمسة فراسخ الى ستة والحد الثانى من حكم ورحاه الى ما بين مفاوز حضرموت وعمان عشرون مرحلة ويلى الوجه الثالث بحر اليمن على ما ذكرناه انه بحر القلزم والصين والهند فجميع ذلك عشرون مرحلة فى ست عشرة مرحلة وأسماء ملوك اليمن كذى يزن وذى نواس وذى منار وغير ذلك مضافة الى مواضع والى أفعال لهم وسير وحروب وغيرها من سمات لهم تميزهم عن غيرهم وتبين كل واحد منهم عن غيره من ملوكهم واذ قد ذكرنا جوامع من أخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم للحوقهم باليمن ثم نعقب ذلك بملوك الشام وغيرهم من الملوك ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم)

ولما ملك جذيمة الوضاح أتت عليه الزباء بنت عمرو ابن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر وقد كان ملك من مشارق الشام الى الفرات من قبل الروم وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيرة

من أصحابى ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتى فجزاكم الله جميعا عنى خيرا الا وانى لاظن يومنا من هؤلاء الاعداء غدا وانى قد أذنت لكم جميعا فانطلقوا فى حل ليس عليكم منى ذمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتى * فجزاكم الله جميعا خيرا ثم تفرقوا فى البلاد فى سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله فان القوم يطلبونى ولو أصابونى لهوا عن طلب غيرى فقال له اخوته وابناؤه وابناء اخوته وابناء عبد الله بن جعفر لم نفعل هذا لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبدا فقال الحسين يابنى عقيل حسبكم من القتل بمسلم اذهبوا فقد أذنت لكم قالوا وما نقول للناس نقول تركنا شيخنا وسيدنا وبنى عمومتنا خير الاعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب بسيف ولا ندرى ما صنعوا الا والله لا نفعل ولكنا نفديك بانفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك وقام اليه مسلم بن عوسجة الاسدى فقال أنحن نتخلى عنك ولم نعذر الى الله فى اداء حقك أما والله لا أفارقك حتى أكسر فى صدورهم رمحى وأضربهم بسيفى ما ثبت قائمه بيدى والله لو لم يكن معى سلاحى لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك وتكلم أصحابه بنحو هذا فجزاهم الله خيرا وسمعته أخته زينب تلك العشية وهو فى خباء له يقول وعنده حوى مولى أبى ذر الغفارى يعالج سيفه

يادهر أف لك من خليل * كم لك بالاشراق والاصيل

من صاحب أو طالب قتيل * والدهر لا يقنع بالبديل

وانما الامر الى الجليل * وكل حى سالك السبيل

فاعادها مرتين أو ثلاثا فلما سمعته لم تملك نفسها ان وثبت تجر ثوبها حتى انتهت اليه ونادت واثكلاه ليت الموت أعدمنى الحياة اليوم ماتت فاطمة أمى وعلى أبى والحسين أخى ياخليفة الماضى وثمال الباقى فذهب فنظر اليها وقال ياأخية لا يذهبن حلمك الشيطان قالت بابى أنت وأمى استقتلت نفسى لنفسك الفداء فردد غصته وترقرقت عيناه ثم قال لو ترك القطا لنام فلطمت وجهها وقالت واويلتاه افتغصبك نفسك اغتصابا فذلك أقرح لقلبى وأشد على نفسى ثم لطمت وجهها وشقت جيبها وخرت مغشية عليها فقام اليها الحسين فصب الماء على وجهها وقال اتقى الله وتعزى بعزاء الله واعلمى ان أهل الارض يموتون وأهل السماء لا يبقون وان كل شئ هالك الا وجه الله أبى خير منى وأمى خير منى وأخى خير منى ولى ولهم ولكل مسلم برسول الله اسوة فعزاها بهذا ونحوه وقال لها ياأخية انى أقسم عليك لا تشقى على جيبا ولا تخمشى على وجها ولا تدعى على بالويل والثبور ان انا هلكت ثم خرج الى أصحابه فامرهم ان يقربوا بعض بيوتهم من بعض وان يدخلوا الاطناب بعضها فى بعض ويكونوا بين يدى البيوت فيستقبلون القوم من وجه واحد والبيوت على أيمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم فلما أمسوا قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويتضرعون ويدعون فلما صلى عمر بن سعد الغداة يوم السبت وقيل الجمعة يوم عاشوراء خرج فيمن معه من الناس وعبى الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا فجعل زهير بن القين فى ميمنة أصحابه وحبيب بن مطهر فى ميسرتهم وأعطى رايته العباس اخاه وجعلوا البيوت فى ظهورهم وامر بحطب وقصب فالقى فى مكان منخفض من ورائهم كأنه ساقية عملوه فى ساعة من الليل لئلا يؤتوا من ورائهم واضرم نارا فنفعهم ذلك وجعل عمر بن سعد على ربع اهل المدينة عبد الله بن زهير الازدى وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الاشعث بن قيس وعلى ربع مذحج وأسد عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفى وعلى ربع تميم وهمدان الحر

بين بلاد الخانوقة وقرقيسيا وقد كانت الزباء تملكت بعد أبيها وأطمعت جذيمة فى نفسها الى أن قتلته وأقام جذيمة ملكا فى زمن ملوك الطوائف خمسا وتسعين سنة وفى ملك أردشير بابك وسابور الجنود بن أردشير ثلاثا وعشرين سنة فكان ملكه مائة سنة وثمان عشرة سنة وكان يكنى بابى مالك وفيه يقول بعض شعراء الجاهلية وهو سويد بن كاهل اليشكرى

ان أذق حتفى فقبلى ذاقه
طسم عاد وجديس ذو السبع
وأبو مالك القيل الذى
قتلته بنت عمرو بالخدع

وكان الملك قبل جذيمة اباه وهو أول من ملك الحيرة والله أعلم وكان يقال له مالك بن فهم بن دوس بن الازد بن الغوث بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان * وكان سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو ابن عامر مزيقيا فسار بنو جفنة نحو الشام وانفصل مالك نحو العراق فملك على مضر بن نزار اثنتى عشرة سنة (ثم ملك) بعده ابنه جذيمة على

ابن يزيد الرياحى فشهد هؤلاء كلهم مقتل الحسين الا الحر بن يزيد فانه عدل الى الحسين وقتل معه وجعل عمر على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدى وعلى ميسرته شمر بن ذى الجوشن وعلى الخيل عروة بن قيس الاحمسى وعلى الرجال شبث بن ربعى اليربوعى التميمى واعطى الراية دريدا مولاه فلما دنوا من الحسين امر فضرب له فسطاط ثم أمر بمسك فميث فى جفنة ثم دخل الحسين فاستعمل النورة ووقف عبد الرحمن بن عبد ربه ويزيد بن حصين الهمدانى على باب الفسطاط وازدحما أيهما يطلى بعده فجعل يزيد يهازل عبد الرحمن فقال له والله ما هذه بساعة باطل فقال يزيد والله ان قومى لقد علموا انى ما أحببت الباطل شابا ولا كهلا ولكنى مستبشر بما نحن لاقون والله ما بيننا وبين الحور العين الا ان يميل هؤلاء علينا باسيافهم فلما فرغ الحسين دخلا ثم ركب الحسين دابته ودعا بمصحف فوضعه أمامه واقتتل اصحابه بين يديه فرفع يديه ثم قال اللهم أنت ثقتى فى كل كرب ورجائى فى كل شدة وأنت لى فى كل أمر نزل بى ثقة وعدة كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت به العدو انزلته بك وشكوته اليك رغبة اليك عمن سواك ففرجته وكشفته وكفيتنيه فأنت ولى كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة فلما رأى أصحاب عمر النار تلتهب فى القصب نادى شمر الحسين تعجلت النار فى الدنيا قبل القيامة فعرفه الحسين فقال أنت أولى بها صليا ثم ركب الحسين راحلته وتقدم الى الناس ونادى بصوت عال يسمعه كل الناس فقال ايها الناس اسمعوا قولى ولا تعجلونى حتى اعظهم بما يجب لكم على وحتى اعتذر اليكم من مقدمى عليكم فان قبلتم عذرى وصدقتم قولى وأنصفتمونى كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم على سبيل وان لم تقبلوا منى العذر فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين قال فلما سمع اخواته قوله بكين وصحن وارتفعت اصواتهن فارسل اليهن اخاه العباس وابنه عليا ليسكتاهن وقال لعمرى ليكثرن بكاؤهن فلما ذهبا قال لا يبعد ابن عباس وانما قالها حين سمع بكاءهن لانه كان نهاه ان يخرج بهن معه فلما سكتن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وعلى الملائكة والانبياء وقال ما لا يحصى كثرة فما سمع ابلغ منه ثم قال أما بعد فانسبونى فانظروا من انا ثم راجعوا أنفسكم فعاتبوها وانظروا اهل يصلح ويحل لكم قتلى وانتهاك حرمتى ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأولى المؤمنين بالله والمصدق لرسوله أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبى أوليس جعفر الشهيد الطيار فى الجنة عمى أولم يبلغكم قول مستفيض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ولاخى أنتما سيدا شباب أهل الجنة وقرة عين أهل السنة فان صدقتمونى بما أقول وهو الحق والله ما تعمدت كذبا مذ علمت ان الله يمقت عليه وان كذبتمونى فان فيكم من ان سألتموه عن ذلك أخبركم سلوا جابر بن عبد الله أو أبا سعيد أو سهل بن سعد أو زيد بن أرقم او أنسا يخبروكم انهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم اما فى هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمى فقال شمر وهو يعبد الله على حرف ان كان يدرى ما يقول فقال له حبيب بن مطهر والله انى اراك تعبد الله على سبعين حرفا وان الله قد طبع على قلبك فلا تدرى ما تقول ثم قال الحسين فان كنتم فى شك مما أقول أو تشكون فى انى ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبى غيرى منكم ولا من غيركم اخبرونى اتطلبونى بقتيل منكم قتلته او بمال لكم استهلكته او بقصاص من جراحة فلم يكلموه فنادى ياشبث بن ربعى وياحجار بن ابجر وياقيس بن الاشعث ويايزيد بن الحرث ألم تكتبوا الى فى القدوم عليكم قالوا لم نفعل ثم قال بلى فعلتم ثم قال ايها الناس اذ كرهتمونى فدعونى

ماذكرنا (ثم ملك) بعده جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحرث بن مالك بن غنم ابن غمارة بن لخم وهو أول من نزل من الملوك الحيرة واتخذها منزلا ودار ملكه واليه تنسب ملوك النصرية وهم ملوك الحيرة فكان ملك عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة مائة سنة (قال المسعودى) وقد ذكر غير واحد ممن عنى باخبار العرب وأيامها أن جذيمة أول من ملك من قضاعة وهو جذيمة ابن مالك بن فهم التنوخى وانه قال ذات يوم لندمائه لقد ذكر لى عن غلام من اياد له ظرف وادب فلو بعثت اليه فوليته كاسى والقيام على راسى لكان الرأى قالوا الرأى ما رأى الملك فليبعث اليه ففعل فلما قدم عليه قال من أنت قال أنا عدى ابن نصر بن ربيعة فولاه مجلسه فعشقته رقاش ابنة مالك أخت الملك فقالت ياعدى اذا سقيت القوم فامزج لهم وغرق للملك فاذا أخذت الخمر منه فاخطبنى منه فانه يزوجك فاشهد القوم ان فعل ففعل الغلام ذلك فزوجه فاشهد عليه وانصرف الغلام اليها فأنبأها فقالت عرس باهلك ففعل فلما أصبح

أنصرف الى مأمنى من الارض قال وقال له قيس بن الاشعث اولا تنزل على حكم ابن عمك يعنى ابن زياد فانك لن ترى الا ما تحب فقال له الحسين انت اخو أخيك اتريد ان يطلبك بنو هاشم باكثر من دم مسلم بن عقيل لا والله ولا أعطيهم بيدى عطاء الذليل ولا اقر اقرار العبد عباد الله انى عذت بربى وربكم أن ترجمونى اعوذ بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ثم اناخ راحلته ونزل عنها وخرج زهير بن القين على فرس له فى السلاح فقال يا أهل الكوفة بدار لكم من عذاب الله بدار ان حقا على المسلم نصيحة المسلم ونحن حتى الآن اخوة على دين واحد مالم يقع بيننا وبينكم السيف فاذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا نحن أمة وأنتم أمة ان الله قد ابتلانا واياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون انا ندعوكم الى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد فانكم لا تدركون منهما الا سوأ يسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم ويرفعانكم على جذوع النخل ويقتلان أماثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدى وأصحابه وهانئ بن عروة واشباهه قال فسبوه وأثنوا على ابن زياد وقالوا والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه ونبعث به وباصحابه الى الامير عبيد الله بن زياد سلما فقال لهم يا عباد الله ان ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية فان كنتم لم تنصروهم فاعيذكم بالله ان تقتلوهم خلوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية فلعمرى ان يزيد يرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين فرماه شمر بسهم وقال اسكت أسكت الله نامتك أبرمتنا بكثرة كلامك فقال زهير يا ابن البوال على عقبيه ما اياك أخاطب انما أنت بهيمة والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين وأبشر بالخزى يوم القيامة والعذاب الاليم فقال شمر ان الله قاتلك وصاحبك عن ساعة قال أفبالموت تخوفنى والله للموت معه أحب الى من الخلد معكم ثم رفع صوته وقال عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافى فوالله لا تنال شفاعة محمد قوما أهرقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم فامره الحسين فرجع ولما زحف عمر نحو الحسين اتاه الحر بن يزيد فقال له أصلحك الله أمقاتل أنت هذا الرجل قال له اى اى والله قتالا أيسره ان تسقط الرؤس وتطيح الايدى قال أفما لكم فى واحدة من الخصال التى عرض عليكم رضا فقال عمر بن سعد والله لو كان الامر الى لفعلت ولكن أميرك قد أبى ذلك فاقبل يدنو نحو الحسين قليلا قليلا وأخذته رعدة فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس والله ان أمرك لمريب والله ما رأيت منك فى موقف قط مثل ما أراه الآن ولو قيل من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك فقال له انى والله أخير نفسى بين الجنة والنار ولا اختار على الجنة شيأ ولو قطعت وحرقت ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين فقال له جعلنى الله فداك يا ابن رسول الله أنا صاحبك الذى حبستك عن الرجوع وسايرتك فى الطريق وجعجعت بك فى هذا المكان والله ما ظننت ان القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبدا ولا يبلغون منك هذه المنزلة أبدا فقلت فى نفسى لا أبالى ان أطيع القوم فى بعض أمرهم ولا يرون انى خرجت من طاعتهم واما هم فيقبلون بعض ما تدعوهم اليه ووالله لو ظننت انهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك وانى قد جئتك تائبا مما كان منى الى ربى مواسيا لك بنفسى حتى أموت بين يديك أفترى ذلك توبة قال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك وتقدم الحر أمام أصحابه ثم قال ايها القوم الا تقبلون من الحسين خصلة من هذه الخصال التى عرض عليكم فيعافيكم الله من حربه وقتاله فقال عمر لقد حرصت لو وجدت الى ذلك سبيلا فقال يا اهل الكوفة لامكم الهبل والعبر ادعوتموه حتى اذا اتاكم اسلمتموه وزعمتم انكم قاتلوا أنفسكم

غدا متضرجا بالخلوق فقال له جذيمة ما هذه الآثار يا عدى قال آثار العرس قال أى عرس قال عرس رقاش فنخر وأكب على الارض ورفع عدى جراميزه وهرب واسرع جذيمة فى طلبه فلم يجده وقال بعضهم بل قتله وبعث اليها يقول

حدثينى رقاش لا تكذبينى ... أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فانت أهل لعبد ... أم بدون فانت أهل لدون

فاجابته رقاش تقول

انت زوجتنى وما كنت أدرى ... واتانى النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا ... وتماديك فى الصبا والجنون

فنقلها جذيمة اليه وحصنها فى قصره فاشتملت على حمل وولدت غلاما فسمته عمرا ورشحته حتى اذا ترعرع حلته وعطرته وألبسته كسوة فاخرة ثم أزارته خاله فأعجب به وألقيت عليه منه محبة ومودة حتى اذا خرج الملك فى سنة مكلئة قد اكمأت فبسط له فى أرضه وخرج عمرو فى غلمة يجتنون الكمأة فكانوا اذا أصابوا كمأة طيبة اكلوها واذا أصابها عمرو خبأها ثم اقبلوا يتعادون وعمرو

دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه امسكتم بنفسه واحطتم به ومنعتموه من التوجه فى بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته فاصبح كالاسير لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا ومنعتموه ومن معه عن ماء الفرات الجارى يشرب به اليهودى والنصرانى والمجوسى ويتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه وها هو وأهله قد صرعهم العطش بئسما خلفتم محمدا فى ذريته لا سقاكم الله يوم الظمأ ان لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه فرموه بالنبل فرجع حتى وقف أمام الحسين ثم قدم عمر بن سعد برايته وأخذ سهما فرمى به وقال اشهدوا لى انى أول رام ثم رمى الناس وبرز يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله وطلبا البراز فخرج اليهما عبد الله بن عمير الكلبى وكان قد أتى الحسين من الكوفة وسارت معه امرأته فقالا له من أنت فانتسب لهما فقالا لا نعرفك ليخرج الينا زهير بن القين أو حبيب بن مظهر أو برير بن خضير وكان يسار أمام سالم فقال له الكلبى يا ابن الزانية وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس ولا يخرج اليك أحد الا وهو خير منك ثم حمل عليه فضربه بسيفه حتى برد فاشتغل به يضربه فحمل عليه سالم فلم يأبه له حتى غشيه فضربه فاتقاه الكلبى بيده فاطار اصابع كفه اليسرى ثم مال عليه الكلبى فضربه حتى قتله واخذت امرأته عمودا وكانت تسمى ام وهب واقبلت نحوه وجها وهى تقول فداك ابى وأمى قاتل دون الطيبين ذرية محمد فردها نحو النساء فامتنعت وقالت لن أدعك دون ان أموت معك فناداها الحسين فقال جزيتم من اهل بيت خيرا ارجعى رحمك الله ليس الجهاد الى النساء فرجعت فزحف عمرو بن الحجاج فى ميمنة عمر فلما دنا من الحسين جثوا له على الركب واشرعوا الرماح نحوهم فلم تقدم خيلهم على الرماح فذهبت الخيل لترجع فرشقوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالا وجرحوا آخرين وتقدم رجل منهم يقال له ابن حوزة فقال أفيكم الحسين فلم يجبه أحد فقالها ثلاثا فقالوا نعم فما حاجتك قال يا حسين ابشر بالنار قال له كذبت بل أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع فمن انت قال ابن حوزة فرفع الحسين يديه وقال اللهم حزه الى النار فغضب ابن حوزة فأقحم فرسه فى نهر بينهما فتعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط عنها فانقطعت فخذه وساقه وقدمه وبقى جنبه الآخر متعلقا بالركاب يضرب به كل حجر وشجر حتى مات وكان مسروق بن وائل الحضرمى قد خرج معهم وقال لعلى اصيب رأس الحسين فاصيب به منزلة عند ابن زياد فلما رأى ما صنع الله بابن حوزة بدعاء الحسين رجع وقال لقد رأيت من اهل هذا البيت شيأ لا اقاتلهم ابدا ونشب القتال وخرج يزيد بن معقل حليف عبد القيس فقال يا برير بن خضير كيف ترى الله صنع بك قال والله لقد صنع بى خيرا وصنع بك شرا فقال كذبت وقبل اليوم ما كنت كذابا وانا أشهد انك من الضالين فقال له ابن خضير هل لك ان أباهلك أن يلعن الله الكاذب ويقتل المبطل ثم اخرج أبارزك فخرجا فتباهلا أن يلعن الله الكاذب ويقتل المحق المبطل ثم تبارزا فاختلفا ضربتين فضرب يزيد بن معقل برير بن خضير فلم يضره شيأ وضربه ابن خضير ضربة قدت المغفر وبلغت الدماغ فسقط والسيف فى رأسه فحمل عليه رضى بن منقذ العبدى فاعتنق ابن خضير فاعتركا ساعة ثم ان ابن خضير قعد على صدره فحمل كعب بن جابر الازدى عليه بالرمح فوضعه فى ظهره حتى غيب السنان فيه فلما وجد مس الرمح نزل عن رضى فعض انفه وقطع طرفه واقبل اليه كعب بن جابر فضربه بسيفه حتى قتله وقام رضى ينفض التراب عن قبائه فلما رجع كعب قالت له امرأته أعنت على ابن فاطمة وقتلت برير سيد القراء لا أكلمك أبدا وخرج عمرو بن قرظة الانصارى وقاتل دون الحسين فقتل وكان أخوه مع عمر بن سعد فنادى يا حسين يا كذاب ابن الكذاب اضللت أخى وغررته حتى قتلته فقال

يقدمهم ويقول

هذا جناى وخياره فيه ... اذ كل جان يده الى فيه

فالتزمه جذيمة وحياه ثم ان الجن استطارته فضرب له جذيمة فى الآفاق زمانا فلم يسمع له بخبر فكف عنه اذ أقبل رجلان يقال لاحدهما مالك وللآخر عقيل ابنا فالج وهما يريدان الملك بهدية فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها ام عمرو فنصبت قدرا واصلحت لهما طعاما فبينماهما يأكلان اذ أقبل رجل اشعث أغبر الرأس قد طالت اظفاره وساءت حاله حتى جلس مزجر الكلب ومد يده فناولته القينة طعاما فأكل فلم يغن عنه شيأ فمد يده فقالت القينة ان يعط العبد كراعا طلب ذراعا فأرسلتها مثلا ثم ناولت صاحبيها من شرابها واوكت زقها فقال عمرو بن عدى

عدلت الكاس عنا أم عمرو ... وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذى لا تصبحينا

فقال له الرجلان من أنت فقال ان تنكرانى فلن تنكرا حسبى أنا عمرو بن عدى فقاما اليه فلثماه وغسلا رأسه وقلما أظفاره وقصرا من لمته وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا

ان الله لم يضل أخاك بل هداه وأضلك قال قتلنى الله ان لم أقتلك أو أموت دونك فحمل واعترضه نافع بن هلال المرادى فطعنه فصرعه فحمل أصحابه فاستنقذوه فبرأ وقاتل الحر بن يزيد مع الحسين قتالا شديدا وبرز اليه يزيد بن سفيان فقتله الحر وقاتل نافع بن هلال مع الحسين أيضا فبرز اليه مزاحم بن حريث فقتله نافع فصاح عمرو بن الحجاج بالناس أتدرون من تقاتلون فرسان المصر قوما مستميتين لا يبرز اليهم منكم أحد فانهم قليل وقلما يبقون والله لو لم ترموهم الا بالحجارة لقتلتموهم يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم لا ترتابوا فى قتل من مرق من الدين وخالف الامام فقال عمر الرأى ما رأيت ومنع الناس من المبارزة قال وسمعه الحسين فقال يا عمرو بن الحجاج أعلىّ تحرض الناس أنحن مرقنا من الدين أم أنتم والله لتعلمن لو قبضت أرواحكم ومتم على أعمالكم أينا المارق ثم حمل عمرو بن الحجاج على الحسين من نحو الفرات فاضطربوا ساعة فصرع مسلم بن عوسجة الاسدى وانصرف عمرو ومسلم صريع فمشى اليه الحسين وبه رمق فقال رحمك الله يا مسلم بن عوسجة منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ودنا منه حبيب بن مطهر وقال عزّ علىّ مصرعك أبشر بالجنة ولولا انى أعلم انى فى أثرك لاحق بك لاحببت ان توصينى حتى احفظك بما أنت له أهل فقال أوصيك بهذا رحمك الله وأومأ بيده نحو الحسين ان تموت دونه فقال أفعل ثم مات مسلم وصاحت جارية له فقالت يا ابن عوسجة فنادى أصحاب عمرو قتلنا مسلما فقال شبث لبعض من حوله ثكلتكم أمهاتكم انما تقتلون أنفسكم بأيديكم وتذلون أنفسكم لغيركم انفرحون بقتل مثل مسلم أما والذى اسلمت له لرب موقف له قد رأيته فى المسلمين فلقد رأيته يوم ساق اذربيجان قتل ستة من المشركين قبل ان تتام خيول المسلمين أفيقتل مثله وتفرحون وكان من الذين قتلاه مسلم بن عبد الله الضبابى وعبد الرحمن بن أبى خشكارة البجلى وحمل شمر فى الميسرة فثبتوا له وحملوا على الحسين وأصحابه من كل جانب فقتل الكلبى وقد قتل رجلين بعد الرجلين الاولين وقاتل قتالا شديدا فقتله هانئ بن ثبيت الحضرمى وبكير بن حى التيمى من تيم الله بن ثعلبة وقاتل أصحاب الحسين قتالا شديدا وهم اثنان وثلاثون فارسا فلم تحمل على جانب من خيل الكوفة الا كشفته فلما رأى ذلك عزرة بن قيس وهو على خيل الكوفة بعث الى عمر فقال ألا ترى ما تلقى خيلى هذا اليوم من هذه العدة اليسيرة ابعث اليهم الرجال والرماة فقال لشبث بن ربعى ألا تقدم اليهم فقال سبحان الله شيخ مضر واهل المصر عامة تبعثه فى الرماة لم تجد لهذا غيرى ولم يزالوا يرون من شبث الكراهة للقتال حتى انه كان يقول فى امارة مصعب لا يعطى الله أهل هذا المصر خيرا أبدا ولا يسددهم لرشد ألا تعجبون انا قاتلنا مع على بن أبى طالب ومع ابنه الحسين آل أبى سفيان خمس سنين ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الارض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية ضلال يا لك من ضلال فلما قال شبث ذلك دعا عمر بن سعد الحصين بن نمير فبعث معه المجففة وخمسمائة من المرامية فلما دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل فلم يلبثوا ان عقروا خيولهم وصاروا رجالة كلهم وقاتل الحر بن يزيد راجلا قتالا شديدا فقاتلوهم الى ان انتصف النهار أشد قتال خلقه الله لا يقدرون ان يأتوهم الا من وجه واحد لاجتماع مضاربهم فلما رأى ذلك عمر أرسل رجالا يقوضون البيوت عن أيمانهم وشمائلهم ليحيطوا بهم فكان النفر من أصحاب الحسين الثلاثة والاربعة يتخللون البيوت فيقتلون الرجل وهو يقوض وينهب ويرمونه من قريب أو يعقرونه فامر بها عمر بن سعد فاحرقت فقال لهم الحسين دعوهم فليحرقوها فانهم اذا أحرقوها لا يستطيعون ان يجوزوا اليكم منها فكان كذلك وخرجت امرأة الكلبى فجلست عند رأسه تمسح التراب عن وجهه وتقول

ما كنا نهدى الى الملك هدية هى انفس عنده ولا هو عليها احرص من ابن أخته فقد رده الله اليه فخرجا به حتى اذا وقفا على باب الملك بشراه به فصرفه الى أمه وقال لهما حكمكما فقالا حكمنا منادمتك ما بقيت وبقينا قال ذلك لكما فهما ندمانا جذيمة المعروفان واياهما عنى متمم بن نويرة اليربوعى فى مرثيته لاخيه مالك حين قتله خالد بن الوليد بن المغيرة يوم البطاح

وكنا كندمانى جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كانى ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال أبو خراشة الهذلى

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا
خليلا صفاء مالك وعقيل

وان أم عمرو عمدت اليه فبعثت معه حفدة يقومون عليه فى الحمام حتى اذا خرج ألبسته من ظرائف ثياب الملوك وجعلت فى عنقه طوقا من ذهب لنذر كان عليها ثم أمرته بزيارة خاله فلما رأى خاله لحيته والطوق فى عنقه قال شب عمرو عن الطوق وأقام عمرو مع جذيمة خاله قد حمل عنه عامة أمره وان

هنيا

هنيأ لك الجنة فأمر شمر غلاما اسمه رستم فضرب رأسها بالعمود فماتت مكانها وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين ونادى علىّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله فصاحت النساء وخرجن وصاح به الحسين أنت تحرق بيتى على أهلى أحرقك الله بالنار فقال حميد بن مسلم لشمر ان هذا لا يصلح تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء والله ان فى قتل الرجال لما يرضى به أميرك فلم يقبل منه فجاءه شبث بن ربعى فنهاه فانتهى وذهب لينصرف فحمل عليه زهير بن القين فى عشرة فكشفهم عن البيوت وقتلوا أبا عزة الضبابى وكان من أصحاب شمر وعطف الناس عليهم فكثروهم وكانوا اذا قتل منهم الرجل والرجلان يبين فيهم لقلتهم واذا قتل فى أولئك لا يبين فيهم لكثرتهم ولما حضر وقت الصلاة قال أبو ثمامة الصائدى للحسين نفسى لنفسك الفداء أرى هؤلاء قد اقتربوا منك والله لا تقتل حتى أقتل دونك وأحب ان ألقى ربى وقد صليت هذه الصلاة فرفع الحسين رأسه وقال ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين نعم هذا أول وقتها ثم قال سلوهم ان يكفوا عنا حتى نصلى ففعلوا فقال لهم الحصين انها لا تقبل فقال له حبيب بن مطهر زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقبل منك يا حمار فحمل عليه الحصين وخرج اليه حبيب فضرب وجه فرسه بالسيف فشب فسقط عنه الحصين فاستنقذه أصحابه وقاتل حبيب قتالا شديدا فقتل رجلا من بنى تميم اسمه بديل بن صريم وحمل عليه آخر من تميم فطعنه فذهب ليقوم فضربه الحصين على رأسه بالسيف فوقع ونزل اليه التميمى فاحتز رأسه فقال له الحصين انا شريكك فى قتله فقال الآخر لا والله فقال له الحصين اعطنيه اعلقه فى عنق فرسى كيما يرى الناس انى شركت فى قتله ثم خذه وامض به الى ابن زياد فلا حاجة لى فيما تعطاه ففعل وجال به فى الناس ثم دفعه اليه فلما رجعوا الى الكوفة أخذ الرأس وجعله فى عنق فرسه ثم اقبل به الى ابن زياد فى القصر فبصر به القاسم بن حبيب وقد راهق فاقبل مع الفارس لا يفارقه فارتاب به الرجل فسأله عن حاله فاخبره وطلب الرأس ليدفنه فقال ان الامير لا يرضى ان يدفن وأرجو ان يثيبنى الامير فقال له لكن الله لا يثيبك الا اسوأ الثواب ولم يزل يطلب غرة قاتل أبيه حتى كان زمان مصعب وغزا مصعب باجميرا دخل القاسم عسكره فاذا قاتل أبيه فى فسطاطه فدخل عليه نصف النهار فقتله فلما قتل حبيب هدّ ذلك الحسين وقال عند ذلك أحتسب حماة أصحابى وحمل الحر وزهير بن القين فقاتلا قتالا شديدا وكان اذا حمل أحدهما وغاص فيهم حمل الآخر حتى يخلصه ففعلا ذلك ساعة ثم ان رجالة حملت على الحر بن يزيد فقتلته وقتل أبو ثمامة الصائدى ابن عم له كان عدوه ثم صلوا الظهر صلى بهم الحسين صلاة الخوف ثم اقتتلوا بعد الظهر فاشتد قتالهم ووصلوا الى الحسين فاستقدم الحنفى أمامه فاستهدف لهم يرمونه بالنبل وهو بين يديه حتى سقط وقاتل زهير بن القين قتالا شديدا فحمل عليه كثير بن عبد الله الشعبى ومهاجر بن أوس فقتلاه وكان نافع بن هلال البجلى قد كتب اسمه على فوق نبله وكانت مسمومة فقتل بها اثنى عشر رجلا سوى من جرح فضرب حتى كسرت عضداه وأخذ أسيرا فاخذه شمر بن ذى الجوشن فاتى به عمر ابن سعد والدم على وجهه وهو يقول لقد قتلت منكم اثنى عشر رجلا سوى من جرحت ولو بقيت لى عضد وساعد ما اسرتمونى فانتضى شمر سيفه ليقتله فقال له نافع والله لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذى جعل منايانا على يدى شرار خلقه فقتله شمر ثم حمل على أصحاب الحسين فلما رأوا أنهم قد كثروا وانهم لا يقدرون أن يمنعوا الحسين ولا انفسهم تنافسوا ان يقتلوا بين يديه فجاء عبد الله وعبد الرحمن ابنا عروة الغفاريان اليه فقالا قد حازنا الناس اليك

الزباء ابنة عمرو بن ظرب ابن حسان بن أذينة بن السميدع ابن هوبر ملكة الشام والجزيرة من أهل بيت عاملة من العماليق كانوا فى سليح وقال بعضهم بل كانت رومية وكانت تتكلم بالعربية مدائنها على شاطئ الفرات من الجانب الشرقى والغربى وهى اليوم خراب وكانت فيما ذكر قد سقفت الفرات وجعلت من فوقه أبنية رومية وجعلته أنفاقا بين مدائنها وكانت تغدو بالجنود فخطبها جذيمة الابرش فكتبت اليه انى فاعلة ومثلك من رغب فيه فاذا شئت فاشخص الى وكانت بكرا فجمع عند ذلك جذيمة أصحابه فاستشارهم فاشاروا عليه بالمضى وخالفهم قصير بن سعد تابع كان له من لخم فامره أن لا يفعل ويكتب اليها فان كانت صادقة أقبلت اليك والا لم تقع فى حبالها فعصاه واطاعهم حتى اذا كان ببقة من دون هيت الى الانبار جمعهم وشاورهم فامروه بالشخوص اليها لما علموا من رأيه فى ذلك وقال قصير تنصرف ودمك فى وجهك فقال جذيمة ببقة قضى الامر فأرسلها مثلا

فجعلا يقاتلان بين يديه وأتاه الفتيان الجابريان وهما سيف بن الحرث بن سريع ومالك بن عبد بن
سريع وهما ابنا عم واخوان لام وهما يبكيان فقال لهما ما يبكيكما انى لارجو أن تكونوا عن ساعة
قريرى عينى فقالا والله ما على أنفسنا نبكى ولكن نبكى عليك نراك قد أحيط بك ولا نقدر أن نمنعك
فقال جزاكما الله جزاء المتقين وجاء حنظلة بن اسعد الشبامى فوقف بين يدى الحسين وجعل ينادى
ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله
يريد ظلما للعباد ياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن
يضلل الله فما له من هاد ياقوم لا تقتلوا الحسين فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من افترى فقال له
الحسين رحمك الله انهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا ما دعوتهم اليه من الحق ونهضوا
ليستبيحوك وأصحابك فكيف بهم الآن قد قتلوا اخوانك الصالحين فسلم على الحسين وصلى عليه
وعلى أهل بيته وتقدم وقاتل حتى قتل وتقدم الفتيان الجابريان فودعا الحسين وقاتلا حتى قتلا
وجاء عابس بن أبى شبيب الشاكرى وشوذب مولى شاكر الى الحسين فسلما عليه وتقدما فقاتلا
فقتل شوذب وأما عابس فطلب البراز فتحاماه الناس لشجاعته فقال لهم عمر ارموه بالحجارة فرموه
من كل جانب فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره وحمل على الناس فهزمهم بين يديه ثم رجعوا عليه
فقتلوه وادعى قتله جماعة وجاء الضحاك بن عبد الله المشرقى الى الحسين فقال يا ابن رسول الله قد
علمت انى قلت لك انى أقاتل عنك ما رأيت مقاتلا فاذا لم أر مقاتلا فانا فى حل من الانصراف فقال
له الحسين صدقت وكيف لك بالنجاء ان قدرت عليه فانت فى حل قال فاقبلت الى فرسى وكنت قد
تركته فى خباء حيث رأيت خيل أصحابنا تعقر وقاتلت راجلا وقتلت رجلين وقطعت يد آخر ودعا
الى الحسين مرارا قال واستخرجت فرسى واستويت عليه وحملت على عرض القوم فافرجوا لى
وتبعنى منهم خمسة عشر رجلا ففتهم وسلمت وجثا أبو الشعثاء الكندى وهو يزيد بن أبى زياد بين
يدى الحسين فرمى بمائة سهم ما سقط منها خمسة أسهم وكلما رمى يقول له الحسين اللهم سدد رميته
واجعل ثوابه الجنة وكان يزيد هذا فيمن خرج مع عمر بن سعد فلما ردوا الشروط على الحسين
عدل اليه فقاتل بين يديه وكان أول من قتل وأما الصيداوى عمرو بن خالد وجبار بن الحرث
السلمانى وسعد مولى عمرو بن خالد ومجمع بن عبيد الله العائذى فانهم قاتلوا أول القتال فلما وغلوا
فيهم عطفوا اليهم فقطعوهم عن أصحابهم فحمل العباس بن على فاستنقذهم وقد جرحوا فلما دنا
منهم عدوهم حملوا عليهم فقاتلوا فقتلوا فى أول الامر فى مكان واحد وكان آخر من بقى من أصحاب
الحسين سويد بن أبى المطاع الخثعمى وكان أول من قتل من آل بنى أبى طالب يومئذ على الاكبر
ابن الحسين وأمه ليلى بنت أبى مرة بن عروة بن مسعود الثقفية وذلك انه حمل عليهم وهو يقول

أنا على بن الحسين بن على * نحن ورب البيت أولى بالنبى

* تالله لا يحكم فينا ابن الدعى *

ففعل ذلك مرارا فحمل عليه مرة بن منقذ العبدى فطعنه فصرع وقطعه الناس بسيوفهم فلما
رآه الحسين قال قتل الله قوما قتلوك يا بنى ما اجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول على الدنيا
بعدك العفاء وأقبل الحسين اليه ومعه فتيانه فقال احملوا أخاكم فحملوه حتى وضعوه بين يدى
الفسطاط الذى كانوا يقاتلون أمامه ثم ان عمرو بن صبيح الصدائى رمى عبد الله بن مسلم بن عقيل
بسهم فوضع كفه على جبهته فلم يستطع ان يحركها ثم رماه بسهم آخر فقتله وحمل الناس عليهم من
كل جانب فحمل عبد الله بن قطبة الطائى على عون بن عبد الله بن جعفر فقتله وحمل عثمان بن خالد

ابن

وقال قصير بن سعد حين
رآه قد عزم لا يطاع لقصير
امر فارسلها مثلا وظعن
جذيمة حتى اذا عاين
مدينتها وهى بمكان دون
الخانوقة ونظر الى الكتائب
دونها فهاله ما رأى فقال
أى قصير ما الرأى فقال
قصير انى تركت الراى
ببقة فقال عند ذلك أشر
على فقال ان لقيتك
الكتائب فحينك بتحية
الملك وانصرفوا أمامك
فالمرأة صادقة وان هم
أخذوا بجنبيك ووقفوا
دونك فالقوم منعطفون
عليك فيما بينهم وبين
جنودهم فاركب العصا
فانها لا تدرك ولا تسبق
يعنى فرسا كانت جنبت
معه فاستقبله القوم
وأحاطوا به فلم يركب
العصا فعمد اليها قصير فركبها
وحمل وانطلق فالتفت
جذيمة فاذا هو بالعصا
عليها قصير أمام خيلهم
حتى توارت به فقال جذيمة
ما ضل من تجرى به العصا
فادخل على الزباء
فاستقبلته وقد كشفت
عن كعثبها (أى عفلها)
وتنضفت باستها وقالت
يا جذيمة أى متاع عروس
ترى قال أرى متاع أمة
لكعاء غير ذات خفر فقالت
أما والله ما ذاك من عدم

ابن أسير الجهنى وبشر بن سوط الهمدانى على عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب فقتلاه ورمى عبد
الله بن عروة الخثعمى جعفر بن عقيل فقتله ثم حمل القاسم بن الحسن بن على وبيده السيف
فحمل عليه عمرو بن سعد بن نفيل الازدى فضرب رأسه بالسيف فسقط القاسم الى الارض
لوجهه وقال يا عماه فانقض الحسين اليه كالصقر ثم شد شدة ليث اغضب فضرب عمرا بالسيف
فاتقاه بيده فقطع يده من المرفق فصاح وحملت خيل الكوفة ليستنقذوا عمرا فاستقبلته
بصدورها وجالت عليه فوطئته حتى مات وانجلت الغبرة والحسين واقف على رأس القاسم وهو
يفحص برجليه والحسين يقول بعدا لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك ثم قال عز
والله على عمك ان تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك صوته والله هذا يوم كثر واتره وقل ناصره
ثم احتمله على صدره حتى القاه مع ابنه على ومن قتل معه من أهل بيته ومكث الحسين طويلا من
النهار كلما انتهى اليه رجل من الناس رجع عنه وكره ان يتولى قتله وعظم اثمه ثم ان رجلا من
كنده يقال له مالك بن النسير أتاه فضربه على رأسه بالسيف فقطع البرنس وادمى رأسه وامتلأ
البرنس دما فقال له الحسين لا أكلت بها ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين والقى البرنس
ولبس القلنسوة وأخذ الكندى البرنس فلما قدم على أهله أخذ البرنس يغسل الدم عنه فقالت
له امرأته أسلب ابن رسول الله تدخل بيتى أخرجه عنى قال فلم يزل ذلك الرجل فقيرا بشر حتى مات
ودعا الحسين بابنه عبد الله وهو صغير فاجلسه فى حجره فرماه رجل من بنى أسد فذبحه فاخذ
الحسين دمه فصبه فى الارض ثم قال رب ان تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك
لما هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين ورمى عبد الله بن عقبة الغنوى أبا بكر بن الحسين بن على
بسهم فقتله وقال العباس بن على لاخوته من أمه عبد الله وجعفر وعثمان تقدموا حتى أرثكم فانه
لا ولد لكم ففعلوا فقتلوا وحمل هانئ بن ثبيت الحضرمى على عبد الله بن على فقتله ثم حمل على جعفر
ابن على فقتله ورمى خولى بن يزيد الاصبحى عثمان بن على ثم حمل عليه رجل من بنى أبان بن دارم
فقتله وجاء برأسه ورمى رجل من بنى أبان أيضا محمد بن على بن أبى طالب فقتله وجاء برأسه وخرج
غلام من خباء من تلك الاخبية فاخذ بعود من عيدانه وهو ينظر كأنه مذعور فحمل عليه رجل
قيل انه هانئ بن ثبيت الحضرمى فقتله واشتد عطش الحسين فدنا من الفرات ليشرب فرماه
حصين بن نمير بسهم فوقع فى فمه فجعل يتلقى الدم بيده ورمى به الى السماء ثم حمد الله وأثنى عليه ثم
قال اللهم انى اشكو اليك ما يصنع بابن بنت نبيك اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم
أحدا وقيل الذى رماه رجل من بنى أبان بن دارم فمكث ذلك الرجل يسيرا ثم صب الله عليه
الظمأ فجعل لا يروى فكان يروح عنه ويبرد له الماء فيه السكر وعساس فيها اللبن ويقول اسقونى
فيعطى القلة أو العس فيشربه فاذا شربه اضطجع هنيهة ثم يقول اسقونى قتلنى الظمأ فما لبث
الا يسيرا حتى انقدت بطنه انقداد بطن البعير ثم ان شمر بن ذى الجوشن أقبل فى نفر نحو عشرة
من رجالهم نحو منزل الحسين فحالوا بينه وبين رحله فقال لهم الحسين ويلكم ان لم يكن لكم دين
ولا تخافون يوم المعاد فكونوا احرارا ذوى احساب امنعوا رحلى وأهلى من طغاتكم وجهالكم
فقالوا ذلك لك يا ابن فاطمة واقدم عليه شمر برجاله منهم أبو الجنوب واسمه عبد الرحمن الجعفى
والقشعم بن نذير الجعفى وصالح بن وهب اليزنى وسنان بن أنس النخعى وخولى بن يزيد الاصبحى
وجعل شمر يحرضهم على الحسين وهو يحمل عليهم فينكشفون عنه ثم انهم أحاطوا به واقبل الى
الحسين غلام من أهله فقام الى جنبه وقد أهوى بحر بن كعب بن تيم الله بن ثعلبة الى الحسين

مواس ولا قلة اواس ولكن
شيمة ماس ثم أجلسته على
نطع ودعت له بطست من
عسجد فقطعت رواهشه
واستنزفته حتى اذا ضعفت
قواه ضرب بيده فقطرت
قطرة على دعامة من رخام
وقد قيل لها انه ان وقع من
دمه قطرة فى غير طست
طلب بدمه لقالت أى
جذيم لا تضيعن من دمك
شيأ فانى انما بعثت اليك
لانه بلغنى أن دمك شفاء
من الخبل فقال جذيمة
وما يغنيك من دم اضاعه
أهله وفى ذلك يقول المغيث
من الدارميين الذين
دماؤهم
شفاء من الداء المجنة والخبل
واستصفت دمه وجعلته
فى برنية وقال بعضهم
دخل عليها جذيمة فى قصر
لها ليس فيه الا الجوارى
وهى على سريرها فقالت
للاماء خذن بيد سيدكن
ثم دعت بنطع فاجلسته
عليه فعرف الشر وكشفت
عن عورتها فاذا هى قد
عقدت شعر استها من وراء
فقالت أشوار عروس ترى
فقال بل شوار أمة بظرا
فقالت أما والله ما ذاك من
عدم مواس ولا من قلة
أواس ولكنها شيمة ما أناس
ثم أمرت برواهشه
فقطعت فجعلت دمه

بالسيف فقال الغلام يا ابن الخبيثة أتقتل عمى فضربه بالسيف فاتقاه الغلام بيده فاطنها الى الجلدة فنادى الغلام يا أمتاه فاعتنقه الحسين وقال له يا ابن أخى اصبر على مانزل بك فان الله يلحقك بآبائك الطاهرين الصالحين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وحمزة وجعفر والحسن وقال الحسين اللهم امسك عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الارض اللهم فان متعتهم الى حين ففرقهم فرقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترض عنهم الولاة أبدا فانهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا ثم ضارب الرجالة حتى انكشفوا عنه ولما بقى الحسين فى ثلاثة أو اربعة دعا بسراويل ففزره ونكثه لئلا يسلبه فقال له بعضهم لو لبست تحته التبان قال ذلك ثوب مذلة ولا ينبغى ان البسه فلما قتل سلبه بحر بن كعب وكانت يداه فى الشتاء تنضحان بالماء وفى الصيف تيبسان كأنهما عود وحمل الناس عليه عن يمينه وشماله فحمل على الذين عن يمينه فتفرقوا ثم حمل على الذين عن يساره فتفرقوا فما رؤى مكثور قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه اربط جأشا منه ولا أمضى جنانا ولا اجرأ مقدما منه ان كانت الرجالة لتنكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى اذا شد فيها الذئب فبينما هو كذلك اذ خرجت زينب وهى تقول ليت السماء انطبقت على الارض وقد دنا عمر بن سعد فقالت يا عمر أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر فدمعت عيناه حتى سالت دموعه على خديه ولحيته وصرف وجهه عنها وكان على الحسين جبة من خز وكان معتما مخضوبا بالوسمة وقاتل راجلا قتال الفارس الشجاع يتقى الرمية ويفترص العورة ويشد على الخيل وهو يقول أعلى قتلى تجتمعون أما والله لا تقتلون بعدى عبدا من عباد الله اسخط عليكم لقتله منى وايم الله انى لارجو ان يكرمنى الله بهوانكم ثم ينتقم لى منكم من حيث لا تشعرون اما والله لو قتلتمونى لالقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ثم لا يرضى بذلك منكم حتى يضاعف لكم العذاب الاليم قال ومكث طويلا من النهار ولو شاء الناس ان يقتلوه لقتلوه ولكنهم كان يتقى بعضهم ببعض ويحب هؤلاء ان يكفيهم هؤلاء فنادى شمر فى الناس ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم فحملوا عليه من كل جانب فضرب زرعة بن شريك التميمى على كفه اليسرى وضرب أيضا على عاتقه ثم انصرفوا عنه وهو يقوم ويكبو وحمل عليه فى تلك الحال سنان بن أنس النخعى فطعنه بالرمح فوقع وقال لخولى بن يزيد الاصبحى احتز رأسه فاراد أن يفعل فضعف وارعد فقال له سنان فت الله عضدك ونزل اليه فذبحه واحتز رأسه فدفعه الى خولى وسلب الحسين ما كان عليه فاخذ سراويله بحر بن كعب وأخذ قيس بن الاشعث قطيفته وهى من خز فكان يسمى بعده قيس قطيفة واخذ نعليه الاسود الاودى وأخذ سيفه رجل من دارم ومال الناس على الفرش والحلل والابل فانتهبوها وانتهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء حتى ان كانت المرأة لتنزع ثوبها من ظهرها فيؤخذ منها ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة غير الرمية وأما سويد بن المطاع فكان قد صرع فوقع بين القتلى مثخنا بالجراحات فسمعهم يقولون قتل الحسين فوجد خفة فوثب ومعه سكين وكان سيفه قد أخذ فقاتلهم بسكينه ساعة ثم قتل قتله عروة بن بطان الثعلبى وزيد بن رقاد الجنبى وكان آخر من قتل من أصحاب الحسين ثم انتهوا الى على ابن الحسين زين العابدين فاراد شمر قتله فقال له حميد بن مسلم سبحان الله اتقتل الصبيان وكان مريضا وجاء عمر بن سعد فقال لا يدخلن بيت هذه النسوة أحد ولا يعرضن لهذا الغلام المريض ومن أخذ من متاعهم شيأ فليرده فلم يرد أحد شيأ فقال الناس لسنان بن أنس النخعى قتلت الحسين بن على وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت أعظم العرب خطرا أراد يزيل

يشخب فى النطع كراهة أن يفسد مقعدها فقال جذيمة لا يحزنك دم أراقه اهله ونجا قصير فاورد الخبر على عمرو بن عبد الجن التنوخى بالحيرة فاشفق لذلك فقال له قصير اطلب بثأر ابن عمك والا سبتك العرب فلم يحفل بذلك ان عنده خبرا فخرج قصير الى عمرو بن عدى فقال له هل لك الى ان اصرف الجنود اليك على أن تطلب ثأر خالك فجعل له ذلك فصرف وجوه الجنود اليه ومناهم بالمال والحال فانصرف اليه منهم بشر كثير فالتقى هو والتنوخى فلما خانوا الفتن بايعه التنوخى وتم الامر لعمرو ابن عدى فقال له قصير انظر ماوعدتنى به فى الزباء فقال عمرو وكيف لنا بها وهى أمنع من عقاب الجو فقال اما اذ أبيت فانى جادع انفى واذنى ومحتال لقتلها جهدى فاعنى وخلاك ذم فقال له عمرو وأنت أبصر وعلى معونتك فجدع انفه فقيل لامر ما جدع قصير انفه ثم انطلق حتى دخل على الزباء فقالت من انت فقال انا قصير لا ورب المشارق ما كان على وجه الارض بشر كان أنصح لجذيمة ولا أغش للثمنى

ملك هؤلاء فانت امراءك فاطلب ثوابك منهم فانهم لو أعطوك بيوت أموالهم فى قتله كان قليلا فاقبل على فرسه وكان شجاعا شاعرا به لوثة حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثم نادى بأعلى صوته

أوقر ركابى فضة وذهبا * انى قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال عمر بن سعد اشهد أنك مجنون أدخلوه على فلما ادخل حذفه بالقضيب وقال يا مجنون أتتكلم بهذا الكلام والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك واخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان مولى الرباب ابنة امرئ القيس الكلبية امرأة الحسين فقال ما أنت فقال انا عبد مملوك فخلى سبيله فلم ينج منهم غيره وغير المرقع بن ثمامة الاسدى وكان قد نثر نبله فقاتل فجاء نفر من قومه فامنوه فخرج اليهم فلما أخبر ابن زياد خبره نفاه الى الزارة ثم نادى عمر بن سعد فى أصحابه من ينتدب الى الحسين فيوطئه فرسه فانتدب عشرة منهم اسحق بن حيوة الحضرمى وهو الذى سلب قميص الحسين فبرص بعد فاتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره وكان عدة من قتل من أصحاب الحسين اثنين وسبعين رجلا ودفن الحسين وأصحابه أهل الغاضرية من بنى أسد بعد قتلهم بيوم وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا سوى الجرحى فصلى عليهم عمر ودفنهم ولما قتل الحسين أرسل رأسه ورؤس أصحابه الى ابن زياد مع خولى بن يزيد وحميد بن مسلم الازدى فوجد خولى القصر مغلقا فاتى منزله فوضع الرأس تحت اجانة فى منزله ودخل فراشه وقال لامرأته النوار جئتك بغنى الدهر هذا رأس الحسين معك فى الدار فقالت ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يجمع رأسى ورأسك بيت أبدا وقامت من الفراش فخرجت الى الدار قالت فما زلت أنظر الى نور يسطع مثل العمود من السماء الى الاجانة ورأيت طيرا أبيض يرفرف حولها فلما أصبح غدا بالرأس الى ابن زياد وقيل بل الذى حمل الرؤس كان شمر وقيس بن الاشعث وعمرو بن الحجاج وعروة بن قيس فجلس ابن زياد وأذن للناس فاحضرت الرؤس بين يديه وهو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة فلما رآه زيد بن الارقم لا يرفع قضيبه قال أعل هذا القضيب عن هاتين الثنيتين فوالذى لا اله غيره لقد رأيت شفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما ثم بكى فقال له ابن زياد أبكى الله عينيك فوالله لولا انك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك فخرج وهو يقول أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعدا لمن يرضى بالذل فاقام عمر بعد قتله يومين ثم ارتحل الى الكوفة وحمل معه بنات الحسين واخواته ومن كان معه من الصبيان وعلى بن الحسين مريض فاجتازوا بهم على الحسين وأصحابه صرعى فصاح النساء ولطمن خدودهن وصاحت زينب أخته يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء هذا الحسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الاعضاء وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا فابكت كل عدو وصديق فلما أدخلوهم على ابن زياد لبست زينب أرذل ثيابها وتنكرت وحفت بها اماؤها فقال عبيد الله من هذه الجالسة فلم تكلمه فقال ذلك ثلاثا وهى لا تكلمه فقال بعض امائها هذه زينب بنت فاطمة فقال لها ابن زياد الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم واكذب احدوثتكم فقالت الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيرا لا كما تقول وانما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر فقال فكيف رأيت صنع الله باهل بيتك قالت كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده فغضب ابن زياد وقال قد شفى

حتى جدع عمرو أنفى وأذنى فعرفت أنى لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منى معك فقالت أى قصير نقبل منزلتك وتصرفك فى بضائعنا فاعطته مالا للتجارة فاتى بيت مال الحيرة فاستخف مافيه بأمر عمرو بن عدى وانصرف به اليها فلما رأت ماجاء به فرحت بذلك وزادته مالا الى ماجاء به وقال انه ليس من ملك الا وهم يتخذون فى مدائنهم أنفاقا تكون لهم عددا فقالت له أما انى قد فعلت ذلك قد نقبت سربا وبنيته من تحت سريرى هذا حتى خرج من تحت الفرات الى سرير أختى دخلة ففرح بذلك قصير ثم ظعن حتى أتى عمرا فركب عمرو فى ألفى رجل على ألف بعير فى الصناديق حتى صار اليها فقدم قصير وسبق الابعرة فقال لها اصعدى حائط مدينتك وانظرى الى مالك وتقدمى الى بوابك فلا يتعرض لشئ من أموالنا فانى قد جئت بمال صامت وكانت قد أمنته فلم تكن تخافه وصعدت وفعلت ما أمرها فلما نظرت الى ثقل مشى الجمال قالت

الله غيظى من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك فبكت وقالت لعمرى لقد قتلت كهلى
وابرزت أهلى وقطعت فرعى واجتثثت أصلى فان يشفك هذا فقد اشتفيت فقال لها هذه
شجاعة لعمرى لقد كان أبوك شجاعا فقالت ما للمرأة والشجاعة ولما نظر ابن زياد الى على بن الحسين
قال ما اسمك قال على بن الحسين قال أولم يقتل الله على بن الحسين فسكت فقال مالك لا تتكلم
فقال كان لى اخ يقال له ايضا على فقتله الناس فقال ان الله قتله فسكت على فقال مالك لا تتكلم
فقال الله يتوفى الانفس حين موتها وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله قال أنت والله منهم ثم قال
لرجل ويحك انظر هذا هل أدرك انى لأحسبه رجلا قال فكشف عنه مرى بن معاذ الاحمرى
فقال نعم قد أدرك قال اقتله فقال على من توكل بهذه النسوة وتعلقت به زينب فقالت يا ابن زياد
حسبك منا اما رويت من دمائنا وهل أبقيت منا أحدا واعتنقته وقالت أسألك بالله ان كنت
مؤمنا ان قتلته لما تقتلنى معه وقال له على يا ابن زياد ان كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهن
رجلا تقيا يصحبهن بصحبة الاسلام فنظر اليها ساعة ثم قال عجبا للرحم والله انى لاظنها ودت لو انى
قتلته انى قتلتها معه دعوا الغلام ينطلق مع نسائه ثم نادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد
المنبر فخطبهم وقال الحمد لله الذى أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه وقتل الكذاب
ابن الكذاب الحسين بن على وشيعته فوثب اليه عبد الله بن عفيف الازدى ثم الوالبى وكان ضريرا
قد ذهبت احدى عينيه يوم الجمل مع على والاخرى بصفين معه أيضا وكان لا يفارق المسجد يصلى
فيه الى الليل ثم ينصرف فلما سمع مقالة ابن زياد قال يا ابن مرجانة ان الكذاب ابن الكذاب أنت
وأبوك والذى ولاك وأبوه يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين فقال
على به فاخذوه فنادى بشعار الازد يا مبرور فوثب اليه فتية من الازد فانتزعوه فارسل اليه من
أتاه به فقتله وأمر بصلبه فى المسجد فصلب رحمه الله وأمر ابن زياد برأس الحسين فطيف به فى
الكوفة وكان رأسه أول رأس حمل فى الاسلام على خشبة فى قول والصحيح ان أول رأس حمل فى
الاسلام رأس عمرو بن الحمق ثم أرسل ابن زياد رأس الحسين ورؤس أصحابه مع زحر بن قيس الى
الشام الى يزيد ومعه جماعة وقيل مع شمر وجماعة معه وأرسل معه النساء والصبيان وفيهم على بن
الحسين قد جعل ابن زياد الغل فى يديه ورقبته وحملهم على الاقتاب فلم يكلمهم على بن الحسين فى
الطريق حتى بلغوا الشام فدخل زحر بن قيس على يزيد فقال ما وراءك فقال ابشر يا أمير المؤمنين
بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين بن على فى ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته فسرنا
اليهم فسألناهم ان ينزلوا على حكم الامير عبيد الله أو القتال فاختاروا القتال فعدونا عليهم مع
شروق الشمس فاحطنا بهم من كل ناحية حتى اذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم
جعلوا يهربون الى غير وزر ويلوذون بالآكام والحفر كما لاذ الحمائم من صقر فوالله ما كان الا جزر
جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مرملة وخدودهم
معفرة تصهرهم الشمس وتسفى عليهم الريح زوارهم العقبان والرخم بقاع سبسب قال فدمعت
عينا يزيد وقال كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو أنى
صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين ولم يصله بشئ وقيل ان آل الحسين لما وصلوا الى الكوفة
حبسهم ابن زياد وأرسل الى يزيد بالخبر فبينما هم فى الحبس اذ سقط عليهم حجر فيه كتاب مربوط
وفيه ان البريد سار بأمركم الى يزيد فيصل يوم كذا ويعود يوم كذا فان سمعتم التكبير فايقنوا بالقتل
وان لم تسمعوا تكبيرا فهو الامان فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة اذا حجر قد ألقى وفيه

ما للجمال مشيها وئيدا
أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا
أم الرجال جثما قعودا
ودخلت الابل المدينة
حتى اذا بقى آخرها جاء لا
عيل صبر البواب فطعن
بنخسة كانت فى يده خاصرة
رجل فضرط فقال
البواب بشنا بشنا بالنبطية
أى فى الجوالق شر وثار
الرجال من الجواليق ضربا
بأسيافهم فخرجت
الزباء هاربة الى سربها
فابصرت قصيرا عند نفقها
مصلتا سيفه فانصرفت
راجعة وتلقاها عمرو بن
عدى فضربها وقال
بعضهم مصت خاتمها وكان
فيه سم ساعة وقالت بيدى
لا بيد عمرو وخربت
المدينة وسبيت الذرارى
فقالت الشعراء فى أمرها
وامر قصير فاكثرت فمن
ذلك قول المتلمس
ومن طلب الاوتار ما حز
أنفه
قصير ورام الموت بالسيف
بيهس
تعاميت لما صرح القوم
رهطه
تبين فى أثوابه كيف يلبس
ومن ذلك قول عدى بن
زيد التميمى يصف ذلك
من امرهم

كتاب يقول فيه أوصوا واعهدوا فقد قارب وصول البريد ثم جاء البريد بامر يزيد بارسالهم اليه
فدعا ابن زياد محفر بن ثعلبة وشمر بن ذى الجوشن وسيرهما بالثقل والرأس فلما وصلوا الى دمشق
نادى محفر بن ثعلبة على باب يزيد جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم فقال يزيد ما ولدت أم محفر
ألأم وأحمق منه ولكنه قاطع ظالم ثم دخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدثوه فسمعت
الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز وكانت تحت يزيد فتقنعت بثوبها وخرجت فقالت
يا أمير المؤمنين أرأس الحسين بن على ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فاعولى
عليه وحدى على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصريحة قريش عجل عليه ابن زياد فقتله
قتله الله ثم أذن للناس فدخلوا عليه والرأس بين يديه ومعه قضيب وهو ينكت به ثغره ثم قال ان
هذا وايانا كما قال الحصين بن الحمام

أبى قومنا أن ينصفونا فانصفت * قواضب فى أيماننا تقطر الدما
يفلقن هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له أبو برزة الاسلمى انتكت بقضيبك فى ثغر الحسين اما لقد أخذ قضيبك فى ثغره ماخذا ربما
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشفه اما انك يا يزيد تجئ يوم القيامة وابن زياد شفيعك ويجئ
هذا ومحمد شفيعه ثم قام فولى فقال يزيد والله يا حسين لو كنت انا صاحبك ما قتلتك ثم قال اتدرون
من أين أتى هذا قال أبى على خير من أبيه وفاطمة أمى خير من أمه وجدى رسول الله خير من
جده وانا خير منه وأحق بهذا الامر منه فاما قوله أبوه خير من أبى فقد تحاج أبى وأبوه الى الله وعلم
الناس أيهما حكم له وأما قوله أمى خير من أمه فلعمرى فاطمة بنت رسول الله خير من أمى واما قوله
جدى رسول الله خير من جده فلعمرى ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلا
ولا ندا ولكنه انما أتى من قبل فقهه ولم يقرأ قل اللهم مالك الملك ثم ادخل نساء الحسين عليه
والرأس بين يديه فجعلت فاطمة وسكينة ابنتا الحسين يتطاولان لينظرا الى الرأس وجعل يزيد
يتطاول ليستر عنهما الرأس فلما رأين الرأس صحن فصاح نساء يزيد وولولت بنات معاوية فقالت
فاطمة بنت الحسين وكانت أكبر من سكينة ابنات رسول الله سبايا يا يزيد فقال يا ابنة أخى انا لهذا
كنت أكره قالت والله ما ترك لنا خرص فقال ما أتى اليكن أعظم مما أخذ منكن فقام رجل من
أهل الشأم فقال هب لى هذه يعنى فاطمة فاخذت بثياب أختها زينب وكانت أكبر منها فقالت
زينب كذبت ولؤمت ما ذلك لك ولا له فغضب يزيد وقال كذبت والله ان ذلك لى ولو شئت ان أفعله
لفعلته قالت كلا والله ما جعل الله لك ذلك الا ان تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا فغضب يزيد
واستطار ثم قال اياى تستقبلين بهذا انما خرج من الدين أبوك وأخوك قالت زينب بدين الله ودين
أبى وأخى وجدى اهتديت أنت وأبوك وجدك قال كذبت يا عدوة الله قالت أنت أمير تشتم ظالما
وتقهر بسلطانك فاستحى وسكت ثم اخرجن وادخلن دور يزيد فلم تبق امرأة من آل يزيد الا اتتهن
واقمن المأتم وسألهن عما أخذ منهن فاضعفه لهن فكانت سكينة تقول ما رأيت كافرا بالله خيرا من
يزيد بن معاوية ثم أمر بعلى بن الحسين فادخل مغلولا فقال لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مغلولين لفك عنا قال صدقت وأمر بفك غله عنه فقال على لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعداء
لاحب ان يقربنا فامر به فقرب منه وقال له يزيد ايه يا على بن الحسين أبوك الذى قطع رحمى وجهل
حقى ونازعنى سلطانى فصنع الله به ما رأيت فقال على ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم
الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم

الا ايها الملك المرجى
ألم تسمع بخطب الاولينا
دعا بالثقة الامراء يوما
جذيمة عصره ينجو معينا
وطاوع امرهم وعصى
قصيرا
وكان يقول لو وقع اليقينا
لخطبته التى غدرت وخانت
وهن ذوات غائلة لحينا
مع أشعار كثيرة قيلت فى
ذلك وكانت الزباء لا تأتى
حصنا الا صفرت شعراستها
من خلفه ثم تقاعست
فتقلعه حتى فعلت ذلك
بمارد حصن دومة
الجندل وبالابلق حصن
تيماء الفرد حصنين منيعين
فقالت تمرد مارد وعز
الابلق وهما الحصنان
اللذان تذكرهما العرب
فى أشعارها قال الاعشى
فى ذلك
بالابلق الفرد من تيماء منزله
حصن حصين وجار غير غدار
وجذيمة الوضاح الذى
يقول فيه
ماست مودعة الحديـ
ـث فمجد منهم وغائر
أن تاه آحور ذو رعيـ
ـن لنا وأحوى ذو أباعر
والملك كان لذى نوا
س حوله من ذى بحائر
بالسابقات وبالقنا
والبيض تبرق والمغافر
أزمان عملاق وفيـ
ـهم منهم باد وحاضر

والله لا يحب كل مختال فخور فقال يزيد وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ثم سكت عنه وأمر بانزاله وانزال نسائه فى دار على حده وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى الا دعا عليا اليه فدعاه ذات يوم ومعه عمرو بن الحسين وهو غلام صغير فقال لعمرو أتقاتل هذا يعنى خالد بن يزيد فقال عمرو أعطنى سكينا واعطه سكينا حتى أقاتله فضمه يزيد اليه وقال شنشنة أعرفها من أخزم هل تلد الحية الا حية وقيل لما وصل رأس الحسين الى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسره ما فعل ثم لم يلبث الا يسيرا حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبهم فندم على قتل الحسين فكان يقول وما علىّ لو احتملت الاذى وأنزلت الحسين معى فى دارى وحكمته فيما يريد وان كان علىّ فى ذلك وهن فى سلطانى حفظا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية لحقه وقرابته لعن الله ابن مرجانة فانه اضطره وقد سأله ان يضع يده فى يدى أو يلحق بثغر حتى يتوفاه الله فلم يجبه الى ذلك فقتله فبغضنى بقتله الى المسلمين وزرع فى قلوبهم العداوة فابغضنى البر والفاجر بما استعظموه من قتل الحسين مالى ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه ولما أراد ان يسيرهم الى المدينة أمر يزيد النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم ويسير معهم رجلا أمينا من أهل الشام ومعه خيل يسير بهم الى المدينة ودعا عليا ليودعه وقال له لعن الله ابن مرجانة أما والله لو انى صاحبه ماسألنى خصلة أبدا الا أعطيته اياها ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدى ولكن قضى الله ما رأيت يا بنى كاتبنى حاجة تكون لك وأوصى بهم هذا الرسول فخرج بهم فكان يسايرهم ليلا فيكونون امامه بحيث لا يفوتون طرفه فاذا نزلوا تنحى عنهم هو وأصحابه فكانوا حولهم كهيئة الحرس وكان يسألهم عن حاجتهم ويلطف بهم حتى دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت علىّ لاختها زينب لقد أحسن هذا الرجل الينا فهل لك ان نصله بشئ فقالت والله ما معنا ما نصله به الا حلينا فاخرجنا سوارين ودملجين لهما فبعثنا به اليه واعتذرتا فرد الجميع وقال لو كان الذى صنعت للدنيا لكان فى هذا ما يرضينى ولكن والله ما فعلته الا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع الحسين امرأته الرباب بنت امرئ القيس وهى أم ابنته سكينة وحملت الى الشام فيمن حمل من أهله ثم عادت الى المدينة فخطبها الاشراف من قريش فقالت ما كنت لاتخذ حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت بعده سنة لم يظلها سقف بيت حتى بليت وماتت كمدا وقيل انها أقامت على قبره سنة وعادت الى المدينة فماتت أسفا عليه وأرسل عبيد الله بن زياد مبشرا الى المدينة بقتل الحسين الى عمرو بن سعيد فلقيه رجل من قريش فقال ما الخبر فقال الخبر عند الامير فقال القرشى انا لله وانا اليه راجعون قتل الحسين ودخل البشير على عمرو بن سعيد فقال ما وراءك قال ما سر الامير قتل الحسين بن على فقال ناد بقتله فنادى فصاح نساء بنى هاشم وخرجت ابنة عقيل بن أبى طالب ومعها نساؤها حاسرة تلوى ثوبها وهى تقول

ماذا تقولون اذ قال النبى لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتى وبأهلى بعد مفتقدى * منهم اسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم * ان تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

فلما سمع عمرو أصواتهن ضحك وقال

عجت نساء بنى زياد عجة * كعجيج نسوتنا غداة الارنب

والارنب وقعة كانت لبنى زبيد على بنى زياد من بنى الحرث بن كعب وهذا البيت لعمرو بن معديكرب ثم قال عمرو ناعية كناعية عثمان ثم صعد المنبر فاعلم الناس قتله ولما بلغ عبد الله بن

وانما سمى جذيمة الابرص الوضاح لانه كان به برص فكنى به اعظاما له (قال المسعودى) هذا بدو خبر بنى عدى وقد قدمنا أن مدة ملكه كانت سنة (وملك بعده) ولده امرؤ القيس بن عمرو بن عدى ستين سنة (وملك بعده) عمرو بن امرئ القيس وهو محرق العرب خمسا وعشرين سنة وكانت أمه مارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان وملك النعمان بن امرئ القيس قاتل الفرس خمسا وستين سنة وكانت أمه الهيجانة بنت سلول من مراد ويقال من اياد (وملك) المنذر بن النعمان فارس حليمة وهو الذى بنى الخورنق وكردس الكراديس خمسا وثلاثين سنة وكانت أمه هند بنت الهيجانة من آل بكر (وملك) المنذر بن الاسود ابن النعمان بن المنذر أربعا وثلاثين سنة وكانت أمه ماء السماء بنت عوف بن النمر بن قاسط بن قصى بن دعا بن خويلد بن أسد بن ربيعة بن سرار وانما سميت ماء السماء لحسنها وجمالها (ثم ملك) بعده عمرو بن المنذر أربعا وعشرين سنة وكانت أمه أخت عمرو بن قابوس من آل نصر (ثم ملك)

جعفر قتل ابنيه مع الحسين دخل عليه بعض مواليه يعزيه والناس يعزونه فقال مولاه هذا مالقيناه من الحسين فحذفه ابن جعفر بنعله وقال يا ابن اللخناء ألحسين تقول هذا والله لو شهدته لاحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه والله انه لمما يسخى بنفسى عنهما ويهون علىّ المصاب بهما انهما أصيبا مع أخى وابن عمى مواسيين له صابرين معه ثم قال ان لم تكن آست الحسين يدى فقد آساه ولدى ولما وفد أهل الكوفة بالرأس الى الشام ودخلوا مسجد دمشق أتاهم مروان بن الحكم فسألهم كيف صنعوا فاخبروه فقام عنهم ثم أتاهم أخوه يحيى بن الحكم فسألهم فاعادوا عليه الكلام فقال حجبتم عن محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لن أجامعكم على أمر أبدا ثم انصرف عنهم فلما دخلوا على يزيد قال يحيى بن الحكم

لهام بجنب الطف أدنى قرابة * من ابن زياد العبد ذى الحسب الوغل
سمية أمسى نسلها عدد الحصى * وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

فضرب يزيد فى صدره وقال اسكت قيل وسمع بعض أهل المدينة ليلة قتل الحسين مناديا ينادى

أيها القاتلون جهلا حسينا * أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء يدعو عليكم * من نبى وملاك وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داو * د وموسى وصاحب الانجيل

ومكث الناس شهرين أو ثلاثة كأنما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع قال رأس جالوت ذلك الزمان ما مررت بكربلاء الا وأنا أركض دابتى حتى أخلف المكان لانا كنا نتحدث ان ولد نبى يقتل بذلك المكان فكنت أخاف فلما قتل الحسين أمنت فكنت أسير ولا أركض قيل وكان عمر الحسين يوم قتل خمسا وخمسين سنة وقيل قتل وهو ابن احدى وستين وليس بشئ وكان قتله يوم عاشوراء سنة احدى وستين (برير بن خضير بضم الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وآخره راء وخضير بالخاء والضاد المعجمتين وثبيت بضم الثاء المثلثة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وآخره تاء مثناة من فوقها ومحفر بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الفاء المكسورة وآخره راء) وقال التيمى تيم مرة يرثى الحسين وأهله وكان منقطعا الى بنى هاشم

مررت على أبيات آل محمد * فلم أرها أمثالها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها * وان أصبحت من أهلها قد تخلت
وان قتيل الطف من آل هاشم * أذل رقاب المسلمين فذلت
وكانوا رجاء ثم أضحوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وعند غنى قطرة من دمائنا * سنجزيهم يوما بها حيث حلت
اذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها * تقتلنا قيس اذا النعل زلت

(ذكر أسماء من قتل معه)

قال سليمان لما قتل الحسين ومن معه حملت رؤسهم الى ابن زياد فجاءت كندة بثلاثة عشر رأسا وصاحبهم قيس بن الاشعث وجاءت هوازن بعشرين رأسا وصاحبهم شمر بن ذى الجوشن الضبابى وجاءت بنو تميم بسبعة عشر رأسا وجاءت بنو أسد بستة أرؤس وجاءت مذحج بسبعة أرؤس وجاء سائر الجيش بسبعة أرؤس فذلك سبعون رأسا وقتل الحسين وقتله سنان بن أنس النخعى لعنه الله وقتل العباس بن على وأمه أم البنين بنت حزام قتله زيد بن داود الجنبى وحكيم بن

قابوس بن المنذر ثلاثين سنة وكانت أمه بنت الحرث من آل معاوية بن معديكرب (وملك النعمان) ابن المنذر وهو الذى يقال له أبيت اللعن اثنتين وعشرين سنة وكانت أمه سلمى بنت وائل بن عطية من كلب (وذكر عدة من الاخباريين) أن النابغة استأذن على النعمان يوما فقال له الحاجب ان الملك على شرابه قال فهو وقت الملك تقبله الافئدة وهو جذل للرحيق فان تلج تلق المجد عن غرر مواهبه فانت قسيم ما أفدت قال له الحاجب ماتفى عنايتى بدون شكرك فكيف أرغب فيما وصفت ودون ماطلبت رهبة التعدى قال النابغة ومن عنده قال الحاجب خالد ابن جعفر الكلابى نديمه فقال النابغة هل لك الى أن تؤدى الى خالد عنى ما أقول لك قال وما هو قال تقول ان من يدرك وفاء الدرك بك وتاديتى من الشكر ماقد علمت فلما صار خالد الى بعض ما تبعثه موارد الشراب عليه نهض فاعترضه الحاجب فقال لهنك التئام حادث النعيم قال وماذاك فاخبره الخبر

الطفيل السى وقتل جعفر بن على وأمه أم البنين أيضا وقتل عبد الله بن على وامه أم البنين أيضا وقتل عثمان بن على وأمه أم البنين أيضا رماه خولى بن يزيد بسهم فقتله وقتل محمد بن على وأمه أم ولد قتله رجل من بنى دارم وقتل أبو بكر بن على وأمه ليلى بنت مسعود الدارمية وقد شك فى قتله وقتل على بن الحسين بن على وامه ليلى ابنة أبى مرة بن عروة الثقفى وامه ميمونة ابنة أبى سفيان بن حرب قتله منقذ بن النعمان العبدى وقتل عبد الله بن الحسين بن على وأمه الرباب ابنة امرئ القيس الكلبى قتله هانئ بن ثبيت الحضرمى وقتل أبو بكر ابن أخيه الحسن أيضا وأمه ام ولد قتله حرملة بن الكاهن رماه بسهم وقتل القاسم بن الحسن أيضا قتله سعد بن عمرو بن نفيل الازدى وقتل عون بن أبى جعفر بن أبى طالب وأمه جماعة بنت المسيب بن نجبة الفزارى قتله عبد الله بن قطبة الطائى وقتل محمد بن عبد الله بن جعفر وأمه الخوصاء بنت خصفة بن تيم الله بن ثعلبة قتله عامر بن نهشل التيمى وقتل جعفر بن عقيل بن أبى طالب وأمه أم بنين ابنة الشقر بن الهضاب قتله بشر بن الخوط الهمدانى وقتل عبد الرحمن بن عقيل وأمه أم ولد قتله عثمان بن خالد الجهنى وقتل عبد الله بن عقيل وأمه أم ولد رماه عمرو بن صبيح الصيداوى بسهم فقتله وقتل مسلم ابن عقيل بالكوفة وأمه أم ولد وقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل وأمه رقية ابنة على بن أبى طالب قتله عمرو بن صبيح الصيداوى ويقال قتله مالك بن أسيد الحضرمى وقتل محمد بن أبى سعيد بن عقيل وأمه أم ولد قتله لقيط بن ياسر الجهنى واستصغر الحسن بن الحسين بن على وأمه خولة بنت منظور ابن زبان الفزارى واستصغر عمرو بن الحسين وأمه أم ولد فلم يقتلا وقتل من الموالى الحسين قتله سليمان بن عوف الحضرمى وقتل منجح مولى الحسين أيضا وقتل عبد الله بن يقطر رضيع الحسين قال ابن عباس رأيت النبى صلى الله عليه وسلم الليلة التى قتل فيها الحسين وبيده قارورة وهو يجمع فيها دما فقلت يارسول الله ماهذا قال هذه دماء الحسين وأصحابه ارفعها الى الله تعالى فاصبح ابن عباس فاعلم الناس بقتل الحسين وقص رؤياه فوجد قد قتل فى ذلك اليوم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم اعطى أم سلمة ترابا من تربة الحسين حمله اليه جبريل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لام سلمة اذا صار هذا التراب دما فقد قتل الحسين فحفظت أم سلمة ذلك التراب فى قارورة عندها فلما قتل الحسين صار التراب دما فاعلمت الناس بقتله أيضا وهذا يستقيم على قول من يقول أم سلمة توفيت بعد الحسين ثم ان ابن زياد قال لعمر بن سعد بعد عوده من قتل الحسين ياعمر ائتنى بالكتاب الذى كتبته اليك فى قتل الحسين قال مضيت لامرك وضاع الكتاب قال لتجيئنى به قال ضاع قال لتجيئنى به قال ترك والله يقرأ على عجائز قريش بالمدينة اعتذارا اليهن أما والله لقد نصحتك فى الحسين نصيحة لو نصحتها أبى سعد بن أبى وقاص لكنت قد اديت حقه فقال عثمان ابن زياد اخو عبيد الله صدق والله لوددت انه ليس من بنى زياد رجل الا وفى انفه خزامة الى يوم القيامة وان الحسين لم يقتل فما انكر ذلك عبيد الله بن زياد آخر (المقتل)

❁(ذكر مقتل أبى بلال مرداس بن جدير الحنظلى)❁

قد تقدم ذكر سبب خروجه وتوجيه عبيد الله بن زياد العساكر اليه فى الفى رجل فالتقاهم بآسك وهزيمة عسكر ابن زياد فلما هزمهم أبو بلال وبلغ ذلك ابن زياد أرسل اليه ثلاثة آلاف عليهم عباد ابن الاخضر والاخضر زوج أمه نسب اليه وهو عباد بن علقمة بن عباد التميمى فاتبعه حتى لحقه بتوج (٢) فصف له عباد وحمل عليهم أبو بلال فيمن معه فثبتوا واشتد القتال حتى دخل وقت العصر فقال أبو بلال هذا يوم جمعة وهو يوم عظيم وهذا وقت العصر فدعونا حتى نصلى فاجابهم

وكان خالد رفيقا بانى
الاشياء بلطف وحسن
بصيرة فدخل متبسما
وهو يقول
الاملاك أومن أنت سابقه
سبق الجواد اذا استولى
على الامد
واللات لكأنى أنظر الى
ذى رعين وقد مدّت لهم
قضبان المجد الى معالم
احسانكم ومناقب أنسابكم
فى حلبة أنت أبيت اللعن
غرتها لجئت سابقا منهم ملا
وجاؤا مبلم لهم سعى قال
النعمان لانت فى وصفك
أبلغ احسانا من النابغة فى
نظام قافيته وقال خالد
ما بالغ فيك حسنا الاوهو
دون قدرك استحقاقا
للشرف الباهر ولو كان
النابغة حاضر القال وقلنا
فأمر النعمان بادخاله فخرج
الحاجب فقال قد أذن بفتح
الباب ورفع الحجاب ادخل
فدخل ثم انتصب بين يديه
وحياه بتحية الملك وقال
أبيت اللعن أتفاخر وأنت
سائد العرب وغرة الحسب
واللات لامسك أيمن من
يومه ولقفاك أحسن من
وجهه وليسارك أسمح من
يمينه ولوعدك أصلح من
رفده ولعبيدك أكرم من
قومه ولاسمك أشهر من
قدره ولنفسك أكبر من
جده وليومك أشهر من

ابن الاخضر وتحاجزوا فعجل ابن الاخضر الصلاة وقيل قطعها والخوارج يصلون فشد عليهم هو واصحابه وهم مابين قائم وراكع وساجد لم يتغير منهم احد من حاله فقتلوا من آخرهم واخذ رأس أبى بلال ورجع عباد الى البصرة فرصده بها عبيدة بن هلال ومعه ثلاثة نفر فاقبل عباد يريد قصر الامارة وهو مردف ابنا صغيرا له فقالوا له قف حتى نستفتيك فوقف فقالوا نحن اخوة أربعة قتل اخونا فما ترى قال استعدوا الامير قالوا قد استعديناه فلم يعدنا قال فاقتلوه قتله الله فوثبوا عليه وحكموا به فالقى ابنه فنجا وقتل هو فاجتمع الناس على الخوارج فقتلوا غير عبيدة ولما قتل ابن عباد كان ابن زياد بالكوفة ونائبه بالبصرة عبيد الله بن أبى بكرة فكتب اليه يأمره أن يتبع الخوارج ففعل ذلك وجعل يأخذهم فاذا شفع فى احدهم ضمنه الى ان يقدم ابن زياد ومن لم يكفله احد حبسه وأتى بعروة بن اديه فاطلقه وقال انا كفيلك فلما قدم ابن زياد اخذ من فى الحبس من الخوارج فقتلهم وطلب الكفلاء بمن كفلوا به فمن أتى بخارجى اطلقه وقتل الخارجى ومن لم يأت بالخارجى قتله ثم طلب عبيد الله بن أبى بكرة بعروة بن أدية قال لا اقدر عليه فقال اذن أقتلك به فلم يزل يبحث عنه حتى ظفر به واحضره عند ابن زياد فقال له ابن زياد لامثلن بك فقال اختر لنفسك من القصاص ماشئت به فامر به فقطعت يداه ورجلاه وصلبه وقيل انه قتل سنة ثمان وخمسين

❁(ذكر ولاية سلم بن زياد على خراسان وسجستان)❁

قيل فى هذه السنة استعمل يزيد سلم بن زياد على خراسان وسبب ذلك ان سلما قدم على يزيد فقال له يزيد يا أبا حرب اوليك عمل اخويك عبد الرحمن وعباد فقال ما احب امير المؤمنين فولاه خراسان وسجستان فوجه سلم الحرث بن معاوية الحارثى جد عيسى بن شبيب الى خراسان وقدم سلم البصرة فتجهز منها فوجه اخاه يزيد الى سجستان فكتب عبيد الله بن زياد الى اخيه عباد يخبره بولاية سلم فقسم عباد مافى بيت المال على عبيده وفضل فضل فنادى من اراد سلفا فليأخذ فاسلف كل من اتاه وخرج عباد من سجستان فلما كان بجيرفت بلغه مكان سلم وكان بينهما جبل فعدل عنه فذهب لعباد تلك الليلة الف مملوك أقل مامع احدهم عشرة آلاف وسار عباد على فارس فقدم على يزيد فسأله عن المال فقال كنت صاحب ثغر فقسمت ما اصبت بين الناس ولما سار سلم الى خراسان كتب معه يزيد الى أخيه عبيد الله بن زياد ينتخب له ستة آلاف فارس وقيل الفى فارس وكان سلم ينتخب الوجوه فخرج معه عمران بن الفضيل البرجمى والمهلب بن أبى صفرة وعبد الله بن خازم السلمى وطلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعى وحنظلة بن عرادة ويحيى ابن يعمر العدوانى وصلة بن اشيم العدوى وغيرهم وسار سلم الى خراسان وعبر النهر غازيا وكان عمال خراسان قبله يغزون فاذا دخل الشتاء رجعوا الى مرو الشاهجان فاذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خراسان بمدينة مما يلى خوارزم فيتعاقدون ان لا يغزو بعضهم بعضا ويتشاورون فى أمورهم فكان المسلمون يطالبون الى أمرائهم غزو تلك المدينة فيأبون عليهم فلما قدم سلم غزا فشتا فى بعض مغازيه فالح عليه المهلب بن أبى صفرة وسأله التوجه الى تلك المدينة فوجهه فى ستة آلاف وقيل أربعة آلاف فحاصرهم فطلبوا ان يصالحهم على ان يفدوا أنفسهم فأجابهم الى ذلك وصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف وكان فى صلحهم ان يأخذ منهم عروضا فكان يأخذ الرأس والدابة والمتاع بنصف ثمنه فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف فحظى بها المهلب عند سلم وأخذ سلم من ذلك ما أعجبه وبعث به الى يزيد وغزا سلم سمرقند وعبرت معه النهر

دهره ثم قال
أخلاق مجدك جلت مالها
خطر
فى الجود والناس بين العلم
والخبر
متوج بالمعالى فوق مفرقه
وفى الوغى ضيغم فى صورة
القمر
فتهلل وجه النعمان بالسرور
ثم أمر فحشى فوه جوهرا ثم
قال بمثل هذا هو فلتمدح
الملوك وقد كان النعمان
قتل عدى بن زيد التميمى
وكان يكتب لكسرى ابرويز
ويترجم اذا وفد عليه زعماء
العرب لموجدة وجدها
عليه النعمان فى خبر طويل
الشرح فلما قتل صار زيد
ابن عدى مكان أبيه فذكر
لابرويز جمال نساء آل
المنذر ووصفهن له فكتب
الى النعمان يأمره ان
يبعث اليه باخته فلما قرأ
النعمان كتابه قال للرسول
وهو زيد بن عدى يا زيد
أما لكسرى فى مها السواد
كفاية حتى يتخطا الى
العربيات فقال زيد انما أراد
الملك اكرامك أبيت اللعن
بصهرك ولو علم أن ذلك
يشق عليك لما فعله
وسأحسن ذلك عنده
وأعذرك بما يقبله فقال
النعمان فافعل فقد تعرف
ماعلى العرب فى تزويج
العجم من الفضاضة

امرأته أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفية وهي أول امرأة من العرب قطع بها النهر فولدت له ابنا سماه صغدى واستعارت امرأته من امرأة صاحب الصغد حليها فلم تعده اليها وذهبت به ووجه جيشا الى خجندة فيهم اعشى همدان فهزموا فقال اعشى

ليت خيلي يوم الخجندة لم تهـ * زم وغودرت في المكر سليبا
تحضر الطير مصرعي وتروحـ * ـت الى الله بالدماء خضيبا

﴿ذكر ولاية يزيد بن زياد وطلحة الطلحات سجستان﴾

ولما استعمل يزيد بن معاوية سلم بن زياد على خراسان استعمل اخاه يزيد على سجستان فغدر أهل كابل فنكثوا واسروا أبا عبيدة بن زياد فسار اليهم يزيد بن زياد في جيش فاقتتلوا وانهزم المسلمون وقتل منهم كثير فمن قتل يزيد بن عبد الله بن أبي مليكة وصلة بن اشيم أبو الصهباء العدوي زوج معاذة العدوية فلما بلغ الخبر سلم بن زياد سير طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وهو طلحة الطلحات ففدى أبا عبيدة بن زياد بخمسمائة ألف درهم وسار طلحة من كابل الى سجستان واليا عليها فجبى المال وأعطى زواره ومات بسجستان واستخلف رجلا من بني يشكر فاخرجته المضرية ووقعت العصبية فطمع فيهم رتبيل

﴿ذكر ولاية الوليد بن عتبة المدينة والحجاز وعزل عمرو بن سعيد﴾

قيل وفي هذه السنة عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وولاها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان سبب ذلك ان عبد الله بن الزبير أظهر الخلاف على يزيد وبويع بمكة بعد قتل الحسين فانه لما بلغه قتل الحسين قام في الناس فعظم قتله وعاب أهل الكوفة خاصة وأهل العراق عامة فقال بعد حمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل العراق غدر فجرة الا قليلا وان أهل الكوفة شرار أهل العراق وانهم دعوا الحسين لينصروه ويولوه عليهم فلما قدم عليهم ثاروا اليه فقالوا اما ان تضع يدك في أيدينا فنبعث بك الى ابن زياد بن سمية فيمضي فيك حكمه واما ان تحارب فرأى والله انه هو وأصحابه قليل في كثير فان كان الله لم يطلع على الغيب احدا انه مقتول ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة فرحم الله الحسين وأخزى قاتله لعمري لقد كان من خلافهم اياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناه عنهم ولكنه ما قدر نازل واذا أراد الله أمرا لم يدفع أفبعد الحسين نطمئن الى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهدا لا والله لا نراهم لذلك أهلا أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه كثيرا في النهار صيامه أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل أما والله ما كان يبدل بالقرآن غيا ولا بالبكاء من خشية الله حدا ولا بالصيام شرب الخمر ولا بالمجالس في حلق الذكر بكلاب الصيد يعرض بيزيد فسوف يلقون غيا فثار اليه أصحابه وقالوا أظهر بيعتك فانك لم يبق أحد اذ هلك الحسين ينازعك هذا الامر وقد كان يبايع سرا ويظهر انه عائذ بالبيت فقال لهم لا تعجلوا وعمرو بن سعيد يومئذ عامل مكة وهو أشد شيء على ابن الزبير وهو مع ذلك يداري ويرفق فلما استقر عند يزيد ما قد جمع ابن الزبير بمكة من الجموع أعطى الله عهدا ليوثقنه في سلسلة فبعث اليه سلسلة من فضة مع ابن عطاء الاشعري وسعد وأصحابهما ليأتوه به فيها وبعث معهم برنس خز ليلبسوه عليها لئلا تظهر للناس فاجتاز ابن عطاء بالمدينة وبها مروان بن الحكم فاخبره ما قدم له فارسل مروان معه ولدين له احدهما عبد العزيز وقال اذا بلغته رسل يزيد فتعرضا له وليتمثل احدكما بهذا القول فقال

خذها فليست للعزيز بخطة * وفيها مقال لامرئ متذلل

والشناعة فأدى اليه قوله في هها السواد على أقبح الوجوه وأوجده عليه وقال ما الهها فقال البقر فاخذ عليه وقال رب عبد قد صار في الطغيان الى أكثر من هذا فلما بلغت كلمته الى النعمان تخوفه فخرج هاربا حتى صار الى طي لصهر كان له فيهم ثم خرج من عندهم حتى اتى بني رواحة بن ربيعة بن مازن ابن الحرث بن قطيعة بن عبس فقالا له أقم معنا فانا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا فجزاهم الخير ورحل عنهم يريد كسرى ليرى فيه رأيه وذلك قول زهير بن أبي سلمى

ألم تر للنعمان كان بنجوة
من الدهر لو أن امرأ كان ناجيا
فغير عنه ملك عشرين حجة
من الدهر يوما واحدا كان غاويا
فلم أر مسلوبا له مثل ملكه
أقل صديقا معطيا ومواسيا
خلا أن حيا من رواحة حافظوا
وكانوا أناسا يتقون المخازيا
يسيرون حتى حبسوا عند بابه
هجان المطايا والعتاق المذاكيا
فجازاهم خيرا وأثنى عليهم
وودعهم توديع أن لا تلاقيا

أعامر ان القوم ساموك خطة * وذلك في الجيران عزلا بمعزل
اراك اذا ما كنت للقوم ناصحا * يقال له بالدلو أدبر واقبل

فلما بلغه الرسول الرسالة قال عبد العزيز الابيات فقال ابن الزبير يا ابني مروان قد سمعت ما قلتما فاخبرا أباكما

اني لمن نبعة صم مكاسرها * اذا تناوحت القصباء والعشر
فلا ألين لغير الحق أسأله * حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

وامتنع ابن الزبير من رسل يزيد فقال الوليد بن عتبة وناس من بني أمية ليزيد لو شاء عمرو لاخذ ابن الزبير وسرحه اليك فعزل عمرا وولى الوليد الحجاز وأخذ الوليد غلمان عمرو ومواليه فحبسهم فكلمه عمرو فابى ان يخليهم فسار عن المدينة ليلتين وأرسل الى غلمانه بعدتهم من الابل فكسروا الحبس وساروا اليه فلحقوه عند وصوله الى الشام فدخل على يزيد وأعلمه ما كان فيه من مكايدة ابن الزبير فعذره وعلم صدقه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس الوليد هذه السنة وكان الامير بالعراق عبيد الله بن زياد وعلى خراسان سلم بن زياد وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وفي هذه السنة مات علقمة بن قيس النخعي صاحب ابن مسعود وقيل سنة اثنتين وقيل خمس وله تسعون سنة وفيها توفي المنذر بن الجارود العبدي وجابر بن عتيك الانصاري وقيل جبر وكان عمره احدى وتسعين سنة وشهد بدرا وفيها مات حمزة بن عمرو الاسلمي وعمره احدى وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة له صحبة وفيها توفي خالد بن عرفطة الليثي وقيل العذري حليف بني زهرة وقيل مات سنة ستين وله صحبة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وستين﴾

﴿ذكر وفد أهل المدينة الى الشام﴾

لما ولي الوليد الحجاز أقام يريد غرة ابن الزبير فلا يجده الا محترزا ممتنعا وثار نجدة بن عامر النخعي باليمامة حين قتل الحسين وثار ابن الزبير بالحجاز وكان الوليد يفيض من المعرف ويفيض معه سائر الناس وابن الزبير واقف في أصحابه ونجدة واقف في أصحابه ثم يفيض ابن الزبير باصحابه ونجدة باصحابه وكان نجدة يلقى ابن الزبير فيكثر حتى ظن أكثر الناس انه سيبايعه ثم ان ابن الزبير عمل بالمكر في أمر الوليد فكتب الى يزيد انك بعثت الينا رجلا أخرق لا يتجه لرشد ولا يرعوي لعظة الحكيم فلو بعثت رجلا سهل الخلق رجوت ان يسهل من الامور ما استوعر منها وان يجتمع ما تفرق فعزل يزيد الوليد وولى عثمان بن محمد بن أبي سفيان وهو فتى غر حدث لم يجرب الامور ولم يحنكه السن لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله فبعث الى يزيد وفدا من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي والمنذر بن الزبير ورجالا كثيرة من اشراف اهل المدينة فقدموا على يزيد فاكرمهم وأحسن اليهم وأعظم جوائزهم فاعطى عبد الله بن حنظلة وكان شريفا فاضلا عابدا سيدا مائة ألف درهم وكان معه ثمانية بنين فاعطى كل ولد عشرة آلاف فلما رجعوا قدموا المدينة كلهم الا المنذر بن الزبير فانه قدم العراق على ابن زياد وكان يزيد قد اجازه بمائة ألف فلما قدم أولئك النفر الوفد المدينة قاموا فيهم فاظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الخراب وهم اللصوص وانا نشهدكم أنا قد خلعناه وقام عبد الله بن حنظلة الغسيل فقال جئتكم من عند رجل لو لم أجد الا بني

وأقبل النعمان حتى أتى المدائن فصف له كسرى ثمانية آلاف جارية عليهن المصبغات صفين فلما صار النعمان بينهن قلن له أما فينا للملك غنى عن بقر السواد فعلم النعمان أنه غير ناج منه ولقيه زيد ابن عدي فقال له النعمان أنت فعلت هذا بي لئن تخلصت لاسقينك بكاس أبيك فقال له زيد امض نعيم فقد أخيت له اخية لا يقطعها المهر الارن وأمر كسرى النعمان فحبس في مجلسه بساباط المدائن ثم أمر به فرمي تحت أرجل الفيلة وقال بعضهم بل مات في محبسه بساباط وقد ذكرت ذلك الشعراء فأكثرت فمن ذلك قول الاعشى وأجاد

ولا الملك النعمان يوما لقيته
بغبطته يعطي الصكاك ويرفق
ويجبى اليه المسلمون وعنده
صريفون في أنهارها والخورنق
ويقسم أمر الناس يوما وليلة
وهم ساكنون والمنية تنطق
فذاك وما أنجى من الموت ربه
بساباط حتى مات وهو محرزق

وقال هانئ بن مسعود الشيباني

ان ذا التاج لا أبالك أضحى

هؤلاء لجاهدته بهم وقد أعطانى وأكرمنى وماقبلت منه عطاءه الا لأتقوى به فخلعه الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولوه عليهم وأما المنذر بن الزبير فانه قدم على ابن زياد فاكرمه وأحسن اليه وكان صديق زياد فاتاه كتاب يزيد حيث بلغه أمر المدينة يأمره بحبس المنذر فكره ذلك لانه ضيفه وصديق أبيه فدعاه وأخبره بالكتاب فقال له اذا اجتمع الناس عندى فقم وقل ائذن لى لانصرف الى بلادى فاذا قلت بل تقيم عندى فلك الكرامة والمواساة فقل ان لى ضيعة وشغلا ولا أجد بدا لى من الانصراف فانى آذن لك فى الانصراف فتلحق باهلك فلما اجتمع الناس على ابن زياد فعل المنذر ذلك فاذن له فى الانصراف فقدم المدينة فكان ممن يحرض الناس على يزيد وقال انه قد أجازنى بمائة ألف ولا يمنعنى ماصنع بى ان أخبركم خبره والله انه ليشرب الخمر والله انه ليسكر حتى يدع الصلاة وعابه بمثل ماعابه به أصحابه وأشد فبعث يزيد النعمان بن بشير الانصارى وقال له ان عدد الناس بالمدينة قومك فانهم مايمنعهم شئ عما يريدون فانهم ان لم ينهضوا فى هذا الامر لم يجترئ الناس على خلافى فاقبل النعمان فاتى قومه فامرهم بلزوم الطاعة وخوفهم الفتنة وقال لهم انكم لا طاقة لكم باهل الشام فقال عبد الله بن مطيع العدوى يانعمان ماحملك على فساد ما اصلح الله من أمرنا وتفريق جماعتنا فقال النعمان والله لكانى بك لو نزل بك الجموع وقامت لك على الركب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيف ودارت رحى الموت بين الفريقين قد ركبت بغلتك الى مكة وخلفت هؤلاء المساكين يعنى الانصار يقتلون فى سككهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم فعصاه الناس وانصرف وكان الامر كما قال

(ذكر ولاية عقبة بن نافع افريقية ثانية وما افتتحه فيها وقتله)

قد ذكرنا عزل عقبة عن افريقية وعوده الى الشام فلما وصل الى معاوية وعده باعادته الى افريقية وتوفى معاوية وعقبة بالشام فاستعمله يزيد على افريقية فى هذه السنة وارسله اليها فوصل الى القيروان مجدا وقبض ابا المهاجر اميرها واوثقه فى الحديد وترك بالقيروان جندا مع الذرارى والاموال واستخلف بها زهير بن قيس البلوى وأحضر أولاده فقال له انى قد بعت نفسى من الله عز وجل فلا ازال اجاهد من كفر بالله وأوصى بما يفعل بعده ثم سار فى عسكر عظيم حتى دخل مدينة باغاية وقد اجتمع بها خلق كثير من الروم فقاتلوه قتالا شديدا وانهزموا عنه وقتل فيهم قتلا ذريعا وغنم منهم غنائم كثيرة ودخل المنهزمون المدينة وحاصرهم عقبة ثم كره المقام عليهم فسار الى بلاد الزاب وهى بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها العظمى واسمها اربة فامتنع بها من هناك من الروم والنصارى وهرب بعضهم الى الجبال فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة من النصارى عدة دفعات ثم انهزم النصارى وقتل كثير من فرسانهم ورحل الى تاهرت فلما بلغ الروم خبره استعانوا بالبربر فاجابوهم ونصروهم فاجتمعوا فى جمع كثير والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر على المسلمين لكثرة العدو ثم ان الله تعالى نصرهم فانهزمت الروم والبربر وأخذهم السيف وكثر فيهم القتل وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ثم سار حتى نزل على طنجة فلقيه بطريق من الروم اسمه يليان فاهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه ثم سأله عن الاندلس فعظم الامر عليه فسأله عن البربر فقال هم كثيرون لا يعلم عددهم الا الله وهم بالسوس الادنى وهم كفار لم يدخلوا فى النصرانية ولهم بأس شديد فسار عقبة اليهم نحو السوس الادنى وهو مغرب طنجة فانتهى الى اوائل البربر فلقوه فى جمع كثير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث خيله فى كل مكان هربوا اليه وسار هو حتى وصل الى السوس الاقصى وقد اجتمع له البربر فى عالم لا يحصى

فى الورى رأسه نخوت الفيول
ان كسرى عدا على الملك النعمان حتى سقاه مر البليل
وبما رقى به النعمان لم تبكه هند ولا أختها خرقاء واستعجم ناعيه
بين فيول الهند تخبطنه مختبطا تدمى نواحيه

(وقد كان النعمان) حين أراد المضى الى كسرى مستسلما مر على بنى شيبان فأودعهم سلاحه وعياله عند هانئ بن مسعود بن هانئ الشيبانى فلما أتى كسرى على النعمان بعث الى هانئ بن مسعود وطالبه بتركته فامتنع وأبى أن يخفر الذمة فكان ذلك السبب الذى أهاج حرب ذى قار وقد أتينا على ذلك فيما بعد من هذا الكتاب فأغنى عن اعادته ههنا (وقد كانت) خرقاء بنت النعمان بن المنذر اذا خرجت الى بيعتها يفرش لها طريقها بالحرير والديباج مغشى بالخز والوشى ثم تقبل فى جواريها حتى تصل الى بيعتها وترجع الى منزلها فلما هلك النعمان لكها الزمان وأنزلها من الرفعة الى الذلة ولما وفد سعد بن أبى وقاص القادسية أميرا عليها وهزم الله الفرس

فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وقتل المسلمون فيهم حتى ملوا وغنموا منهم وسبوا سبيا كثيرا وسار حتى بلغ ماليان ورأى البحر المحيط فقال يارب لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهدا فى سبيلك ثم عاد فنفر الروم والبربر عن طريقه خوفا منه واجتاز بمكان يعرف اليوم بماء الفرس فنزله ولم يكن به ماء فلحق الناس عطش كثير أشرفوا على الهلاك فصلى عقبة ركعتين ودعا فبحث فرس له الارض بيديه فكشف له عن صفاة فانفجر الماء فنادى عقبة فى الناس فحفروا احساء كثيرة وشربوا فسمى ماء الفرس فلما وصل الى مدينة طبنة وبينها وبين القيروان ثمانية أيام أمر أصحابه ان يتقدموا فوجا فوجا ثقة منه بما نال من العدو وانه لم يبق احد يخشاه وسار الى تهوذا لينظر اليها فى نفر يسير فلما رآه الروم فى قلة طمعوا فيه فأغلقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه وهو يدعوهم الى الاسلام فلم يقبلوا منه

(ذكر خروج كسيلة بن كمرم البربرى على عقبة)

هذا كسيلة بن كمرم البربرى كان قد أسلم لما ولى أبو المهاجر افريقية وحسن اسلامه وهو من أكابر البربر وأبعدهم صوتا وصحب أبا المهاجر فلما ولى عقبة عرفه أبو المهاجر محل كسيلة وأمره بحفظه فلم يقبل واستخف به وأتى عقبة بغنم فأمر كسيلة بذبحها وسلخها مع السلاخين فقال كسيلة هؤلاء فتيانى وغلمانى يكفوننى المؤنة فشتمه وأمره بسلخها ففعل فقبح أبو المهاجر هذا عند عقبة فلم يرجع فقال له أوثق الرجل فانى اخاف عليك منه فتهاون به عقبة فاضمر كسيلة الغدر فلما كان الآن ورأى الروم قلة من مع عقبة فارسلوا الى كسيلة واعلموه حاله وكان فى عسكر عقبة مضمرا للغدر وقد أعلم الروم ذلك وأطمعهم فلما راسلوه أظهر ما كان يضمره وجمع أهله وبنى عمه وقصد عقبة فقال أبو المهاجر عاجله قبل ان يقوى جمعه وكان أبو المهاجر موثقا فى الحديد مع عقبة فزحف عقبة الى كسيلة فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه فلما رأى أبو المهاجر ذلك تمثل بقول أبى محجن الثقفى

كفى حزنا ان ترتدى الخيل بالقنا * وأترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد وأغلقت * مصارع من دونى تصم مناديا

فبلغ عقبة ذلك فاطلقه وقال له الحق بالمسلمين وقم بامرهم وأنا اغتنم الشهادة فلم يفعل وقال وانا أيضا أريد الشهادة فكسر عقبة والمسلمون أجفان سيوفهم وتقدموا الى البربر وقاتلوهم فقتل المسلمون جميعهم لم يفلت منهم أحد وأسر محمد بن أوس الانصارى فى نفر يسير فخلصهم صاحب قفصة وبعث بهم الى القيروان فعزم زهير بن قيس البلوى على القتال فخالفه حنش الصنعانى وعاد الى مصر فتبعه أكثر الناس فاضطر زهير الى العود معهم فسار الى برقة وأقام بها وأما كسيلة فاجتمع اليه جميع أهل افريقية وقصد افريقية وبها أصحاب الانفال والذرارى من المسلمين فطلبوا الامان من كسيلة فآمنهم ودخل القيروان واستولى على افريقية وأقام بها الى ان قوى أمر عبد الملك بن مروان فاستعمل على افريقية زهير بن قيس البلوى وكان مقيما ببرقة مرابطا

(ذكر ولاية زهير بن قيس افريقية وقتله وقتل كسيلة)

لما ولى عبد الملك بن مروان ذكر عنده من بالقيروان من المسلمين وأشار عليه أصحابه بانفاذ الجيوش الى افريقية لاستنقاذهم فكتب الى زهير بن قيس البلوى بولاية افريقية وجهز له جيشا كثيرا فسار سنة تسع وستين الى افريقية فبلغ خبره الى كسيلة فاحتفل وجمع وحشد البربر والروم واحضر اشراف أصحابه وقال قد رأيت ان ارحل الى ممش فانزلها فان بالقيروان خلقا كثيرا من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخاف ان قاتلنا زهيرا أن يثب هؤلاء من

وقيل رستم فأتت خرقاء بنت النعمان فى حفدة من قومها وجواريها وهن فى زيها عليهن المسوح والمقطعات السود مترهبات تطلب صلته فلما وقفن بين يديه أنكرهن سعد فقال أيكن خرقاء قالت ها أناذه قال أنت خرقاء قالت نعم فما تكرارك فى استفهامى ثم قالت ان الدنيا دار زوال ولا تدوم على حال تنقل أهلها انتقالا وتعقبهم بعد حال حالا كنا ملوك هذا المصر يجبى لنا خراجه ويطيعنا أهله مدى المدة وزمان الدولة فلما أدبر الامر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت شملنا وكذلك الدهر ياسعد انه ليس يأتى قوما بمسرة الا ويعقبهم بحسرة ثم أنشأت تقول

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا
اذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها
تقلب تارات بنا وتصرف

فقال سعد قاتل الله عدى ابن زيد كأنه ينظر اليها حيث يقول

ان للدهر صولة فاحذرنها
لا تبيتن قد أمنت الدهورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى
ولقد كان آمنا مسرورا

ورائنا فاذا نزلنا ممش أمناهم وقاتلنا زهيرا فان ظفرنا بهم تبعناهم الى طرابلس وقطعنا أثرهم من افريقية وان ظفر بنا تعلقنا بالجبال ونجونا فاجابوه الى ذلك ورحل الى ممش وبلغ ذلك زهيرا فلم يدخل القيروان بل اقام ظاهرها ثلاثة أيام حتى اراح واستراح ورحل فى طلب كسيلة فلما قاربه نزل وعبى أصحابه وركب اليه فالتقى العسكران واشتد القتال وكثر القتل فى الفريقين حتى أيس الناس من الحياة فلم يزالوا كذلك أكثر النهار ثم نصر الله المسلمين وانهزم كسيلة وأصحابه وقتل هو وجماعة من اعيان أصحابه بممش وتبع المسلمون البربر والروم فقتلوا من أدركوا منهم فاكثروا وفى هذه الوقعة ذهب رجال البربر والروم وملوكهم واشرافهم وعاد زهير الى القيروان ثم ان زهيرا رأى بافريقية ملكا عظيما فابى ان يقيم وقال انما قدمت للجهاد فاخاف ان أميل الى الدنيا فاهلك وكان عابدا زاهدا فترك بالقيروان عسكرا وهم آمنون لخلو البلاد من عدو أو ذى شوكة ورحل فى جمع كثير الى مصر وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة الى افريقية لقتال كسيلة فاغتنموا خلوها فخرجوا اليها فى مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية وأغاروا على برقة فاصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من افريقية الى برقة فاخبر الخبر فامر العسكر بالسرعة والجد فى قتالهم ورحل هو ومن معه وكان الروم خلقا كثيرا فلما رآه المسلمون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع وباشر القتال واشتد الامر وعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم فقتلوا زهيرا وأصحابه ولم ينج منهم أحد وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد ثم سير الى افريقية حسان بن النعمان الغسانى وسنذكره سنة أربع وسبعين ان شاء الله وكان ينبغى ان نذكر ولاية زهير وقتله سنة تسع وستين وانما ذكرناه ههنا ليتصل خبر كسيلة ومقتله فان الحادثة واحدة واذا تفرقت لم تعلم حقيقتها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس هذه السنة الوليد بن عتبة وفيها ولد محمد بن على بن عبد الله بن عباس والد السفاح والمنصور وفيها توفى عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى وله صحبة ومسلمة بن مخلد الانصارى وكان عمره لما مات النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين وتوفى بمصر مسروق بن الاجدع وقيل توفى سنة ثلاث وستين (مخلد بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وفتح اللام وتشديدها)

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وستين﴾

﴿ذكر وقعة الحرة﴾

كان أول وقعة الحرة ما تقدم من خلع يزيد فلما كانت هذه السنة اخرج أهل المدينة عثمان بن محمد بن أبى سفيان عامل يزيد وحصروا بنى أمية بعد بيعتهم عبد الله بن حنظلة فاجتمع بنو امية ومواليهم ومن يرى رأيهم فى ألف رجل حتى نزلوا دار مروان بن الحكم فكتبوا الى يزيد يستغيثون به فقدم الرسول اليه وهو جالس على كرسى وقد وضع قدميه فى طشت فيه ماء لنقرس كان بها فلما قرأ الكتاب تمثل

لقد بدلوا الحكم الذى فى سجيتى * فبدلت قومى غلظة بليان

ثم قال اما يكون بنو امية ألف رجل فقال الرسول بلى والله واكثر قال فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من النهار فبعث الى عمرو بن سعيد فاقرأه الكتاب وأمره أن يسير اليهم فى الناس فقال قد

كنت

قال فبينما هى واقفة بين يدى سعد اذ دخل عمرو ابن معديكرب وكان زوارا لأبيها فى الجاهلية فلما نظر اليها قال أنت حرقة قالت نعم قال فما دهمك فاذهب بجوادات شيمك أين تتابع نعمتك وسطوات نقمتك فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات وعبرات تعثر بالملوك وأبنائهم فتخفضهم بعد رفعة وتفردهم بعد منعة وتذلهم بعد عز ان هذا الامر كنا ننتظره فلما حل بنا لم ننكره قال فاكرمها سعد وأحسن جائزتها فلما أرادت فراقه قالت حى أحيك بتحية ملوكنا بعضهم لبعض لا نزع الله من عبد صالح نعمة الا جعلك سببا لردها عليه ثم خرجت من عنده فلقيها نساء المدينة فقلن لها ما فعل بك الامير قالت أكرم وجهى انما يكرم الكريم الكريم (قال أبو الحسن على بن الحسين المسعودى) فهؤلاء ملوك الحيرة الى أن ظهر الاسلام فاظهره الله وأذل الكافرين فجميع من سمينا من هؤلاء الملوك من ولد عمرو ابن عدى بن أخت جذيمة الابرش على حسب ما قدمنا آنفا فى صدر هذا

كنت ضبطت لك الامور والبلاد فاما الآن اذ صارت دماء قريش تهرق بالصعيد فلا أحب ان أتولى ذلك وبعث الى عبيد الله بن زياد يأمره بالمسير الى المدينة ومحاصرة ابن الزبير بمكة فقال والله لا اجمعهما للفاسق قتل ابن رسول الله وغزو الكعبة ثم أرسل اليه يعتذر فبعث الى مسلم بن عقبة المرى وهو الذى سمى مسرفا وهو شيخ كبير مريض فاخبره الخبر فقال اما يكون بنو امية ألف رجل فقال الرسول بلى قال فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من النهار ليس هؤلاء باهل ان ينصروا فانهم الاذلاء دعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا أنفسهم فى جهاد عدوهم ويتبين لك من يقاتل على طاعتك ومن يستسلم قال ويحك انه لا خير فى العيش بعدهم فاخرج بالناس وقيل ان معاوية قال ليزيد ان لك من أهل المدينة يوما فان فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فانه رجل قد عرفت نصيحته فلما خلع أهل المدينة أمر مسلما بالمسير اليهم فنادى فى الناس بالتجهز الى الحجاز وان يأخذوا عطاءهم ومعونة مائة دينار فانتدب لذلك اثنا عشر ألفا وخرج يزيد يعرضهم وهو متقلد سيفا متنكب قوسا عربية وهو يقول

أبلغ أبا بكر اذا الليل سرى * وهبط القوم على وادى القرى

اجمع سكران من القوم ترى * أم جمع يقظان نفى عنه الكرى

يا عجبا من ملحد يا عجبا * مخادع بالدين يغفو بالعرى

وسار الجيش وعليهم مسلم فقال له يزيد ان حدث بك حدث فاستخلف الحصين بن نمير السكونى وقال له ادع القوم ثلاثا فان أجابوك والا فقاتلهم فاذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثا فكل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند فاذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس وانظر على بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيرا فانه لم يدخل مع الناس وانه قد أتانى كتابه وقد كان مروان بن الحكم كلم ابن عمر لما اخرج أهل المدينة عامل يزيد وبنى أمية فى ان يغيب أهله عنده فلم يفعل فكلم على بن الحسين فقال ان لى حرما وحرمى يكون مع حرمك فقال افعل فبعث بامرأته وهى عائشة ابنة عثمان بن عفان وحرمه الى على بن الحسين فخرج على بحرمه وحرم مروان الى ينبع وقيل بل أرسل حرم مروان وأرسل معهم ابنه عبد الله بن على الى الطائف ولما سمع عبد الملك ابن مروان ان يزيد قد سير الجنود الى المدينة قال ليت السماء وقعت على الارض اعظاما لذلك ثم انه ابتلى بعد ذلك بان وجه الحجاج فحصر مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير واما مسلم فانه أقبل بالجيش فبلغ أهل المدينة خبرهم فاشتد حصارهم لبنى أمية بدار مروان وقالوا والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه ان لا تبغونا غائلة ولا تدلوا لنا على عورة ولا تظاهروا علينا عدوا فنكف عنكم ونخرجكم عنا فعاهدوهم على ذلك فاخرجوهم من المدينة وكان أهل المدينة قد جعلوا فى كل منهل بينهم وبين الشام زقا من قطران فارسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة فلما أخرج أهل المدينة بنى أمية ساروا بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادى القرى فدعا بعمرو بن عثمان بن عفان أول الناس فقال له خبرنى ما وراءك وأشر على فقال لا استطيع قد أخذ علينا العهود والمواثيق ان لا ندل على عورة ولا نظاهر عدوا فانتهره وقال والله لولا انك ابن عثمان لضربت عنقك وايم الله لا أقيلها قرشيا بعدك فخرج الى أصحابه فاخبرهم خبره فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك ادخل قبلى لعله يجتزئ بك عنى فدخل عبد الملك فقال هات ما عندك فقال نعم أرى ان تسير بمن معك فاذا انتهيت الى ذى نخلة نزلت فاستظل الناس فى ظله فاكلوا من صقره فاذا أصبحت من

الباب ثم جاء الاسلام وملك الفرس كسرى ابرويز بن هرمز فملك على العرب بالحيرة اياس بن قبيصة الطائى فكان ملكه تسع سنين ولثمانية أشهر مضت من ملك اياس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم ملك) الحيرة جماعة من الفرس وقد كان كذلك قبل عمرو بن عدى ملوك الحيرة على حسب ما ذكرنا وكان عدة الملوك بالحيرة ثلاثة وعشرين ملكا من بنى نصر وغيرهم من العرب والفرس وكان مدة ملكهم ستمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر وقد قيل ان عمران الحيرة وبدوه الى أن خربت فى وقت بناء الكوفة كان خمسمائة سنة وبضعا وثلاثين سنة (قال المسعودى) ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذى ذكرنا الى صدر من أيام المعتضد فانه استولى عليها الخراب وقد كان جماعة من خلفاء بنى العباس كالسفاح والمنصور والرشيد وغيرهم ينزلونها ويطلبون المقام بها لطيب هوائها وصفاء جوهرها وصحة تربتها وصلابتها وقرب الخورنق والنجف منها وقد كان فيها ديارات

الغد مضيت وتركت المدينة ذات اليسار ثم درت بها حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقا ثم تستقبل القوم فاذا استقبلتهم وقد اشرقت عليهم الشمس طلعت بين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم ويصيبهم أذاها ويرون من ائتلاق بيضكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم مالا ترونه انتم ماداموا مغربين ثم قاتلهم واستعن الله عليهم فقال له مسلم لله ابوك اى امرئ ولد ثم ان مروان دخل عليه فقال له ايه فقال أليس قد دخل عليك عبد الملك قال بلى وأى رجل عبد الملك فلما كلمت من رجال قريش رجلا اشبه به فقال مروان اذا لقيت عبد الملك فقد لقيتنى ثم انه صار فى كل مكان يصنع ما امر به عبد الملك فجاءهم من قبل المشرق ثم دعاهم مسلم فقال ان أمير المؤمنين يزعم انكم الاصل وانى أكره اراقة دمائكم وانى أؤجلكم ثلاثا فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفت عنكم وسرت الى هذا الملحد الذى بمكة وان أبيتم كنا قد اعتذرنا اليكم فلما مضت الثلاث قال يا أهل المدينة ما تصنعون أتسالمون أم تحاربون فقالوا بل نحارب فقال لهم لا تفعلوا بل ادخلوا فى الطاعة ونجعل جدنا وشوكتنا على أهل هذا الملحد الذى قد جمع اليه المراق والفساق من كل اوب يعنى ابن الزبير فقالوا له يا أعداء الله لو أردتم ان تجوزوا اليه ما تركناكم نحن قد نعلم ان تأتوا بيت الله الحرام فتخيفوا أهله وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمته لا والله لا نفعل وكان أهل المدينة قد اتخذوا خندقا وعليه جمع منهم وكان عليه عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف وهو ابن عم عبد الرحمن بن عوف وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر وهم قريش فى جانب المدينة وكان معقل ابن سنان الاشجعى وهو من الصحابة على ربع آخر وهم المهاجرون وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الانصارى فى أعظم تلك الارباع وهم الانصار وصمد مسلم فيمن معه فاقبل من ناحية الحرة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة وكان مريضا فامر فوضع له كرسى بين الصفين وقال يا أهل الشام قاتلوا عن أميركم وادعوا فاخذوا لا يقصدون ربعا من تلك الارباع لا هزموه ثم وجه الخيل نحو ابن الغسيل فحمل عليهم ابن الغسيل فيمن معه فكشفهم فانتهوا الى مسلم فنهض فى وجوههم بالرجال وصاح بهم فقاتلوا قتالا شديدا ثم ان الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب جاء الى ابن الغسيل فقاتل معه فى نحو من عشرين فارسا قتالا حسنا ثم قال لابن الغسيل من كان معك فارسا فليأتنى فليقف معى فاذا حملت فليحملوا فوالله لا أنتهى حتى ابلغ مسلما فاقتله أو أقتل دونه ففعل ذلك وجمع الخيل اليه فحمل بهم الفضل على أهل الشام فانكشفوا فقال لاصحابه احملوا أخرى جعلت فداكم فوالله لئن عاينت أميرهم لاقتلنه أو أقتل دونه انه ليس بعد الصبر الا النصر ثم حمل وحمل أصحابه فانفرجت خيل الشام عن مسلم بن عقبة ومعه نحو خمسمائة راجل جثاة على الركب مشرعى الاسنة نحو القوم ومضى الفضل كما هو نحو راية مسلم فضرب رأس صاحبها فقط المغفر وفلق هامته وخر ميتا وقال خذها منى وانا ابن عبد المطلب وظن انه مسلم فقال قتلت طاغية القوم ورب الكعبة فقال أخطأت استك الحفرة وانما كان ذلك غلاما روميا وكان شجاعا فاخذ مسلم رايته وحرض أهل الشام وقال شدوا مع هذه الراية فمشى برايته وشدت تلك الرجال امام الراية فصرع الفضل بن عباس فقتل وما بينه وبين أطناب مسلم بن عقبة الا نحو من عشرة أذرع وقتل معه زيد بن عبد الرحمن ابن عوف وأقبلت خيل مسلم ورجالته نحو ابن الغسيل وهو يحرض أصحابه ويذم أهل المدينة ويقدم أصحابه الى ابن الغسيل فلم يقدم عليهم للرماح التى بايديهم والسيوف وكانت تتفرق عنهم فنادى مسلم الحصين بن نمير وعبد الله بن عضاه الاشعرى وامرهما ان ينزلا فى جندهما

كثيرة فيها رهبان فلحقوا بغيرها من البلاد لتداعى الخراب اليها واقفرت فى هذا الوقت ليس بها الا الصدى والبوم وعند كثير من أهل الدراية بما يحدث فى المستقبل من الزمان أن سعدها سيعود بالعمران وان هذا النحس عنها سيزول وكذلك الكوفة (قال المسعودى) ولمن سمينا من ملوك الحيرة اخبار وسير وحروب قد أتينا على ذكرها والغرر من مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان وفيما بعد من هذا الكتاب فاغنى ذلك عن اعادته

﴿ذكر ملوك الشام من اليمن من غسان وغيرها من الملوك﴾

كان أول من ملك الشام من اليمن فالغ بن هود (ثم ملك) بعده سومات وهو أيوب بن رزاح وقد ذكر الله عز وجل فى كتابه ما كان من خبره على لسان نبيه وما اقتص من أمره ثم غلبت الروم على ديارها فتفرقوا فى البلاد وكانت قضاعة من مالك بن حمير أول من نزل الشام وانضافوا الى ملوك الروم فملكوهم بعد أن دخلوا فى النصرانية على من حوى الشام من العرب وكان أول من ملك من

ففعلا وتقدما اليهم فقال ابن الغسيل لاصحابه ان عدوكم قد أصاب وجه القتال الذى كان ينبغى ان يقاتلكم به وانى قد ظننت أن لا يلبثوا الا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم اما لكم واما عليكم اما انكم أهل النصرة ودار الهجرة وما أظن ربكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين بارضى منه عنكم ولا على أهل بلد من بلدان العرب باسخط منه على هؤلاء الذين يقاتلونكم وان لكل امرئ منكم ميتة وهو ميت بها لا محالة و والله ما ميتة أفضل من ميتة الشهادة وقد ساقها الله اليكم فاغتنموها ثم دنا بعضهم من بعض فاخذ أهل الشام يرمونهم بالنبل فقال ابن الغسيل لاصحابه عليهم تستهدفون لهم من أراد التعجيل الى الجنة فليلزم هذه الراية فقام اليه كل مستميت فنهض بعضهم الى بعض فاقتتلوا أشد قتال رؤى لاهل هذا القتال وأخذ ابن الغسيل يقدم بنيه واحدا واحدا حتى قتلوا بين يديه وهو يضرب ويقول

بعدا لمن رام الفساد وطغى * وجانب الحق وآيات الهدى

* لا يبعد الرحمن الا من عصى *

ثم قتل وقتل معه أخوه لامه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس فقال ما أحب ان الديلم قتلونى مكان هؤلاء القوم وقتل معه عبد الله بن زيد بن عاصم ومحمد بن عمرو بن حزم الانصارى فمر به مروان بن الحكم فقال رحمك الله رب السارية قد رأيتك تطيل القيام فى الصلاة الى جنبها وانهزم الناس وكان فيمن انهزم محمد بن سعد بن أبى وقاص بعد ما ابلى وأباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون الناس ويأخذون المتاع والاموال فافزع ذلك من بها من الصحابة فخرج أبو سعيد الخدرى حتى دخل فى كهف الجبل فتبعه رجل من أهل الشام فاقتحم عليه الغار فانتضى أبو سعيد سيفه يخوف به الشامى فلم ينصرف عنه فعاد أبو سعيد وأغمد سيفه وقال لئن بسطت يدك الى لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك فقال من أنت قال انا أبو سعيد الخدرى قال صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فتركه ومضى وقيل ان مسلما لما نازل اهل المدينة خرج اليه أهلها بجموع كثيرة وهيئة حسنة فهابهم أهل الشام وكرهوا أن يقاتلوهم فلما رآهم مسلم وكان شديد الوجع سبهم وذمهم وحرضهم فقاتلوهم فبينما الناس فى قتالهم اذ سمعوا تكبيرا من خلفهم فى جوف المدينة وكان سببه ان بنى حارثة ادخلوا أهل الشام المدينة فانهزم الناس فكان من أصيب فى الخندق أكثر ممن قتل ودعا مسلم الناس الى البيعة ليزيد على انهم خول له يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء فمن امتنع من ذلك قتله وطلب الامان ليزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الاسود ولمحمد بن أبى الجهم بن حذيفة ولمعقل بن سنان الاشجعى فاتى بهم بعد الوقعة بيوم فقال بايعوا على الشرط فقال القرشيان نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله فضرب اعناقهما فقال مروان سبحان الله أتقتل رجلين من قريش اتيا بامان فطعن بخاصرته بالقضيب فقال وأنت والله لو قلت بمقالتهما لقتلتك وجاء معقل بن سنان فجلس مع القوم فدعا بشراب ليسقى فقال مسلم أى الشراب أحب اليك قال العسل قال اسقوه فشرب حتى ارتوى فقال له أرويت قال نعم قال والله لا تشرب بعدها شربة الا فى نار جهنم فقال أنشدك الله والرحم فقال له أنت الذى لقيتنى بطبرية ليلة خرجت من عند يزيد فقلت سرنا شهرا ورجعنا شهرا واصبحنا صفرا فنرجع الى المدينة فنخلع هذا الفاسق ابن الفاسق ونبايع لرجل من المهاجرين أو الانصار فيم غطفان واشجع من الخلع والخلافة انى آليت بيمين لا ألقاك فى حرب أقدر منه على قتلك الا فعلت ثم أمر به فقتل واتى بيزيد بن وهب فقال له بايع قال أبايعك على الكتاب والسنة قال اقتلوه قال أنا أبايعك قال لا والله فتكلم فيه مروان لصهر كان بينهما

تنوخ النعمان بن عمرو بن مالك (ثم ملك بعده) عمرو بن النعمان بن عمرو (ثم ملك بعده) الحوارى بن النعمان ولم يملك من تنوخ الا ما ذكرناه وتنوخ بن مالك بن فهم بن تيم الله بن الازد بن دبرة بن ثعلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة ابن مالك بن حمير وقد تنوزع فى قضاعة أمن معد كان أم من قحطان فقضاعة تأبى أن تكون من معد وتزعم أنها من قحطان على ما ذكرنا وقد قيل فى نسب قضاعة واتصالها بحمير ما ذكرنا من النسب ثم وردت سليح الشام فغلبت على تنوخ وتنصر من ملكته الروم على العرب الذين بالشام وتفرقت قبائل العرب لما كان بمأرب وقصة عمرو بن عامر بن سبا فسارت غسان الى الشام من ولد مازن وذلك أن الازد ابن الغوث بن نبت بن ملك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب ابن يعرب بن قحطان بن مازن واليه ترجع جميع قبائل غسان وانما غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك (وفى ذلك) يقول حسان ابن ثابت الانصارى

اما سألت فانا معشر نجب
الازد نسبتنا والماء غسان

فأمر بمروان فوجئت أنفه ثم قتل يزيد ثم أتى مروان بعلى بن الحسين فجاء يمشى بين مروان وابنه عبد الملك حتى جلس بينهما عنده فدعا مروان بشراب ليحترم بذلك فشرب منه يسيرا ثم ناوله على ابن الحسين فلما وقع فى يده قال له مسلم لا تشرب من شرابنا فارتعد كفه ولم يأمنه على نفسه وأمسك القدح فقال له أجئت تمشى بين هؤلاء لتأمن عندى والله لو كان اليهما أمر لقتلتك ولكن أمير المؤمنين أوصانى بك وأخبرنى أنك كاتبته فان شئت فاشرب فشرب ثم أجلسه معه على السرير ثم قال له لعل أهلك فزعوا قال اى والله فأمر بدابة فأسرجت له فحمله عليها فرده ولم يلزمه بالبيعة ليزيد على ما شرط على أهل المدينة وأحضر على بن عبد الله بن عباس ليبايع فقال الحصين بن نمير السكونى لا يبايع ابن اختنا الا كبيعة على بن الحسين وكانت أم على بن عبد الله كندية فقامت كندة مع الحصين فتركه مسلم فقال على

أبى العباس قرم بنى قصى ＊ وأخوالى الملوك بنو وليعه
هموا منعوا ذمارى يوم جاءت ＊ كتائب مسرف وبنو اللكيعه
أرادونى التى لا عز فيها ＊ فحالت دونه أيد سريعه

يعنى بقوله مسرف مسلم بن عقبة فانه سمى بعد وقعة الحرة مسرفا وبنو وليعة بطن من كندة منهم أمه واللكيعة أم أمه وقيل ان عمرو بن عثمان بن عفان لم يكن فيمن خرج من بنى أمية فأتى به يومئذ الى مسلم فقال يا أهل الشام تعرفون هذا قالوا لا قال هذا الخبيث بن الطيب هذا عمرو بن عثمان هى يا عمرو اذا ظهر أهل المدينة قلت انا رجل منكم وان ظهر أهل الشام قلت انا ابن أمير المؤمنين عثمان فأمر به فنتفت لحيته ثم قال يا أهل الشام ان أم هذا كانت تدخل الجعل فى فيها ثم تقول يا أمير المؤمنين حاجيتك ما فى فى وفى فيها ما شاهى وباهى وكانت من دوس ثم خلى سبيله وكانت وقعة الحرة لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثلاث وستين قال محمد بن عمارة قدمت الشام فى تجارة فقال لى رجل من أين أنت فقلت من المدينة فقال خبيثة فقلت يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وتسميها خبيثة فقال ان لى ولها لشأنا لما خرج الناس الى وقعة الحرة رأيت فى المنام انى قتلت رجلا اسمه محمد ادخل بقتله النار فاجتهدت فى انى لا أسير معهم فلم يقبل منى فسرت معهم ولم أقاتل حتى انقضت الوقعة فمررت برجل فى القتلى به رمق فقال تنح يا كلب فأنفت من كلامه وقتلته ثم ذكرت رؤياى فجئت برجل من أهل المدينة يتصفح القتلى فلما رأى الرجل الذى قتلته قال انا لله لا يدخل قاتل هذا الجنة قلت ومن هذا قال هو محمد بن عمرو بن حزم ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسماه محمدا وكناه أبا عبد الملك فأتيت أهله فعرضت عليهم ان يقتلونى فلم يفعلوا وعرضت عليهم الدية فلم يأخذوا وممن قتل بالحرة عبد الله بن عاصم الانصارى وليس بصاحب الاذان ذاك ابن زيد بن ثعلبة وقتل أيضا فيها عبيد الله بن عبد الله بن موهب ووهب بن عبد الله بن زمعة بن الاسود وعبد الله بن عبد الرحمن بن حاطب وزبير بن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفى هذه السنة توفى الربيع بن خيثم الكوفى الزاهد وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان يسمى يومئذ العابد وكانوا يرون الامر شورى وأتاه الخبر بوقعة الحرة هلال المحرم مع المسور ابن مخرمة فاستعد فجاؤه بأمر عظيم فاعد هو وأصحابه واستعاروا وعرفوا أن مسلما نازل بهم

﴿ثم دخلت سنة أربع وستين﴾

وسنذكر بعد هذا الموضع خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر سيل العرم وتفرقهم فى البلاد وخبر الماء المعروف بغسان وقد ذكر أن عمرو بن عامر حين خرج من مأرب لم يزل مقيما على هذا الماء الى أن أدركه الموت وكان عمره ثمانمائة سنة أربعمائة سوقة وأربعمائة ملكا وغلبت غسان على من بالشأم من العرب فملكها الروم على العرب فكان أول من ملك من ملوك غسان بالشأم الحرث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن ابن غسان بن الازد بن الغوث (ثم ملك) بعده الحرث بن ثعلبة بن جفنة ابن عمرو بن عامر بن حارثة وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن جفنة ابن عمرو وذكر أنها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية بن ثور ابن كندة وهى التى ذكرتها الشعراء فى أشعارها وتنسب جماعة من ملوك غسان اليها وملك بعده النعمان بن الحرث بن ثعلبة ابن جبلة بن جفنة بن عمرو (ثم ملك) بعده عوف بن أبى شمر وكان ملكه حين بعث رسول الله صلى الله

﴿ذكر مسير مسلم لحصار ابن الزبير وموته﴾

فلما فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ونهبها شخص بمن معه نحو مكة يريد ابن الزبير ومن معه واستخلف على المدينة روح بن زنباع الجذامى وقيل استخلف عمرو بن مخرمة الاشجعى فلما انتهى الى المشلل نزل به الموت وقيل مات بثنية هرشى فلما حضره الموت أحضر الحصين بن النمير وقال له يا برذعة الحمار لو كان الامر الى ما وليتك هذا الجند ولكن أمير المؤمنين ولاك خذ عنى أربعا (١) اسرع السير وعجل المناجزة ولا تمكن قريشا من اذنك ثم قال اللهم انى لم أعمل قط بعد شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله عملا أحب الى من قتلى أهل المدينة ولا أرجى عندى فى الآخرة فلما مات سار الحصين بالناس فقدم مكة لاربع بقين من المحرم سنة أربع وستين وقد بايع أهلها وأهل الحجاز عبد الله بن الزبير واجتمعوا عليه ولحق به المنهزمون من أهل المدينة وقدم عليه نجدة بن عامر الحنفى فى الناس من الخوارج يمنعون البيت وخرج ابن الزبير الى لقاء أهل الشام ومعه أخوه المنذر فبارز المنذر رجلا من أهل الشام فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة مات منها ثم حمل أهل الشام عليهم حملة انكشف منها اصحاب عبد الله وعثرت بغلة عبد الله فقال تعسا ثم نزل فصاح باصحابه فاقبل اليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف فقاتلا حتى قتلا جميعا وضاربهم ابن الزبير الى الليل ثم انصرفوا عنه هذا فى الحصر الاول ثم أقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله حتى اذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الاول سنة أربع وستين رموا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار واخذوا يرتجزون ويقولون

خطارة مثل الفنيق المزبد ＊ نرمى بها أعواد هذا المسجد

وقيل ان الكعبة احترقت من نار كان يوقدها اصحاب عبد الله حول الكعبة وأقبلت شررة هبت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق خشب البيت والاول أصح لان البخارى قد ذكر فى صحيحه ان ابن الزبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقة يحرضهم على أهل الشام واقام أهل الشام يحاصرون ابن الزبير حتى بلغهم نعى يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر

﴿ذكر وفاة يزيد بن معاوية﴾

وفى هذه السنة توفى يزيد بن معاوية بحوران من أرض الشام لاربع عشرة خلت من شهر ربيع الاول وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فى قول بعضهم وقيل تسع وثلاثين وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل توفى فى ربيع الاول سنة ثلاث وستين وكان عمره خمسا وثلاثين سنة وكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر والاول اصح وأمه ميسون بنت بحدل بن انيف الكلبية وكان له من الولد معاوية وكنيته ابو عبد الرحمن وأبو ليلى وهو الذى ولى بعده وخالد ويكنى أبا هاشم يقال انه أصاب علم الكيمياء ولا يصح ذلك لاحد وابو سفيان وأمهم أم هاشم بنت عتبة بن ربيعة تزوجها بعده مروان بن الحكم وله أيضا عبد الله بن يزيد كان أرمى العرب وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهو الاسوار وعبد الله الاصغر وعمرو وأبو بكر وعتبة وحرب وعبد الرحمن ومحمد لامهات شتى

﴿ذكر بعض سيرته واخباره﴾

قال محمد بن عبيد الله بن عمرو العتبى نظر معاوية ومعه امرأته ابنة قرظة الى يزيد وأمه ترجله فلما فرغت منه قبلته فقالت ابنة قرظة لعن الله سواد ساقى أمك فقال معاوية أما والله لما تفرجت عنه وركاها خير مما تفرجت عنه وركاك وكان لمعاوية من ابنة قرظة عبد الله وكان أحمق فقالت

عليه وسلم (ثم ملك) جبلة ابن الايهم بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن مازن وهو غسان بن الازد بن عوف وهو الملك الذى امتدحه حسان بن ثابت الانصارى حيث يقول فى شعر طويل

أشهرنها فان ملكك بالشأ ＊ م الى الروم فخر كل يمانى

(وفيه يقول أيضا)

لمن الدار أقفرت بمعان ＊ بين أعلى اليرموك والصمان
من قريات من ثلاثين عذت ＊ ناسكا منه بالقصور الدوانى
قد دنا الفصح والولائد ينظمن ＊ سراعا أكلة المرجان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهر ＊ وحقا تصرف الازمان
صلوات المسيح فى ذلك الدير ＊ دعاء القسيس والرهبان

وهذه مواضع وقرى من غوطة دمشق واعمالها بين الجولان واليرموك (وذكر عدة) من الاخباريين أن حسان ابن ثابت الانصارى زار الحرث بن أبى شمر الغسانى وكان النعمان ابن المنذر اللخمى يساميه فقال له وهو عنده يا ابن الفريعة لقد نبئت أنك تفضل النعمان على فقال وكيف أفضله عليك فوالله لقفاك أحسن من

(١) قوله خذ عنى أربعا هكذا فى الاصل والمعدود ثلاثة فحرراه

لا والله ولكنك نؤثر هذا فقال سوف أبين لك ذلك فأمر فدعى له عبد الله فلما حضر قال أى بنى انى أردت ان أعطيك ما أنت أهله واست بسائل شيأ الا اجبتك اليه فقال حاجتى ان تشترى كلبا فارها وحمارا فقال أى بنى انت حمار وأشترى لك حمارا قم فاخرج ثم احضر يزيد وقال له مثل قوله لاخيه فخر ساجدا ثم قال حين رفع رأسه الحمد لله الذى بلغ أمير المؤمنين هذه المدة وأراه فى هذا الرأى حاجتى ان تعتقنى من النار لان من ولى أمر الامة ثلاثة ايام اعتقه الله من النار فتعقد لى العهد بعدك وتولينى العام الصائفة وتأذن لى فى الحج اذا رجعت وتولينى الموسم وتزيد لاهل الشام كل رجل عشرة دنانير وتفرض لايتام بنى جمح وبنى سهم وبنى عدى لانهم حلفائى فقال معاوية قد فعلت وقبل وجهه فقال لامرأته ابنة قرظة كيف رأيت قالت أوصه به يا أمير المؤمنين ففعل وقال عمر بن سبينة حج يزيد فى حياة أبيه فلما بلغ المدينة جلس على شراب له فاستأذن عليه ابن عباس والحسين فقيل له ان ابن عباس ان وجد ريح الشراب عرفه فحجبه وأذن للحسين فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال لله در طيبك ما أطيبه فما هذا قال هو طيب يصنع بالشام ثم دعا بقدح فشربه ثم دعا بآخر فقال اسق ابا عبد الله فقال له الحسين عليك شرابك أيها المرء لا عين عليك منى فقال يزيد

ألا يا صاح للعجب * دعوتك ذا ولم تجب
الى الفتيات والشهوا * ت والصهباء والطرب
وباطيــــة مكللة * عليها سادة العرب
وفيهن التى تبلت * فؤادك ثم لم تتب

فنهض الحسين وقال بل فؤادك يا ابن معاوية تبلت وقال شقيق بن سلمة لما قتل الحسين ثار عبد الله بن الزبير فدعا ابن عباس الى بيعته فامتنع وظن يزيد ان امتناعه تمسك منه ببيعته فكتب اليه أما بعد فقد بلغنى ان الملحد ابن الزبير دعاك الى بيعته وانك اعتصمت ببيعتنا وفاء منك لنا فجزاك الله من ذى رحم خير ما يجزى المواصلين لارحامهم الموفين بعهودهم فما انسى من الاشياء فلست بناس برك وتعجيل صلتك بالذى أنت له أهل فانظر من طلع عليك من الآفاق ممن سحرهم ابن الزبير بلسانه فاعلمهم بحاله فانهم منك أسمع الناس ولك أطوع منهم للمحل فكتب اليه ابن عباس أما بعد فقد جاءنى كتابك فامارى بيعة ابن الزبير فوالله ما أرجو بذلك برك ولا حمدك ولكن الله بالذى أنوى عليم وزعمت انك لست بناس برى فاحبس أيها الانسان برك عنى فانى حابس عنك برى وسألت ان أحبب الناس اليك وأبغضهم وأخذلهم لابن الزبير فلا ولا سرورا ولا كرامة كيف وقد قتلت حسينا وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الاعلام غادرتهم خيولك بامرك فى صعيد واحد مرملين بالدماء مسلوبين بالعراء مقتولين بالظماء لا مكفنين ولا موسدين تسفى عليهم الرياح وينشى بهم عرج البطاح حتى اتاح الله بقوم لم يشركوا فى دمائهم كفنوهم وأجنوهم وبى وبهم لو عززت وجلست مجلسك الذى جلست فما أنسى من الاشياء فلست بناس اطرادك حسينا من حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرم الله وتسييرك الخيول اليه فما زلت بذلك حتى أشخصته الى العراق فخرج خائفا يترقب فنزلت به خيلك عداوة منك لله ولرسوله ولاهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فطلب اليكم الموادعة وسألكم الرجعة فاغتنمتم قلة انصاره واستئصال أهل بيته وتعاونتم عليه كأنكم قتلتم أهل بيت من الترك والكفر فلا شئ اعجب عندى من طلبتك ودى وقد قتلت ولد أبى وسيفك

وجهه ولامك أشرف من أبيه ولابوك أشرف من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه ولحرمانك أنفع من نداه ولقليلك أكثر من كثيره ولثمادك أمرع من غديره ولكرسيك أرفع من سريره ولجدولك أغور من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمد من حوله ولحولك خير من حقبه ولزندك أورى من زنده ولجندك أعز من جنده وانك من غسان وانه من لخم فكيف أفضله عليك وأعدله بك فقال يا ابن الفريعة هذا لا يسمع الا فى شعر فقال

تبنت ان أبا منذر
يساميك للحرث الاصغر
فقفاك أحسن من وجهه
وأمك خير من المنذر
ويسرى يديك على عسرها
كيمنى يديه على المعسر

(وكانت ديار ملوك غسان) باليرموك والجولان وغيرهما من غوطة دمشق وأعمالها ومنهم من نزل الاردن من أرض الشام وجبلة بن الايهم هو الذى أسلم وارتد عن دينه خوف العار والقود من اللطمة وخبره واضح مشهور وقد اتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وسائر أخبار ملوك تنوخ وسليح وغيرهما ممن

يقطر من دمى وانت احد ثارى ولا يعجبك ان ظفرت بنا اليوم فلنظفرن بك يوما والسلام قال الشريف أبو يعلى حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر العلوى وقد جرى عنده ذكر يزيد انا لا اكفر يزيد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انى سألت الله ان لا يسلط على بنى أحدا من غيرهم فاعطانى ذلك

(ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير)

فى هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيد بالخلافة بالشام ولعبد الله بن الزبير بالحجاز ولما هلك يزيد بلغ الخبر عبد الله بن الزبير بمكة قبل ان يعلم الحصين بن نمير ومن معه من عسكر الشام وكان الحصار قد اشتد من الشاميين على ابن الزبير فناداهم ابن الزبير واهل مكة علام تقاتلون وقد هلك طاغيتكم فلم يصدقوهم فلما بلغ الحصين خبر موته بعث الى ابن الزبير فقال موعد ما بيننا الليلة الابطح فالتقيا وتحادثا فراث فرس الحصين فجاء حمام الحرم يلتقط روث الفرس فكف الحصين فرسه عنهن وقال اخاف ان يقتل فرسى حمام الحرم فقال ابن الزبير تتحرجون من هذا وانتم تقتلون المسلمين فى الحرم فكان فيما قال له الحصين انت احق بهذا الامر هلم فلنبايعك ثم اخرج معنا الى الشام فان هذا الجند الذين معى هم وجوه الشام وفرسانهم فوالله لا يختلف عليك اثنان وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التى كانت بيننا وبينك وبين أهل الحرم فقال له انا لا اهدر الدماء والله لا أرضى ان اقتل بكل رجل منهم عشرة منكم وأخذ الحصين يكلمه سرا وهو يجهر ويقول والله لا أفعل فقال له الحصين قبح الله من يعدك بعد ذاهبا وآيبا قد كنت أظن ان لك رأيا وأنا اكلمك سرا وتكلمنى جهرا وادعوك الى الخلافة وأنت لا تريد الا القتل والهلكة ثم فارقه ورحل هو واصحابه نحو المدينة وندم ابن الزبير على ما صنع فارسل اليه اما المسير الى الشام فلا أفعله ولكن بايعوا الى هناك فانى مؤمنكم وعادل فيكم فقال الحصين ان لم تقدم بنفسك لا يتم الامر فان هنالك ناسا من بنى أمية يطلبون هذا الامر وسار الحصين الى المدينة فاجترأ أهل المدينة على أهل الشام فكان لا ينفرد منهم احد الا أخذت دابته فلم يتفرقوا وخرج معهم بنو أمية من المدينة لى الشام ولو خرج معهم ابن الزبير لم يختلف عليه أحد فوصل اهل الشام دمشق وقد بويع معاوية بن يزيد فلم يمكث الا ثلاثة أشهر حتى هلك وقيل بل ملك أربعين يوما ومات وعمره احدى وعشرون سنة وثمانية عشر يوما ولما كان فى آخر امارته امر فنودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فانى ضعفت عن أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجدهم فانتم اولى بامركم فاختاروا له من أحببتم ثم دخل منزله وتغيب حتى مات وقيل انه مات مسموما وصلى عليه الوليد بن عتبة بن ابى سفيان ثم اصابه الطاعون من يومه فمات أيضا وقيل لم يمت وكان معاوية اوصى ان يصلى الضحاك بن قيس بالناس حتى يقوم لهم خليفة وقيل لمعاوية لو استخلفت فقال لا اتزود مرارتها واترك لبنى أمية حلاوتها

(ذكر حال ابن زياد بعد موت يزيد)

لما مات يزيد واتى الخبر عبيد الله بن زياد مع مولاه حمران وكان رسوله الى معاوية بن أبى سفيان ثم الى يزيد بعده فلما أتاه الخبر اسره اليه واخبره باختلاف الناس فى الشام فامر فنودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس وصعد المنبر فنعى يزيد وثلبه فقال الاحنف انه قد كانت ليزيد فى أعناقنا بيعة ويقال فى المثل اعرض عن ذى فترة فاعرض عنه عبيد الله وقال يا أهل البصرة ان مهاجرنا

ملك الشام ودعا النبى صلى الله عليه وسلم الغسانى الى الاسلام ورغبه فى الايمان وقد أتينا على خبره وما كان من اسلامه وأخباره مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كتابنا أخبار الزمان فيما بعد (وفى أبيه) يقول النابغة

هذا غلام حسن وجهه
مستقبل الخير سريع التمام
للحرث الاكبر والحرث الا
صغر والحرث خير الانام
ثم لهند ولهند وقد
اسرع فى الخيرات منه امام
خمسة آباؤهم ما هم
اكرم من يشرب صوب الغمام

فجميع من ملك من ملوك غسان بالشام احد عشر ملكا وقد كان بالشام ملوك بين بلاد مارب من ارض البلقاء من بلاد دمشق وكذلك مدائن قوم لوط من ارض الاردن وبلاد فلسطين وكانت خمس مدن فكانت دار المملكة منها والمدينة العظمى مدينة سدوم وكانت سمة كل ملك عليها فارعا وكذلك ذكر فى التوراة وذكر اسماء هذه المدن اعرضنا عنه اذ كان فيه خروج عن شرط الاختصار وقد كان لكندة وغيرها من العرب من قحطان ومعد ملوك كثيرة لم نتعرض لذكرها

اليكم ودار نافيكم ومولدى فيكم واقدولينكم ومايحصى ديوان مقاتليكم الاسبعين ألفا ولقد أحصى اليوم مائة ألف وما كان يحصى ديوان عمالكم الاتسعين ألفا ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفا وماتركت لكم فاطبة من اخافه عليكم الا وهو فى سجنكم وان يزيد قد توفى وقد اختلف الناس بالشام وأنتم اليوم أكثر الناس عددا واعرضهم فناء واغنى عن الناس وأوسعهم بلادا فاختاروا لانفسكم رجلا ترضونه لدينكم وجماعتكم فأنا أول راض من رضيتموه فان اجتمع أهل الشام على رجل ترضونه لدينكم وجماعتكم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وان كرهتم ذلك كنتم على أحد بليكم حتى تقضوا حاجتكم فما بكم الى احد من أهل البلدان حاجة ولا يستغنى الناس عنكم فقام خطباء أهل البصرة وقالوا قد سمعنا مقالتك وما نعلم أحدا أقوى عليها منك فهلم فلنبايعك فقال لا حاجة لى فى ذلك فكرروا عليه وأبى عليهم ثلاثا ثم بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا ومسحوا أيديهم بالحيطان وقالوا أيظن ابن مرجانة انا ننقاد له فى الجماعة والفرقة فلما بايعوه ارسل الى أهل الكوفة مع عمرو بن مسمع وسعد بن القرحاء التميمى يعلمهم ما صنع أهل البصرة ويدعوهم الى بيعته فلما وصلا الى الكوفة وكان خليفته عليها عمرو بن حريث جمع الناس وقام الرسولان فخطبا اهل الكوفة وذكرا لهم ذلك فقام يزيد بن الحرث بن يزيد الشيبانى وهو ابن رويم فقال الحمد لله الذى اراحنا من ابن سمية انحن نبايعه لا ولا كرامة وحصبهما اول الناس ثم حصبهما الناس بعده فشرفت تلك الفعلة يزيد بن رويم فى الكوفة ورفعته ورجع الرسولان الى البصرة فاعلماه الحال فقال اهل البصرة ايخلعه اهل الكوفة ونوليه نحن فضعف سلطانه عندهم فكان يأمر بالامر فلا يقضى ويرى الرأى فيرد عليه ويأمر بحبس المخطئ فيحال بين اعوانه وبينه ثم جاء الى البصرة سلمة بن ذؤيب الحنظلى التميمى فوقف فى السوق وبيده لواء وقال أيها الناس هلموا الى انى أدعوكم الى ما لم يدعكم اليه أحد أدعوكم الى العائذ بالحرم يعنى عبد الله بن الزبير فاجتمع اليه ناس وجعلوا يصفقون على يديه يبايعونه فبلغ الخبر ابن زياد فجمع الناس فخطبهم وذكر لهم أمره معهم وانه دعاهم الى من يرتضونه فبايعه منهم أهل البصرة وانهم أبوا غيره وقال انى بلغنى انكم مسحتم أكفكم بالحيطان وباب الدار وقلتم ما قلتم وانى آمر بالامر فلا ينفذ ويرد على رأيى ويحال بين أعوانى وبين طلبتى ثم انه هذا سلمة بن ذؤيب يدعو الى الخلاف عليكم ليفرق جماعتكم ويضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف فقال الاحنف والناس نحن نأتيك بسلمة فاتوه بسلمة فاذا جمعه قد كثف والفتق قد اتسع فلما رأى ذلك قعدوا عن ابن زياد فلم يأتوه فدعا عبيد الله رؤساء محاربة السلطان واردهم ليقاتلوا معه قالوا ان امرنا قوادنا فعلنا فقال له اخوته ما لا خليفة فتقاتل عنه فان هزمت رجعت اليه فامدك ولعل الحرب تكون عليك وقد اتخذنا بين هؤلاء القوم أموالا فان ظفروا اتلفوها واهلكونا فلم تبق لك بقية فلما رأى ذلك أرسل الى الحرث بن قيس بن صهباء الجهضمى الازدى فاحضره وقال له ياحرث ان أبى أوصانى انى ان احتجت الى العرب يوما أن اختاركم فقال الحرث ان قومى قد اختبروا أباك فلم يجدوا عنده مكافأة ولا عندك مكافأة ولا اردك اذا اخترتنا ما أدرى كيف امانى لك ان اخرجتك نهارا أخاف أن تقتل واقتل ولكنى اقيم معك الى الليل ثم أردفك خلفى لئلا تعرف فقال عبيد الله نعم ما رأيت فاقام عنده فلما كان الليل حمله خلفه وكان فى بيت المال تسعة عشر ألف ألف ففرق ابن زياد بعضها فى مواليه وادخر الباقى لآل زياد وسار الحرث بعبيد الله بن زياد فكان يمر به على الناس وهم يتحارسون مخافة الحرورية وعبيد الله يسأله أين نحن والحرث يخبره فلما كانوا فى بنى سليم قال أين نحن قال

اذ كان لا اسماء لهم تعمهم وتشهرهم كقولنا الخليفة وقيصر وكسرى والنجاشى ولئلا يطول الكتاب بذكرهم وقد اتينا على سائر ملوك العرب من معد وقحطان وغيرهم ممن وسم بالملك فى بعض الممالك فى سائر الامم الخالية والممالك الباقية من البيضان والسودان ممن امكن ذكره وتأتى لنا الاخبار عنه وانما ذكرنا فى هذا الكتاب من الملوك ما اشتهر ملكه وعرفت مملكته ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز وتنبيها على ما سلف من اخبارهم فى كتبنا المتقدم ذكرها من تصنيفنا والله الموفق

﴿ذكر البوادى من العرب وغيرهم من الامم وعلة سكناها البدو وجمل من اخبار العرب وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى﴾

وقد تقدم ذكرنا لولد قحطان وان من عداهم من العرب العاربة دثرت من عاد وطسم وجديس وعملاق وجرهم وثمود وعبيل ووبار وسائر من سميناوان من بقى ممن ذكرنا دخلوا فى العرب الباقية الى هذا الوقت وهم قحطان ومعد ولا يعلم ان قبيلا بقى يشار اليه فى

فى بنى سليم فقال سلمنا ان شاء الله فلما أتى بنى ناجية قال أين نحن قال فى بنى ناجية قال نجونا ان شاء الله فقال بنو ناجية من أنت قال الحرث بن قيس وكان يعرف رجل منهم عبيد الله فقال ابن مرجانة وأرسل سهما فوقع فى عمامته ومضى به الحرث فانزله فى داره نفسه فى الجهاضم فقال له ابن زياد ياحرث انك أحسنت فاصنع ما أشير به عليك قد علمت منزلة مسعود بن عمرو فى قومه وشرفه وسنه وطاعة قومه له فهل لك ان تذهب بى اليه فاكون فى داره فهى فى وسط الازد فانك ان لم تفعل فرق عليك امر قومك فأخذه الحرث فدخلا على مسعود ولم يشعر وهو جالس يصلح خفا له فلما رآهما عرفهما فقال للحرث أعوذ بالله من شر ما طرقتنى به قال ما طرقتك الا بخير قد علمت ان قومك انجوا زيادا ووفوا له فصارت مكرمة يفخرون بها على العرب وقد بايعتم عبيد الله بيعة الرضا من مشورة وبيعة أخرى قبل هذه يعنى بيعة الجماعة فقال مسعود أترى لنا ان نعادى أهل مصرنا فى عبيد الله ولم نجد من أبيه مكافأة ولا شكرا فيما صنعنا معه فقال الحرث انه لا يعاديك أحد على الوفاء على بيعتك حتى تبلغه مأمنه أفتخرجه من بيتك بعد ما دخله عليك فامره مسعود فدخل بيت أخيه عبد الغافر بن عمرو ثم ركب مسعود من ليلته ومعه الحرث وجماعة من قومه فطافوا فى الازد فقالوا ان ابن زياد فقد وانا لا نأمن ان تلطخوا به فاصبحوا فى السلاح وفقد الناس ابن زياد فقالوا ما هو الا فى الازد وقيل ان الحرث لم يكلم مسعودا بل أمر عبيد الله فحمل معه مائة ألف وأتى بها أم بسطام امرأة مسعود وهى بنت عمرو بن الحرث ومعه عبيد الله فاستأذن عليها فاذنت له فقال لها قد أتيتك بأمر تسودين به نساء العرب وتتعجلين به الغنى وأخبرها الخبر وأمرها ان تدخل ابن زياد البيت وتلبسه ثوبا من ثياب مسعود ففعلت فلما جاء مسعود أخبرته فاخذ برأسها يضربها فخرج عبيد الله والحرث عليه وقال له قد اجارتنى وهذا ثوبك على وطعامك فى بطنى وشهد الحرث وتلطفوا به حتى رضى فلم يزل ابن زياد فى بيته حتى قتل مسعود فسار الى الشام ولما فقد ابن زياد بقى أهل البصرة فى غير أمير فاختلفوا فيمن يؤمرون عليهم ثم تراضوا بقيس بن الهيثم السلمى وبالنعمان ابن سفيان الراسبى الحرمى ليختارا من يرضيان لهم وكان رأى قيس فى بنى أمية ورأى النعمان فى بنى هاشم فقال النعمان ما أرى أحدا أحق بهذا الامر من فلان لرجل من بنى أمية وقيل بل ذكر له عبد الله بن الاسود الزهرى وكان هوى قيس فيه وانما قال النعمان ذلك خديعة ومكرا بقيس فقال قيس قد قلدتك امرى ورضيت من رضيت ثم خرجا الى الناس فقال قيس قد رضيت من رضى النعمان

﴿ذكر ولاية عبد الله بن الحرث البصرة﴾

لما اتفق قيس والنعمان ورضى قيس بمن يؤمره النعمان أشهد عليه النعمان بذلك وأخذ على قيس وعلى الناس العهود بالرضا ثم أتى عبد الله بن الاسود وأخذ بيده واشترط عليه حتى ظن الناس انه بايعه ثم تركه وأخذ بيد عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الملقب ببة واشترط عليه مثل ذلك ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر النبى صلى الله عليه وسلم وحق أهل بيته وقرابته وقال أيها الناس ما تنقمون من رجل من بنى عم نبيكم وأمه هند بنت أبى سفيان قد كان الامر فيهم فهو ابن أختكم ثم أخذ بيده وقال رضيت لكم به فنادوه قد رضينا وبايعوه واقبلوا به الى دار الامارة حتى نزلها وذلك أول جمادى الآخرة سنة أربع وستين وقال الفرزدق فى بيعته

وبايعت اقواما وفيت بعهدهم * وببة قد بايعته غير نادم

﴿ذكر هرب ابن زياد الى الشام﴾

الارض من العرب الاول غير معد وقحطان وذكرنا من طاف البلاد من التبابعة والاذواء وشيد البنيان فى الشرق والغرب ومصر الامصار وبنى المدن الكبار كافريقش بن ابرهة وما بنى بالمغرب من المدن كمدينة افريقية وصقلية وما كور من الكور هنالك وما اتخذ من العمائر وكمسير شمر الى أرض المشرق وبنيانه سمرقند ومن خلف هنالك من حمير بها وببلاد التبت والصين وقد ذكر ذلك جماعة من شعرائهم ممن سلف وخلف (وقد افتخر) دعبل بن على الخزاعى فى قصيدته التى يرد فيها على الكميت ونخر دعبل بمن سلف من ملوكهم وسيرفى الارض وأن لهم من الفضل ما ليس لمعد بن عدنان فقال فى شعره

هم كتبوا الكتاب بباب مرو * وباب الصين كانوا الكاتبينا

وهم جمعوا الجموع بسمرقند * وهم غرسوا هناك التبتينا

(وقد كان) من بلاد اليمن ملوك لا يدعون بالتبابعة ممن تقدم وتأخر منهم حتى ينقاد الى ملكه أهل الشحر وحضرموت فحينئذ يستحق أن يسمى تبعا

ثم ان الازد وربيعة جددوا الحلف الذى كان بينهم وبين الجماعة وأنفق ابن زياد مالا كثيرا فيهم حتى تم الحلف وكتبوا بذلك بينهم كتابين فكان أحدهما عند مسعود بن عمرو فلما سمع الاحنف ان الازد طلبت الى ربيعة ذلك قال لا يزالون لهم اتباعا اذا أتوهم فلما تحالفوا اتفقوا على ان يردوا ابن زياد الى دار الامارة فسار وا ورئيسهم مسعود بن عمرو وقالوا لابن زياد سر معنا فلم يفعل وارسل معه مواليه على الخيل وقال لهم لا تحدثوا بخير ولا بشر الا أتيتمونى به فجعل مسعود لا يأتى سكة ولا يتجاوز قبيلة الا أتى بعض أولئك الغلمان ابن زياد بالخبر وسارت ربيعة وعليهم مالك بن مسمع فأخذوا سكة المربد وجاء مسعود فدخل المسجد فصعد المنبر وعبد الله بن الحرث فى دار الامارة فقيل له ان مسعودا وأهل اليمن وربيعة قد ساروا وسيهيج بين الناس شر فلو اصلحت بينهم وركبت فى بنى تميم فقال أبعدهم الله لا والله لا افسد نفسى فى اصلاحهم وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول

لنكحن ببه * جاريةً فى قبه * تمشط رأس لعبه

هذا قول الازد واما مضر فيقولون ان أمه كانت ترقصه وتقول هذا وصعد مسعود المنبر وسار مالك بن مسمع نحو دور بنى تميم حتى دخل سكة بنى العدوية فحرق دورهم لما فى نفسه لاستعراض بنى حازم ربيعة بهراة وجاء بنو تميم الى الاحنف فقالوا يا ابحران ربيعة والازد قد تحالفوا وقد ساروا الى الرحبة فدخلوها فقال لستم باحق بالمسجد منهم فقالوا قد دخلوا الدار فقال لستم باحق بالدار منهم فاتته امرأة بمجمر وقالت له مالك وللرياسة انما أنت امرأة تتجمر فقال لبست امرأة أحق بالمجمر منك فاسمع منه كلمة أسوأ منها ثم أتوه فقالوا ان امرأة منا قد نزعت خلخالها وقد قتلوا الضياع الذى على طريقك وقتلوا المقعد الذى على باب المسجد وقد دخل مالك بن مسمع سكة بنى العدوية فحرق فقال الاحنف أقيموا البينة على هذا ففى دون هذا ما يحل قتالهم فشهدوا عنده على ذلك فقال الاحنف اجاء عباد بن الحصين قالوا لا وهو عباد بن الحصين بن يزيد بن عمرو بن أوس من بنى عمرو بن تميم ثم قال اجاء عباد قالوا لا قال أههنا عبس بن طلق بن ربيعة الصريمى من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم قالوا نعم فدعاه فانتزع معجرا فى رأسه فعقده فى رمح ثم دفعه اليه وقال سر فلما ولى قال اللهم ان لم تخزها اليوم فانك لم تخزها فيما مضى وصاح الناس هاجت زبرا وهى أم الاحنف كنوا بها عنه فسار عبس الى المسجد فلما سار عبس جاء عباد فقال ما صنع الناس فقيل سار بهم عبس فقال لا أسير تحت لواء عبس وعاد الى بيته ومعه ستون فارسا فلما وصل عبس الى المسجد قاتل الازد على أبوابه ومسعود على المنبر يحضض الناس فقاتل غطفان بن انيف التميمى وهو يقول

يال تميم انها مذكوره * ان فات مسعود بها مشهوره * فاستمسكوا بجانب المقصوره

أى لا يهرب وأتوا مسعودا وهو على المنبر فاستنزلوه وقتلوه وذلك أول شوال سنة أربع وستين وانهزم أصحابه وهرب أشيم بن شقيق بن ثور فطعنه أحدهم فنجا بها فقال الفرزدق

لو أن أشيم لم يسبق أسنتنا * وأخطأ الباب اذ نيراننا تقد
اذا لصاحب مسعودا وصاحبه * وقد تهافتت الاعفاج والكبد

ولما صعد مسعود المنبر أتى ابن زياد فقيل له ذلك فتهيأ للمجىء الى دار الامارة فأتوه وقالوا انه قتل مسعود فركب ولحق بالشام فاما مالك بن مسمع فاتاه ناس من مضر فحصروه فى داره وحرقوا داره ولما هرب ابن زياد تبعوه فاعجزهم فنهبوا ما وجدوا له وفى ذلك يقول واقد بن خليفة التميمى

ومن تخلف عن ملكه ممن ذكرنا سمى ملكا ولم يطلق له اسم تبع وقد قال الله عز وجل فى قصة قريش وتفاخرها بقوتها وعددها أهم خير أم قوم تبع الآية حين دخل الحرم فبعث الله عليه الظلة وانما سمى تبعا لمن تبعه وكذلك حكى عن عبد الله بن العباس وقد كان تبع أبو كرب سار فى الارض ووطئ الممالك وذللها ووطئ أرض العراق فى ملك الطوائف وعميد الطوائف حينئذ جور بن سابور فلاقى أبو كرب ملكا من الطوائف يقال له قتاد وليس بقتاد بن فيروز من السامانية فانهزم قتاد واتى تبع أبو كرب على ملكه وملك العراق والشام والحجاز وكثيرا من الشرق (وفى ذلك يقول) تبع ويذكر ما صنع

وردا الملك تبع وبنوه
ورثوهم جدودهم والجدودا
اذ جبينا جيادنا من ظفار
ثم سرنا بها مسيرا بعيدا
فاستبحنا بالخيل ملك قتاد
وابن أقلود جاءنا مصفودا
فكسونا البيت الذى حرم
الله ملاء مقصبا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا
وجعلنا لبابه اقليدا

يارب جبار شديد كلبه * قد صار فينا تاجه وسلبه
منهم عبيد الله يوم نسلبه * جياده وبزه وننهبه
يوم التقى مقنبنا ومقنبه * لولم ينج ابن زياد هربه

وقد قيل فى قتل مسعود ومسير ابن زياد غير ما تقدم وهو انه لما استجار ابن زياد بمسعود بن عمرو اجاره ثم سار ابن زياد الى الشام وأرسل معه مسعود مائة من الازد حتى قدموا به الى الشام فبينما هو يسير ذات ليلة قال قد ثقل على ركوب الابل فوطؤا الى على ذى حافر فجعلوا له قطيفة على حمار فركبه ثم سار وسكت طويلا قال مسافر بن شريح اليشكرى فقلت فى نفسى لئن كان نائما لاوقظن عليه نومه فقلت أنائم أنت قال لا كنت أحدث نفسى قلت أفلا أحدثك بما كنت تحدث به نفسك قال هات قلت كنت تقول ليتنى كنت لم أقتل حسينا قال وماذا قلت تقول ليتنى لم أكن قتلت من قتلت قال وماذا قلت تقول ليتنى لم أكن لمست البيضاء قال وماذا قلت تقول ليتنى لم أكن استعملت الدهاقين قال وماذا قلت تقول ليتنى كنت أسخى مما كنت قال أما قتلى الحسين فانه أشار الى يزيد بقتله أو قتلى فاخترت قتله واما البيضاء فانى اشتريتها من عبد الله بن عثمان الثقفى وأرسل الى يزيد بألف ألف فانفقتها عليها فان بقيت فلاهلى وان هلكت لم آس عليها واما استعمال الدهاقين فان عبد الرحمن بن أبى بكرة أراد ان يروج فوقع فى عند معاوية وبلغ خراج العراق مائة ألف ألف فخيرنى معاوية بين العزل والضمان فكرهت العزل فكنت اذا استعملت العربى كسر الخراج فان اغرمت عشيرته أو طالبته أوغرت صدورهم وان تركته تركت مال الله وانا اعرف مكانه ووجدت الدهاقين أبصر بالجباية وأوفى بالامانة وأهون بالمطالبة منكم مع انى قد جعلتكم امناء عليهم لئلا يظلموا أحدا واما قولك فى السخاء فما كان لى مال فاجود به عليكم ولو شئت لاخذت بعض مالكم فخصصت به بعضكم دون بعض فيقولون ما أسخاه واما قولك ليتنى لم أكن قتلت من قتلت فما عملت بعد كلمة الاخلاص عملا هو أقرب الى الله عندى من قتل من قتلت من الخوارج ولكن سأخبرك قلت ليتنى كنت قاتلت أهل البصرة فانهم بايعونى طائعين ولقد حرصت على ذلك ولكن بنى زياد قالوا ان قاتلتهم فظهروا عليك لم يبقوا منا أحدا وان تركتهم يغيب الرجل منا عند اخواله واصهاره فرفقت بهم وكنت أقول ليتنى أخرجت أهل السجن فضربت أعناقهم وأما اذ فاتت هاتان فليتنى أقدم الشام ولم يبرموا امرا قال فقدم الشام ولم يبرموا امرا فكان معه صبيان وقيل بل قدم وقد أبرموا فنقض عليهم ما أبرموا فلما سار من البصرة استخلف مسعودا عليها فقال بنو تميم وقيس لا نرضى به ولا نولى الا رجلا ترضاه جماعتنا فقال مسعود قد استخلفنى ولا أدع ذلك أبدا وخرج حتى انتهى الى القصر ودخله واجتمعت تميم الى الاحنف فقالوا له ان الازد قد دخلوا المسجد قال انما هو لهم ولكم قالوا فقد دخلوا القصر وصعد مسعود المنبر وكانت خوارج قد خرجوا فنزلوا نهر الاساورة حين خرج عبيد الله الى الشام فزعم الناس ان الاحنف بعث اليهم ان هذا الرجل الذى قد دخل القصر هو لنا ولكم عدو فما يمنعكم عنه فجاءت عصابة منهم حتى دخلوا المسجد ومسعود على المنبر يبايع من أتاه فرماه علج يقال له مسلم من أهل فارس دخل البصرة فاسلم ثم دخل فى الخوارج فأصاب قلبه فقتله فقال الناس قتله الخوارج فخرجت الازد الى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجرحوا وطردوهم عن البصرة ثم قيل للازد ان تميما قتلوا مسعودا فارسلوا يسالون فاذا ناس من تميم تقوله فاجتمعت الازد عند ذلك فرأسوا عليهم زياد بن عمرو أخا مسعود بن عمرو ومعهم مالك بن مسمع فى ربيعة وجاءت تميم الى

ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا
وسجدنا عند المقام سجودا

(وقال أيضا فيه)

لست بالتبع اليمانى ان لم
تركض الخيل فى سواد العراق
أو تؤدى ربيعة الخرج قسرا
أو تعقنى عوائق العواق

(وقد كانت) لنزار بن معد معه وقائع وحروب كثيرة واجتمعت عليه معد بن ربيعة ومضر واياد وأنمار وتداعت بجد هانزار وتواهبت ما كان بينها من الدماء والثأر فكانت لهم غلبة ففى ذلك يقول أبو دواد الايادى

ضربنا على تبع حربه
حبال البرود وخرج الذهب
وولى أبو كرب هاربا
وكان جبانا كثير الرهب
واتبعته فهوى للجبين
وكان العزيز بها من غلب

(وقد ذكرنا) فيما بعد بدء النسب من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وولده اسمعيل وتفرق النسب الى نزار بن معد بن عدنان فلنذكر الآن فى هذا الموضع خبر ولد نزار الاربعة مع الافعى بن الافعى الجرهمى ثم نعقب ذلك بما اليه قصدنا فى هذا الباب من هذا الكتاب

الاحنف يقولون قد خرج القوم وهو يتمكث لايخف للفتنة فجاءته امرأة بجمر فقالت اجلس على هذا أي انما أنت امرأة فخرج الاحنف فى بنى تميم ومعهم من بالبصرة من قيس فالتقوا فقتل بينهم قتلى كثيرة فقال لهم بنو تميم الله الله يامعشر الأزد فى دمائنا ودمائكم بيننا وبينكم القرآن ومن شئتم من أهل الاسلام فان كان لكم علينا بينة فاختاروا أفضل رجل فينا فاقتلوه وان لم تكن لكم بينة فانا نحلف بالله ماقتلنا ولا أمرنا ولا نعلم له قاتلا وان لم تريدوا ذلك فنحن ندى صاحبكم بمائة ألف درهم وأتاهم الاحنف واعتذر اليهم مما قيل وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فطلبوا عشر ديات فاجابهم الى ذلك واصطلحوا عليه وأما عبد الله بن الحرث ببة فانه أقام يصلى بهم حتى قدم عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر أميرا من قبل ابن الزبير وقيل بل كتب ابن الزبير الى عمر بعهده على البصرة فأتاه الكتاب وهو متوجه الى العمرة فكتب عمر الى أخيه عبيد الله يأمره ان يصلى بالناس فصلى بهم حتى قدم عمر فبقى عمر أميرا شهرا حتى قدم الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى بعزله ووليها الحرث وهو القباع وقيل اعتزل عبيد الله بن الحرث ببة أهل البصرة بعد قتل مسعود بسبب العصبية وانتشار الخوارج فكتب أهل البصرة الى ابن الزبير فكتب ابن الزبير الى أنس بن مالك يأمره أن يصلى بالناس فصلى بهم اربعين يوما وكان عبيد الله بن الحرث يقول ماأحب ان أصلح الناس بفساد نفسى وكان يتدين وفى أيامه سار نافع بن الازرق الى الاهواز من البصرة واما أهل الكوفة فانهم لما ردوا رسل ابن زياد على ماذكرناه قبل عزلوا خليفته عليهم وهو عمرو بن حريث واجتمع الناس وقالوا نؤمر علينا رجلا الى ان يجتمع الناس على خليفة فاجتمعوا على عمر بن سعد فجاءت نساء همدان يبكين الحسين ورجالهم متقلدو السيوف فاطافوا بالمنبر فقال محمد بن الاشعث جاء أمر غير ما كنا فيه وكانت كندة تقوم بامر عمر بن سعد لانهم اخواله فاجتمعوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة الجمحى فخطب أهل الكوفة فقال ان لكل قوم أشربة ولذات فاطلبوها فى مظانها وعليكم بما يحل ويحمد واكسروا شرابكم بالماء وتواروا عنى بهذه الجدران فقال ابن همام

اشرب شرابك وانعم غير محسود * واكسره بالماء لاتعص ابن مسعود
ان الامير له فى الخمر مأربة * فاشرب هنيأ مريأ غير مرصود
من ذا يحرم ماء المزن خالطه * فى قعر خابية ماء العناقيد
انى لاكره تشديد الرواة لنا * فيها ويعجبنى قول ابن مسعود

ولما بايعه أهل الكوفة وكتبوا بذلك الى ابن الزبير اقره عليها وكان يلقب دحروجة الجعل وكان قصيرا فمكث ثلاثة أشهر من مهلك يزيد بن معاوية ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الخطمى الانصارى على الصلاة وابراهيم بن محمد بن طلحة على الخراج من عند ابن الزبير واستعمل محمد بن الاشعث بن قيس على الموصل فاجتمع لابن الزبير أهل الكوفة والبصرة ومن بالقبلة من العرب وأهل الجزيرة وأهل الشام الا أهل الاردن فى امارة عمر بن عبيد الله بن معمر وكان طاعون الجارف بالبصرة فماتت أمه فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة اعلاج فحملوها

‎*(ذكر خلاف أهل الرى)*

فى هذه السنة بعد موت يزيد خالف اهل الرى وكان عليهم الفرخان الرازى فوجه اليهم عامر ابن مسعود وهو امير الكوفة محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمى فلقيه أهل الرى فانهزم محمد فبعث اليهم عامر عتاب بن ورقاء الرياحى التميمى فاقتتلوا قتالا شديدا

مع علة سكنى البوادى من عرب البدو وغيرهم من سكن الجبال والاودية وسائر البرارى والقفار (ذكر) عدة من أخباريى العرب أن نزار بن معد ولد أربعة أولاد اياد وانه كان يكنى وأنمار وبجيلة وخثعم من ولده على ماقيل اذ كان فيما ذكرنا تنازع لان من الناس من ألحقهم باليمن ومن الناس من ذكر فيهم ماوصفناهم من ولد انمار بن نزار وربيعة ومضر فلما حضرت نزار الوفاة دعا بنيه ودعا بجارية له شمطاء فقال لاياد هذه الجارية وما أشبهها من مالى فلك ثم أخذ بيد مضر فأدخله قبة له حمراء من ادم ثم قال هذه القبة وما أشبهها من مالى فلك ثم اخذ بيد ربيعة وقال له هذه الفرس الادهم والخباء الاسود وما أشبههما من مالى فلك ثم أخذ بيد أنمار وقال له هذه البدرة والمجلس وما أشبههما من مالى فلك فان أشكلت عليكم هذه القسمة فائتوا الافعى بن الافعى الجرهمى وكان ملك نجران حتى يقسم بينكم وترضوا بقسمته فلم يلبث نزار الا قليلا حتى هلك وأشكلت القسمة على ولده فركبوا رواحلهم ثم

فقتل الفرخان وانهزم المشركون وكان محمد بن عمير هذا معه على بصفين على تميم الكوفة ثم عاش بعد ذلك فلما ولى الحجاج الكوفة فارقها وسار الى الشام لكراهته ولاية الحجاج

‎*(ذكر بيعة مروان بن الحكم)*

فى هذه السنة بويع مروان بن الحكم بالشام وكان السبب فيها ان ابن الزبير لما بويع له بالخلافة ولى عبيد الله بن الزبير المدينة وعبد الرحمن بن جحدم الفهرى مصر واخرج بنى أمية ومروان بن الحكم الى الشام وعبد الملك بن مروان يومئذ ابن ثمان وعشرين سنة فلما قدم الحصين بن نمير ومن معه الى الشام أخبر مروان بما كان بينه وبين ابن الزبير وقال له ولبنى أمية نراكم فى اختلاط فاقيموا أميركم قبل ان يدخل عليكم شأمكم فتكون فتنة عمياء صماء وكان من رأى مروان ان يسير الى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة فقدم ابن زياد من العراق وبلغه مايريد مروان ان يفعل فقال له قد استحييت لك من ذلك انت كبير قريش وسيدها تمضى الى أبى خبيب فتبايعه يعنى ابن الزبير لانه كان يكنى بابنه خبيب فقال مافات شئ بعد فقام اليه بنو أمية ومواليهم وتجمع اليه أهل اليمن فسار الى دمشق وهو يقول مافات شئ بعد فقدم دمشق والضحاك بن قيس قد بايعه أهلها على ان يصلى بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس وهو يدعو الى ابن الزبير سرا وكان زفر بن الحرث الكلابى بقنسرين يبايع لابن الزبير والنعمان بن بشير بحمص يبايع له أيضا وكان حسان بن مالك بن بحدل الكلبى بفلسطين عاملا لمعاوية ولابنه يزيد وهو يريد بنى أمية فسار الى الاردن واستخلف على فلسطين روح بن زنباع الجذامى فثار ناتل بن قيس بروح فاخرجه من فلسطين وبايع لابن الزبير وكان حسان فى الاردن يدعو الى بنى أمية فقال لاهل الاردن ماشهادتكم على ابن الزبير وقتلى الحرة قالوا نشهد انه منافق وان قتلى الحرة فى النار قال فما شهادتكم على يزيد وقتلاكم بالحرة قالوا نشهد انه على الحق وان قتلانا فى الجنة قال فانا اشهد لئن كان يزيد وشيعته على حق انهم اليوم على حق ولئن كان ابن الزبير وشيعته على باطل انهم اليوم عليه قالوا له صدقت نحن نبايعك على ان نقاتل من خالفك وأطاع ابن الزبير على ان تجنبنا هذين الغلامين يعنون ابنى يزيد عبد الله وخالدا فانا نكره ان يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبى وكتب حسان الى الضحاك كتابا يعظم فيه حق بنى أمية وحسن بلائهم عنده ويذم ابن الزبير وانه خلع خليفتين وأمره ان يقرأ كتابه على الناس وكتب كتابا آخر وسلمه الى الرسول واسمه باغضة وقال له ان قرأ كتابى على الناس والا فاقرأ هذا الكتاب عليهم وكتب حسان الى بنى أمية يأمرهم ان يحضروا ذلك فقدم باغضة فدفع كتاب الضحاك اليه وكتاب بنى أمية اليهم فلما كانت الجمعة صعد الضحاك المنبر فقال له باغضة لتقرأ كتاب حسان على الناس فقال له الضحاك اجلس فقام اليه الثانية والثالثة وهو يقول له اجلس فاخرج باغضة الكتاب وقرأه على الناس فقال الوليد بن عتبة بن أبى سفيان صدق حسان وكذب ابن الزبير وشتمه وقيل كان الوليد قد مات بعد موت معاوية بن يزيد وقام يزيد بن أبى النمس الغسانى وسفيان بن الابرد الكلبى فصدقا حسانا وشتما ابن الزبير وقام عمرو بن يزيد الحكمى فشتم حسانا واثنى على ابن الزبير فأمر الضحاك بالوليد ويزيد بن أبى النمس وسفيان فحبسوا وجال الناس ووثبت كلب على عمرو بن يزيد الحكمى فضربوه ومزقوا ثيابه وقام خالد ابن يزيد فصعد مرقاتين من المنبر وسكن الناس ونزل الضحاك فصلى الجمعة ودخل القصر فجاءت كلب فأخرجوا سفيان وجاءت غسان فاخرجوا يزيد وجاء خالد بن يزيد وأخوه عبد الله معهما اخوالهما من كلب فاخرجوا الوليد بن عتبة وكان أهل الشام يسمون ذلك اليوم يوم جيرون

فى مفازة اذا هم بأثر بعير فقال اياد ان هذا البعير الذى ترون أثره اعور فقال أنمار وانه لابتر فقال ربيعة وانه لازور فقال مضر وانه لشرود فلم يلبثوا أن رفع اليهم راكب يوضع بين راحلته فلما غشيهم قال لهم هل رأيتم من بعير ضال فى وجوهكم قال اياد بعيرك أعور قال فانه لاعور قال أنمار بعيرك أبتر قال فانه لابتر قال ربيعة بعيرك أزور قال فانه لازور قال مضر كان بعيرك شرودا قال انه لشرود ثم قال لهم وأين بعيرى دلونى عليه قالوا والله ماحسسنا لك ببعير ولا رأيناه قال أنتم أصحاب بعيرى وما أخطأتم من نعته شيأ قالوا مارأينا بعيرا فتبعهم حتى قدموا نجران فلما أناخوا بباب الافعى استأذنوا عليه فاذن لهم فدخلوا وصاح الرجل من وراء الباب أيها الملك هؤلاء أخذوا بعيرى ثم حلفوا انهم مارأوه فدعا به الافعى فقال ماتقول فقال أيها الملك هؤلاء ذهبوا ببعيرى وهم أصحابه فقال لهم الافعى ماتقولون قالوا رأينا فى سفرنا هذا اليك أثر بعير فقال اياد انه لاعور قال ومايدريك انه أعور قال رأيته مجتهدا فى رعى الكلأ من شق قد لحسه

الاول ثم خرج الضحاك الى المسجد فجلس فيه وذكر يزيد بن معاوية فسبه فقام اليه شاب من كلب فضربه بعصا فقام الناس بعضهم الى بعض فاقتتلوا قيس تدعو الى ابن الزبير ونصرة الضحاك وكلب تدعو الى بنى أمية ثم الى خالد بن يزيد لانه ابن أختهم ودخل الضحاك دار الامارة ولم يخرج من الغد الى صلاة الفجر وبعث الى بنى أمية فاعتذر اليهم وانه لا يريد ما يكرهون وأمرهم ان يكتبوا الى حسان ويكتب معهم ليسير من الاردن الى الجابية ويسيروا هم من دمشق فيجتمعوا معه بالجابية ويبايعوا الرجل من بنى أمية فرضوا وكتبوا الى حسان وسار الضحاك وبنو أمية نحو الجابية فاتاه ثور بن معن السلمى فقال دعوتنا الى ابن الزبير فبايعناك على ذلك وأنت تسير الى هذا الاعرابى من كلب تستخلف ابن أخته خالد بن يزيد فقال الضحاك فما الرأى قال الرأى ان تظهر ما كنا نكتم وتدعو الى ابن الزبير فرجع الضحاك ومن معه من الناس فنزل بمرج راهط ودمشق بيده واجتمع بنو أمية وحسان وغيرهم بالجابية فكان حسان يصلى بهم أربعين يوما والناس يتشاورون وكان مالك بن هبيرة السكونى يهوى خالد بن يزيد والحصين بن نمير يميل الى مروان فقال مالك للحصين هلم نبايع هذا الغلام الذى نحن ولدنا أباه وقد عرفت منزلتنا من أبيه فانه يحملنا على رقاب العرب غدا يعنى خالدا فقال الحصين لا والله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيها بصبى فقال مالك والله لئن استخلفت مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها ان مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة فان بايعتموه كنتم عبيدا لهم ولكن عليكم بابن أختكم فقال الحصين انى رأيت فى المنام قنديلا معلقا من السماء وان من يلى الخلافة يتناوله فلم ينله أحد الا مروان والله لنستخلفنه وقام روح بن زنباع الجذامى فقال أيها الناس انكم تذكرون عبد الله بن عمر وصحبته وقدمه فى الاسلام وهو كما تذكرون ولكنه ضعيف وليس بصاحب أمة محمد الضعيف وتذكرون ابن الزبير وهو كما تذكرون انه ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ابن ذات النطاقين ولكنه منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وليس المنافق بصاحب أمة محمد وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان فى الاسلام صدع الا كان ممن يشعبه وهو الذى قاتل على بن أبى طالب يوم الجمل وانا نرى للناس ان يبايعوا الكبير ويستشبوا الصغير يعنى بالكبير مروان وبالصغير خالد بن يزيد فاجتمع رأيهم على البيعة لمروان ابن الحكم ثم لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد على ان امرة دمشق لعمرو وامرة حمص لخالد بن يزيد فدعا حسان خالدا فقال يا ابن أختى ان الناس قد أبوك لحداثة سنك وانى والله ما أريد هذا الامر الا لك ولاهل بيتك وما أبايع مروان الا نظرا لكم فقال خالد بل عجزت عنا قال والله ما عجزت عنكم ولكن الرأى لك ما رأيت ثم بايعوا مروان لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربع وستين وقال مروان حين بويع له

لما رأيت الامر أمرا نهبا * سيرت غسان لهم وكلبا
والسكسكيين رجالا غلبا * وطيئا يأباه الا ضربا *
والقين يمشى فى الحديد نكبا * ومن تنوخ مشمخرا صعبا
لا يأخذون الملك الا غصبا * فان دنت قيس فقل لا قربا

(خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره باء موحدة)

﴿ذكر وقعة مرج راهط وقتل الضحاك والنعمان بن بشير﴾

ثم ان مروان لما بايعه الناس سار من الجابية الى مرج راهط وبه الضحاك بن قيس ومعه ألف

والشق الآخر واف كثير الالتفاف لم يمسه فقلت انه أعور وقال انمار رأيته يرمى ببعره مجتمعا ولو كان أهلب لمصع به فعلمت انه أبتر وقال ربيعة رأيت أثر احدى يديه ثابتا والآخر فاسدا فعلمت انه أزور وقال مضر رأيته يرعى الشقة من الارض ثم يتعداها فيمر بالكلأ الملتف الغض فلا ينهش منه حتى يأتى ما هو أرق منه فيرعى فيه فعلمت انه شرود فقال الافعى صدقتم قد أصابوا أثر بعيرك وليسوا باصحابه التمس بعيرك ثم قال الافعى للقوم من أنتم فاخبروه بحالهم وانتسبوا فرحب بهم وحياهم ثم قال ما خطبكم فقصوا عليه قصة أبيهم قال الافعى وكيف تحتاجون الى وأنتم على ما أرى قالوا أمرنا بذلك أبونا ثم أمر بهم فأنزلوا وأمر خادما له على دار الضيافة ان يحسن اليهم ويكرم مثواهم والطافهم بأفضل ما يقدر عليه ثم أمر وصيفا له من بعض خدمه ظريفا أديبا فقال انظر كل كلمة تخرج من أفواههم فأتنى بها فلما نزلوا بيت الضيافة أتاهم القهرمان بقرص من شهد فأكلوا وقالوا ما رأينا شهدا أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه فقال اياد

فارس وكان قد استمد الضحاك النعمان بن بشير وهو على حمص فامده بشرحبيل بن ذى الكلاع واستمد أيضا زفر بن الحرث وهو على قنسرين فامده باهل قنسرين وأمده ناتل باهل فلسطين فاجتمعوا عنده واجتمع على مروان كلب وغسان والسكاسك والسكون وجعل على ميمنته عمرو بن سعيد وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وكان يزيد بن أبى النمس الغسانى مختفيا بدمشق لم يشهد الجابية فغلب على دمشق وأخرج عامل الضحاك بن قيس وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وامده بالاموال والرجال والسلاح فكان أول فتح على بنى أمية وتحارب مروان والضحاك بمرج راهط عشرين ليلة واقتتلوا قتالا شديدا فقتل الضحاك قتله دحية بن عبد الله وقتل معه ثمانون رجلا من اشراف أهل الشام وقتل أهل الشام مقتلة عظيمة وقتلت قيس مقتلة لم يقتل مثلها فى موطن قط وكان فيمن قتل هانئ بن قبيصة النمرى سيد قومه كان مع الضحاك قتله وازع ابن ذؤالة الكلبى فلما سقط جريحا قال

تعست ابن ذات النوف أجهز على امرئ * يرى الموت خيرا من فرار وألزما
لا تتركنى بالحشاشة اننى * صبور اذا ما النكس مثلك احجما

فعاد اليه وازع فقتله وكانت الوقعة فى المحرم سنة خمس وستين وقيل بل كانت فى آخر سنة اربع وستين ولما رأى مروان رأس الضحاك ساءه ذلك وقال الآن حين كبرت سنى ودق عظمى وصرت فى مثل ظمء الحمار اقبلت بالكتائب اضرب بعضها ببعض ولما انهزم الناس من المرج لحقوا باجنادهم فانتهى أهل حمص اليها وعليها النعمان بن بشير فلما بلغه الخبر خرج هاربا ليلا ومعه امرأته نائلة بنت عمارة الكلبية وثقله وأولاده فتحير ليلته كلها وأصبح أهل حمص فطلبوه وكان الذى طلبه عمرو بن الجلى الكلاعى فقتله ورد أهله والرأس معه وجاءت كلب من أهل حمص فاخذوا نائلة وولدها معها ولما بلغت الهزيمة زفر بن الحرث الكلابى بقنسرين هرب منها فلحق بقرقيسيا وعليها عياض الحرشى كان يزيد ولاه اياها فطلب منه ان يدخل الحمام ويحلف له بالطلاق والعتاق على انه لما يخرج من الحمام لا يقيم بها فاذن له فدخلها فغلب عليها وتحصن بها ولم يدخل حمامها فاجتمعت اليه قيس وهرب ناتل بن قيس الجذامى من فلسطين فلحق بابن الزبير بمكة واستعمل مروان بعده على فلسطين روح بن زنباع واستوثق الشام لمروان واستعمل عماله عليها وقيل ان عبيد الله بن زياد انما جاء الى بنى أمية وهم بتدمر ومروان يريد ان يسير الى ابن الزبير ليبايعه ويأخذ منه الامان لبنى أمية فرده عن ذلك وأمره ان يسير باهل تدمر الى الضحاك فيقاتله ووافقه عمرو بن سعيد وأشار على مروان بأن يتزوج أم خالد بن يزيد ليسقط من أعين الناس فتزوجها وهى فاختة ابنة أبى هاشم بن عتبة ثم جمع بنى أمية فبايعوه وبايعه أهل تدمر وسار الى الضحاك فى جمع عظيم فخرج الضحاك اليه فتقاتلا فانهزم الضحاك ومن معه وقتل الضحاك وسار زفر بن الحرث الى قرقيسيا واجتمعت عليه قيس وصحبه فى هزيمته الى قرقيسيا شابان من بنى سليم فجاءت خيل مروان تطلبهم فقال الشابان لزفر انج بنفسك فانا نحن نقتل فمضى زفر وتركهما فقتلا وقال زفر فى ذلك

أرينى سلاحى لا أبالك اننى * اذا الحرب لا تزداد الا تماديا
أتانى عن مروان بالغيب انه * مقيد دمى أو قاطع من لسانيا
ففى العيش منجاة وفى الارض مهرب * اذا نحن رفعنا لهن المبانيا
فلا تحسبونى ان تغيبت غافلا * ولا تفرحوا ان جئتكم بلقائيا

صدقتم لولا أن نحلة فى هامة جبار فوعاها الغلام فلما حضر غذاؤهم وجىء بالشواء فاذا بشاة مشوية فأكلوها وقالوا ما رأينا شواء أجود شيأ ولا أرخص لحما ولا أسمن منه فقال انمار صدقتم لولا أنه غذى بلبن كلبة ثم جاءهم بالشراب فلما شربوا قالوا ما رأينا خمرا أرق ولا أعذب ولا أصفى ولا أطيب رائحة منه فقال ربيعة صدقتم لولا ان كرمها نبت على قبر ثم قالوا ما رأينا منزلا أكرم قرى ولا اخصب رجلا من هذا الملك قال مضر صدقتم لولا انه لغير أبيه فذهب الغلام الى الافعى فاخبره بما كان منهم فدخل الافعى على أمه فقال أقسمت عليك الا ما أخبرتينى من أنا ومن أبى فقالت يا بنى وما دعاك الى هذا أنت ابن الافعى الملك الاكبر قال حقا لتصدقينى فالح عليها قالت يا بنى ان أباك الافعى الذى تدعى له كان شيخا قد ثقل فخشيت أن يخرج هذا الملك عنا أهل البيت وقد كان قدم الينا شاب من أبناء الملوك فدعوته الى نفسى فعلقت بك منه ثم بعث القهرمان فقال أخبرنى عن الشهد الذى بعثت به الى هؤلاء النفر ما خطبه قال أنا أخبرنا بدبر

فقد ينبت المرعى على دمن الثرى * له ورق من تحته الشر باديا
وتمضى ولا يبقى على الارض دمنة * وتبقى حزازات النفوس كما هيا
لعمرى لقد ابقت وقيعة راهط * لحسان صدعا بيننا متنائيا
فلم ترمنى نبوة قبل هذه * فرارى وتركى صاحبى ورائيا
عشية أدعو فى القرآن فلا أرى * من الناس الا من على ولا ليا
أيذهب يوم واحد ان اسأته * بصالح أيامى وحسن بلائيا
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا * وتثأر من نسوان كلب نسائيا
ألا ليت شعرى هل تقتين غارتى * منوحا واحبى طيأ من سقائيا

فأجابه جواس بن القعطل

لعمرى لقد ابقت وقيعة راهط * على زفر داء من الداء باقيا
مقيما ثوى بين الضلوع محله * وبين الحشا أعيا الطبيب المداويا
تبكى على قتلى سليم وعامر * وذبيان معذورا وتبكى البواكيا
دعا بالسلاح ثم أحجم اذ رأى * سيوف جناب والطوال المذاكيا
عليها كاسد الغاب فتيان نجدة * اذا شرعوا نحو الطوال العواليا

وقال عمرو بن الجلى الكلبى

بكى زفر القيسى من هلك قومه * بعبرة عين ما يجف سجومها
تبكى على قتلى اصيبت براهط * تجاوبها هام القفار وبومها
ابحنا حمى للحى قيس براهط * وولت شلالا واستبيح حريمها
تبكيهم حران تجرى دموعها * ترجى نزارا أن تؤب حلومها
فمت كمدا او عش ذليلا مهضما * بحسرة نفس لا تنام همومها

فى أبيات (يزيد بن أبى النمس بالسين المهملة وقيل بالشين المعجمة وكان قد ارتد عن الاسلام ودخل الروم مع جبلة بن الايهم ثم عاود الاسلام وشهد صفين مع معاوية وعاش الى أيام عبد الملك ابن مروان ونائل بالنون والتاء المعجمة من فوق باثنتين)

(ذكر فتح مروان مصر)

فلما قتل الضحاك وأصحابه واستقر الشام لمروان سار الى مصر فقدمها وعليها عبد الرحمن بن جحدم القرشى يدعو الى ابن الزبير فخرج الى مروان فيمن معه وبعث مروان عمرو بن سعيد من ورائه حتى دخل مصر فقيل لابن جحدم ذلك فرجع وبايع الناس مروان ورجع الى دمشق فلما دنا منه بلغه أن ابن الزبير قد بعث اليه أخاه مصعبا فى جيش فارسل اليه مروان عمرو بن سعيد قبل ان يدخل الشام فقاتله فانهزم مصعب وأصحابه وكان مصعب شجاعا ثم عاد مروان الى دمشق واستقر بها وقد كان الحصين بن نمير ومالك بن هبيرة قد اشترطا على مروان شروطا لهما ولخالد ابن يزيد فلما توطن ملكه قال ذات يوم ومالك عنده ان قوما يدعون شروطا منهم عطارة مكحلة يعنى مالكا وكان يتطيب ويتكحل فقال مالك هذا ولما تردى تهامة ويبلغ الحزام الطبيين فقال مروان مهلا يا أبا سليمان انما داعبناك فقال هو ذاك

(ذكر بيعة أهل خراسان سلم بن زياد وأمر عبد الله بن خازم)

ولما بلغ سلم بن زياد وهو بخراسان موت يزيد كتم ذلك فقال ابن عرادة

فى طيف فبعثت اليه من يشوره فأخبرونى أنهم هجموا على عظام نخرة منكرة فى ذلك الطيف فاذا النحل قد عسلت فى جمجمة من تلك العظام فاتوا بعسل لم أر مثله فقدمته الى القوم لجودته ثم بعث الى صاحب مائدته فقال ما هذه الشاة التى شويتها لهؤلاء القوم قال انى بعثت الى الراعى أن ابعث الى باحسن شئ عندك فبعث بها الى وما سألته عنها فبعث الى الراعى أن أعلمنى خبر هذه الشاة قال انها أول ما ولدت من غنمى عام أول فماتت أمها فبقيت وكانت كلبة لى قد وضعت فانست السخلة بجراء الكلبة فكانت ترضع من الكلبة مع جرائها فلم أجد فى غنمى مثلها فبعثت بها اليك ثم بعث الى صاحب الشراب فقال ما هذا الخمر الذى سقيت لهؤلاء القوم قال من حبة كرم نبتت غرستها على قبر أبيك فليس فى العرب مثل شرابها فقال الافعى ما لهؤلاء القوم ان هم الا شياطين ثم أحضرهم فقال ما خطبكم قصوا على قصتكم فقال اياد ان أبى جعل لى خادمة شمطاء وما أشبهها من ماله فقال ان أباك ترك برسا فهى لك ورعاتها مع الخادم قال

يا أيها الملك المغلق بابه * حدثت أمور شأنهن عظيم
قتلى بجرة والذين بكابل * ويزيد أغلق بابه المكتوم
أبنى أمية ان آخر ملككم * جسد بحوارين ثم مقيم
طرقت منيته وعند وساده * كوب وزق راعف مرثوم
ومرنة تبكى على نشوانه * بالصبح تقعد مرة وتقوم

فلما أظهر شعره أظهر سلم موت يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد ودعا الناس الى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس على خليفة فبايعوه ثم نكثوا به بعد شهرين وكان محسنا اليهم محبوبا فيهم فلما خلع عنهم استخلف عليهم المهلب بن أبى صفرة ولما كان بسرخس لقيه سليمان ابن مرثد أحد بنى قيس بن ثعلبة بن ربيعة فقال له ضاقت عليك نزار حتى خلفت على خراسان رجلا من اليمن يعنى المهلب وكان ازدياد الازد من اليمن فولاه مرو الروذ والفارياب والطالقان والجوزجان وولى أوس بن ثعلبة بن زفر وهو صاحب قصر أوس بالبصرة هراة فلما وصل الى نيسابور لقيه عبد الله بن خازم فقال من وليت خراسان فاخبره فقال أما وجدت فى المصر من تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل واليمن اكتب لى عهدا على خراسان فكتب له وأعطاه مائة ألف درهم وسار ابن خازم الى مرو وبلغ خبره المهلب فاقبل واستخلف رجلا من بنى جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم فلما وصلها ابن خازم منعه الجشمى وجرت بينهما مناوشة فاصابت الجشمى رمية بحجر فى جبهته وتحاجزوا ودخلها ابن خازم ومات الجشمى بعد ذلك بيومين ثم سار ابن خازم الى سليمان بن مرثد بمرو الروذ فقاتله أياما فقتل سليمان ثم سار الى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان فاقتتلوا طويلا فقتل عمرو بن مرثد وانهزم أصحابه فلحقوا بهراة بأوس ابن ثعلبة ورجع ابن خازم الى مرو وهرب من كان بمرو الروذ من بكر بن وائل الى هراة وانضم اليها من كان بكور خراسان من بكر وكثر جمعهم وقالوا لاوس بن ثعلبة نبايعك على ان تسير الى ابن خازم وتخرج مضر من خراسان فابى عليهم فقال له بنو صهيب وهم موالى بنى جحدم لا نرضى ان نكون نحن ومضر فى بلد واحد وقد قتلوا سليمان وعمرا ابنى مرثد فاما ان تبايعنا على هذا والا بايعنا غيرك فاجابهم فبايعوه فسار اليهم ابن خازم فنزل على وادى بينه وبين هراة فاشار البكريون بالخروج من هراة وعمل خندق فقال أوس بل نلزم المدينة فانها حصينة ونطاول ابن خازم ليضجر ويعطينا ما نريد فابوا عليه فخرجوا وخندقوا خندقا وقاتلهم ابن خازم نحو سنة وقال له هلال الضبى انما تقاتل اخوتك وبنى أبيك فان نلت منهم الذى تريد فما فى العيش خير فلو أعطيتهم شيأ يرضون به وأصلحت هذا الامر وقال والله لو خرجنا لهم من خراسان ما رضوا فقال هلال والله لا أقاتل معك انا ولا رجل أطاعنى حتى تعتذر اليهم قال فانت رسولى اليهم فارضهم فاتى هلال أوس بن ثعلبة فناشده الله والقرابة فى نزار وان يحفظ ولاءها فقال هل لقيت بنى صهيب قال لا قال فالقهم قال فخرج فلقى جماعة من رؤساء أصحابه فاخبرهم ما أتى له فقالوا له هل لقيت بنى صهيب فقال لقد عظم أمر بنى صهيب عندكم فاتاهم فكلمهم فقالوا لولا انك رسول لقتلناك قال فهل يرضيكم شئ قالوا واحدة من اثنتين اما أن تخرجوا من خراسان واما أن تقيموا وتخرجوا لنا عن كل سلاح وكراع وذهب وفضة فرجع الى ابن خازم فقال ما عندك فاخبره فقال ان ربيعة لم تزل غضابا على ربها منذ بعث نبيه من مضر وأقام ابن خازم يقاتلهم فقال يوما لاصحابه قد طال مقامنا وناداهم يا معشر ربيعة أرضيتم من خراسان بخندقكم فاحفظهم ذلك فتنادوا للقتال فنهاهم أوس

أغار ان أبى جعل لى بدرة ومجلسه وما أشبههما من ماله قال ذلك ما ترك أبوك من الرقة والحرثى والارض فقال ربيعة ان أبى جعل لى فرسا ادهم وبيتا أسود وما أشبههما من ماله قال فان أباك ترك خيلا دهما وسلاحا فهى لك وما فيها من عبيد فسمى ربيعة الفرس وقال مضر ان أبى جعل لى قبة حمراء من ادم وما أشبهها من ماله فقال ان أباك ترك ابلا حمرا فهى لك وما أشبهها من ماله فصارت لمضر الابل والقبة الحمراء والذهب فسمى مضر الحمراء وكانوا على ذلك مع اخوانهم جرهم بمكة فاصابتهم سنة فاهلكت الشاء وعامة الابل وبقيت الخيل وكان ربيعة يغزو عليها ويصل اخوته وذهب ما كان لانمار من شاء فى تلك السنين ثم عاود الناس الخصب والغيث فرجعت الابل وثابت اليها أنفسها ومشت فتناسلت وكثرت وقام مضر بامر اخوته فبينما هم كذلك وقد قدم الرعاة بابلهم فتشعبوا ليلا وعشوا رعاءهم فقام مضر يوصى الرعاء وفى يد أنمار عظم يتعرقه فحجاه به فى ظلمة الليل وهو لا يبصر فضرب فى عنق مضر فتأوه مضر وصاح عينى عينى

ابن ثعلبة عن الخروج بجماعتهم وأن يقاتلوا كما كانوا يقاتلون فعصوه فقال ابن خازم لاصحابه اجعلوه يومكم فيكون الملك لمن غلب واذا لقيتم الخيل فاطعنوها فى مناخرها فاقتتلوا ساعة وانهزمت بكر بن وائل حتى انتهوا الى خندقهم وتفرقوا يمينا وشمالا وسقط الناس فى الخندق وقتلوا قتلا ذريعا وهرب اوس بن ثعلبة الى سجستان فمات بها أو قريبا منها وقتل من بكر يومئذ ثمانية آلاف وغلب ابن خازم على هراة واستعمل عليها ابنه محمدا وضم اليه شماس بن دثار العطاردى وجعل بكير بن وشاح الثقفى على شرطته ورجع ابن خازم الى مرو وأغارت الترك على قصر اسفاد وابن خازم على هراة وكان فيه ناس من الازد فحصروهم فارسلوا الى ابن خازم فوجه اليهم زهير بن حيان فى بنى تميم وقال له اياك ومناواة الترك اذا رأيتموهم فاحملوا عليهم فوافاهم فى يوم بارد فلما التقوا حمل عليهم فانهزمت الترك واتبعوهم حتى مضى عامة الليل فرجع زهير وقد يبست يده على رمحه من البرد فجعلوا يسخنون الشحم فيضعه على يده ودهنوه وأوقدوا له نارا فانتفخت يده ثم رجع الى هراة فقال فى ذلك ثابت قطنة

فدت نفسى فوارس من تميم * على ما كان من ضنك المقام
بقصر الباهلى وقد أرانى * أحامى حين قل به المحامى
بسيفى بعد كسر الرمح فيهم * اذودهم بذى شطب حسام
أكر عليهم اليحموم كرا * ككر الشرب آنية المدام
فلولا الله ليس له شريك * وضربى قونس الملك الهمام
اذا فاضت نساء بنى دثار * أمام الترك بادية الخدام

(ذكر أمر التوابين)

قيل لما قتل الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ودخل الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والمنادمة ورأت ان قد اخطأت خطأ كبيرا بدعائهم الحسين وتركهم نصرته واجابته حتى قتل الى جانبهم ورأوا انه لا يغسل عارهم والاثم عليهم الا قتل من قتله والقتل فيهم فاجتمعوا بالكوفة الى خمسة نفر من رؤساء الشيعة الى سليمان بن صرد الخزاعى وكانت له صحبة والى المسيب بن نجبة الفزارى وكان من أصحاب على والى عبد الله بن سعد بن نفيل الازدى والى عبد الله بن والى التيمى تيم بكر بن وائل والى رفاعة بن شداد البجلى وكانوا من خيار أصحاب على فاجتمعوا فى منزل سليمان بن صرد الخزاعى فبدأهم المسيب بن نجبة فقال بعد حمد الله اما بعد فانا ابتلينا بطول العمر والتعرض لانواع الفتن فنرغب الى ربنا أن لا يجعلنا ممن يقول له غدا أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فان أمير المؤمنين عليا قال العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وليس فينا رجل الا وقد بلغه وقد كنا مغرمين بتزكية انفسنا فوجدنا الله كاذبين فى كل موطن من مواطن ابن بنت نبيه صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله واعذر الينا فسألنا نصره عودا وبدأ وعلانية فبخلنا عنه بانفسنا حتى قتل الى جانبنا لا نحن نصرناه بايدينا ولا جادلنا عنه بالسنتنا ولا قويناه باموالنا ولا طلبنا له النصرة الى عشائرنا فما عذرنا عند ربنا وعند لقاء نبينا وقد قتل فينا ولد حبيبه وذريته ونسله لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه او تقتلوا فى طلب ذلك فعسى ربنا ان يرضى عنا عند ذلك ولا انا بعد لقائه لعقوبته بآمن ايها القوم ولوا عليكم رجلا منكم فانه لا بد لكم من أمير تفزعون اليه وراية تحفون بها

وتشاغل به أخوته فركب أغار بعد ان أكرم ابله فلحق بديار اليمن وكان فى عقبه ماذكرنا من التنازع فهؤلاء ولد نزار الاربعة اليهم يرجع سائر ولد نزار على حسب ماقدمنا مضر الحمراء لما ذكرنا من أمر القبة وكذلك تفتخر مضر فى كلامها المنثور والمنظوم وربيعة الفرس وربيعة القشعم من الفروسية والشجاعة والنجدة والعز وشن الغارات لما ذكرنا من أمر الفرس واياد وقد ذكرنا ما لحق عقبه وأنمار وقد بينا الخلاف فى تفرع نسله وماقاله النسابون فى عقبه (ولكل واحد) من هؤلاء وما أعقب أخبار كثيرة يطول ذكرها ويتسع شرحها من ذكر ماحلوا به من الديار وتشعب أنسابها وتسلسلها فأتى الناس على ذكرها وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا اليسير من مبسوطها فأقنعنا ذلك من اعادته فى هذا الكتاب (فلنذكر) الآن الغرض من هذا الباب الذى به ترجم واليه نسب من سكنى من حل البدو من العرب وغيرها من الامم المتوحشة كالترك والكرد والنجبة والبربر ومن تقطن بالبرارى وقطن الجبال والعسلة

وقام رفاعة بن شداد وقال اما بعد فان الله قد هداك لاصوب القول وبدأت بارشد الامور بدعائك الى جهاد الفاسقين والى التوبة من الذنب العظيم فمسموع منك مستجاب الى قولك وقلت ولوا أمركم رجلا تفزعون اليه وتحفون برايته وقد رأينا مثل الذى رأيت فان تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيا وفينا متنصحا وفى جماعتنا محبوبا وان رأيت ورأى أصحابنا ذلك وليناه هذا الامر شيخ الشيعة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد الخزاعى المحمود فى بأسه ودينه الموثوق بحزمه وتكلم عبد الله بن سعد بنحو ذلك وأثنيا على المسيب وسليمان فقال المسيب قد أصبتم فولوا أمركم سليمان بن صرد فتكلم سليمان فقال بعد حمد الله اما بعد فانى لخائف ان لا يكون آخرنا الى هذا الدهر الذى نكدت فيه المعيشة وعظمت فيه الرزية وشمل فيه الجور أولى الفضل من هذه الشيعة لما هو خير انا كنا نمد أعناقنا الى قدوم آل بيت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نمنيهم النصر ونحثهم على القدوم فلما قدموا ونينا وعجزنا وأدهنا وتربصنا حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه اذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطى اتخذه الفاسقون غرضا للنبل ودريئة للرماح حتى أقصدوه وعدوا عليه فسلبوه النصف ألا انهضوا فقد سخط عليكم ربكم ولا ترجعوا الى الحلائل والابناء حتى يرضى الله والله ما أظنه راضيا دون ان تناجزوا من قتله ألا لا تهابون الموت فما هابه أحد قط الا ذل وكونوا كبنى اسرائيل اذ قال لهم نبيهم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ففعلوا وجثوا على الركب ومدوا الاعناق حين علموا انهم لا ينجيهم من عظيم الذنب الا القتل فكيف بكم لو دعيتم الى ما دعوا أحدوا السيوف وركبوا الاسنة وأعدوا لهم ما استطعتم من القوة ومن رباط الخيل حتى تدعوا وتستنفروا فقال خالد بن سعد بن نفيل اما أنا فوالله لو أعلم انه ينجينى من ذنبى ويرضى ربى عنى قتلى نفسى لقتلتها وأنا أشهد كل من حضر ان كل ما أصبحت املكه سوى سلاحى الذى أقاتل به عدوى صدقة على المسلمين أقويهم به على قتال الفاسقين قال أبو المعتمر بن حنش بن ربيعة الكنانى مثل ذلك فقال سليمان حسبكم من أراد من هذا شيئا فليأت به عبد الله بن وال التيمى فاذا اجتمع عنده كل ما تريدون اخراجه جهزنا به ذوى الخلة والمسكنة من أشياعكم وكتب سليمان بن صرد الى سعد بن حذيفة بن اليمان يعلمه بما عزموا عليه ويدعوه الى مساعدتهم ومن معه من الشيعة بالمدائن فقرأ سعد بن حذيفة الكتاب على من بالمدائن من الشيعة فاجابوا الى ذلك فكتبوا الى سليمان بن صرد يعلمونه أنهم على الحركة اليه والمساعدة له وكتب سليمان أيضا كتابا الى المثنى بن مخربة العبدى بالبصرة مثل ما كتب الى سعد بن حذيفة فاجابه المثنى انا معشر الشيعة حمدنا الله على ما عزمتم عليه ونحن موافوك ان شاء الله للاجل الذى ضربت وكتب فى أسفل الكتاب

تبصر كأنى قد أتيتك معلما * ألا أبلغ الهادى أجش هزيم
طويل القرى نهد أحق مقلص * ملاح على فأس اللجام أزوم
بكل فتى لا يملأ الروع قلبه * محش لنار الحرب غير سؤوم
أخى ثقة ينوى الاله بسعيه * ضروب بنصل السيف غير أثيم

فكان أول ما ابتدؤا به أمرهم بعد قتل الحسين سنة احدى وستين فما زالوا بجمع آلة الحرب ودعاء الناس فى السر الى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم النفر ولم يزالوا على ذلك الى ان هلك يزيد بن معاوية سنة أربع وستين فلما مات يزيد جاء الى سليمان أصحابه فقالوا قد هلك هذا

الموجبة لذلك من فعلهم (تباين الناس) فى السبب الموجب لما وصفنا فذهب كثير من الناس الى أن الجيل الاول ممن سكن الارض سكنوا حينا من الزمان لم يبنوا ابنا ولا شيدوا وامدنا وكان سكناهم فى شبه الاكواخ والمطال ثم ان نفرا منهم أخذوا فى ابتناء المساكن وخالف بعدهم خلف فابتنوا الابنية وثبتت فرقة منهم على سجيتها الاولى فى البيوت والاظلال ينتجعون الاماكن الرفهة الخصبة ويتنقلون عنها اذا أجدبت فمضت هذه الطائفة على نهج الاقدمين (وذكرت) طائفة ان أول ذلك أن الناس لما نضب عنهم الطوفان الذى أهلك الله به الارض من زمن نوح على نبينا وعليه السلام تفرق من نجا فى طلب البقاع الخصبة المتخيرة وانفرد من انفرد بانتجاع الارضين وحلوا البيداء وآخرون بقاعا تخيروها كمن ابتنى اقليم بابل من النبط ومن سلم من ولد حام بن نوح عليه السلام مع نمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن نمروذ الاول بن كوش بن سام بن نوح وذلك حين تملك على اقليم بابل من قبل الضحاك وهو بنوارسب وكمن حل

الطاغية والامر ضعيف فان شئت وثبنا على عمرو بن حريث وكان خليفة ابن زياد على الكوفة ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ودعونا الناس الى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم فقال سليمان بن صرد لا تعجلوا انى قد نظرت فيما ذكرتم فرأيت ان قتلة الحسين هم أشراف الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه ومتى علموا ما تريدون كانوا أشد الناس عليكم ونظرت فيمن تبعنى منكم فعلمت انهم لو خرجوا لم يدركوا ثارهم ولم يشفوا نفوسهم وكانوا جزرا لعدوهم ولكن بثوا دعاتكم وادعوا الى أمركم ففعلوا واستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد ثم ان أهل الكوفة أخرجوا عمرو بن حريث وبايعوا لابن الزبير وسليمان وأصحابه يدعون الناس فلما مضت ستة أشهر بعد هلاك يزيد قدم المختار بن أبى عبيد الكوفة فى النصف من رمضان وقدم عبد الله بن يزيد الانصارى أميرا على الكوفة من قبل ابن الزبير لثمان بقين من رمضان وقدم ابراهيم بن محمد بن طلحة معه على خراج الكوفة فاخذ المختار يدعو الناس الى قتال قتلة الحسين ويقول جئتكم من عند المهدى محمد بن الحنفية وزيرا أمينا فرجع اليه طائفة من الشيعة وكان يقول انما يريد سليمان ان يخرج فيقتل نفسه ومن معه وليس له بصرة بالحرب وبلغ الخبر عبد الله بن يزيد بالخروج عليه بالكوفة فى هذه الايام وقيل له ليحبسه وخوف عاقبة أمره ان تركه فقال عبد الله ان هم قاتلونا قاتلناهم وان تركونا لم نطلبهم ان هؤلاء القوم يطلبون بدم الحسين بن على فرحم الله هؤلاء القوم آمنون فليخرجوا ظاهرين وليسيروا الى من قاتل الحسين فقد أقبل اليهم يعنى ابن زياد وأنا لهم ظهير هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل أخياركم وأمثالكم قد توجه اليكم وقد فارقوه على ليلة من جسر منبج فالقتال والاستعداد اليه أولى من ان تجعلوا بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضا فيلقاكم عدوكم وقد ضعفتم وتلك أمنيته وقد قدم عليكم أعدى خلق الله لكم من ولى عليكم هو وأبوه سبع سنين لا يقلعان عن قتل أهل العفاف والدين هو الذى من قبله أتيتم والذى قتل من تنادون بدمه قد جاءكم فاستقبلوه بحدكم وشوكتكم واجعلوها به ولا تجعلوها بانفسكم انى لكم ناصح وكان مروان قد سير ابن زياد الى الجزيرة ثم اذا فرغ منها سار الى العراق فلما فرغ عبد الله بن يزيد من قوله قال ابراهيم بن محمد بن طلحة أيها الناس لا يغرنكم من السيف والغشم مقالة هذا الداهن والله لئن خرج علينا خارج لنقتلنه ولئن استيقنا ان قوما يريدون الخروج علينا لنأخذن الوالد بولده والمولود بوالده والحميم بالحميم والعريف بما فى عرافته حتى يدينوا للحق ويذلوا للطاعة فوثب اليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ثم قال يا ابن الناكثين أنت تهددنا بسيفك وغشمك أنت والله أذل من ذلك انا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدك واما أنت ايها الامير فقد قلت قولا سديدا فقال ابراهيم والله لنقتلن وقد أدهن هذا يعنى عبد الله ابن يزيد فقال له عبد الله بن وال ما اعتراضك فيما بيننا وبين أميرنا ما أنت علينا بامير انما أنت أمير هذه الجزية فاقبل على خراجك ولئن أفسدت أمر هذه الامة فقد أفسده والداك وكانت عليهما دائرة السوء فشتمهم جماعة ممن مع ابراهيم فشاتموه فنزل الامير من على المنبر وتهدده ابراهيم بانه يكتب الى الزبير يشكوه فجاءه عبد الله فى منزله واعتذر اليه فقبل عذره ثم ان أصحاب سليمان خرجوا يشترون السلاح ظاهرين ويتجهزون

﴿ذكر فراق الخوارج عبد الله بن الزبير وما كان منهم﴾

وفى هذه السنة فارق الخوارج الذين كانوا قدموا مكة عبد الله بن الزبير وكانوا قد قاتلوا معه أهل الشام وكان سبب قدومهم عليه انهم لما اشتد عليهم ابن زياد بعد قتل أبى بلال اجتمعوا فتذاكروا

بلاد مصر من ولد حام على حسب ماذكرنا فى باب مصر وأخبارها فى هذا الكتاب وكن عمر الشام من الكنعانيين وكن حل بوادى البربر وهم هوارة وزناتة وضريسة ومغيلة ومحولة ونفرة وكتامة ولواتة ومراتة ورلوبه ونفوسه ولمطه وصدسة ومموره وعفاره وفاطه وواركه واسنه وبنواصعين وارلته وهى مورمانه وبنو وكلان وبنونصر ران وبنو دوعس وبنومنهوسا وصنهاجه ومن سكن من أنواع الاجناس من الاحابش وغيرهم الغابة المعروفة بغابة المبرابرية سون ورعوين والعروبة وسنسون ومنهم من سكن غير الغابة واتسع فى هذه البلاد من المغرب (وقد ذكرنا) ان أرض البربر خاصة كانت أرض فلسطين من بلاد الشام وأن ملكهم كان جالوت وهذا الاسم سمة لسائر ملوكهم الى أن قتل داود عليه الصلاة والسلام ملكهم جالوت فلم يتملك عليهم بعده ملك وأنهم انتهوا الى ديار المغرب الى موضع يعرف بلوبية فانتشروا هنالك فنزل منهم زناتة ومغيلة وضريسة الجبال من تلك

ذلك فقال لهم نافع بن الازرق ان الله قد انزل عليكم الكتاب وفرض عليكم الجهاد واحتج عليكم وقد جرد أهل الظلم فيكم السيوف فاخرجوا بنا الى هذا الذى قد ثار بمكة فان كان على رأينا جاهدنا معه وان يكن على غير رأينا دافعناه عن البيت وكان عسكر الشام قد سار نحو ابن الزبير فسار الخوارج حتى قدموا على ابن الزبير فسر بمقدمهم وأخبرهم انه على مثل رأيهم من غير تفتيش فقاتلوا معه أهل الشام حتى مات يزيد بن معاوية وانصرف أهل الشام ثم انهم اجتمعوا وقالوا ان الذى صنعتم أمس لغير رأى تقاتلون مع رجل لا تدرون لعله ليس على مثل رأيكم وقد كان أمس يقاتلكم هو وأبوه وينادى يا ثارات عثمان فاتوه واسألوه عن عثمان فان برئ منه كان وليكم وان أبى كان عدوكم فاتوه فسألوه فنظر فاذا أصحابه حوله قليل فقال انكم أتيتمونى حين أردت القيام ولكن روحوا العشية حتى أعلمكم فانصرفوا وبعث الى أصحابه فجمعهم حوله بالسلاح وجاءت الخوارج وأصحابه حوله وعلى رأسه وبأيديهم العمد فقال ابن الازرق لاصحابه ان الرجل قد أزمع خلافكم فتقدم اليه نافع بن الازرق وعبيدة بن هلال فقال عبيدة بعد حمد الله أما بعد فان الله بعث محمدا يدعو الى عبادته واخلاص الدين له فدعا الى ذلك فاجابه المسلمون فعمل فيهم بكتاب الله حتى قبضه الله واستخلف الناس ابا بكر واستخلف أبو بكر عمر فكلاهما عملا بكتاب الله وسنة نبيه ثم ان الناس استخلفوا عثمان فحمى الاحماء وآثر القربى واستعمل الغنى ورفع الدرة ووضع السوط ومزق الكتاب وضرب منكر الجور وآوى طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب السابقين بالفضل وحرمهم وأخذ فىء الله الذى افاء عليهم فقسمه فى فساق قريش ومجان العرب فسارت اليه طائفة فقتلوه فنحن لهم أولياء ومن ابن عفان وأوليائه برآء فما تقول أنت يا ابن الزبير فقال قد فهمت الذى ذكرت به النبى صلى الله عليه وسلم فهو فوق ما ذكرت وفوق ما وصفت وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر وقد وفقت وأصبت وفهمت الذى ذكرت به عثمان وانى لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره منى كنت معه حيث نقم عليه واستعتبوه فلم يدع شيأ الا أعتبهم ثم رجعوا اليه بكتاب له يزعمون انه كتبه يأمر فيه بقتلهم فقال لهم ما كتبته فان شئتم فهاتوا بينتكم فان لم تكن حلفت لكم فوالله ما جاؤه ببينة ولا استحلفوه ووثبوا عليه فقتلوه وقد سمعت ما عبته به ليس كذلك بل هو لكل خير أهل وأنا أشهدكم ومن حضرنى انى ولى لابن عفان وعدو أعدائه فبرئ الله منكم وتفرق القوم فاقبل نافع بن الازرق الحنظلى وعبد الله بن الصفار السعدى وعبد الله بن اباض وحنظلة بن بيهس وبنو الماحوز عبد الله وعبيد الله والزبير من بنى سليط بن يربوع وكلهم من تميم حتى أتوا البصرة وانطلق أبو طالوت من بنى بكر بن وائل وأبو فديك عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة وعطية بن الاسود اليشكرى الى اليمامة فوثبوا بها مع أبى طالوت ثم اجمعوا بعد ذلك على نجدة بن عامر الحنفى وتركوا أبا طالوت فاما نافع وأصحابه فانهم قدموا البصرة وهم على رأى أبى بلال واجتمعوا وتذاكروا فضيلة الجهاد فخرج نافع على ثلاثمائة وذلك عند وثوب الناس بابن زياد وكسر الخوارج باب السجن وخرجوا واشتغل الناس عنهم بحرب الازد وربيعة وتميم فلما خرج نافع تبعوه واصطلح أهل البصرة على عبد الله بن الحرث فتجرد الناس للخوارج واخافوهم فلحق نافع بالاهواز فى شوال سنة أربع وستين وخرج من بقى منهم بالبصرة الى ابن الازرق الا من لم يرد الخروج يومئذ منهم عبد الله ابن الصفار وعبد الله بن اباض ورجال معهما على رأيهما ونظر نافع فرأى ان ولاية من تخلف عن الجهاد من الذين قعدوا من الخوارج لا تحل له وان من تخلف عنه لا نجاة له فقال لاصحابه ذلك

الديار وبطن الاودية ونزلوا أرض برقة ونزلت هوارة بلاد اياس وهى بلاد طرابلس المغرب الى الثلاث المدن وقد كانت هذه الديار للافرنجة والروم فانجلوا عن البربر حين أوطنوا أرضهم الى جزائر البحر الرومى فسكن الاكثر منهم جزيرة صقلية وتفرقت البربر ببلاد افريقية وأقاصى ديار المغرب فى نحو من مسافة ألفى ميل من بلاد القيروان وتراجعت الروم والافرنجة الى مدنهم وذلك على موادعة وصلح من البربر واختارت البربر سكنى الجبال والاودية والرمال والدهاس وأطراف البرارى والقفار (ومن بحر افريقية) وصقلية يخرج المرجان وهو المتصل ببحر الظلمات المعروف ببحر أقيانس وغير هؤلاء ممن ذكرنا من الامم من سكن قطع الارض وابتنى المدائن شرقا وغربا (ورأت العرب) أن جولان الارض وتخير بقاعها على الايام أشبه بالعز وأليق بذى الانفة وقالوا السكون محكمين فى الارض نسكن حيث نشاء أصلح من غير ذلك فاختاروا سكنى البدو من أجل ذلك (وذكر آخرون) أن القدماء من العرب لما ركبهم الله من

ودعاهم الى البراءة منهم وانهم لا يحل لهم مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا يجوز قبول شهادتهم وأخذ علم الدين عنهم ولا يحل ميراثهم ورأى قتل الاطفال والاستعراض وان جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يقبل منهم الا الاسلام أو القتل فاجابه الى ذلك بعضهم وفارقه بعضهم وممن فارقه نجدة بن عامر وسار الى اليمامة فاطاعه الخوارج الذين بها وتركوا أبا طالوت فكتب نافع الى ابن اباض وابن الصفار يدعوهما ومن معهما الى ذلك فقرأ ابن الصفار الكتاب ولم يقرأه على أصحابه خشية ان يتفرقوا ويختلفوا فاخذه ابن اباض فقرأه فقال قاتله الله أى رأى رأى صدق نافع لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأيا وكانت سيرته كسيرته فى المشركين ولكنه قد كذب فيما يقول ان القوم برآء من الشرك ولكنهما كفار بالنعم والاحكام ولا يحل لنا الا دماؤهم وما سوى ذلك فهو حرام علينا فقال له ابن الصفار برئ الله منك فقد قصرت وبرئ الله من ابن الازرق فقد غلا فقال الآخر برئ الله منك ومنه فتفرق القوم واشتدت شوكة ابن الازرق وكثرت جموعه وأقام بالاهواز يجبى الخراج ويتقوى به ثم أقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة من أهل البصرة (عبيس بالعين المهملة المضمومة والباء الموحدة والياء المثناة من تحت وبالسين المهملة وعبيدة بن بلال بضم العين المهملة والباء الموحدة)

﴿ذكر قدوم المختار الكوفة﴾

كانت الشيعة تسب المختار وتعيبه لما كان منه فى أمر الحسن بن على حين طعن فى ساباط وحمل الى أبيض المدائن حتى كان زمن الحسين وبعث الحسين مسلم بن عقيل الى الكوفة كان المختار فى قرية له تدعى لقفا فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر انه قد ظهر ولم يكن خروجه عن ميعاد كما سبق فاقبل المختار فى مواليه فانتهى الى باب الفيل بعد المغرب وقد اقعد عبيد الله بن زياد عمرو بن حريث بالمسجد ومعه راية فوقف المختار لا يدرى ما يصنع فبلغ خبره عمرا فاستدعاه وآمنه فحضر عنده فلما كان الغد ذكر عمارة بن الوليد بن عقبة أمره لعبيد الله فاحضره فيمن دخل وقال له أنت المقبل فى الجموع لتنصر ابن عقيل قال لم أفعل ولكنى أقبلت ونزلت تحت راية عمرو فشهد له عمرو فضرب وجه المختار فشتر عينه وقال لولا شهادة عمرو لقتلتك ثم حبسه حتى قتل الحسين ثم ان المختار بعث الى عبد الله بن عمر بن الخطاب يسأله ان يشفع فيه وكان ابن عمر تزوج أخت المختار صفية بنت أبى عبيد فكتب ابن عمر الى يزيد يشفع فيه فارسل يزيد الى ابن زياد يأمره باطلاقه فاطلقه وأمره ان لا يقيم غير ثلاث فخرج المختار الى الحجاز فلقيه ابن العرق وراء واقصة فسلم عليه وسأله عن عينه فقال خبطها ابن الزانية بالقضيب فصارت كما ترى ثم قال قتلنى الله ان لم اقطع انامله واعضاءه اربا اربا ثم سأله المختار عن ابن الزبير فقال انه عائذ بالبيت وانه يبايع سرا ولو اشتدت شوكته وكثرت رجاله لظهر فقال المختار انه رجل العرب اليوم وان اتبع رأيى اكفه أمر الناس ان الفتنة أرعدت وأبرقت وكان قد انبعث فاذا سمعت بمكان قد ظهرت به فى عصابة من المسلمين اطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطف سيد المسلمين وابن بنت سيد المرسلين وابن سيدها الحسين على فوربك لاقتلن بقتله عدة من قتل على دم يحيى بن زكريا ثم سار وابن العرق يعجب من قوله قال ابن العرق فوالله لقد رأيت ما ذكره وحدثت به الحجاج بن يوسف فضحك وقال لله دره أى رجل دينا ومسعر حرب ومقارع أعداء كان ثم قدم المختار على ابن الزبير فكتم عنه ابن الزبير أمره ففارقه وغاب عنه سنة ثم سأل عنه ابن الزبير فقيل انه بالطائف وانه يزعم انه صاحب الغضب ومبير

سمو الاخطار ونبل الهمم والاقدار وشدة الانفة والحمية من المعرة والهرب من العار بدأت بالتفكر فى المنازل والتقدير للمواطن فتاملوا شأن المدن والابنية فوجدوا فيها معرة ونقصا وقال ذو المعرفة والتمييز ان الارضين تمرض كما تمرض الاجسام وتلحقها الآفات والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح اذ الهواء ربما قوى فاضر باجسام سكانه وأحال أمزجة قطانه وقال ذو الآراء منهم ان الابنية والتحوط حصر عن التصرف فى الارض ومقطعة عن الجولان وتقييد للهمم وحبس لما فى الغرائز من المسابقة الى الشرف ولا خير فى اللبث على هذه الحالة وزعموا أيضا أن الابنية والاطلال تحصر الغذاء وتمنع اتساع الهواء وتسد سروحه عن المرور وقذاه عن السلوك فسكنوا البر الافيح الذى لا يخافون فيه من حصر ومنازلة ضر هذا مع ارتفاع الاقذاء وسماحة الاهواء واعتزال الوباء ومع تهذيب الاحلام فى هذه المواطن ونقاء القرائح فى التنقل فى المساكن مع صحة الامزجة وقوة الفطنة وصفاء الالوان

الجبارين فقال ابن الزبير ماله قاتله الله لقد انبعث كذابا متكهنا ان يهلك الله الجبارين يكن المختار أولهم فهو فى حديثه اذ دخل المختار المسجد فطاف وصلى ركعتين وجلس فاتاه معارفه يحدثونه ولم يأت ابن الزبير فوضع ابن الزبير عليه عباس بن سهل بن سعد فاتاه وسأله عن حاله ثم قال له مثلك يغيب عن الذى قد اجتمع عليه الاشراف من قريش والانصار وثقيف ولم تبق قبيلة الا وقد أتاه زعيمها فبايع هذا الرجل فقال انى اتيته العام الماضى وكتم عنى خبره فلما استغنى عنى احببت ان اريه انى مستغن عنه فقال له العباس القه الليلة وأنا معك فاجابه الى ذلك ثم حضر عند ابن الزبير بعد العتمة فقال المختار ابايعك على ان لا تقضى الامور دونى وعلى ان أكون أول داخل واذا ظهرت استعنت بى على أفضل عملك فقال ابن الزبير ابايعك على كتاب الله وسنة رسوله فقال وشر غلمانى تبايعه على ذلك والله لا أبايعك أبدا الا على ذلك فبايعه فاقام عنده وشهد معه قتال الحصين بن نمير وأبلى أحسن بلاء وقاتل أشد قتال وكان أشد الناس على أهل الشام فلما هلك يزيد بن معاوية وأطاع أهل العراق ابن الزبير اقام عنده خمسة أشهر فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحد من أهل الكوفة الا سأله عن حال الناس فاخبره هانئ بن جبة الوداعى باتساق أهل الكوفة على طاعة ابن الزبير الا ان طائفة من الناس هم عدد أهلها لو كان لهم من يجمعهم على رأيهم اكل بهم الارض الى يوم فقال المختار انا أبو اسحق أنا والله لهم ان أجمعهم على الحق وألقى بهم ركبان الباطل وأهلك بهم كل جبار عنيد ثم ركب راحلته نحو الكوفة فوصل الى نهر الحيرة يوم الجمعة فاغتسل ولبس ثيابه ثم ركب فمر بمسجد السكون وجبانة كندة لا يمر على مجلس الا سلم على أهله وقال ابشروا بالنصرة والفلج أتاكم ما تحبون ومر ببنى بدء فلقى عبيدة بن عمرو البدى من كندة فسلم عليه وقال له ابشر بالنصر والفلج انك أبو عمرو على رأى حسن لن يدع الله لك معه اثما الا غفره لك ولا ذنبا الا ستره وكان عبيدة من أشجع الناس وأشعرهم وأشدهم تشيعا وحبا لعلى وكان لا يصبر عن الشراب فقال له بشرك الله بالخير فهل أنت مبين لنا قال نعم القنى الليلة ثم مر ببنى هند فلقى اسمعيل بن كثير فرحب به وقال له القنى أنت وأخوك الليلة فقد أتيتكم بما تحبون ومر على حلقة من همدان فقال قد قدمت عليكم بما يسركم ثم أتى المسجد واستشرف له الناس فقام الى سارية فصلى عندها حتى أقيمت الصلاة وصلى مع الناس ثم صلى ما بين الجمعة والعصر ثم انصرف الى داره واختلف اليه الشيعة وأتى اسمعيل بن كثير وأخوه وعبيدة بن عمرو فسألهم فاخبروه خبر سليمان بن صرد وانه على المسير فحمد الله ثم قال ان المهدى ابن الوصى بعثنى اليكم أمينا ووزيرا ومنتخبا وأميرا وأمرنى بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن الضعفاء فكونوا أول خلق الله اجابة فضربوا على يده وبايعوه وبعث الى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان ابن صرد وقال لهم نحو ذلك وقال لهم ان سليمان ليس له بصر بالحرب ولا تجربة بالامور وانما يريد ان يخرجكم فيقتلكم ويقتل نفسه وانا اعمل على مثال مثل لى وأمر بين لى أعين وليكم واقتل عدوكم وأشفى صدوركم فاسمعوا قولى وأطيعوا أمرى ثم انتشروا ومازال بهذا ونحوه حتى استمال طائفة من الشيعة وصاروا يختلفون اليه ويعظمونه وعظماء الشيعة مع سليمان لا يعدلون به احدا وهو أثقل خلق الله على المختار وهو ينظر الى ما يصير أمر سليمان فلما خرج سليمان نحو الجزيرة قال عمر بن سعد وشبث بن ربعى وزيد بن الحرث بن رويم لعبد الله بن يزيد الخطمى وابراهيم بن محمد بن طلحة ان المختار أشد عليكم من سليمان انما خرج يقاتل عدوكم وان المختار يريد ان يثب عليكم فى مصركم فاوثقوه واسجنوه حتى يستقيم أمر الناس فأتوه فاخذوه بغتة فلما رآهم

وصيانة الاجسام فان العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء وطبع الهواء الفضاء وفى هذا الامن من العاهات والاسقام والعلل والآلام فآثرت العرب سكنى البوادى والحلول فى البيداء فهم أقوى الناس هما وأشدهم أحلاما وأصحهم أجساما وأعزهم جارا وأحماهم ذمارا وأفضاهم جوارا وأجودهم فطنا لما أكسبهم اياه صفاء الجو ونقاء الفضاء لان الابدان تحتوى أجزاؤها على متكاثف الاكدار وعناء الاقذار بما يرتفع اليه ويتلاطم فى عرصاته واقفة من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه فى أكنافه جميع ما يتصعد اليه وكذلك تراكيب الاقذاء والادواء والعاهات فى أهل المدن وتركبت فى أجسامهم وتضاعفت فى أشعارهم وانثارهم فتفضلت العرب على سائر من عداها من بوادى الامم المعترضة لما ذكرنا من تخيرها الاماكن وارتياد المواطن (قال المسعودى) وكذلك جانبوا قطاطنة الاكراد وسكان الجبال من الاجيال الجافية وغيرهم الذين مساكنهم خروت الارض ودهاسها وذلك أن هذه الامم الساكنة هذه الجبال والاودية تناسب أخلاقها مساكنها

قال مالكم فوالله ماظفرت أكفكم فقال ابراهيم بن محمد بن طلحة لعبد الله شده كتافا ومشه حافيا فقال عبد الله ما كنت لافعل هذا برجل لم يظهر لنا غدره انما أخذناه على الظن فقال ابراهيم ليس هذا بعشك فادرجي ماهذا الذى بلغنا عنك يا ابن أبى عبيد فقال مابلغك عنى الا باطل وأعوذ بالله من غش كغش أبيك وجدك ثم حمل الى السجن غير مقيد وقيل بل كان مقيدا فكان يقول فى السجن أما ورب البحار والنخيل والاشجار والمهامه والقفار والملائكة الابرار والمصطفين الاخيار لاقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار بجموع الانصار ليس بمثل أغمار ولا بعزل اشرار حتى اذا أقمت عمود الدين وزايلت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت ثار النبيين لم يكبر على زوال الدنيا ولم أحفل بالموت اذا أتى وقيل فى خروج المختار الى الكوفة وسببه غير ماتقدم وهو ان المختار قال لابن الزبير وهو عنده انى لاعلم قوما لو أن لهم رجلا له فقه وعلم بما يأتى ويذر لاستخرج لك منهم جندا تقاتل بهم أهل الشام قال من هم قال شيعة على بالكوفة قال فكن أنت ذلك الرجل فبعثه الى الكوفة فنزل ناحية منها يبكى على الحسين ويذكر مصابه حتى لقوه وأحبوه فنقلوه الى وسط الكوفة وأتاه منهم بشر كثير فلما قوى أمره سار الى ابن مطيع

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على المدينة فيها أخوه عبيدة بن الزبير وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمى وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن عمر التيمى وعلى خراسان عبد الله بن حازم وفيها مات شداد بن أوس بن ثابت وهو ابن أخى حسان ابن ثابت وفيها توفى المسور بن مخرمة بمكة فى اليوم الذى ورد فيه خبر موت يزيد بن معاوية وكان سبب موته ان أصابته فلقة حجر منجنيق فى جانب وجهه فمرض أياما ومات وفيها توفى أبو برزة الاسلمى بخراسان وفيها توفى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فى قول وفى أيام يزيد مات أبو ثعلبة الخشنى وقيل مات سنة خمس وسبعين له صحبة وفى أيامه أيضا مات عائذ بن عمرو المزنى بالبصرة وشهد بيعة الرضوان وفى أيام ابن زياد بالكوفة مات قيس بن خرشة وهو صحابى وخبر موته عجيب مع ابن زياد لانه كان قوالا بالحق وفى أيامه مات نوفل بن معاوية بن عمرو الدؤلى وفى أيامه مات أبو خيثمة الانصارى شهد أحدا وذكره فى تبوك مشهور وفى أيامه مات عتبان بن مالك وهو بدرى وفى هذه السنة توفى شقيق بن ثور السدوسى

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين﴾

﴿ذكر مسير التوابين وقتلهم﴾

لما أراد سليمان بن صرد الخزاعى الشخوص سنة خمس وستين بعث الى رؤس أصحابه فأتوه فلما اهل ربيع الآخر خرج فى وجوه أصحابه وكانوا تواعدوا للخروج تلك الليلة فلما أتى النخيلة دار فى الناس فلم يعجبه عددهم فارسل حكيم بن منقذ الكندى والوليد بن عصير الكنانى فناديا فى الكوفة يالثارات الحسين فكانا أول خلق الله دعا يالثارات الحسين فاصبح من الغد وقد أتاه نحو مما فى عسكره ثم نظر فى ديوانه فوجدهم ستة عشر ألفا ممن بايعه فقال سبحان الله ما وافانا من ستة عشر ألفا الا أربعة آلاف فقيل له ان المختار يثبط الناس عنك انه قد تبعه ألفان فقال قد بقى عشرة آلاف أما هؤلاء بمؤمنين أما يذكرون الله والعهود والمواثيق فاقام بالنخيلة ثلاثا يبعث الى من تخلف عنه فخرج اليه نحو من ألف رجل فقام اليه المسيب بن نجبة فقال رحمك الله انه

فى انخفاضها وارتفاعها لعدم استقامة الاعتدال فى أرضها فلذلك أخلاق قطانها على ماهى عليه من الغلظ (وذكر) الهيثم بن عدى والشرقى القطامى وغيرهما من الاخباريين انه وفد على كسرى أنوشروان بعض خطباء العرب فسأله كسرى عن شأن العرب وسكناها واختيارها البدو فقال أيها الملك ملكوا الارض ولم تملكهم وأمنوا من التحصين بالاسوار واعتمدوا على المرهفات الباترة والرماح الساهرة حصونا وحصنافهن ملك قطعة من الارض فكأنها كلها له يردون منها خيارها ويقصدون الطافها قال فاين حظوظهم من الفلك قال من تحت الفرقدين ورأس المجرة وسعد الجدى مشرفين على الارض بحسب ذلك قال فما رياحها قال أكثرها النكباء بالليل والصبا عند انقلاب الشمس قال فكم الرياح قال أربع فاذا انحرفت واحدة منهن قيل نكباء ومابين سهيل الى طرف بياض الفجر جنوب وما بازائهما مما يستقبلهما من المغرب شمال وما جاء من وراء الكعبة فهى دبور وماجاء من قبل ذلك فهى صبا قال

لا ينفعك الكاره ولا يقاتل معك الا من أخرجته النية فلا تنتظر أحدا وجد فى أمرك قال نعم مارأيت ثم قام سليمان فى أصحابه فقال أيها الناس من كان خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حيا وميتا ومن كان انما يريد الدنيا فوالله ما يأتى فىء نأخذه وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع ماهو الا سيوفنا على عواتقنا وزاد قدر البلغة فمن كان ينوى هذا فلا يصحبنا فتنادى أصحابه من كل جانب انا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا انما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت رسول الله نبينا صلى الله عليه وسلم فلما عزم سليمان على المسير قال له عبد الله بن سعد بن نفيل انى قد رأيت رأيا ان يكن صوابا فالله الموفق وان يكن ليس صوابا فمن قبلى انا خرجنا نطلب بدم الحسين وقتلته كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد ورؤس الارباع والقبائل فاين نذهب من هنا وندع الاوتار فقال أصحابه كلهم هذا هو الرأى فقال سليمان لكن أنا لا أرى ذلك ان الذى قتله وعبى الجنود اليه وقال لا أمان له عندى دون ان يستسلم فامضى فيه حكمى هذا الفاسق ابن الفاسق عبيد الله بن زياد فسيروا اليه على بركة الله فان يظهركم الله عليه رجونا ان يكون من بعده أهون علينا منه ورجونا ان يدين لكم أهل مصركم فى عافية فينظرون الى كل من شرك فى دم الحسين فيقتلونه ولا يغشون وان تستشهدوا فانما قاتلتم المحلين وما عند الله خير للابرار انى لا أحب ان تجعلوا جدكم بغير المحلين ولو قاتلتم أهل مصركم ما عدم رجل ان يرى رجلا قد قتل أخاه وأباه وحميمه ورجلا يريد قتله فاستخيروا الله وسيروا وبلغ عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن صرد فأتياه فى أشراف أهل الكوفة ولم يصحبهم من شرك فى دم الحسين خوفا منه وكان عمر بن سعد تلك الايام يبيت فى قصر الامارة خوفا منهم فلما أتياه قال عبد الله بن يزيد ان المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشه وأنتم اخواننا وأهل بلدنا وأحب أهل مصر خلقه الله الينا فلا تفجعونا بانفسكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا أقيموا معنا حتى نتهيأ فاذا سار عدونا الينا خرجنا اليه بجماعتنا فقاتلناه وجعل لسليمان وأصحابه خراج جوخى ان أقاموا وقال ابراهيم بن محمد مثله فقال سليمان لهما قد محضتما النصيحة واجتهدتما فى المشورة فنحن بالله وله ونسأل الله العزيمة على الرشد ولا نرانا الا سائرين فقال عبد الله فاقيموا حتى نعبى معكم جريدا كثيفا فتلقوا عدوكم بجمع كثيف وكان قد بلغهم اقبال عبيد الله بن زياد من الشام فى جنود كثيرة فلم يقم سليمان فسار عشية الجمعة لخمس مضين من ربيع الآخر سنة خمس وستين فوصل دار الاهواز وقد تخلف عنه ناس كثير فقال ما أحب ان تخلفوا ولو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ان الله كره انبعاثهم فثبطهم وخصكم بفضل ذلك ثم ساروا فانتهوا الى قبر الحسين فلما وصلوا صاحوا صيحة واحدة فما رؤى أكثر باكيا من ذلك اليوم فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه وترك القتال معه وأقاموا عنده يوما وليلة يبكون ويتضرعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه وكان من قولهم عند ضريحه اللهم ارحم حسينا الشهيد ابن الشهيد المهدى ابن المهدى الصديق ابن الصديق اللهم انا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم واعداء قاتليهم وأولياء محبيهم اللهم انا خذلنا ابن بنت نبينا صلى الله عليه وسلم فاغفر لنا مامضى منا وتب علينا فارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصديقين وانا نشهدك أنا على دينهم وعلى ماقتلوا عليه وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وزادهم النظر اليه حنقا ثم ساروا بعد ان كان الرجل يعود الى ضريحه كالمودع له فازدحم الناس عليه أكثر من ازدحامهم على الحجر الاسود ثم ساروا على الانبار وكتب اليهم عبد الله بن يزيد كتابا منه ياقومنا لا تطيعوا عدوكم أنتم فى أهل بلادكم خياركلكم ومتى يصبكم عدوكم يعلموا أنكم أعلام

فما أكثر غذائهم قال اللحم واللبن والنبيذ والتمر قال فما خلائقهم قال العز والشرف والمكارم وقرى الضيف واذمار الجار واجارة الخائف واداء الحمالات وبذل المهج فى المكرمات وهم سراة الليل وليوث الغيل وعمار البر وأنس القفر ألفوا القناعة وسبقوا الضراعة لهم الاخذ بالثار والانفة من العار والحماية للذمار قال كسرى لقد وصفت هذا الجيل كرما ونبلا وما أولانا بانجاح ذلك فيهم فتخيرت العرب فى البرارى والمهامهات والمصاف فمنهم المنجدون ومنهم من سكن أغوار الارض كغور بيسان وغور غزة من أرض الشام من بلاد فلسطين والاردن ومن سكنه من لخم وجذام ولجميع العرب مياه يجتمعون عليها وقطع ملكية يعرجون عليها كالرها والسماوة والتهائم وأنجاد الارض والبقاع والقيعان والوهاد ولست ترى قبيلا من العرب توغل عن الاماكن المعروفة لهم والمياه المشهورة بهم كماء ضارج وماء العقيق والسباط وما أشبه ذلك من المياه (وأما أجناس الاكراد وأنواعهم) فقد تنازع

مصركم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم ياقومنا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا ياقوم ان أيدينا وأيديكم واحدة وعدونا وعدوكم واحد ومتى تجتمع كلمتنا على عدونا نظهر على عدونا ومتى نختلف تهن شوكتنا على من خالفنا ياقومنا الا تستغشوا نصحى ولا تخالفوا أمرى وأقبلوا حين يقرأ كتابى عليكم والسلام فقال سليمان وأصحابه قد أتانا هذا ونحن فى مصرنا نخين وطأنا أنفسنا على الجهاد ودنونا من أرض عدونا ماهذا برأى فكتب اليه سليمان يشكره ويثنى عليه ويقول ان القوم قد استبشروا ببيعهم أنفسهم من ربهم وانهم قد تابوا من عظيم ذنبهم وتوجهوا الى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى الله عليهم فلما جاء الكتاب الى عبد الله قال استمات القوم أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم والله ليقتلن كراما مسلمين ثم ساروا حتى انتهوا الى قرقيسيا على تعبية وبها زفر بن الحرث الكلابى قد تحصن بها منهم ولم يخرج اليهم فارسل اليه المسيب بن نجبة يطلب اليه أن يخرج اليه سوقا فأتى المسيب الى باب قرقيسيا فعرفهم نفسه وطلب الاذن على زفر فأتى هذيل بن زفر أباه فقال هذا رجل حسن الهيئة اسمه المسيب بن نجبة يستأذن عليك فقال أبوه أماتدرى يابنى من هذا هذا فارس مضر الحمراء كلها اذا عد من أشرافها عشرة كان أحدهم هو وهو متعبد رجل ناسك له دين ائذن له فاذن له فلما دخل عليه أجلسه الى جانبه وسأله فعرفه المسيب حاله وماعزموا عليه فقال زفر انا لم نغلق أبواب المدينة الا لنعلم ايانا تريدون أم غيرنا ومابنا عجز عن الناس ومانحب قتالكم وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة جميلة ثم أمر ابنه فاخرج لهم سوقا وأمر للمسيب بالف درهم وفرس فرد المال وأخذ الفرس وقال لعلى احتاج اليه اذا عرج فرسى وبعث زفر اليهم بخبز كثير وعلف ودقيق حتى استغنى الناس عن السوق الا ان كان الرجل يشترى سوطا أوثوبا ثم ارتحلوا من الغد وخرج اليهم زفر يشيعهم وقال لسليمان انه قد سار خمسة أمراء من الرقة هم الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع وادهم بن محرز وجبلة بن عبد الله الخثعمى وعبيد الله بن زياد فى عدد كثير مثل الشوك والشجر فان شئتم دخلتم مدينتنا وكانت أيدينا واحدة فاذا جاءنا هذا العدو قاتلناهم جميعا فقال سليمان قد طلب أهل مصرنا ذلك منا فأبينا عليهم قال زفر فبادروهم الى عين الوردة وهى رأس عين فاجعلوا المدينة فى ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادة فى أيديكم ومابيننا وبينكم فانتم آمنون منه فاطووا المنازل فوالله مارأيت جماعة قط اكرم منكم فانى ارجو أن تسبقوهم وان قاتلتموهم فلا تقاتلوهم فى فضاء ترامونهم وتطاعنونهم فانهم أكثر منكم ولا آمن أن يحيطوا بكم فلا تقفوا لهم فيصرعوكم ولا تصفوا لهم فانى لا أرى معكم رجالة ومعهم الرجالة والفرسان بعضهم يحمى بعضا ولكن القوهم فى الكتائب والمقانب ثم بثوها فيما بين ميمنتهم وميسرتهم واجعلوا مع كل كتيبة أخرى الى جانبها فان حمل على احدى الكتيبتين رحلت الاخرى فنفست عنها ومتى شاءت كتيبة ارتفعت ومتى شاءت كتيبة انحطت ولو كنتم صفا واحدا فزحفت اليكم الرجالة فدفعتم عن الصف انتقض فكانت الهزيمة ثم ودعهم ودعا لهم ودعوا له واثنوا عليه ثم ساروا مجدين فانتهوا الى عين الوردة فنزلوا غربيها وأقاموا خمسا فاستراحوا وأراحوا وأقبل أهل الشام فى عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة فقام سليمان فى أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثم قال أما بعد فقد أتاكم عدوكم الذى دأبتم اليه فى السير آناء الليل والنهار فاذا لقيتموهم فاصدقوهم القتال واصبروا ان الله مع الصابرين ولا يولينهم امرؤ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة ولا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا من أهل دعوتكم الا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه

الناس فى بدئهم فمنهم من رأى أنهم من ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل انفردوا فى قديم الزمان وانضافوا الى الجبال والاودية دعتهم الى ذلك الأنفة وجاوروا ماهنالك من الامم الساكنة المدن والعمائر من الاعاجم والفرس فحالوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية وولد كل من الاكراد لغة لهم بالكردية ومن الناس من رأى أنهم من مضر بن نزار وأنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة ابن هوازن وأنهم انفردوا فى قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسان ومنهم من رأى أنهم من ربيعة ومضر وقد اختصموا فى الجبال طلبا للمياه والمراعى فحالوا عن اللغة العربية لما جاورهم من الامم ومن الناس من ألحقهم باماء سليمان بن داود عليهما السلام حين سلب ملكه ووقع على امائه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد وعصم الله منه المؤمنات أن يقع عليهن فعلق منه المنافقات فلما رد الله على سليمان ملكه ووضع تلك الاماء الحوامل من الشيطان قال اكردوهن الى الجبال والاودية فربتهم أمهاتهم

فان هذه كانت سيرة على فى أهل هذه الدعوة ثم قال ان أنا قتلت فامير الناس مسيب بن نجبة فان قتل فالامير عبد الله بن سعد بن نفيل فان قتل فالامير عبد الله بن وال فان قتل فالامير رفاعة بن شداد رحم الله امرأ صدق ماعاهد الله عليه ثم بعث المسيب فى أربعمائة فارس ثم قال سر حتى تلقى أول عساكرهم فشن عليهم فان رأيت ماتحبه والا رجعت واياك أن تترك واحدا من أصحابك او تستقبل آخر حتى لاتجد منه بدا فسار يومه وليلته ثم نزل السحر فلما أصبحوا أرسل أصحابه فى الجهات ليأتوه بمن يلقون فأتوه باعرابى فسأله عن أدنى العساكر منه فقال ادنى عسكر من عساكرهم منك عسكر شرحبيل بن ذى الكلاع وهو منك على رأس ميل وقد اختلف هو والحصين ادعى الحصين أنه على الجماعة وأبى شرحبيل ذلك وهما ينتظران أمر ابن زياد فسار المسيب ومن معه مسرعين فاشرفوا عليهم وهم غارون فحملوا فى جانب عسكرهم فانهزم العسكر وأصاب المسيب منهم رجالا فاكثروا فيهم الجراح وأخذوا الدواب وخلى الشاميون معسكرهم وانهزموا فغنم منه أصحاب المسيب ماأرادوا ثم انصرفوا الى سليمان موفورين وبلغ الخبر ابن زياد فسرح الحصين بن نمير مسرعا حتى نزل فى اثنى عشر ألفا فخرج أصحاب سليمان اليه لاربع بقين من جمادى الاولى وعلى ميمنتهم عبد الله بن سعد وعلى ميسرتهم المسيب بن نجبة وسليمان فى القلب وجعل الحصين على ميمنته جبلة بن عبد الله وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوى فلما دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام الى الجماعة على عبد الملك بن مروان ودعاهم أصحاب سليمان الى خلع عبد الملك وتسليم عبيد الله بن زياد اليهم وانهم يخرجون من بالعراق من أصحاب ابن الزبير ثم يرد الامر الى أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم فأبى كل منهم فحملت ميمنة سليمان على ميسرة الحصين والميسرة أيضا على الميمنة وحمل سليمان فى القلب على جماعتهم فانهزم أهل الشام الى معسكرهم ومازال الظفر لاصحاب سليمان الى أن حجز بينهم الليل فلما كان الغد صبح الحصين جيش مع ابن ذى الكلاع ثمانية آلاف أمدهم بهم عبيد الله بن زياد وخرج أصحاب سليمان فقاتلوهم قتالا لم يكن أشد منه جميع النهار لم يحجز بينهم الا الصلاة فلما أمسوا تحاجزوا وقد كثرت الجراح فى الفريقين وطاف القصاص على أصحاب سليمان يحرضونهم فلما أصبح أهل الشأم آتاهم أدهم بن محرز الباهلى فى نحو من عشرة آلاف من ابن زياد فاقتتلوا يوم الجمعة قتالا شديدا الى ارتفاع الضحى ثم ان أهل الشأم كثروهم وتعطفوا عليهم من كل جانب ورأى سليمان مالقى أصحابه فنزل ونادى عباد الله من أراد البكور الى ربه والتوبة من ذنبه فالى ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه فقاتلوهم فقتلوا من أهل الشأم مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فاكثروا الجراح فلما رأى الحصين صبرهم وبأسهم بعث الرجالة ترميهم بالنبل واكتنفهم الخيل والرجال فقتل سليمان رحمه الله رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ثم وثب ثم وقع فلما قتل سليمان أخذ الراية المسيب بن نجبة وترحم على سليمان ثم تقدم فقاتل بها ساعة ثم رجع ثم حمل فعل ذلك مرارا ثم قتل رضى الله عنه بعد أن قتل رجالا فلما قتل أخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل وترحم عليهما ثم قرأ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وحف به من كان معه من الازد فبينما هم فى القتال أتاهم فرسان ثلاثة من سعد بن حذيفة يخبرون بمسيره فى سبعين ومائة من أهل المدائن ويخبرون أيضا بمسير أهل البصرة مع المثنى بن مخربة العبدى فى ثلثمائة فسر الناس فقال عبد الله بن سعد ذلك لو جاؤنا ونحن أحياء فلما نظر الرسل الى مصارع اخوانهم ساءهم ذلك واسترجعوا وقاتلوا معهم وقتل عبد الله بن سعد بن نفيل قتله ابن أخى ربيعة

وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب الاكراد (ومن الناس) من رأى أن الضحاك ذا الافواه المقدم ذكره فى هذا الكتاب الذى تنازعت فيه الفرس والعرب من أى الفريقين هو أنه خرج بكتفيه حيتان لايهدآن الا بأدمغة الناس فأفنى خلقا كثيرا من فارس واجتمعت الى حربه جماعة كثيرة وافاه افريدون بهم وقد شالوا راية من الجلود تسميها الفرس درفش كاوان فأخذ افريدون الضحاك وقيده فى جبل نهاوند على ماذكرنا وقد كان وزير الضحاك فى كل يوم يذبح كبشا ورجلا ويخلط أدمغتهما ويطعم تينك الحيتين اللتين فى كتفى الضحاك ويطرد من يخلص الى الجبل فتوحشوا وتناسلوا فى تلك الجبال فهم بدء الاكراد وهؤلاء من نسلهم وتشعبوا أفخاذا وماذكرنا من خبر الضحاك فالفرس لاينكرونه ولا أصحاب التواريخ القديمة ولا الحديثة (وللفرس) فى أخبار الضحاك مع ابليس أخبار عجيبة هى موجودة فى كتبهم وتزعم الفرس ان ظهور المقدم ذكره فى ملوك الفرس هو نوح

ابن مخارق وحمل خالد بن سعد بن نفيل على قاتل آخيه فطعنه بالسيف واعتنقه الآخر فحمل أصحابه عليه فخلصوه بكثرتهم وقتلوا خالدا وبقيت الراية ليس عندها أحد فنادوا عبد الله بن وال فاذا هو قد اصطلى الحرب فى عصابة معه فحمل رفاعة بن شداد فكشف أهل الشام عنه فأتى فاخذ الراية وقاتل مليا ثم قال لاصحابه من أراد الحياة التى ليس بعدها موت والراحة التى ليس بعدها نصب والسرور الذى ليس بعده حزن فليتقرب الى الله بقتال هؤلاء المحلين الرواح الى الجنة وذلك عند العصر فحمل هو وأصحابه فقتلوا رجالا وكشفوهم ثم ان أهل الشام تعطفوا عليهم من كل جانب حتى ردوهم الى المكان الذى كانوا فيه وكان مكانهم لا يؤتى الا من وجه واحد فلما كان المساء تولى قتالهم ادهم بن محرز الباهلى فحمل عليهم فى خيله ورجله فوصل ابن محرز الى ابن وال وهو يتلو ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية فغاظ ذلك ادهم بن محرز فحمل عليه فضرب يده فابانها ثم تنحى عنه وقال انى أظنك وددت انك عند أهلك قال ابن وال بئسما ظننت والله ما أحب ان يدك مكانها الا أن يكون لى من الاجر مثل ما فى يدى ليعظم وزرك ويعظم اجرى فغاظه ذلك أيضا فحمل عليه وطعنه فقتله وهو مقبل ما يزول وكان ابن وال من الفقهاء العباد فلما قتل أتوا رفاعة بن شداد البجلى وقالوا لتأخذ الراية فقال ارجعوا بنا لعل الله يجمعنا ليوم شرهم فقال له عبد الله بن عوف بن الاحمر هلكنا والله لئن انصرفنا ليركبن اكتافنا فلا نبلغ فرسخا حتى نهلك عن آخرنا وان نجا منا ناج أخذته العرب يتقربون به اليهم فقتل صبرا هذه الشمس قد قاربت الغروب فنقاتلهم على خيلنا فاذا غسق الليل ركبنا خيولنا أول الليل وسرنا حتى نصبح ونسير على مهل ويحمل الرجل صاحبه وجريحه ونعرف الوجه الذى نأخذه فقال رفاعة نعم ما رأيت وأخذ الراية وقاتلهم قتالا شديدا ورام أهل الشام اهلاكهم قبل الليل فلم يصلوا الى ذلك لشدة قتالهم وتقدم عبد الله بن عزيز الكنانى فقاتل أهل الشام ومعه ولده محمد وهو صغير فنادى بنى كنانة من أهل الشام وسلم ولده اليهم ليوصلوه الى الكوفة فعرضوا عليه الامان فابى ثم قاتلهم حتى قتل وتقدم كرب بن يزيد الحميرى عند المساء فى مائة من أصحابه فقاتلهم أشد قتال فعرض عليه وعلى أصحابه ابن ذى الكلاع الحميرى الامان قال قد كنا آمنين فى الدنيا وانما خرجنا نطلب أمان الآخرة فقاتلوهم حتى قتلوا وتقدم صخر بن هلال المزنى فى ثلاثين من مزينة فقاتلوا حتى قتلوا فلما أمسوا رجع أهل الشام الى معسكرهم ونظر رفاعة الى كل رجل قد عقر به فرسه وجرح فدفعه الى قومه ثم سار بالناس ليلته وأصبح الحصين ليلتقيهم فلم يرهم فلم يبعث فى آثارهم وساروا حتى أتوا قرقيسيا فعرض عليهم زفر الاقامة فاقاموا ثلاثا فاضافهم ثم زودهم وساروا الى الكوفة ثم أقبل سعد بن حذيفة بن اليمان فى أهل المدائن فبلغ هيت فاتاه الخبر فرجع فلقى المثنى بن مخربة العبدى فى أهل البصرة بصندود فاخبره فاقاموا حتى أتاهم رفاعة فاستقبلوه وبكى بعضهم الى بعض وأقاموا يوما وليلة ثم تفرقوا فسار كل طائفة الى بلدهم ولما بلغ رفاعة الكوفة كان المختار محبوسا فارسل اليه اما بعد فرحبا بالعصبة الذين عظم الله لهم الاجر حين انصرفوا ورضى فعلهم حين قتلوا اما ورب البيت ما خطا خاط منكم خطوة ولا ربا ربوة الا كان ثواب الله أعظم من الدنيا ان سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولم يكن بصاحبكم الذى به تنصرون انى أنا الامير المأمور والامين المأمون وقاتل الجبارين والمنتقم من أعداء الدين المقيد من الاوتار فاعدوا واستعدوا وابشروا وأدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدم أهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام * وكان

النبى عليه السلام وتفسيره ادريس بالفارسية المنهلوية وهى الاولى الراية والمطرد والعلم (وأما الترك وأجناسها) فقد قدمنا كثيرا من أخبارها وقد غلط قوم فزعموا أن الترك من ولد طوج بن افريدون وهذا غلط ولى طوج على الترك وسلم على الروم وكيف توليه عليهم وهم ولده وما قلنا يدل على أن الترك من غير ولد طوج بن افريدون بل لطوج فى الترك عقب مشهور والمعظم فى أجناس الترك هم التبت وهم من حمير على حسب ما ذكرنا أن بعض التبابعة رتبهم هنالك وما قلنا من الاكراد فالاشهر عند الناس والاصح من أنسابهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار فاما نوع من الاكراد وهم الشاهجان ببلاد ما بين الكوفة والبصرة وهى أرض الدينور وهمدان فلا تناكر بينهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار بن معد والعاخرذان وهم من الكيكان ببلاد اذربيجان والهلبانية والسراة وما حوى بلاد الجبال من الساذنجان والكربه والبارد لسكان والبارنجان واليارسان والحالبة والجبانار فيه

قتل سليمان ومن معه فى شهر ربيع الآخر ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل سليمان وانهزام أصحابه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال اما بعد فان الله قد أهلك من رؤس أهل العراق ملقح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد ألا وان السيوف تركن رأس المسيب خذاريف وقد قتل الله منهم رأسين عظيمين ضالين مضلين عبد الله بن سعد الازدى وعبد الله بن وال البكرى ولم يبق بعدهم من عنده امتناع وفى هذا نظر فان اباه كان حيا قال أعشى همدان فى ذلك وهى مما يكتم ذلك الزمان

ألم خيال منك يا أم غالب * فحييت عنا من حبيب مجانب
ومازلت فى شجو ومازلت مقصدا * لهم غيرانى من فراقك ناصب
فما أنس لا انس انتقالك فى الضحى * الينا مع البيض الحسان الخراعب
تراءت لنا هيفاء مهضومة الحشا * لطيفة طى الكشح ريا الحقائب
مسيكة غراء ردى بهائها * كشمس الضحى تنكل بين السحائب
فلما تغشاها السحاب وحوله * بدا حاجب منها وضنت بحاجب
فتلك النوى وهى الجوى لى والمنى * فاحبب بها من خلة لم تصاقب
ولا يبعد الله الشباب وذكره * وحب تصافى المعصرات الكواكب
ويزداد ما أحببته من عتابنا * لعابا وسقيا للخدين المقارب
فانى وان لم أنسهن لذاكر * رزية مخبات كريم المناصب
توسل بالتقوى الى الله صادقا * وتقوى الاله خير تكساب كاسب
وخلى عن الدنيا فلم يلتبس بها * وتاب الى الله الرفيع المراتب
تخلى عن الدنيا وقال طرحتها * فلست اليها ما حييت بآيب
وما أنا فيما يكره الناس فقده * ويسعى له الساعون فيها براغب
توجهه نحو الثوية سائرا * الى ابن زياد فى الجموع الكتائب
بقوم هم أهل التقية والنهى * مصاليت انجاد سراة مناجب
مضوا تاركى رأى ابن طلحة حسبة * ولم يستجيبوا للامير المخاطب
فساروا وهم ما بين ملتمس التقى * وآخر مما جر بالامس تائب
فلاقوا بعين الوردة الجيش ناضلا * اليهم فحسوهم ببيض قواضب
يمانية تذرى الاكف وتارة * بخيل عتاق مقربات سلاهب
فجاءهم جمع من الشام بعده * جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى أبيدت سراتهم * فلم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر أهل الصبر صرعى فاصبحوا * تعاورهم ريح الصبا والجنائب
فاضحى الخزاعى الرئيس مجدلا * كأن لم يقاتل مرة ويحارب
ورأس بنى شمخ وفارس قومه * شنوأة والتيمى هادى الكتائب
وعمرو بن بشر والوليد وخالد * وزيد بن بكر والحليس بن غالب
وضارب من همدان كل مشيع * اذا شد لم ينكل كريم المكاسب
ومن كل قوم قد أصيب زعيمهم * وذا حسب فى ذروة المجد ثاقب

والحاوانيه والمسكان ومن حل بلاد الشام من الدبابلة وغيرهم فالمشهور فيهم أنهم من مضر بن نزار ومنهم اليعقوبية والجورقان وهم نصارى وديارهم مما يلى الموصل وجبل الجودى (وفى الاكراد) من رأيهم رأى الخوارج والبراءة من عثمان وعلى رضى الله عنهما فهذه جملة من أخبار بوادى العالم وقد أعرضنا عن ذكر القول فيهم (والخلج) وهم أنواع من الترك نحو بلاد عرس ونصيبين وبست مما يلى بلاد سجستان وكذلك من بلاد كرمان من أرض القفص والملوح والحب (قال المسعودى) فاما أيام العرب ووقائعها وحروبها فقد ذكرناها فيما سلف من كتبنا وما كان بينها فى الجاهلية والاسلام كيوم الهباة وحروب ذبيان والبيمن وحرب داحس والغبراء وحرب بكر بن وائل وتغلب وهى حرب البسوس ويوم الكلاب ويوم خزار ومقتل جساس ابن زهير ويوم ذى قار ويوم شعب جبلة وما كان من بنى عامر وغيرهم وحرب الاوس والخزرج وما كان بين غسان وعك (وسنورد) بعد هذا الباب جملا من

أبوا غير ضرب يفلق الهام وقعه * وطعن بأطراف الاسنة صائب
وان سعيدا يوم يدمر عامرا * لأشجع من ليث بدرب مواثب
فيا خير جيش بالعراق وأهله * سقيتم روايا كل أسحم ساكب
فلا يبعدن فرساننا وحماتنا * اذا البيض أبدت عن خدام الكواعب
وما قتلوا حتى أثاروا عصابة * تجلين نورا كالشموس الصوارب

وقيل قتل سليمان ومن معه فى شهر ربيع الآخر (الخزاعى الذى هو فى هذا الشعر هو سليمان ابن صرد الخزاعى ورأس بنى شمخ هو المسيب بن نجبة الفزارى وفارس شنوأة هو عبد الله بن سعد بن نفيل الازدى ازدشنوأة والتيمى هو عبد الله بن وال التيمى من تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن على بن بكر بن وائل والوليد بن عصير الكنانى وخالد هو خالد بن سعد بن نفيل أخو عبد الله * نجبة بالنون والجيم والباء الموحدة المفتوحات)

﴿ذكر بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان بولاية العهد﴾

فى هذه السنة أمر مروان بن الحكم بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وكان السبب فى ذلك ان عمرو بن سعيد بن العاص لما هزم مصعب بن الزبير حين وجهه أخوه عبد الله الى فلسطين رجع الى مروان وهو بدمشق قد غلب على الشام ومصر فبلغ مروان ان عمرا يقول ان الامر لى بعد مروان فدعا مروان حسان بن ثابت بن بجدل فاخبره انه يريد ان يبايع لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وأخبره بما بلغه عن عمرو فقال انا أكفيك عمرا فلما اجتمع الناس عند مروان عشيا قام حسان فقال انه قد بلغنا ان رجالا يتمنون امانى قوموا فبايعوا العبد الملك وعبد العزيز من بعده فبايعوا عن آخرهم

﴿ذكر بعث ابن زياد وحبيش﴾

فى هذه السنة سير مروان بن الحكم بعثين أحدهما مع عبيد الله بن زياد الى الجزيرة ومحاربة زفر بن الحرث بقرقيسيا واستعمله على كل ما يفتحه فاذا فرغ من الجزيرة توجه لقصد العراق وأخذه من ابن الزبير فلما كان بالجزيرة بلغه موت مروان وأتاه كتاب عبد الملك بن مروان يستعمله على ما استعمله عليه أبوه ويحثه على المسير الى العراق والبعث الآخر الى المدينة مع حبيش بن دلجة القينى فسار بهم حتى انتهى الى المدينة وعليها جابر بن الاسود بن عوف ابن أخى عبد الرحمن بن عوف من قبل ابن الزبير فهرب منه جابر ثم ان الحرث بن أبى ربيعة وهو أخو عمرو بن ربيعة وجه جيشا من البصرة وكان واليا عليها لابن الزبير وجعل عليهم الحنيف بن السجف التيمى لحرب حبيش فلما سمع بهم حبيش سار اليهم من المدينة وأرسل عبد الله بن الزبير العباس بن سهل بن سعد الساعدى الى المدينة أميرا وأمره ان يسير فى طلب حبيش حتى يوافى الجند من أهل البصرة الذين عليهم الحنيف فأقبل عباس فى آثارهم حتى لحقهم بالربذة فقاتلهم حبيش فرماه يزيد بن سنان بسهم فقتله وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم وابنه الحجاج وهما على جمل واحد وانهزم أصحابه فتحرز منهم خمسمائة بالمدينة فقال العباس بن سهل انزلوا على حكمى فنزلوا فقتلهم ورجع فل حبيش الى الشام ولما دخل يزيد بن سنان المدينة كان عليه ثياب بيض فاسودت مما مسحه الناس ومما صبوا عليه من الطيب

﴿ذكر موت مروان بن الحكم وولاية ابنه عبد الملك﴾

فى شهر رمضان من هذه السنة مات مروان بن الحكم وكان سبب موته ان معاوية بن يزيد لما

أخبار العرب الدائرة وغيرها وتفريقها فى البلاد ونذكر جملا من آرائها وديانانها فى الجاهلية وما ذهبت اليه فى الغيلان والهواتف والقيافة والكهانة والنفوس والصدى والهام وغير ذلك من شيئها وبالله التوفيق

﴿ذكر ديانات العرب وآرائها فى الجاهلية وتفرقها فى البلاد وخبر أصحاب الفيل وعبد المطلب وغير ذلك مما لحق بهذا الباب﴾

كانت العرب فى جاهليتها فرقا منهم الموحد المقر بخالقه المصدق بالبعث والنشور موقنا بأن الله يثيب المطيع ويعاقب العاصى وقد تقدم ذكرنا فى هذا الكتاب وغيره من كتبنا من دعا الى الله عز وجل ونبه أقوامه على آياته فى الفترة كقس ابن ساعدة الايادى ورباب السبتى وبحيرا الراهب وكانا من عبد القيس (وكان من العرب) من أقر بالخالق وأثبت حدوث العالم بالبعث والاعادة وأنكر الرسل وعكف على عبادة الاصنام وهم الذين حكى الله عز وجل قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى الآية وهذا الصنف الذين حجوا الى الاصنام وقصدوها ونحروا

حضرته الوفاة لم يستخلف أحدا وكان حسان بن بحدل يريد ان يجعل الامر من بعده فى أخيه خالد بن يزيد وكان صغيرا وحسان خال أبيه يزيد فبايع حسان مروان بن الحكم وهو يريد ان يجعل الامر بعده لخالد فلما بايعه هو وأهل الشام قيل لمروان تزوج أم خالد وهى بنت أبى هاشم ابن عتبة حتى يصغر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها فدخل خالد يوما على مروان وعنده جماعة وهو يمشى بين صفين فقال مروان والله انك لاحمق فقال يا ابن الرطبة الاست تقصر به لتسقطه من أعين أهل الشام فرجع خالد الى أمه فاخبرها فقالت له لا يعلمن ذلك منك الا انا أنا أكفيكه فدخل عليها مروان فقال لها هل قال لك خالد فى شيأ قالت لا انه أشد لك تعظيما من ان يقول فيك شيأ فصدقها ومكث أياما ثم ان مروان نام عندها يوما فغطته بوسادة حتى قتلته فمات بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل احدى وستين واراد عبد الملك قتل أم خالد فقيل له يظهر عند الخلق ان امرأة قتلت اباك فتركها ولما توفى مروان قام بأمر الشام بعده ابنه عبد الملك وكان بمصر ابنه عبد العزيز بطاعة أخيه عبد الملك وكان عبد الملك ولد لسبعة أشهر فكان الناس يذمونه لذلك قيل انه اجتمع عنده قوم من الاشراف فقال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان البكرى بلغنى انك لا تشبه اباك فقال بلى والله انى لاشبه به من الماء بالماء والفرات بالفرات ولكن ان شئت اخبرتك بمن لم تنضجه الارحام ولم يولد بالتمام ولم يشبه الاخوال والاعمام قال من ذاك قال سويد بن منجوف فلما خرج عبيد الله وسويد قال له سويد ما سرنى بمقالتك له حمر النعم فقال عبيد الله وما سرنى والله باحتمالك اياى وسكوتك سودها

﴿ذكر صفته ونسبه واخباره﴾

هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية من كنانة وكان مولده سنة اثنتين من الهجرة وكان أبوه قد أسلم عام الفتح ونفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف لانه يتجسس عليه ورآه النبى صلى الله عليه وسلم يوما يمشى ويتخلج فى مشيه كأنه يحكيه فقال له كن كذلك فما زال كذلك حتى مات ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم عثمان ابا بكر فى رده لانه عمه فلم يفعل فلما توفى أبو بكر وولى عمر كلمه أيضا فى رده فلم يفعل فلما ولى عثمان رده وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى ان يرده الى المدينة فكان ذلك مما أنكر الناس عليه وتوفى فى خلافة عثمان فصلى عليه وقدر وبث أخبار كثيرة فى لعنه ولعن من فى صلبه رواها الحافظ وفى أسانيدها كلام وكان مروان قصيرا أحمر أوقص يكنى أبا الحكم وأبا عبد الملك واعتق فى يوم واحد مائة رقبة وولى المدينة لمعاوية مرات فكان اذا ولى يبالغ فى سب على واذا عزل وولى سعيد بن العاص كف عنه فسئل عنه محمد بن على الباقر وعن سعيد فقال كان مروان خيرا لنا فى السر وسعيد خيرا لنا فى العلانية وقد أخرج حديث مروان فى الصحيح وكان الحسن والحسين يصليان خلفه ولا يعيدان الصلاة وهو أول من قدم الخطبة فى صلاة العيد قبل الصلاة ولما مات بويع لولده عبد الملك بن مروان فى اليوم الذى مات فيه وكان يقال له ولولده بنو الزرقاء يقول ذلك من يريد ذمهم وعيبهم وهى الزرقاء بنت موهب جدة مروان بن الحكم لابيه وكانت من ذوات الرايات التى يستدل بها على ثبوت البغاء فلهذا كانوا يذمون بها ولعل هذا كان منها قبل ان يتزوجها أبو العاص بن أمية والد الحكم فانه كان من أشراف قريش ولا يكون هذا من امرأة له وهى عنده والله أعلم (حبيش ابن دلجة بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة المفتوحة ثم الياء المثناة من تحت وآخره شين معجمة ودلجة بفتح الدال واللام)

البدن ونسكوا لها النسائك وأحلوا لها وحرموا (ومنهم) من أقر بالخالق وكذب بالرسل والبعث ومال الى قول أهل الدهر وهؤلاء الذين حكى الله تعالى الحادهم وخبر عن كفرهم بقوله تعالى وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون (ومنهم) من مال الى اليهودية والنصرانية (ومنهم) المار على عنجهيته الراكب لهمجيته وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون انها بنات الله فكانوا يعبدونها لتشفع لهم الى الله وهم الذين اخبر الله عز وجل عنهم بقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وقوله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى (فمن كان) مقرا بالتوحيد مثبتا للوعيد تاركا للتقليد عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف وكان حفر بئر زمزم وكانت مطوية وذلك فى ملك كسرى قباذ فاستخرج منها غزالى ذهب عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من

﴿ذكر مقتل نافع بن الازرق﴾

فى هذه السنة اشتدت شوكة نافع بن الازرق وهو الذى ينتسب اليه الازارقة من الخوارج وكان سبب قوته اشتغال أهل البصرة واختلافهم بسبب مسعود بن عمرو وقتله و كثرة جموعه واقبل نحو الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة فخرج اليه فدفعه عن أرض البصرة حتى بلغ دولاب من ارض الاهواز فاقتتلوا هناك وجعل مسلم بن عبيس على ميمنته الحجاج بن باب الحميرى وعلى ميسرته حارثة بن بدر الغدانى وجعل ابن الازرق على ميمنته عبيدة بن هلال وعلى ميسرته الزمن بن الماحوز التميمى واشتد قتالهم فقتل مسلم أمير أهل البصرة وقتل نافع بن الازرق أمير الخوارج فى جمادى الآخرة فأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميرى وأمرت الخوارج عبد الله بن الماحوز التميمى واقتتلوا فقتل عبد الله والحجاج فامر أهل البصرة عليهم ربيعة بن الاجرم التميمى وأمرت الخوارج عبيد الله بن الماحوز التميمى ثم عادوا فاقتتلوا حتى أمسوا وقد كره بعضهم بعضا وملوا القتال فبيناهم كذلك متواقفون متحاجزون اذ جاءت الخوارج سرية مستريحة لم تشهد القتال فحملت على الناس من ناحية عبد القيس فانهزم الناس وقتل أمير أهل البصرة ربيعة بعد ان قتل أيضا دغفل بن حنظلة الشيبانى النسابة وأخذ الراية حارثة بن زيد فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه فقاتل وحمى الناس ومعه جماعة من أهل البصرة ثم أقبل حتى نزل بالاهواز و بلغ ذلك أهل البصرة فافزعهم و بعث عبد الله بن الزبير الحرث بن أبى ربيعة وعزل عبد الله بن الحرث فاقبلت الخوارج نحو البصرة

﴿ذكر محاربة المهلب الخوارج﴾

لما قربت الخوارج من البصرة أتى أهلها الاحنف بن قيس وسألوه ان يتولى حربهم فاشار بالمهلب بن أبى صفرة لما يعلم فيه من الشجاعة والرأى والمعرفة بالحرب وكان قد قدم من عند ابن الزبير وقد ولاه خراسان فقال الاحنف ما لهذا الامر غير المهلب فخرج اليه أشراف أهل البصرة فكلموه فابى فكلمه الحرث بن أبى ربيعة فاعتذر بعهده على خراسان فوضع الحرث وأهل البصرة كتابا اليه عن ابن الزبير يأمره بقتال الخوارج وأتوه بالكتاب فلما قرأه قال والله لا أسير اليهم الا ان تجعلوا الى ما غلبت عليه وتقطعونى من بيت المال ما أقوى به من معى فاجابوه الى ذلك وكتبوا له به كتابا وأرسلوا الى ابن الزبير فامضاه فاختار المهلب من أهل البصرة ممن يعرف نجدته وشجاعته اثنى عشر ألفا منهم محمد بن واسع وعبد الله بن رباح الانصارى ومعاوية بن قرة المزنى وأبو عمران الجونى وخرج المهلب الى الخوارج وهم عند الجسر الاصغر فحاربهم وهو فى وجوه الناس واشرافهم فدفعهم عن الجسر ولم يكن بقى الا ان يدخلوا فارتفعوا الى الجسر الاكبر فسار اليهم فى الخيل والرجال فلما رأوه قد قاربهم ارتفعوا فوق ذلك ولما بلغ حارثة بن زيد تامير المهلب على قتال الازارقة قال لمن معه من الناس كرنبوا ودولبوا حيث شئتم فاذهبوا وأقبل بمن معه نحو البصرة فرد الحرث بن أبى ربيعة الى المهلب وركب حارثة فى سفينة فى نهر دجيل يريد البصرة فاتاه رجل من تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه فصاح التميمى بحارثة يستغيث به ليحمله معه فقرب السفينة الى شاطئ النهر وهو جرف فوثب التميمى اليها فغاصت بجميع من فيها فغرقوا وأما المهلب فانه سار حتى نزل بالخوارج وهم بنهر تيرى فتنحوا عنه الى الاهواز فسير المهلب الى عسكرهم الجواسيس تأتيه باخبارهم فلما أتاه خبرهم سار نحوهم واستخلف أخاه المعارك بن أبى صفرة على نهر تيرى فلما وصل الاهواز قاتلت الخوارج مقدمته وعليهم ابنه المغيرة بن المهلب

الحلى وسبعة أسياف قلعية وسبعة أدرع سوابغ فضرب من الاسياف بابا للكعبة وجعل احدى الغزالتين صفائح وجعل الاخرى فى الكعبة وكان عبد المطلب أول من أقام الرفادة والسقاية بمكة عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا وفى ذلك يقول عبد المطلب

أعطى بلا شح ولا مشاحح
سقيا على رغم العدو الكاشح
بعد كنوز الحلى والصفائح
حليا لبيت الله ذى المسارح

وكان قد نذر ان رزقه الله عز وجل عشرة أولاد ذكور أن يقرب أحدهم لله تعالى أحبهم اليه وهو عبد الله أبو النبى صلى الله عليه وسلم فضرب عليه بالقداح حتى افتداه بمائة من الابل فى خبر طويل (وقد كان) أبرهة حين سار بالحبشة وأتى أنصاب الحرم فنزل بالموضع المعروف بمحصب المحصب فأتى بعبد المطلب بن هاشم فأخبر أنه سيد مكة فعظمه وهابه لاستدارة نور النبى صلى الله عليه وسلم فى جبينه فقال له سلنى يا عبد المطلب فأبى أن يسأله الا ابلا له فأمر بردها وقال ألا تسألنى الرجوع فقال أنا رب هذه الابل وللبيت رب سيمنعه منك وانصرف عبد المطلب

ابن ابى صفرة فجال أصحابه ثم عادوا فلما رأى الخوارج صبرهم ساروا عن سوق الاهواز الى مناذر فسار يريدهم فلما قاربهم سير الخوارج جمعا عليهم واقد مولى أبى صفرة الى نهر تيرى وبها المعارك فقتلوه وصلبوه و بلغ الخبر الى المهلب فسير ابنه المغيرة الى نهر تيرى فانزل عمه المعارك ودفنه وسكن الناس واستخلف بها جماعة ودعا الى أبيه وقد نزل سولاف وكان المهلب شديد الاحتياط والحذر لا ينزل الا فى خندق وهو على تعبية و يتولى الحرس بنفسه فلما نازل الخوارج بسولاف ركبوا ووقفوا له واقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان ثم حملت الخوارج حملة صادقة على المهلب وأصحابه فانهزموا وقتل منهم وثبت المهلب وابلى ابنه المغيرة يومئذ بلاء حسنا ظهر فيه اثره ونادى المهلب اصحابه فعادوا اليه ومعهم جمع كثير نحو أربعة آلاف فارس فلما كان الغد أراد القتال بمن معه فنهاه بعض أصحابه لضعفهم وكثرة الجراح فيهم فترك القتال وسار وقطع دجيل ونزل بالعاقول وهو لا يؤتى الا من جهة واحدة وفى يوم سولاف يقول ابن قيس الرقيات

ألا طرقت من آل مية طارقه ✽ على انها معشوقة الدل عاشقه
تبيت وارض السوس بينى و بينها ✽ وسولاف رستاق حمته الازارقه
اذا نحن شتى صادفتنا عصابة ✽ حرورية اضحت من الدين مارقه
اجادت الينا العسكرين كليهما ✽ فباتت لنا دون اللحاف معانقه

وقال فيه بعض الخوارج

وكائن تركنا يوم سولاف منهم ✽ اسارى وقتلى فى الجحيم مصيرها

واكثر الشعراء فيه فلما وصل المهلب الى العاقول نزل فيه واقام ثلاثة أيام ثم ارتحل وسار نحو الخوارج وهم بسلى وسلبرى فنزل قريبا منهم وكان كثيرا ما يفعل اشياء يحدث بها الناس ليفشطوا الى القتال فلا يرون لها اثرا حتى قال الشاعر

أنت الفتى كل الفتى ✽ لو كنت تصدق ما تقول

وسماه بعضهم الكذاب و بعض الناس يظن انه كذاب فى كل حال وليس كذلك انما كان يفعل ذلك مكايدة للعدو فلما نزل المهلب قريبا من الخوارج وخندق عليه وضع المسالح وأذكى العيون والحرس والناس على راياتهم ومواقفهم وأبواب الخندق محفوظة فكان الخوارج اذا أرادوا بياته وغرته وجدوا أمرا محكما فرجعوا فلم يقاتلهم انسان كان أشد عليهم منه ثم ان الخوارج ارسلوا عبيدة بن هلال والزبير بن الماحوز فى عسكر ليلا الى عسكر المهلب ليبيتوه فصاحوا بالناس عن يمينهم و يسارهم فوجدوهم على تعبية قد حذروا فلم ينالوا منهم شيأ وأصبح المهلب فخرج اليهم فى تعبية وجعل الازد وتميما ميمنة و بكر بن وائل وعبد القيس ميسرة وأهل العالية فى القلب وخرجت الخوارج وعلى ميمنتهم عبيدة بن هلال اليشكرى وعلى ميسرتهم الزبير ابن الماحوز وكانوا أحسن عدة وأكرم خيلا من أهل البصرة لانهم مخروا الارض وجردوها ما بين كرمان الى الاهواز فالتقى الناس واقتتلوا أشد قتال وصبر الفريقان عامة النهار ثم ان الخوارج شدت على الناس شدة منكرة فاجفلوا وانهزموا لا يلوى أحد على أحد حتى بلغت الهزيمة البصرة وخاف أهلها السباء واسرع المهلب حتى سبق المنهزمين الى مكان مرتفع ثم نادى الىّ عباد الله فاجتمع اليه ثلاثة آلاف اكثرهم من قومه من الازد فلما رآهم رضى عدتهم فخطبهم وحثهم على القتال ووعدهم النصر وأمرهم ان يأخذ كل رجل منهم عشرة احجار وقال سيروا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيلهم فى طلب اخوانهم فوالله انى لارجوان

الى مكة وهو يقول

يا أهل مكة قد وافاكم ملك
مع الفيول على أنيابها الزرد
هذا النجاشى قد سارت كتائبه
مع الليوث عليها البيض تتقد
يريد كعبتكم والله مانعه
كمنع تبع لما جاءها حرد

وأمر قريشا أن تلحق ببطون الاودية ورؤس الجبال من معرة الحبشة وقلد الابل النعال وخلاها فى الحرم ووقف بباب الكعبة وهو يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا
يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا
فامنعهمو أن يخربوا قراكا

ويقول

يارب ان المرء يمـ
ـنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدوا محالك

فارسل الله عليهم الطير الابابيل أشباه اليعاسيب ترميهم بحجارة من سجيل وهو طين خلط بحجارة خرجت من البحر مع كل طير ثلاثة أحجار فاهلكهم الله عز وجل (وقد ذكرنا) خبر أبى رغال فيما سلف من هذا الكتاب حين دلهم وهلاكه فى الطريق وجعلت الحبشة يومئذ تسأل عن نفيل بن حبيب الخثعمى يدلها على الطريق

لا يرجع اليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم وتقتلوا أميرهم فاجابوه فاقبل بهم راجعا فما شعرت الخوارج الا والمهلب يقاتلهم فى جانب عسكرهم فلقيهم عبد الله بن الماحوز والخوارج فرماهم أصحاب المهلب بالاحجار حتى اثخنوهم ثم طعنوهم بالرماح وضربوهم بالسيوف فاقتتلوا ساعة فقتل عبد الله بن الماحوز وكثير من أصحابه وغنم المهلب عسكرهم وأقبل من كان فى طلب أهل البصرة راجعا وقد وضع المهلب لهم خيلا ورجالا تختطفهم وتقتلهم وانكفؤا راجعين مذلولين مغلوبين فارتفعوا الى كرمان وجانب اصبهان وقال بعض الخوارج لما رأى قتال أصحاب المهلب بالحجارة

أتانا باحجار ليقتلنا بها * وهل تقتل الاقران ويحك بالحجر

ولما فرغ المهلب منهم أقام مكانه حتى قدم مصعب بن الزبير على البصرة أميرا وعزل الحرث بن أبى ربيعة وفى هذا اليوم يقول الصلتان العبدى

بسلى وسلبرا مصارع فتية * كرام وقتلى لم توسد خدودها

فلما قتل عبد الله بن الماحوز استخلف الخوارج الزبير بن الماحوز وكتب المهلب الى الحرث ابن أبى ربيعة يعرفه ظفره فارسل الحرث الكتاب الى ابن الزبير بمكة ليقرأه على الناس هناك وكتب الحرث الى المهلب أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه نصر الله وظفر المسلمين فهنيأ لك يا أخا الازد شرف الدنيا وعزها وثواب الآخرة وفضلها فلما قرأ المهلب كتابه ضحك وقال اما يعرفنى الا بأخى الازد ما هو الا أعرابى جاف وقيل ان عثمان بن عبيد الله بن معمر قاتل الخوارج ونافع ابن الازرق قبل مسلم فقتل عثمان وانهزم أصحابه بعد ان قتل من الخوارج خلق كثير فسير اليهم من البصرة بعده حارثة بن زيد العبدانى فلما رآهم عرف انه لا طاقة له بهم فقال لاصحابه كربنوا ودولبوا كيف شئتم فاذهبوا يعنى ما شاء ثم سار بعده مسلم بن عبيس وقيل ان المهلب لما دفع الخوارج من البصرة الى ناحية الاهواز أقام بقية سنته يجبى كور دجلة ورزق أصحابه وأتاه المدد من البصرة حتى بلغ أصحابه ثلاثين الفا فعلى هذا يكون هزيمة الخوارج سنة ست وستين

﴿ذكر نجدة بن عامر الحنفى﴾

هو نجدة بن عامر بن عبد الله بن ساد بن المفرج الحنفى كان مع نافع بن الازرق ففارقه لاحداثه فى مذهبه ما تقدم ذكره وسار الى اليمامة ودعا أبو طالوت الى نفسه فمضى الى الحضارم فنهبها وكانت لبنى حنيفة فاخذها منهم معاوية بن أبى سفيان فجعل فيها من الرقيق ما عدتهم وعدة ابنائهم ونسائهم أربعة آلاف فغنم ذلك وقسمه بين أصحابه وذلك سنة خمس وستين فكثر جمعه ثم ان عيرا خرجت من البحرين وقيل من البصرة تحمل مالا وغيره يراد بها ابن الزبير فاعترضها نجدة فاخذها وساقها حتى أتى بها ابا طالوت بالحضارم فقسمها بين أصحابه وقال اقتسموا هذا المال وردوا هؤلاء العبيد واجعلوهم يعملون الارض لكم فان ذلك انفع فاقتسموا المال وقالوا نجدة خير لنا من أبى طالوت فخلعوا أبا طالوت وبايعوا نجدة وبايعه أبو طالوت وذلك فى سنة ست وستين ونجدة يومئذ ابن ثلاثين سنة ثم سار فى جمع الى بنى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فلقيهم بذى المجاز فهزمهم وقتلهم قتلا ذريعا وصبر كلاب وعطيف ابنا قرة بن هبيرة القشيريان وقاتلا حتى قتلا وانهزم قيس ابن الرقاد الجعدى فلحقه أخوه لابيه معاوية فسأله ان يحمله ردفا فلم يفعل ورجع نجدة الى اليمامة فكثر أصحابه فصاروا ثلاثة آلاف ثم سار نجدة الى البحرين سنة سبع وستين فقالت الازد نجدة احب الينا من ولاتنا لانه ينكر الجور وولاتنا يجوزونه فعزموا على مسالمته واجتمعت عبد القيس ومن بالبحرين غير الازد على محاربته فقال بعض الازد نجدة أقرب اليكم منه الينا لانكم كلكم من

ونفيل يسمع كلام الحبشة وسؤالها عنه وقد ريع لما عمهم من البلاء وانفرد عن جملتهم يؤمل الخلاص وقد تاهوا فانشأ يقول

ألا ردى حى للثبار دينا
نعما كم مع الاصباح عينا
فانك لو رأيت ولن تريه
لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا
وحصب حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل
كان على للحبشان دينا

وقد ذكرنا ما كان منهم فى هلاك عنيدهم فيما سلف من هذا الكتاب فلما صدهم الله عز وجل عن الكعبة أنشأ عبد المطلب يقول

أيها الداعى لقد أسمعتنى
ثم ما بى عن نداكم من صمم
ان للبيت لربا مانعا
من يرده بأثام يصطلم
رامه تبع فيمن جندت
حمير والحى من آل قرم
فانثنى عنه وفى أوداجه
جارح أمسك عنه بالكظم
قلت والاشرم يرمى حيلة
ان ذا الاشرم غر بالحرم
فجزاك الله فيما قد مضى
لم يزل ذاك على عهد ابرهم
نحن دمرنا ثمودا عنوة
ثم عادا قبلها ذات الارم
نعبد الله وفينا سنة
صلة القربى وايفاء الذمم
لم يزل لله فينا حجة
يدفع الله بها عنا النقم

ربيعة فلا تحاربوه وقال بعضهم لا ندع نجدة وهو حرورى مارق تجرى علينا أحكامه فالتقوا بالقطيف فانهزمت عبد القيس وقتل منهم جمع كثير وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القطيف فقال الشاعر

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها * وما نفع نصح قيل لا يتقبل

واقام نجدة بالقطيف ووجه ابنه المطرح فى جمع الى المنهزمين من عبد القيس فقاتلوه بالثوير فقتل المطرح بن نجدة وجماعة من أصحابه وارسل نجدة سرية الى الخط فظفر باهله واقام نجدة بالبحرين فلما قدم مصعب بن الزبير الى البصرة سنة تسع وستين بعث اليه عبد الله بن عمير الليثى الاعور فى أربعة عشر ألفا فجعل يقول اثبت نجدة فانا لا نفر فقدم ونجدة بالقطيف فاتى نجدة عسكر ابن عمير وهو غافل فقاتلهم طويلا وافترقوا واصبح ابن عمير فهاله ما رأى فى عسكره من القتلى والجرحى وحمل عليهم نجدة فلم يلبثوا أن انهزموا فلم يبق عليهم نجدة وغنم ما فى عسكرهم واصاب جوارى فيهن ام ولد لابن عمير فعرض عليها ان يرسلها الى مولاها فقالت لا حاجة بى الى من فر عنى وتركنى وبعث نجدة أيضا بعد هزيمة ابن عمير جيشا الى عمان واستعمل عليهم عطية بن الاسود الحنفى وقد غلب عليها عباد بن عبد الله وهو شيخ كبير وابناه سعيد وسليمان يعشران السفن ويجبيان البلاد فلما أتاهم عطية قاتلوه فقتل عباد واستولى عطية على البلاد فاقام بها أشهرا ثم خرج منها واستخلف رجلا يكنى ابا القاسم فقتله سعيد وسليمان ابنا عباد واهل عمان ثم خالف عطية نجدة على ما نذكره ان شاء الله فعاد الى عمان فلم يقدر عليها فركب فى البحر واتى كرمان وضرب بها دراهم سماها العطوية واقام بكرمان فارسل اليه المهلب جيشا فهرب الى سجستان ثم الى السند فلقيه خيل المهلب بقندابيل فقتلته وقيل قتله الخوارج ثم بعث نجدة الى البوادى بعد هزيمة ابن عمير أيضا من يأخذ من أهلها الصدقة فقاتل أصحابه بنى تميم بكاظمة وأعان أهل طويلع بنى تميم فقتلوا من الخوارج رجلا فارسل نجدة الى أهل طويلع من أغار عليهم وقتل منهم نيفا وثلاثين رجلا وسبى ثم انه دعاهم بعد ذلك فاجابوه فاخذ منهم الصدقة ثم سار نجدة الى صنعاء فى خف من الجيش فبايعه أهلها وظنوا ان وراءه جيشا كثيرا فلما لم يروا مددا يأتيه ندموا على بيعته وبلغه ذلك فقال ان شئتم أقلتكم بيعتكم وجعلتكم فى حل منها وقاتلتكم فقالوا لا نستقيل بيعتنا فبعث الى مخاليفها فاخذ منهم الصدقة وبعث نجدة أبا فديك الى حضرموت فجبى صدقات أهلها وحج نجدة سنة ثمان وستين وقيل سنة تسع وستين وهو فى ثمانمائة وستين رجلا وقيل فى الفى رجل وستمائة رجل وصالح ابن الزبير على أن يصلى كل واحد باصحابه ويقف بهم ويكف بعضهم عن بعض فلما صدر نجدة عن الحج سار الى المدينة فتأهب أهلها لقتاله وتقلد عبد الله بن عمر سيفا فلما كان نجدة بنخل اخبر بلبس ابن عمر السلاح فرجع الى الطائف واصاب بنتا لعبد الله بن عمرو بن عثمان كانت عند ظئر لها فضمها اليه فقال بعض أصحابه ان نجدة ليتعصب لهذه الجارية فامتحنوه فسأله بعضهم بيعها منه فقال قد اعتقت نصيبى منها فهى حرة قال فزوجنى اياها قال هى بالغ وهى املك بنفسها فانا استأمرها فقام من مجلسه ثم عاد فقال قد استأمرتها فكرهت الزواج فقيل ان عبد الملك أو عبد الله بن الزبير كتب اليه والله لئن أحدثت فيها حدثا لاطأن بلادك وطأة لا يبقى معها بكرى وكتب نجدة الى ابن عمر يسأله عن أشياء فقال سلوا ابن عباس فسألوه ومسائله ابن عباس مشهورة ولما سار نجدة من الطائف أتاه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى فبايعه عن قومه ولم يدخل نجدة الطائف فلما قدم الحجاج الطائف لمحاربة ابن الزبير قال لعاصم يا ذا الوجهين

(قال المسعودى) وقد استدل قوم ممن ذهب الى الغلو فى بعض المذاهب والخروج عما أوجبته قضية العقل وضرورات الحواس بهذا الشعر وقول عبد المطلب فيما كان منهم فى قديم الزمان وأيدوا ذلك الشعر بشعر العباس بن عبد المطلب فى مدحه النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه منصرفه من تبوك فاسلم قال سمعت العباس بن عبد المطلب يقول يارسول الله انى أريد أن أمتدحك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فأنشأ يقول

من قبلها طبت فى الظلال وفى
مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر
انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق
أنت لما ولدت أشرقت الا
أرض وأورى بنورك الافق
حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندف علياء تحتها النطق
فنحن فى ذلك الضياء وفى
النور وسبل الرشاد نخترق

بايعت نجدة قال اى والله وذو عشرة أوجه أعطيت نجدة الرضا ودفعته عن قومى و بلدى واستعمل الحاروق وهو حراق على الطائف وتبالة والسراة واستعمل سعد الطلائع على مايلى نجران ورجع نجدة الى البحرين فقطع الميرة عن أهل الحرمين منها ومن اليمامة فكتب اليه ابن عباس ان ثمامة بن اثال لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكة وهم مشركون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فجعلها لهم وانك قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون فجعلها نجدة لهم ولم يزل عمال نجدة على النواحى حتى اختلف عليه أصحابه فطمع فيهم الناس فاما الحاروق فطلبوه بالطائف فهرب فلما كان فى العقبة فى طريقه لحقه قوم يطلبونه فرموه بالحجارة حتى قتلوه

﴿ذكر الاختلاف على نجدة وقتله و ولاية أبى فديك﴾

ثم ان أصحاب نجدة اختلفوا عليه لاسباب نقموها منه فمنها ان أبا سنان حيابن وائل أشار على نجدة بقتل من أجابه تقية فشتمه نجدة فهم بالفتك به فقال له نجدة كلف الله أحدا علم الغيب قال لا قال فانما علينا ان نحكم بالظاهر فرجع أبو سنان الى نجدة ومنها ان عطية بن الاسود خالف على نجدة وسببه ان نجدة سير سرية بحرا وسرية برا فاعطى سرية البحر أكثر من سرية البر فنازعه عطية حتى أغضبه فشتمه نجدة فغضب عليه وألب الناس عليه وكلم نجدة فى رجل يشرب الخمر فى عسكره فقال هو رجل شديد النكاية على العدو وقد استنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشركين وكتب عبد الملك الى نجدة يدعوه الى طاعته و يوليه اليمامة ويهدر له ما أصاب من الاموال والدماء فطعن عليه عطية وقال ما كاتبه عبد الملك حتى علم منه دهانا فى الدين وفارقه الى عمان ومنها ان قوما فارقوا نجدة واستتابوه فحلف ان لا يعود ثم ندموا على استتابته وتفرقوا ونقموا عليه أشياء أخر فخالف عليه عامة من معه وانحازوا عنه و ولوا أمرهم أبا فديك عبد الله بن ثور أحد بنى قيس بن ثعلبة واستخفى نجدة فارسل أبو فديك فى طلبه جماعة من أصحابه وقال ان ظفرتم به فجيئونى به وقيل لابى فديك ان لم تقتل نجدة تفرق الناس عنك فالح فى طلبه وكان نجدة مستخفيا فى قرية من قرى هجر وكان للقوم الذين اختفى عندهم جارية يخالف اليها راع لهم فاخذت الجارية من طيب كان مع نجدة فسألها الراعى عن أمر الطيب فاخبرته فاخبر الراعى أصحاب أبى فديك بنجدة فطلبوه فنذر بهم فاتى أخواله من بنى تميم فاستخفى عندهم ثم أراد المسير الى عبد الملك فاتى بيته ليعهد الى زوجته فعلم به الفديكية وقصدوه فسبق اليه رجل منهم فاعلمه فخرج و بيده السيف فنزل الفديكى عن فرسه وقال ان فرسى هذا لا يدرك فاركبه فلعلك تنجو عليه فقال ما أحب البقاء ولقد تعرضت للشهادة فى مواطن ما هذا باحسنها وغشيه أصحاب أبى فديك فقتلوه وكان شجاعا كريما وهو يقول

وان جر مولانا علينا جريرة * صبرنا لها ان الكرام الدعائم

ولما قتل نجدة سخط قتله قوم من أصحاب أبى فديك ففارقوه وثار به مسلم بن جبير فضربه اثنى عشر ضربة بسكين فقتل مسلم وحمل أبو فديك الى منزله فبرئ

﴿ذكر استعمال مصعب على المدينة﴾

فى هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه عبيدة بن الزبير عن المدينة واستعمل أخاه مصعبا وسبب ذلك ان عبيدة خطب الناس فقال لهم قد ترون ما صنع الله بقوم فى ناقة قيمتها خمسة دراهم فسمى

قالوا وهذا الخبر قد ذكره أصحاب السير والاخبار والمغازى ونقلوا هذا المديح من قول العباس وما كان من سرور النبى صلى الله عليه وسلم بذلك واستبشاره به فجعلت هذه الطائفة من الغلاة ما ذكرنا من الشعر من شعر عبد المطلب وشعر العباس دلالة لهم على مواطن ادعوها وتغلغلوا الى شبه بعيدة استخرجوها فمنع منها ما تقدم من أوائل العقول وموجبات الفحص ذكر ذلك جماعة من مصنفى كتبهم ومن حذاق مبرزيهم من فرق المحمدية والعليانية وغيرهم من فرق الغلاة منهم اسحق بن محمد النخعى المعروف بالاحمر فى كتابه المعروف بكتاب الصراط وقد ذكر ذلك الفياض بن على فى نقضه لكتاب الصراط وذكره المعروف بالمنكر فى نقضه هذا الكتاب المترجم بالصراط وهؤلاء محمدية نقضوا هذا الكتاب وهو على مذهب العليانية وقد أتينا على ذكر هؤلاء من المحمدية والنميرية وسائر فرق الغلاة وأصحاب التفويض والوسائط واستقصينا النقض عليهم

مقوم الناقة فبلغ ذلك أخاه عبد الله فعزله واستعمل مصعبا

﴿ذكر بناء ابن الزبير الكعبة﴾

لما احترقت الكعبة حين غزا أهل الشام عبد الله بن الزبير أيام يزيد تركها ابن الزبير يشنع بذلك على أهل الشام فلما مات يزيد واستقر الامر لابن الزبير شرع فى بنائها فامر بهدمها حتى ألحقت بالارض وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق وجعل الحجر الاسود عنده وكان الناس يطوفون من وراء الاساس وضرب عليها السور وادخل فيها الحجر واحتج بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم وأزيد فيها الحجر فحفر ابن الزبير فوجد أساسا أمثال الجمال فحركوا منها صخرة فبرقت بارقة فقال أقروها على أساسها وبناها وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر وقيل كانت عمارتها سنة أربع وستين

﴿ذكر الحرب بين ابن خازم و بنى تميم﴾

فى هذه السنة كانت الحرب بين ابن خازم السلمى و بنى تميم بخراسان وسبب ذلك ان من كان بخراسان من بنى تميم أعانوا ابن خازم على من بها من ربيعة وقد تقدم ذكر ذلك فلما صفت له خراسان جفا بنى تميم وكان قد جعل ابنه محمدا على هراة وجعل على شرطته بكير بن وشاح وضم اليه شماس بن دثار العطاردى وكانت أم محمد تميمية فلما جفا ابن خازم بنى تميم أتوا ابنه محمدا بهراة فكتب ابن خازم الى ابنه محمد والى بكير وشماس يأمرهم بمنعهم عن هراة فاما شماس فصار مع بنى تميم وأما بكير فانه منعهم فاقاموا ببلاد هراة فارسل بكير الى شماس انى أعطيك ثلاثين ألفا وأعطى كل رجل من بنى تميم ألفا على ان ينصرفوا فابوا عليه واقاموا يترصدون محمدا فخرج يتصيد فاخذوه وشدوه وثاقا وشربوا ليلتهم وجعلوا يبولون عليه كلما أرادوا البول فقال لهم شماس اما اذ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبيكما اللذين قتلهما بالسياط وكان قد ضرب رجلين من تميم بالسياط حتى ماتا فقاموا اليه ليقتلوه فنهاهم عنه حيان بن مشجعة الضبى والقى نفسه عليه فلم يقبلوا منه وقتلوا محمدا فشكر ابن خازم لحيان ذلك ولم يقتله فيمن قتل وكان الذى تولى قتل محمد رجلين اسم أحدهما عجلة واسم الآخر كسيب فقال ابن خازم بئس ما اكتسب كسيب لقومه ولقد عجل عجلة لقومه شرا واقبلت تميم الى مرو وأمروا عليهم الحريش بن هلال القريعى واجمع أكثرهم على قتال ابن خازم فقاتل الحريش بن هلال عبد الله بن خازم سنتين فلما طالت الحرب خرج الحريش فنادى ابن خازم وقال له طالت الحرب بيننا فعلام تقتل قومى وقومك ابرز الى فاينا قتل صاحبه صارت الارض له فقال له ابن خازم قد أنصفت و برز اليه فتضاربا تصاولا تصاول الفحلين لا يقدر أحدهما على صاحبه ثم غفل ابن خازم فضربه الحريش على رأسه فالقى فروة رأسه على وجهه وانقطع ركاب الحريش وانتزع السيف ولزم ابن خازم عنق فرسه راجعا الى أصحابه ثم غاداهم القتال فمكثوا بذلك بعد الضربة اياما ثم مل الفريقان فتفرقوا ثلاث فرق فرقة الى نيسابور مع بحير بن ورقاء وفرقة الى ناحية أخرى وفرقة فيها الحريش الى مروالروذ فاتبعه ابن خازم الى قرية تسمى الملحمة والحريش فى اثنى عشر رجلا وقد تفرقت عنه أصحابه وهم فى خربة فلما انتهى اليه ابن خازم خرج اليه فى أصحابه فحمل مولى لابن خازم على الحريش فضربه فلم يصنع شيأ فقال الحريش لرجل معه ان سيفى لا يصنع فى سلاحه شيا فاعطنى خشبة فاعطاه عودا من عناب فحمل على المولى فضربه فسقط وقيذا ثم قال لابن خازم ما تريد منى وقد خليتك والبلاد قال انك تعود اليها

وعلى سائر من ذهب الى القول بتناسخ الارواح فى أنواع أشكال الحيوان ممن ادعى الاسلام وغيرهم ممن سلف من اليونانيين والهند والثنوية والمجوس واليهود والنصارى وذكر قول احمد بن حائط وابن نالوس وجعفر القاضى الى من نجم فى وقتنا ممن تقدم وتأخر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ممن أحدث تفريعا على ما سلف من أصولهم وأبدى شبها أيدها ما تقدم من مذاهبهم مثل الحسين ابن منصور المعروف بالحلاج وأصحاب ابى يعقوب المزابلى ثم أصحاب السوق ومن تأخر عنهم وفارقهم فى أصولهم مثل ابى جعفر محمد بن على الشلمغانى المعروف بابن أبى العزاقر وغيرهم من أمم وذكرنا الفرق بينهم وبين غيرهم من أصحاب الدورق فى هذا الوقت ممن يراعى وقت الظهور وأصحاب حجج الليل والنهار اذ كان هؤلاء قد أثبتوا القول بالتناسخ وان الارواح تنتقل فى شئ من الاجسام الحيوانية وأحالوا على القديم عزوجل أن يجوز عليه شئ مما تقدم فى كتابنا آنفا (وقد) تغلغل

قال لا اعود فصالحه على ان يخرج من خراسان ولا يعود الى قتاله فاعطاه ابن خازم أربعين ألفا وفتح له الحريش باب القصر فدخله ابن خازم وضمن له وفاء دينه وتحدثا طويلا وطارت قطنة عن الضربة التى برأس ابن خازم فاخذها الحريش ووضعها مكانها فقال له ابن خازم مسك اليوم ألين من مسك امس فقال الحريش معذرة الى الله واليك أما والله لولا ركابى انقطع لخالط السيف رأسك وقال الحريش فى ذلك

أزال عظم ذراعى عن مركبه * حمل الردينى فى الادلاج بالسحر

حولين ما اغتمضت عينى بمنزلة * الا وكفى وسادلى على حجر

برى الحديد وسربالى اذا هجعت * عنى العيون مجال الفالح الذكر

(بحير بن ورقاء بفتح الباء الموحدة والحاء المهملة المكسورة والحريش بالحاء والراء المهملتين والشين المعجمة)

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة وقع طاعون الجارف بالبصرة وعليها عبيد الله بن معمر فهلك به خلق كثير فماتت أم عبيد الله فلم يجدوا لها من يحملها حتى استأجروا من حملها وهو الامير وحج بالناس عبد الله ابن الزبير وكان على المدينة مصعب وعلى الكوفة ابن مطيع وعلى البصرة الحرث بن ربيعة المخزومى وعلى خراسان عبد الله بن خازم وفيها توفى عبد الله بن عمرو بن العاص السهمى وكان قد عمى آخر عمره وكانت وفاته بمصر وقيل توفى سنة ثمان وستين

(ثم دخلت سنة ست وستين)

(ذكر وثوب المختار بالكوفة)

فى هذه السنة رابع عشر ربيع الاول وثب المختار بالكوفة وأخرج عنها عبد الله بن مطيع عامل عبد الله بن الزبير وسبب ذلك ان سليمان بن صرد لما قتل قدم من بقى من أصحابه الكوفة فلما قدموا وجدوا المختار محبوسا قد حبسه عبد الله بن يزيد الخطمى وابراهيم بن محمد بن طلحة وقد تقدم ذكر ذلك فكتب اليهم من الحبس يثنى عليهم ويمنيهم الظفر ويعرفهم انه هو الذى أمره محمد بن على المعروف بابن الحنفية بطلب الثار فقرأ كتابه رفاعة بن شداد والمثنى بن مخربة العبدى وسعد بن حذيفة بن اليمان ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط الاحمسى وعبد الله بن شداد البجلى وعبد الله ابن كامل فلما قرؤا كتابه بعثوا اليه ابن كامل يقولون له اننا بحيث يسرك فان شئت ان نأتيك ونخرجك من الحبس فعلنا فاتاه فاخبره فسر بذلك وقال لهم انى أخرج فى ايامى هذه وكان المختار قد أرسل الى ابن عمر يقول له انى قد حبست مظلوما ويطلب اليه ان يشفع فيه الى عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة فكتب اليهما ابن عمر فى أمره فشفعاه واخرجاه من السجن وضمناه وحلفاه انه لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان فان فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة ومماليكه احرار ذكرهم وانثاهم فلما خرج نزل بداره فقال لمن يثق به قاتلهم الله ما احمقهم حين يرون أنى أفى لهم اما حلفى بالله فانى اذا حلفت على يمين فرأيت خيرا منها ان أكفر عن يمينى وخروجى عليهم خير من كفى عنهم واما هدى البدن وعتق المماليك فهو اهون على من بصقة فوددت أن تم لى امرى ولا املك بعده مملوكا أبدا ثم اختلفت اليه الشيعة واتفقوا على الرضا به ولم يزل اصحابه يكثرون وأمره يقوى حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد الخطمى وابراهيم بن محمد بن طلحة واستعمل عبد الله بن مطيع على عملهما بالكوفة فلقيه بحير بن رستان الحميرى عند مسيره الى الكوفة فقال له لا تسر الليلة فان القمر بالناطح فلا

بنا الكلام فى ذكر عبد المطلب (تنازع) الناس فى عبد المطلب فنهم من رأى أنه كان مومنا موحدا وانه لم يشرك بالله عز وجل ولا أحد من آباء النبى صلى الله عليه وسلم وأنه نقل فى الاصلاب الطاهرة وانه اخبر أنه ولد من نكاح لا من سفاح ومنهم من رأى أن عبد المطلب كان مشركا وغيره من آباء النبى صلى الله عليه وسلم الا من صح ايمانه وهذا موضع فيه تنازع بين الامامية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم من الفرق فى النص والاختيار وليس كتابنا هذا موسوما للحجاج فنذكر حجاج كل فريق منهم (وقد أتينا) على قول كل فريق منهم وما انتديه قوله فى كتابنا المقالات فى أصول الديانات وفى كتاب الاستنصار ووصف أقاويل الناس فى الامامة وفى كتاب الصفوة أيضا (وكان) عبد المطلب يوصى ولده بصلة الارحام واطعام الطعام ويرغبهم فعل من يراعى فى المنعقب معادا وبعثا ونشورا وجعل السقاية والرفادة الى ابنه عبد مناف وهو أبو طالب وأوصاه بالنبى صلى الله عليه

تسر فقال له وهل نطلب الا النطح فلقى نطحا كما يريد فكان البلاء موكلا بمنطقه وكان شجاعا وسار ابراهيم الى المدينة وكسر الخراج وقال كانت فتنة فسكت عنه ابن الزبير وكان قدوم ابن مطيع فى رمضان لخمس بقين منه وجعل على شرطته اياس بن ابى مضارب العجلى وأمره بحسن السيرة والشدة على المريب * ولما قدم صعد المنبر فخطبهم وقال اما بعد فان أمير المؤمنين بعثنى على مصركم وثغوركم وأمرنى بجباية فيئكم وان لا أحمل فضل فيئكم عنكم الا برضا منكم وان اتبع وصية عمر بن الخطاب التى أوصى بها عند وفاته وسيرة عثمان بن عفان فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدى سفهائكم فان لم تفعلوا فلوموا أنفسكم فوالله لاوقعن بالسقيم العاصى ولاقيمن درء الاصعر المرتاب فقام اليه السائب بن مالك الاشعرى فقال اما حمل فيئنا برضانا فانا نشهد انا لا نرضى ان يحمل عنا فضله وأن لا يقسم الا فينا وان لا يسار فينا الا بسيرة على بن أبى طالب التى سار بها فى بلادنا هذه حتى هلك ولا حاجة لنا فى سيرة عثمان فى فيئنا ولا فى أنفسنا ولا فى سيرة عمر بن الخطاب فينا وان كانت اهون السيرتين علينا وقد كان يفعل بالناس خيرا فقال يزيد بن أنس صدق السائب وبر فقال ابن مطيع نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها ثم نزل وجاء اياس بن مضارب الى ابن مطيع فقال له ان السائب بن مالك من رؤس أصحاب المختار فابعث الى المختار فليأتك فاذا جاءك فاحبسه حتى يستقيم أمر الناس فان أمره قد استجمع له وكأنه قد وثب بالمصر فبعث ابن مطيع الى المختار زائدة بن قدامة وحسين بن عبد الله البرسمى من همدان فقالا أجب الامير فعزم على الذهاب فقرأ زائدة واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية فالقى المختار ثيابه وقال ألقوا على قطيفة فقد وعكت انى لاجد بردا شديدا ارجعا الى الامير فأعلماه حالى فعادا الى ابن مطيع فاعلماه فتركه ووجه المختار الى اصحابه فجمعهم حوله فى الدور وأراد ان يثب فى الكوفة فى المحرم فجاء رجل من أصحاب شبام وشبام حى من همدان وكان شريفا اسمه عبد الرحمن بن شريح فلقى سعيد بن منقذ الثورى وسعر بن أبى سعر الحنفى والاسود ابن جراد الكندى وقدامة بن مالك الجشمى فقال لهم ان المختار يريد يخرج بنا ولا ندرى ارسله ابن الحنفية أم لا فانهضوا بنا الى ابن الحنفية نخبره بما قدم علينا به المختار فان رخص لنا فى اتباعه تبعناه وان نهانا عنه اجتنبناه فوالله ما ينبغى ان يكون شئ من الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا فقالوا له أصبت فخرجوا الى ابن الحنفية فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فاخبروه عن حالهم وما هم عليه وأعلموه حال المختار وما دعاهم اليه واستأذنوه فى اتباعه فلما فرغوا من كلامهم قال لهم بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر فضيلة أهل البيت والمصيبة بقتل الحسين ثم قال لهم واما ما ذكرتم ممن دعاكم الى الطلب بدمائنا فوالله لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ولو كره لقال لا تفعلوا فعادوا وناس من الشيعة ينتظرونهم ممن اعلموه بحالهم وكان ذلك قد شق على المختار وخاف ان يعودوا بامر يخذل الشيعة عنه فلما قدموا الكوفة دخلوا على المختار قبل دخولهم الى بيوتهم فقال لهم ما وراءكم فقد فتنتم وارتبتم فقالوا له انا قد أمرنا بنصرك فقال الله أكبر اجمعوا الى الشيعة فجمع من كان قريبا منهم فقال لهم ان نفرا قد أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا الى الامام المهدى فسألوه عما قدمت به عليكم فنبأهم انى وزيره وظهيره ورسوله وأمركم باتباعى وطاعتى فيما دعوتكم اليه من قتال المحلين والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين فقام عبد الرحمن بن شريح وأخبرهم بحالهم ومسيرهم وان ابن الحنفية أمرهم بمظاهرته وموازرته وقال لهم ليبلغ الشاهد الغائب واستعدوا وتأهبوا وقام جماعة من أصحابه

وسلم وقد تنوزع فى اسم أبى طالب فنهم من رأى أن اسمه ما وصفنا ومنهم من رأى أن كنيته اسمه وان على بن أبى طالب رضى الله عنه كتب فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر باملاء النبى صلى الله عليه وسلم وكتب على بن أبى طالب باسقاط الالف وقد ذكر عبد المطلب فى شعره وصية أبى طالب بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال

أوصيت من كنيته بطالب * بابن الذى قد غاب ليس آيب

وقد كان أكبر العرب ممن بقى وذر يقر بالصانع ويستدل على الخالق (وقد كان) فى ملك النمروذ ابن كوش بن حام بن نوح هيجان الريح التى نسفت صرح النمروذ ببابل من أرض العراق فبات الناس ولسانهم سريانى وأصبحوا قد تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لسانا فسمى الموضع من ذلك الوقت بابل فصار من ذلك فى ولد سام بن نوح تسعة عشر لسانا وفى ولد يافث بن نوح سبعة وثلاثون لسانا على حسب ما ذكرنا فى صدر هذا الكتاب وكان من تكلم بالعربية يعرب وجرهم وعاد وعنبل وجديس

فقالوا انحوا من كلامه فاستجمعت له الشيعة وكان من جماتهم الشعبي وأبوه شراحيل فلما تهيأ
امره للخروج قال له بعض أصحابه ان أشراف أهل الكوفة مجمعون على قتالكم مع ابن مطيع
فان اجابنا الى أمرنا ابراهيم بن الاشتر رجونا القوة على عدونا فانه فتى رئيس وابن رجل شريف له
عشيرة ذات عز وعدد فقال لهم المختار فالقوه وادعوه فخرجوا اليه ومعهم الشعبي فاعلموه حالهم
وسألوه مساعدتهم عليه وذكروا له ما كان أبوه عليه من ولاء علي وأهل بيته فقال لهم اني قد
أجبتكم الى الطلب بدم الحسين وأهل بيته على ان تولوني الامر فقالوا له أنت لذلك أهل ولكن
ليس الى ذلك سبيل هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي وهو المأمور بالقتال وقد امرنا بطاعته
فسكت ابراهيم ولم يجبهم فانصرفوا عنه فاخبروا المختار فمكث ثلاثا ثم سار في بضعة عشر من
أصحابه والشعبي وأبوه فيهم الى ابراهيم فدخلوا عليه فالقى لهم الوسائد فجلسوا عليها وجلس المختار
معه على فراشه فقال له المختار هذا كتاب من المهدي محمد بن علي أمير المؤمنين وهو خير أهل
الارض اليوم وابن خير أهلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله وهو يسألك ان تنصرنا وتوازرنا قال
الشعبي وكان الكتاب معي فلما قضى كلامه قال لي ادفع الكتاب اليه فدفعه اليه الشعبي فقرأه
فاذا فيه من محمد المهدي الى ابراهيم بن مالك الاشتر سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله
الا هو أما بعد فاني قد بعثت اليكم وزيري وأميني الذي ارتضيته لنفسي وأمرته بقتال عدوي
والطلب بدماء اهل بيتي فانهض معهم بنفسك وعشيرتك ومن اطاعك فانك ان تنصرني واجبت
دعوتي كانت لك بذلك عندي فضيلة ولك اعنة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر
ظهرت عليه فيما بين الكوفة واقصى بلاد الشام فلما فرغ من قراءة الكتاب قال قد كتب الى ابن
الحنفية قبل اليوم وكتبت فلم يكتب الي الا باسمه واسم أبيه قال المختار ان ذلك زمان وهذا زمان
قال فمن يعلم ان هذا كتابه فشهد جماعة ممن معه منهم زيد بن انس واحمر بن شميط وعبد الله بن
كامل وجماعتهم الا الشعبي فلما شهدوا تأخر ابراهيم عن صدر الفراش واجلس المختار عليه وبايعه
ثم خرجوا من عنده وقال ابراهيم للشعبي قد رأيتك لم تشهد مع القوم أنت ولا أبوك أفترى هؤلاء
شهدوا على حق فقال له هؤلاء سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب ولا يقول مثلهم
الا حقا فكتب أسماءهم وتركها عنده ودعا ابراهيم عشيرته ومن اطاعه واقبل يختلف الى
المختار كل عشية عند المساء يدبرون أمورهم واجتمع رأيهم على ان يخرجوا ليلة الخميس لاربع
عشرة من ربيع الاول سنة ست وستين فلما كانت تلك الليلة عند المغرب صلى ابراهيم باصحابه
ثم خرج يريد المختار وعليه وعلى أصحابه السلاح وقد أتى اياس بن مضارب عبد الله بن مطيع فقال له
ان المختار خارج عليك باحدى هاتين الليلتين وقد بعثت ابني الى الكناسة فلو بعثت في كل جبانة
عظيمة بالكوفة رجلا من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة لهاب المختار وأصحابه الخروج
عليك فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني الى جبانة السبيع وقال اكفني
قومك ولا تحدثن بها حدثا وبعث كعب بن أبي كعب الخثعمي الى جبانة بشر وبعث زحر بن
قيس الجعفي الى جبانة كندة وبعث عبد الرحمن بن مخنف الى جبانة الصائديين وبعث شمر بن
ذي الجوشن الى جبانة سالم وبعث يزيد بن رويم الى جبانة المراد وأوصى كلا منهم ان لا يؤتى
من قبله وبعث شبث بن ربعي الى السبخة وقال اذا سمعت صوت القوم فوجه نحوهم وكان
خروجهم الى الجبانات يوم الاثنين وخرج ابراهيم بن الاشتر يريد المختار ليلة الثلاثاء وقد بلغه ان
الجبانات قد ملئت رجالا وان اياس بن مضارب في الشرط قد أحاط بالسوق والقصر فاخذ معه من

وثمود وعملاق وطسم ووبار
وعبيد بن ضخم فسار
يعرب بن قحطان بن عابر
ابن شالخ بن أرفخشذ بن
سام بن نوح بمن تبعه من
ولده وغيرهم وهو يقول
أنا ابن قحطان الهمام
الافضل
الايمن المعرب ذي المهلل
يا قوم سيروا في الرعيل الاول
أنا الندي باللسان المسهل
الا بين المنطق غير المشكل
حشرت والامة في تبلبل
يا قوم سيروا في الرعيل الاول
نحو يمين الشمس في تمهل
نحل باليمن على ما وصفنا
آنفا من هذا الكتاب (وسار
بعده عاد بن عوص) بن ارم
ابن سام بن نوح بولده ومن
تبعه وهو يقول
اني أنا عاد الطويل البادي
وسام جدي ابن نوح
الهادي
فقد رأيتم يعرب الزبادي
وسوقه الطارف والتلادي
نحل بالاحقاف وأداني
الرمل بين عمان وحضرموت
واليمن وتفرق هؤلاء
في الارض فانتشر منهم
ناس كثير منهم
جيرون بن سعد بن عاد حل
بدمشق فمصر مصرها
وجمع عمد الرخام والمرمر
اليها وشيد بنيانها وتسمى
ارم ذات العماد وقد روى
عن كعب الاحبار في ارم

أصحابه نحو مائة دارع وقد لبسوا عليها الاقبية فقال له أصحابه تجنب الطريق فقال والله لامرن
وسط السوق بجنب القصر ولارعبن عدونا ولاريتهم هوانهم علينا فسار على باب الفيل ثم على دار
عمرو بن حريث فلقيهم اياس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح فقال من انتم فقال ابراهيم
انا ابراهيم بن الاشتر فقال اياس ما هذا الجمع الذي معك وما تريد ولست بتاركك حتى آتي بك الامير
فقال ابراهيم خل سبيلنا قال لا أفعل وكان مع اياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن
وكان يكرمه وكان صديقا لابن الاشتر فقال له ابن الاشتر ادن مني يا أبا قطن فدنا منه وهو يظن ان
ابراهيم يطلب منه ان يشفع فيه الى اياس فلما دنا منه أخذ رمحا كان معه وطعن به اياسا في ثغرة
نحره فصرعه وامر رجلا من قومه فاحتز رأسه وتفرق أصحاب اياس ورجعوا الى ابن مطيع
فبعث مكانه ابنه راشد بن اياس على الشرط وبعث مكان راشد الى الكناسة سويد بن عبد الرحمن
المنقري أبا القعقاع بن سويد واقبل ابراهيم بن الاشتر الى المختار وقال له انا اتعدنا للخروج القابلة
وقد جاء أمر لا بد من الخروج الليلة واخبره الخبر ففرح المختار بقتل اياس وقال هذا أول الفتح ان
شاء الله تعالى ثم قال لسعيد بن منقذ قم فاشعل النيران في الهوادي والقصب وارفعها وسر أنت
يا عبد الله بن شداد فناد يا منصور أمت وقم أنت يا سفيان بن ليلى وأنت يا قدامة بن مالك فناد
يا لثارات الحسين ثم لبس سلاحه فقال له ابراهيم ان هؤلاء الذين في الجبانات يمنعون أصحابنا
من اتياننا فلو سرت الى قومي بني نخع ودعوت من أجابني وسرت بهم في نواحي الكوفة ودعوت
بشعارنا لخرج الينا من اراد الخروج ومن أتاك حبسته عندك الى من معك فان عوجلت كان
عندك من يمنعك الى ان آتيك فقال له افعل وعجل واياك ان تسير الى أميرهم تقاتله ولا تقاتل
احدا وأنت تستطيع ان لا تقاتله الا ان يبدأك أحد بقتال فخرج ابراهيم واصحابه حتى أتى قومه
واجتمع اليه جل من كان أجابه وسار بهم في سكك المدينة ليلا طويلا وهو يتجنب المواضع
التي فيها الامراء الذين وضعهم ابن المطيع فلما انتهى الى مسجد السكون أتاه جماعة من
خيل زحر بن قيس الجعفي ليس عليهم أمير فحمل عليهم ابراهيم فكشفهم حتى أدخلهم جبانة
كندة وهو يقول اللهم انك تعلم انا غضبنا لاهل بيت نبيك وثرنا لهم فانصرنا على هؤلاء ثم رجع
ابراهيم عنهم بعد ان هزمهم ثم سار ابراهيم حتى أتى جبانة أثير فتنادوا بشعارهم فوقف فيها فأتاه
سويد بن عبد الرحمن المنقري ورجا ان يصيبهم فيحظى بها عند ابن مطيع فلم يشعر به ابراهيم
الا وهو معه فقال ابراهيم لاصحابه يا شرطة الله انزلوا فانكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق الذين
خاضوا في دماء أهل بيت نبيكم فنزلوا ثم حمل عليهم ابراهيم حتى أخرجهم الى الصحراء فانهزموا
فركب بعضهم بعضا وهم يتلاومون وتبعهم حتى ادخلهم الكناسة فقيل لابراهيم أصحابه اتبعهم
واغتنم ما دخلهم من الرعب فقال لا ولكن نأتي صاحبنا يؤمن الله بنا وحشته ويعلم ما كان من
نصرنا له فيزداد هو وأصحابه قوة مع اني لا آمن ان يكون قد أتى ثم سار ابراهيم حتى اتى باب المختار
فسمع الاصوات عالية والقوم يقتتلون وقد جاء شبث بن ربعي من قبل السبخة فعبى له المختار يزيد
ابن أنس وجاء حجار بن ابجر العجلي فجعل المختار في وجهه احمر بن شميط فبينما الناس يقتتلون اذ
جاء ابراهيم من قبل القصر فبلغ حجارا وأصحابه ان ابراهيم قد اتاهم من ورائهم فتفرقوا في الازقة
قبل ان يأتيهم وجاء قيس بن طهفة النهدي في قريب من مائة وهو من أصحاب المختار فحمل على
شبث بن ربعي وهو يقاتل يزيد بن أنس فخلى لهم الطريق حتى اجتمعوا واقبل شبث الى ابن مطيع
وقال له اجمع الامراء الذين بالجبانات وجميع الناس ثم انفذ الى هؤلاء القوم فقاتلهم فان امرهم

ذات العماد غير هذا وهذا
الموضع بدمشق في هذا
الوقت وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلثمائة سوق من
أسواقها عند باب المسجد
الجامع يعرف بجيرون
وجيرون هو بنيان عظيم
كان قصر هذا الملك عليه
أبواب من نحاس عجيبة
بعضها على ما كانت عليه
والبعض على مسجد الجامع
وقد ذكرنا فيما مر خبر
بني أسود (وسار بعد عاد
ابن عوص) ثمود بن عابر بن
ارم بن سام بن نوح بولده
ومن تبعه وهو يقول
أنا الفتى الذي دعي ثمودا
يا قوم سيروا ودعوا التريدا
لعلنا أن ندرك الوفودا
فنلحق البادي لنا الصديدا
انا أبينا اليعرب الحميدا
وعادما عاد الفتى الجليدا
فنزل هؤلاء الحجر الى فرع
وقد تقدم ذكرهم فيما
سلف من هذا الكتاب
وخبر نبيهم صالح عليه
السلام وانهم نحو وادي
القرى بين الشام والحجاز
(وسار بعد ثمود) جديس
ابن عملاق بن لاوذ بن ارم
ابن سام بن نوح بولده ومن
تبعه وهو يقول
انا جديس والمسير المسلكا
فدتك نفسي يا ثمود المهلكا
دعوتني فقد قصدت نحوكا
اذ سارت العبس وأبدت

قدقوى وقدخرج المختار وظهر واجتمع له أمره فلما بلغ قوله المختار خرج في جماعة من أصحابه
حتى نزل في ظهر دير هند في السبخة وخرج أبو عثمان النهدي فنادى في شاكر وهم مجتمعون
في دورهم يخافون ان يظهر والقرب كعب الخثعمي منهم وكان قد أخذ عليهم أفواه السكك فلما
أتاهم أبو عثمان في جماعة من أصحابه نادى يالثارات الحسين يامنصور أمت أمت ياأيها الحي
المهتدون ان أمين آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند وبعثني اليكم داعيا ومبشرا فاخرجوا
رحمكم الله فخرجوا يتداعون يالثارات الحسين وقاتلوا كعبا حتى خلى لهم الطريق فاقبلوا الى
المختار فنزلوا معه وخرج عبد الله بن قتادة في نحو من مائتين فنزل مع المختار وكان قد تعرض لهم
كعب فلما عرف أنهم من قومه خلى عنهم وخرجت شبام وهم حي من همدان من آخر ليلتهم فبلغ
خبرهم عبد الرحمن بن سعيد الهمداني فارسل اليهم ان كنتم تريدون المختار فلا تمروا على جبانة
السبيع فلحقوا بالمختار فتوافى الى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثنى عشر ألفا كانوا بايعوه
فاجتمعوا له قبل الفجر فاصبح وقد فرغ من تعبيته وصلى باصحابه بغلس وأرسل ابن مطيع الى
الجبانين فامر من بها ان يأتوا المسجد وأمر راشد بن اياس فنادى في الناس برئت الذمة من رجل لم
يأت المسجد الليلة فاجتمعوا فبعث ابن مطيع شبث بن ربعي في نحو ثلاثة آلاف الى المختار وبعث
راشد بن اياس في أربعة آلاف من الشرط فسار شبث الى المختار فبلغه خبره وقد فرغ من صلاة
الصبح فارسل من أتاه بخبرهم وأتى الى المختار ذلك الوقت سعر بن أبي سعر الحنفي وهو من أصحابه
لم يقدر على اتيانه الا تلك الساعة فرأى راشد بن اياس في طريقه فاخبر المختار خبره أيضا فبعث
المختار ابراهيم بن الاشتر الى راشد في سبعمائة وقيل في ستمائة فارس وستمائة راجل وبعث نعيم
ابن هبيرة أخا مصقلة بن هبيرة في ثلثمائة فارس وستمائة راجل وأمره بقتال شبث بن ربعي ومن معه
وأمرهما بتعجيل القتال وان لا يستهدفا للعدو فانه أكثر منهما فتوجه ابراهيم الى راشد وقدم
المختار يزيد بن أنس في موضع مسجد شبث بن ربعي في تسعمائة أمامه فتوجه نعيم الى شبث فقاتله
قتالا شديدا فجعل نعيم سعر بن أبي سعر على الخيل ومشى هو في الرجالة فقاتلهم حتى اشرقت
الشمس وانبسطت فانهزم أصحاب شبث حتى دخلوا البيوت فناداهم شبث وحرضهم فرجع اليه
منهم جماعة فحملوا على أصحاب نعيم وقد تفرقوا فهزموهم وصبر نعيم فقتل وأسر سعر بن أبي سعر
وجماعة من أصحابه فاطلق العرب وقتل الموالي وجاء شبث حتى أحاط بالمختار وكان قد وهن لقتل
نعيم وبعث ابن مطيع يزيد بن الحرث بن رويم في ألفين فوقفوا في أفواه السكك وولى المختار
يزيد بن أنس خيله وخرج هو في الرجالة فحملت عليه خيل شبث فلم يبرحوا مكانهم فقال لهم يزيد
ابن أنس يامعشر الشيعة انكم كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم وتسمل أعينكم وترفعون على
جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوكم فما ظنكم بهؤلاء
القوم اذا ظهروا عليكم اليوم والله لا يدعون منكم عينا تطرف وليقتلنكم صبرا ولترون منهم في
أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه والله لا ينجيكم منهم الا الصدق والصبر والطعن
الصائب والضرب الدارك فتهيؤا للحملة فتيسروا ينتظرون أمره وجثوا على ركبهم واما ابراهيم
ابن الاشتر فانه لقى راشدا فاذا معه أربعة آلاف فقال ابراهيم لاصحابه لا يهولنكم كثرة هؤلاء فوالله
لرب رجل خير من عشرة والله مع الصابرين وقدم خزيمة بن نصر اليهم في الخيل ونزل هو يمشي
في الرجالة وأخذ ابراهيم يقول لصاحب رايته تقدم برايتك امض بهؤلاء وبهؤلاء واقتتل الناس
قتالا شديدا وحمل خزيمة بن نصر العبسي على راشد فقتله ثم نادى قتلت راشدا ورب الكعبة

شخصكا
وقد قلنا فيما سلف انهم
هؤلاء الذين نزلوا اليمامة
(وسار بعد جديس)
عملاق بن لاوذ بن ارم بن
سام بن نوح ومن تبعه وهو
يقول
لما رأيت الناس ذا تبلبل
وسار مناذو اللسان الاول
وحدثنا في اللحاق الاول
فسرت حثا بالسوام المهمل
فنزل هؤلاء أكناف الحرم
والتهائم ومنهم من سار
الى بلاد مصر والمغرب
وقيل ان هؤلاء بعض
فراعنة مصر وقد ذكرنا
قول من ألحق من
العماليق وغيرهم ممن
ذكرنا بقطور بن اسحق بن
ابراهيم الخليل وزعم انهم
من ولد العيص على حسب
ماذكرنا فيما تقدم وقد
كانت العماليق ملوكا
كثيرة سلفت في مواضع
من الشام وغيره وقد أتينا
على أخبارهم وذكر
عمالكوم وحروبهم في
كتابنا أخبار الزمان وقد
ذكرنا فيما سلف من هذا
الكتاب قصة يوشع بن نون
مع ملك العماليق وانهم
انضافوا الى ملك الروم على
مشارق الشام والغرب
والجزيرة من ثغور الروم
فيما بينهم وبين فارس
(ثمن ملك الروم) من

وانهزم

وانهزم أصحاب راشد وأقبل ابراهيم وخزيمة ومن معهما بعد قتل راشد نحو المختار وأرسل البشير
الى المختار بقتل راشد فكبر هو وأصحابه وقويت نفوسهم ودخل أصحاب ابن مطيع الفشل
وأرسل ابن مطيع حسان بن فائد بن بكر العبسي في جيش كثيف نحو ألفين فاعترض ابراهيم
ليرده عمن بالسبخة من أصحاب ابن مطيع فتقدم اليهم ابراهيم فانهزموا من غير قتال وتأخر حسان
يحمي أصحابه فحمل عليه خزيمة فعرفه فقال ياحسان لولا القرابة لقتلتك فانج بنفسك فعثر به
فرسه فوقع فابتدره الناس فقاتل ساعة فقال له خزيمة أنت آمن فلا تقتل نفسك وكف عنه الناس
وقال لابراهيم هذا ابن عمي وقد امنته فقال احسنت وأمر بفرسه فاحضر فاركبه وقال الحق
باهلك وأقبل ابراهيم نحو المختار وشبث بن ربعي محيط به فلقيه يزيد بن الحرث وهو على أفواه
السكك التي تلي السبخة فاقبل الى ابراهيم ليصده عن شبث وأصحابه فبعث ابراهيم اليه طائفة من
أصحابه مع خزيمة بن نصر وسار نحو المختار وشبث فيمن بقي معه فلما دنا منهم ابراهيم حمل على
شبث وحمل يزيد بن أنس فانهزم شبث ومن معه الى أبيات الكوفة وحمل خزيمة بن نصر على يزيد
ابن الحرث فهزمه وازدحموا على أفواه السكك وفوق البيوت وأقبل المختار فلما انتهى الى أفواه
السكك رمته الرماة بالنبل فصدوه عن الدخول الى الكوفة من ذلك الوجه ورجع الناس من
السبخة منهزمين الى ابن مطيع وجاءه قتل راشد بن اياس فسقط في يده فقال له عمرو بن الحجاج
الزبيدي أيها الرجل لا تلق بيدك وأخرج الى الناس واندبهم الى عدوك فان الناس كثير وكلهم
معك الا هذه الطائفة التي خرجت والله يخزيها وانا أول منتدب فانتدب معي طائفة ومع غيري
طائفة فخرج ابن مطيع فقام في الناس ووبخهم على هزيمتهم وأمرهم بالخروج الى المختار
وأصحابه ولما رأى المختار انه قد منعه يزيد بن الحرث من دخول الكوفة عدل الى بيوت مزينة
وأحمس وبارق وبيوتهم منفردة فسقوا أصحابه الماء ولم يشرب هو فانه كان صائما فقال أحمر بن
شميط لابن كامل أتراه صائما قال نعم قال لو افطر كان أقوى له قال انه معصوم وهو أعلم بما يصنع
فقال أحمر صدقت أستغفر الله فقال المختار نعم المكان للقتال هذا فقال ابراهيم ان القوم قد هزمهم
الله وأدخل الرعب في قلوبهم سر بنا فوالله مادون القصر مانع فترك المختار هنالك كل شيخ ضعيف
ذي علة وثقلهم واستخلف عليهم أبا عثمان النهدي وقدم ابراهيم امامه وبعث ابن مطيع عمرو بن
الحجاج في ألفين فخرج عليهم فارسل المختار الى ابراهيم ان اطوه ولا تقم عليه فطواه وأقام وأمر
المختار يزيد بن أنس ان يواقف عمرو بن الحجاج فمضى اليه وسار المختار في أثر ابراهيم ثم وقف في موضع
مصلى خالد بن عبد الله ومضى ابراهيم ليدخل الكوفة من نحو الكناسة فخرج اليه شمر بن ذي
الجوشن في ألفين فسرح اليه المختار سعيد بن منقذ الهمداني فواقعه وأرسل الى ابراهيم يأمره
بالمسير فسار حتى انتهى الى سكة شبث فاذا نوفل بن مساحق في ألفين وقيل خمسة آلاف وهو
الصحيح وقد أمر ابن مطيع مناديا فنادى في الناس ان الحقوا بابن مساحق وخرج ابن مطيع
فوقف بالكناسة واستخلف شبث بن ربعي على القصر فدنا ابن الاشتر من ابن مطيع فامر أصحابه
بالنزول وقال لهم لا يهولنكم ان يقال جاء شبث وآل عتيبة بن النهاس وآل الاشعث وآل يزيد
ابن الحرث وآل فلان فسمى بيوتات أهل الكوفة ثم قال ان هؤلاء لو وجدوا حر السيوف
لانهزموا عن ابن مطيع انهزام المعزى من الذئب ففعلوا ذلك وأخذ ابن الاشتر اسفل قبائه فادخله
في منطقته وكان القباء على الدرع فلم يلبثوا حين حمل عليهم أن انهزموا يركب بعضهم بعضا على
افواه السكك وازدحموا وانتهى ابن الاشتر الى ابن مساحق فاخذ بعنان دابته ورفع السيف

العماليق أذينة بن السميدع
الذي ذكره الاعشى في قوله
ازال اذينة عن ملكه
واخرج عن ملكه ذا يزن
وقد كان ملك بعد العماليق
حسان بن اذينة بن طرب
ويقال هو الذي يعرف بأمه
ثم ملك عمرو بن طرب
ويقال هو الذي كان يعرف
بامه وقد كان بينه وبين
جذيمة الابرش الازدي
ابن مالك حروب كثيرة
فقتله جذيمة على ماذكرنا
وما كان من قتل الزباء
لجذيمة وقول الشاعر
كان عمرو بن زبالم يعش ملكا
ولم يكن حوله الرايات تختفق
لام جذيمة من ضرساء
مشعلة
فيها خراشف بالنيران
ترتشق
(ثم سار طسم) بن لاوذ بن
ارم بن سام بن نوح بعد
عملاق بن لاوذ بولده ومن
تبعه وهو يقول
انى أنا طسم وجدي سام
سام بن نوح وهو الامام
لما رأيت الاخ والاعلاما
قلت لنفسي ألحقي السواما
أخاك عملاقا وذا الاقدام
يا بنت لا كان ولي حام
فنزل هؤلاء البحرين وقد
كان جميع من ذكرنا بيدوا
وانتشروا في الارض على
حسب ماذكرنا من

عليه فقال له يا ابن الاشتر انشدك الله هل بيني وبينك من احنة أو تطلبني بثار فخلى سبيله وقال اذكرها فكان يذكرها له ودخلوا الكناسة في آثارهم حتى دخلوا السوق والمسجد وحصروا ابن مطيع ومعه الاشراف من الناس غير عمرو بن حريث فانه أتى داره ثم خرج الى البرية وجاء المختار حتى نزل جانب السوق وولى ابراهيم حصار القصر ومعه يزيد بن أنس واحمر بن شميط فحصروهم ثلاثا فاشتد الحصار عليهم فقال شبث لابن مطيع انظر لنفسك ولمن معك فوالله ماعندهم غنى عنك ولا عن انفسهم فقال أشيروا على فقال شبث الرأى ان تأخذ لنفسك ولنا امانا وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك فقال ابن مطيع انى لاكره ان آخذ منه امانا والامور لامير المؤمنين مستقيمة بالحجاز والبصرة قال فتخرج ولا يشعر بك أحد فتنزل بالكوفة عند من تثق اليه حتى تلحق بصاحبك وأشار بذلك عبد الرحمن بن سعيد واسماء بن خارجة وابن مخنف واشراف الكوفة فاقام حتى أمسى وقال لهم قد علمت ان الذين صنعوا هذا بكم انهم أراذلكم واخساؤكم وان اشرافكم وأهل الفضل منكم سامعون مطيعون وأنا مبلغ ذلك صاحبي ومعلمه طاعتكم وجهادكم حتى كان الله الغالب على أمره فاثنوا عليه خيرا وخرج عنهم وأتى دار أبي موسى فجاء ابن الاشتر ونزل القصر ففتح أصحابه الباب وقالوا يا ابن الاشتر آمنون نحن قال أنتم آمنون فخرجوا فبايعوا المختار ودخل المختار القصر فبات فيه واصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر وخرج المختار فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه فقال الحمد لله الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر وجعله فيه الى آخر الدهر وعدا مفعولا وقضاء مقضيا وقد خاب من افترى أيها الناس انا رفعت لنا راية ومدت لنا غاية فقيل لنا في الراية ان ارفعوها وفي الغاية أن اجروا اليها ولا تعدوها فسمعنا دعوة الداعي ومقالة الواعي فكم من ناع وناعية لقتلى في الواغية وبعدا لمن طغى وادبر وعصى وكذب وتولى الا فادخلوا أيها الناس وبايعوا بيعة هدى فلا والذي جعل السماء سقفا مكفوفا والارض فجاجا سبلا ما بايعتم بعد بيعة على بن أبي طالب وآل على اهدى منها ثم نزل ودخل عليه اشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا وكان ممن بايعه المنذر بن حسان وابنه حسان فلما خرجا من عنده استقبلهما سعيد بن منقذ الثوري في جماعة من الشيعة فلما رآهما قالوا هذان والله من رؤس الجبارين فقتلوا المنذر وابنه حسان فنهاهم سعيد حتى يأخذوا أمر المختار فلم ينتهوا فلما سمع المختار ذلك كرهه وأقبل المختار يمني الناس ويستجر مودة الاشراف ويحسن السيرة وقيل له ان ابن مطيع في دار أبي موسى فسكت فلما أمسى بعث له بمائة ألف درهم وقال تجهز بهذه فقد علمت مكانك وانك لم يمنعك من الخروج الا عدم النفقة وكان بينهما صداقة ووجد المختار في بيت المال تسعة آلاف ألف فاعطى اصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر وهم ثلاثة وخمسمائة لكل رجل منهم خمسمائة درهم واعطى ستة آلاف من أصحابه اتوه بعدما احاط بالقصر واقاموا معه تلك الليلة وتلك الايام الثلاثة مائتين مائتين واستقبل الناس بخير وجعل الاشراف جلساءه وجعل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكرى وعلى حرسه كيسان ابا عمرة فقام أبو عمرة على رأسه ذات يوم وهو مقبل على الاشراف بحديثه ووجهه فقال لابي عمرة بعض اصحابه من الموالى اما ترى أبا اسحق قد اقبل على العرب ما ينظر الينا فسأله المختار عما قالوا له فاخبره فقال قل لهم لا يشق عليكم ذلك فانتم مني وانا منكم وسكت طويلا ثم قرأ انا من المجرمين منتقمون فلما سمعوها

مساكنهم وكثرت جديس فلكت عليها الاسود بن عفار وكثرت طسم فلكت عليها عمليق بن جديس وقد ذكرنا عبيد بن شريد الجرهمى حين وفد على معاوية وأخبره أن طسم ابن لاوذ بن سام بن نوح هم العرب العاربة وقد كان منزلهم جميعا باليمامة واسمها اذ ذاك جو وكان لطسم ملك يقال له عملوق وكان ظلوما غشوما لا ينهاه شئ عن هواه مع اضراره واقدامه على جديس وتعديه عليهم وقهره اياهم فلبثوا في ذلك دهرا وهم أهل مظالم قد غمطوا النعمة وانتهكوا الحرمة وبلادهم أفضل البلاد وأكثرها خيرا فيها اصنوف الشجر والاعناب وهى حدائق متفقة وقصور مصطفة فلم يزل على ذلك حتى أتته امرأة من جديس يقال لها هزيلة بنت مازن وزوج لها قد فارقها يقال له ماشق فاراد قبض ولده منها فابت عليه فارتفعا الى الملك عملوق ليحكم بينهما فقالت المرأة أيها الملك هذا الذي حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا ولم أنل منه نفعا حتى اذا تمت أوصاله واستوفى خصاله

قال بعضهم لبعض أبشروا كانكم والله قد قتلتم يعني الرؤساء وكان أول راية عقدها المختار لعبد الله ابن الحرث اخي الاشتر على أرمينية وبعث محمد بن عمير بن عطارد على اذربيجان وبعث عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس على الموصل وبعث اسحق بن مسعود على المدائن وارض جوخى وبعث قدامة ابن أبي عيسى بن زمعة النصرى حليف ثقيف على بهقباذ الاعلى وبعث محمد بن كعب بن قرظة على بهقباذ الاوسط وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان وأمره بقتال الاكراد واقامة الطرق وكان ابن الزبير قد استعمل على الموصل محمد بن الاشعث بن قيس فلما ولى المختار وبعث عبد الرحمن ابن سعيد الى الموصل اميرا سار محمد عنها الى تكريت ينظر ما يكون من الناس ثم سار الى المختار فبايعه فلما فرغ المختار مما يريد صار يجلس للناس ويقضي بينهم ثم قال ان لى فيما أحاول لشغلا عن القضاء ثم أقام شريحا يقضي بين الناس ثم خافهم شريح فتمارض وكانوا يقولون انه عثماني وانه شهد على حجر بن عدى وانه لم يبلغ هانئ بن عروة ما ارسله به وان عليا عزله عن القضاء فلما بلغ شريحا ذلك منهم تمارض فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم ان عبد الله مرض فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائى

﴿ذكر قتل المختار قتلة الحسين عليه السلام﴾

وفي هذه السنة وثب المختار بمن بالكوفة من قتلة الحسين وكان سبب ذلك ان مروان بن الحكم لما استوسق له الشام بعث جيشين أحدهما الى الحجاز عليه حبيش بن دلجة القيني وقد ذكرنا أمره وقتله والجيش الآخر الى العراق مع عبيد الله بن زياد وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوابين وكان قد جعل لابن زياد ما غلب عليه وأمره ان ينهب الكوفة ثلاثا فاحتبس بالجزيرة وبها قيس عيلان مع زفر بن الحرث على طاعة ابن الزبير فلم يزل عبيد الله بن زياد مشتغلا بهم عن العراق نحو سنة فتوفي مروان وولى بعده ابنه عبد الملك بن مروان فاقر ابن زياد على ما كان أبوه ولاه وأمره بالجد في أمره فلما لم يمكنه في زفر ومن معه من قيس شئ أقبل الى الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار الى المختار يخبره بدخول ابن زياد أرض الموصل وانه قد تنحى له عن الموصل الى تكريت فدعا المختار يزيد بن أنس الاسدى وأمره ان يسير الى الموصل فينزل بادانى أرضها حتى يمده بالجنود فقال له يزيد خلنى انتخب ثلاثة آلاف فارس وخلنى مما توجهني اليه فان احتجت كتبت اليك استمدك فأجابه المختار فانتخب له ثلاثة آلاف وسار عن الكوفة وسار معه المختار والناس يشيعونه فلما ودعه قال له اذا لقيت عدوك فلا تناظرهم واذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها وليكن خبرك كل يوم عندي وان احتجت الى مدد فاكتب الى مع انى ممدك وان لم تستمد لانه أشد لعضدك وارعب لعدوك ودعا له الناس بالسلامة ودعا لهم فقال لهم سلوا الله لى الشهادة فوالله لئن فاتني النصر لا تفوتني الشهادة فكتب المختار الى عبد الرحمن بن سعيد أن خل بين يزيد وبين البلاد فسار يزيد الى المدائن ثم سار الى أرض جوخى والراذانات الى أرض الموصل فنزل بباقلى وبلغ خبره ابن زياد فقال لابعثن الى كل ألف ألفين فارسل ربيعة بن مخارق الغنوى في ثلاثة آلاف وعبد الله بن جملة الخثعمى في ثلاثة آلاف فسار ربيعة قبل عبد الله بيوم فنزل بيزيد بن أنس بباقلى فخرج يزيد بن أنس وهو مريض شديد المرض راكب على حمار يمسكه الرجال فوقف على أصحابه وعباهم وحثهم على القتال وقال ان هلكت فاميركم ورقاء بن العازب الاسدى فان هلك فاميركم عبد الله بن ضمرة العذرى فان هلك فاميركم سعر بن أبي سعر الحنفى وجعل على ميمنته عبد الله وعلى ميسرته سعرا وعلى الخيل ورقاء ونزل هو فوضع بين الرجال على سرير وقال قاتلوا عن

أراد أن يأخذه قسرا ويسلبنيه قهرا ويتركنى منه صفرا فال زوجها قد أخذت المهر كاملا ولم أنل منه نائلا الا وليدا خاملا فافعل ما أنت فاعلا فامر الملك أن يؤخذ الولد منها ويجعل في غلمانه فقالت هزيلة في ذلك

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا
فأبرم حكما في هزيلة ظالما
لعمرى لقد حكمت لا متورعا
ولا فهما عند الحكومة عالما
ندمت فلم أقدر على متزحزح
وأصبح زوجي جائر الرأى نادما

فبلغ الملك قول هزيلة فغضب وأمر أن تتزوج امرأة من جديس فتزف الى زوجها حتى تحمل اليه فيفترعها قبل زوجها فلقوا من ذلك ذلا طويلا ولم تزل تلك حالتهم حتى تزوجت عفيرة وقيل الشموس بنت عفار الطسمى أخت الاسود بن عفار فلما كانت ليلة هديها الى زوجها انطلق بها الى عملوق الملك ليطأها على عادته ومعه القينات يغنين ويقلن في غنائهن

ابدأ بعملوق وقومى فاركبى
وبادرى الصبح بأمر معجب
فما البكر بعدكم من مذهب

فلما دخلت عفيرة على عملوق وافترعها وخلى سبيلها خرجت عفيرة

أميركم ان شئتم أو فروا عنه وهو يأمر الناس بما يفعلون ثم يغمى عليه ثم يفيق واقتتل الناس عند فلق الصبح يوم عرفة واشتد قتالهم الى ارتفاع الضحى فانهزم أهل الشام وأخذ عسكرهم وانتهى أصحاب يزيد الى ربيعة بن مخارق وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل ينادى يا أولياء الحق انا ابن مخارق انما تقاتلون العبيد الاباق ومن ترك الاسلام وخرج منه فاجتمع اليه جماعة فقاتلوا معه واشتد القتال ثم انهزم أهل الشام وقتل ربيعة بن مخارق قتله عبد الله بن ورقاء الاسدى وعبد الله ابن ضمرة العذرى فلم يسر المنهزمون غير ساعة حتى لقيهم عبد الله بن جملة فى ثلاثة آلاف فرد معه المنهزمين ونزل يزيد بباقلى فباتوا ليلتهم يتحارسون فلما أصبحوا يوم الاضحى خرجوا الى القتال فاقتتلوا قتالا شديدا ثم نزلوا فصلوا الظهر ثم عادوا الى القتال فانهزم أهل الشام وترك ابن جملة فى جماعة فقاتل قتالا شديدا فحمل عليه عبد الله بن قراد الخثعمى فقتله وحوى أهل الكوفة عسكرهم وقتلوا فيهم قتالا ذريعا وأسروا منهم ثلثمائة أسير وأمر يزيد بن أنس بقتلهم وهو بآخر رمق فقتلوا ثم مات آخر النهار فدفنه أصحابه وسقط فى أيديهم وكان قد استخلف ورقاء بن عازب الاسدى فصلى عليه ثم قال لاصحابه ماذا ترون انه قد بلغنى ان ابن زياد قد أقبل اليكم فى ثمانين ألفا وانما أنا رجل منكم فأشيروا على فانى لا أرى لنا بأهل الشام طاقة على هذه الحال وقد هلك يزيد وتفرق عنا بعض من معنا ولو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا لقالوا انما رجعنا عنهم لموت أميرنا ولم يزالوا لنا هائبين وان لقيناهم اليوم كنا مخاطرين فان هزمونا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا اياهم بالامس فقالوا نعم ما رأيت فانصرفوا فبلغ ذلك المختار وأهل الكوفة فأرجف الناس بالمختار وقالوا ان يزيد قتل ولم يصدقوا انه مات فدعا المختار ابراهيم بن الاشتر وأمره على سبعة آلاف وقال له سر فاذا لقيت جيش يزيد بن أنس فانت الامير عليهم فارددهم معك حتى تلقى ابن زياد وأصحابه فتناجزهم فخرج ابراهيم فعسكر بحمام أعين وسار فلما سار اجتمع أشراف الكوفة عند شبث بن ربعى وقالوا والله ان المختار تأمر علينا بغير رضا منا ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدواب وأعطاهم فيئنا وكان شبث شيخهم وكان جاهليا اسلاميا فقال لهم شبث دعونى حتى ألقاه فذهب اليه فلم يدع شيئا انكروه الا ذكره له فأخذ لا يذكر خصلة الا قال له المختار انا أرضيهم فى هذه الخصلة وآتى لهم كل ما أحبوا وذكر له الموالى ومشاركتهم فى الفىء فقال له ان أنا تركت مواليكم وجعلت فيأكم لكم تقاتلون معى بنى أمية وابن الزبير وتعطونى على الوفاء عهد الله وميثاقه وما أطمئن اليه من الايمان فقال شبث حتى أخرج الى أصحابى فاذكر لهم ذلك فخرج اليهم فلم يرجع اليه وأجمع رأيهم على قتاله فاجتمع شبث بن ربعى ومحمد بن الاشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وشمر حتى دخلوا على كعب بن أبى كعب الخثعمى فكلموه فى ذلك فأجابهم اليه فخرجوا من عنده حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف الازدى فدعوه الى ذلك فقال لهم ان أطعتمونى لم تخرجوا فقالوا له لم فقال لانى أخاف ان تتفرقوا وتختلفوا ومع الرجل شجعانكم وفرسانكم مثل فلان وفلان ثم معه عبيدكم ومواليكم وكلمة هؤلاء واحدة ومواليكم أشد حنقا عليكم من عدوكم فهم مقاتلوكم بشجاعة العرب وعداوة العجم وان انتظرتموه قليلا كفيتموه بقدوم أهل الشام ومجىء أهل البصرة فيكفونه بغيركم ولم تجعلوا بأسكم بينكم فقالوا ننشدك الله ان تخالفنا وتفسد علينا رأينا وما أجمعنا عليه فقال انما أنا رجل منكم فاذا شئتم فاخرجوا فوثبوا بالمختار بعد مسير ابراهيم بن الاشتر وخرجوا بالجبانين كل رئيس بجبانة فلما بلغ المختار خروجهم أرسل قاصدا مجدا الى ابراهيم بن الاشتر فلحقه وهو بساباط فأمره بالرجوع والسرعة وبعث المختار اليهم فى ذلك

على قومها فى ذمائها شاقة
جيبها عن قبلها ودبرها وهى
تقول
لا احد أذل من جديس
أهكذا يفعل بالعروس
وقالت أيضا تحرض جديس
على طسم وأبت أن تمضى
الى زوجها من كلمة
أيصلح ما يؤتى الى فتياتكم
وأنتم رجال فيكم عدد الرمل
أيصلح تمشى فى الدما فتياتكم
صبيحة زفت فى النساء الى
البعل
فان أنتم لا تغضبوا بعد هذه
فكونوا نساء لا تفروا من
الكحل
ودونكم طيب العروس فانما
خلقتم لاثواب العروس
والغسل
فبعدا وسحقا للذى ليس
دافعا
ويختال يمشى بيننا مشية
الفحل
فلو أننا كنا الرجال وكنتم
نساء لكنا لا نقر على الذل
فموتوا كراما واصبروا
لعدوكم
بحرب تلظى فى القرام من
الجزل
ولا تجزعوا للحرب يا قوم انما
تقوم بأقوام كرام على
رجل
فيهلك فيها كل نكس موكل
ويسلم فيها ذو النجابة والفضل
وفى ذلك يقول أخوها
جاءت تمشى طسم فى خميس
كالربع فى هشهشة اليبيس

أخبرونى ماذا تريدون فانى صانع كل ما أحببتم قالوا نريد ان تعتزلنا فانك زعمت ان ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك قال فارسلوا اليه وفدا من قبلكم وأرسل أنا اليه وفدا ثم انظروا فى ذلك حتى يظهر لكم وهو يريد ان يريثهم بهذه المقالة حتى يقدم عليه ابراهيم بن الاشتر وأمر أصحابه فكفوا أيديهم وقد أخذ عليهم أهل الكوفة بأفواه السكك فلا يصل اليهم شىء الا القليل وخرج عبد الله ابن سبيع فى الميدان فقاتله بنو شاكر قتالا شديدا فجاءه عقبة بن طارق الجشمى فقاتل معه ساعة حتى ردهم عنه ثم أقبل فنزل عقبة مع شمر ومعه قيس عيلان فى جبانة سلول ونزل عبد الله بن سبيع مع أهل اليمن فى جبانة السبيع ولما سار رسول المختار وصل الى ابن الاشتر عشية يومه فرجع ابن الاشتر بقية عشيته تلك الليلة ثم نزل حتى أمسى وأراحوا دوابهم قليلا ثم سار ليلته كلها ومن الغد فوصل العصر وبات ليلته فى المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة ولما اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرت الصلوات فكره كل رأس من أهل اليمن ان يتقدمه صاحبه فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف هذا أول الاختلاف قدموا الرضى فيكم سيد القراء رفاعة بن شداد البجلى ففعلوا فلم يزل يصلى بهم حتى كانت الوقعة ثم ان المختار عبى أصحابه فى السوق وليس فيه بنيان فأمر ابن الاشتر فسار الى مضر وعليهم شبث بن ربعى ومحمد بن عمير بن عطارد وهم بالكناسة وخشى ان يرسله الى أهل اليمن فلا يبالغ فى قتال قومه وسار المختار نحو أهل اليمن بجبانة السبيع ووقف عند دار عمرو بن سعيد وسرح بين يديه أحمر بن شميط البجلى وعبد الله بن كامل الشاكرى وأمر كلا منهما بلزوم طريق ذكره له يخرج الى جبانة السبيع وأسر اليهما أن شباما قد أرسلوا اليه يخبرونه انهم يأتون القوم من ورائهم فمضيا كما أمرهما فبلغ أهل اليمن مسيرهما فافترقوا اليهما واقتتلوا أشد قتال رآه الناس ثم انهزم أصحاب أحمر بن شميط وأصحاب ابن كامل ووصلوا الى المختار فقال ما وراءكم قالوا هزمنا وقد نزل أحمر بن شميط ومعه ناس من أصحابه وقال أصحاب ابن كامل ما ندرى ما فعل ابن كامل فاقبل بهم المختار نحو القوم حتى بلغ دار أبى عبد الله الجدلى فوقف ثم أرسل عبد الله بن قراد الخثعمى فى اربعمائة الى ابن كامل وقال له ان كان قد هلك فانت مكانه وقاتل القوم وان كان حيا فاترك عنده ثلثمائة من أصحابك وامض فى مائة حتى تأتى جبانة السبيع فتأتى أهلها من ناحية حمام قطن فمضى فوجد ابن كامل يقاتلهم فى جماعة من أصحابه قد صبروا معه فترك عنده ثلثمائة رجل وسار فى مائة حتى أتى مسجد عبد القيس وقال لاصحابه انى أحب ان يظهر المختار وأكره ان تهلك أشراف عشيرتى اليوم والله لان أموت أحب الى من ان يهلكوا على يدى ولكن قفوا فقد سمعت ان شباما يأتونهم من ورائهم فلعلهم يفعلون ذلك ونعافى نحن منه فاجابوه الى ذلك فبات عند مسجد عبد القيس وبعث المختار مالك بن عمرو النهدى وكان شجاعا وعبد الله بن شريك النهدى فى أربعمائة الى أحمر بن شميط فانتهوا اليه وقد علاه القوم وكثروه فاشتد قتالهم عند ذلك واما ابن الاشتر فانه مضى الى مضر فلقى شبث بن ربعى ومن معه فقال لهم ابراهيم ويحكم انصرفوا فما أحب ان يصاب من مضر على يدى فأبوا وقاتلوه فهزمهم وجرح حسان بن فائد العبسى فحمل الى أهله فمات فكان مع شبث وجاءت البشارة الى المختار بهزيمة مضر فارسل الى احمر بن شميط وابن كامل يبشرهما فاشتد أمرهما فاجتمع شبام وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ليأتوا اليمن من ورائهم فقال بعضهم لبعض لو جعلتم جدكم على مضر وربيعة لكان أصوب وأبو القلوص ساكت فقالوا ما تقول فقال قال الله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فسار وامعه نحو أهل اليمن فلما خرجوا الى جبانة السبيع لقيهم على فم

يا طسم ما لقيت من جديس
حقا لك الويل فهيسى
هيس
قال فلما سمعت جديس بذلك
وغيره من قولها اجتمعت
عصبا لذلك فقال لهم الاسود
ابن عفار وكان فيهم سيدا
مطاعا يا جديس أطيعونى
فيما آمركم به وأدعوكم اليه
ففى ذلك عز الدهر وذهاب
الذل قالوا وما ذلك قال قد
علمتم أن هؤلاء يعنى طسما
ليسوا بأعز منكم ولكن
ملك صاحبكم عليكم وعليهم
هو الذى يذعننا اليه بالطاعة
ولولا ذلك ما كان له علينا
من فضل ولو امتنعنا منه
لكان لنا النصف فقالوا قد
قبلنا قولك ولكن القوم
أقراننا وأكثر عددا وعددا
منا فنخاف ان ظفروا بنا أن
لا يقيلونا فقال والله
يا جديس لتطيعونى فيما
آمركم به وأدعوكم اليه
أو لاتكئن على سيفى
فأقتل به نفسى قالوا فانا
نطيعك فيما قد عزمت
عليه قال فانى صانع لعمليق
وقومه من طسم طعاما
وداعيهم اليه فاذا جاؤا اليه
متفضلين من الخيل والبغال
نهضنا اليهم بأسيافنا
فانفردت أنا بالملك وانفرد
كل رجل منكم برجل منهم
قالوا فافعل ما بدا لك واجتمع
رأيهم عليه فقالت عفيرة
لاخيها الاسود لا تفعل
هذا فان الغدر فيه ذلة

السكة الاعسر الشاكرى فقتلوه ونادوا فى الجبانة وقد دخلوها يالثارات الحسين فسمعها يزيد بن عمير ذى مران الهمدانى فقال يالثارات عثمان فقال لهم رفاعة بن شداد مالنا ولعثمان لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان فقال له ناس من قومه جئت بنا وأطعناك حتى اذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت انصرفوا ودعوهم فعطف عليهم وهو يقول شعر

أنا ابن شداد على دين على * است لعثمان بن اروى بولى

لاصلين اليوم فيمن يصطلى * بحر نار الحرب غير مؤتلى

فقاتل حتى قتل وكان رفاعة مع المختار فلما رأى كذبه أراد قتله غيلة قال فمنعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم من ائتمنه رجل على دمه فقتله فانا منه برىء فلما كان هذا اليوم قاتل مع أهل الكوفة فلما سمع يزيد بن عمير يقول يالثارات عثمان عاد عنهم فقاتل مع المختار حتى قتل وقتل يزيد بن عمير بن ذى مران والنعمان بن صهبان الجرمى وكان ناسكا وقتل الفرات بن زحر بن قيس وجرح أبوه زحر وقتل عبد الله بن سعيد بن قيس وقتل عمر بن مخنف وقاتل عبد الرحمن بن مخنف حتى جرح وحملته الرجال على أيديهم وما يشعر وقاتل حوله رجال من الازد وانهزم أهل اليمن هزيمة قبيحة وأخذ من دور الوادعيين خمسمائة أسير فاتى بهم المختار مكتفين فأمر المختار باحضارهم وعرضهم عليه وقال انظروا من شهد منهم قتل الحسين فاعلمونى فقتل كل من شهد منهم قتل الحسين فقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين قتيلا وأخذ أصحابه يقتلون كل من كان يؤذيهم فلما سمع المختار بذلك أمر باطلاق كل من بقى من الاسارى وأخذ عليهم المواثيق ان لا يجامعوا عليه عدوا ولا يبغوه وأصحابه غائلة ونادى منادى المختار من أغلق بابه فهو آمن الا من شرك فى دماء آل محمد صلى الله عليه وسلم وكان عمرو بن الحجاج الزبيدى ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته وأخذ طريق واقصة فلم يره خبر حتى الساعة وقيل أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه ولما قتل فرات بن زحر بن قيس أرسلت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية وكانت امرأة الحسين الى المختار تسأله أن يأذن لها فى دفنه ففعل فدفنته وبعث المختار غلاما له يدعى زربى فى طلب شمر بن ذى الجوشن ومعه أصحابه فلما دنوا منه قال شمر لاصحابه تباعدوا عنى لعله يطمع فى فتباعدوا عنه فطمع زربى فيه ثم حمل عليه شمر فقتله وسار شمر حتى نزل مساء سدما ثم سار حتى نزل قرية يقال لها الكلتانية على شاطئ نهر الى جانب تل ثم أرسل الى أهل تلك القرية فاخذ منها علجا فضربه وقال امض بكتابى هذا الى مصعب بن الزبير فمضى العلج حتى دخل القرية وفيها أبو عمرة صاحب المختار وكان قد أرسله المختار الى تلك القرية ليكون مسلحة بينه وبين أهل البصرة فلقى ذلك العلج علجا آخر من تلك القرية فشكا اليه مالقى من شمر فبيناهو يكلمه اذ مر به رجل من أصحاب أبى عمرة اسمه عبد الرحمن بن أبى الكنود فرأى الكتاب وعنوانه لمصعب بن الزبير من شمر فقال للعلج أين هو فأخبره فاذا ليس بينه وبينهم الا ثلاثة فراسخ قال فاقبلوا يسيرون اليه وكان قد قال لشمر أصحابه لو ارتحلت بنا من هذه القرية فانا نتخوف منها فقال كل هذا فزعا من الكذاب والله لا أتحول منها ثلاثة أيام ملأ الله قلوبهم رعبا فانهم لنيام اذ سمع وقع الحوافر فقالوا فى أنفسهم هذا صوت الدبى ثم اشتد فذهب أصحابه ليقوموا فاذا بالخيل قد أشرفت من التل وكبروا وأحاطوا بالابيات فولى أصحابه هاربين وتركوا خيولهم وقام شمر وقد اتزر ببرد وكان أبرص فظهر بياض برصه من فوق البرد وهو يطاعنهم بالرمح وقد عجلوه عن لبس ثيابه وسلاحه وكان أصحابه قد فارقوه فلما أبعدوا عنه سمعوا التكبير وقائلا يقول قتل الخبيث قتله ابن أبى

وعار ولكن كابدوا القوم فى ديارهم تظفروا أوتموتوا كراما قال لا ولكن نمكر بهم فيكون ذلك أمكن لنا من نواصيهم وأبلغ فى الانتقام منهم فقالت عفيرة فى ذلك أشعارا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ثم ان الاسود صنع طعاما كثيرا وأمر قومه فاخترطوا سيوفهم ودفنوها فى الرمل حيث أعدوا الطعام ثم قال لهم اذا أتاكم القوم يرفلون فى حللهم فخذوا أسيافكم ثم تقدموا عليهم قبل ان يأخذوا مجالسهم وابدؤا بالرؤساء فانكم اذا قتلتموهم لم تبالوا بالسفلة ولم يكن بعد ذلك منهم حال تكرهونها فالوا نفعل ماقلت ثم دعا الاسود بعملوق الطسمى ومن معه من رؤساء طسم باليمامة فاسرعوا اجابة دعوة الاسود فلما توافوا الى المدعاة وثبت جديس فاستثاروا سيوفهم من الرمل وشدوا على عملوق وأصحابه فقتلوهم حتى أفنوهم عن آخرهم ومضوا الى ديارهم فانتهبوها وقال الاسود بن عفار فى ذلك أشعارا يرثى بها طسما ويذكر نعيها وفعل عملوق بأخته يطول عن ذكرها الكتاب وقد تقدمت فيما سلف من كتبنا قال وهرب

الكنود وهو الذى رأى الكتاب مع العلج وألقيت جثته للكلاب قال وسمعته بعد ان قاتلنا بالرمح ثم ألقاه وأخذ السيف فقاتلنا به وهو يرتجز شعر

نبهتم ليث عرين باسلا * جهما محياه يدق الكاهلا

لم ير يوما عن عدو ناكلا * الا كذا مقاتلا أو قاتلا

يبرحهم ضربا ويروى العاملا

وأقبل المختار الى القصر من جبانة السبيع ومعه سراقة بن مرداس البارقى أسيرا فناداه شعرا

امنن على اليوم ياخير معد * وخير من حل بشحر والجند * وخير من لبى وحيا وسجد

فارسله المختار الى السجن ثم احضره من الغد فاقبل اليه وهو يقول شعر

ألا أبلغ أبا اسحق انا * نزونا نزوة كانت علينا

خرجنا لانرى الضعفاء شيأ * وكان خروجنا بطرا وحينا

لقينا منهم ضربا طلحفا * وطعنا صائبا حتى انثنينا

نصرت على عدوك كل يوم * بكل كتيبة تنعى حسينا

كنصر محمد فى يوم بدر * ويوم الشعب اذ لاقى حنينا

فاسجح اذ ملكت فلو ملكنا * لجرنا فى الحكومة واعتدينا

تقبل توبة منى فانى * ساشكر اذ جعلت النقد دينا

قال فلما انتهى الى المختار قال اصلح الله الامير أحلف بالله الذى لا اله الا هو لقد رأيت الملائكة تقاتل معك على الخيول البلق بين السماء والارض فقال له المختار اصعد المنبر فاعلم الناس فصعد فاخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به فقال له انى قد علمت انك لم ترشيأ وانما أردت ماقد عرفت ان لا اقتلك فاذهب عنى حيث شئت لا تفسد على أصحابى فخرج الى البصرة فنزل عند مصعب وقال شعر

ألا أبلغ أبا اسحق أنى * رأيت البلق دهما مصمتات

كفرت بوحيكم وجعلت نذرا * على قتالكم حتى الممات

أرى عينى مالم تبصراه * كلانا عالم بالترهات

وقتل يومئذ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى وادعى قتله سعر بن أبى سعر وأبو الزبير الشبامى وشبام من همدان ورجل آخر فقال ابن عبد الرحمن لابى الزبير الشبامى أتقتل أبى عبد الرحمن سيد قومك فقرأ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلا من قومه وكان أكثر القتل ذلك اليوم فى أهل اليمن وكانت الوقعة لست ليال بقين من ذى الحجة سنة ست وستين وخرج أشراف الناس فلحقوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين وقال مامن ديننا ان نترك قتلة الحسين احياء بئس ناصر آل محمد صلى الله عليه وسلم أنا اذا فى الدنيا انا اذا الكذاب كما سمونى وانى أستعين بالله عليهم فسموهم لى ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم فانى لا يسوغ الى الطعام والشراب حتى أطهر الارض منهم فدل على عبد الله بن أسيد الجهنى ومالك بن بشير البدى وحمل بن مالك المحاربى فبعث اليهم المختار فاحضرهم من القادسية فلما رآهم قال يا أعداء الله ورسوله أين الحسين بن على أدوا الى الحسين قتلتم من أمرتم بالصلاة عليهم فقالوا رحمك الله بعثنا كارهين فامنن علينا واستبقنا فقال لهم هلا مننتم على الحسين ابن بنت نبيكم فاستبقيتموه وسقيتموه وكان البدى صاحب برنسه فأمر بقطع يديه ورجليه وترك

رجل من طسم وكان اسمه رباح بن مرة الطسمى فاتى الى حسان بن تبع الحميرى ملك اليمن يومئذ فاستغاث به وقد كان عمد الى جريدة نخل رطبة فجعل عليها طينا رطبا وحملها معه وأخرج معه كلبة فلما ورد على حسان كسر يد كلبته وفرغ الطين عن الجريدة فخرجت خضراء ودخل الى حسان واستعاذ به وأخبره بالذى صنعت جديس بقومه فقال له الملك لله أبوك فمن أين مبداك قال أبيت اللعن من أرض قريبة وقوم انتهك منهم مالم ينتهك من أحد أنا رباح ابن مرة الطسمى دعتنا جديس الى مدعاة لهم فاجبناهم منفصلين فى الحلل وقد أعدوا لنا السلاح عند جفانهم فلما ذقنا طعاما حتى صرنا حطاما بلا طلاب دم ولا ترة سلفت فدونك أبيت اللعن قوما قطعوا أرحامنا وسفكوا دماءنا قال الملك حسان أمعك خرجت هذه الجريدة وهذه الكلبة قال نعم فقال الملك ان كنت صادقا فلقد خرجت من أرض قريبة ووعده بالنصرة ثم نادى فى حمير بالمسير وأعلمهم بما فعل بطسم قالوا

يضطرب حتى مات وقتل الآخرين وأمر بزياد بن مالك الضبعي وبعمران بن خالد القشيري وبعبد الرحمن بن أبي خشارة البجلي وبعبد الله بن قيس الخولاني فأحضروا عنده فلما رآهم قال يا قتلة الصالحين وقتلة سيد شباب أهل الجنة قد أقاد الله منكم اليوم لقد جاءكم الورس في يوم نحس وكانوا نهبوا من الورس الذي كان مع الحسين ثم أمر بهم فقتلوا وأحضروا عنده عبد الله وعبد الرحمن ابني صلخت وعبد الله بن وهب بن عمرو الهمداني وهو ابن عم أعشى همدان فأمر بقتلهم فقتلوا وأحضر عنده عثمان بن خالد بن اسيد الدهماني الجهني وأبو أسماء بشر بن شميط القانصي وكانا قد اشتركا في قتل عبد الرحمن بن عقيل وفي سلبه فضرب أعناقهما وأحرقا بالنار ثم أرسل الى خولي بن يزيد الاصبحي وهو صاحب رأس الحسين فاختفى في مخرجه فدخل أصحاب المختار يفتشون عليه فخرجت امرأته واسمها العيوف بنت مالك وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين فقالت لهم ماتريدون فقالوا لها أين زوجك قالت لا أدري وأشارت بيدها الى المخرج فدخلوا فوجدوه وعلى رأسه قوصرة فاخرجوه وقتلوه الى جانب أهله وأحرقوه بالنار

﴿ذكر مقتل عمر بن سعد وغيره ممن شهد قتل الحسين﴾

ثم ان المختار قال يوما لاصحابه لاقتلن غدا رجلا عظيم القدمين غائر العينين مترف الحاجبين يسر قتله المؤمنين والملائكة المقربين وكان عنده الهيثم بن الاسود النخعي فعلم انه يعني عمر بن سعد فرجع الى منزله وأرسل الى عمر مع ابنه العريان يعرفه ذلك فلما قاله له قال جزى الله أباك خيرا كيف يقتلني بعد العهود والمواثيق وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة اكرم الناس على المختار لقرابته بعلي وكلمه عمر بن سعد ليأخذ له أمانا من المختار ففعل وكتب له المختار أمانا وشرط فيه ان لا يحدث وعني بالحدث دخول الخلاء ثم ان عمر بن سعد خرج من بيته بعد عود العريان عنه فاتى حمامه فاخبر مولى له بما كان منه وبأمانه فقال له مولاه وأي حدث أعظم مما صنعت تركت أهلك ورحلك وأتيت الى ههنا ارجع ولا تجعل عليك سبيلا فرجع وأتى المختار فاخبره بانطلاقه فقال كلا ان في عنقه سلسلة سترده وأصبح المختار فبعث اليه أبا عمرة فاتاه وقال أجب الامير فقام عمر فعثر في جبة له فضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وأخذ رأسه فاحضره عند المختار فقال المختار لابنه حفص بن عمر وهو جالس عنده أتعرف من هذا قال نعم ولا خير في العيش بعده فامر به فقتل وقال المختار هذا بحسين وهذا بعلي بن الحسين ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة ارباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله وكان السبب في تهيج المختار على قتله ان يزيد بن شراحيل الانصاري أتى محمد بن الحنفية وسلم عليه وجرى الحديث الى أن تذاكرا المختار فقال ابن الحنفية انه يزعم انه لنا شيعة وقتلة الحسين عنده على الكراسي يحدثونه فلما عاد يزيد اخبر المختار بذلك فقتل عمر بن سعد وبعث برأسه ورأس ابنه الى ابن الحنفية وكتب اليه يعلمه انه قد قتل من قدر عليه وانه في طلب الباقين ممن حضر قتل الحسين قال عبد الله بن شريك أدركت أصحاب الاردية المعلمة وأصحاب البرانس السود من أصحاب السواري اذا مر بهم عمر بن سعد قالوا هذا قاتل الحسين وذلك قبل ان يقتله وقال ابن سيرين قال علي لعمر بن سعد كيف أنت اذا قمت مقاما تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار ثم ان المختار أرسل الى حكيم بن طفيل الطائي وكان أصاب سلب العباس بن علي ورمى الحسين بسهم وكان يقول تعلق سهمي بسرباله وما ضره فاتاه أصحاب المختار فاخذوه وذهب أهله فشفعوا بعدي بن حاتم فكلمهم عدي فيه فقالوا ذلك الى المختار فمضى عدي الى المختار ليشفع فيه وكان المختار قد شفعه في نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع فقالت الشيعة انا نخاف ان يشفعه المختار فيه فقتلوه ورميا

بالسهام

من فعل هذا أبيت اللعن قال عبيدهم قالوا اما النافي هذا من أرب هم اخواننا فلا نعين بعضنا على بعض وهم عبيدك أيها الملك فدعهم فقال حسان ما هذا بحسن ارأيتم لو كان هذا فيكم أكان حسنا للملك ان يهدر دماءكم وما علينا في الحكم الا ان ننصف بعضنا من بعض فقام فرسانهم فقالوا أبيت اللعن الامر أمرك فمرنا بما أحببت فأمرهم بالمسير فساروا وسار بهم رباح ابن مرة حتى اذا صاروا من اليمامة على ثلاث قال رباح ابن مرة للملك حسان أبيت اللعن ان لي اختا متزوجة في جديس ليس في الارض أبصر منها انها تبصر الراكب على مسيرة ثلاث ليال وأنا أخاف ان تنذر القوم بك فتأمر كل واحد من أصحابك ان يقتلع شجرة من الارض فيجعلها امامه ثم يسير فأمر حسان بذلك ففعلوا ثم ساروا وكان اسم أخت رباح يمامة فأشرفت من منظرها فقالت يا جديس لقد سارت اليكم الشجر قالوا لها ما ذاك قالت أشجار تسير وراءها شيء واني لارى رجلا من وراء شجرة ينهش كتفا او يخصف نعلا فكذبوها

بالسهام كالرمي الحسين حتى صار كأنه القنفذ ودخل عدي بن حاتم على المختار فاجلسه معه فشفع فيه عدي فقال المختار أتستحل ان تطالب في قتلة الحسين فقال عدي انه مكذوب عليه قال اذا ندعه لك فدخل ابن كامل فاخبر المختار بقتله فقال ما أعجلكم الى ذلك ألا احضرتموه عندي وكان قد سره قتله فقال ابن كامل غلبتني عليه الشيعة فقال عدي لابن كامل كذبت ولكن ظننت ان من هو خير منك سيشفعني فقتلته فسبه ابن كامل فنهاه المختار عن ذلك وبعث المختار الى قاتل علي ابن الحسين وهو مرة بن منقذ من عبد القيس وكان شجاعا فاحاطوا بداره فخرج اليهم على فرسه وبيده رمحه فطاعنهم فضرب على يده وهرب منهم فنجا ولحق بمصعب بن الزبير وشلت يده بعد ذلك وبعث المختار الى زيد بن رقاد الجنابي كان يقول لقد رميت فتى منهم بسهم وكفه على جبهته يتقي النبل فاثبت كفه في جبهته فما استطاع ان يزيل كفه عن جبهته وكان ذلك الفتى عبد الله بن مسلم ابن عقيل وانه قال حين رميته اللهم انهم استقلونا واستذلونا فاقتلهم كما قتلونا ثم انه رمى الغلام بسهم آخر وكان يقول جئته وهو ميت فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه ولم أزل أنضض الآخر عن جبهته حتى أخذته وبقي النصل فلما أتاه أصحاب المختار خرج اليهم بالسيف فقال لهم ابن كامل لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فاحرقوه حيا وطلب المختار سنان بن أنس الذي كان يدعي قتل الحسين فرآه قد هرب الى البصرة فهدم داره وطلب عبد الله بن عقبة الغنوي فوجده قد هرب الى الجزيرة فهدم داره وكان قد قتل منهم غلاما وطلب آخر من بني أسد يقال له حرملة بن الكاهن كان قد قتل رجلا من أهل الحسين ففاته وطلب أيضا رجلا من خثعم اسمه عبد الله بن عروة الخثعمي كان يقول رميت فيهم باثني عشر سهما ففاته ولحق بمصعب بن الزبير فهدم داره وطلب أيضا عمرو بن الصبيح الصدائي كان يقول لقد طعنت فيهم وجرحت وما قتلت منهم أحدا فاتي ليلا فاخذ وأحضر عند المختار فامر باحضار الرماح وطعن بها حتى مات وأرسل الى محمد بن الاشعث وهو في قرية له الى جنب القادسية فطلبوه فلم يجدوه وكان قد هرب الى مصعب فهدم المختار داره وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدي الكندي كان زياد قد هدمها (بحير بن يسار بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة شبام بكسر الشين المعجمة والباء الموحدة بطن من همدان وهمدان بسكون الميم وبالدال المهملة وسعر بكسر السين المهملة وأحمر بن شميط بالحاء المهملة والراء المهملة وشميط بالشين المعجمة وشبث بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة جبانة أثير بضم الهمزة وبالثاء المثلثة وبالياء المثناة من تحت وبالراء المهملة عتيبة بن النهاس بالعين المهملة وبالتاء المثناة من فوق ثم بالياء المثناة من تحت وبالباء الموحدة حسان بن فائد بالفاء)

﴿ذكر بيعة المثنى العبدي للمختار بالبصرة﴾

وفي هذه السنة دعا المثنى بن مخربة العبدي بالبصرة الى بيعة المختار وكان ممن شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد ثم رجع فبايع للمختار فسيره الى البصرة يدعو بها اليه فقدم البصرة ودعا بها فاجابه رجال من قومه وغيرهم ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندها وجمعوا الميرة بالمدينة فوجه اليهم القباع أمير البصرة ودعا بها عباد بن حصين وهو على شرطته وقيس بن الهيثم في الشرط والمقاتلة فخرجوا الى السبخة ولزم الناس بيوتهم فلم يخرج أحد وأقبل عباد فيمن معه فتواقف هو والمثنى فسار عباد نحو مدينة الرزق وترك قيسا مكانه فلما أتى عباد مدينة الرزق أصعد على سورها

وكان ذلك كما ذكرت فغفلوا عن أخذ أهبة الحرب ففي ذلك تقول اليمامة لجديس تحذرهم

اني أرى شجرا من خلفها بشر
فكيف تجتمع الأشجار والبشر
ثوروا بأجمعكم في وجه أولهم
فان ذلك منكم فاعلموا ظفر

واقبل الملك حسان بحمير حتى اذا كان من جو على مسيرة ليلة عبى جيوشه ثم صبحها فاستباح أهلها من جديس قتلا فافنى نساءهم وصبيانهم وهرب الاسود ابن عفار ملكهم حتى نزل بدار طي فأجاروه من الملك وغيره من غير ان يعرفوه فيذكر ان نسله اليوم في طي مذكور فلما فرغ حسان من جديس دعا باليمامة بنت مرة وكانت امرأة زرقاء فامر فنزعت عيناها فاذا في داخلها عروق سود فسألها عن ذلك فقالت حجر أسود يقال له الاثمد كنت أكتحل به فنسب الى بصرى وكانت أول من اكتحل به فاتخذوه بعد ذلك كحلا وأمر الملك باليمامة فصلبت على باب جو وقال سموا جوا اليمامة فسميت بها الى اليوم (قال المسعودي) ثم سار بعد

ثلاثين رجلا وقال لهم اذا سمعتم التكبير فكبروا ورجع عباد الى قيس وأنشبوا القتال مع المثنى وسمع الرجال الذين فى دار الرزق التكبير فكبروا وهرب من كان بالمدينة وسمع المثنى التكبير من ورائهم فهرب فيمن معه فكف عنهم قيس وعباد ولم يتبعوهم وأتى المثنى قومه عبد القيس فارسل القباع عسكرا الى عبد القيس ليأتوه بالمثنى ومن معه فلما رأى زياد بن عمرو العتكى ذلك أقبل الى القباع فقال له لتردن خيلك عن اخواننا أو لنقاتلنهم فارسل القباع الاحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المخزومى ليصلحا بين الناس فاصلح الاحنف الامر على ان يخرج المثنى وأصحابه عنهم فاجابوه الى ذلك وأخرجوهم عنهم فسار المثنى الى الكوفة فى نفر يسير من أصحابه (مخربة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء وكسرها ثم باء مفتوحة)

﴿ذكر مكر المختار بابن الزبير﴾

فلما أخرج المختار عامل ابن الزبير عن الكوفة وهو ابن مطيع سار الى البصرة وكره ان يأتى ابن الزبير مهزوما فلما استجمع للمختار أمر الكوفة أخذ يخادع ابن الزبير فكتب اليه قد عرفت مناصحتى اياك وجهدى على أهل عداوتك وما كنت أعطيتنى اذا أنا فعلت ذلك فلما وفيت لك لم تف بما عاهدتنى عليه فان ترد مراجعتى ومناصحتى فعلت والسلام وكان قصد المختار ان يكف ابن الزبير عنه ليتم أمره والشيعة لا يعلمون بشئ من أمره فاراد ابن الزبير أن يعلم اسلم هو أم حرب فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى فولاه الكوفة وقال له ان المختار سامع مطيع فتجهز بما بين ثلاثين ألف درهم الى أربعين ألفا وسار نحو الكوفة وأتى الخبر الى المختار بذلك فدعا المختار زائدة بن قدامة وأعطاه سبعين ألف درهم وقال له هذا ضعف ما أنفق عمر بن عبد الرحمن فى طريقه الينا وامره أن يأخذ معه خمسمائة فارس ويسير حتى يلقاه بالطريق ويعطيه النفقة ويأمره بالعود فان فعل والا فأره الخيل فاخذ زائدة بن قدامة المال وسار حتى لقى عمر فاعطاه المال وأمره بالانصراف فقال له ان أمير المؤمنين قد ولانى الكوفة ولا بد من اتيانها فدعا زائدة الخيل وكان قد كمنها فلما رآها قد أقبلت أخذ المال وسار نحو البصرة فاجتمع هو وابن مطيع فى امارة الحرث بن أبى ربيعة وذلك قبل وثوب المثنى بن مخربة العبدى بالبصرة وقيل ان المختار كتب الى ابن الزبير انى اتخذت الكوفة دارا فان سوغتنى ذلك وأمرت لى بألف ألف درهم سرت الى الشام فكفيتك ابن مروان فقال ابن الزبير الى متى أماكر كذاب ثقيف ويماكرنى ثم تمثل شعر

عارى الجواعر من ثمود أصله * عبد ويزعم انه من يقدم

وكتب اليه والله ولا درهم

ولا أمترى عبد الهوان بدرتى * وانى لآتى الحتف مادمت أسمع

ثم ان عبد الملك بن مروان بعث عبد الملك بن الحرث بن أبى الحكم بن أبى العاص الى وادى القرى وكان المختار قد وادع ابن الزبير ليكف عنه ليتفرغ لاهل الشام فكتب المختار الى ابن الزبير قد بلغنى ان ابن مروان قد بعث اليك جيشا فان أحببت أمددتك بمدد فكتب اليه ابن الزبير ان كنت على طاعتى فبايع لى الناس قبلك وعجل انفاذ الجيش ومرهم ليسيروا الى من بوادى القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم والسلام فدعا المختار شرحبيل بن ورس الهمدانى فسيره فى ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالى وليس منهم من العرب الا سبعمائة رجل وقال سر حتى تدخل المدينة فاذا دخلتها فاكتب الى بذلك حتى يأتيك أمرى وهو يريد اذا دخلوا المدينة ان يبعث عليهم أميرا ثم يأمر ابن ورس بمحاصرة ابن الزبير بمكة وخشى ابن الزبير أن يكون المختار انما يكيده فبعث من مكة عباس بن سهل بن سعد فى ألفين وأمره ان يستنفر الاعراب وقال له

ان

طسم بن لاوذ وبار بن أميم ابن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه من قومه فنزل بأرض وبار بالارض المعروفة برمل عالج فاصابهم نقمة من الله فهلكوا ولما كان من بغيهم فى الارض وقد قدمنا فصلا من ذلك فيما سلف من هذا الكتاب على ما زعم الاخباريون من العرب وخروجهم بذلك عن حد العقول والعناد من الامر المفهوم بزعمهم ان الله عز وجل حين أهلك هذه الامة العظيمة المعروفة بوبار كما أهلك طسما وجديسا وداسما وكانت ديار داسم بارض السماوة فأهلكوا بالريح السوداء الحارة وطسم كانت ديارهم بالجولان والجيدور من أرض بواو بلاد حوران والتبت وذلك بين دمشق وطبرية من أرض الشام وعملاق وعاد وثمود وأن الجن كانت تسكن فى ديار وبار وحمتها من كل من أرادها وقصد اليها من الانس وأنها كانت أخصب بلاد الله عز وجل وأكثرها شجرا وأطيبها ثمرا وعنبا ونخلا وموزا وان دنا أحد من الناس الى تلك البلاد غالطا أو متعمدا حثت الجن فى وجهه التراب

ان رأيت القوم على طاعتى والا فكايدهم حتى تهلكهم فاقبل عباس بن سهل حتى لقى ابن ورس بالرقيم وقد عبى ابن ورس أصحابه وأتى عباس وقد تقطع أصحابه ورأى ابن ورس على الماء وقد عبى أصحابه فدنا منهم وسلم عليهم ثم قال لابن ورس سرا ألستم على طاعة ابن الزبير قال بلى قال فسر بنا على عدوه الذى بوادى القرى فقال ابن ورس ما أمرت بطاعتكم انما أمرت ان آتى المدينة فاذا أتيتها رأيت رأيى فقال له عباس ان كنتم فى طاعة ابن الزبير فقد أمرنى أن اسيركم الى وادى القرى فقال لا أتبعك اقدم المدينة وأكتب الى صاحبى فيأمرنى بأمره فقال عباس رأيك أفضل وفطن لما يريد وقال أما أنا فسائر الى وادى القرى ونزل عباس أيضا وبعث الى ابن ورس بجزائر وغنم مسلخة وكانوا قد ماتوا جوعا فذبحوا واشتغلوا بها واختلطوا على الماء وجمع عباس من أصحابه نحو ألف رجل من الشجعان وأقبل نحو فسطاط ابن ورس فلما رآهم نادى فى أصحابه فلم يجتمع اليه مائة رجل حتى انتهى اليه عباس واقتتلوا يسيرا فقتل ابن ورس فى سبعين من أهل الحفاظ ورفع عباس راية أمان لاصحاب ابن ورس فاتوها الا نحوا من ثلثمائة رجل مع سليمان ابن حمير الهمدانى وعباس بن جعدة الجدلى فظفر ابن سهل منهم بنحو من مائتين فقتلهم وأفلت الباقون فرجعوا فمات اكثرهم فى الطريق وكتب المختار بخبرهم الى ابن الحنفية يقول انى أرسلت اليك جيشا ليذلوا لك الاعداء ويحرزوا البلاد فلما قاربوا الطيبة فعل بهم كذا وكذا فان رأيت ان أبعث الى المدينة جيشا كثيفا وتبعث اليهم من قبلك رجلا حتى يعلموا انى فى طاعتك فافعل فانك ستجدهم بحقكم أعرف وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزبير والسلام فكتب اليه ابن الحنفية أما بعد فقد قرأت كتابك وعرفت تعظيمك لحقى وما تنوه به من سرورى وان أحب الامور كلها الى ما أطيع الله فيه فاطع الله ما استطعت وانى لو أردت القتال لوجدت الناس الى سراعا والاعوان لى كثيرا ولكن أعتزلكم وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأمره بالكف عن الدماء

﴿ذكر حال ابن الحنفية مع ابن الزبير ومسير الجيش من الكوفة﴾

ثم ان ابن الزبير دعا محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وشيعته وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة له صحبة ليبايعوه فامتنعوا وقالوا لا نبايع حتى تجتمع الامة فاكثر الوقيعة فى ابن الحنفية وذمه فأغلظ له عبد الله بن هانئ الكندى وقال انه لم يضرك الا تركنا بيعتك لا يضرك شئ وان صاحبنا يقول لو بايعتنى الامة كلها غير سعد مولى معاوية ما قبلته وانما عرض بذكر سعد لان ابن الزبير أرسل اليه فقتله فسبه عبد الله وسب أصحابه وأخرجهم من عنده فاخبروا ابن الحنفية بما كان منهم فامرهم بالصبر ولم يلح عليهم ابن الزبير فلما استولى المختار على الكوفة وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس الى الرضا به فالح عليه وعلى أصحابه فى البيعة له فحبسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل والاحراق وأعطاه الله عهدا ان لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم به وضرب لهم فى ذلك أجلا فاشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث الى المختار يعلمه حالهم فكتب الى المختار بذلك وطلب منه النجدة فقرأ المختار الكتاب على الناس وقال ان هذا مهديكم وصريح أهل بيت نبيكم قد تركوه ومن معه محصورا عليهم كما يحصر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق فى الليل والنهار لست أبا اسحق ان لم انصرهم نصرا مؤزرا وان لم أسرب الخيل فى أثر الخيل كالسيل يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل يعنى ابن الزبير وذلك ان أم خويلد أبى العوام زهرة بنت عمرو من بنى كاهل بن أسد بن خزيمة

وسفت عليه سوافى الرمل وأثارت عليه الزوابع فان أراد الرجوع خبلوه وتيهوه وربما قتلوه وهذا الموضع عند كثير من ذوى الحجا باطل فاذا قيل لهم دلونا على جهته وقفونا على حده زعموا أنها من أرادها أعمى على قلبه كأنهم كبنى اسرائيل الذين كانوا مع موسى فى التيه فصدهم الله تعالى عن الخروج ولم يجعل لهم سبيلا الى ان تم فيهم مراده وانتهى فيهم حكمه وقد قال فى ذلك شاعرهم يخبر بمثل ما وصفنا من قولهم فى هذه الارض المجهولة

دعاجة لا يهتدى لمقيله * من اللؤم حتى يهتدى لوبار

وداع دعا والليل مرخ سدوله * رجاء القرى يا مسلم بن جبار

وأقوالهم فى مثل هذا كثيرة والعرب ممن سلف وخلف فى الجاهلية والاسلام يخبرونا عن هذه الارض كاخبارهم عن وادى الروم والصمان والدهناء والرمل الذى بدارين وغيرها من الارضين التى نزلوا فيها يجتمعون عليها طلبا للماء والكلا وزعموا أنه ليس بهذه الارض اليوم أحد الا الجن والابل الوحشية وهى عندهم من الابل التى قد ضربت فيها فحول الجن فالوحشية من نسل ابل الجن والعبدية والعسجدية والعمانية قد ضربت فيها

فبكى الناس وقالوا سرحنا اليه وعجل فوجه أبا عبد الله الجدلى فى سبعين راكبا من أهل القوة ووجه ظبيان بن عمرة أخا بنى تميم ومعه أربعمائة وبعث معه لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم وسير أبا المعمر فى مائة وهانئ بن قيس فى مائة وعمير بن طارق فى أربعين ويونس بن عمران فى أربعين فوصل أبو عبد الله الجدلى الى ذات عرق فأقام بها حتى أتاه عمير ويونس فى ثمانين راكبا فبلغوا مائة وخمسين رجلا فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات وهم ينادون يالثارات الحسين حتى انتهوا الى زمزم وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم وكان قد بقى من الاجل يومان فكسروا الباب ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير فقال لهم انى لا أستحل القتال فى الحرم فقال ابن الزبير واعجبا لهذه الخشبية ينعون الحسين كانى أنا قتلته والله لو قدرت على قتلته لقتلتهم وانما قيل لهم خشبية لانهم دخلوا مكة وبايديهم الخشب كراهة اشهار السيوف فى الحرم وقيل لانهم أخذوا الحطب الذى أعده ابن الزبير وقال ابن الزبير أتحسبون انى أخلى سبيلهم دون أن يبايع ويبايعون فقال الجدلى اى ورب الركن والمقام لتخلين سبيله أو لنجالدنك باسيافنا جدا الارتاب منه المبطلون فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ثم قدم باقى الجند ومعهم المال حتى دخلوا المسجد الحرام فكبروا وقالوا يالثارات الحسين فخافهم ابن الزبير وخرج محمد بن الحنفية ومن معه الى شعب على وهم يسبون ابن الزبير ويستأذنون محمدا فيه فابى عليهم فاجتمع مع محمد فى الشعب أربعة آلاف رجل فقسم بينهم المال وعزوا وامتنعوا فلما قتل المختار تضعضعوا واحتاجوا ثم ان البلاد استوثقت لابن الزبير بعد قتل المختار فارسل الى ابن الحنفية ادخل فى بيعتى والا نابذتك وكان رسوله عروة بن الزبير فقال ابن الحنفية بؤسا لاخيك ما ألجه فيما اسخط الله وأغفله عن ذات الله وقال لاصحابه ان ابن الزبير يريد أن يثور بنا وقد أذنت لمن أحب الانصراف عنا فانه لا ذمام عليه منا ولا لوم فانى مقيم حتى يفتح الله بينى وبين ابن الزبير وهو خير الفاتحين فقام اليه أبو عبد الله الجدلى وغيره فاعلموه انهم غير مفارقيه وبلغ خبره عبد الملك بن مروان فكتب اليه يعلمه انه ان قدم عليه أحسن اليه وانه ينزل الى الشام ان أراد حتى يستقيم أمر الناس فخرج ابن الحنفية وأصحابه الى الشام وخرج معه كثير عزة وهو يقول شعر

هديت يامهدينا ابن المهتدى * أنت الذى نرضى به ونرتجى
أنت ابن خير الناس من بعد النبى * أنت امام الحق لسنا نمترى
يا ابن على سر ومن مثل على

فلما وصل مدين بلغه غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد فندم على اتيانه وخافه فنزل أيلة وتحدث الناس بفضل محمد وكثرة عبادته وزهده وحسن هديه فلما بلغ ذلك عبد الملك ندم على اذنه له فى قدومه بلده فكتب اليه انه لا يكون فى سلطانى من لم يبايعنى فارتحل الى مكة ونزل شعب أبى طالب فارسل اليه ابن الزبير يأمره بالرحيل عنه وكتب الى أخيه مصعب بن الزبير يأمره أن يسير نساء من مع ابن الحنفية فسير نساء منهن امرأة أبى الطفيل عامر بن واثلة فجاءت حتى قدمت عليه فقال الطفيل شعر

ان يك سيرها مصعب * فانى الى مصعب متعب
أقود الكتيبة مستلئما * كانى أخو عزة أجرب

وهى عدة أبيات وألح ابن الزبير على ابن الحنفية بالانتقال الى مكة فاستأذنه أصحابه فى قتال ابن الزبير فلم يأذن لهم وقال اللهم ألبس ابن الزبير لباس الذل والخوف وسلط عليه وعلى أشياعه من

الوحشية وفى ذلك يقول زهير بن أبى سلمى
كانى على وحشية أو نعامة
لها نسب فى الطير وهو ظليم
والاشعار فى ذلك كثيرة (وفى بسطنا) لجوامع أخبار العرب فيما نقلته عن أسلافها مما أمكن كونه وخرج عن حد الوجوب والجواز خروج عن حد الايجاز والاختصار وقد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا (وسار بعد وبار بن أميم) عبد ضخم بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه فنزلوا الطائف فولك هؤلاء ببعض غوائل الدهر فدثروا وذكرتهم الشعراء وفيهم يقول الازدى
وعبد ضخم اذا نسبتهم
ابيض أهل الحى بالنسب
ابتدعوا منطقا يجمعهم
فبين الخط لخة العرب
(وذكر) أن هؤلاء أول من كتب بالعربية ووضع حروف المعجم وهى حروف اب ت ث وهى التسعة والعشرون حرفا وقد قيل غير ذلك على حسب تنازع بدء الكتابة (وسار) بعد عبد ضخم بن ارم جرهم بن قحطان بولده ومن تبعه وطافوا البلاد حتى أتوا مكة فنزلوها وفى ذلك يقول مضاض بن عمرو الجرهمى

يسومهم الذى يسوم الناس ثم سار الى الطائف فدخل ابن عباس على ابن الزبير وأغلظ له فجرى بينهما كلام كرهنا ذكره وخرج ابن عباس أيضا فلحق بالطائف ثم توفى فصلى عليه ابن الحنفية وكبر عليه أربعا وبقى ابن الحنفية حتى حصر الحجاج ابن الزبير فأقبل من الطائف فنزل الشعب فطلبه الحجاج ليبايع عبد الملك فامتنع حتى يجتمع الناس فلما قتل ابن الزبير كتب ابن الحنفية الى عبد الملك يطلب منه الامان له ولمن معه وبعث اليه الحجاج يأمره بالبيعة فأبى وقال قد كتبت الى عبد الملك فاذا جاءنى جوابه بايعت وكان عبد الملك كتب الى الحجاج يوصيه بابن الحنفية فتركه فلما قدم رسول ابن الحنفية وهو أبو عبد الله الجدلى ومعه كتاب عبد الملك بامانه وبسط حقه وتعظيم أهله حضر عند الحجاج وبايع لعبد الملك بن مروان وقدم عليه الشام وطلب منه أن لا يجعل للحجاج عليه سبيلا فأزال حكم الحجاج عنه وقيل ان ابن الزبير أرسل الى ابن عباس وابن الحنفية أن يبايعا فقالا حتى يجتمع الناس على امام ثم نبايع فانك فى فتنة فعظم الامر بينهما وغضب من ذلك وحبس ابن الحنفية فى زمزم وضيق على ابن عباس فى منزله وأراد احراقهما فارسل المختار جيشا كما تقدم فأزال عنهما ضرر ابن الزبير فلما قتل المختار قوى عليهما ابن الزبير وقال لا تجاورانى فخرجا الى الطائف وأرسل ابن عباس ابنه عليا الى عبد الملك بالشام وقال لان يربنى بنو عمى أحب الى من أن يربنى رجل من بنى أسد يعنى بنى عمه بنى أمية لانهم جميعهم من ولد عبد مناف ويعنى برجل من بنى أسد ابن الزبير فانه من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى ولما وصل على بن عبد الله بن عباس الى عبد الملك سأله عن اسمه وكنيته فقال اسمى على والكنية أبو الحسن فقال لا يجتمع هذا الاسم وهذه الكنية فى عسكرى أنت أبو محمد ولما وصل ابن عباس الى الطائف توفى به وصلى عليه ابن الحنفية

(ذكر الفتنة بخراسان)

فى هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من بنى تميم بسبب قتلهم ابنه محمدا وقد تقدم ذكره فلما تفرقت بنو تميم بخراسان على ما تقدم أتى قصره قريبا عدة من فرسانهم ما بين السبعين الى الثمانين فولوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المازنى ومعه شعبة بن ظهير النهشلى وورد بن الفلق العنبرى وزهير بن ذؤيب العدوى وجيهان بن مشجعة الضبى والحجاج بن ناشب العدوى ورقبة بن الحر فى فرسان من تميم وشجعانهم فحاصرهم ابن خازم فكانوا يخرجون اليه فيقاتلونه ثم يرجعون الى القصر فخرج ابن خازم يوما فى ستة آلاف وخرج اليه أهل القصر فقال لهم بشر ارجعوا فلن تطيقوه فحلف زهير بن ذؤيب بالطلاق انه لا يرجع حتى يتعرض صفوفهم فاستبطن نهرا قد يبس فلم يشعر به أصحاب عبد الله حتى حمل عليهم فحط أولهم على آخرهم واستدار وكر راجعا واتبعوه يصيحون به ولم يجسر أحد ينزل اليه حتى رجع الى موضعه فحمل عليهم فافرجوا له حتى رجع فقال ابن خازم لاصحابه اذا طاعنتم زهيرا فاجعلوا فى رماحكم كلاليب ثم علقوها فى سلاحه فخرج اليهم يوما فطاعنهم فاعلقوا فيه أربعة أرماح بالكلاليب فالتفت اليهم ليحمل عليهم فاضطربت أيديهم وخلوا رماحهم فعاد يجر أربعة أرماح حتى دخل القصر فارسل ابن خازم الى زهير يضمن له مائة ألف وميسان طعمة ليناصحه فلم يجبه فلما طال الحصار عليهم أرسلوا الى ابن خازم ليمكنهم من الخروج ليتفرقوا فقال لا الا على حكمى فاجابوا الى ذلك فقال زهير ثكلتكم أمهاتكم والله ليقتلنكم عن آخركم وان طبتم بالموت نفسا فموتوا كراما اخرجوا بنا جميعا فاما أن تموتوا كراما واما أن ينجو بعضكم ويهلك بعضكم وايم الله لئن شددتم عليهم شدة صادقة ليفرجن لكم فان شئتم كنت أمامكم وان شئتم كنت خلفكم فأبوا

هذا سبيل كسبيل يعرب
البادئ القول المبين
المعرب
ياقوم سيروا عن فعال الاجنب
جرهم جدى وقحطان أبى
(وسار أميم بن لاوذ بن ارم) بعد جرهم بن قحطان فحل بأرض فارس فالفرس على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب فى باب تنازع الناس فى أنساب فارس من ولد كيومرث ابن أميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح وفى ذلك يقول بعض من تقدم من أهل الحكمة من شعراء فارس فى الاسلام
أبونا أميم الخير من قبل فارس
وفارس أرباب الملوك بهم نخرى
وما عد قوم من حديث وحادث
من المجد الا ذكرنا أفضل الذكر
وقد ذكر جماعة من أهل السير والاخبار أن جميع من ذكرنا من هذه القبائل كانوا أهل خيم وبدو مجتمعين فى مساكنهم من الارض وأن أميما أول من ابتنى البنيان ورفع الحيطان وقطع الاشجار وسقف السقوف واتخذ السطوح وأن ولد حام بن نوح حلوا

عليه فقال ساريكم ثم خرج هو ورقبة بن الحر وغلام تركي وابن ظهير فحملوا على القوم حملة منكرة فأفرجوا لهم فمضوا وأقام زهير فرجع ونجا أصحابه فلما رجع زهير الى من بالقصر قال قد رأيتم أطيعوني قالوا انا نضعف عن هذا ونطمع في الحياة فقال لا أكون أعجزكم عند الموت فنزلوا على حكم ابن خازم فأرسل اليهم فقيدهم وحملوا اليه رجلا رجلا فأراد أن يمن عليهم فأبى عليه ابنه موسى وقال له ان عفوت عنهم قتلت نفسي فقتلهم الا ثلاثة أحدهم الحجاج بن ناشب فشفع فيه بعض من معه فأطلقه والآخر جيهان بن مشجعة الضبي الذي ألقى نفسه على محمد بن عبد الله كما تقدم والآخر رجل من بني سعد من تميم وهو الذي رد الناس عن ابن خازم يوم لحقوه وقال انصرفوا عن فارس مضر وقال ولما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب وهو مقيد أبى واعتمد على رمحه فوثب الخندق ثم اقبل الى ابن خازم يحجل في قيوده فجلس بين يديه فقال له ابن خازم كيف شكرك ان أطلقتك وأطعمتك ميسان قال لو لم تصنع بي الا حقن دمي لشكرتك فلم يمكنه ابنه موسى من اطلاقه فقال له أبوه ويحك نقتل مثل زهير من لقتال عدو المسلمين من لحمى نساء العرب فقال والله لو شركت في دم أخي اقتلتك فأمر بقتله فقال زهير ان لي حاجة لا تقتلني ويخلط دمي بدماء هؤلاء اللئام فقد نهيتهم عما صنعوا وأمرتهم ان يموتوا كراما ويخرجوا عليكم مصلتين وايم الله لو فعلوا لاذعروا ابنك هذا وشغلوه بنفسه عن طلب ثار أخيه فأبوا ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل رجالا فأمر به ابن خازم فقتل ناحية فلما بلغ الحريش قتلهم قال

أعاذل اني لم ألم في قتالهم * وقد عض سيفي كبشهم ثم صمما
أعاذل ما وليت حتى تبددت * رجال وحتى لم أجد متقدما
أعاذل افناني السلاح ومن يطل * مقارعة الابطال يرجع مكلما
أعيني ان انزفتما الدمع فاسكبا * دما لازما لي دون ان تكفا دما
أبعد زهير وابن بشر متابعا * وورد أرجي في خراسان مغنما
أعاذل كم من يوم حرب شهدته * اكر اذا ما فارس السوء أحجما

يعني زهير بن ذؤيب وابن بشر هو عثمان وورد بن الفلق

﴿ذكر مسير ابن الاشتر الى قتال ابن زياد﴾

وفي هذه السنة لثمان بقين من ذي الحجة سار ابراهيم بن الاشتر لقتال عبيد الله بن زياد وكان مسيره بعد فراغ المختار من وقعة السبيع بيومين وأخرج المختار معه فرسان أصحابه ووجوههم وأهل البصائر منهم ممن له تجربة وخرج معه المختار يشيعه فلما بلغ دير عبد الرحمن ابن أم الحكم لقيه أصحاب المختار ومعهم الكرسي يحملونه على بغل أشهب وهم يدعون الله له بالنصر ويستنصرونه وكان سادن الكرسي حوشب البرسمي فلما رآهم المختار قال

أما ورب المرسلات عرفا * ليقتلن بعد صف صفا * وبعد ألف قاسطين ألفا

ثم ودعه المختار وقال له خذ عني ثلاثا خف الله عز وجل في سر أمرك وعلانيتك وعجل السير واذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم ورجع المختار وسار ابراهيم فانتهى الى أصحاب الكرسي وهم عكوف عليه قد رفعوا أيديهم الى السماء يدعون الله فقال ابراهيم اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا هذه سنة بني اسرائيل والذي نفسي بيده اذ عكفوا على عجلهم ثم رجعوا وسار الى قصده

﴿ذكر حال الكرسي الذي كان المختار يستنصر به﴾

قال الطفيل بن جعدة بن هبيرة أضقنا اضاقة شديدة فخرجت يوما فاذا جار لي زيات عنده كرسي

بلاد الجنوب وأن ولد كوش بن كنعان خاصة هم النوبة على حسب ما قدمنا آنفا في باب السودان من هذا الكتاب وأن فخذا من ولد كنعان بن حام ساروا نحو بلاد افريقية وطنجة من أرض المغرب فنزلوها وزعم هذا القائل أن البربر من ولد كنعان بن حام (وقد تنازع الناس) في بدء انساب البربر فمنهم من رأى أنهم من غسان وغيرهم من اليمن وأنهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مارب عندما كان من سيل العرم ومنهم من رأى انهم من قيس عيلان ومنهم من رأى غير ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا (ونزل) كنعان بن حام والاغلب من ولد كنعان بلاد الشام فهم الكنعانيون وبهم نعرف تلك الديار فقيل بلاد كنعان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أخبار مصر بن حام ومصر والانباط (وسار) بوقر بن لوط بن حام بولده ومن تبعه الى أرض الهند والسند وبالسند أمم لهم أجسام طوال وهم من بلاد المنصورة من أرض السند فعلى هذا القول ان الهند والسند من ولد بوقر ابن حام بن نوح فولد حام

ركبه

ركبه الوسخ فقلت في نفسي لو قلت للمختار في هذا شيأ فأخذته من الزيات وغسلته فخرج عود نضار قد شرب الدهن وهو يبض قال فقلت للمختار اني كنت اكتمك شيأ وقد بدا لي أن أذكره لك ان أبي جعدة كان يجلس على كرسي عندنا ويروي ان فيه أثرا من علي قال سبحان الله أخرته الى هذا الوقت ابعث به فأحضرته عنده وقد غشي فأمر لي باثني عشر ألفا ثم دعا الصلاة جامعة فاجتمع الناس فقال المختار انه لم يكن في الأمم الخالية أمر الا وهو كائن في هذه الامة مثله وانه كان في بني اسرائيل التابوت وان هذا فينا مثل التابوت فكشفوا عنه وقامت السبئية فكبروا ثم لم يلبثوا ان أرسل المختار الجند لقتال ابن زياد وخرج بالكرسي على بغل وقد غشي فقتل أهل الشام مقتلة عظيمة فزادهم ذلك فتنة فارتفعوا حتى تعاطوا الكفر فندمت على ما صنعت وتكلم الناس في ذلك فغيبه وقيل ان المختار قال لآل جعدة بن هبيرة وكانت أم جعدة أم هانئ أخت علي بن أبي طالب لابويه ائتوني بكرسي علي فقالوا والله ما هو عندنا فقال لا تكونون حمقى اذهبوا فأتوني به قال فظنوا أنهم لا يأتونه بكرسي الا قال هذا هو وقبله منهم فأتوه بكرسي وقبضه منهم وخرجت شبام وشاكر ورؤس أصحاب المختار وقد جعلوا عليه الحرير وكان أول من سدنه موسى بن أبي موسى الاشعري كان يلم بالمختار لان أمه أم كلثوم بنت الفضل بن العباس فعتب الناس على موسى فتركه وسدنه حوشب البرسمي حتى هلك المختار وقال أعشى همدان في ذلك شعر

شهدت عليكم انكم سبئية * واني بكم يا شرطة الشرك عارف
فأقسم ما كرسيكم بسكينة * وان كان قد لفت عليه اللفائف
وان ليس كالتابوت فينا وان سعت * شبام حواليه ونهد وخارف
واني امرؤ أحببت آل محمد * وتابعت وحيا ضمنته المصاحف
وبايعت عبد الله لما تتابعت * عليه قريش شمطها والغطارف

وقال المتوكل الليثي

أبلغ أبا اسحق ان جئته * اني بكرسيكمو كافر
تروا شبام حول أعواده * وتحمل الوحي له شاكر
محمرة أعينهم حوله * كأنهن الحامض الحازر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان على المدينة مصعب بن الزبير عاملا لاخيه عبد الله وعلى البصرة عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي لابن الزبير أيضا وكان بالكوفة المختار متغلبا عليها وبخراسان عبد الله بن خازم وفي هذه السنة توفي أسماء بن حارثة الاسلمي وله صحبة وهو من أصحاب الصفة وقيل بل مات بالبصرة في امارة ابن زياد وتوفي جابر بن سمرة وهو ابن أخت سعد بن أبي وقاص وقيل مات في امارة بشر بن هرون وتوفي أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة ابن بدر الفزاري سيد قومه (حارثة بالحاء المهملة والثاء المثلثة)

﴿ثم دخلت سنة سبع وستين﴾

﴿ذكر مقتل ابن زياد﴾

ولما سار ابراهيم بن الاشتر من الكوفة أسرع السير ليلقوا ابن زياد قبل أن يدخل أرض العراق وكان ابن زياد قد سار في عسكر عظيم من الشام فبلغ الموصل وملكها كما ذكرناه أولا فسار ابراهيم

في الجنوب من الارض الاكثر منهم وولد يافث في الشمال فيما بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من الامم وتفرقها في الشرق وغيره مما يلي جبل الفتح والباب والابواب (وبغت عاد) في الارض وملكها الجلجان بن الوهم فكانوا يعبدون ثلاثة أصنام وهي صمود وصداء والهباء فبعث الله اليهم هودا على حسب ما قدمنا فكذبوه وهو هود ابن عبد الله بن رباح بن خالد ابن الخلود بن عياذ بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وقد قدمنا أن قوم عاد كانوا عشرة قبائل وقد تقدم ذكر أسمائهم فدعا عليهم هود فمنعوا المطر ثلاث سنين وأجدبت الارض فلم يدر عليهم ضرع (وقد كان) من ذكرنا من الامم لا يجحد الصانع جل وعز ويعلمون أن نوحا عليه السلام كان نبيا وأنه وفى لقومه بما وعدهم من العذاب الا أن القوم دخلت عليهم شبهة بعد ذلك لتركهم البحث واستعمال النظر ومالت نفوسهم الى الدعة وما تدعو اليه الطبائع من الملاذ والتقليد وكان في نفوسهم هيبة الصانع والقرب اليه بالتماثيل وعبادتها لظنهم أنها مقربة

وخاف أرض العراق وأوغل فى أرض الموصل وجعل على مقدمته الطفيل بن لقيط النخعى
وكان شجاعا فلما دنا من ابن زياد عبى أصحابه ولم يسر الا على تعبية واجتماع الا أنه يبعث الطفيل
على الطلائع حتى يبلغ نهر الخازر من بلاد الموصل فنزل بقرية بارشيا وأقبل ابن زياد اليه حتى نزل
قريبا منهم على شاطئ الخازر وأرسل عمير بن الحباب السلمى وهو من أصحاب ابن زياد الى ابن
الاشتر أن القنى وكانت قيس كلها مضطغنة على ابن مروان من وقعة مرج راهط وجند عبد الملك
يومئذ كلب فاجتمع عمير وابن الاشتر فاخبره عمير انه على ميسرة ابن زياد وواعده أن ينهزم بالناس
فقال له ابن الاشتر ما رأيك أخندق على وانوقف يومين أو ثلاثة فقال عمير لا تفعل وهل يريدون
الا هذا فان المطاولة خير لهم هم كثير أضعافكم وليس يطيق القليل الكثير فى المطاولة ولكن
ناجز القوم فانهم قد ملؤا منكم رعبا وان هم شاموا أصحابك وقاتلوهم يوما بعد يوم ومرة بعد مرة
انسوا بهم واجترؤا عليهم فقال ابراهيم الآن علمت انك لى مناصح وبهذا أوصانى صاحبى قال
عمير أطعه فان الشيخ قد ضرسته الحرب وقاسى منها ما لم يقاسه أحد واذا أصبحت فناهضهم وعاد
عمير الى أصحابه وأذكى ابن الاشتر حرسه ولم يدخل عينه غمض حتى اذا كان السحر الاول عبى
أصحابه وكتب كتائبه وأمر أمراءه فجعل سفيان بن يزيد الازدى على ميمنته وعلى بن مالك
الجشمى على ميسرته وهو أخو الاحوص وجعل عبد الرحمن بن عبد الله وهو أخو ابراهيم بن الاشتر
لامه على الخيل وكانت خيله قليلة وجعل الطفيل بن لقيط على الرجالة وكانت رايته مع مزاحم
ابن مالك فلما انفجر الفجر صلى الصبح بغلس ثم خرج فصف أصحابه وألحق كل أمير بمكانه ونزل
ابراهيم يمشى ويحرض الناس ويمنيهم الظفر وسار بهم رويدا فاشرف على تل عظيم مشرف
على القوم واذا أولئك القوم لم يتحرك منهم أحد فارسل عبد الله بن زهير السلولى ليأتيه بخبر
القوم فعاد اليه وقال له قد خرج القوم على دهش وفشل لقينى رجل منهم وليس له كلام الا يا شيعة
أبى تراب يا شيعة المختار الكذاب قال فقلت له الذى بيننا أجل من الشتم وركب ابراهيم وسار على
الرايات يحثهم ويذكرهم فعل ابن زياد بالحسين وأصحابه وأهل بيته من السبى والقتل ومنع الماء
وحرضهم على قتله وتقدم القوم اليه وقد جعل ابن زياد على ميمنته الحصين بن نمير السكونى وعلى
ميسرته عمير بن الحباب السلمى وعلى الخيل شرحبيل بن ذى الكلاع الحميرى فلما تدانى الصفان
حمل الحصين بن نمير فى ميمنة أهل الشام على ميسرة ابراهيم فثبت له على بن مالك الجشمى فقتل ثم
أخذ رايته قرة بن على فقتل فى رجال من أهل البأس وانهزمت الميسرة فاخذ الراية عبد الله بن
ورقاء بن جنادة السلولى ابن أخى حبشى بن جنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل
المنهزمين فقال الى يا شرطة الله فاقبل اليه أكثرهم فقال هذا أميركم يقاتل ابن زياد ارجعوا بنا
اليه فرجعوا واذا ابراهيم كاشف رأسه ينادى الى شرطة الله أنا ابن الاشتر ان خير فراركم كراركم
ليس مسيأ من أعتب فرجع اليه أصحابه وحملت ميمنة ابراهيم على ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن
ينهزم عمير بن الحباب كما زعم فقاتلهم عمير قتالا شديدا وأنف من الفرار فلما رأى ذلك ابراهيم قال
لاصحابه اقصدوا هذا السواد الاعظم فوالله لئن هزمناه لانجفل من ترون يمنة ويسرة انجفال طير
ذعرت فمشى أصحابه اليهم فتطاعنوا ثم صاروا الى السيوف والعمد فاضطربوا بها مليا وكان صوت
الضرب بالحديد كصوت القصارين وكان ابراهيم يقول لصاحب رايته انغمس برايتك فيهم فيقول
ليس لى متقدم فيقول بلى فاذا تقدم شد ابراهيم بسيفه فلا يضرب رجلا الا صرعه وكر ابراهيم
والرجالة بين يديه كأنهم الحملان وحمل أصحابه حملة رجل واحد واشتد القتال فانهزم أصحاب ابن زياد

وقتل

لهم اليه وكانوا مع ذلك
يعظمون موضع الكعبة
وكان موضعها على ما ذكرنا
ربوة حمراء فوفدت عاد الى
مكة يستسقون لهم وكان
بمكة يومئذ العماليق فاتى
الوفد مكة فاقبلوا على الشرب
واللهو حتى جاءتهم
الجرادتان قينتا معاوية بن
بكر بشرحن لهم ما وردوا
من أجله وهو
ألا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يمطرنا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا
قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس
نرجو
به الشيخ الكبير ولا
الغلاما
وان الوحش تأتى أرض عاد
فلا تخشى لرامهم سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم
نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم
ولا لقيوا التحية والسلاما
ثم ان معاوية بن بكر دعا
احدى الجرادتين فغنت
ألا يا قيل من عوص
ومن عاد بن سام
وعاد كالشماريخ
من الطول الكرام
سقى الله بنى عاد
معاصوب الغمام
فاستيقظ القوم من
غفلتهم وبادروا الى
الاستسقاء لقومهم وفى
مجىء السحاب واختيارهم

وقتل من الفريقين قتلى كثيرة وقيل ان عمير بن الحباب أول من انهزم وانما كان قتاله أولا تعذيرا
فلما انهزموا قال ابراهيم انى قد قتلت رجلا تحت راية منفردة على شاطئ نهر الخازر فالتمسوه
فانى شممت منه رائحة المسك شرقت يداه وغربت رجلاه فالتمسوه فاذا هو ابن زياد قتيلا
بضربة ابراهيم فقد قدته بنصفين وسقط كما ذكر ابراهيم فاخذ رأسه وأحرقت جثته وحمل شريك
ابن جدير التغلبى على الحصين بن نمير السكونى وهو يظنه عبيد الله بن زياد فاعتنق كل واحد
منهما صاحبه فنادى التغلبى اقتلونى وابن الزانية فقتلوا الحصين وقيل ان الذى قتل ابن زياد شريك
ابن جدير وكان هذا شريك شهد صفين مع على وأصيبت عينه فلما انقضت أيام على لحق شريك
ببيت المقدس فأقام به فلما قتل الحسين عاهد الله تعالى ان ظهر من يطلب بدمه ليقتلن ابن زياد
أو ليموتن دونه فلما ظهر المختار للطلب بثار الحسين أقبل اليه وسار مع ابراهيم بن الاشتر فلما التقوا
حمل على خيل الشام يهتكها صفا صفا مع أصحابه من ربيعة حتى وصلوا الى ابن زياد وثار الرهج
فلا تسمع الا وقع الحديد فانفجر عن الناس وهما قتيلان شريك وابن زياد والاول أصح وشريك
هو القائل
كل عيش قد أراه باطلا * غير ركز الرمح فى ظل الفرس
قال وقتل شرحبيل بن ذى الكلاع الحميرى وادعى قتله سفيان بن يزيد الازدى وورقاء بن عازب
الاسدى وعبيد الله بن زهير السلمى وكان عيينة بن أسماء مع ابن زياد فلما انهزم أصحابه حمل أخته
هند بنت أسماء وكانت زوجة عبيد الله بن زياد فذهب بها وهو يرتجز
ان تصرمى حبالنا فربما * أرديت فى الهيجا الكمى المعلما
ولما انهزم أصحاب ابن زياد تبعهم أصحاب ابراهيم فكان من غرق أكثر ممن قتل وأصابوا عسكرهم
وفيه من كل شئ وأرسل ابراهيم البشارة الى المختار وهو بالمدائن وأنفذ ابراهيم عماله الى البلاد
فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله الى نصيبين وغلب على سنجار ودارا وما والاهما من أرض
الجزيرة فولى زفر بن الحرث قرقيسيا وحاتم بن النعمان الباهلى حران والرها وسميساط وناحيتها
وولى عمير بن الحباب السلمى كفرتوثا وطور عبدين وأقام ابراهيم بالموصل وأنفذ رأس عبيد الله
ابن زياد الى المختار ومعه رؤس قواده فالقيت فى القصر فجاءت حية دقيقة فتخللت الرؤس حتى
دخلت فى فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره ودخلت فى منخره وخرجت من فيه فعلت
هذا مرارا أخرج هذا الترمذى فى جامعه وقال المغيرة أول من ضرب الزيوف فى الاسلام
عبيد الله بن زياد وقال بعض حجاب ابن زياد دخلت معه القصر حين قتل الحسين فاضطرم فى
وجهه نارا فقال بكمه هكذا على وجهه وقال لا تحدثن بهذا أحدا وقال المغيرة قالت مرجانة لابنها
عبيد الله بعد قتل الحسين يا خبيث قتلت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترى الجنة أبدا وقال
ابن مفرغ حين قتل ابن زياد
ان المنايا اذا ما زرن طاغية * هتكن أستار حجاب وأبواب
أقول بعدا وسحقا عند مصرعه * لابن الخبيثة وابن الكودن الكابى
لا أنت زوحمت عن ملك فتمنعه * ولا متت الى قوم بأسباب
لا من نزار ولا من جذم ذى يمن * جلمودا ألقيت من بين ألهاب
لا تقبل الارض موتاهم اذا قبروا * وكيف تقبل رجسا بين أثواب
وقال سراقة البارقى يمدح ابراهيم بن الاشتر

لما اختاروه منها ما قد
اتضح وفيهم يقول مرثد
ابن سعد من كلمة
عصت عاد رسولهم فامسوا
عطاشا لا تبلهم السماء
ألا قبح الاله حلوم عاد
فان قلوبهم قفر هواء
لهم صنم يقال له صمود
يقابله صداء والهباء
فبصرنا النبى سبيل رشد
فأبصرنا الهدى وناى
العماء
وانى موقن فاستيقنوه
بان اله هود هو العلاء
وأن اله هود هو الهى
على الله التوكل والرجاء
وانى لاحق بالامس هودا
واخوته اذا حق المساء
فارسل الله عز وجل على
عاد الريح العقيم من وادلهم
فلما رأوا ذلك قالوا هذا
عارض ممطرنا وتباشروا
بذلك فلما سمع هود ذلك
من قولهم قال بل هو
ما استعجلتم به ريح فيها
عذاب أليم الآية فاتتهم
الريح يوم الاربعاء فلم تات
الاربعاء الثانية ومنهم حى
فمن أجل ذلك كره الناس
يوم الاربعاء (وقد بينا) فيما
يرد من هذا الكتاب كيفية
ذلك وكيف وقوعه من أيام
الشهر فى باب الشهور
فلما شاهد هود النبى صلى
الله عليه وسلم ما قاله قومه
انفرد هو ومن معه من

أتاكم غلام من عرانين مذحج * جرىء على الاعداء غير نكول
فيا ابن زياد بؤ بأعظم هالك * وذق حد ماضى الشفرتين صقيل
جزى الله خيرا شرطة الله انهم * شفوا من عبيد الله أمس غليلى

وقال عمير بن الحباب السلمى يذم جيش ابن زياد

وما كان جيش يجمع الخمر والزنا * محلا اذا لاقى العدو لينصرا

(ذكر ولاية مصعب بن الزبير البصرة)

وفى هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير الحرث بن أبى ربيعة وهو القباع عن البصرة واستعمل عليها أخاه مصعبا فقدمها مصعب متلثما ودخل المسجد وصعد المنبر فقال الناس أمير أمير وجاء الحرث ابن أبى ربيعة وهو الامير فسفر مصعب لثامه فعرفوه وأمر مصعب الحرث بالصعود اليه فاجلسه تحته بدرجة ثم قام مصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون الى قوله من المفسدين فاشار بيده نحو الشام ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وأشار نحو الحجاز ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأشار نحو الكوفة وقال يا أهل البصرة بلغنى انكم تلقبون أمراءكم وقد لقبت نفسى بالجزار

(ذكر مسير مصعب الى المختار وقتل المختار)

ولما هرب أشراف الكوفة من وقعة السبيع أتى جماعة منهم الى مصعب فأتاه شبث بن ربعى على بغلة قد قطع ذنبها وطرف أذنها وشق قباءه وهو ينادى يا غوثاه فرفع خبره الى مصعب فقال هذا شبث بن ربعى فأدخل عليه فأتاه أشراف الكوفة فدخلوا عليه وأخبروه بما اجتمعوا عليه وسألوه النصر لهم والمسير الى المختار معهم وقدم عليه محمد بن الاشعث أيضا واستحثه على المسير فأدناه مصعب وأكرمه لشرفه وقال لاهل الكوفة حين أكثروا عليه لا أسير حتى يأتينى المهلب ابن أبى صفرة وكتب اليه وهو عامله على فارس يستدعيه ليشهد معهم قتال المختار فأبطأ المهلب واعتل بشئ من الخراج لكراهية الخروج فأمر مصعب محمد بن الاشعث ان يأتى المهلب يستحثه فأتاه محمد ومعه كتاب مصعب فلما قرأه قال له أما وجد مصعب بريدا غيرك فقال ما أنا بريد لاحد غير ان نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبتنا عليهم عبيدنا فاقبل المهلب معه بجموع كثيرة وأموال عظيمة فقدم البصرة وأمر مصعب بالعسكر عند الجسر الاكبر وأرسل عبد الرحمن بن مخنف الى الكوفة فامره أن يخرج اليه من قدر عليه وان يثبط الناس عن المختار ويدعوهم الى بيعة ابن الزبير سرا ففعل ودخل بيته مستترا ثم سار مصعب فقدم امامه عباد بن الحصين الحطمى التميمى وبعث عمر ابن عبيد الله بن معمر على ميمنته والمهلب على ميسرته وجعل مالك بن مسمع على بكر ومالك بن المنذر على عبد القيس والاحنف بن قيس على تميم وزياد بن عمرو العتكى على الازد وقيس بن الهيثم على أهل العالية وبلغ الخبر المختار فقام فى أصحابه فاعلمهم ذلك وندبهم الى الخروج مع أحمر بن شميط فخرج وعسكر بحمام أعين ودعا المختار رؤس الارباع الذين كانوا مع ابن الاشتر فبعثهم مع أحمر بن شميط فسار وعلى مقدمته ابن كامل الشاكرى فوصلوا الى المذار وأتى مصعب فعسكر قريبا منه وعبى كل واحد منهما جنده ثم تزاحفا فجعل ابن شميط بن كامل على ميمنته وعلى الميسرة عبد الله بن وهيب الجشمى وجعل أبا عمرة مولى عرينة على الموالى فجاء عبد الله ابن وهيب الجشمى الى ابن شميط فقال له ان الموالى والعبيد أولو جور عند المصدوقة وان معهم

المؤمنين وفى ذلك يقول
الهيل بن الخابل
لو أن عادا سمعت من هود
واتبعت طريقة الرشيد
وقد أتى بالوعد والوعيد
عادوا بالتقريب والتبعيد
ما أصبحت عاثرة الجدود
حبوا على الآناف
والخدود
ساقطة الاجساد بالوصيد
ماذا جنى الوفد من الوفود
أحدوثة فى الابد الابيد
وقال مهد بن سعد فى شعر له
دعاهم خيفة لله هود
فانفع النذير ولا أجابوا
فلما أن أبوا الا عتوا
أصابهم ببغيهم العذاب
وقد كان الآخر من الملوك
الجلجان وقد تقدم ذكره فى
هذا الباب ملك عاد وثمود
وغيرهم وقيل ان أول من
ملك عادا من الملوك عاد
ابن عوص ثلثمائة سنة ثم
ملك ابن عاد بن عوص قال
ولما دثرت هذه الامم من
العرب والقبائل خلت
منهم الديار فسكنها غيرهم
من الناس فنزل قوم من بنى
حنيفة اليمامة واستوطنوها
وقد كان نزل بلاد الجحفة بين
مكة والمدينة وقطنوها
فقال شاعرهم يرثى من
كان فى تلك الديار
ان طسما وجرهما وجديسا
والعماليق فى السنين
الخوالى
عمروا البيت حقبة ثم ولوا
واستمرت بهم صروف الليالى

رجالا كثيرا على الخيل وأنت تمشى فرهم فليمشوا معك فانى أتخوف ان يطيروا عليها ويسلموك وكان هذا غشا منه للموالى لما كان لقى منهم بالكوفة فاحب ان كانت عليهم الهزيمة وان لا ينجو منهم أحد فلم يتهمه ابن شميط ففعل ما أشار به فنزل الموالى معه وجاء مصعب وقد جعل عباد بن الحصين على الخيل فدنا عباد من أحمر وأصحابه وقال انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله والى بيعة المختار والى ان نجعل هذا الامر شورى فى آل الرسول فرجع عباد فأخبر مصعب فقال له ارجع فاحمل عليهم فرجع وحمل على ابن شميط وأصحابه فلم يتزل منهم أحد ثم انصرف الى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل فجال بعضهم فى بعض فنزل ابن كامل فانصرف عنه المهلب ثم قال المهلب لاصحابه كروا عليهم كرة صادقة فحملوا عليهم حملة منكرة فولوا وصبر ابن كامل فى رجال من همدان ساعة ثم انهزم وحمل عمر بن عبيد الله على عبد الله بن أنس فصبر ساعة ثم انصرف وحمل الناس جميعا على ابن شميط فقاتل حتى قتل وتنادوا يا معشر بجيلة وخثعم الصبر فناداهم المهلب الفرار اليوم أنجى لكم علام تقتلون أنفسكم مع هذه العبيد ثم قال والله ما أرى كثرة القتل اليوم الا فى قومى ومالت الخيل على رجالة ابن شميط فانهزمت وبعث مصعب عبادا على الخيل فقال أيما أسير أخذته فاضرب عنقه وسرح محمد بن الاشعث فى خيل عظيمة من أهل الكوفة فقال دونكم ثاركم فكانوا أشد على المنهزمين من أهل البصرة لا يدركون منهزما الا قتلوه ولا يأخذون أسيرا فيعفون عنه فلم ينج من ذلك الجيش الا طائفة أصحاب الخيل وأما الرجالة فأبيدوا الا قليلا قال معاوية بن قرة المزنى انتهيت الى رجل منهم فادخلت السنان فى عينه فأخذت أخضخض عينه به فقيل له أفعلت هذا فقال نعم انهم كانوا عندنا أحل دماء من الترك والديلم وكان معاوية هذا قاضى البصرة فلما فرغ مصعب منهم أقبل حتى قطع من تلقاء واسط ولم يكن بنيت بعد فأخذ فى كسكر ثم حمل الرجال أثقالهم والضعفاء فى السفن فأخذوا فى نهر خرشاد ثم خرجوا الى نهر قوسان ثم خرجوا الى الفرات وأتى المختار خبر الهزيمة ومن قتل بها من فرسان أصحابه فقال ما من الموت بد وما من ميتة أموتها أحب الى من ان أموت ميتة ابن شميط فعلموا انه ان لم يبلغ ما يريد يقاتل حتى يقتل ولما بلغه ان مصعبا قد أقبل اليه فى البر والبحر سار حتى وصل السيلحين ونظر الى مجتمع الانهار نهر الحيرة ونهر السيلحين ونهر القادسية ونهر يوسف فسكر الفرات فذهب ماؤها فى هذه الانهار وبقيت سفن أهل البصرة فى الطين فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن الى ذلك السكر فاصلحوه وقصدوا الكوفة وسار المختار اليهم فنزل حروراء وحال بينهم وبين الكوفة وكان قد حصن القصر والمسجد وادخل اليه عدة الحصار وأقبل مصعب وقد جعل على ميمنته المهلب وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله وعلى الخيل عباد بن الحصين وجعل المختار على ميمنته سليم بن يزيد الكندى وعلى ميسرته سعيد بن منقذ الهمدانى وعلى الخيل عمرو بن عبد الله الهندى وعلى الرجالة مالك ابن عبد الله النهدى وأقبل محمد بن الاشعث فيمن هرب من أهل الكوفة فنزل بين مصعب والمختار فلما رأى ذلك المختار بعث الى كل جيش من أهل البصرة رجلا من أصحابه وتدانى الناس فحمل سعيد بن منقذ على بكر وعبد القيس وهم فى ميمنة مصعب فاقتتلوا قتالا شديدا فارسل مصعب الى المهلب ليحمل على من بازائه فقال ما كنت لاجزر الازد خشية أهل الكوفة حتى أرى فرصتى وبعث المختار الى عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومى فحمل على من بازائه وهم أهل العالية فكشفوهم فانتهوا الى مصعب فجثا مصعب على ركبته وبرك الناس عنده فقاتلوا ساعة وتحاجزوا ثم ان المهلب حمل فى أصحابه على من بازائه فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة فكشفوهم

وأراك الزمان منهم وأضحى
غيرهم ساكنا بتلك الخوالى
ورماهم ريب الزمان فامسوا
دورهم بلقع لمر الشمال
(وقد كان نزل) بلاد الجحفة
بين مكة والمدينة عبيد بن
عوص بن ارم بن سام بن
نوح هو وولده فهلكوا
بالسيل فسمى ذلك الموضع
بالجحفة لاجحافها عليهم
(وكان) يثرب بن قانية بن
مهليل بن ارم بن عبيد نزل
بالمدينة هو وولده ومن
تبعه فسميت به يثرب فهلك
هؤلاء أيضا ببعض غوائل
الدهر وآفاته فقال شاعرهم
عين جودى على عبيد برجع
بأماق فيضانها بانسجام
عمروا يثرب ليس بها شفـ
ـر ولا صارخ ولا ذو سنام
غرسوا لينها بمجرى معين
ثم حفوا النخيل بالارجام
(وقد أخبر الله) جلت
قدرته عنهم فقال كذبت
ثمود وعاد بالقارعة فأما
ثمود فأهلكوا بالطاغية
وأما عاد فأهلكوا بريح
صرصر عاتية (وقد تنازع)
أهل الشرائع فى قوم
شعيب بن نوفل بن رعبيل
ابن مر بن عنقاء بن مدين بن
ابراهيم الخليل صلى الله
عليه وسلم وكان لسانه
العربية فمنهم من رأى
انهم من العرب الدائرة
والامم البائدة وبعض

وقال عبد الله بن عمرو النهدى وكان ممن شهد صفين اللهم انى على ما كنت عليه بصفين اللهم
ابرأ اليك من فعل هؤلاء لاصحابه وابرأ اليك من أنفس هؤلاء يعنى أصحاب مصعب ثم جالد بسيفه
حتى قتل وانقضت أصحاب المختار كأنهم اجمة قصب فيها نار وحمل مالك بن عبد الله النهدى وهو
على الرجالة ومعه نحو خمسين رجلا وذلك عند المساء على أصحاب ابن الاشعث حملة منكرة فقتل
ابن الاشعث وقتل عامة أصحابه وقاتل المختار على فم سكة شبث عامة ليلته وقاتل معه رجال من
أهل البأس وقاتلت معه همدان أشد قتال وتفرق الناس عن المختار فقال له من معه أيها الامير
اذهب الى القصر فجاء حتى دخله فقال له بعض أصحابه ألم تكن وعدتنا الظفر وانا سنهزمهم
فقال اما قرأت فى كتاب الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فقيل ان المختار أول
من قال بالبداء فلما اصبح مصعب اقبل يسير فيمن معه نحو السبخة فمر بالمهلب فقال له المهلب بالله
فتحا ما اهناه لولم يقتل محمد بن الاشعث قال صدقت ثم قال مصعب للمهلب ان عبيد الله بن على بن ابى
طالب قد قتل فاسترجع المهلب فقال مصعب قد كنت أحب ان يشهد هذا الفتح أتدرى من قتله
انما قتله من يزعم انه شيعة لابيه ثم نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة وقاتلهم المختار وأصحابه
قتالا ضعيفا واجترأ الناس عليهم فكانوا اذا خرجوا رماهم الناس من فوق البيوت وصبوا عليهم
الماء القذر وكان أكثر معاشهم من النساء تأتى المرأة متخفية ومعها القليل من الطعام
والشراب الى أهلها ففطن مصعب بالنساء فمنعهن فاشتد على المختار وأصحابه العطش وكانوا
يشربون ماء البئر يطلون فيه العسل فكان ذلك ما روى بعضهم ثم ان مصعبا أمر أصحابه
فاقتربوا من القصر واشتد الحصار عليهم فقال لهم المختار ويحكم ان الحصار لا يزيدكم الا ضعفا
فانزلوا بنا فنقاتل حتى نقتل كراما ان نحن قتلنا فوالله ما أنا بآيس ان صدقتموهم أن ينصركم الله
فضعفوا ولم يفعلوا فقال لهم اما انا فوالله لا أعطى بيدى ولا احكمكم فى نفسى واذا خرجت فقتلت
لم تزدادوا الا ضعفا وذلا فان نزلتم على حكمهم وثبت اعداؤكم فقتلوكم وبعضكم ينظر الى بعض
فتقولون باليتنا أطعنا المختار ولو انكم خرجتم معى كنتم ان اخطأتم الظفر متم كراما فلما رأى
عبد الله بن جعدة بن هبيرة ما عزم عليه المختار تدلى من القصر فلحق بناس من اخوانه فاختفى
عندهم سرا ثم ان المختار تطيب وتحنط وخرج من القصر فى تسعة عشر رجلا منهم السائب بن
مالك الاشعرى وكانت تحته عمرة بنت أبى موسى الاشعرى فولدت له غلاما اسمه محمد فلما أخذ
القصر وجد صبيا فتركوه فلما خرج المختار قال للسائب ماذا ترى قال ما ترى أنت قال ويحك يا احمق
انما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير قد وثب بالحجاز ورأيت ابن نجدة وثب باليمامة ومروان
بالشام وكنت فيها كأحدهم الا انى قد طلبت بثأر أهل البيت اذ نامت عنه العرب فقاتل على
حسبك ان لم يكن لك نية فقال انا لله وانا اليه راجعون ما كنت أصنع أن أقاتل على حسبى ثم تقدم
المختار فقاتل حتى قتل قتله رجلان من بنى حنيفة اخوان يقال لاحدهما طارفة والآخر طراف ابنا
عبد الله بن دجاجة فلما كان الغد من قتله دعاهم بحير بن عبد الله المسلى ومن معه بالقصر الى
ما دعاهم المختار فأبوا عليه وامكنوا أصحاب مصعب من أنفسهم ونزلوا على حكمه فاخرجوهم
مكتفين فأراد اطلاق العرب وقتل الموالى فأبى أصحابه عليه فعرضوا عليه فأمر بقتلهم وعرض
عليه بحير المسلى فقال لمصعب الحمد لله الذى ابتلانا بالاسر وابتلاك بأن تعفو عنا هما منزلتان
احداهما رضا الله والاخرى سخطه من عفا عفا الله عنه وزاده عزا ومن عاقب لم يأمن القصاص
يا ابن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم ولسنا تركا ولا ديلما فان خالفنا اخواننا من أهل مصرنا

من ذكرنا من الاجيال
الخالية ومنهم من رأى
انهم من ولد المحض بن
جندل بن يعصب بن مدين
ابن ابراهيم وأن شعيبا
أخوهم فى النسب وقد كانوا
عدة ملوك تفرقوا فى
ممالك متصلة فمنهم المسمى
بابى جاد وهوز وحطى
وكلمن وسعفص وقرشت
وهم على ما ذكرنا بنو المحض
ابن جندل وأحرف الجمل
هى أسماء هؤلاء الملوك
وهى التسعة والعشرون
حرفا التى عليها حساب الجمل
وقد قيل فى هذه الاحرف
غير ما ذكرنا من الوجوه على
حسب ما قدمنا فى هذا
الكتاب وليس كتابنا هذا
موضعا لما قاله الناس فيها
وتنازعوا فى تأويلها والمراد
بها وكان أبجد ملك مكة
وما يليها من الحجاز وكان
هوز وحطى ملكين ببلاد وج
وهى أرض الطائف وما
اتصل بذلك من أرض نجد
وكلمن وسعفص وقرشت
ملوكا بمدين وقيل ببلاد
مصر وكان كلمن على ملك
جميع من سمينا مشاعا
متصلا على ما ذكرنا وان
عذاب يوم الظلة كان فى
ملك كلمن منهم وان شعيبا
دعاهم فكذبوه ووعدهم
بعذاب يوم الظلة ففتح
عليهم باب من السماء من

فاما ان يكن اصبنا أو اخطأنا فاقتتلنا بيننا كما اقتتل اهل الشام بينهم ثم اجتمعوا وكما اقتتل أهل
البصرة واصطلحوا واجتمعوا وقد ملكتم فاسمحوا وقد قدرتم فاعفوا فما زال بهذا القول حتى رق لهم
الناس ومصعب وأراد ان يخلى سبيلهم فقام عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال اتخلى سبيلهم
اخترنا أو اخترهم وقام محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمدانى فقال مثله وقام اشراف الكوفة
فقالوا مثله ما فامر بقتلهم فقالوا له يا ابن الزبير لا تقتلنا واجعلنا على مقدمتك الى أهل الشام غدا
فما بكم عنا غنى فان قتلنا لم نقتل حتى نضعفهم لكم وان ظفرنا بهم كان ذلك لكم فابى عليهم فقال
بحير المسلى لا تخلط دمى بدمائهم اذ عصونى فقتلهم وقال مسافر بن سعيد بن غران الناعطى
ما تقول يا ابن الزبير لربك غدا وقد قتلت أمة من المسلمين حكموك فى أنفسهم صبرا اقتلوا منا بعدة
من قتلنا منكم ففينا رجال لم يشهدوا موطنا من حربنا يوما واحدا كانوا فى السواد وجباية الخراج
وحفظ الطرق فلم يسمع منه وأمر بقتله ولما أراد قتلهم استشار مصعب الاحنف بن قيس فقال
أرى ان تعفو فان العفو أقرب للتقوى فقال اشراف اهل الكوفة اقتلهم وضجوا فقتلهم
فلما قتلوا قال الاحنف ما ادركتم بقتلهم ثارا فليته لا يكون فى الآخرة وبالا وبعثت عائشة بنت
طلحة امرأة مصعب اليه فى اطلاقهم فوجدهم الرسول قد قتلوا وأمر مصعب بكف المختار بن أبى
عبيدة فقطعت وسمرت بمسمار الى جانب المسجد فبقيت حتى قدم الحجاج فنظر اليها وسأل عنها
فقيل هذا كف المختار فامر بنزعها وبعث مصعب عماله على الجبال والسواد وكتب الى ابراهيم
ابن الاشتر يدعوه الى طاعته ويقول له ان أطعتنى فلك الشام وأعنة الخيل وما غلبت عليه من
أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان وأعطاه عهد الله على ذلك وكتب عبد الملك بن مروان
الى ابن الاشتر يدعوه الى طاعته ويقول ان أنت اجبتنى فلك العراق فاستشار ابراهيم أصحابه
فاختلفوا فقال ابراهيم لولم أكن اصبت ابن زياد واشراف الشام لاجبت عبد الملك مع انى لا اختار
على اهل مصرى وعشيرتى غيرهم فكتب الى مصعب بالدخول معه فكتب اليه مصعب أن أقبل
فاقبل اليه بالطاعة فلما بلغ مصعبا اقباله اليه بعث المهلب على عمله بالموصل والجزيرة وارمينية
واذربيجان ثم ان مصعبا دعا أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار وعمرة بنت النعمان بن
بشير الانصارية امرأته الاخرى فاحضرهما وسألهما عن المختار فقالت أم ثابت نقول فيه
بقولك أنت فاطلقها وقالت عمرة رحمه الله كان عبد الله صالحا فحبسها وكتب الى أخيه عبد الله
ابن الزبير انها تزعم انه نبى فامره بقتلها فقتلت ليلا بين الكوفة والحيرة قتلها بعض الشرط ضربها
ثلاث ضربات بالسيف وهى تقول يا ابتاه يا اهلاه يا عشيرتاه فرفع رجل يده فلطم القاتل وقال يا ابن الزانية
عذبتها ثم تشحطت فماتت فتعلق الشرطى بالرجل وحمله الى مصعب فقال خلوه فقد رأى امرا
فظيعا فقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى فى ذلك

ان من أعجب العجائب عندى * قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم * ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى المحصنات جر الذيول

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصارى فى ذلك أيضا

أتى راكب بالامر ذى النبأ العجب * بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحسب
بقتل فتاة ذات دل ستيرة * مهذبة الاخلاق فى الخيم والنسب
مطهرة من نسل قوم أكارم * من المؤثرين الخير فى سالف الحقب

نار ونجا شعيب ومن آمن معه
الى الموضع المعروف بالايكة
وهى غيضة نحو مدين فلما
أحس القوم بالبلاء
واشتد عليهم الحر وأيقنوا
بالهلاك طلبوا شعيبا ومن
آمن معه وقد أظلتهم سحابة
بيضاء طيبة النسيم والهواء
لا يجدون فيهم ألم العذاب
فاخرجوا شعيبا ومن آمن
معه من موضعهم
وأزالوهم عن أماكنهم
ونوهموا أن ذلك ينجيهم مما
نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا
فأتت عليهم فرثت حارثة
بنت كلمن أباها فقالت
وكانت بالحجاز
كلمن هدم ركنى
هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه ال
حتف نارا تحت ظله
كونت نارا وأضحت
دار قومى مضمحله
وفى ذلك يقول المنتصر
ابن المنذر المدينى
ألا يا شعيب قد نطقت
مقالة
أتيت بها عمرا وحى بنى عمرو
وهم ملكوا أرض الحجاز
وأوجها
كمثل شعاع الشمس
فى صورة البدر
ملوك بنى حطى وسعفص
ذى الندى
وهوز أرباب الثنية والحجر
هم قطنوا البيت الحرام

خليل النبي المصطفى ونصيره * وصاحبه في الحرب والضرب والكرب
أتاني بان الملحدين توافقوا * على قتلها الا أحسنوا القتل والسلب
فلا هنأت آل الزبير معيشة * وذاقوا البأس الذل والخوف والحرب
كأنهم اذ أبرزوها وقطعت * بأسيافهم فازوا بملك العرب
ألم تعجب الاقوام من قتل حرة * من المحصنات الدين محمودة الادب
من الغافلات المؤمنات بريئة * من الذم والبهتان والشك والكذب
علينا ديات القتل والبأس واجب * وهن العفاف في الحجال وفي الحجب
على دين أجداد لها وأبوة * كرام مضت لم تخز أهلا ولم ترب
من الخفرات لا خروج بزينة * ولا دمة تنعى على جارها الجنب
ولا الجار ذي القربى ولم تدر ما الخنا * ولم تزدلف يوما بسوء ولم تجب
عجبت لها اذ كتفت وهي حية * الا ان هذا الخطب من أعجب العجب

وقيل ان المختار انما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة وان مصعبا لما سار اليه فبلغه مسيره أرسل اليه أحمر بن شميط وأمره ان يواقعه بالمذار وقال ان الفتح بالمذار لانه بلغه ان رجلا من ثقيف يفتح عليه بالمذار فتح عظيم فظن انه هو وانما كان ذلك للحجاج في قتال عبد الرحمن بن الاشعث وأمر مصعب عبادا الحطمي بالمسير الى جمع المختار فتقدم وتقدم معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب وبقي مصعب على نهر البصريين وخرج المختار في عشرين ألفا وزحف مصعب ومن معه فوافوه مع الليل فقال المختار لاصحابه لا يبرحن أحد منكم حتى يسمع مناديا ينادي يا محمد فاذا سمعتموه فاحملوا فلما طلع القمر امر مناديا فنادى يا محمد فحملوا على أصحاب مصعب فهزموهم وأدخلوهم عسكرهم فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختار وليس عنده أحد وأصحابه قد وغلوا في أصحاب مصعب فانصرف المختار منهزما حتى دخل قصر الكوفة وجاء اصحابه حين أصبحوا فوقفوا مليا فلم يروا المختار فقالوا قد قتل فهرب منهم من أطاق الهرب فاختفوا بدور الكوفة وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف فوجدوا المختار في القصر فدخلوا عليه وكانوا قد قتلوا تلك الليلة من أصحاب مصعب خلقا كثيرا منهم محمد بن الاشعث وأقبل مصعب فاحاط بالقصر وحاصرهم أربعة أشهر يخرج المختار كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة فلما قتل المختار بعث من في القصر يطلب الامان فابى مصعب فنزلوا على حكمه فقتل من العرب سبعمائة او نحو ذلك وسائرهم من العجم وكان عدة القتلى ستة آلاف رجل ولما قتل المختار كان عمره سبعا وستين سنة وكان قتله لاربع عشرة خلت من رمضان سنة سبع وستين قيل ان مصعبا لقي ابن عمر فسلم عليه وقال له أنا ابن اخيك مصعب فقال له ابن عمر أنت القاتل سبعة آلاف من اهل القبلة في غداة واحدة غير ما بدالك فقال مصعب انهم كانوا كفرة فجرة فقال والله لو قتلت عدتهم غنما من تراث ابيك لكان ذلك سرفا وقال ابن الزبير لعبد الله بن عباس ألم يبلغك قتل الكذاب قال ومن الكذاب قال ابن ابي عبيد قال قد بلغني قتل المختار قال كانك نكرت تسميته كذابا ومتوجع له قال ذاك رجل قتل قتلتنا وطلب ثارنا وشفى غليل صدورنا وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة وقال عروة بن الزبير لابن عباس قد قتل الكذاب المختار وهذا رأسه فقال ابن عباس قد بقيت لكم عقبة كؤود فان صعدتموها فانتم أنتم والا فلا يعني عبد الملك بن مروان وكانت هدايا المختار تأتي ابن عمر وابن الحنفية فيقبلانها وقيل رد ابن عمر هديته

ورنبوا
خطوراوساموا في المكارم
والفخر
(ولهؤلاء الملوك) أخبار
عجيبة من حروب وسير
وكيفية تغلبهم على هذه
الممالك وتملكهم عليها
وابادتهم من كان فيها
وعليها من الامم قد أتينا
على ذكرها فيما تقدم من
كتبنا في هذا المعنى مما
كتابنا هذا منبه عليها
وباعث على درسها (وأما
بنو حضورا) وكانت أمة
عظيمة ذات بطش وشدة
فغلبت على كثير من
الارض و الممالك وقد
تنازع الناس فيهم فنهم من
الحقهم بمن ذكرنا من العرب
البائدة ممن سمينا ومنهم
من رأى أنهم من ولد يافث
ابن نوح وقيل في انسابهم
غير ما ذكرنا من الوجوه
وقد كان بعث الله عز وجل
اليهم شعيب بن ذي مهدم
ابن حضورا بن عدي نبيا
ناهيا عما كانوا عليه وهذا
غير شعيب بن نوفل بن
رعبيل بن مر بن عنقاء بن
مدين بن ابراهيم الخليل
صاحب مدين المتزوج
اليه موسى بن عمران المقدم
ذكره و بينهما مئون من
السنين وقد كان بين موسى
ابن عمران و بين المسيح ألف
سنة ولما بعث الى حضورا

﴿ذكر عزل مصعب بن الزبير وولاية حمزة بن عبد الله بن الزبير﴾

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا عن العراق بعد ان قتل المختار وولى مكانه ابنه حمزة بن عبد الله وكان حمزة جوادا مخلطا يجود احيانا حتى لا يدع شيأ يملكه ويمنع احيانا ما لا يمنع مثله وظهر منه بالبصرة خفة وضعف فيقال انه ركب يوما فرأى فيض البصرة فقال ان هذا الغدير ان رفقوا به ليكفينهم ضيعتهم فلما كان بعد ذلك رآه جازرا فقال قد قلت لو رفقوا به لكفاهم وظهر منه غير ذلك فكتب الاحنف الى أبيه وسأله ان يعزله عنهم و يعيد مصعبا فعزله فاحتمل مالا كثيرا من مال البصرة فعرض له مالك بن مسمع فقال له لا ندعك تخرج بعطايانا فضمن له عبيد الله بن عبد الله العطاء فكف عنه وشخص حمزة بالمال وأتى المدينة فاودعه رجالا فجحدوه الا رجلا واحدا فوفى له و بلغ ذلك اباه فقال أبعده الله اردت ان أباهي به بني مروان فنكص وقيل ان مصعبا أقام بالكوفة سنة بعد قتل المختار معزولا عن البصرة عزله أخوه عبد الله واستعمل عليها ابنه حمزة ثم ان مصعبا وفد على أخيه عبد الله فرده على البصرة وقيل بل انصرف مصعب الى البصرة بعد قتل المختار واستعمل على الكوفة الحرث بن ابي ربيعة فكانتا في عمله فعزله أخوه عن البصرة واستعمل ابنه حمزة ثم عزل حمزة بكتاب الاحنف وأهل البصرة ورد مصعبا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس عبد الله بن الزبير وكان عامله على الكوفة والبصرة من تقدم ذكره وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة و بالشام عبد الملك بن مروان وبخراسان عبد الله بن خازم وفي هذه السنة مات الاحنف بن قيس بالكوفة مع مصعب وقيل مات سنة احدى وسبعين بالكوفة لما سار مصعب الى قتال عبد الملك بن مروان وقتل هبيرة ابن مريم مولى الحسين بن علي بالخازر وهو من أصحاب المختار وثقات المحدثين وفيها توفي جنادة ابن أبي أمية وادرك الجاهلية وليست له صحبة وقتل مصعب عبد الرحمن وعبد الرب ابني حجر بن عدي وعمران بن حذيفة بن اليمان قتلهم صبرا بعد قتل المختار و بعد قتل أصحابه

﴿ثم دخلت سنة ثمان وستين﴾

﴿ذكر عزل حمزة و ولاية مصعب البصرة﴾

وفي هذه السنة رد عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا الى العراق وسببه ان الاحنف رأى من حمزة بن عبد الله اختلاطا وحمقا فكتب الى أبيه فعزله ورد مصعبا واستعمل على الكوفة الحرث بن أبي ربيعة وقيل كان سبب عزله حمزة انه قصر بالاشراف وبسط يده ففزعوا الى مالك بن مسمع فضرب خيمته على الجسر ثم أرسل الى حمزة الحق بابيك واخرجه عن البصرة فقال العديل العجلي

اذا ما خشينا من أمير ظلامة * دعونا أبا سفيان يوما فعسكرا

﴿ذكر حروب الخوارج بفارس والعراق﴾

في هذه السنة استعمل مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس وولاه حرب الازارقة وكان المهلب على حربهم ايام مصعب الاولى وايام حمزة بن عبد الله بن الزبير فلما عاد مصعب أراد ان يولي المهلب بلاد الموصل والجزيرة وارمينية ليكون بينه وبين عبد الله بن مروان فكتب اليه وهو بفارس في القدوم عليه فقدم واستخلف على عمله ابنه المغيرة ووصاه بالاحتياط وقدم البصرة فعزله مصعب عن حرب الخوارج و بلاد فارس واستعمل عليهما عمر بن عبيد الله بن معمر فلما سمع الخوارج به قال قطري بن الفجاءة قد جاءكم شجاع وهو شجاع و بطل وجاء يقاتل لدينه وملكه

واشتد كفرهم جدثهم
شعيب ابن ذي مهدم في
دعائهم وخوفهم وتوعدهم
فقتلوه من بعد ظهور
معجزات كانت له ودلائل
أظهرها الله على يديه تدل
على صدقه وثبوت حجته
على قومه فلم يضيع الله دمه
ولم يكذب وعيده فاوحى
الله تعالى الى نبي كان في
عصره وهو برخيا بن أحنيا
ابن روبابيل بن شاليال
وكان من سبط يهودا بن
اسرائيل بن اسحق بن
ابراهيم الخليل عليه السلام
أن يأتي بختنصر وكان بالشام
وقيل غيره من الملوك
فيأمره أن يغزو العرب
الذين لا اغلاق لبيوتهم
فلما أتى برخيا ذلك الملك
قال له الملك صدقت لي
سبع ليال أومر في نومي
بما ذكرت وأنادي بمجيئك
الى و أبشر و يقال لي
ما أمرتني به وأنا انتصر
للنبي المقتول المظلوم
الفريد فسار اليهم في
جنوده وغشي ديارهم في
عساكره وصاح بهم صائح
من السماء وقد استعدوا
لحربه من حيث عم الصوت
جميعهم وهو يقول
سيغلب قوم غالبوا الله
جهرة
وان كايدوه كان أقوى
وأكيدا

بطبيعة لم أر مثلها الا احدما حضر حربا الا كان أول فارس يقتل قرنه وكان الخوارج قد استعملوا عليهم بعد قتل عبيد الله بن الماحوز الزبير بن الماحوز على ماذكرناه سنة خمس وستين فجاءت الخوارج الى اصطخر فقدم اليهم عمر ابنه عبيد الله فى خيل فاقتتلوا فقتل عبيد الله بن عمر وأراد الزبير بن الماحوز قتال عمر فقال له قطرى ان عمر موتور فلا تقاتله فابى فقاتله فقتل من فرسان الخوارج تسعون رجلا وطعن عمر صالح بن مخارق فشتر عينه وضرب قطريا على جبينه ففلقه وانهزمت الخوارج وساروا الى سابور فعاد عمر ولقيهم بها ومعه مجاعة بن سعر فقتل مجاعة بعمود كان معه أربعة عشر رجلا من الخوارج وكاد عمر يهلك فى هذه الوقعة فدافع عنه مجاعة فوهب له عمر تسعمائة ألف درهم فقيل فى ذلك

قد ذدت عادية الكتيبة عن فتى * قد كاد يترك لحمه اقطاعا

وظهر عليهم فساروا وقطعوا قنطرة بينهما ليمتنع من طلبهم وقصدوا نحو اصبهان فاقاموا عندها حتى قووا واستعدوا ثم اقبلوا حتى مروا بفارس وبها عمر فقطعوها فى غير الموضع الذى هم به أخذوا على سابور ثم على أرجان حتى أتوا الاهواز فقال مصعب العجب لعمر قطع هذا العدو الذى هو بصدد محاربته أرض فارس لم يقاتلهم ولو قاتلهم وفر كان اعذر له وكتب اليه يا ابن معمر ما انصفتني تجبي الفيء وتحيد عن العدو فاكفني أمرهم فسار عمر من فارس فى أثرهم مجدا يرجوان يلحقهم قبل ان يدخلوا العراق وخرج مصعب فعسكر عند الجسر الاكبر وعسكر الناس معه وبلغ الخوارج وهم بالاهواز اقبال عمر اليهم وان مصعبا قد خرج من البصرة اليهم فقال لهم الزبير بن الماحوز من سوء الرأى وقوعكم بين هاتين الشوكتين انهضوا بنا الى عدونا نلقهم من وجه واحد فسار بهم فقطع بهم أرض جوخى والنهروانات فاتى المدائن وبها كردم بن مرثد الفزارى فشنوا الغارة على أهل المدائن يقتلون الرجال والنساء والولدان ويشقون أجواف الحبالى فهرب كردم وأقبلوا الى ساباط ووضعوا السيف فى الناس يقتلون وارسلوا جماعة الى الكرخ فلقوا أبا بكر بن مخنف فقاتلهم قتالا شديدا فقتل أبو بكر وانهزم أصحابه وانسد الخوارج فى الارض فاتى اهل الكوفة اميرهم وهو الحرث بن ابى ربيعة ولقبه القباع فصاحوا به وقالوا اخرج فان العدو قد اظلنا ليست له بقية فخرج حتى نزل النخيلة فاقام اياما فوثب اليه ابراهيم بن الاشتر فحثه على المسير فسار حتى نزل دير عبد الرحمن فاقام به حتى دخل اليه شبث بن ربعى فامره بالمسير فلما راى الناس بطء مسيره رجزوا به فقالوا

سار بنا القباع سيرا نكرا * يسير يوما ويقيم شهرا

فسار من ذلك المكان فكان كلما نزل منزلا اقام به حتى يضج به الناس فبلغ الفرات فى بضعة عشر يوما فاتاها وقد انتهى اليها الخوارج فقطعوا الجسر بينهم وبينه واخذوا رجلا اسمه سماك بن يزيد ومعه بنت له فاخذوها ليقتلوها فقالت لهم يا اهل الاسلام ان ابى مصاب فلا تقتلوه واما انا فجارية والله ما اتيت فاحشة قط ولا آذيت جارة لى ولا تطلعت ولا تشرفت قط فلما ارادوا قتلها سقطت ميتة فقطعوها باسيافهم وبقى سماك معهم حتى اشرفوا على الصراة فاستقبل أهل الكوفة فناداهم اعبروا اليهم فانهم قليل خبيث فضربوا عنقه وصلبوه فقال ابراهيم ابن الاشتر للحرث اندب معى الناس حتى أعبر الى هؤلاء الكلاب فاجيئك برؤسهم فقال شبث واسماء بن خارجة ويزيد بن الحرث ومحمد بن عمير وغيرهم أصلح الله الامير دعهم فليذهبوا وكانهم حسدوا ابراهيم فلما رأى الخوارج كثرة الناس قطعوا الجسر واغتنم ذلك الحرث فحبس ثم

كذلك بضل الله من كان قلبه
مريضا ومن والى النفاق وألحدا
فلما سمعوا ذلك علموا أن الامر قد نزل بهم فانفضت جنودهم وتفرقت جموعهم وولت كنائبهم وأخذهم السيف فخمدوا أجمعين (وقد ذكر) أن فى قصة هلاكهم قال الله عز وجل من قائل فلما أحسوا باسنا اذا هم منها يركضون وقد تنوزع فى ديارهم والموضع الذى كانوا فيه فمن الناس من رأى انهم كانوا بارض السماوة وانها كانت عمائر متصلة ذات جنان ومياه متدفقة وذلك بين العراق والشأم الى حد الحجاز وهى الآن ديار خراب برارى وقفار ومنهم من راى ان ديارهم كانت من بلاد سورية وهذه المدن فى هذا الوقت مضافة الى اعمال حلب من بلاد قنسرين من ارض الشأم (قال المسعودى) وقد اتينا على جمل من اخبار العرب الماضية والباقية وقد كان قبل ظهور الاسلام للباقى منهم مذاهب وآراء فى النفوس وتغول الغيلان من الهواتف والجن سنورد جملا منها منفردة على حسب ما يقتضيه شرط

جاس للناس فقال أما بعد فان أول القتال الرمية بالنبل واشراع الرماح والطعن ثم الطعن شزرا ثم السلة آخر ذلك كله فقال له رجل قد أحسن الامير الصفة ولكن متى نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبينهم فمر بهذا الجسر فليعقد ثم عبرنا اليهم فان الله سيريك ما تحب فعقد الجسر وعبر الناس فطارد الخوارج حتى أتوا المدائن وطاردت بعض خيلهم عند الجسر طرادا ضعيفا فرجعوا فاتبعهم الحرث عبد الرحمن بن مخنف فى ستة آلاف ليخرجهم من أرض الكوفة وقال له اذا وقعوا فى أرض البصرة فاتركهم فسار عبد الرحمن يتبعهم حتى وقعوا فى أرض أصبهان فرجع عنهم ولم يقاتلهم وقصدوا الرى وعليها يزيد بن الحرث بن رويم الشيبانى فقاتلهم فاعان أهل الرى الخوارج فقتل يزيد وهرب ابنه حوشب ودعاه أبوه ليدفع عنه فلم يرجع فقال بعضهم

فلو كان حرا حوشب ذا حفيظة * رأى ما رأى فى الموت عيسى بن مصعب

يعنى ان عيسى بن مصعب لم يفر عن أبيه بل قاتل عنه معه حتى قتل وقال بشر بن مروان يوما وعنده حوشب هذا وعكرمة بن ربعى من يدلنى على فرس جواد فقال عكرمة فرس حوشب فانه نجاء عليه يوم الرى وقال بشر أيضا يوما من يدلنى على بغلة قوية الظهر فقال حوشب بغلة واصل بن مسافر كان عكرمة يتهم بامرأة واصل فتبسم بشر وقال لقد انتصفت ولما فرغ الخوارج من الرى انحطوا الى أصبهان فحاصروها وبها عتاب بن ورقاء فصبر لهم وكان يقاتلهم على باب المدينة ويرمون من السور بالنبل والحجارة وكان مع عتاب رجل من حضرموت يقال له أبو هريرة فكان يحمل عليهم ويقول

كيف ترون يا كلاب النار * شد أبى هريرة الهرار
يهركم بالليل والنهار * يا ابن أبى ماحوز والاشرار
* كيف ترى حربى على المضمار *

فلما طال ذلك على الخوارج كمن له رجل منهم ذات يوم فضربه بالسيف على حبال عاتقه فصرعه فاحتمله أصحابه وداووه حتى برأ وخرج اليهم على عادته ثم ان الخوارج أقامت عليهم أشهرا حتى نفدت أطعمتهم واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد الشديد فقال لهم عتاب أيها الناس قد نزل بكم من الجهد ما ترون وما بقى الا أن يموت أحدكم على فراشه فيدفنه أخوه ان استطاع ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ولا يصلى عليه والله ما أنتم بالقليل وانكم الفرسان الصلحاء فاخرجوا بنا الى هؤلاء وبكم قوة وحياة قبل ان تضعفوا عن الحركة من الجهد فوالله انى لارجو ان صدقتموهم أن تظفروا بهم فاجابوه الى ذلك

﴿ذكر قتل ابن الماحوز وامارة قطرى بن الفجاءة﴾

لما أمر عتاب أصحابه بقتال الخوارج وأجابوه الى ذلك جمع الناس وأمر لهم بطعام كثير ثم خرج حين أصبح فاتى الخوارج وهم آمنون فحملوا عليهم فقاتلوهم حتى أخرجوهم من عسكرهم وانتهوا الى الزبير بن الماحوز فنزل فى عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل وانحازت الازارقة الى قطرى ابن الفجاءة المازنى وكنيته أبو نعامة فبايعوه وأصاب عتاب وأصحابه من عسكرهم ما شاؤا وجاء قطرى فنزل فى عسكر الزبير ثم سار عن أصبهان وتركها وأتى ناحية كرمان وأقام بها حتى اجتمعت اليه جموع كثيرة وجبى المال وقوى ثم أقبل الى أصبهان ثم اتى الى ارض الاهواز فاقام بها والحرث بن ابى ربيعة عامل مصعب على البصرة فكتب الى مصعب يخبره بالخوارج وانهم ليس لهم الا المهلب فبعث الى المهلب وهو على الموصل والجزيرة فامره بقتال الخوارج وبعث الى الموصل

الاختصار فى هذا الكتاب على حسب ما نمى الينا من أخبارهم واتصل بنا من آثارهم وذكره الناس من آرائهم عن الفانى والباقى ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ما ذهب اليه العرب فى النفوس والهام والصفر وغير ذلك من مذاهب الجاهلية فى النفوس والمرى﴾

تنازع الناس فى كيفيتها فمنهم من زعم أن النفوس فى الدم لا غير وان الروح الهواء الذى فى باطن جسم المرء منه نفسه ولذلك سموا المرأة نفساء لما يخرج منها من الدم ومن أجل ذلك تنازع فقهاء الامصار فيما له نفس سائلة اذا سقط فى الماء هل ينجسه أم لا قال تأبط شرا خال الشنفرى الاكبر وكان من قصته أنه قال لجمته عضبا فسالت نفسه سكبا وقالوا ان الميت لا ينبعث منه الدم ولا يوجد فيه ولكن فى حال الحياة والنماء مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات بقى اليبس والبرد ونفيت الحرارة قال ابن براق من كلمة

وكم لاقيت ذا حبب شديد
تسيل به النفوس على الصدور

براهيم بن الاشتر وجاء المهلب الى البصرة وانتخب الناس وسار بهم نحو الخوارج ثم أقبلوا اليه حتى التقوا بسولاف فاقتتلوا بها ثمانية أشهر اشد قتال رآه الناس

﴿ ذكر حصار الرى ﴾

وفيها أمر مصعب عتاب بن ورقاء الرياحى عامله على اصبهان بالمسير الى الرى وقتال أهلها لمساعدتهم الخوارج على يزيد بن الحرث رويم وامتناعهم من مدينتهم فسار اليهم عتاب فنازلهم وقاتلهم وعليهم الفرخان والح عليهم عتاب بالقتال ففتحها عنوة وغنم مافيها وافتتح سائر قلاع نواحيها وفيها كان بالشام قحط شديد حتى انهم لم يقدروا من شدته على الغزو وفيها عسكر عبد الملك بن مروان ببطنان وهو قريب قنسرين وشتى بها ثم رجع الى دمشق

﴿ ذكر خبر عبيد الله بن الحر ومقتله ﴾

فى هذه السنة قتل عبيد الله بن الحر الجعفى وكان من خيار قومه صلاحا وفضلا واجتهادا فلما قتل عثمان ووقعت الحرب بين على ومعاوية قصد معاوية فكان معه لمحبته عثمان وشهد معه صفين هو ومالك بن مسمع وأقام عبيد الله عند معاوية وكان له زوجة بالكوفة فلما طالت غيبته زوجها اخوها رجلا يقال له عكرمة بن الخبيص وبلغ ذلك عبيد الله فاقبل من الشام فخاصم عكرمة الى على فقال له ظاهرت علينا عدونا فعلت فقال له ايمنعنى ذلك من عدلك قال لا فقص عليه قصته فرد عليه امرأته وكانت حبلى فوضعها عند من يثق اليه حتى وضعت فالحق الولد بعكرمة ودفع المرأة الى عبيد الله وعاد الى الشام فاقام به حتى قتل على فلما قتل اقبل الى الكوفة فأتى اخوانه فقال ما أرى احدا ينفعه اعتزاله كنا بالشام فكان من أمر معاوية كيت وكيت فقال وكان من أمر على كيت وكيت وكانوا يلتقون بذلك فلما مات معاوية وقتل الحسين بن على لم يكن عبيد الله فيمن حضر قتله يغيب عن ذلك تعمدا فلما قتل جعل ابن زياد يتفقد الاشراف من اهل الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحر ثم جاءه بعد ايام حتى دخل عليه فقال له أين كنت يا ابن الحر قال كنت مريضا قال مريض القلب أم مريض البدن فقال اما قلبى فلم يمرض واما بدنى فقد من الله على بالعافية فقال ابن زياد كذبت ولكنك كنت مع عدونا فقال لو كنت معه لرؤى مكانى وغفل عنه ابن زياد فخرج فركب فرسه ثم طلبه ابن زياد فقالوا ركب الساعة فقال على به فاحضر الشرط خلفه فقالوا أجب الامير فقال ابلغوه عنى انى لا آتيه طائعا ابدا ثم اجرى فرسه وأتى منزل احمد بن زياد الطائى فاجتمع اليه اصحابه ثم خرج حتى اتى كربلاء فنظر الى مصارع الحسين ومن قتل معه فاستغفر لهم ثم مضى الى المدائن وقال فى ذلك

يقول امير غادر وابن غادر * الا كنت قاتلت الحسين بن فاطمة
ونفسى على خذلانه واعتزاله * وبيعة هذا الناكث العهد لائمه
فياندمى ان لا اكون نصرته * الا كل نفس لا تسدد نادمه
وانى لانى لم أكن من حماته * لذو حسرة ان لا تفارق لازمه
سقى الله أرواح الذين تبادروا * الى نصره سحا من الغيث دائمه
وقفت على اجداثهم ومحالهم * فكاد الحشا ينقض والعين ساجمه
لعمرى لقد كانوا مصاليت فى الوغى * سراعا الى الهيجا حماة خضارمه
تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم * باسيافهم آساد غيل ضراغمه
فان يقتلوا فى كل نفس بقية * على الارض قد أضحت لذلك واجمه

اذا الحرب العوان به استهامت

وحال فذاك يوم قطرير (وطائفة منهم) تزعم أن النفس طائر ينبسط فى جسم الانسان فاذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به متصورا اليه فى صورة طائر يصرخ على قبر مستوحشا وفى ذلك يقول بعض الشعراء وذكر أصحاب الفيل

سلط الطير والمنون عليهم فلهم فى صدى المقابر هام

لان هذا الطائر يسمونه الهام والواحدة هامة وجاء الاسلام وهم على ذلك حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم لا هام ولا صفر ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم وهى أبدا تتوحش وتصدح وتوجد أبدا فى الديار المعطلة والنواويس وحيث مصارع الموتى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت فى محلته بفنائهم لتعلم ما يكون بعده فتخبره به حتى قال الصلت ابن أمية لبنيه

هامتى تخبرنى بما تستشعروا فتجنبوا الشنعاء والمكروها

(وفى ذلك يقول فى الاسلام توبة فى ليلى الاخيلية)

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت على ودونى جندل وصفائح

وما ان رأى الراؤن أفضل منهم * لدى الموت سادات وزهر قماقمه
بقتلهم ظلما وبرجو ودادنا * فدع خطة ليست لنا بملائمه
لعمرى لقد راغمتمونا بقتلهم * فكم ناقم منا عليكم وناقمه
أهم مرارا أن أسير بجحفل * الى فئة زاغت عن الحق ظالمه
فكفوا والا زدتكم بكتائب * أشد عليكم من زحوف الديالمه

وأقام ابن الحر بمنزله على شاطئ الفرات الى ان مات يزيد ووقعت الفتنة فقال ما أرى قرشيا ينصف أين ابناء الحرائر فاتاه كل خليع ثم خرج الى المدائن فلم يدع مالا قدم به للسلطان الا أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ويكتب لصاحب المال بذلك ثم جعل ينقص الكور على مثل ذلك الا انه لم يتعرض لمال احد ولا ذمة فلم يزل كذلك حتى ظهر المختار وسمع ما يعمل فى السواد فاخذ امرأته فحبسها فاقبل عبيد الله فى أصحابه الى الكوفة فكسر باب السجن واخرجها واخرج كل امرأة فيه وقال فى ذلك

ألم تعلمى يا أم توبة اننى * أنا الفارس الحامى حقائق مذحج
وانى صبحت السجن فى سورة الضحى * بكل فتى حامى الذمار مدجج
فما ان برحنا السجن حتى بدا لنا * جبين كقرن الشمس غير مشنج
وخد اسيل عن فتاة حيية * الينا سقاها كل دان مثجج
فما العيش الا أن أزورك آمنا * كعادتنا من قبل حربى ومخرجى
ومازلت محبوسا لحبسك واجما * وانى بما تلقين من بعده شجى

وهى طويلة وجعل يبعث بعمال المختار وأصحابه فاحرقت همدان داره ونهبوا ضيعته فسار عبيد الله الى ضياع همدان فنهبها جميعها وكان يأتى المدائن فيمر بعمال جوخى فيأخذ ما معهم من المال ثم يميل الى الجبل فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار وقيل انه بايع المختار بعد امتناع وأراد المختار ان يسطو به فامتنع لاجل ابراهيم بن الاشتر ثم سار مع ابن الاشتر الى الموصل ولم يشهد معه قتال ابن زياد أظهر المرض ثم فارق ابن الاشتر وأقبل فى ثلثمائة الى الانبار فاغار عليها وأخذ ما فى بيت مالها فلما فعل ذلك أمر المختار بهدم داره وأخذ امرأته ففعل ما تقدم ذكره وحضر مع مصعب قتال المختار وقتله فلما قتل المختار قال الناس لمصعب فى ولايته الثانية انا لا نأمن ان يثب ابن الحر بالسواد كما كان يفعل بابن زياد والمختار فحبسه فقال

فمن مبلغ الفتيان ان أخاهم * اتى دونه باب شديد وحاجبه
بمنزلة ما كان يرضى بمثلها * اذا قام عنته كبول تجاذبه
على الساق فوق الكعب أسود صامت * شديد يدانى خطوه ويقاربه
وما كان ذا من عظم جرم جرمته * ولكن سعى الساعى بما هو كاذبه
وقد كان فى الارض العريضة مسلك * وأى امرئ ضاقت عليه مذاهبه

وقال

باى بلاء ام باية نعمة * تقدم قبلى مسلم والمهلب

يعنى مسلم بن عمرو والد قتيبة والمهلب بن ابى صفرة وكلم عبيد الله قوما من وجوه مذحج ليشفعوا له الى مصعب وارسل الى فتيان مذحج وقال البسوا السلاح واستروه فان شفعهم مصعب فلا تعترضوا لاحد وان خرجوا ولم يشفعهم فاقصدوا السجن فانى سأعينكم من داخل فلما شفع أولئك النفر فيه شفعهم مصعب واطلقه فأتى منزله وأتاه الناس يهنونه فقال لهم ان هذا الامر لا يصلح الا بمثل

لسلمت تسليم البشاشة أوزقا اليها صدى من جانب القبر صائح

وهذا من قولهم يدل على ان الصدى ينزل الى قبورهم ويصعد ومن ذلك ما روى عن حاتم طيئ مما سنورد خبره فى هذا الكتاب

أتيت لصحبك تبغى القرى لدى حفرة صدحت هامها

وسنذكر هذا الشعر فى أخبار الحجاج بن يوسف مع ليلى الاخيلية من هذا الكتاب وقد قيل ان هذه الابيات لغير توبة وهذا كثير فى أشعارهم ومنثور كلامهم وسجعهم وخطبهم وغير ذلك من محاوراتهم للعرب وغيرهم من أهل الملل ممن سلف وخلف كلام كثير فى تنقل الارواح قد أتينا على مبسوط ذلك فى كتابنا المترجم بسر الحياة وكتاب الدعاوى وبالله التوفيق

﴿ ذكر أقاويل العرب فى الغيلان والتغول وما لحق بهذا الباب ﴾

للعرب فى الغيلان وتغولها أخبار ظريفة العرب يزعمون ان الغول يتغول لهم فى الخلوات ويظهر لخواصهم فى أنواع من الصور فيخاطبونها وربما ضيفوها وقد أكثروا من ذلك فى أشعارهم فمنها قول

الخلفاء الماضين الاربعة ولم نرلهم فيناشبها فنلق اليه أزمتنافان كان من عز يزفعلام نعقد في اعناقنا بيعة ولبسوا باشجع منا لقاء ولا اعظم مناعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى وكلهم عاص مخالف قوى الدنيا ضعيف الآخرة فعلام تستحل حرمتنا ونحن أصحاب النخيلة والقادسية وجلولاء ونهاوند نلقى الاسنة بنحورنا والسيوف بجباهنا ثم لا يعرف حقنا وفضلنا فقاتلوا عن حريمكم فانى قد قلبت لكم ظهر المجن واظهرت لهم العداوة ولا قوة الا بالله وخرج عن الكوفة وحاربهم واغار فارسل اليه مصعب سيف بن هانئ المرادى فعرض عليه خراج بادرويا وغيرها ويدخل فى الطاعة فلم يجب الى ذلك فبعث اليه مصعب الابرد بن قرة الرياحى فقاتله فهزمه عبيد الله وضربه على وجهه فبعث اليه أبضا حريث بن يزيد فقتله عبيد الله فبعث اليه مصعب الحجاج بن جارية الخثعمى ومسلم بن عمرو فلقياه بنهر صرصر فقاتلهما فهزمهما فارسل اليه مصعب يدعوه الى الامان والصلة وأن يوليه أى بلد شاء فلم يقبل وأتى نرسى ففر دهقانها بمال الفلوجة فتبعه ابن الحر حتى مر بعين تمر وعليها بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى فالتجأ اليهم الدهقان فخرجوا الى عبيد الله فقاتلوه ووافاهم الحجاج بن جارية الخثعمى فحمل على عبيد الله فاسره عبيد الله واسر أيضا بسطام بن مصقلة وناسا كثيرا وبعث ناسا من أصحابه فأخذوا المال الذى مع الدهقان واطلق الاسرى ثم ان عبيد الله أتى تكريت فاقام يجبى الخراج فبعث اليه مصعب الابرد بن قرة الرياحى والجون بن كعب الهمدانى فى الف وامدهم المهلب بيزيد بن المغفل فى خمسمائة فقال لعبيد الله رجل من أصحابه قد أتاك جمع كثير فلا تقاتلهم فقال

يخوفنى بالقتل قومى وانما * أموت اذا جاء الكتاب المؤجل
لعل القنا تدنى باطرافها الغنى * فنحيى كراما نجتدى ونؤمل
ألم تر ان الفقر يزرى باهله * وان الغنى فيه العلى والتجمل
وانك الا تركب الهول لا تنل * من المال ما يرضى الصديق ويفضل

وقاتلهم عبيد الله يومين وهو فى ثلثمائة ولما كان عند المساء تحاجزوا وخرج عبيد الله من تكريت وقال لاصحابه انى سائر بكم الى عبد الملك بن مروان فتجهزوا وقال انى خائف ان أموت ولم أذعر مصعبا واصحابه وسار نحو الكوفة فبلغ كسكر فاخذ بيت مالها ثم أتى الكوفة فنزل بحمام جرير فبعث اليه مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر فقاتله فخرج الى دير الاعور فبعث اليه مصعب حجار بن ابجر فانهزم حجار فشتمه مصعب وضم اليه الجون بن كعب الهمدانى وعمر بن عبيد الله بن معمر فقاتلوه باجمعهم وكثرت الجراحات فى عسكر عبيد الله بن الحر وعقرت خيولهم وانهزم حجار ثم رجع فاقتتلوا قتالا شديدا حتى امسوا وخرج ابن الحر من الكوفة وكتب مصعب الى يزيد بن الحرث بن رويم الشيبانى وهو بالمدائن يامره بقتال ابن الحر فقدم ابنه حوشبا فلقيه بباجسرى فهزمه عبيد الله وقتل فيهم واقبل ابن الحر الى المدائن فتحصنوا منه فخرج عبيد الله فوجه اليه الجون بن كعب الهمدانى وبشر بن عبد الله الاسدى فنزل الجون بحولايا وقدم بشر الى تامرا فلقى ابن الحر فقتله ابن الحر وهزم اصحابه ثم لقى الجون بن كعب بحولايا فخرج اليه عبد الرحمن بن عبد الله فقتله ابن الحر وهزم أصحابه وخرج اليه بشير بن عبد الرحمن بن بشير العجلى فقاتله بسوراء قتالا شديدا فرجع عنه بشير وأقام ابن الحر بالسواد يغير ويجبى الخراج ثم لحق بعبد الملك بن مروان فلما صار اليه أكرمه واجلسه معه على السرير وأعطاه مائة ألف درهم وأعطى أصحابه مالا فقال له ابن الحر لتوجه معى جندا أقاتل بهم مصعبا فقال له سر باصحابك وادع من قدرت عليه وانا ممدك

بالرجال

تأبط شرا

وأدهم قد جبت جلبابه
كما اجتابت الكاعب الخيعلا
فاصبحت والغول لى جارة
فيا جارتى أنت ما أهولا
وطالبتها بضعها فالتوت
بوجه تغوّل فاستغولا
فمن كان يسأل عن جارتى
فان لها باللوى منزلا

و يزعمون ان رجليها رجلا عنز وكانوا اذا اعترضتهم الغول فى الفيافى يرتجزون ويقولون

يا رجل عنز انهقى نهيقا
لن نترك السبيل والطريقا

وذلك انها كانت تتراءى لهم فى الليالى واوقات النهار فيتوهمون انها انسان فيتبعونها فتزيلهم عن الطريق التى هم عليها وتتيههم وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد فاذا صيح بها على ما وصفنا شردت عنهم فى بطون الاودية ورؤس الجبال (وقد ذكر جماعة) من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه شاهد ذلك فى بعض أسفاره الى الشام وان الغول كانت تتغول له وانه ضربها بسيفه وذلك قبل ظهور الاسلام وهذا مشهور عندهم فى اخبارهم

بالرجال فسار باصحابه نحو الكوفة فنزل بقرية الى جانب الانبار فاستأذنه اصحابه فى اتيان الكوفة فاذن لهم وأمرهم ان يخبروا أصحابه بقدومه ليخرجوا اليه فبلغ ذلك القيسية فاتوا الحرث بن أبى ربيعة عامل ابن الزبير بالكوفة فسألوه ان يرسل معهم جيشا يقاتلون عبيد الله ويغتنمون الفرصة فيه بتفرق أصحابه فبعث معهم جيشا كثيفا فساروا فلقوا ابن الحر فقال لابن الحر أصحابه نحن نفر يسير وهذا الجيش لا طاقة لنا به فقال ما كنت لادعهم وحمل عليهم وهو يقول

يا لك يوما فات فيه نهبى * وغاب عنى ثقتى وصحبى

ثم عطفوا عليه فكشفوا أصحابه وحاولوا أن يأسروه فلم يقدروا على ذلك وأذن لاصحابه فى الذهاب فذهبوا فلم يعرض لهم أحد وجعل يقاتل وحده فحمل عليه رجل من باهلة يكنى أبا كدية فطعنه وجعلوا يرمونه ويكثبون عليه ولا يدنون منه وهو يقول أهذه نبل ام مغازل فلما اثخنته الجراح خاض الى معبر هنالك فدخله ولم يدخل فرسه فركب السفينة ومضى به الملاح حتى توسط الفرات فاشرفت عليه الخيل وكان معه فى السفينة نبط فقالوا لهم ان فى السفينة طلبة أمير المؤمنين فان فاتكم قتلنا كم فوثب ابن الحر ليرمى نفسه فى الماء فوثب اليه رجل عظيم الخلق فقبض على يديه وجراحاته تجرى دما وضربه الباقون بالمجاذيف فلما رأى انه يقصد به نحو القيسية قبض على الذى معه وألقى نفسه معه فى الماء فغرقا وقيل فى قتله انه كان يغشى مصعب بن الزبير بالكوفة فرآه يقدم عليه غيره فكتب الى عبد الله بن الزبير قصيدة يعاتب فيها مصعبا ويخوفه مسيره الى ابن مروان يقول فيها

أبلغ امير المؤمنين رسالة * فلست على رأى قبيح أواربه
افى الحق ان اجفى ويجعل مصعب * وزيراه من كنت فيه احاربه
فكيف وقد آتيتكم حق بيعتى * وحقى يلوى عندكم وأطالبه
وأبليتكم مالا يضيع مثله * وآسيتكم والامر صعب مراتبه
فلما استنار الملك وانقادت العدى * وادرك من ملك العراق رغائبه
جفا مصعب عنى ولو كان غيره * لاصبح فيما بيننا لا اعاتبه
لقد رابنى من مصعب ان مصعبا * ارى كل ذى غش لنا هو صاحبه
وما انا ان خليتمونى بوارد * على كدر قد غص بالماء شاربه
وما لامرئ الا الذى الله سائق * اليه وما قد خط فى الزبر كاتبه
اذا قمت عند الباب ادخل مسلما * فيمنعنى ان أدخل الباب حاجبه

فحبسه مصعب وله معه معاتبات من الحبس ثم انه قال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان منها

ألم تر قيسا قيس عيلان برقعت * لحاها وباعت نبلها بالمغازل

فارسل زفر بن الحرث الكلابى الى مصعب انى قد كفيتك قتال ابن الزرقاء يعنى عبد الملك بن مروان وابن الحر يهجو قيسا ثم ان نفرا من بنى سليم أسروا ابن الحر فقال اغا قلت

ألم تر قيسا قيس عيلان اقبلت * وسارت الينا فى القنا والقبائل

فقتله رجل منهم يقال له عياش

(ذكر عدة حوادث)

قيل فى هذه السنة وافى عرفات أربعة ألوية لواء لابن الحنفية وأصحابه ولواء لابن الزبير وأصحابه ولواء لبنى امية ولواء لنجدة الحروى ولم يجر بينهم حرب ولا فتنة وكان اصحاب ابن الحنفية اسلم

(وقد حكى) عن بعض المتفلسفين أن الغول حيوان شاذ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعة وانه لما خرج منفردا فى نفسه وهيئته توحش من مسكنه فطلب القفار وهو يناسب الانسان والحيوان البهيمى فى الشكل وقد ذهبت طوائف من الهند الى ان ذلك انما يظهر من فعل ما كان غائبا من الكواكب عند طلوعها مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الجبار وهى الشعرى العبور وان ذلك يحدث داء فى الكلاب وسهيل فى الجمل والذئب فى الدب وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر فى الصحارى وغيرها من العالم فتسميه عوام الناس غولا وهى ثمانية وأربعون كوكبا وقد ذكرها بطليموس وغيره ممن تقدم وتأخر وقد وصف ذلك أبو معشر فى كتابه المعروف بالمدخل الكبير فى النجوم وذكر كيفية صورة كل كوكب عند ظهوره فى أنواع مختلفة (وزعمت طائفة) من الناس أن الغول شئ يعرض للسفار ويتمثل فى ضروب من الصور كرا

الجماعة وكان العامل لابن الزبير على المدينة هذه السنة جابر بن الاسود بن عوف الزهرى وعلى البصرة والكوفة مصعب اخوه وعلى قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم وكان عبد الملك بن مروان بالشام مشاققا لابن الزبير ومات عبد الله بن عباس سنة ثمان وستين وعمره اربع وسبعون سنة وقيل غير ذلك وفيها مات عدى بن حاتم الطائى وقيل سنة ست وستين وعمره مائة وعشرون سنة ومات ابو واقد الليثى واسمه الحرث بن مالك وفيها توفى ابو شريح الخزاعى واسمه خويلد بن عمرو وهو الكعبى (شريح بالشين المعجمة) وعبد الرحمن بن حاطب بن ابى بلتعة وقيل انه ولد زمن النبى صلى الله عليه وسلم (حاطب بالحاء المهملة وبلتعة بالباء الموحدة والتاء المثناة من فوق والعين المهملة المفتوحات)

﴿ثم دخلت سنة تسع وستين﴾

﴿ذكر قتل عمرو بن سعيد الاشدق﴾

فى هذه السنة خالف عمرو بن سعيد عبد الملك بن مروان وغلب على دمشق فقتله وقيل كانت هذه الحادثة سنة سبعين وكان السبب فى ذلك أن عبد الملك بن مروان اقام بدمشق بعد رجوعه من قنسرين ماشاء الله ان يقيم ثم سار يريد قرقيسيا وبها زفر بن الحرث الكلابى وكان عمرو بن سعيد مع عبد الملك فلما بلغ بطنان حلب رجع عمرو ليلا ومعه حميد بن حريث الكلبى وزهير بن الابرد الكلبى فاتى دمشق وعليها عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفى قد استخلفه عبد الملك فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب عنها ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنه وهدم دار ابن ام الحكم وجمع الناس اليه فخطبهم ومناهم ووعدهم واصبح عبد الملك وقد فقد عمرا فسأل عنه فاخبر خبره فرجع الى دمشق فقاتله اياما وكان عمرو اذا أخرج حميد بن حريث على الخيل اخرج اليه عبد الملك سفيان ابن الابرد الكلبى واذا أخرج عمرو زهير بن الابرد أخرج اليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل ثم ان عبد الملك وعمرا اصطلحا وكتبا بينهما كتابا وامنه عبد الملك فخرج عمرو فى الخيل الى عبد الملك فاقبل حتى اوطأ فرسه أطناب عبد الملك فانقطعت وسقط السرادق ثم دخل على عبد الملك فاجتمعا ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس فلما كان بعد دخول عبد الملك باربعة أيام ارسل الى عمرو ان ائتنى وقد كان عبد الملك استشار كريب بن ابرهة الحميرى فى قتل عمرو فقال لا ناقة لى فى هذا ولا جمل فى مثل هذا اهلكت حمير فلما اتى الرسول عمرا يدعوه صادف عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية فقال لعمرو يا ابا أمية انت احب الى من سمعى ومن بصرى وارى لك ان لا تأتيه فقال عمرو ولم قال لان تبيعا ابن امرأة كعب الاحبار قال ان عظيما من ولد اسمعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث ان يقتل فقال عمرو والله لو كنت نائما ما انتهبنى ابن الزرقاء ولا اجترأ على اما انى رأيت عثمان البارحة فى المنام فالبسنى قميصه وكان عبد الله بن يزيد زوج ابنة عمرو ثم قال عمرو للرسول انا رائح العشية فلما كان العشاء لبس عمرو درعا ولبس عليها القباء وتقلد سيفه وعنده حميد بن حريث الكلبى فلما نهض متوجها عثر بالبساط فقال له حميد والله لو أطعتنى لم تأته وقالت له امرأته الكلبية كذلك فلم يلتفت ومضى فى مائة من مواليه وقد جمع عبد الملك عنده بنى مروان فلما بلغ الباب اذن له فدخل فلم يزل أصحابه يحبسون عند كل باب حتى بلغ قاعة الدار وما معه الا وصيف له فنظر عمرو الى عبد الملك واذا حوله بنو مروان وحسان بن بحدل الكلبى وقبيصة بن ذؤيب الخزاعى فلما رأى جماعتهم أحس بالشر فالتفت الى وصيفه وقال انطلق الى أخى يحيى فقل له يأتينى فلم يفهم الوصيف فقال له لبيك فقال عمرو اعزب عنى فى حرق الله وناره واذن عبد الملك لحسان

كان أوانثى الآن أكثر كلامهم على انه أنثى وقد قال أبو المطراب

وحالفنى الوحوش على الوفاء
وتحت عهودهن وبالبعاد
وغولا قفرة ذكرا وأنثى
كان عليهما قطع النجاد

وقال آخر وهو كعب بن زهير الصحابى

فما تدوم على حال تكون بها
كما تلون فى اثوابها الغول

وقد قدمنا ذكر ذلك فيما سلف من هذا الكتاب فى هذا المعنى وان كل كوكب يظهر فى صورة مخالفة لما تقدمه من الصور يحدث فى هذا العالم نوعا من الافعال ينفرد بفعله عن غيره من الكواكب (وكانت العرب) قبل الاسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخييل واختلال السابلة قال أبو المطراب

فلله در الغول أى رفيقة
لصاحب قفر خائف وهو معبر
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت
حوالى نيرانا تلوح وتزهر

وقد فرقوا بين السعلاة والغول قال عبيد

وقبيصة فقاما فالتقيا عمرا فى الدار فقال عمرو لوصيفه انطلق الى يحيى فمره ان يأتينى فقال لبيك فقال عمرو اعزب عنى فلما خرج حسان وقبيصة أغلقت الابواب ودخل عمرو فرحب به عبد الملك وقال ههنا ههنا يا أبا أمية فاجلسه معه على السرير وجعل يحادثه طويلا ثم قال يا غلام خذ السيف عنه فقال عمرو انا لله يا أمير المؤمنين فقال عبد الملك اتطمع ان تجلس معى متقلدا سيفك فاخذ السيف عنه ثم تحدثا ثم قال له عبد الملك يا أبا أمية انك حيث خلعتنى آليت بيمين ان انا ملأت عينى منك وانا مالك لك ان أجعلك فى جامعة فقال له بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين قال نعم وما عسيت ان أصنع بابى أمية فقال بنو مروان ابر قسم أمير المؤمنين فقال عمرو وقد ابر الله قسمك يا أمير المؤمنين فاخرج من تحت فراشه جامعة وقال يا غلام قم فاجمعه فيها فقام الغلام فجمعه فيها فقال عمرو واذكرك الله يا أمير المؤمنين ان تخرجنى فيها على رؤس الناس فقال عبد الملك أمكرا يا أبا أمية عند الموت لا والله ما كنا لنخرجك فى جامعة على رؤس الناس ثم جذبه جذبة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته فقال عمرو واذكرك الله يا أمير المؤمنين كسر عظم منى فلا تركب ما هو أعظم من ذلك فقال له عبد الملك والله لو اعلم انك تبقى على اذا أبقيت عليك وتصلح قريش لأطلقتك ولكن ما اجتمع رجلان فى بلدة قط على ما نحن عليه الا أخرج احدهما صاحبه فلما رأى عمرو انه يريد قتله قال أغدرا يا ابن الزرقاء وقيل ان عمرا لما سقطت ثنيتاه جعل يمسهما فقال عبد الملك يا عمرو أرى ثنيتيك قد وقعتا منك موقعا لا تطيب نفسك لى بعدها وأذن المؤذن العصر فخرج عبد الملك يصلى بالناس وأمر أخاه عبد العزيز ان يقتله فقام اليه عبد العزيز بالسيف فقال عمرو أذكرك الله والرحم ان تلى قتلى ليقتلنى من هو أبعد رحما منك فالقى السيف وجلس وصلى عبد الملك صلاة خفيفة ودخل وغلقت الابواب ورأى الناس عبد الملك حين خرج وليس معه عمرو فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد فاقبل فى الناس ومعه ألف عبد لعمرو وناس من اصحابه كثير فجعلوا يصيحون بباب عبد الملك اسمعنا صوتك يا ابا أمية فاقبل مع يحيى حميد بن حريث وزهير بن الابرد فكسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف وضرب الوليد بن عبد الملك على رأسه واحتمله ابراهيم بن عربى صاحب الديوان فادخله بيت القراطيس ودخل عبد الملك حين صلى فرأى عمرا بالحياة فقال لعبد العزيز ما منعك ان تقتله فقال انه ناشدنى الله والرحم فرققت له فقال له اخزى الله امك البوالة على عقبها فانك لم تشبه غيرها ثم اخذ عبد الملك الحربة فطعن بها عمرا فلم تجز ثم ثنى فلم تجز فضرب بيده على عضده فرأى الدرع فقال ودرع ايضا ان كنت لمعدا فاخذ الصمصامة وامر بعمرو فصرع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول

يا عمرو ان لا تدع شتمى ومنقصتى * اضربك حيث تقول الهامة اسقونى

وانتفض عبد الملك رعدة فحمل عن صدره فوضع على سريره وقال ما رأيت مثل هذا قط قتله صاحب دنيا ولا طالب آخرة ودخل يحيى ومن معه على بنى مروان ومن كان من مواليهم فقاتلوا يحيى واصحابه وجاء عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفى فدفع اليه الرأس فالقاه الى الناس وقام عبد العزيز بن مروان واخذ المال فى البدر فجعل يلقيها الى الناس فلما رأى الناس الرأس والاموال تفرقوا وانتهبوا ثم امر عبد الملك بتلك الاموال فجبيت حتى عادت الى بيت المال وقيل ان عبد الملك انما امر بقتل عمرو حين خرج الى الصلاة غلامه ابن الزعيزعة فقتله وألقى رأسه الى الناس ورمى يحيى بصخرة فى رأسه وأخرج عبد الملك سريره الى المسجد وخرج وجلس عليه وفقد الوليد ابنه فقال والله ان كانوا اقتلوه لقد ادركوا ثارهم فاتاه ابراهيم بن عربى الكنانى فقال الوليد

وساخرة منى ولو أن عينها
رأت ما رأت عينى من الهول جنت
أبيت بسعلاة وغول بقفرة
اذا الليل وارى الجن فيه أرنت

(وقد وصفها بعضهم فقال)

وحافر العنز فى ساق مدملجة
وجفن عين خلاف الانس بالطول

(وللناس) كلام كثير فى الغيلان والشياطين والمردة والجن والقطرب والقدار وهو نوع من الانواع المشيطنة يعرف بهذا الاسم يظهر فى أكناف اليمن والتهائم وأعالى صعيد مصر وأنه ربما يلحق الانسان فينكحه فيتدود دبره فيموت وربما يتراءى للانسان فيذعره فاذا أصاب الانسان ذلك منه يقول له أهل تلك النواحى التى سمينا أمنكوح هو أم مذعور فان قالوا امنكوح يئس منه وان كان مذعورا أسكن روعه وشجع مما ناله وذلك ان الانسان اذا عاين ذلك سقط مغشيا عليه ومنهم من يظهر له ذلك فلا يكترث به لشهامة قلبه وشجاعة نفسه وما ذكرنا مشهور فى البلاد التى سمينا ويمكن جمع ما قلنا مما حكيناه مما ذكرنا من

عندى وقد جرح وليس عليه بأس واتى عبد الملك بيحيى بن سعيد وامر به ان يقتل فقام اليه عبد العزيز بن مروان فقال جعلت فداك يا امير المؤمنين أتراك قاتلا بنى امية فى يوم واحد فامر بيحيى فحبس واراد قتل عنبسة بن سعيد فشفع فيه عبد العزيز ايضا واراد قتل عامر بن الاسود الكلبى فشفع فيه عبد العزيز وامر ببنى عمرو بن سعيد فحبسوا ثم اخرجهم مع عمهم يحيى فالحقهم بمصعب ابن الزبير ثم بعث عبد الملك الى امرأة عمرو الكلبية ابعثى الى كتاب الصلح الذى كتبته لعمرو فقالت لرسوله ارجع فاعلمه ان ذلك الصلح معه فى اكفانه ليخاصمك عند ربه وكان عبد الملك وعمرو يلتقيان فى النسب فى امية هذا عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابى العاص بن امية وذاك عمرو ابن سعيد بن العاص بن امية وكانت ام عمرو وام البنين بنت الحكم عمة عبد الملك فلما قتل عبد الملك مصعبا واجتمع الناس عليه دخل اولاد عمرو على عبد الملك وهم اربعة امية وسعيد واسمعيل ومحمد فلما نظر اليهم قال لهم انكم اهل بيت لم تزالوا ترون لكم على جميع قومكم فضلا لم يجعله الله لكم وان الذى كان بينى وبين ابيكم لم يكن حديثا ولكن كان قديما فى انفس اوليائكم على اوليائنا فى الجاهلية فاقطع بامية وكان اكبرهم فلم يقدر ان يتكلم فقام سعيد بن عمرو وكان الاوسط فقال يا امير المؤمنين ما تبغى علينا امرا كان فى الجاهلية وقد جاء الله بالاسلام فهدم ذلك ووعد جنة وحذر نارا واما الذى كان بينك وبين عمرو فانه كان ابن عمك وانت اعلم بما صنعت وقد وصل عمرو الى الله وكفى بالله حسيبا ولعمرى لئن اخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الارض خير لنا من ظهرها فرق لهم عبد الملك وقال ان اباكم خيرنى بين ان يقتلنى او اقتله فاخترت قتله على قتلى واما انتم فما ارغبنى فيكم واوصلنى لقرابتكم واحسن جائزتهم ووصلهم وقربهم وقيل ان خالد بن يزيد قال لعبد الملك ذات يوم عجبت كيف اصبت غرة عمرو فقال عبد الملك

ادنيته منى ليسكن روعه ✻ واصول صولة حازم متمكن

غضبا ومحمية لدينى انه ✻ ليس المسىء سبيله كالمحسن

وقيل انما خلع عمرو وقتله حين سار عبد الملك نحو العراق لقتال مصعب فقال له عمرو انك تخرج الى العراق وقد كان ابوك جعل لى هذا الامر بعده وعلى ذلك قاتلت معه فاجعل هذا الامر لى بعدك فلم يجبه عبد الملك فرجع الى دمشق وكان من قتله ما تقدم وقيل بل كان عبد الملك قد استخلف عمرا على دمشق فخالفه وتحصن بها والله اعلم ولما سمع عبد الله بن الزبير بقتل عمرو قال ان ابن الزرقاء قتل لطيم الشيطان وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وبلغ ذلك ابن الحنفية فقال ومن نكث فانما ينكث على نفسه يرفع له يوم القيامة لواء على قدر غدرته

❁(ذكر عصيان الجراجمة بالشأم)❁

لما امتنع عمرو بن سعيد على عبد الملك خرج أيضا قائد من قواد الضواحى فى جبل اللكام واتبعه خلق كثير من الجراجمة والانباط واباق عبيد المسلمين وغيرهم ثم سار الى البنان فلما فرغ عبد الملك من عمرو ارسل الى هذا الخارج عليه فبذل له كل جمعة الف دينار فركن الى ذلك ولم يفسد فى البلاد ثم وضع عليه عبد الملك سحيم بن المهاجر فتلطف حتى وصل اليه متنكرا فاظهر له ممالاته وذم عبد الملك وشتمه ووعده ان يدله على عوراته وما هو خير له من الصلح فوثق اليه ثم ان سحيما عطف عليه وعلى اصحابه وهم غارون غافلون بجيش مع موالى عبد الملك وبنى امية وجند من ثقات جنده وشجعانهم كان اعدهم بمكان خفى قريب وأمر فنودى من اتانا من العبيد يعنى الذين كانوا معه فهو حر ويثبت فى الديوان فانفض اليه خلق كثير منهم فكانوا ممن قاتل معه فقتل الخارج ومن

هذه البقاع التى يكون فيها ضروب من السوانح الفاسدة والخواطر الرديئة أو غير ذلك من الآفات والادواء المعترضة بجنس الحيوان من الناطقين والله أعلم بكيفية ذلك (ولم نذكر فى هذا الكتاب) ما ذكره أهل الشرائع وما ذكره أهل التواريخ والمصنفون لكتب البدو كوهب بن منبه وابن اسحق وغيرهما ان الله تعالى خلق الجان من نار السموم وخلق منه زوجته كما خلق حواء من آدم وأن الجان غشيها فحملت منه وأنها باضت احدى وثلاثين بيضة وأن بيضة تفلقت من تلك البيض عن قطربة وهى ام القطارب وأن القطربة على صورة الهرة وأن الابالس من بيضة أخرى منهم الحرث ابو مرة وأن مسكنهم الجزائر وأن الغيلان من بيضة أخرى مسكنهم الخرابات والفلوات وأن السعالى من بيضة أخرى سكنوا الحمامات والمزابل وان الهوام من بيضة أخرى سكنوا الهواء فى صورة الحيات ذوات أجنحة يطيرون هنالك وان من بيضة أخرى الجماميص لانا قد ذكرنا

اعانه من الروم وقتل نفر من الجراجمة والانباط ونادى المنادى بالامان فيمن بقى منهم فتفرقوا فى قراهم وسد الخلل وعاد الى عبد الملك ووفى للعبيد

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة قتل زهير بن قيس امير افريقية وقد ذكرنا ذلك سنة اثنتين وستين وفيها حكم رجل من الخوارج بمنى وسل سيفه وكانوا جماعة فامسك الله ايديهم فقتل ذلك الرجل عند الجمرة وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان على البصرة والكوفة له اخوه مصعب وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم وفيها توفى ابو الاسود الدؤلى وله خمس وثمانون سنة

❁(ثم دخلت سنة سبعين)❁

فى هذه السنة اجتمعت الروم واستجاشوا على من بالشام فصالح عبد الملك ملكهم على ان يؤدى اليه كل جمعة الف دينار خوفا منه على المسلمين وفيها شخص مصعب الى مكة فى قول بعضهم ومعه اموال كثيرة ودواب كثيرة فقسمها فى قومه وغيرهم ونهض فنحر بدنا كثيرة وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عماله فيها من تقدم ذكرهم

❁(ذكر يوم الجفرة)❁

وفى هذه السنة سار عبد الملك بن مروان يريد مصعبا فقال له خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد ان وجهتنى الى البصرة واتبعتنى خيلا يسيرة رجوت ان اغلب لك عليها فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفيا فى خاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع وقيل نزل على على بن اصمع الباهلى فارسل عمرو الى عباد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر وكان مصعب قد استخلفه على البصرة ورجا ابن اصمع ان يبايعه عباد بن الحصين وقال له انى قد اجرت خالدا واحببت ان تعلم ذلك لتكون ظهرا لى فوافاه الرسول حين نزل عن فرسه فقال عباد قل له والله لا اضع لبد فرسى حتى آتيك فى الخيل فقال ابن اصمع لخالد ان عبادا يأتينا الساعة ولا اقدر ان امنعك عنه فعليك بمالك بن مسمع فخرج خالد يركض قد اخرج رجليه من الركابين حتى اتى مالكا فقال اجرنى فاجاره وارسل الى بكر بن وائل والازد فكان أول راية اتته راية بنى يشكر واقبل عباد فى الخيل فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال فلما كان الغد عدوا الى جفرة نافع بن الحرث ومع خالد رجال من تميم منهم صعصعة بن معاوية وعبد العزيز ابن بشر ومرة بن محكان وغيرهم وكان أصحاب خالد جفرية ينتسبون الى الجفرة واصحاب ابن معمر زبيرية وكان من أصحاب خالد عبيد الله بن أبى بكرة وحمران بن أبان والمغيرة بن المهلب ومن الزبيرية قيس بن الهيثم السلمى ووجه مصعب زحر بن قيس الجعفى مددا لابن معمر فى ألف ووجه عبد الملك عبيد الله بن زياد بن ظبيان مددا لخالد فارسل عبيد الله الى البصرة من يأتيه بالخبر فعاد اليه فاخبره بتفرق القوم فرجع الى عبد الملك فاقتتلوا أربعة وعشرين يوما وأصيبت عين مالك بن مسمع وضجر من الحرب ومشت بينهم السفراء فاصطلحوا على ان يخرج خالد من البصرة فاخرجه مالك ثم لحق مالك بالنباج وكان عبد الملك قد رجع الى دمشق فلم يكن لمصعب همة الا البصرة وطمع أن يدرك بها خالدا فوجده قد خرج فسخط مصعب على ابن معمر وأحضر أصحاب خالد فشتمهم وسبهم فقال لعبيد الله بن أبى بكرة يا ابن مسروح انما أنت ابن كلبة تعاورها الكلاب فجاءت باحمر وأصفر وأسود من كل كلب بما يشبهه وانما كان أبوك عبدا نزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ثم ادعيتم ان أبا سفيان زنى بامكم والله لئن

ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا وأتينا على ذكر أنسابهم والمشهور من أسمائهم ومساكنهم من الارض والبحار وان كان ما ذكره أهل الشرع مما وصفنا ممكنا غير ممتنع ولا واجب وان كان أهل النظر والبحث والمستعملون لقضية العقل والفحص يمتنعون مما ذكرنا ويأبون ما وصفنا والمصنف حاطب ليل فاوردنا ما قاله الناس من أهل الشرائع وغيرهم اذ الواجب على كل ذى تصنيف أن يورد جميع ما قاله أهل الفرق فى معنى ما ذكرناه وأتينا أيضا على سائر ما خبرنا من الأشخاص التى هى مرئية من الجن والشياطين وما قالوه فى سلوك الجن فى كتابنا المترجم بكتاب المقالات فى أصول الديانات وبالله التوفيق

❁ ذكر قول العرب فى الهواتف والجان ❁

فاما الهواتف فقد كثرت فى العرب واتصلت بديارهم وكان أكثرها أيام مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى أولية مبعثه ومن حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم

بقيت لا الحقنكم بنسبكم ثم دعا حمران فقال له انما أنت ابن يهودية علج نبطى سبيت من عين التمر وقال للحكم بن المنذر بن الجارود ولعبد الله بن فضالة الزهرانى ولعلى بن أصمع ولعبد العزيز بن بشر وغيرهم نحو هذا من التوبيخ والتقريع وضربهم مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وهدم دورهم وصحرهم فى الشمس ثلاثا وحلفهم على طلاق نسائهم وجن أولادهم فى البيوت وطاف بهم فى أقطار البصرة وأحلفهم ان لا ينكحوا الحرائر وهدم دار مالك بن مسمع وأخذ ما فيها فكان مما أخذ جارية ولدت له عمرو بن مصعب وأقام مصعب بالبصرة ثم شخص الى الكوفة فلم يزل بها حتى خرج الى حرب عبد الملك بن مروان (المغيرة بضم الميم وبالغين والراء خالد بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين والجفرة بضم الجيم وسكون الفاء) وفى هذه السنة مات عاصم بن عمر بن الخطاب وهو جد عمر بن عبد العزيز لامه وولد قبل موت النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين

(ذكر مقتل عمير بن الحباب بن جعدة السلمى)

فى هذه السنة قتل عمير بن الحباب بن جعدة السلمى ونحن نذكر سبب الحرب بين قيس وتغلب حتى آل الامر الى قتل عمير وكان سبب ذلك انه لما انقضى أمر مرج راهط وسار زفر بن الحرث الكلابى الى قرقيسيا على ما ذكرناه وبايع عمير مروان بن الحكم وفى نفسه ما فيها بسبب قتل قيس بالمرج فلما سير مروان بن الحكم عبيد الله بن زياد الى الجزيرة والعراق كان عمير معه فلقوا سليمان بن صرد بعين الوردة وسار عبيد الله الى قرقيسيا لقتال زفر فثبطه عمير واشار عليه بالمسير الى الموصل قبل وصول جيش المختار اليها فسار اليها ولقى ابراهيم بن الاشتر بالخازر فمال عمير معه فانهزم جيش عبيد الله وقتل هو فاتى عمير قرقيسيا وصار مع زفر فجعلا يطلبان كلبا واليمانية بمن قتلوا من قيس وكان معهما قوم من تغلب يقاتلون معهما ويدلونهما وشغل عبد الملك عنهما بمصعب وتغلب عمير على نصيبين ثم انه مل المقام بقرقيسيا فاستأمن الى عبد الملك فآمنه ثم غدر به فحبسه عند مولاه الريان فسقاه عمير ومن معه من الحرس خمرا حتى أسكرهم وتسلق فى السلم من حبال وخرج من الحبس وعاد الى الجزيرة ونزل على نهر البليخ بين حران والرقة فاجتمعت اليه قيس فكان يغير بهم على كلب واليمانية وكان من معه يسيئون جوارى تغلب ويسخرون مشايخهم من النصارى فهاج ذلك بينهم شرا لم يبلغ الحرب وذلك قبل مسير عبد الملك الى مصعب وزفر ثم ان عميرا أغار على كلب ثم رجع فنزل على الخابور وكانت منازل تغلب بين الخابور والفرات ودجلة وكانت بحيث نزل عمير امرأة من تميم ناكحة فى تغلب يقال لها أم دويل فاخذ غلام من بنى الحريش اصحاب عمير عيرا من غنمها فشكت الى عمير فلم يمنع عنها فاخذوا الباقى فمانعهم قوم من تغلب فقتل رجل منهم يقال له مجاشع التغلبى وجاء دويل فشكت أمه اليه وكان فارسا من فرسان تغلب فسار فى قومه وجعل يذكرهم ما تصنع بهم قيس ويشكو اليهم ما أخذ من غنم أمه فاجتمع منهم جماعة وأمروا عليهم شعيث بن مليك التغلبى وأغاروا على بنى الحريش ومعهم قوم من غير فقتل فيهم التغلبيون واستاقوا ذود الامرأة منهم يقال لها أم الهيثم فمانعهم القيسيون فلم يقدروا على منعهم فقال الاخطل

فان تسألونا بالحريش فاننا * منينا بنوك منهم وفجور
غداة تحامتنا الحريش كأنها * كلاب بدت أنيابها الهرير
وجاؤا بجمع ناصرى أم هيثم * فما رجعوا من ذودها ببعير

غير مرئى (قال المسعودى) وقد تنازع الناس فى الهواتف والجان فذكر فريق منهم وقال ان ما تذكره العرب وتنبئ به من ذلك انما يعرض لها من قبل التوحد فى القفار والتفرد فى الاودية والسلوك فى المهامه والمروراة الموحشة لان الانسان اذا صار فى مثل هذه الاماكن يوجد له تفكر ووجل وجبن واذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة والاوهام المؤذية والسوداوية الفاسدة فصورت له الاصوات ومثلت له الأشخاص وأوهمته المحال بنحو ما يعرض لذوى الوسواس وقطب ذلك وأسه سوء التفكير وخروجه على غير نظام قوى أو طريق مستقيم سليم لان المتفرد فى القفار والمتوحد فى المروراة مستشعر للمخاوف متوهم للمتالف متوقع الحتوف لقوة الظنون الفاسدة على فكره وانغراسها فى نفسه فتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به واعتراض الجان وقد كانت العرب قبل ظهور الاسلام تقول ان من الجن من هو على صورة نصف

يوم ماكسين

ولما استحكم الشر بين قيس وتغلب وعلى قيس عمير وعلى تغلب شعيث غزا عمير بنى تغلب وجاءتهم بماكسين من الخابور فاقتتلوا قتالا شديدا وهى أول وقعة لهم فقتل من بنى تغلب خمسمائة وقتل شعيث وكانت رجله قطعت فقاتل حتى قتل وهو يقول

قد علمت قيس ونحن نعلم * ان الفتى يقتل وهو أجذم

يوم الثرثار الاول

والثرثار نهر أصل منبعه شرقى مدينة سنجار وبالقرب من قرية يقال لها سرق ويفرغ فى دجلة بين الكحيل ورأس الايل من عمل الفرج لما قتل بماكسين من ذكرنا استمدت تغلب وحشدت واجتمعت اليها النمر بن قاسط وأتاها المشجر بن الحرث الشيبانى وكان من ساداتهم بالجزيرة وأتاها عبيد الله بن زياد بن ظبيان منجدا لهم على قيس فلذلك حقد عليه مصعب بن الزبير حتى قتل أخاه النابى بن زياد واستنجد عمير تميما وأسدا فلم ينجده منهم أحد فالتقوا على الثرثار وقد جعلت تغلب عليها بعد شعيث زياد بن هوبر ويقال يزيد بن هوبر التغلبى فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت قيس وقتلت تغلب ومن معها منهم مقتلة عظيمة وبقروا بطون ثلاثين امرأة من بنى سليم وقالت ليلى بنت الحرث التغلبية وقيل هى للاخطل

لما رأونا والصليب طالعا * ومار سرجيس وسما ناقعا
والخيل لا تحمل الا دارعا * والبيض فى أيماننا قواطعا
خلوا لنا الثرثار والمزارعا * وحنطة طيسا وكرما يانعا

يوم الثرثار الثانى

ثم ان قيسا تجمعت واستمدت واستعدت وعليها عمير بن الحباب وأتاهم زفر بن الحرث من قرقيسيا وكان رئيس بنى تغلب والنمر ومن معهما ابن هوبر فالتقوا بالثرثار واقتتلوا أشد قتال اقتتله الناس وانهزمت بنو عامر وكانت على مجنبة قيس وصبرت سليم وأعصرت حتى انهزمت تغلب ومن معها وقتل ابناء عبد يشوع وغيرهما من أشراف تغلب فقال عمير بن الحباب

فدى الفوارس الثرثار نفسى * وما جمعت من أهل ومال
وولت عامر عنا فجاءت * وحولى من ربيعة كالجبال
أكافحهم بدهم من سليم * وأعصر كالمصاعيب النهال

وقال زفر بن الحرث

ألا من مبلغ عنى عميرا * رسالة ناصح وعليه زارى
أتترك حى ذى يمن وكلبا * وتجعل جد نابك فى نزار
كمعتمد على احدى يديه * فخانته بوهن وانكسار

يوم الفدين

وأغار عمير بن الحباب على الفدين وهى قرية على الخابور وقتل من بها من بنى تغلب فهزمهم فقال نفيع بن صفار المحاربى

لو تسأل الارض الفضاء عليكم * شهد الفدين بهلككم والصور

والصور قرية من الفدين

الانسان وانه كان يظهر لها فى أسفارها فى حين خلواتها وتسميه شقا (وذكر) عن علقمة بن صفوان بن أمية بن محدث الكنانى جد مروان بن الحكم لامه أنه خرج فى بعض الليالى يريد مالا له بمكة فانتهى الى الموضع المعروف بحظ عريان فاذا هو بشق قد ظهر له فى أوصاف ذكرها فقال

علقم انى مقتول
وان لحمى ما كول
أضربهم بالمدلول
ضرب غلام مشمول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة

شق مالى ولك
اغمد عنى منصلك
تقتل من لا يقتلك

فضرب كل منهما صاحبه فخرا ميتين وهذا مشهور عندهم وأن علقمة بن صفوان قتلته الجن وذكروا عن الجن بيتين من الشعر قالتهما فى حرب بن أمية حين قتلته الجن وهما

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر

واستدلوا على أن هذا من قول الجن بان أحدا من الناس لم يتأت له أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتعتع فى انشادها لان الناس قد

﴿يوم السكير﴾

وهو على الخابور ويسمى سكير العباس ثم اجتمعوا والتقوا بالسكير وعلى قيس عمير بن الحباب وعلى تغلب والنمر يزيد بن هوبر فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت تغلب والنمر وهرب عمير بن جندل وهو من فرسان تغلب فقال عمير بن الحباب

وأفلتنا يوم السكير ابن جندل * على سابح عوج اللبان مثابر
ونحن كررنا الخيل قدما شوازبا * دقاق الهوادى داميات الدوائر

﴿وقال ابن صفار﴾

صبحنا كم بهن على سكير * ولاقيتم هناك الاقورينا

﴿يوم المعارك﴾

والمعارك بين الحضر والعتيق من أرض الموصل اجتمعت تغلب بهذا المكان فالتقواهم وقيس فاقتتلوا به واشتد قتالهم فانهزمت تغلب وقال ابن صفار

ولقد تركنا بالمعارك منكم * والحضر والثرثار اجسادا اجثا

فيقال ان يوم المعارك والحضر واحد هزموهم الى الحضر وقتلوا منهم بشرا كثيرا وقال بعضهم هما يومان كانا لقيس والله أعلم والتقوا أيضا بلبى فوق تكريت من أرض الموصل فتناصفوا فقيس تقول كان الفضل لنا وتغلب تقول كان الفضل لنا

﴿يوم الشرعبية﴾

ثم التقوا بالشرعبية وعلى قيس عمير بن الحباب وعلى تغلب وألفافها ابن هوبر فكان بينهم قتال شديد قتل يومئذ عمار بن المهزم السلمى وكان لتغلب على قيس قال الاخطل

ولقد بكى الجحاف لما أوقعت * بالشرعبية اذ رأى الاهوالا

يعنى أوقعت الخيل والشرعبية من بلاد تغلب والشرعبية أيضا ببلاد منبج فبعضهم يقول ان هذه الوقعة كانت ببلاد منبج وذلك خطأ

﴿يوم البليخ﴾

واجتمعت تغلب وسارت الى البليخ وهناك عمير فى قيس والبليخ نهر بين حران والرقة فالتقوا وانهزمت تغلب وكثر القتل فيها وبقرت بطون النساء كما فعلوا يوم الثرثار فقال ابن صفار

رزق الرماح ووقع كل مهند * زلزلن قلبك بالبليخ فزالا

﴿يوم الحشاك ومقتل عمير بن الحباب السلمى وابن هوبر التغلبى﴾

لما رأت تغلب الحاح عمير بن الحباب عليها جمعت حاضرتها وباديتها وساروا الى الحشاك وهو تل قريب من الشرعبية والى جنبه براق ودلف اليه عمير فى قيس ومعه زفر بن الحرث الكلابى وابنه الهذيل بن زفر وعلى تغلب ابن هوبر واقتتلوا عند تل الحشاك أشد قتال وابرحه حتى جن عليهم الليل ثم تفرقوا واقتتلوا من الغد الى الليل ثم تحاجزوا واصبحت تغلب فى اليوم الثالث فتعاقدوا أن لا يفروا فلما رأى عمير جدهم وان نساءهم معهم قال لقيس يا قوم أرى لكم ان تنصرفوا عن هؤلاء فانهم مستقتلون فاذا اطمأنوا وساروا الى سرحهم وجهنا الى كل قوم منهم من يغير عليهم فقال له عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلى قتلت فرسان قيس أمس وأول أمس ثم ملئ سحرك وجبنت ويقال ان عيينة بن اسماء بن خارجة الفزارى قال له ذلك وكان أتاه

ينشدون العشرين بيتا والاكثر والاقل أشد من هذا الشعر وأثقل منه ولا يتتعتعون فيه (وممن قتلته) الجن مرداس السلمى وهو أبو عباس بن مرداس السلمى ومنهم الغريض المغنى بعد أن ظهر غناؤه وقد كانت الجن نهته أن يغنى بأبيات من الشعر فغناها فقتلته (وحدث) يحيى بن عتاب عن على بن حرب عن أبى عبيدة معمر ابن المثنى عن منصور بن زيد الطائى قال رأيت قبر حاتم طيئ ببيعة وهو أعلى جبل له واد يقال له الحامل واذا قدر عظيمة من بقايا قدوره مكفأة ناحية من القبر من القدور التى كان يطعم فيها الناس وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة وعلى يساره أربع جوار من حجارة كلهن صاحبة شعر منشور محتجرات على قبره كالنائحات عليه لم ير مثل بياض أجسامهن وجمال وجوههن مثلهن الجن على قبره ولم يكن قبل ذلك والجوارى بالنهار كما وصفنا فاذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه ونحن فى منازلنا نسمع ذلك الى أن يطلع الفجر سكتن وهدأن وربما مر المار فيراهن فيفتتن بهن فيميل اليهن

منجدا فغضب عمير وقال كانى بك وقد حمى الوغى أول فار فنزل عمير وجعل يقاتل رجلا وهو يقول

أنا عمير وأبو المغلس * قد أحبس القوم بضنك فاحبس

وانهزم زفر يومئذ وهو اليوم الثالث فلحق بقرقيسيا وذلك انه بلغه ان عبد الملك بن مروان قد عزم على الحركة اليه بقرقيسيا فبادر للتأهب وقيل انه ادعى ذلك حين فر اعتذارا وانهزمت قيس وركبت تغلب ومن معها اكتافهم وهم يقولون أما تعلمون ان تغلب تغلب وشد على عمير جميل بن قيس من بنى كعب بن زهير فقتله وقيل بل تعاوى على عمير غلامان من بنى تغلب فرمياه بالحجارة وقد أعيياه فاثخناه وكر عليه ابن هوبر فقتله وأصابت ابن هوبر يومئذ جراحة فلما انقضت الحرب اوصى بنى تغلب بان يولوا أمرهم مراد بن علقمة الزهيرى وقيل خرج ابن هوبر فى اليوم الثانى من أيامهم هذه الثلاثة وأوصى انهم يولون أمرهم مرادا ومات من ليلته وكان مراد رئيسهم فى اليوم الثالث فعباهم على راياتهم وأمر كل بنى أب ان يجعلوا نساءهم خلفهم فلما أبصرهم عمير قال ما تقدم ذكره قال الشاعر

أرقت بانناء الفرات وشفنى * نوائح أبكاها قتيل ابن هوبر
ولم تظلمى ان نحت أم مغلس * قتيل النصارى فى نوائح حسر

وقال بعض الشعراء ينكر قتل ابن هوبر عميرا

وان عميرا يوم لاقته تغلب * قتيل جميل لا قتيل ابن هوبر

وكثر القتل يومئذ فى بنى سليم وغنى خاصة وقتل من قيس أيضا يومئذ بشر كثير وبعثت بنو تغلب رأس عمير بن الحباب الى عبد الملك بن مروان بدمشق فاعطى الوفد وكساهم فلما صالح عبد الملك زفر بن الحرث واجتمع الناس عليه قال الاخطل

بنى أمية قد ناضلت دونكم * أبناء قوم هم آووا وهم نصروا
وقيس عيلان حتى اقبلوا رقصا * فبايعوا لك قسرا بعدما قهروا
ضجوا من الحرب اذ عضت غواربهم * وقيس عيلان من اخلاقها ضجروا

فى أبيات كثيرة فلما قتل عمير بن الحباب وقف رجل على أسماء بن خارجة الفزارى بالكوفة فقال قتلت بنو تغلب عمير بن الحباب فقال لا بأس انما قتل الرجل فى ديار القوم مقبلا غير مدبر ثم قال

يدى رهن على سليم بغارة * تشيب لها أصداغ بكر بن وائل
وتترك أولاد الفدوكس عالة * يتامى ايامى نهـــرة للقبائل

﴿يوم الكحيل﴾

وهو من أرض الموصل فى جانب دجلة الغربى وسببه أنه لما قتل عمير بن الحباب السلمى أتى تميم ابن عمير زفر بن الحرث فسأله أن يطلب له بثاره فامتنع فقال الهذيل بن زفر لابيه والله لئن ظفرت بهم تغلب ان ذلك لعار عليك ولئن ظفروا بتغلب وقد خذلتهم ان ذلك لاشد فاستخلف زفر على قرقيسيا أخاه أوس بن الحرث وعزم على ان يغير على بنى تغلب ويغزوهم فوجه خيلا الى بنى فدوكس بطن من تغلب فقتل رجالهم واستبيحت أموالهم ونساؤهم حتى لم يبق غير امرأة واحدة استجارت فاجارها يزيد بن حمران ووجه زفر بن الحرث ابنه الهذيل فى جيش الى بنى كعب ابن زهير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث زفر أيضا مسلم بن ربيعة العقيلى الى قوم تغلب مجتمعين فاكثر فيهم القتل ثم قصد زفر لبنى تغلب وقد اجتمعوا بالعقيق من أرض الموصل فلما احست به ارتحلت تريد عبور دجلة فلما صارت بالكحيل لحقهم زفر فى القيسية فاقتتلوا قتالا شديدا وترجل أصحاب

عجبا بهن فاذا دنا منهن وجدهن حجارة (وحدث) يحيى بن عتاب الجوهرى قال حدثنا على قال أنبأنى عبد الرحمن بن يحيى المنذرى عن أبى المنذر هشام الكلبى قال حدثنا أبو مسكين بن جعفر بن محرز بن الوليد عن أبيه وكان مولى لابى هريرة يحدث قال كان رجل يكنى أبا البخترى مر فى نفر من قومه بقبر حاتم طيئ فنزلوا قريبا منه فبات أبو البخترى يناديه يا أبا الجعد اقرنا فقال قومه له مهلا ما تكلم من رمة بالية قال ان طيئا تزعم أنه لم ينزل به أحد قط الا قراه وناموا فانتبه صائحا وا راحلتاه فقال له أصحابه ما بدا لك قال خرج حاتم من قبره بالسيف وأنا أنظر حتى عقر ناقتى قالوا له كذبت ثم نظروا الى ناقته بين نوقهم مضدلة لا تنبعث فقالوا له والله قراك فظلوا يأكلون من لحمها شواء وطبيخا حتى أصبحوا ثم أردفوه وانطلقوا سائرين فاذا راكب بعير يقود آخر قد لحقهم فقال أيكم أبو البخترى فقال أبو البخترى أنا ذلك قال أنا عدى بن حاتم وان حاتما جاءنى الليلة فى النوم ونحن نزول وراء هذا الجبل فذكر شتمك اياه وانه قرأ

زفر أجمعون وبقى زفر على بغل له فقتلوهم ليلتهم وبقروا بطون نساء منهم وغرق فى دجلة أكثر ممن قتل بالسيف فاتى فاهم لبى فوجه زفر ابنه الهذيل فاوقع بهم الامن عبر فيجا وأسر زفر منهم مائتين فقتلهم صبرا فقال زفر

ألا يا عين بكى بانسكاب * وبكى عاصما وابن الحباب
فان تك تغلب قتلت عميرا * ورهطا من غنى فى الحراب
فقد أفنى بنى جشم بن بكر * ونمرهم فوارس من كلاب
قتلنا منهم مائتين صبرا * وما عدلوا عمير بن الحباب

وقال ابن صفار المحاربى

ألم تر حربنا تركت حبيبا * محالفها المذلة والصغار
وقد كانوا أولى عز فأضحوا * وليس لهم من الذل انتصار

وأسر القطامى التغلبى فى يوم من أيامهم وأخذ ماله فقام زفر بامره حتى رد عليه ماله ووصله فقال فيه

انى وان كان قومى ليس بينهم * وبين قومك الا ضربة الهادى
مثن عليك بما أوليت من حسن * وقد تعرض لى من مقتل بادى

(حبيب الذى فى الشعر هو بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وهو فى نسب بنى تغلب)

(يوم البشر)

لما استقر الامر لعبد الملك واجتمع المسلمون عليه قدم عليه الاخطل الشاعر التغلبى وعنده الجحاف بن حكيم السلمى فقال له عبد الملك أتعرف هذا يا أخطل قال نعم هذا الذى أقول فيه

الا سائل الجحاف هل هو ثائر * بقتلى أصيبت من سليم وعامر

وانشد القصيدة حتى فرغ منها وكان الجحاف يأكل رطبا فجعل النوى يتساقط من يده غيظا وأجابه وقال

بلى سوف نبكيهم بكل مهند * ونبكى عميرا بالرماح الشواجر

ثم قال يا ابن النصرانية ما كنت أظن ان تجترئ على بمثل هذا فارعد الاخطل من خوفه ثم قام الى عبد الملك وامسك ذيله وقال هذا مقام العائذ بك وانا لك جار ثم قام الجحاف ومشى وهو يجر ثوبه ولا يعقل به فتلطف لبعض كتاب الديوان حتى اختلق له عهدا على صدقات تغلب وبكر بالجزيرة وقال لاصحابه ان أمير المؤمنين قد ولانى هذه الصدقات فمن أراد اللحاق بى فليفعل ثم سار حتى أتى رصافة هشام فاعلم أصحابه ما كان من الاخطل اليه وانه افتعل كتابا وانه ليس بوال فمن كان أحب ان يغسل عنى العار وعن نفسى فليصحبنى فانى قد أقسمت ان لا اغسل رأسى حتى أوقع فى بنى تغلب فرجعوا عنه غير ثلثمائة قالوا والله نموت بموتك ونحيا بحياتك فسار ليلته حتى صبح الرحوب وهو ماء لبنى جشم بن بكر من تغلب فصادف عليه جماعة عظيمة منهم فقتل فيهم مقتلة عظيمة وأسر الاخطل وعليه عباءة وسخة فظنه الذى أسره عبدا فسأله من هو فقال عبد فاطلقه فرمى بنفسه فى جب وخاف ان رآه من يعرفه ان يقتله فلما انصرف الجحاف خرج من الجب وأسرف الجحاف فى القتل وبقر البطون عن الاجنة وفعل أمرا عظيما فلما عاد عنهم قدم الاخطل على عبد الملك فانشده قوله

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة * الى الله منها المشتكى والمعول

فهرب الجحاف فطلبه عبد الملك فلحق ببلاد الروم وقال بعد وقعة البشر يخاطب الاخطل

أبا مالك هل لمتنى أو حضضتنى * على القتل أم هل لامنى كل لائم

الم

أصحابك براحلتك وأنشد أبا البخترى لأنت امرؤ ظلوم العشيرة شتامها أتيت بصحبك تبغى القرى لدى حفرة صدحت هامها أتبغى لدى الروم عند المبيت وحولك طى وانعامها فانا سنشبع اضيافنا ونأتى المطى فنعتامها وقد أمرنى أن أحملك على بعير مكان راحلتك فدونكه وقد ذكر هذا سالم بن زرارة الغطفانى فى مدحه عدى بن حاتم حيث يقول أبوك أبو سفانة الخير لم يزل لدن شب حتى مات فى الخير راغبا به تضرب الامثال فى الشعر ميتا وكان له اذ ذاك حيا مصاحبا قرى قبره الاضياف اذ نزلوا به ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا (وحدث) أبو محمد بن الحسن بن دريد عن أبى حاتم السجستانى عن أبى عبيدة معمر بن المثنى قال سمعت شيخا من العرب قد أناف على المائة يقول انه خرج وافدا على بعض ملوك بنى أمية قال فسرت فى ليلة صهاكية حالكة كأن السماء قد برقعت نجومها بطرائق السحاب وضللت الطريق فتولجت واديا لا أعرفه فأحمتنى نفسى بطرحها حتى الصباح فلم

ألم أفنكم قتلا واجدع انوفكم * بفتيان قيس والسيوف الصوارم
بكل فتى ينعى عميرا بسيفه * اذا اعتصمت ايمانهم بالقوائم
فان تطردونى تطردونى وقد جرى * بى الورد يوما فى دماء الاراقم
نكحت بسيفى فى زهير ومالك * نكاح اغتصاب لا نكاح دراهم

فى أبيات ولم يزل الجحاف يتردد فى بلاد الروم من طرابزندة الى قاليقلا وبعث الى بطانة عبد الملك من قيس حتى أخذوا له الامان فامنه عبد الملك فقدم عليه فالزمه ديات من قتل وأخذ منه الكفلاء وسعى فيها فاتى الحجاج من الشام فطلب منه فقال له متى عهدتنى خائنا فقال له ولكنك سيد قومك ولك عمالة واسعة فقال لقد ألهمت الصدق فاعطاه مائة ألف درهم وجمع الديات فاوصلها ثم تنسك بعد وصلح ومضى حاجا فتعلق باستار الكعبة وجعل ينادى اللهم اغفر لى وما أظنك تفعل فسمعه محمد بن الحنفية فقال يا شيخ قنوطك شر من ذنبك وقيل ان سبب عوده كان ان الجحاف أكرمه ملك الروم وقربه وعرض عليه النصرانية ويعطيه ما شاء فقال ما أتيتك رغبة عن الاسلام ولقى الروم تلك السنة عساكر المسلمين صائفة فانهزم المسلمون واخبروا عبد الملك انهم هزمهم الجحاف فارسل اليه عبد الملك يؤمنه فسار وقصد البشر وبه حى من بشر وقد ابس اكفانه وقال قد جئت اليكم اعطى القود من نفسى وأراد شبابهم قتله فنهاهم شيوخهم فعفوا عنه وحج فسمعه عبد الله بن عمر وهو يطوف ويقول اللهم اغفر لى وما أظنك تفعل فقال ابن عمر لو كنت الجحاف مازدت على هذا قال فانا الجحاف

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين)

(ذكر مقتل مصعب وملك عبد الملك العراق)

فى هذه السنة قتل مصعب بن الزبير فى جمادى الآخرة واستولى عبد الملك بن مروان على العراق وسبب ذلك ان عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد بن العاص كما تقدم ذكره وضع السيف فقتل من خالفه فصفا له الشام فلما لم يبق له مخالف فيه أجمع المسير الى مصعب بن الزبير بالعراق فاستشار أصحابه فى ذلك فاشار يحيى بن الحكم بن أبى العاص عمه بان يقنع بالشام ويترك ابن الزبير والعراق وكان يقول عبد الملك من اراد صواب الرأى فليخالف يحيى وقال بعضهم ان العام جدب وقد غزوت سنتين فلم تظفر فاقم عامك هذا فقال عبد الملك الشام بلد قليل المال ولا آمن نفاده وقد كتب كثير من أشراف العراق يدعوننى اليهم وقال أخوه محمد بن مروان الرأى ان تطلب حقك وتسير الى العراق فانى أرجو ان الله ينصرك وقال بعضهم الرأى ان تقيم وتبعث بعض أهلك وتمده بالجنود فقال عبد الملك انه لا يقوم بهذا الامر الا قرشى له رأى ولعلى أبعث من له شجاعة ولا رأى له وانى بصير بالحرب شجاع بالسيف ان احتجت اليه ومصعب شجاع من بيت شجاعة ولكنه لا علم له بالحرب يحب الخفض ومعه من يخالفه ومعى من ينصح لى فلما عزم على المسير ودع زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية فبكت وبكى جواريها لبكائها فقال قاتل الله كثير عزة لكانه يشاهدنا حين يقول

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها عقد در يزينها
نهته فلما لم تر النهى عاقه * بكت وبكى مما عناها قطينها

وسار عبد الملك الى العراق فلما بلغ مصعبا مسيره وهو بالبصرة أرسل الى المهلب وهو يقاتل الخوارج يستشيره وقيل بل أحضره عنده فقال لمصعب اعلم أن أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك

آمن عريف الجن فقلت أعوذ برب هذا الوادى من شره واستجيره فى طريقى هذا واسترشده فسمعت قائلا يقول من بطن الوادى تيامن تجاهك تلق الكلاء تسير وتأمن فى المسلك قال فتوجهت حيث أشار الى وقد أمنت بعض الامن فاذا أنا باقباس نار تلمع أمامى فى خللها كالوجوه على قامات كالنخيل السحيقة فسرت وأصبحت بأوسال وهو ماء لكلب يقارب برية دمشق وقد ذكر الله عز وجل ذلك من فعلهم فقال وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

﴿ذكر ما ذهب اليه العرب من القيافة والزجر والسانح والبارح وغير ذلك﴾

تنازع الناس فى القيافة وغيرها مما ذكر فذهبت طائفة الى تحقيق القيافة والاخذ بها لان الاشباه تنزع وغير جائز أن يكون ولد غير مشبه لابيه أو أحد من أهله من جهة من الجهات ومنهم من ذهب الى أن فى الولد مواضع تلحقها القيافة دون غيرها من الاعضاء مما لم يحلها الشبه ولا توافق بينها بحد مشترك وأبى آخرون ما وصفنا اذ كان الناس قد يتشابهون

وكاتبهم فلا تبعدنى عنك فقال له مصعب ان أهل البصرة قد أبوا أن يسير وا حتى أجعلك على قتال الخوارج وهم قد بلغوا سوق الاهواز وانا أكره اذ سار عبد الملك الى ان لا أسير اليه فاكفنى هذا الثغر فعاد اليهم وسار مصعب الى الكوفة ومعه الاحنف فتوفى بالكوفة وأحضر مصعب ابراهيم بن الاشتر وكان على الموصل والجزيرة فلما حضر عنده جعله على مقدمته وسار حتى نزل باخمرا وهى قريب من وا انا وهى من مسكن فعسكر هناك وسار عبد الملك وعلى مقدمته أخوه محمد بن مروان وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فنزلوا بقرقيسيا وحصروا زفر بن الحرث الكلابى ثم صالحهم على ماذكره ان شاء الله تعالى وسير زفر ابنه الهذيل مع عبد الملك وكان معه ثم لحق بمصعب بن الزبير فلما اصطلحا سار عبد الملك ومن معه فنزلوا بمسكن قريبا من عسكر مصعب بين العسكرين ثلاثة فراسخ ويقال فرسخان وكتب عبد الملك الى أهل العراق من كاتبه ومن لم يكاتبه وبذل لجميعهم أصبهان طعمة وقيل ان كل من كاتبه طلب منه امرة أصبهان فقال أى شئ أصبهان هذه حتى كلهم يطلبها فكل منهم أخفى كتابه الا ابراهيم بن الاشتر فانه أحضر كتابه عند مصعب مختوما فقرأه مصعب فاذا هو يدعوه الى نفسه ويجعل له ولاية العراق فقال له مصعب أتدرى مافيه قال لا قال يعرض عليك كذا وكذا وان هذا لما يرغب فيه فقال ابراهيم ما كنت لاتقلد الغدر والخيانة والله ماعند عبد الملك من أحد من الناس بأياس منه منى ولقد كتب الى وأصحابك كلهم مثل الذى كتب الى فاطعنى واضرب أعناقهم قال اذا لا يناصحنى عشائرهم قال فاوقرهم حديدا وابعث بهم الى أبيض كسرى واحبسهم هناك ووكل بهم من ان غلبت وتفرقت عشائرهم عنك ضرب رقابهم وان ظهرت مننت على عشائرهم باطلاقهم فقال انى انى شغل عن ذلك فرحم الله أبا بحر يعنى الاحنف بن قيس ان كان ليحذرنى غدر أهل العراق ويقول هم كالمومسة تريد كل يوم بعلا وهم يريدون كل يوم أميرا فلما رأى قيس بن الهيثم ماعزم أهل العراق عليه من الغدر بمصعب قال لهم ويحكم لا تدخلوا أهل الشام عليكم فوالله لئن يطعموا بعيشكم ليضيقن عليكم منازلكم والله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة يفرح ان أرسله فى حاجة ولقد رأيتنا فى الصوائف وان زاد احدنا على عدة اجمال وان الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه فلم يسمعوا منه فلما تدانى العسكران أرسل عبد الملك الى مصعب رجلا من كلب وقال له أقرئ ابن أخيك السلام وكانت أم مصعب كلبية وقل له يدع دعاءه الى أخيه وادع دعائى الى نفسى ويجعل الامر شورى فقال له مصعب قل له السيف بيننا فقدم عبد الملك أخاه محمدا وقدم مصعب ابراهيم بن الاشتر فالتقيا فتناوش الفريقان فقتل صاحب لواء محمد وجعل مصعب يمد ابراهيم فازال محمدا عن موقفه فوجه عبد الملك عبد الله بن يزيد الى أخيه محمد فاشتد القتال فقتل مسلم بن عمرو الباهلى والد قتيبة وهو من أصحاب مصعب وأمد مصعب ابراهيم بعتاب ابن ورقاء فساء ذلك ابراهيم وقال قد قلت له لا تمدنى بعتاب وضربائه وانا لله وانا اليه راجعون فانهزم عتاب بالناس وكان قد كاتب عبد الملك وبايعه فلما انهزم صبر ابن الاشتر فقتل قتله عبيد بن ميسرة مولى بنى عذرة وحمل رأسه الى عبد الملك وتقدم أهل الشام فقاتلهم مصعب وقال لقطن ابن عبد الحارثى قدم خيلك أبا عثمان فقال اكره ان تقتل مذحج فى غير شئ فقال لحجار بن أبجر يا أبا أسيد قدم خيلك قال الى هؤلاء الانتان قال ماتتأخر اليه أنتن فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد مثل ذلك فقال مافعل أحد هذا فافعله فقال مصعب يا ابراهيم ولا ابراهيم لى اليوم ثم التفت فرأى عروة بن المغيرة بن شعبة فاستدناه فقال له اخبرنى عن الحسين بن على كيف صنع بامتناعه عن

فى حد الانسانية وغير ذلك من الحدود ويفترقون فى غيرها من الصور وليس وجود الاغلب من الاشباه مما يوجب الحاق الشبه بشبهه ودون أن يخالف من حيث أوجبت قضية الاختلاف بالتباين وهذه المعانى من خواص ما للعرب وما تفردت به دون سائر الامم فى الاغلب منها وان كانت الكهانة قد وجدت فى غيرها فان القيافة والزجر والتفاؤل والتطير ليس لغيرها فى الاغلب من الامم وليس هو موجودا فى سائر العرب وانما هو للخاص منها الفطن والمتدرب النظير وان وجد ذلك فى بعض الامم كوجود ذلك فى الافرنجة وما جانسها من هنالك من الامم فيمكن أن يكون ذلك موروثا عن العرب ومأخوذا منها فى سالف الدهر لان العرب قد تنقلت فى البلاد وتغيرت لغاتها فنسب ذلك الى الجنس الذى قطنت بينهم العرب ويمكن أن تكون الافرنجة ومن وجد فيها ذلك من الامم أخذت بعد ظهور الاسلام عمن جاورهم من أمم العرب ممن سكن بلاد الاندلس من الارض الكبيرة وان كان ذلك قبل ظهور الاسلام فهو ماذكرنا آنفا

النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب فاخبره فقال

ألا ان الى بالطف من آل هاشم * تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

قال عروة فعلمت انه لا يبرح حتى يقتل ثم دنا محمد بن مروان من مصعب وناداه أنا ابن عمك محمد بن مروان فاقبل أمان أمير المؤمنين فقال أمير المؤمنين بمكة يعنى أخاه عبد الله بن الزبير قال فان القوم خاذلوك فابى ماعرض عليه فنادى محمد عيسى بن مصعب بن الزبير له فقال له مصعب انظر ما يريد منك فدنا منه فقال له انى لك ولابيك ناصح ولكما الامان فرجع الى أبيه فاخبره فقال انى أظن القوم يفون لك فان أحببت ان تأتيهم فافعل فقال لا تتحدث نساء قريش انى خذلتك ورغبت بنفسى عنك قال فاذهب أنت ومن معك الى عمك بمكة فاخبره بما صنع أهل العراق ودعنى فانى مقتول فقال لا أخبر عنك قريشا أبدا ولكن يا أبت الحق بالبصرة فانهم على الطاعة أو الحق بأمير المؤمنين فقال مصعب لا تتحدث قريش أنى فررت وقال لابنه عيسى تقدم اذن احتسبك فتقدم ومعه ناس فقتل وقتلوا وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى فحمل عليه مصعب فقتله وشد على الناس فانفرجوا له وعاد ثم حمل ثانية فانفرجوا له وبذل عبد الملك الامان وقال انه يعز على أن تقتل فاقبل أمانى ولك حكمك فى المال والعمل فابى وجعل يضارب فقال عبد الملك هذا والله كما قال القائل

ومدجج كره الكماة نزاله * لا ممعنا هربا ولا مستسلما

ودخل مصعب سرادقه فتحنط ورمى السرادق وخرج فقاتل فاتاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه الى المبارزة فقال له يا كلب اعزب مثلى يبارز مثلك وحمل عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها وجرحه فرجع وعصب رأسه وترك الناس مصعبا وخذلوه حتى بقى فى سبعة أنفس وأثخن مصعب بالرمى وكثرت الجراحات فيه فعاد الى عبيد الله بن زياد بن ظبيان فضربه مصعب فلم يصنع شيأ لضعفه بكثرة الجراحات وضربه ابن ظبيان فقتله وقيل بل نظر اليه زائدة بن قدامة الثقفى فحمل عليه فطعنه وقال يا لثارات المختار فصرعه وأخذ عبيد الله بن زياد رأسه وحمله الى عبد الملك فالقاه بين يديه وأنشد

نعاطى الملوك الحق ماقسطوا لنا * وليس علينا قتلهم بمحرم

فلما رأى عبد الملك الرأس سجد قال ابن ظبيان لقد هممت ان أقتل عبد الملك وهو ساجد فأكون قد قتلت ملكى العرب وأرحت الناس منهما وقال عبد الملك لقد هممت ان أقتل ابن ظبيان فأكون قد قتلت أفتك الناس بأشجع الناس وأمر عبد الملك لابن ظبيان بألف دينار فقال لم أقتله على طاعتك وانما قتلته على قتل أخى النابئ بن زياد ولم يأخذ منها شيأ وكان قتل مصعب بدير الجاثليق عند نهر دجيل فأمر عبد الملك به وبابنه عيسى فدفنا وقال كانت الحرمة بيننا قديمة ولكن الملك عقيم وكان سبب قتل النابئ أنه قطع الطريق هو ورجل من بنى نمير فأحضرا عند مطرف بن سيدان الباهلى صاحب شرطة مصعب فقتل النابئ وضرب النميرى وأطلقه فجمع عبيد الله جمعا وقصد مطرفا بعد أن عزله مصعب عن شرطته وولاه الاهواز وسار عبيد الله الى المطرف فقتله فبعث مصعب مكرم بن مطرف فى طلب عبيد الله فسار حتى بلغ عسكر مكرم فنسب اليه ولم يلق عبيد الله كان قد لحق بعبد الملك وقيل فى قتله غير ذلك فلما أتى عبد الملك برأس مصعب نظر اليه وقال متى تغذو قرشية مثلك وكانا يتحدثان الى حبى وهما بالمدينة فقيل لها قتل مصعب فقالت تعس قاتله فقيل قتله عبد الملك بن مروان فقالت وابأبى القاتل والمقتول ثم دعا عبد الملك بن مروان

ويمكن أن يكون الله عزوجل خص بذلك أمما غير العرب كما خص العرب به اذ كان ذلك داخلا فى الامكان خارجا من باب الممتنع فيكون الزجر والفال شاملا لبعض العرب وغيرها من خواص الامم كوجود النعط للبربر والنظر فى الكتف وغير ذلك مما خص به كل جنس من الناس (وقد ذهبت) طائفة ممن سلف من أهل البحث والتنقير الى ان القيافة اسم مشتق من القفو وهو معنى استدلالى وأصل ذلك أن الاشكال انفصلت فى صورة أنسابها بأشياء تخص الانواع بالتشكيل وخواص وجدت لما به ضربت الفواصل أضرابها فى وحيدات الاشخاص وكان التناسل على وساعه وقدر من الغير لما توجبه الطبيعة من اتفاق كل شئ فى حوزته وصرفه الى وجهه كما خصت الطبيعة كل نوع من الجنس بفصل أبانته من أغياره وفرقت بينه وبين اشكاله فلذلك أيضا خصت أوحاد الاشخاص المنفصلة فى الهيئة وتغير الغير من أغياره وكذلك لا تكاد فنون الصور تتراءى فى المرائى لغير من أغياره وكذلك لا تكاد وان ضمها النوع

جند العراق الى بيعته فبايعوه وسار حتى دخل الكوفة فاقام بالنخيلة أربعين يوما وخطب الناس بالكوفة فوعد المحسن وتوعد المسيء فقال ان الجامعة التى وضعت فى عنق عمرو بن سعيد عندى والله لا أضعها فى عنق رجل فانتزعها الاصعدا لا افكها عنه فكا فلا يبقين امرؤ الا على نفسه ولا يولغن دمه والسلام ودعا الناس الى البيعة فبايعوه فحضرت قضاعة فقال لهم كيف سلمتم وأنتم قليل مع مضر فقال عبد الله بن يعلى النهدى نحن أعز منهم وامنع بك وبمن معك منا ثم جاءت مذحج فقال ما أرى لاحد مع هؤلاء بالكوفة شيأ ثم جاءت جعفى فقال ائتونى بابن أختكم يعنى يحيى بن سعيد وكانت أمه مذحجية فقالوا هو آمن فقال وتشترطون أيضا فقال رجل منهم انا ما نشترط جهلا بحقك ولكنا نتسحب عليك تسحب الولد على الوالد فقال نعم أنتم الحى ان كنتم لفرسانا فى الجاهلية احضر فهو آمن فأتوه به فبايعه ثم أتته عدوان فقدموا بين أيديهم رجلا جميلا وسيما فقال عبد الملك

عذير الحى من عدوا * ن كانوا حية الارض
بغى بعضهم بعضا * فلم يرعوا على بعض
ومنهم كانت السادا * ت والموفون بالقرض

ثم أقبل على ذلك الرجل الجميل فقال ايه فقال لا أدرى فقال معبد بن خالد الجدلى وكان خلفه

ومنهم حكم يقضى * فلا ينقض ما يقضى
ومنهم من يجيز الحج * بالسنة والفرض
وهم من ولدوا اسنوا * لسير النسب المحض

فاقبل عبد الملك على ذلك الجميل فقال من هو فقال لا أدرى فقال معبد من ورائه هو ذو الاصبع فاقبل على الجميل فقال لم تسمى ذا الاصبع فقال لا أدرى فقال معبد لان حية نهشت اصبعه فقطعتها فاقبل على الجميل فقال ما كان اسمه قال لا أدرى فقال معبد حرثان بن الحرث فقال للجميل من أيكم هو قال لا أدرى فقال معبد من بنى ناج ثم قال للجميل كم عطاؤك قال سبعمائة قال لمعبد كم عطاؤك قال ثلاثمائة فقال لكاتبه اجعل معبدا فى سبعمائة وانقص من عطاء هذا أربعمائة ففعل ثم جاءت كندة فنظر الى عبد الله بن اسحق بن الاشعث فاوصى به أخاه بشر بن مروان وأقبل دواد بن قحذم فى جمع كثير من بكر بن وائل عليهم الاقبية الداودية وبه سميت فجلس مع عبد الملك على سريره فاقبل عليه عبد الملك ثم نهض ونهضوا معه فقال عبد الملك هؤلاء الفساق لولا أن صاحبهم جاءنى ما أعطانى أحد منهم طاعة ثم ولى قطن بن عبد الله الحارثى الكوفة ثم عزله فاستعمل أخاه بشر بن مروان ثم استعمل محمد بن عمير الهمدانى على همذان ويزيد بن رويم على الرى ولم يف لاحد شرط له اصبهان وقال على بهؤلاء الفساق الذين امهلوا الشام وأفسدوا العراق فقيل قد أجارهم رؤساء عشائرهم فقال وهل يجير على أحد وكان عبد الله بن يزيد بن أسد والد خالد القسرى قد لجأ الى على بن عبد الله بن عباس ولجأ اليه أيضا يحيى بن معيوف الهمدانى ولجأ الهذيل ابن زفر بن الحرث وكان مع عبد الملك على منذ كره عمرو بن يزيد الحكمى الى خالد بن يزيد فأمنهم عبد الملك فظهر واصنع عمرو بن حريث لعبد الملك طعاما كثيرا وأمر به الى الخورنق وأذن اذنا عاما فدخل الناس وأخذوا مجالسهم فدخل عمرو بن حريث فاجلسه معه على سريره ثم جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك ما ألذ عيشنا لو دام ولكنا كما قال الاول

وكل جديد يا أميم الى بلى * وكل امرئ يوما يصير الى كان

فلما فرغوا من الطعام طاف عبد الملك فى القصر وعمرو بن حريث معه وهو يسأله لمن هذا البيت

وسمها المادة فالقائف يقارب بين الهيآت فيحكم للاقرب صورة لان تشبيه النسل أقرب من تشبيه النوع وكذلك تشبيه الشخص الى النوع أقرب منه الى الجنس لان النوع والشخص قد ضمهما حدان مشتركان وانما ضمه ضرب من ضروب البحث والجنس حد واحد فهو أصل القيافة عند الطائفة وهو ضرب من ضروب البحث والحاق النظير فى الاغلب بنظيره من حيث تساويهما من حيث ذكرنا فى قضية العقل وهو القياس بعينه وليس هذا الاستدلال من كلام أحد من فقهاء القائسين ولا غيرهم من المسلمين وانما هذا انتزعناه من كلام طائفة من الفلاسفة المتقدمين فيجب أن يكون نظر القائف على قول هذه الطائفة الى القدم لانه نهاية الشكل وغاية الهيئة والولد لو خالف صورة أبيه فى كنه أفعاله وباينه فى سائر شكله فى الاغلب لوافقه فى القدم لان النسل لابد له من تخصيص قوته بشئ يميزه من غيره ينبه من سواه ولذلك وجدوا الطول فى ازدشنواة وكذلك صار الجفاة الاجسام والغلاظ فى

ومن بنى هذا البيت وعمرو يخبره فقال عبد الملك

اعمل على مهل فانك ميت * واكدح لنفسك أيها الانسان
فكأن ما قد كان لم يك اذ مضى * وكأن ما هو كائن قد كان

ولما بلغ عبد الله بن خازم مسير مصعب لقتال عبد الملك قال أمعه عمر بن عبيد الله بن معمر قيل لا استعمله على فارس قال امعه المهلب قيل لا استعمله على الخوارج قال أمعه عباد بن الحصين قيل استخلفه على البصرة قال وأنا بخراسان

خذينى فجرينى جعار وأبشرى * بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

ولما قتل مصعب بعث عبد الملك رأسه الى الكوفة أو حمله معه الهاشم بعث به الى أخيه عبد العزيز ابن مروان بمصر فلما رآه وقد قطع السيف أنفه قال رحمك الله اما والله لقد كنت من أحسنهم خلقا وأشدهم بأسا وأسخاهم نفسا ثم سيره الى الشام فنصب بدمشق وارادوا أن يطوفوا به فى نواحى الشام فأخذته عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبد الملك بن مروان وهى أم يزيد بن عبد الملك فغسلته ودفنته وقالت اما رضيتم بما صنعتم حتى تطوفوا به فى المدن هذا بغى وكان عمر مصعب حين قتل ستا وثلاثين سنة قال يوما عبد الملك لجلسائه من اشد الناس قالوا أمير المؤمنين قال اسلكوا غير هذا الطريق قالوا عمير بن الحباب قال قبح الله عميرا لص ثوب ينازع عليه أعز عنده من نفسه ودينه قالوا فشبيب قال ان للحرورية لطريقا قالوا فمن قال مصعب كان عنده عقيلتا قريش سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ثم هو أكثر الناس مالا جعلت له الامان وولاية العراق وعلم انى سأفى له لمودة التى كانت بيننا فحمى أنفا وأبى وقاتل حتى قتل فقال رجل كان مصعب يشرب النبيذ فقال كان ذلك قبل ان يطلب المروأة فاما مذ طلبها فلو علم ان الماء ينقص مروأته ما ذاقه قال الاقيشر الاسدى

حمى أنفه ان يقبل الضيم مصعب * فمات كريما لم تذم خلائقه
ولو شاء أعطى الضيم من رام هضمه * فعاش ملوما فى الرجال طرائقه
ولكن مضى والبرق يبرق خاله * يشاوره مرا ومرا يعانقه
فولى كريما لم تنله مذمة * ولم يك رغدا تطبيه غارقه

وقال عرفجة بن شريك

مالا بن مروان أعمى الله ناظره * ولا أصاب رغيبات ولا نفلا
يرجو الفلاح ابن مروان وقد قتلت * خيل ابن مروان حرقا ماجدا بطلا
يا ابن الحوارى كم من نعمة لكم * لو رام غيركم أمثالها شغلا
حملتم فحملتم كل معضلة * ان الكريم اذا حملته حملا

وقال عبد الله بن الزبير الاسدى فى ابراهيم بن الاشتر (هذا الزبير بفتح الزاى وكسر الباء)

سأبكى وان لم تبك فتيان مذحج * فتاها اذا الليل التمام تأوبا
فتى لم يكن فى مرة الحرب جاهلا * ولا بمطيع فى الوغى من تهيبا
ابان انوف الحى قحطان قتله * وانف نزار قد ابان فأوعبا
فمن يك أمسى خائنا لاميره * فما خان ابراهيم فى الموت مصعبا

وحين قتل مصعب كان المهلب يحارب الازارقة بسولاف بلد بفارس على شاطئ البحر ثمانية

الروم وأصحاب الجمال والاكثر من أهل الشأم وأوباش مصر واللؤم فى الخزر وأهل حران من بلاد ديار بكر والشح بفارس واللؤم على الطعام بأصفهان وصار تفرطح الرجلين وفطس الانوف فى السودان والطرب فى الزنج خاصة وهذا الذى وصفنا عند هذه الطائفة من أسرار الطبيعة وخواص تأثير الاشخاص العلوية والاجسام السماوية وقد تقصيناه هذا الشأن على كماله فى كتبنا فى الاسرار الطبيعية العلوية والغرائب النفسية فى كتبنا فى الصور السبعة فى أنواع السياسات المدنية على من زعم أن العالم متغير جوهره الى الظلمة وان النور فيه غريب مختار وان ستة أنفس كانوا نورا بلا أجساد شيث بن آدم وزرادشت والمسيح ويونس واثنان لا يمكن ذكرهما وأن النور والظلمة قديمان وأنهما لا يريان الا غير ممتزجين وأن الاشياء لا تعمل الا فى جوهرهما ثم امتزجا من تلقاء أنفسهما من غير داخل عليهما ولا مكره أكرههما وهذا الخلف من الكلام والفاسد من المقال وأعجب من هذا القول قول زرادشت نبى

أشهر فبلغ قتله الازارقة قبل المهلب فصاحوا بأصحاب المهلب ماقولهم فى مصعب قالوا أمير هدى وهو ولينا فى الدنيا والآخرة ونحن أولياؤه قالوا فما قولكم فى عبد الملك قالوا ذاك ابن اللعين نحن نبرأ الى الله منه وهو أحل دما منكم قالوا فان عبد الملك قتل مصعبا وستجعلون غدا عبد الملك امامكم فلما كان الغد سمع المهلب وأصحابه قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فصاح بهم الخوارج يا أعداء الله ما تقولون فى مصعب قالوا يا أعداء الله لا نخبركم وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم قالوا وما قولكم فى عبد الملك قالوا خليفتنا ولم يجدوا بدا اذ بايعوه ان يقولوا ذلك قالوا يا أعداء الله أنتم بالامس تبرؤن منه فى الدنيا والآخرة وهو اليوم امامكم وقد قتل أميركم الذى كنتم تولونه فأيهما المهتدى وأيهما المبطل قالوا يا أعداء الله رضينا بذلك اذ كان يتولى أمرنا ويرتضى بهذا قالوا الا والله ولكنكم اخوان الشياطين وعبيد الدنيا وأما عبد الله بن الزبير فلما انتهى اليه قتل أخيه مصعب قام فى الناس فخطبهم فقال الحمد لله الذى له الخلق والامر يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ألا وانه لم يذلل الله من كان الحق معه وان كان فردا ولم يعزز من كان وليه الشيطان وان كان الناس معه طرا ألا وانه قد أتانا من العراق خبر احزننا وأفرحنا أتانا قتل مصعب رحمه الله وأما الذى أفرحنا فعلمنا أن قتله شهادة واما الذى أحزننا فان لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة يرعوى بعدها ذو الرأى الجميل الى الصبر وكريم العزاء وما مصعب الا عبد من عبيد الله وعون من أعوانى ألا وان أهل العراق اهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل الثمن فان يقتل فه والله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبى العاص والله ما قتل رجل منهم فى زحف فى الجاهلية ولا فى الاسلام ولا نموت الا قعصا بالرماح وتحت ظلال السيوف ألا انما الدنيا عارية من الملك الاعلى الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فان تقبل لا آخذها اخذ البطر وان تدبر لم أبك عليها بكاء الضرع المهين أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم (حجار بن أبجر بفتح الحاء المهملة وتشديد الجيم وكنيته أبو أسيد بضم الهمزة وفتح السين وحبى بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة المشددة الممالة وآخره ياء مثناة من تحتها وعبد الله بن خازم بالخاء المعجمة والزاى)

﴿ذكر ولاية خالد بن عبد الله البصرة﴾

وفى هذه السنة تنازع ولاية البصرة حمران بن أبان وعبيد الله بن أبى بكرة فقال ابن أبى بكرة أنا أعظم منك كنت انفق على أصحاب خالد يوم الجفرة فقيل لحمران انك لا تقوى على ابن أبى بكرة فاستعن بعبد الله بن الاهتم فاستعان به فغلب على البصرة وعبد الله على شرطها وكان لحمران منزلة عند بنى أمية وكانت هذه المنازعة بعد قتل مصعب فلما استولى عبد الملك على العراق بعد قتله استعمل على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فوجه خالد عبيد الله بن أبى بكرة اليها خليفة له فلما قدم على حمران قال قد جئت لا جئت فكان عبيد الله عليها حتى قدم خالد ولما فرغ عبد الملك من أمر العراق عاد الى الشام

﴿ذكر أمر عبد الملك وزفر بن الحرث﴾

قد ذكرنا فى وقعة راهط مسير زفر الى قرقيسيا واجتماع قيس عليه والسبب فى استيلائه عليها وما كان منه بعد ذلك وكان على بيعة ابن الزبير وفى طاعته فلما مات مروان بن الحكم وولى ابنه عبد الملك كتب الى أبان بن عقبة بن أبى معيط وهو على حمص يأمره ان يسير الى زفر فسار اليه وعلى مقدمته عبد الله بن زميت الطائى فواقع عبد الله زفر قبل وصول أبان وكثر فى أصحابه القتل

المجوس ان القديم تعالى ذكره طالت وحدته فطالت فكرته فلما أن طالت فكرته واشتدت وحشته تولد الهم منه وهو الشيطان من تلك الوحشة التى ولدتها تلك الفكرة ونتجها الوحدة وأن الله عز وجل لو كان قادرا على افناء الهم منه لما ضرب له أجلا ولا أجل له أمرا يغوى عباده ويفسد بلاده وهذا هو المحال بعينه والتناقض بنفسه وعجب آخر من الآراء من قول بولص ان المسيح عليه السلام هو الذى أرسله وأن المسيح انسان واله لانه اله صار انسانا وانسان صار الها وقد أتينا على جمل من متناقضات أهل الآراء فى أثناء ما تقدم من كتبنا وانما تشعب بنا الكلام الى هذا النوع وتغلغل بنا القول الى هذا المعنى لانه من جنس ما كنا فيه لكن عند ذكرنا لما أودعناه كتاب الاسترجاع والابانة عن غرض فيه فلنرجع الآن الى ما كنا فيه من هذا الكتاب (وحدث) المنقرى عن العتبى قال وقف عبيد الراعى ذات يوم مع ركب من ثقيف على نفر وكانوا يريدون استقصاء رجل من تميم اذ

قتل منهم ثلثمائة فلامه أبان على عجلته وأقبل أبان فواقع زفر فقتل ابنه وكيع بن زفر وادركت طىء ثقل زفر ونساءه فاستوهب محمد بن حصين بن نمير النساء وألحقهن بزفر بقرقيسيا فقال زفر

علقن بحبل من حصين لوآنه * تغيب حالت دونهن المصائر

أبوكم أبونا فى القديم واننى * لغابركم فى آخر الدهر شاكر

وكان يقال لزفر انه من كندة ثم ان عبد الملك لما أراد المسير الى مصعب سار الى قرقيسيا فحصر زفر فيها ونصب عليها المجانيق فأمر زفر أن ينادى فى عسكر عبد الملك لم نصبتم علينا المجانيق قال لنثلم ثلمة نقاتلكم عليها فقال زفر قولوا لهم فانا لا نقاتلكم من وراء الحيطان ولكنا نخرج اليكم وثلمت المنجنيق من المدينة برجا مما يلى حريث بن بحدل فقال زفر

لقد تركتنى منجنيق ابن بحدل * أحيد عن العصفور حين يطير

وكان خالد بن يزيد بن معاوية مجدا فى قتالهم فقال رجل من أصحاب زفر من بنى كلاب لاقولن لخالد كلاما يعود عما يصنع فلما كان الغد خرج خالد للمحاربة فقال له الكلابى

ماذا ابتغاء خالد وهمه * اذ سلب الملك ونيكت أمه

فاستحيا وعاد ولم يرجع يقاتلهم وقالت كلب لعبد الملك انا اذا لقينا زفر انهزمت القيسية الذين معك فلا تخلطهم معنا ففعل فكتبت القيسية على نبلها انه ليس يقاتلكم غدا مضرى ورموا النبل الى قرقيسيا فلما أصبح زفر دعا ابنه الهذيل وبه كان يكنى وقيل كان يكنى أبا الكوثر فقال اخرج اليهم فشد عليهم شدة لا ترجع حتى تضرب فسطاط عبد الملك والله لئن رجعت دون ان تطأ أطناب فسطاطه لاقتلنك فجمع الهذيل خيله وحمل عليهم فصبروا قليلا ثم انكشفوا وتبعهم الهذيل بخيله حتى وطئوا الطناب الفسطاط وقطعوا بعضها ثم رجعوا فقبل زفر رأس الهذيل وقال لا يزال عبد الملك يحبك بعدها أبدا فقال الهذيل والله لو شئت ان ادخل الفسطاط لفعلت فقال زفر

الا لا ابالى من أتاه حمامه * اذا ما المنايا عن هذيل تجلت

تراه أمام الخيل أول فارس * ويضرب فى أعجازها ان تولت

ولما ثلم برج قرقيسيا قال لعبد الملك بعض أهله لو قاتلتهم بقضاعة لملكتهم ففعل وقاتلهم فلما كان عند المساء انكشفت قضاعة وكثر القتل فيهم وأقبل روح بن زنباع الجذامى الى برج منها فسأل اهله وقال نشدتكم الله كم قتلنا منكم قالوا والله لم يقتل منا أحد ولم يجرح الا رجل واحد ولا بأس عليه ثم قالوا انشدناك الله كم قتل منكم قال عدة فرسان وجرحتم ما لا يحصى فلعن الله ابن بحدل ورجع روح الى عبد الملك وقال ان ابن بحدل يمنيك الباطل فاعرض عن هذا الرجل وكان رجل من كلب يقال له الذيال يخرج فيسب زفر فيكثر فقال زفر للهذيل ابنه أو لبعض أصحابه اما تكفينى هذا قال انا أجيئك به فدخل عسكر عبد الملك ليلا فجعل ينادى من يعرف بغلا من صفته كذا وكذا حتى انتهى الى خباء الرجل وقد عرفه فقال الرجل رد الله عليك ضالتك فقال يا عبد الله انى قد عييت فلو أذنت لى فاسترحت قليلا قال ادخل فدخل والرجل وحده فى خبائه فرمى بنفسه ونام صاحب الخباء فقام اليه فايقظه وقال والله لئن تكلمت لاقتلنك قتلت أو سلمت فماذا ينفعك قتلى اذا قتلت أنت ولئن سكت وجئت معى الى زفر فلك عهد الله وميثاقه ان اردك الى عسكرك بعد ان يصلك زفر ويحسن اليك فخرجا وهو ينادى من دل على بغل من صفته كذا وكذا حتى أتى زفر والرجل معه فاعلمه انه قد أمنه فوهب له زفر دنانير وحمله على رحالة النساء وألبسه ثيابهن وبعث معه رجلا حتى دنوا من عسكر عبد الملك فنادوا هذه جارية قد بعث بها زفر الى عبد الملك وانصرفوا فلما نظر اليه

سنحت ظباء سود منكرة ثم اعترضت الركب مقصرة فى حضرها واقفة على شأنها فأنكر ذلك عبيد الراعى ولم ينتبه له أصحابه فقال عبيد

ألم تدر ما قال الظباء السوانح * أطفن أمام الركب والركب رائح

فكبر من لم يعرف الزجر منهم * وأيقن قلبى أنهن نوائح

ثم شارفوا مقصدهم فألفوا الرئيس قد نهشته افعى فأتت عليه قال أبو عبيدة معمر بن المثنى وهذا من غريب الزجر وذلك أن السانح مرجو عند العرب والبارح هو المخوف وأظن عبيدا انما زجر الظباء فى حالة رجوعها ووصف الحال الاول فى شعره كما ان من شرط الواصف أن يبدأ بهوادى الاسباب فيوضح عنها فهذا وجه زجر عبيد الراعى فى شعره (ويقال) ان الكهانة لليمن والزجر لبنى أسد والقيافة لبنى مدلج وأحياء مضر بن نزار بن معد لما كان من فعل بنى نزار الاربعة فى مسيرهم نحو الافعى الجرهمى ووصفهم الجمل الشارد على ما ذكرنا وذلك منهم قيافة فمن هنالك تفرقت القيافة من أحياء مضر على حسب ما تغلغل فى العروق ونزع وأهل العروق أكهن وأهل

أهل العسكر عرفوه واخبروا عبد الملك الخبر فضحك وقال لا يبعد الله رجلا نصر والله ان قتلهم لذل وان تركهم لحسرة وكف الرجل فلم يعد بسبب زفر وقيل انه هرب من العسكر ثم ان عبد الملك أمر أخاه محمدا ان يعرض على زفر وابنه الهذيل الامان على أنفسهما ومن معهما وما لهما وان يعطيا ما أحبا ففعل محمد ذلك فاجاب الهذيل وكلم أباه وقال له لو صالحت هذا الرجل فقد أطاعه الناس وهو خير لك من ابن الزبير فاجاب على ان له الخيار في بيعته سنة وان ينزل حيث شاء ولا يعين عبد الملك على قتال ابن الزبير فبينا الرسل تختلف بينهما اذ جاءه رجل من كلب فقال قد هدم من المدينة أربعة ابراج فقال عبد الملك لا أصالحهم وزحف اليهم فهزموا أصحابه حتى ادخلوهم عسكرهم فقال اعطوهم ما أرادوا فقال زفر لو كان قبل هذا لكان أحسن واستقر الصلح على أمان الجميع ووضع الدماء والاموال وان لا يبايع عبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة له في عنقه وان يعطى مالا يقسمه في أصحابه وخاف زفر ان يغدر به عبد الملك كما غدر بعمرو بن سعيد فلم ينزل اليه فأرسل اليه بقضيب النبي صلى الله عليه وسلم أمانا له فنزل اليه فلما دخل عليه أجلسه معه على سريره فقال ابن عضاة الاشعري أنا كنت احق بهذا المجلس منه فقال زفر كذبت هنالك اني عاديت فضررت وواليت فنفعت ولما رأى عبد الملك قلة من مع زفر قال لو علمت انه في هذه القلة لحاصرته أبدا حتى ينزل على حكمي فبلغ قوله زفر فقال ان شئت رجعنا ورجعت فقال بل نفي لك يا أبا الهذيل وقال له عبد الملك يوما بلغني انك من كندة فقال وما خير من لا يبغي حسدا ولا يدعى رغبة وتزوج مسلمة بن عبد الملك الرباب بنت زفر فكان يؤذن لاخويها الهذيل والكوثر في أول الناس وأمر زفر ابنه الهذيل ان يسير مع عبد الملك الى قتال مصعب وقال له أنت لا عهد عليك فسار معه فلما قارب مصعبا هرب اليه وقاتل مع ابن الاشتر فلما قتل ابن الاشتر اختفى الهذيل بالكوفة حتى استؤمن له من عبد الملك فأمنه كما تقدم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفي هذه السنة افتتح عبد الملك قيسارية في قول الواقدي وفيها نزع ابن الزبير جابر بن الاسود بن عوف عن المدينة واستعمل عليها طلحة بن عبيد الله بن عوف وهو آخر وال كان له على المدينة حتى أتاه طارق بن عمرو مولى عثمان فهرب طلحة وأقام طارق بها حتى سار الى مكة لقتال ابن الزبير وفي امارة مصعب مات براء بن عازب بالكوفة ويزيد بن مفرغ الحميري الشاعر بها أيضا وعبد الله بن أبي حدرد الاسلمي شهد الحديبية وخيبر وفي أيامه مات شتير بن شكل القيسي الكوفي وهو من أصحاب علي وابن مسعود (شتير بضم الشين المعجمة وفتح التاء فوقها نقطتان وبعدها ياء تحتها نقطتان وشكل بفتح الشين المعجمة والكاف وآخره لام)

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين﴾

﴿ذكر أمر الخوارج﴾

لما استقر عبد الملك بالكوفة بعد قتل مصعب استعمل خالد بن عبد الله على البصرة فلما قدمها خالد كان المهلب يحارب الازارقة فجعله على خراج الاهواز ومعونتها وسير أخاه عبد العزيز بن عبد الله الى قتال الخوارج وسير معه مقاتل بن مسمع فخرجا يطلبان الازارقة فاتت الخوارج من ناحية كرمان الى دارابجرد وأرسل قطري بن الفجاءة المازني مع صالح بن مخارق تسعمائة فارس فاقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير مهلا على غير تعبية فانهزم بالناس ونزل مقاتل بن مسمع حتى قتل وانهزم عبد العزيز وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود فأقيمت

الجمال أقوف وبارض الحفاء وهي بلاد الرمل من بلاد مضر وأرض الشأم في تلك الاراضي يتناول الانسان من ثمر نخلهم فيغيب عنهم السنين ولم يروه ولا شاهدوه فان رأوه بعد مدة علموا أنه الآخذ لثمرهم ولا يكادون يخطؤن وهذا من فعلهم مشهور ولا يكاد تخفى عليهم أقدام أي الناس هم (ورأيت) بهذه الارض أناسا قد رتبهم ولاة المنازل يطوفون في هذا الرمل يعرفون بالقصاص يقصون آثار الناس وغيرهم فيخبرون ولاة المنازل أي الناس هم ممن طرق البلاد وهم لم يروهم بل رأوا آثار أقدامهم وهذا معنى لطيف وحس دقيق (وقد دقفت) القافة بقريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار حتى أتت باب الغار على حجر صلد وصخر صم وجبال لا رمل عليها ولا طين ولا تراب يتبين عليه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما سفت عليه الرياح وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام ومعه الجماعة من قريش لا يرون على الصلد ما يرى على الصوان وما يشاهد

فمن يزيد فبلغت قيمتها مائة ألف فجاء رجل من قومها من رؤس الخوارج فقال تنحوا هكذا ما أرى هذه المشركة الا قد فتنتكم وضرب عنقها ولحق بالبصرة فرآه آل المنذر فقالوا والله ما ندري انحمدك أم نذمك فكان يقول ما فعلته الا غيرة وحمية وانتهى عبد العزيز الى رامهرمز وأتى المهلب خبره فارسل اليه شيخا من الازد وقال له ان كان منهزما فعزه فاتاه الرجل فرآه نازلا في نحو ثلاثين فارسا كئيبا حزينا فابلغه الرسالة وعاد الى المهلب بالخبر فارسل المهلب الى أخيه خالد بن عبد الله يخبره بهزيمته فقال للرسول كذبت فقال والله ما كذبت فان كنت كاذبا فاضرب عنقي وان كنت صادقا فاعطني جبتك ومطرفك قال قد رضيت من الخطر العظيم بالخطر اليسير وحبسه وأحسن اليه حتى صح خبر الهزيمة قال ابن قيس الرقيات في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم * وتركتهم صرعى بكل سبيل
من بين ذي عطش يجود بنفسه * وملحب بين الرجال قتيل
هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا * اذ رحت منتكث القوى باصيل
وتركت جيشك لا أمير عليهم * فارجع بعار في الحياة طويل
ونسيت عرسك اذ تقاد سبية * تبكي العيون برنة وعويل

فكتب خالد الى عبد الملك يخبره بذلك فكتب اليه عبد الملك قد عرفت ذلك وسألت رسولك عن المهلب فاخبرني انه عامل الاهواز فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك اعرابيا من أهل مكة على القتال وتدع المهلب يجبي الخراج وهو الميمون النقيبة المقاسي للحرب ابنها وابن أبنائها أرسل الى المهلب يستقبلهم وقد بعثت الى بشر بالكوفة ليمدك بجيش فسر معهم ولا تعمل في عدوك برأي حتى يحضره المهلب والسلام وكتب عبد الملك الى بشر أخيه بالكوفة يأمره بانفاذ خمسة آلاف مع رجل يرضاه لقتال الخوارج فاذا قضوا غزوتهم ساروا الى الري فقاتلوا عدوهم وكانوا مسلحة فبعث بشر خمسة آلاف وعليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فكتب له عهدا على الري عند الفراغ من قتاله وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الاهواز وقدمها عبد الرحمن بن محمد في أهل الكوفة وجاءت الازارقة حتى دنوا من الاهواز فقال المهلب لخالد اني أرى ههنا سفنا كثيرة فضمها اليك فانهم سيحرقونها فلم يعض الا ساعة حتى ارسلوا اليها فاحرقوها وجعل خالد المهلب على ميمنته وعلى ميسرته داود بن قحذم من بني قيس بن ثعلبة ومر المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يخندق عليه فقال ما يمنعك من الخندق فقال هم أهون علي من ضرط الجمل قال لا يهونوا عليك فانهم سباع العرب ولم يبرح المهلب حتى خندق عبد الرحمن عليه فأقاموا نحوا من عشرين ليلة ثم زحف خالد اليهم بالناس فرأوا أمرا هالهم من كثرة الناس فكثرت عليهم الخيل وزحفت اليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لا يرون طاقة بقتال جماعة الناس فارسل خالد داود بن قحذم في آثارهم وانصرف خالد الى البصرة وسار عبد الرحمن الى الري وأقام المهلب بالاهواز وكتب خالد الى عبد الملك بذلك فلما وصل كتابه الى عبد الملك كتب الى أخيه بشر يأمره ان يبعث أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة مع رجل بصير بالحرب الى فارس في طلب الازارقة ويأمر صاحبه بموافقة داود بن قحذم ان اجتمعا فبعث بشر عتاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة فسار واحتى لحقوا داود فاجتمعوا ثم اتبعوا الخوارج حتى هلكت خيول عامتهم وأصابهم الجوع والجهد ورجع عامة الجيشين مشاة الى الاهواز وفي

وأبصارهم سليمة والآفات عنها مرتفعة والموانع زائلة ولولا أن هنالك لطيفة لا يتساوى الناس في علمها ولا يتفقون بالابصار احصاء ادراكها لما استأثر بذلك طائفة دون أخرى وأهل الجبال والقفار والرهاش أزجر وأعرف (وقد ذهب) قوم من أهل الشريعة من فقهاء الامصار وغيرهم ممن سلف الى الحكم بالقيافة استدلالا على شرف القيافة وعظم خطرها وكبر محلها وتحقيق فضلها لتعجب النبي صلى الله عليه وسلم منها وتصديقه محرزا المدلجي وقد أنكر جماعة من فقهاء الامصار ممن سلف وخالف الحكم بالقيافة والدليل على فساد الحكم بها الحاق النبي صلى الله عليه وسلم الولد بأبيه حين شك فيه لعدم التشابه فقال يا رسول الله ان امرأتي وضعت غلاما وانه لاسود فقال النبي صلى الله عليه وسلم مقربا الى فهمه وقصدا منه لفساد علته التي قصدها وشك فهل لك من ابل قال نعم قال فما ألوانها قال حمر قال فهل فيها أورق قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم فمن أين ذلك لعل عرقا نزع وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة شريك بن أسحم ان جاءت

هذه السنة كان خروج أبى فديك الخارجى وهو من بنى قيس بن ثعلبة فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفى فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قطرى الاهواز وأمر أبى فديك فبعث أخاه أمية بن عبد الله فى جند كثيف الى أبى فديك فهزمه أبو فديك وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه فكتب خالد الى عبد الملك بذلك

﴿ذكر قتل عبد الله بن خازم﴾

ولما قتل مصعب كان ابن خازم يقاتل بحير بن ورقاء الصريمى التميمى بنيسابور فكتب عبد الملك الى ابن خازم يدعوه الى البيعة له و يطعمه خراسان سبع سنين وأرسل الكتاب مع سوادة بن اشتم النميرى وقيل مع مكمل الغنوى فقال ابن خازم لولا ان اضرب بين سليم وعامر لقتلتك ولكن كل كتابك فأكله وقيل بل كان الكتاب مع سوادة بن عبيد الله النميرى وقيل مع مكمل الغنوى فقال له ابن خازم انما بعثك أبو الذبان لانك من غنى وقد علم انى لا أقتل رجلا من قيس ولكن كل كتابه وكتب عبد الملك الى بكير بن وشاح وكان خليفة ابن خازم على مرو بعهده على خراسان ووعده ومناه فخلع بكير عبد الله بن الزبير ودعا الى عبد الملك فاجابه أهل مرو وبلغ ابن خازم فخاف ان يأتيه بكير فيجتمع عليه أهل مرو وأهل نيسابور فترك بحيرا وأقبل الى مرو ويزيد ابنه بترمذ فاتبعه بحير فلحقه بقرية على ثمانية فراسخ من مرو فقاتله ابن خازم فقتل ابن خازم وكان الذى قتله وكيع بن عمرو القريعى أعثره وكيع وبحير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز فطعنوه فصرعوه وقعد وكيع على صدره فقتله فقال بعض الولاة لوكيع كيف قتلته قال غلبته بفضل القناة فلما صرع قعدت على صدره فلم يقدر أن يقوم وقلت يالثارات دويلة وهو أخو وكيع لامه قتل فى بعض تلك الحروب قال وكيع فتنخم فى وجهى وقال لعنك الله أتقتل كبش مضر باخيك وهو لايساوى كفا من نوى أو قال من تراب قال فما رأيت أكثر ريقا منه على تلك الحال عند الموت وبعث بحير ساعة قتل ابن خازم الى عبد الملك يخبره بقتله ولم يبعث بالرأس وبعث بحير بكير بن وشاح فى أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم فاراد أخذ الرأس وانفاذه الى عبد الملك فمنعه بحير فضربه بكير بعمود وحبسه وسير الرأس الى عبد الملك وكتب اليه يخبره انه هو الذى قتله فلما قدم الرأس دعا عبد الملك برسول بحير وقال ماهذا قال لا أدرى وما فارقت القوم حتى قتل ابن خازم وقيل ان ابن خازم انما قتل بعد قتل عبد الله بن الزبير وان عبد الملك أنفذ اليه رأس ابن الزبير ودعاه الى نفسه فغسل الرأس وكفنه وبعثه الى أهله بالمدينة واطعم الرسول الكتاب وقال لولا انك رسول لقتلتك وقيل بل قطع يديه ورجليه وقتله وحلف أن لا يطيع عبد الملك أبدا (بحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة)

﴿ذكر عدة حوادث﴾

كان العامل على المدينة طارقا لعبد الملك وعلى الكوفة بشر بن مروان وعلى قضائها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعلى البصرة خالد بن عبد الله وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان فى قول بعضهم بكير بن وشاح وفى قول بعضهم عبد الله بن خازم وفى هذه السنة مات عبيدة السلمانى وهو من أصحاب على (عبيدة بفتح العين وكسر الباء الموحدة)

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين﴾

﴿ذكر قتل عبد الله بن الزبير﴾

به على النعت المكروه فهو للذى رميت به فلما جاءت به على النعت المكروه ووجد التشابه بينه و بين من رميت به فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا حكم الله لكان لى ولك شأن فالحق الولد مع عدم الشبه هنالك ولم يلحق بالشبه ههنا ولم يجعل له حكما وقضى بوجود الفراش وثبوت النص على فساد الحكم بالتشابه (وهذا) قصدنا فيه هذا الكلام وانما ذكرنا هذا الفصل لذكر الحكم بضده من القيافة وهذا باب يطول فيه الخطب ويكثر فى معانيه الشرح لغموضه ولطفه وقد ذكرنا وجه الكلام فى ذلك وماذهبت اليه كل فرقة من الناس ممن سلف وخلف فى كتابنا المترجم بكتاب الرؤس السبعة فى الاحاطة بسياسة العالم وأسراره وهو كتاب مشهور مستوعب

﴿ذكر الكهانة وماقيل فى ذلك وما اتصل بهذا الباب مما يراه الناس وحد النفس الناطقة﴾

تنازع الناس فى الكهانة فذهبت طائفة من حكماء اليونانيين والروم الى التكهن وكانوا يدعون العلوم من الغيوب فادعى صنف منهم أن نفوسهم قد

لما بويع عبد الملك بالشام بعث الى المدينة عروة بن أنيف فى ستة آلاف من أهل الشام وأمره ان لا يدخل المدينة وأن يعسكر بالعرصة وكان عامل عبد الله بن الزبير على المدينة الحرث بن حاطب ابن الحرث بن معمر الجمحى فهرب الحرث وكان ابن أنيف يدخل و يصلى بالناس الجمعة ثم يعود الى معسكره فاقام شهرا ولم يبعث اليهم ابن الزبير أحدا وكتب اليه عبد الملك بالعود اليه فعاد هو ومن معه وكان يصلى بالناس بعده عبد الرحمن بن سعد القرظى ثم عاد الحرث الى المدينة وبعث ابن الزبير سليمان بن خالد الزرقى الانصارى وكان رجلا صالحا عاملا على خيبر وفدك فنزل فى عمله فبعث عبد الملك عبد الواحد بن الحرث بن الحكم وقيل اسمه عبد الملك وهو أصح فى أربعة آلاف فسار حتى نزل وادى القرى وسير سرية عليها أبو القمقام فى خمسمائة الى سليمان فوجدوه قد هرب فطلبوه فادركوه فقتلوه ومن معه فاغتم عبد الملك بن مروان بقتله وقال قتلوا رجلا مسلما صالحا بغير ذنب وعزل ابن الزبير الحرث واستعمل مكانه جابر بن الاسود بن عوف الزهرى فوجه جابر أبا بكر بن أبى قيس فى ستمائة فارس وأربعين فارسا الى خيبر فوجدوا أبا القمقام ومن معه مقيمين بفدك يعسفون الناس فقاتلوهم فانهزم أصحاب أبى القمقام وأسر منهم ثلاثون رجلا فقتلوا صبرا وقيل بل قتل الخمسمائة أو أكثرهم ووجه عبد الملك طارق بن عمرو مولى عثمان وأمره ان ينزل بين أيلة ووادى القرى ويمنع عمال ابن الزبير من الانتشار ويسد خللا ان ظهر له فوجه طارق الى أبى بكر خيلا فاقتتلوا فأصيب أبو بكر فى المعركة وأصيب من أصحابه أكثر من مائتى رجل وكان ابن الزبير قد كتب الى القباع أيام كان عامله على البصرة يأمره ان يرسل اليه ألفى فارس ليعينوا عامله على المدينة فوجه اليه ألفى رجل فلما قتل أبو بكر أمر ابن الزبير جابر بن الاسود ان يسير جيش البصرة الى قتال طارق فسار البصريون عن المدينة وبلغ طارقا الخبر فسار نحوه فالتقيا فقتل مقدم البصريين وقتل أصحابه قتلا ذريعا وطلب طارق مدبرهم وأجهز على جريحهم ولم يستبق أسيرهم ورجع طارق الى وادى القرى وكان عامل ابن الزبير بالمدينة جابر بن الاسود وعزل ابن الزبير جابرا واستعمل طلحة بن عبيد الله بن عوف الذى يعرف بطلحة الندى سنة سبعين فلم يزل على المدينة حتى أخرج طارق فلما قتل عبد الملك مصعبا وأتى الكوفة وجه منها الحجاج بن يوسف الثقفى فى ألفين وقيل فى ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير وكان السبب فى تسييره دون غيره انه قال لعبد الملك قد رأيت فى المنام انى أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فابعثنى اليه وولنى قتاله فبعثه وكتب معه أمانا لابن الزبير ومن معه ان أطاعوا فسار فى جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين ولم يعرض للمدينة ونزل الطائف وكان يبعث الخيل الى عرفة ويبعث ابن الزبير أيضا فيقتتلون بعرفة فتنهزم خيل ابن الزبير فى كل ذلك وتعود خيل الحجاج بالظفر ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يستأذنه فى دخول الحرم وحصر ابن الزبير ويخبره بضعفه وتفرق أصحابه ويستمده فكتب عبد الملك الى طارق يأمره باللحاق بالحجاج فقدم المدينة فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وأخرج عامل ابن الزبير عنها وجعل عليها رجلا من أهل الشام اسمه ثعلبة فكان ثعلبة يخرج المخ وهو على منبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم يأكله ويأكل عليه التمر ليغيظ أهل المدينة وكان مع ذلك شديدا على أهل الزبير وقدم طارق على الحجاج بمكة فى سلخ ذى الحجة فى خمسة آلاف وأما الحجاج فانه قدم مكة فى ذى القعدة وقد أحرم بحجه فنزل بئر ميمون وحج بالناس تلك السنة الحجاج الا انه لم يطف بالكعبة ولا سعى بين الصفا والمروة منعه ابن الزبير من ذلك فكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب الى ان قتل ابن الزبير ولم يحج ابن الزبير ولا أصحابه لانهم لم يقفوا بعرفة ولم يرموا الجمار

صفت فهى مطلعة على أسرار الطبيعة وعلى ما تريد أن يكون منها لان صور الاشياء عندهم فى النفس الكلية وصنف منهم ادعى أن الارواح المنفردة وهى الجن تخبرهم بالاشياء قبل كونها وأن أرواحهم كانت قد صفت حتى صارت لتلك الارواح من الجن متفقة (وذهب) قوم من النصارى أن السيد المسيح انما كان يعلم الغائبات من الامور ويخبر عن الاشياء قبل كونها لانها كانت فيه نفس عالمة بالغيب ولو كانت تلك النفس فى غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب ولا أمه خلت الا كان فيها كهانة ولم يكن الاوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانات وشهر فيهم أن فيثاغورس كان يعلم علوما من الغيب وضروبا من الوحى لصفاء نفسه وتجردها من أدران هذا العالم والصابئة تذهب الى أن ازرياسيس وأوايس وأوبس الثانى وهما هرمس وأغاثيمون كانوا يعلمون الغيب ولذلك كانوا أنبياء عند الصابئة ومنعوا أن تكون الجن أخبرت من ذكرنا بشئ من ضروب الغيب لكن صفت

ونحر ابن الزبير بدنه بمكة ولما حصر الحجاج ابن الزبير نصب المنجنيق على أبي قبيس ورمى به الكعبة وكان عبد الملك ينكر ذلك أيام يزيد بن معاوية ثم أمر به فكان الناس يقولون خذل في دينه وحج ابن عمر تلك السنة فارسل الى الحجاج ان اتق الله واكفف هذه الحجارة عن الناس فانك في شهر حرام وبلد حرام وقد قدمت وفود الله من أقطار الارض ليؤدوا فريضة الله ويزدادوا خيرا وان المنجنيق قد منعهم عن الطواف فاكفف عن الرمي حتى يقضوا ما يجب عليهم بمكة فبطل الرمي حتى عاد الناس من عرفات وطافوا وسعوا ولم يمنع ابن الزبير الحاج من الطواف والسعي فلما فرغوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجاج انصرفوا الى بلادكم فانا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد وأول ما رمى بالمنجنيق الى الكعبة أرعدت السماء وأبرقت وعلا صوت الرعد على الحجارة فاعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديهم فاخذ الحجاج حجارة المنجنيق بيده فوضعها فيه ورمى بها معهم فلما أصبحوا جاءت الصواعق فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلا فانكسر أهل الشام فقال الحجاج يا أهل الشام لا تنكروا هذا فاني ابن تهامة وهذه صواعقها وهذا الفتح قد حضر فابشروا فلما كان الغد جاءت الصاعقة فاصابت من أصحاب ابن الزبير عدة فقال الحجاج ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلافها وكانت الحجارة تقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلي فلا ينصرف وكان أهل الشام يقولون

يا ابن الزبير طالما عصيكا * وطالما عنيتنا اليكا * لتجزين بالذي أتيكا

يعنون عصيت وأتيت وقدم عليه قوم من الاعراب فقالوا اقدمنا للقتال معك فنظر فاذا مع كل امرئ منهم سيف كأنه شفرة وقد خرج من غمده فقال يا معشر الاعراب لا قربكم الله فوالله ان سلاحكم لرث وان حديثكم لغث وانكم اقتال في الجدب أعداء في الخصب فتفرقوا ولم يزل القتال بينهم دائما فغلت الاسعار عند ابن الزبير وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح فرسه وقسم لحمها في أصحابه وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم والمد الذرة بعشرين درهما وان بيوت ابن الزبير لمملوءة قمحا وشعيرا وذرة وتمرا وكان أهل الشام ينتظرون فناء ما عنده وكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه الا ما يمسك الرمق ويقول أنفس أصحابي قوية ما لم يفن فلما كان قبيل مقتله تفرق الناس عنه وخرجوا الى الحجاج بالامان خرج من عنده نحو عشرة آلاف وكان ممن فارقه ابناه حمزة وخبيب أخذا لانفسهما أمانا فقال عبد الله لابنه الزبير خذ لنفسك أمانا كما فعل أخواك فوالله اني لاحب بقاءكم فقال ما كنت لارغب بنفسي عنك فصبر معه فقتل ولما تفرق أصحابه عنه خطب الحجاج الناس وقال قد ترون قلة من مع ابن الزبير وما هم عليه من الجهد والضيق ففرحوا واستبشروا وتقدموا فملؤا ما بين الحجون الى الابواء فدخل على أمه فقال يا أماه قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق معي الا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت أعلم بنفسك ان كنت تعلم أنك على حق واليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلاعب بها غلمان بني امية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن قتل معك وان قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الاحرار ولا أهل الدين كم خلودك في الدنيا القتل أحسن فقال يا اماه أخاف ان قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني قالت يا بني ان الشاة لا تتألم بالسلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله فقبل رأسها وقال هذا رأيي والذي خرجت به دائبا الى يومي هذا ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني الى الخروج الا الغضب لله وان تستحل حرماته ولكني أحببت

نفوسهم حتى اطلعوا على ما استتر عن غيرهم من جنسهم (وطائفة) ذهبت الى أن التكهن سبب نفساني لطيف يتولد من صفاء مزاج الطباع وقوة النفس ولطافة الحس (وذكر) كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه وأن الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على ألسنة الكهان فيؤدون الى الناس الاخبار بحسب ما يرد اليهم وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه فقال وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الى آخر القصة وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم الآية والشياطين والجن لا تعلم الغيب وانما ذلك لاستراقها السمع مما يسمع من الملائكة بظاهر قوله عز وجل "فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين" (وطائفة) ذهبت الى أن وجه سبب الكهانة من الوحي الفلكي وأن ذلك في المولد عند ثبوت

ان أعلم رأيك فقد زدتني بصيرة فانظري يا أماه فاني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الامر الى الله فان ابنك لم يتعمد ايثار منكر ولا عملا بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي اللهم لا أقول هذا تزكية لنفسي ولكني أقوله تعزية لامي حتى تسلو عني فقالت أمه لارجو ان يكون عزائي فيك جميلا ان تقدمتني احتسبتك وان ظفرت سررت بظفرك اخرج حتى أنظر الى ما يصير أمرك فقال جزاك الله خيرا فلا تدعي الدعاء لي قالت لا أدعه لك أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل وذلك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة وبره بابيه وبي اللهم قد سلمته لامرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين فتناول يديها ليقبلهما فقالت هذا وداع فلا تبعد فقال لها جئت مودعا لاني أرى هذا آخر أيامي من الدنيا قالت امض على بصيرتك وادن مني حتى أودعك فدنا منها فعانقها وقبلها فوقعت يدها على الدرع فقالت ما هذا صنيع من يريد ما تريد فقال ما لبسته الا لاشد متنك قالت فانه لا يشد متني فنزعها ثم درج كميه وشد أسفل قميصه وجبة خز تحت أثناء السراويل وأدخل أسفلها تحت المنطقة وأمه تقول له البس ثيابك مشمرة فخرج وهو يقول

اني اذا أعرف يومي اصبر * وانما يعرف يومه الحر * اذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فسمعته فقالت تصبر ان شاء الله أبواك أبو بكر والزبير وأمك صفية بنت عبد المطلب فحمل على أهل الشام حملة منكرة فقتل منهم ثم انكشف هو وأصحابه وقال له بعض أصحابه لو لحقت بموضع كذا فقال بئس الشيخ انا اذا في الاسلام لئن أوقعت قوما فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم ودنا أهل الشام حتى امتلأت منهم الابواب وكانوا يصيحون به يا ابن ذات النطاقين فيقول

* وتلك شكاة ظاهر عنك عارها *

وجعل أهل الشام على أبواب المسجد رجالا من أهل كل بلد فكان لاهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ولاهل دمشق باب بني شيبة ولاهل الاردن باب الصفا ولاهل فلسطين باب بني جمح ولاهل قنسرين باب بني تيم وكان الحجاج وطارق من ناحية الابطح الى المروة فمرة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية ومرة في هذه الناحية فكانه أسد في أجمة ما يقدم عليه الرجال يعدو في أثر القوم حتى يخرجهم ثم يصيح أبا صفوان ويل أمه فتحا لو كان له رجال أو كان قرني واحدا كفيته فيقول أبو صفوان عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف اي والله وألف فلما رأى الحجاج ان الناس لا يقدمون على ابن الزبير غضب وترجل وأقبل يسوق الناس ويصمد بهم صمد صاحب علم ابن الزبير وهو بين يديه فتقدم ابن الزبير على صاحب علمه وضاربهم فانكشفوا وعرج وصلى ركعتين عند المقام فحملوا على صاحب علمه فقتلوه عند باب بني شيبة وصار العلم بايدي أصحاب الحجاج فلما فرغ من صلاته تقدم فقاتل بغير علم فضرب رجلا من أهل الشام وقال خذها وأنا ابن الحواري وضرب آخر وكان حبشيا فقطع يده وقال اصبر أبا حمة اصبر ابن حام وقاتل معه عبد الله بن مطيع وهو يقول

انا الذي فررت يوم الحره * والحر لا يفر الا مره * واليوم أجزي فرة بكره

وقاتل حتى قتل وقيل انه أصابته جراح فمات منها بعد أيام وقال ابن الزبير لاصحابه وأهله يوم قتل بعد صلاة الصبح اكشفوا وجوهكم حتى أنظر اليكم وعليهم المغافر ففعلوا فقال يا آل الزبير لو طبتم بي نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا في الله فلا يرعكم وقع السيوف فان ألم الدواء

عطارد على شرفه وأما ما عداه من الكواكب المدبرات من النيرين والخمسة اذا كانت في عقد متساوية وارباع متكافئة ومناظرة متوازية وجب لصاحب المولد التكهن والاخبار بالكائنات قبل حدوثها الاشراق هذه الاشراف ا[illegible] وكبية (ومن هؤلاء) من أوجب كون ذلك في القرانات الكبار (وذهب) كثير ممن تقدم وتأخر أن علة ذلك علل نفسانية وأن النفس اذا قويت وزادت قهرت الطبيعة وأبانت للانسان كل سر لطيف وخبرته بكل معنى شريف وغاصت بلطافتها في انتخاب المعاني اللطيفة البديعة فاقتنصتها وأبرزتها عن الكمال وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلالها فيما ذكرنا فانهم قالوا رأينا الانسان ينسب الى قسمين وهما النفس والجسد ووجدنا الجسد مواتا لا حركة ولا حس الا بالنفس وكان الميت لا يعلم شيأ ولا يؤديه فوجب أن يكون العلم للنفس والنفوس طبقات منها الصافي وهي النفس الحسية والنفس البراعية والنفس الجلية ومنها ما قوته في الانسان أزيد منه فلما كانت

للجراح أشد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونوا وجوهكم غضوا أبصاركم من البارقة وليشغل كل أمرئ قرنه ولا تسألوا عنى فمن كان سائلا عنى فانى فى الرعيل الاول احملوا على بركة الله ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون فرمى بآخرة رماه رجل من السكون فاصابته فى وجهه فأرعش لها ودمى وجهه فلما وجد الدم على وجهه قال

فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وقاتلهم قتالا شديدا فتعاودوا عليه فقتلوه يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة وله ثلاث وسبعون سنة وتولى قتله رجل من مراد وحمل رأسه الى الحجاج فسجد ووفد السكونى والمرادى الى عبد الملك بالخبر فاعطى كل واحد منهما خمسمائة دينار وسار الحجاج وطارق حتى وقفا عليه فقال طارق ما ولدت النساء اذكر من هذا فقال الحجاج أتمدح مخالف أمير المؤمنين قال نعم هو أعذر لنا ولولا هذا لما كان لنا عذر انا محاصره منذ سبعة أشهر وهو فى غير جند ولا حصن ولا منعة فينتصف منا بل يفضل علينا فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقا ولما قتل ابن الزبير كبر أهل الشام فرحا بقتله فقال ابن عمر انظروا الى هؤلاء ولقد كبر المسلمون فرحا بولادته وهؤلاء يكبرون فرحا بقتله وبعث الحجاج برأسه ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم الى المدينة ثم ذهب بها الى عبد الملك بن مروان وأخذ جثته فصلبها على الثنية اليمنى بالحجون فارسلت اليه أسماء قاتلك الله على ماذا صلبته قال استبقت انا وهو الى هذه الخشبة وكانت له فاستأذنته فى تكفينه ودفنه وأبى ووكل بالخشبة من يحرسها وكتب الى عبد الملك يخبره بصلبه فكتب اليه يلومه ويقول ألا خليت بينه وبين أمه فاذن لها الحجاج فدفنته بالحجون فمر به عبد الله بن عمر فقال السلام عليك يا أبا خبيب أما والله لقد كنت انهاك عن هذا ولقد كنت صواما قواما وصولا للرحم أما والله ان قوما أنت شرهم لنعم القوم وكان ابن الزبير قبل قتله بقى أياما يستعمل الصبر والمسك لئلا ينتن فلما صلب ظهرت منه رائحة المسك فقيل ان الحجاج صلب معه كلبا ميتا فغلب على ريح المسك وقيل بل صلب معه سنورا ولما قتل عبد الله ركب أخوه عروة ناقة لم ير مثلها فسار الى عبد الملك فقدم الشام قبل وصول رسل الحجاج بقتل عبد الله فاتى باب عبد الملك فاستأذن عليه فأذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فرد عليه عبد الملك ورحب به وعانقه وأجلسه على السرير فقال عروة

متت بارحام اليك قريبة * ولا قرب للارحام مالم تقرب

ثم تحدثا حتى جرى ذكر عبد الله فقال عروة انه كان فقال عبد الملك وما فعل قال قتل فخر ساجدا فقال عروة ان الحجاج صلبه فهب جثته لامه قال نعم وكتب الى الحجاج يعظم صلبه وكان الحجاج لما فقد عروة كتب الى عبد الملك يقول له ان عروة كان مع أخيه فلما قتل عبد الله أخذ مالا من مال الله فهرب فكتب اليه عبد الملك انه لم يهرب ولكنه أتانى مبايعا وقد أمنته وحللته مما كان وهو قادم عليك فاياك وعروة وعاد عروة الى مكة وكانت غيبته عنها ثلاثين يوما فانزل الحجاج جثة عبد الله عن الخشبة وبعث به الى أمه فغسلته فلما أصابه الماء تقطع فغسلته عضوا عضوا فاستمسك وصلى عليه عروة ودفنته وقيل ان عروة لما كان غائبا عند عبد الملك كتب اليه الحجاج وعاوده فى انفاذ عروة اليه فهم عبد الملك بانفاذه فقال عروة ليس الذليل من قتلتموه ولكن الذليل من ملكتموه وليس بملوم من صبر فمات ولكن الملوم من فر من الموت فسمع منه هذا الكلام فقال عبد الملك يا أبا عبد الله لن تسمع منا شيأ تكرهه وان عبد الله لم يصل عليه أحد منعها الحجاج

النسبة النورية للانسان الى النفس كانت تهدى الانسان الى استخراج الغيب وعلم آلاته وكانت فطنته وظنونه أبعث وأعم فاذا كانت النفس فى غاية البروز ونهاية الخلوص وكانت تامة النور وكاملة الشعاع كان توجهها فى دراية الغائب بحسب ما عليه نفوس الكهنة وبهذا وجد الكهان على هذه السبيل من نقصان الاجسام وتشويه الخلق كما اتصل بنا عن شق وسطيح وسماقة وزوبعة وسديف بن هرماس وظريفة الكاهنة وعمران أخى عمرو مزيقياء وحارثة بنت جهينة وكاهنة باهلة واشباههم من الكهان (واما العراف) وهو دون الكاهن فمثل الابلق الاسدى والاجلح الزهرى وعروة بن زيد الاسدى ورباح بن كحلة عراف اليمامة الذى قال فيه عروة

جعلت لعراف اليمامة حكمه

وعراف نجد ان هما شفيانى وكهندصاحب المستنير وكان فى نهاية التقدم فى العرافة (والكهانة) أصلها نفسى لا لطينة باقية ومقارنة لاعجاز باهرة وهى تكون فى العرب على

من الصلاة عليه وقال انما أمر أمير المؤمنين بدفنه وقيل صلى عليه غير عروة والذى ذكره مسلم فى صحيحه ان عبد الله بن الزبير ألقى فى مقابر اليهود وعاشت أمه بعده قليلا وماتت وكانت قد أضرت وهى أم عروة أيضا فلما فرغ الحجاج من أمر ابن الزبير دخل مكة فبايعه أهلها لعبد الملك بن مروان وأمر بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وسار الى المدينة وكان عبد الملك قد استعمله على مكة والمدينة فلما قدم المدينة أقام بها شهرا أو شهرين فاساء الى أهلها واستخف بهم وقال أنتم قتلة أمير المؤمنين عثمان وختم أيدى جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافا بهم كما يفعل باهل الذمة منهم جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وسهل بن سعد ثم عاد الى مكة فقال حين خرج منها الحمد لله الذى أخرجنى من أم نتن أهلها أخبث بلد وأغشه لامير المؤمنين وأحسدهم له على نعمة الله والله لولا ما كانت تأتينى كتب أمير المؤمنين فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار أعوادا يعوذون بها ورمة قد بليت يقولون منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ جابر بن عبد الله قوله فقال ان وراءه ما يسوءه قد قال فرعون ما قال ثم أخذه الله بعد ان أنظره وقيل ولاية الحجاج المدينة وما فعله بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنة أربع وسبعين فى صفر (خبيب بن عبد الله بن الزبير بضم الخاء المعجمة وبباءين موحدتين بينهما ياء مثناة من تحت وكان عبد الله يكنى به وبابى بكر أيضا)

﴿ذكر عمر ابن الزبير وسيرته﴾

كان له من العمر حين قتل اثنتان وسبعون سنة وكانت خلافته تسع سنين لانه بويع له سنة أربع وستين وكانت له جمة مفروقة طويلة قال يحيى بن وثاب كان ابن الزبير اذا سجد وقعت العصافير على ظهره تظنه حائطا لسكونه وطول سجوده وقال غيره قسم عبد الله الدهر ثلاث حالات فليلة قائم حتى الصباح وليلة راكع حتى الصباح وليلة ساجد حتى الصباح وقيل أول ما علم من همة ابن الزبير انه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبى فمر به رجل فصاح عليهم ففروا ومشى ابن الزبير القهقرى وقال يا صبيان اجعلونى أميركم وشدوا بنا عليه ففعلوا ومر به عمر بن الخطاب وهو يلعب ففر الصبيان ووقف هو فقال له عمر مالك لم تفر معهم فقال لم أجرم فاخافك ولم تكن الطريق ضيقة فاوسع لك وقال قطن بن عبد الله كان ابن الزبير يواصل من الجمعة الى الجمعة قال خالد بن أبى عمران كان ابن الزبير يفطر فى الشهر ثلاثة أيام ومكث أربعين سنة لم ينزع ثيابه عن ظهره وقال مجاهد لم يكن باب من أبواب العبادة يعجز عنه الناس الا تكلفه ابن الزبير ولقد جاء سيل طبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة قال هشام بن عروة كان أول ما أفصح به عمى عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف فكان لا يضعه من يده فكان الزبير يقول والله ليكونن لك منه يوم وأيام قال ابن سيرين قال ابن الزبير ما شئ كان يحدثنا به كعب الا وقد جاء على ما قال الا قوله فتى ثقيف يقتلنى وهذا رأسه بين يدى يعنى المختار قال ابن سيرين ولا يشعر ابن الزبير ان الحجاج قد خبئ له وقال عبد العزيز بن أبى جميلة الانصارى ان ابن عمر مر بابن الزبير وهو مصلوب بعد قتله فقال رحمك الله أبا خبيب انك كنت صواما قواما ولقد أفلحت قريش ان كنت شرها وكان الحجاج قد صلبه ثم ألقاه فى مقابر اليهود وأرسل الى أمه يستحضرها فلم تحضر فارسل اليها لتأتينى أو لابعثن اليك من يسحبك بقرونك فلم تأته فقام اليها فلما حضر قال لها كيف رأيتنى صنعت بعبد الله قالت رأيتك افسدت على ابنى دنياه وأفسد عليك آخرتك أما ان رسول الله صلى الله عليه

الا كثر وفى غيرهم على وجه الندرة لانه شئ يتولد على صفاء المزاج الطبيعى وقوة مادة نور النفس واذا أنت اعتبرت أوطانها رأيتها متعلقة بعفة النفس وقمع شرها بكثرة الوحدة وادمان التفرد وشدة الوحشة من الناس وقلة الانس بهم وذلك أن النفس اذا هى انفردت فكرت واذا هى فكرت بعدت واذا بعدت هطل عليها سحب العلم النفسى فنظرت بالعين النورية ولحظت بالنور الثاقب ومضت على الشريعة المستوية فأخبرت عن الاشياء على ماهى به وعليه وربما قويت النفس فى الانسان فأشرفت على دراية الغائبات قبل ورودها وكان كبراء اليونانيين ينعتون هذه الطائفة بالروحانية ويقولون ان النفس اذا هى أدت وكانت أكبر جزء فى الانسان تهذبت الى استخراج البدائع والاخبار المستترات واستدلوا على ذلك أن الانسان اذا قوى فكره وزادت مواد نفسه وخاطره فكر فى الطارئ قبل وروده بعلم صورته وكيف وروده الى ما على تصوره وهكذا النفس أيضا اذا تهذبت

وسلم حدثنا ان فى ثقيف كذابا ومبيرا فأما الكذاب فقد رأيناه تعنى المختار وأما المبير فانت هو وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه وقال ابن الزبير لعبد الله بن جعفر أتذكر يوم لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت فاخذنى فاطمة فقال نعم فحملنا وتركك ولو علم انه يقول له هذا ما سأله

﴿ ذكر ولاية محمد بن مروان الجزيرة وارمينية ﴾

وفى هذه السنة استعمل عبد الملك أخاه محمدا على الجزيرة وأرمينية فغزا منها وأثخن العدو وكانت بحيرة الطريخ التى بارمينية مباحة لم يعرض لها أحد بل يأخذ منها من شاء فمنع من صيدها وجعل عليها من يأخذه ويبيعه ويأخذ ثمنه ثم صارت بعده لابنه مروان ثم أخذت منه لما انتقلت الدولة عنهم وهى الى الآن على هذه الحال من الحجر ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شئ وهذا الطريخ من عجائب الدنيا الان سمكه صغير له كل سنة موسم يخرج من هذه البحيرة فى نهر يصب اليها كثيرا يؤخذ بالايدى والآلات المصنوعة له فاذا انقضى موسمه لا يوجد منه شئ

﴿ ذكر قتل أبى فديك الخارجى ﴾

قد ذكرنا سنة اثنتين وسبعين قتل نجدة بن عامر الخارجى وطاعة أصحابه أبا فديك وثبات قدم أبى فديك الى الآن فامر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة ويسير الى قتاله فندبهم وانتدب معه عشرة آلاف فاخرج لهم أرزاقهم ثم سار بهم وجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله وأهل البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وهو ابن أخى عمر وجعل خيله فى القلب وساروا حتى انتهوا الى البحرين فالتقوا واصطفوا للقتال فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر حتى أبعدوا الى المغيرة بن المهلب ومجاعة بن عبد الرحمن وفرسان الناس فانهم مالوا الى صف أهل الكوفة بالميمنة وجرح عمر بن موسى فلما رأى أهل الميسرة أهل الميمنة لم ينهزموا رجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير لان أميرهم عمر بن موسى كان جريحا فحملوه معهم واشتد قتالهم حتى دخلوا عسكر الخوارج وحمل أهل الكوفة من الميمنة ومن معهم من أهل الميسرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروا أصحابه بالمشقر فنزلوا على الحكم فقتل منهم نحو ستة آلاف وأسر ثمانمائة ووجدوا جارية عبد الله بن أمية حبلى من أبى فديك وعادوا الى البصرة

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولاها أخاه بشرا فى قول بعضهم فاجتمع له المصران الكوفة والبصرة فسار بشر الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفة فهزمهم وفيها كانت وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية ارمينية فى أربعة آلاف والروم فى ستين ألفا فهزمهم وأكثر القتل فيهم وحج بالناس هذه السنة الحجاج وكان على مكة واليمن واليمامة وكان على الكوفة والبصرة فى قول بعضهم بشر بن مروان وقيل كان على الكوفة بشر وعلى البصرة خالد بن عبد الله وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحرث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان بكير بن وشاح وفى هذه السنة مات عبد الله بن عمر بمكة ودفن بذى طوى وقيل بفخ وكان سبب موته أن الحجاج أمر بعض أصحابه فضرب ظهر قدمه بزج

رمح مسموم فمات منها وعاده الحجاج فى مرضه فقال من فعل بك هذا قال أنت لانك أمرت بحمل السلاح فى بلد لا يحل حمله فيه وكان موته بعد ابن الزبير بثلاثة أشهر وقيل غير ذلك وكان عمره سبعا وثمانين سنة وفيها مات سلمة بن الاكوع وأبو سعيد الخدرى ورافع بن خديج ومالك بن مسمع أبو غسان البكرى وقيل مات سنة أربع وستين وولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى سلم بن زياد بن أبيه قبل بشر بن مروان واسماء بنت أبى بكر بعد ابنها بقليل وكانت قد عميت وكانت مطلقة من الزبير قيل ان ابنها عبد الله قال له مثلى لا توطأ أمه فطلقها وفيها مات عوف بن مالك الأشجعى وكان أول مشاهده خيبر ومعاوية بن حديج قبل ابن عمر بيسير وفيها مات معبد بن خالد الجهنى وهو ابن ثمانين سنة وله صحبة وفيها قتل عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله مع ابن الزبير وهو ابن أخى طلحة بن عبيد الله وله صحبة (رافع بن خديج بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة ومعاوية بن حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم)

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين ﴾

فى هذه السنة عزل عبد الملك طارقا عن المدينة واستعمل عليها الحجاج فاقام بها شهرا وفعل بالصحابة ما تقدم ذكره وخرج عنها معتمرا وفيها هدم الحجاج بناء الكعبة الذى كان ابن الزبير بناه وأعادها الى البناء الاول وأخرج الحجر منها وكان عبد الملك يقول كذب ابن الزبير على عائشة فى أن الحجر من البيت فلما قيل له قال غير ابن الزبير انها روت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وددت انى تركته وما يحمل وفيها استقضى عبد الملك أبا ادريس الخولانى

﴿ ذكر ولاية المهلب حرب الازارقة ﴾

لما استعمل عبد الملك اخاه بشرا على البصرة سار اليها فاتاه كتاب عبد الملك يأمره أن يبعث المهلب الى حرب الازارقة فى أهل البصرة ووجوههم وكان ينتخب منهم من أراد أن يتركه ورأيه فى الحرب وأمره ان يبعث من أهل الكوفة رجلا شريفا معروفا بالباس والنجدة والتجربة فى جيش كثيف الى المهلب وأمرهم ان يتبعوا الخوارج أين كانوا حتى يهلكوهم فارسل المهلب جديع بن سعيد بن قبيصة وأمره أن ينتخب الناس من الديوان وشق على بشر أن امرة المهلب جاءت من عبد الملك فاوغرت صدره عليه حتى كانه اذنب اليه فدعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له قد عرفت منزلتك عندى وقد رأيت ان أوليك هذا الجيش الذى أسيره من الكوفة للذى عرفته منك فكن عند أحسن ظنى بك وانظر الى هذا كذا كذا يقع فى المهلب فاستبد عليه بالامر ولا تقبلن له مشورة ولا رأيا وتنقصه قال عبد الرحمن فترك أن يوصينى بالجيش وقتال العدو والنظر لاهل الاسلام وأقبل يغرينى بابن عمى كانى من السفهاء ما رأيت شيخا مثلى طمع منه فى مثل هذا قال فلما رأى انى لست بنشيط الى جوابه قال لى مالك قلت أصلحك الله وهل يسعنى الا انفاذ أمرك فيما أحببت وكرهت وسار المهلب حتى نزل رامهرمز فلقى بها الخوارج فخندق عليه وأقبل عبد الرحمن فى أهل الكوفة ومعه بشر بن جرير ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس واسحق بن محمد بن الاشعث وزحر بن قيس فسار حتى نزل على ميل من المهلب حيث يتراءى العسكران برامهرمز فلم يلبث العسكر حتى أتاهم نعى بشر بن مروان توفى بالبصرة فتفرق ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة واستخلف بشر على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد وكان خليفته على الكوفة عمرو ابن حريث وكان الذين انصرفوا من أهل الكوفة زحر بن قيس واسحق بن محمد بن الاشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد فاتوا الاهواز فاجتمع بها ناس كثير فبلغ ذلك خالد بن عبد الله فكتب اليهم

كانت الرؤيا فى النوم صادقة وفى الزمان موجودة (وقد تنازع الناس) فى الرؤيا والسبب الموقع لها وماهيتها وكيفية وقوعها فقال فريق ان النوم هو اشتغال النفس عن الامور الظاهرة بعلاقاة حوادث باطنة فيها وذلك على وجهين أحدهما معروف بالعين قائم الصفة يحدث النفس على معان تميزها وتفرق بينها فتشتغل به عن استعمال الظاهر والباطن الذى ألهى الحواس عن الادراك الى الحاس أعنى الروح لاشتغال الروح عن استعمالها واذا وجب بطلانها سمى نورها عرضيا لانه ليس النوم الكلى الذى يعم الاطفال والعجائز والشيوخ الذين خرجوا من مواقع ومخالفة السحر وكذلك نوم الليل على ما وصفنا والوجه الآخر وهو النوم الكلى الذى يعم الاطفال والعجائز والطبقات الحيوانية ذوات الفكر وغيرها وهى طبيعة توجبها الخلقة فى وقت ضرورة كما يوجب الجوع فى وقته ضرورة لان الجوع عند صناعة أهل الطب علة وهى الموجبة تحديد الكبد من الفراغ والاغذية ومنهم من رأى أن النفس

تدرك صورة الأشياء على ضربين أحدهما حس والآخر فكر فالصورة المحسوسة لا تدركها الا فى هيئتها فاذا تخلص علمها عندنا كان ادراكها منفردا من طبعها فيكون فكر الانسان ما لم ينم مانعا للحس حتى اذا نام فعدمت النفس الحواس كلها كانت تلك الصورة التى أخذتها من أعيان الاشياء فيها قائمة كانها محسوسة لان الحس بها فى أعيانها كان قبيل استيلائها بالفكر ضعيفا فلما ارتفع الحس قوى الفكر فصار يصور الاشياء كانها محسوسة يخطر على بال النائم منها ما يخطر على باله اذا كان يقظان للشئ الذى قد كان أشبه وليس لذلك نظام وانما هو ما اتفق فلذلك يرى الانسان كانه يطير وليس بطائر وانما صورة الطيران مفردة كما تعلمها اذا غابت ولكن فكرته فيها تقوى حتى كانها معاينة له فاما ما يراه من الاشياء التى تدل على ما يريد فانما ذلك لان النفس عالمة بالصور فاذا خلصت فى المنام من شوائب الاجسام أشرفت على ما بينا لها وهى عالمة أيضا فى حال اليقظة لا يمكنها معرفة ذلك فتخيل

بأمرهم بالرجوع الى المهلب وتهددهم ان لم يفعلوا بالضرب والقتل ويحذرهم عقوبة عبد الملك فلما قرأ الرسول من الكتاب عليهم سطرا أو سطرين قال زحر أوجز فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس اليه وأقبل زحر ومن معه حتى نزلوا الى جانب الكوفة وأرسلوا الى عمرو بن حريث ان النفر لما بلغهم وفاة الامير تفرقوا فاقبلنا الى مصرنا وأحببنا أن لا ندخل الا باذن الامير فكتب اليهم ينكر عليهم عودهم ويأمرهم بالرجوع الى المهلب ولم يأذن لهم في دخول الكوفة فانتظروا الليل ثم دخلوا الى بيوتهم فاقاموا حتى قدم الحجاج أميرا

﴿ذكر عزل بكير عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله بن خالد﴾

في هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وساج عن خراسان وولاها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكانت ولاية بكير سنتين وكان سبب عزله ان تميما اختلفت بها فصارت مقاعس والبطون يتعصبون لبحير ويطلبون بكيرا وصارت أوف والابناء يتعصبون لبكير وكل هذه بطون من بني تميم فخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ويقهرهم المشركون فكتبوا الى عبد الملك بذلك وانها لا تصلح الا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه فاستشار عبد الملك فيمن يوليه فقال أمية يا أمير المؤمنين تداركهم برجل منك قال لولا انهزامك عن أبي فديك كنت لها قال يا أمير المؤمنين والله ما انهزمت حتى خذلني الناس ولم أجد مقاتلا فرأيت ان انحيازي الى فئة أفضل من تعرض عصبة بقيت من المسلمين للهلكة وقد كتب اليك خالد بن عبد الله بعذري وقد علم الناس ذلك فولاه خراسان وكان عبد الملك يحبه فقال الناس ما رأينا أحدا عوض من هزيمة ما عوض أمية فلما سمع بكير بمسيره أرسل الى بحير وهو في حبسه وقد تقدم ذكر ذلك في مقتل ابن خازم يطلب منه الصلح فامتنع بحير وقال ظن بكير أن خراسان تبقى له في الجماعة ومشت السفراء بينهم فأبى ذلك بحير فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي فقال أراك أحمق يرسل اليك ابن عمك يعتذر اليك وأنت أسيره والسيف بيده ولو قتلك ما حبقت فلا تقبل منه اقبل الصلح واخرج وأنت على رأس أمرك فقبل منه وصالح بكيرا فارسل اليه بكير بأربعين ألفا وأخذ عليه ان لا يقاتله وخرج بحير فأقام يسأل عن مسير أمية فلما بلغه انه قد قارب نيسابور سار اليه ولقيه بها فأخبره عن خراسان وما يحسن به طاعة أهلها ورفع على بكير أموالا أخذها وحذره غدره وسار معه حتى قدم مرو وكان أمية كريما ولا يعرض لبكير ولا لعماله وعرض عليه شرطته فأبى فولاها بحير بن ورقاء فلام بكيرا رجال من قومه وقال كنت بالامس أميرا تحمل الحراب بين يدي فاصير اليوم أحمل الحربة ثم خير أمية بكيرا أن يوليه ما شاء من خراسان فاختار طخارستان قال فتجهز لها فانفق مالا كثيرا فقال بحير لامية ان اتى طخارستان خلعك وحذره فلم يوله (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين وبحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء)

﴿ذكر ولاية عبد الله بن أمية سجستان﴾

لما وصل أمية بن عبد الله الى كرمان استعمل ابنه عبد الله على سجستان فلما قدمها غزا رتبيل الذي ملك بعد المقتول الاول وكان رتبيل هائبا للمسلمين فلما وصل عبد الله الى بست أرسل رتبيل يطلب الصلح وبذل ألف ألف وبعث اليه بهدايا ورقيق فأبى عبد الله قبول ذلك وقال ان ملأ لي هذا الرواق ذهبا والا فلا صلح وكان غرا فخلى له رتبيل البلاد حتى أوغل فيها وأخذ عليه الشعاب والمضايق فطلب أن يخلي عنه وعن المسلمين ولا يأخذ منه شيأ فأبى رتبيل وقال بل يأخذ ثلثمائة ألف درهم صلحا ويكتب لنا به كتابا ولا يغزو بلادنا ما كنت أميرا ولا يحرق ولا يخرب ففعل وبلغ

خيالات تدل بها على تلك الاشياء التي تريدان تكون حتى اذا تذكرت تلك الخيالات وتلك الاشياء فمن كانت نفسه صافية لم تكدر رؤياه تكذب كثيرا ثم ما بين الكدرة والصافية وسائط على حسب مراتبها من الصفاء والكدر يكون صدق ما تخيله وكذبه (وقال فريق آخر) اذا بطل استعمال النفس للحواس ظاهر الم يبطل استعمالها في نفسها ولم يبطل استعمال قواها فتنتقل في الاماكن وتشاهد الاشخاص بالقوة الروحانية التي ليست بجسم لا بالقوة الجسمانية الغليظة وذلك أن القوة الجسدانية لا تدرك الا بمشاركة وملامسة الاشياء اما باتصال كاتصال اللون واما بانفصال الجسم من الاماكن والروح تدرك المتصل والمنفصل جميعا الا بمشاركة الجسد الذي يوجب الحاجة الى قرب المدرك (ومنهم) من رأى أن النوم هو اجتماع الدم وجريانه الى الكبد (ومنهم) من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدو الروح (ومنهم) من زعم أن ما يجده الانسان في نومه من الخواطر انما هو حمل الاغذية والاطعمة

ذلك عبد الملك فعزله

﴿ذكر ولاية حسان بن النعمان افريقية﴾

قد ذكرنا ولاية زهير بن قيس سنة اثنتين وستين وكان قتله سنة تسع وستين فلما علم عبد الملك قتله عظم عليه وعلى المسلمين وأهمه ذلك وشغله عن افريقية ما كان بينه وبين ابن الزبير فلما قتل ابن الزبير واجتمع المسلمون عليه جهز جيشا كثيرا واستعمل عليهم وعلى افريقية حسان بن النعمان الغساني وسيرهم اليها في هذه السنة فلم يدخل افريقية قط جيش مثله فلما ورد القيروان تجهز منها وسار الى قرطاجنة وكان صاحبها أعظم ملوك افريقية ولم يكن المسلمون قط حاربوها فلما وصل اليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيرا فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب فركبوا في مراكبهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم الى الاندلس ودخلها حسان بالسيف فسبى ونهب وقتلهم قتلا ذريعا وأرسل الجيوش فيما حولها فاسرعوا اليه خوفا فامرهم فهدموا من قرطاجنة ما قدروا عليه ثم بلغه ان الروم والبربر قد اجتمعوا له في صطفورة وبنزرت وهما مدينتان فسار اليهم وقاتلهم ولقي منهم شدة وقوة فصبر لهم المسلمون فانهزمت الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ولم يترك حسان موضعا من بلادهم الا وطئه وخافه أهل افريقية خوفا شديدا ولجأ المنهزمون من الروم الى مدينة باجة فتحصنوا بها وتحصن البربر بمدينة بونة فعاد حسان الى القيروان لان الجراح قد كثرت في أصحابه فاقام بها حتى صحوا

﴿ذكر تخريب افريقية﴾

لما صلح الناس قال حسان دلوني على أعظم من بقي من ملوك افريقية فدلوه على امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة وكانت تخبرهم باشياء من الغيب ولهذا سميت الكاهنة وكانت بربرية وهي بجبل أوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة فسأل أهل افريقية عنها فعظموا محلها وقالوا له ان قتلتها لم تختلف البربر بعدها عليك فسار اليها فلما قاربها هدمت حصن باغاية ظنا منها انه يريد الحصون فلم يعرج حسان على ذلك وسار اليها فالتقوا على نهر نيني واقتتلوا أشد قتال رآه الناس فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وانهزم حسان وأسر جماعة كثيرة أطلقتهم الكاهنة سوى خالد بن يزيد القيسي وكان شريفا شجاعا فاتخذته ولدا وسار حسان حتى فارق افريقية وأقام وكتب الى عبد الملك يعلمه الحال فامره عبد الملك بالمقام الى أن يأتيه أمره فاقام بعمل برقة خمس سنين فسمي ذلك المكان قصور حسان الى الآن وملكت الكاهنة افريقية كلها وأساءت السيرة في أهلها وعسفتهم وظلمتهم ثم سير اليه عبد الملك الجنود والاموال وأمره بالمسير الى افريقية وقتال الكاهنة فارسل حسان رسولا سرا الى خالد بن يزيد وهو عند الكاهنة بكتاب يستعلم منه الامور فكتب اليه خالد جوابه في رقعة يعرفه تفرق البربر ويأمره بالسرعة وجعل الرقعة في خبزة وعاد الرسول فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول ذهب ملكهم فيما يأكل الناس فطلب الرسول فلم يوجد فوصل الى حسان وقد احترق الكتاب بالنار فعاد الى خالد وكتب اليه بما كتب أولا وأودعه قربوس السرج فسار حسان فلما علمت الكاهنة بمسيره اليها قالت ان العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعي ولا أرى الا أن أخرب افريقية حتى ييأسوا منها وفرقت أصحابها ليخربوا البلاد فخربوها وهدموا الحصون ونهبوا

والطبائع (ومنهم) من رأى ان بعض الرؤيا من الملك وبعضها من الشيطان واعتل هؤلاء بقوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا (ومنهم) من رأى أنها جزء من احدى وستين جزأ من النبوة وتنازع هؤلاء في كيفية الجزء وماهيته (ومنهم) من ذهب الى أن الانسان الحساس هو غير هذا الجسم وأنه يخرج عن البدن في حال النوم فيشاهد العالم ويرى الملكوت على حسب صفائه واعتل هؤلاء وغيرهم ممن ذهب الى نحو هذا المعنى بقوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الى قوله الى أجل مسمى (وذهب) الجمهور من المتطببين في ذلك أن الاحلام بالاخلاط وترى بقدر مزاج كل واحد منها وقوته وذلك أن الذين تشتغل أجسادهم من المرة الصفراء يرون في منامهم النيران ونحو ذلك وما أشبهه والغالب على من كان مزاجه البلغم أن يرى بحورا وأنهارا وعيونا وأحواضا وغدرانا ومياها كثيرة وأمواجا ويرى

الاموال وهذا هو الخراب الاول لافريقية فلما قرب حسان من البلاد لقيه جمع من أهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ويشكون اليه منها فسره ذلك وسار الى قابس فلقيه أهلها بالاموال والطاعة وكانوا قبل ذلك يتحصنون من الامراء وجعل فيها عاملا وسار الى تفصة ليتقرب الطريق فاطاعه من بها واستولى عليها وعلى قسطيلية ونفزاوة وبلغ الكاهنة قدومه فاحضرت ولدين لها وخالد بن يزيد وقالت لهم انى مقتولة فامضوا الى حسان وخذوا لانفسكم منه أمانا فساروا اليه وبقوا معه وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل حتى ظن الناس انه الفناء ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقتلوا قتلا ذريعا وانهزمت الكاهنة ثم أدركت فقتلت ثم ان البربر استأمنوا الى حسان فأمنهم وشرط عليهم ان يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر ألفا يجاهدون العدو فاجابوه الى ذلك فجعل على هذا العسكر ابنى الكاهنة ثم فشا الاسلام فى البربر وعاد حسان الى القيروان فى رمضان من تلك السنة وأقام لا ينازعه أحد الى ان توفى عبد الملك فلما ولى الوليد بن عبد الملك ولى افريقية عمه عبد الله ابن مروان فعزل عنها حسانا واستعمل موسى بن نصير سنة تسع وثمانين على ماذكره ان شاء الله وقد ذكر الواقدى أن الكاهنة خرجت غضبا لقتل كسيلة وملكت افريقية جميعها وعملت باهلها الافاعيل القبيحة وظلمتهم الظلم الشنيع ونال من بالقيروان من المسلمين أذى شديد بعد قتل زهير بن قيس سنة سبع وستين فاستعمل عبد الملك على افريقية حسان بن النعمان فسار فى جيوش كثيرة وقصد الكاهنة فاقتتلوا فانهزم المسلمون وقتل منهم جماعة كثيرة وعاد حسان منهزما الى نواحى برقة فاقام بها الى سنة أربع وسبعين فسير اليه عبد الملك جيشا كثيفا وأمره بقصد الكاهنة فسار اليها وقاتلها فهزمها وقتلها وقتل أولادها وعاد الى القيروان وقيل انه لما قتل الكاهنة عاد من فوره الى عبد الملك واستخلف على افريقية رجلا اسمه أبو صالح اليه ينسب فحص صالح

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان على قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وقيل ان عبد الملك اعتمر هذه السنة ولا يصح وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفة فبلغ اندولية وفيها مات جابر بن سمرة السوائى فى امارة بشر بن مروان بالكوفة وفى امارته أيضا مات أبو جحيفة بالكوفة وفيها مات عمرو بن ميمون الاودى وقيل سنة خمس وسبعين وكان قد أدرك الجاهلية وهو من المعمرين وفيها مات عبد الله ابن عتبة بن مسعود وكان من عمال عمر وقيل مات سنة ثلاث وسبعين وفيها مات عبد الرحمن بن عثمان التيمى وله صحبة وفيها مات محمد بن حاطب بن الحرث الجمحى وكان مولده بارض الحبشة وأتى به النبى صلى الله عليه وسلم وفيها مات أبو سعيد بن معلى الانصارى وفيها مات أوس بن ضمعج الكوفى (ضمعج بالضاد المعجمة والجيم)

﴿ثم دخلت سنة خمس وسبعين﴾

فى هذه السنة غزا محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش

﴿ذكر ولاية الحجاج بن يوسف العراق﴾

فى هذه السنة ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان فارسل اليه عبد

كأنه يسبح أو يصيد سمكا ونحو ذلك وما قاربه والغالب على من كان مزاجه السوداء أن يرى فى منامه أجداثا وقبورا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء ونوحا ورنينا وصراخا وأشياء مفزعة وأمورا مفظعة وفيلة وأسودا والغالب على من كان مزاجه الدم أن يرى خمرا ونبيذا ورياحين ولعبا وصفا وعزفا وأنواع الملاهى والرقص والسكر والفرح والسرور والثياب المصبغات من الحمرة وغيرها وما لحق بهذا الباب مما وصفنا من أنواع السرور ولا خلاف بين المتطببين فى أن الضحك واللعب وأنواع السرور من الدم وأن كل حزن وخوف وان اختلفت معانيه فان ذلك من المرة السوداء واحتجوا بضروب من الاحتجاجات فهذه جملها وقد أوضحنا هذا فى كتابنا الرؤيا والكمال وفى كتاب طب النفوس فلا وجه لاطنابنا فى هذا الموضع من كتابنا هذا اذ كان هذا الكتاب كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر وانما تغلغل بنا الكلام لما تشعب من

الملك بعهده على العراق وهو بالمدينة وأمره بالمسير الى العراق فسار فى اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجأة وقد كان بشر بعث المهلب الى الخوارج فبدأ الحجاج بالمسجد فصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال على بالناس فحسبوه وأصحابه خارجية فهموا به وهو جالس على المنبر ينتظر اجتماعهم فاجتمع الناس وهو ساكت قد أطال السكوت فتناول محمد بن عمير حصباء وأراد أن يحصبه بها وقال قاتله الله ما أغباه وأذمه والله انى لاحسب خبره كروائه فلما تكلم الحجاج جعلت الحصباء تنتثر من يده وهو لا يعقل به قال ثم كشف الحجاج عن وجهه وقال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ✱ متى أضع العمامة تعرفونى

أما والله انى لاحمل الشر محمله وآخذه بفعله وأجزيه بمثله وانى لارى رؤسا قد اينعت وقد حان قطافها انى لانظر الى الدماء بين العمائم واللحى قد شمرت عن ساقها تشميرا

هذا أوان الحرب فاشتدى زيم ✱ قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعى ابل ولا غنم ✱ ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال

قد لفها الليل بعصلبى ✱ اروع خراج من الدوى ✱ مهاجر ليس باعرابى

ليس أوان بكرة الخلاط ✱ جاءت به والقلص الاعلاط ✱ تهوى هوى سائق الغطاط

انى والله يا اهل العراق ما اغمز بتغماز التين ولا يقعقع لى بالشنان ولقد فررت عن ذكا وجريت الى الغاية القصوى ثم قرأ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وأنتم أولئك واشباه اولئك ان أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدنى امرها عودا واصلبها مكسرا فوجهنى اليكم ورمى بى فى نحوركم فانكم اهل بغى وخلاف وشقاق ونفاق فانكم طالما أوضعتم فى الشر وسننتم سنن الغى فاستوثقوا واستقيموا فوالله لاذيقنكم الهوان ولامرينكم به حتى تدروا ولالحونكم لحو العود ولاعصبنكم عصب السلمة حتى تذلوا ولاضربنكم ضرب غرائب الابل حتى تذروا العصيان وتنقادوا ولاقرعنكم قرع المروة حتى تلينوا انى والله ما أعد الا وفيت ولا اخلق الا فريت فاياى وهذه الجمعيات فلا يركبن رجل الا وحده اقسم بالله لتقبلن على الانصاف ولتدعن الارجاف وقيلا وقالا وما تقول وما يقول واخبرنى فلان اولادعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده فيم انتم وذاك والله لتستقيمن على الحق أو لاضربنكم بالسيف ضربا يدع النساء ايامى والولدان يتامى حتى تذروا السمهى وتقلعوا عن هواها ألا انه لو ساغ لاهل المعصية معصيتهم ما جبى فىء ولا قوتل عدو ولعطلت الثغور ولولا انهم يغزون كرها ما غزوا طوعا وقد بلغنى رفضكم المهلب واقبالكم على مصركم عاصين مخالفين وانى اقسم بالله لا اجد احدا من عسكره بعد ثلاثة الا ضربت عنقه وانهبت داره ثم امر بكتاب عبد الملك فقرئ على اهل الكوفه فلما قال القارئ اما بعد سلام عليكم فانى احمد الله اليكم قال له اقطع ثم قال يا عبيد العصا يسلم عليكم امير المؤمنين فلا يرد راد منكم السلام اما والله لاؤدبنكم غير هذا الادب ثم قال للقارئ اقرأ فلما قرأ سلام عليكم قالوا باجمعهم سلام الله على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثم دخل منزله لم يزد على ذلك ثم دعا العرفاء وقال الحقوا الناس بالمهلب واتونى بالبراءة بموافاتهم ولا تغلقن ابواب الجسر ليلا ولا

مذاهبهم فى اخبارنا عنهم ولم نعرض فى هذا الكتاب لما ذهبت اليه الناس فى تحديد النفس وما قاله افلاطون فى تحديده للنفس ان النفس جوهر ليس بمحرك للبدن وما حده صاحب المنطق أن حد النفس كمال الجسم الطبيعى وحدها من وجه آخر أنه حى بالقوة ولا للفرق بين النفس والروح لان الفرق بينهما أن الروح جسم والنفس لا جسم وأن الروح محروبة البدن والنفس تبطل أفعالها فى البدن ولا تبطل هى فى ذاتها والنفس تحرك البدن وتنيله الحس وذكره افلاطون فى كتاب السياسة المدنية نهر البستان وما يلحق الانسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة وذكره افلاطون فى كتابه الى طيماوس وفى كتاب قارون وكيفية سقراط الحكيم وما تكلم فى ذلك فى النفس والصورة (وقد تكلم) الناس فى طبقات النفوس وصفاتها من أصحاب الالسن وغيرهم من الفلاسفة ثم تنازع أهل الاسلام فى هيئة الانسان الحساس الدراك المأمور المنهى وما قالت المتصوفة وأصحاب المعارف والدعاوى فى طبقات النفوس من النفس المطمئنة والنفس

نهارا حتى تنقضى هذه المدة (تفسير هذه الخطبة) قوله انا ابن جلا فابن جلا هو الصبح لانه يجلو الظلمة وقوله فاشتدى زيم هو اسم للحرب والحطم الذى يحطم كل ما مر به والوضم ما وقى به اللحم عن الارض والعصلبى الشديد والاعلاط من الابل التى لا ارسان عليها وقوله فعجم عيدانها أى عضها واختبرها وقوله لاعصبنكم عصب السلمة فالعصب القطع والسلم شجر من العضاه وقوله لأخلق الا فريت فالخلق التقدير ويقال فريت الاديم اذا أصلحته والسمهى الباطل وأصله ما تسميه العامة مخاط الشيطان والعطاط بضم العين وقيل بفتحها ضرب من الطير فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيرا فى السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال يا أهل العراق وأهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق انى سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد به وجه الله ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب وقد عرفت انها عجاجة تحتها قصف يا بنى اللكيعة وعبيد العصا وابناء الايامى ألا يربع رجل منكم على ظلعه ويحسن حقن دمه ويعرف موضع قدمه فاقسم بالله لا وشك ان أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وادبا لما بعدها فقام عمير بن ضابئ الحنظلى التميمى فقال أصلح الله الامير انا فى هذا البعث وانا شيخ كبير عليل وابنى هذا أشب منى فقال الحجاج هذا خير لنا من أبيه ثم قال ومن أنت قال انا عمير بن ضابئ قال أسمعت كلامنا بالامس قال نعم قال ألست الذى غزا عثمان بن عفان قال بلى قال يا عدو الله أفلا الى عثمان بعثت بدلا وما حملك على ذلك قال انه حبس أبى وكان شيخا كبيرا قال أولست القائل

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

انى لاحسب ان فى قتلك صلاح المصرين وأمر به فضربت رقبته وأنهب ماله وقيل ان عنبسة بن سعيد بن العاص قال للحجاج أتعرف هذا قال لا قال هذا أحد قتلة عثمان فقال الحجاج أى عدو الله أفلا الى أمير المؤمنين بعثت بديلا ثم أمر به فضربت عنقه وأمر مناديا فنادى ألا ان عمير بن ضابئ أتى بعد ثلاثة وكان سمع النداء فأمرنا بقتله ألا ان ذمة الله بريئة ممن لم يبت الليلة الى جند المهلب فخرج الناس فازدحموا على الجسر وخرج العرفاء الى المهلب وهو برامهرمز فاخذوا كتبه بالموافاة فقال المهلب قدم العراق اليوم رجل ذكر اليوم قوتل العدو فلما قتل الحجاج عميرا لقى ابراهيم بن عامر الاسدى عبد الله بن الزبير فسأله عن الخبر فقال

أقول لابراهيم لما لقيته * أرى الامر أضحى منصبا متشعبا
تجهز وأسرع فالحق الجيش لا أرى * سوى الجيش الا فى المهالك مذهبا
تخير فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فحال ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هى أقربا
فكائن ترى من مكره الغزو مسمرا * تحمم حنو السرج حتى تحنبا

تحمم أى لزمه حتى صار كالحمم وتحنب اعوج والزبير ههنا بفتح الزاى وكسر الباء قيل وكان قدوم الحجاج فى شهر رمضان فوجه الحكم بن أيوب الثقفى على البصرة اميرا وامره ان يشتد على خالد بن عبد الله فبلغ خالدا الخبر فخرج عن البصرة فنزل الجلحاء وشيعه اهل البصرة فقسم فيهم الف الف فكان الحجاج اول من عاقب بالقتل على التخلف عن الوجه الذى يكتب اليه قال الشعبى كان الرجل اذا اخل بوجهه الذى يكتب اليه زمن عمر وعثمان وعلى نزعت عمامته

ويقام

اللوّامة والنفس الامارة بالسوء وغير ذلك مما ذهب اليه اليهود والمجوس والصابئة وغير ذلك مما قد أتينا على ايضاحه فى كتاب سر الحياة وغيره من كتبنا (وقد كان سطيح) الكاهن وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن ابن ذئب بن عدى بن مازن ابن غسان يدرج سائر جسده كما يدرج الثوب لا عظم فيه الا جمجمة الرأس وكانت اذا لمست باليد يلين عظمها وكان شق بن مصعب بن شكران بن أنزك بن قيس بن عنفر بن انمار بن ربيعة بن نزار معه فى عصر واحد وكان فيهما جمرة الكهانة وكذلك سعقلة وزوبعة كانا فى عصر واحد والله أعلم

﴿ذكر جمل من أخبار الكهان وسيل العرم وتفرق الازد فى البلدان﴾

قال المسعودى قد ذكرنا جملا من الكهانة والقيافة والزجر والبارح والسانح فلنذكر الآن لمعا من أخبار الكهان وتفرق ولد سبا فى البلدان ولم يزل ولد قحطان فى اطيب عيش الى أن هلك سبا وكان القوم بعد مضى سبا تداولتهم الاعصار قرنا بعد قرن الى أن أرسل الله عليهم سيل

ويقام للناس ويشهر امره فلما ولى مصعب قال ما هذا بشئ واضاف اليه حلق الرؤس واللحى فلما ولى بشر بن مروان زاد فيه فصار يرفع الرجل عن الارض ويسمر فى يديه مسماران فى حائط فربما مات وربما خرق المسمار كفه فسلم فقال شاعر

لولا مخافة بشر أو عقوبته * وان ينوط فى كفى مسمار
اذا لعطلت ثغرى ثم زرتكم * ان المحب لمن يهواه زوار

فلما كان الحجاج قال هذا لعب أضرب عنق من يخل مكانه فى الثغر

﴿ذكر ولاية سعيد بن أسلم السند وقتله﴾

فى هذه السنة استعمل عبد الملك على السند سعيد بن أسلم بن زرعة فخرج عليه معاوية ومحمد ابنا الحرث العلافيان فقتلاه وغلبا على البلاد فارسل الحجاج مجاعة بن سعر التميمى الى السند فغلب على ذلك الثغر وغزا وفتح أماكن من قندابيل ومات مجاعة بعد سنة بمكران فقيل فيه

ما من مشاهدك التى شاهدتها * الا يزيدك ذكرها مجاعا

﴿ذكر وثوب أهل البصرة بالحجاج﴾

فى هذه السنة خرج الحجاج من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فلما قدم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة وتوعد من رآه منهم بعد ثلاثة ولم يلحق بالمهلب فاتاه شريك بن عمرو اليشكرى وكان به فتق وكان أعور يضع على عينه قطعة كرسفة فلقب ذا الكرسفة فقال أصلح الله الامير ان بى فتقا وقد رآه بشر بن مروان فعذرنى وهذا عطائى مردود فى بيت المال فامر به فضربت عنقه فلم يبق بالبصرة أحد من عسكر المهلب الا لحق به فقال المهلب لقد أتى العراق رجل ذكر وتتابع الناس مزدحمين اليه حتى كثر جمعه ثم سار الحجاج الى رستقاباذ وبينها وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا وانما أراد ان يشد ظهر المهلب وأصحابه بمكانه فقام برستقاباذ خطيبا حين نزلها فقال يا أهل المصرين هذا المكان والله مكانكم شهرا بعد شهر وسنة بعد سنة حتى يهلك الله عدوكم هؤلاء الخوارج المطلين عليكم ثم انه خطب يوما فقال ان الزيادة التى زادكم اياها ابن الزبير انما هى زيادة مخسر باطل ملحد فاسق منافق ولسنا نجيزها وكان مصعب قد زاد الناس فى العطاء مائة مائة فقال عبد الله بن الجارود انها ليست بزيادة ابن الزبير انما هى زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على يد أخيه بشر فقال له الحجاج ما أنت والكلام لتحسنن حمل رأسك أو لاسلبنك اياه فقال ولم انى لك لناصح وان هذا القول من ورائى فنزل الحجاج ومكث أشهرا لا يذكر الزيادة ثم أعاد القول فيها فرد عليه ابن الجارود مثل رده الاول فقام مصقلة بن كرب العبدى أبو رقبة بن مصقلة المحدث عنه فقال انه ليس للرعية ان ترد على راعيها وقد سمعنا ما قال الامير فسمعا وطاعة فيما أحببنا وكرهنا فقال له عبد الله بن الجارود يا ابن الجرمقانية ما أنت وهذا ومتى كان مثلك يتكلم وينطق فى مثل هذا وأتى الوجوه عبد الله بن الجارود فصوبوا رأيه وقوله وقال الهذيل بن عمران البرجمى وعبد الله بن حكيم بن زياد المجاشعى وغيرهما نحن معك واعوانك ان هذا الرجل غير كاف حتى ينقصنا هذه الزيادة فهلم نبايعك على اخراجه من العراق ثم نكتب الى عبد الملك نسأله ان يولى علينا غيره فان أبى خلعناه فانه هائب لنا ما دامت الخوارج فبايعه الناس سرا واعطوه المواثيق على الوفاء وأخذ بعضهم على بعضهم العهود وبلغ الحجاج ما هم فيه فاحرز بيت المال واحتاط فيه فلما تم لهم أمرهم أظهروه وذلك فى ربيع الآخر سنة ست وسبعين واخرج عبد الله بن الجارود عبد القيس على راياتهم وخرج

العرم وذلك أن الرياسة انتهت فيهم الى عمرو بن عمرو مزيقياء وهو عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة ابن امرئ القيس بن مازن ابن الازد بن الغوث بن كهلان بن سبا وذلك ببلاد مازن من أرض اليمن وهى بلاد سبا التى ذكرها الله فى القرآن أنه أرسل على أهلها سيل العرم وهو السد وكان فرسخا فى فرسخ بناه لقمان الاكبر العادى وهو لقمان بن عاد بن عاديا وقد ذكرنا خبره وخبر غيره ممن كان عمر منهم عمر النسور وهذا السد هو الذى كان يرد عنهم السيل فيما سلف من الدهر اذا حان أن يغشى أموالهم فزقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم والناس فى قصة هلكهم يختلفون وفى سياقة أخبارهم يتباينون (وذكر) أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبا كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جنانا وغيضانا وأفسحها مروجا مع بنيان حسن وشجر مصفوف ومساكب للماء متكاثفة وأنهار وأزهار متفرقة وكانت مسيرة أكثر من شهر

الناس معـه حتى لقى الحجاج وليس معـه الاخاصته وأهل بيته فخر جواقبل الظهر وقطع ابن الجارود ومن معـه الجسر وكانت خزائن الحجاج والسـلاح من ورائه فارسـل الحجاج اعين صاحب حمام أعين بالكوفة الى ابن الجارود يستدعيه اليـه فقال ابن الجارود ومن الامير لا ولا كرامة لابن أبى رغال ولكن ليخرج عنا مذموما مدحورا والا قاتلناه فقال اعين فانه يقول لك اتطيب نفسا بقتلك وقتـل أهـل بيتك وعشـيرتك والذى نفسى بيـده لئن لم تأتنى لادعن قومك عامة وأهلك خاصة حديثا للغابرين وكان الحجاج قد حمـل أعين هـذه الرسالة فقال ابن الجارود لولا انك رسول لقتلتـك يا ابن الخبيثة وأمر فوجئ فى عنقـه وأخرج واجتمع الناس لابن الجارود فاقبـل بهم زحفا نحو الحجاج وكان رأيهم ان يخرجوه عنهم ولا يقاتلوه فلما صاروا اليـه نهبوه فى فسطاطه وأخذوا ما قدروا عليه من متاعه ودوابه وجاء اهل اليمن فاخذوا امرأته ابنة النعمان بن بشير وجاءت مضر فاخذوا امرأته الاخرى ام سلمة بنت عبد الرحمن بن عمر وأخى سهيل بن عمرو نخافه السفهاء ثم ان القوم انصرفوا عن الحجاج وتركوه فاتاه قوم من أهل البصرة فصاروا معه خائفين من محاربة الخليفة فجعل الغضبان بن القبعثرى الشيبانى يقول لابن الجارود تعش بالجدى قبـل أن يتغدى بك أما ترى من قد أتاه منكم ولئن أصبح ليكثرن ناصره وليضعفن منكم فقال قد قرب المساء ولكننا نعاجله بالغـداة وكان مع الحجاج عثمان بن قطن وزياد بن عمرو العتكى وكان زياد على شرطة البصرة فقال لهـما ما تريان فقال زياد ان آخذ لك من القوم أمانا وتخرج حتى تلحق بامـير المؤمنين فقد ارفض أكثر الناس عنـك ولا أرى لك أن تقاتل بمن معـك فقال عثمان بن قطن الحارثى لكنى لا أرى ذلك ان أمـير المؤمنين قد شركك فى أمره وخالطك بنفسـه واستنصحك وسلطك فسرت الى ابن الزبير وهو أعظم النـاس خطرا فقتلته فولاك الله شرف ذلك وسناه وولاك أمير المؤمنين الحجاز ثم رفعت فولاك العراقين فحيث جريت الى المدى وأصبت الغـرض الاقصى تخرج على قعود الى الشـام والله لئن فعلت لا نلت من عبد الملك مثل الذى أنت فيـه من سلطان ابدا وليتضعن شأنك ولكنى أرى أن تمشى بسيوفنا معك فنقاتل حتى نلقى ظفرا أو نموت كراما فقال له الحجاج الرأى ما رأيت وحفظ هذا لعثمان وحقدها على زياد بن عمرو وجاء عامر بن مسمع الى الحجاج فقال انى قد اخـذت لك أمانا من الناس فجعـل الحجاج يرفع صوته ليسمع الناس ويقول والله لا أؤمنهم أبدا حتى يأتوا بالهذيل وعبد الله بن حكيم وأرسـل الى عبيد بن كعب النميرى يقول هلم الى فامنعنى فقـال قل له ان اتيتنى منعتك فقال لا ولا كرامة وبعث الى محمد بن عمير بن عطارد كذلك فاجابه مثـل الجواب الاول فقال لا ناقتى فى هذا ولا جملى وأرسل الى عبد الله بن حكيم المجاشعى فاجابه كذلك أيضا ومر عباد بن الحصـين الحبطى بابن الجارود وابن الهـذيل وعبد الله بن حكيم وهم يتناجون فقـال أشركونا فى نجواكم فقالوا هيهات ان يدخـل فى نجوانا أحـد من بنى الحبط فغضب وصار الى الحجاج فى مائة رجـل فقال له الحجاج ما أبالى من تخلف بعـدك وسعى قتيبة بن مسـلم فى قومه فى بنى أعصر وقال لا والله لا ندع قيسا يقتـل ولا ينهب ماله يعنى الحجاج واقبل الى الحجاج وكان الحجاج قد يئس من الحياة فلما جاءه هولاء اطمأن ثم جاءه سبرة بن على الكلابى وسعيد بن أسلم بن زرعة الكلابى فسلم فأدناه منه وأتاه جعفر بن عبد الرحمن بن مخنف الازدى وارسل اليه مسمع بن مالك بن مسمع ان شئت أتيتك وان شئت أقمت وثبطت الناس عنك فقـال اقم وثبط الناس عنى فلما اجتمع الى الحجاج جمع يمنع بمثلهم خرج فعبى أصحابه وتلاحق الناس به فلما أصبح اذ حوله نحو ستة آلاف وقيـل غير ذلك

للراكب الجد على هـذه الحالة وفى العرض مثـل ذلك وأن الراكب والمار كان يسير فى تلك الجبال من اولها الى أن ينتهى الى آخرها لا تواجهـه الشمس ولا تعارضه لاستتار الارض بالعـمارة الشجرية واستيلائها عليها واحاطتها بها وكان أهلها فى أطيب عيش وأرفهه وأهنا حال وأرغـد قرى وفى نهـاية الخصب وطيب الهـواء وصفاء الفضاء وتدفق الماء وقوة الشوكة واجتماع الكلمة ونهاية المملكة وكانت بلادهم فى الارض مثـلا وكانوا على طريقة حسـنة من اتباع شرف الاخـلاق وطـلاب الافضال على القاصد والسـفر بحسب الامكان وما توجبه القدرة من الحال فمكثوا على ذلك ماشاء الله من الاعصار لا يعاندهم ملك الاقصموه ولا يوافيهم جبار فى جيش الا كسروه فذلت لهـم البـلاد وأذعن لطاعتهم العباد فصاروا تاج الارض وكانت المياه التى هـى أكثر ما يرد الى أرض سبا تظهر من مخراق من الحجر الصلد والحديد من السد والجبال طول المخراق فيما وصفنا فرسخ وكان وراء السد والجبال أنهار عظام

فقال ابن الجارود لعبيـد الله بن زياد بن ظبيـان ما الرأى قال تركت الرأى امس حين قال لك الغضبان تعش بالجدى قبـل أن يتغدى بك وقد ذهب الرأى وبقى الصبر فدعا ابن الجارود بدرع فلبسها مقلوبة فتطير وحرض الحجاج أصحابه وقال لا يهولنكم ما ترون من كثرتهـم وتزاحف القوم وعلى ميمنة ابن الجـارود الهذيل بن عمران وعلى ميسرته عبد الله بن زياد بن ظبيان وعلى ميمنة الحجاج قتيبة بن مسلم ويقال عباد بن الحصـين وعلى ميسرته سـعيد بن أسلم فحمل ابن الجارود فى أصحابه حتى جاز أصحاب الحجاج فعطف الحجاج عليه ثم اقتتلوا ساعة وكاد ابن الجارود يظفر فأتاه سهم غرب فاصابه فوقع ميتا ونادى منادى الحجاج بامان الناس الا الهذيل وعبد الله بن حكيم وأمر ان لا يتبع المنهزمون وقال الاتباع من سوء الغلبة فانهزم عبيد الله بن زياد بن ظبيـان وأتى سـعيد بن عباد بن الجلندى الازدى بعمـان فقيـل لسعيد انه رجل فاتك فاحـذره فلما جاء البطيخ بعث اليـه بنصف بطيخة مسـمومة وقال هذا أول شئ جاء من البطيخ وقد أكلت نصف بطيخة وبعثت بنصفها فاكلها عبيد الله فاحس بالشر فقال أردت أن أقتله فقتلنى وحمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر رأسا من وجوه اصحـابه الى المهلب فنصبت ليراها الخوارج وييأسوا من الاختلاف وحبس الحجاج عبيـد بن كعب ومحمـد بن عمـير حيث قالوا للحجاج ائتنا نمنعك وحبس الغضبان بن القبعثرى وقال له أنت القـائل تعش بالجدى قبـل ان يتغدى بك فقـال ما نفعت من قيلت له ولا ضرت من قيلت فيـه فكتب عبد الملك الى الحجاج باطلاقه وقتـل مع ابن الجارود عبـد الله بن انس بن مالك الانصارى فقال الحجاج ولا أرى انسا يعين على فلما دخل البصرة اخذ ماله فحين دخل عليه انس قال لا مرحبا ولا اهلا بك يا ابن خبيثة شيخ ضـلالة جوال فى الفتن مرة مع ابى تراب ومرة مع ابن الزبير ومرة مع ابن الجـارود أما والله لاجردنك جرد القضيب ولاعصبنك عصب السـلمة ولاقلعنك قلع الصمغة فقـال انس من يعنى الامير قال اياك اعنى اصم الله صداك فرجع انس فكتب الى عبد الملك كتابا يشكو فيه الحجاج وما صنع به فكتب عبد الملك الى الحجاج اما بعد يا ابن ام الحجاج فانك عبد طمت بك الامور فعلوت فيها حتى عدوت طورك وجاوزت قدرك يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب لاغمزنك غمزة كبعض غمزات الليوث الثعالب ولاخبطنك خبطة تود لها انك رجعت فى مخرجك من بطن امك اما تذكر حال آبائك فى الطائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحتفرون الآبار بايديهم فى أوديتهم ومياههـم أنسيت حال آبائك فى اللؤم والدناءة فى المروأة والخلق وقد بلغ أمير المؤمنين الذى كان منك الى انس بن مالك جراءة واقداما وأظنك اردت أن تسـبر ما عنـد أمير المؤمنين فى امره فتعلم انكاره ذلك واغضاءه عنك فان سوغك ما كان منك مضيت عليه قدما فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين أصك الرجلين ممسوح الجاعرتين ولولا ان أمير المؤمنين يظن ان الكاتب كثر فى الكتابة عن الشيخ الى أمير المؤمنين فيك لارسـل من يسحبك ظهرا لبطن حتى يأتى بك انسا فيحكم فيك فأكرم أنسا وأهل بيته واعرف له حقه وخدمته رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تقصرن فى شئ من حوائجه ولا يبلغن امير المومنين عنك خلاف ما تقدم فيه اليـك من أمر انس وبره واكرامه فيبعث اليك من يضرب ظهرك ويهتك سـترك ويشمت بك عدوك والقه فى منزله متنصلا اليه وليكتب الى أمير المومنين برضاه عنك ان شاء الله والسلام وبعث بالكتاب مع اسمعيل بن عبد الله مولى بنى مخزوم فأتى اسمعيل انسا بكتاب أمير المؤمنين اليه فقرأه وأتى الحجاج بالكتاب اليه فجعل يقرؤه ووجهـه يتغير ويتمعر وجبينه يرشح عرقا ويقول يغفر الله لامير المؤمنـين ثم اجتمع بانس فرحب به الحجاج واعتذر اليـه وقال أردت أن يعلم اهل

وكان فى هـذا المخراق الآخذ من تلك الانهار ثلاثون نقبا مستديرة فى استدارة الذراع طولا وعرضا مدورة على أحسن هندسة وأكمـل تقدير وكانت المياه تخرج من تلك الانقاب فى مجاريها حتى تأتى الجبال فترويها سـقيا وتعم شرب القوم وقد كانت أرض سبا قبل ما وصـفنا من العمارة والخصب يركبها السيل من تلك المياه وكان ملك القوم فى ذلك الزمان يقرب الحكماء ويدنيهم ويؤثرهم ويحسـن اليهم فجمعهم من أقطار الارض للالتجاء الى رأيهـم والاخـذ من محض عقولهم فشاورهم فى دفـع ذلك السـيل وحصره وذلك أنه كان ينحدر من أعالى الجبـل هابطا عـلى رأسـه يهلك الزرع ويسوق من جملته البناء فاجمع القوم رأيهم على عمل مصارف الى برارى تقـذف به الى البحر وأخبروا الملك أن الماء اذا حفرت المصارف الهابطة طلبها وانحدر فيها ولم يتراكم حتى يعلو الجبال لان فى طباع الماء طلاب الخفض فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف وتدافع الى تلك الجهة وانحدر السيل فى

العراق اذ كان من ابنك ما كان اذ بلغت منك ما بلغت الى اليهم بالعقوبة أسرع فقال أنس ما شكوت حتى بلغ منى الجهد وحتى زعمت أنا الاشرار وقد سمانا الله الانصار وزعمت انا أهل النفاق ونحن الذين تبوؤا الدار والايمان وسيحكم الله بيننا وبينك فهو أقدر على التغيير لا يشبه الحق عنده الباطل ولا الصدق الكذب وزعمت أنك اتخذتنى ذريعة وسلما الى مساءة أهل العراق باستحلال ما حرم الله عليك منى ولم يكن لى عليك قوة فوكلتك الى الله ثم الى أمير المؤمنين يحفظ من حقى مالم تحفظ فوالله لو أن النصارى على كفرهم رأوا رجلا خدم عيسى بن مريم يوما واحدا لعرفوا من حقه مالم تعرف أنت من حقى وقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وبعد فان رأينا خيرا حمدنا الله عليه وأثنينا وان رأينا غير ذلك صبرنا والله المستعان ورد عليه الحجاج ما كان أخذ منه

(ذكر شيرزنجى والزنج معه)

اجتمع الزنج بفرات البصرة فى آخر أيام مصعب بن الزبير ولم يكونوا بالكثير فافسدوا وتناولوا الثمار وولى خالد بن عبد الله بن خالد البصرة وقد كثروا فشكا الناس اليه ما نالهم منهم فجمع لهم جيشا فلما بلغهم ذلك تفرقوا وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم فلما كان من أمر ابن الجارود ما ذكرنا خرج الزنج أيضا فاجتمع منهم خلق كثير بالفرات وجعلوا عليهم رجلا اسمه رباح ويلقب شيرزنجى يعنى أسد الزنج فافسدوا فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد بن عمرو وهو على شرطة البصرة أن يرسل اليهم جيشا يقاتلهم ففعل وسير اليهم جيشا عليه ابنه حفص بن زياد فقاتلوه فقتلوه وهزموا أصحابه ثم أرسل اليهم جيشا آخر فهزم الزنج وقتلهم واستقامت البصرة

(ذكر اجلاء الخوارج عن رامهرمز وقتل ابن مخنف)

لما أتى كتاب الحجاج الى المهلب وابن مخنف يأمرهما بمناهضة الخوارج زحفوا اليهم وقاتلوهم شيأ من قتال فانهزمت الخوارج كأنهم على حامية ولم يكن منهم قتال وسار الخوارج حتى نزلوا كازرون وسار المهلب وابن مخنف حتى نزلوا بهم وخندق المهلب على نفسه وقال لابن مخنف ان رأيت أن تخندق عليك فافعل فقال لاصحابه نحن خندقنا سيوفنا فاتى الخوارج المهلب ليبيتوه فوجدوه قد تحرز فمالوا نحو ابن مخنف فوجدوه لم يخندق فقاتلوه فانهزم عنه أصحابه فنزل فقاتل فى أناس من أصحابه فقتل وقتلوا فقال شاعرهم

لمن العسكر المكلل بالصر * عى فهم بين ميت وقتيل
فتراهم تسفى الرياح عليهم * حاصب الرمل بعد جر الذيول

هذا قول اهل البصرة فاما أهل الكوفة فانهم ذكروا أنه لما وصل كتاب الحجاج بمناهضة الخوارج ناهضهم المهلب وعبد الرحمن فاقتتلوا قتالا شديدا ومالت الخوارج الى المهلب فاضطروه الى عسكره فارسل الى عبد الرحمن يستمده فامده عبد الرحمن بالخيل والرجال وكان ذلك بعد الظهر لعشر بقين من رمضان فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الرجال ظنوا أنه قد خف أصحابه فجعلوا بازاء المهلب من يشغله وانصرفوا بجندهم الى عبد الرحمن فلما رآهم قد قصدوه نزل ونزل معه القراء منهم أبو الاحوص صاحب ابن مسعود وخزيمة بن نصر ابو نصر بن خزيمة العبسى الذى قتل مع زيد بن على وصلب معه بالكوفة ونزل معه من قومه أحد وسبعون رجلا وحملت عليهم الخوارج فقاتلهم قتالا شديدا وانكشف الناس عنه وبقى فى عصابة

الموضع الذى كان فيه بدء جريان الماء من الجبل الى الجبل وجعلوا فيه المخراق على ما وصفنا آنفا ثم اجتذبوا من تلك المياه نهرا مرسلا مقدارا معلوما ينتهى فى جريانه الى المخراق ثم ينبعث الماء منه الى تلك الانقاب وهى الثلاثون مخراقا الصغار التى قدمنا ذكرها وكانت البلاد عامرة على ما وصفنا آنفا ثم ان تلك الامم بادت ومرت عليها السنون وضربها الدهر بضرباته وطحنها بكلكله وعمل الماء فى أصول ذلك المخراق وأضعفه ممر السنين عليه وتدافع الماء حوله وقد قيل فى المثل اذا أثر تواتر الماء على الحجر الصلد فما ظنك بسيل يندافع على حديد وحجر مصنوع فلما سكنت ابناء قحطان على ما وصفنا من هذه الديار وتغلبت على من كان فيها من القطان لم تعلم الآفة من انحطام السد والمخراق والبنيان فقذف به فى جريه ورمى به فى تياره وذلك ابان زيادة الماء واستولى الماء على تلك الديار والجبال والعمائر والبنيان حتى انقرض سكان تلك الارض وزالوا عن تلك المواطن فهذه جملة من أخبار سيل العرم وبلادهم ولا خلاف بين

من أهل الصبر ثبتوا معه وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه الى المهلب فنادى فى الناس ليتبعوه الى أبيه فلم يتبعه الا ناس قليل فجاء حتى دنا من أبيه فحالت الخوارج بينهما فقاتل حتى جرح وقاتل عبد الرحمن ومن معه على تل مشرف حتى ذهب نحو من ثلثى الليل ثم قتل فى تلك العصابة فلما أصبحوا جاء المهلب فدفنه فصلى عليه وكتب بذلك الى الحجاج فكتب الحجاج الى عبد الملك بذلك فترحم عليه وذم أهل الكوفة وبعث الحجاج الى عسكر عبد الرحمن عتاب بن ورقاء وأمره ان يسمع للمهلب فساءه ذلك ولم يجد بدا من طاعته فجاء الى العسكر وقاتل الخوارج وأمره الى المهلب وهو يقضى أموره ولا يكاد يستشير المهلب فوضع عليه المهلب رجالا اصطنعهم وأغراهم به منهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة وجرى بين عتاب والمهلب ذات يوم كلام أغلظ كل منهما لصاحبه ورفع المهلب القضيب على عتاب فوثب اليه ابنه المغيرة بن المهلب فقبض القضيب وقال أصلح الله الامير شيخ من أشياخ العرب وشريف من أشرافهم ان سمعت بعض ما تكره فاحتمله له فانه لذلك أهل ففعل فافترقا فارسل عتاب الى الحجاج يشكو المهلب ويسأله أن يأمره بالعود اليه فوافق ذلك حاجة من الحجاج اليه فيما لقى أشراف الكوفة من شبيب فاستقدمه وامره أن يترك ذلك الجيش مع المهلب فجعل المهلب عليهم ابنه حبيبا وقال سراقة بن مرداس البارقى يرثى عبد الرحمن بن مخنف

ثوى سيد الازد ابن أزدشنوءة * وازد عمان رهن رمس بكازر
وضارب حتى مات اكرم ميتة * بابيض صاف كالعقيقة باتر
وصرع عن تل وتحت لوائه * كرام المساعى من كرام المعاشر
قضى نحبه يوم اللقاء ابن مخنف * وادبر عنه كل ألوث غادر
أمد ولم يمدد فراح مشمرا * الى الله لم يذهب باثواب غادر

وأقام المهلب بسابور يقاتلهم نحوا من سنة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة تحرك صالح بن مسرح أحد بنى امرئ القيس بن زيد مناة من تميم وكان يرى رأى الصفرية وهو أول من خرج فيهم وحج هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد وسويد والبطين واشباههم وحج فى هذه السنة عبد الملك بن مروان فهم شبيب أن يفتك به فبلغه ذلك من خبرهم فكتب الى الحجاج بن يوسف بعد انصرافه يأمره بطلبهم وكان صالح يأتى الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيلقى أصحابه ويعدهم ما يحتاج اليه فلما طلبه الحجاج نبت به الكوفة فتركها وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة عند خروج الروم الى العنيق من ناحية مرعش وحج بالناس عبد الملك فخطب الناس بالمدينة فقال بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد فانى لست بالخليفة المستضعف يعنى عثمان ولا بالخليفة المداهن يعنى معاوية ولا بالخليفة المأفون يعنى يزيد الاوانى لا أداوى هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم وانكم تحفظون أعمال المهاجرين الاولين ولا تعملون مثل اعمالهم وانكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من انفسكم والله لا يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا الا ضربت عنقه ثم نزل فى هذه السنة مات العرباض بن سارية السلمى وهو من اهل الصفة وقيل بل مات بالشام فى فتنة ابن الزبير وفيها توفى الاسود بن يزيد النخعى وهو ابن أخى علقمة ابن قيس

(ثم دخلت سنة ست وسبعين)

(ذكر خروج صالح بن مسرح)

ذوى الدراية منهم أن العرم هو المسناة التى قد أحكموا عملها لتكون حاجزا بين ضياعهم وبين السيل ففجرته فارة ليكون ذلك أظهر فى الاعجوبة كما أفار الله تعالى الطوفان من جوف تنور ليكون ذلك أثبت فى العبرة وأوعد فى الحجة ولا يتناكر أحلاف قحطان من أهل تلك الديار الى هذا الوقت ما كان من العرم لاستفاضته فيهم وشهرته عندهم (وقد فخر) بعض أولاد قحطان فى مجلس السفاح بمناقب قحطان من حمير وكهلان على ولد نزار وخالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد يسطون بابهة السفاح لان اخواله من قحطان فقال السفاح لخالد بن صفوان الا تنطق وقد غمرتكم قحطان بشرفها وعات عليكم بقديم مناقبها فقال خالد ما ذا أقول لقوم ليس فيهم الا دابغ جلد أو ناسج برد أو سائس قرد أو راكب عرد أغرقتهم فارة وملكتهم امرأة ودل عليهم هدهد ثم مر فى ذمهم الى ان انتهى الى ما كان من قصتهم فى ملك الحبشة وما كان من استنقاذ الفرس اياهم على حسب ما قدمنا آنفا (وقد ذكروا) فى أشعارهم العرم وما كان لسبا وأرض مأرب وأن مأرب سمة للملك الذى يتملك على هذه البلدة وأن

كان صالح بن مسرح التميمي رجلا ناسكا مصفر الوجه صاحب عبادة وكان بدارا وأرض الموصل والجزيرة وله اصحاب يقرأ لهم القرآن والفقه ويقص عليهم فدعاهم الى الخروج وانكار الظلم وجهاد المخالفين لهم فأجابوه وحثهم عليهم فراسل اصحابه بذلك وتلاقوا به فبينا هم في ذلك اذ قدم عليه كتاب شبيب يقول له انك كنت تريد الخروج فان كان ذلك من شأنك اليوم فانت شيخ المسلمين ولن نعدل بك أحدا وان أردت تأخير ذلك أعلمني فان الآجال غادية ورائحة ولا آمن أن تخترمني المنية ولم أجاهد الظالمين فكتب اليه صالح انه لم يمنعني من الخروج الا انتظارك فأقبل الينا فانك ممن لا يستغنى عن رأيه ولا تقضى دونه الامور فلما قرأ شبيب كتابه دعا نفرا من اصحابه منهم اخوه مصاد بن يزيد بن نعيم الشيباني والمحلل بن وائل اليشكري وغيرهما وخرج بهم حتى قدم على صالح بدارا فلما لقيه قال اخرج بنا رحمك الله فوالله ما تزداد السنة الا دروسا ولا يزداد المجرمون الا طغيانا فبث صالح رسله وواعد أصحابه بالخروج الى ذلك هلال صفر سنة ست وسبعين فاجتمعوا عنده تلك الليلة فسأله بعضهم عن القتال قبل الدعاء أم بعده فقال بل ندعوهم فانه اقطع لحجتهم فقال له كيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ما تقول في دمائهم وأموالهم فقال لهم ان قتلنا وغنمنا فلنا وان عفونا فوسع علينا ثم وعظ أصحابه وامرهم بامره وقال لهم ان اكثركم رجالة وهذه دواب لمحمد بن مروان فابدؤا بها فاحملوا عليها رجالكم وتقووا بها على عدوكم فخرجوا تلك الليلة فأخذوا الدواب فاحتملوا عليها وأقاموا بارض دارا ثلاث عشرة ليلة وتحصن منهم اهلها وأهل نصيبين وسنجار وكان خروجه وهو في مائة وعشرين وقيل وعشرة وبلغ محمدا مخرجهم وهو أمير الجزيرة فأرسل عدي بن عدي الكندي اليهم في الف فارس فسار من حران فنزل دوغان وكانوا أول جيش سار الى صالح وسار عدي وكأنه يساق الى الموت وأرسل الى صالح يسأله أن يخرج من هذه البلاد ويعلمه انه يكره قتاله وكان عدي ناسكا فاعاد صالح ان كنت ترى رأينا خرجنا عنك والا فترى رأينا فارسل اليه عدي اني لا أرى رأيك ولكني اكره قتالك وقتال غيرك فقال صالح لاصحابه اركبوا فركبوا وحبس الرسول عنده ومضى باصحابه فاتى عديا وهو يصلي الضحى فلم يشعروا الا والخيل طالعة عليهم فلما رأوها تنادوا وجعل صالح شبيبا في ميمنته وسويد ابن سليم في ميسرته ووقف في القلب فاتاهم وهم على غير تعبية وبعضهم يجول في بعض فحمل عليهم شبيب وسويد فانهزموا وأتى عدي بن عدي بدابته فركبها وانهزم وجاء صالح ونزل في معسكره وأخذوا ما فيه ودخل اصحاب عدي على محمد بن مروان فغضب على عدي ثم دعا خالد بن جزء السلمي فبعثه في ألف وخمسمائة ودعا الحرث بن جعونة العامري فبعثه في الف وخمسمائة وقال اخرجا الى هذه المارقة وأغذا السير فايكما سبق فهو الامير على صاحبه فخرجا متساندين يسألان عن صالح فقيل لهما انه نحو آمد فقصداه فوجه صالح شبيبا في شطر من أصحابه الى الحرث بن جعونة وتوجه هو نحو خالد فاقتتلوا من وقت العصر أشد قتال فلم تثبت خيل محمد لخيل صالح فلما رأى اميراهم ذلك ترجلا وترجل معهما اكثر أصحابهما فلم يقدر اصحاب صالح حينئذ عليهم وكانوا اذا حملوا استقبلتهم الرجالة بالرماح ورماهم الرماة بالنبل وطاردهم خيالتهم فقاتلوهم الى المساء فكثرت الجراح في الفريقين وقتل من أصحاب صالح نحو ثلاثين رجلا ومن أصحاب محمد اكثر من سبعين فلما أمسوا تراجعوا فاستشار صالح أصحابه فقال شبيب ان القوم قد اعتصموا بخندقهم فلا أرى ان نقيم عليهم فقال صالح وأنا ارى ذلك فخرجوا من ليلتهم سائرين فقطعوا أرض الجزيرة وأرض الموصل وانتهوا الى الدسكرة فلما بلغ ذلك الحجاج

هذا الاسم وقع على هذا البلد فاشتهر به وصار سمة له وقال الشاعر

من سبا الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما

وقد قيل ان مأرب سمة لقصر هذا الملك في صدر الزمن قال أبو الطمحان في ذلك

ألم تروا أربا ما كان حصنه وما حواليه من سور وبنيان

ظل العباد سيبقى فوق ثلته ولم يهب ريب دهر حقة خوان

حتى تناوله من بعد ما هجعوا ضربا اليه الى أسباب كتان

وقد ذكر الاعشى ما وصفنا حيث يقول في كلمته

ففي ذلك المؤتسي اسوة بمأرب عفى عليها العرم

وحام بناه لهم حمير اذا جاء ماؤهم لم يرم

فاغنى الحروث واغنى بها على ساعة ماؤهم قد قسم

فطار الفيول وفيالها بها في فيافي سراب الظلم

وكانوا بذلكم حقبة فمال بهم جارف منهزم

فطاروا سراعا وما يقدمو ن منه لشرب صبي فطم

(وقد ذكرنا) في كتابنا أخبار الزمان الملك الذي

سرح اليهم الحرث بن عميرة بن ذي المشعار في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة فسار حتى دنا من الدسكرة وخرج صالح بن مسرح حتى أتى قرية يقال لها مدبج على تخوم ما بين الموصل وجوخى وصالح في تسعين رجلا فلقيهم الحرث لثلاث عشرة بقين من جمادى فاقتتلوا فانهزم سويد بن سليم في ميسرة صالح وثبت صالح فقتل وقاتل شبيب حتى صرع عن فرسه فحمل عليهم راجلا فانكشفوا عنه فجاء الى موقف صالح فأصابه قتيلا فنادى الي يا معشر المسلمين فلاذوا به فقال لاصحابه ليجعل كل واحد منكم ظهره الى ظهر صاحبه وليطاعن عدوه حتى يدخل هذا الحصن ونرى رأينا ففعلوا ذلك ودخلوا الحصن جميعهم وهم سبعون رجلا وأحاط بهم الحرث وأحرق عليهم الباب وقال انهم لا يقدرون على الخروج منه (مسرح بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد الراء وكسرها وبالحاء المهملة وجعونة بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الواو وآخره نون)

﴿ذكر بيعة شبيب الخارجي ومحاربة الحرث بن عميرة﴾

فلما أحرق الحرث الباب على شبيب ومن معه وقال انهم لا يقدرون على الخروج منه ونصبحهم غدا فنقتلهم وانصرف الى عسكره قال شبيب لاصحابه ما تنتظرون فوالله لئن صبحكم هؤلاء غدوة انه لهلاككم فقالوا مرنا بامرك فقال بايعوني أو من شئتم من أصحابكم واخرجوا بنا حتى نشد عليهم في عسكرهم فانهم آمنون فبايعوا شبيبا وهو شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني وأتوا باللبود فبلوها وجعلوها على جمر الباب وخرجوا فلم يشعر الحرث الا وشبيب وأصحابه يضاربونهم بالسيوف في جوف العسكر فصرع الحرث فاحتمله أصحابه وانهزموا نحو المدائن وحوى شبيب عسكرهم وكان ذلك الجيش أول جيش هزمه شبيب

﴿ذكر الحرب بين أصحاب شبيب وغيره﴾

ثم ان شبيبا لقي سلامة بن سنان التيمي تيم شيبان بارض الموصل فدعا الى الخروج معه فشرط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارسا ينطلق بهم نحو عنزة ليشفي نفسه منهم فانهم كانوا قتلوا أخاه فضالة وذلك ان فضالة كان خرج في ثمانية عشر رجلا حتى نزل ماء يقال له الشجرة عليه أثلة عظيمة وعليه عنزة نازلون فلما رأوه قالوا نقتل هؤلاء ونغدو على أميرنا فيعطينا شيئا فقال اخواله من بني نصر لا نساعدكم على قتل ابن أخينا فنهضت عنزة فقتلوهم وأتوا برؤسهم عبد الملك بن مروان فلذلك أنزلهم بانقيا وفرض لهم ولم يكن لهم قبل ذلك فرائض الا قليلة فقال سلامة أخو فضالة يذكر قتل أخيه وخذلان أخواله اياه

وما خلت أخوال الفتى يسلمونه * لوقع السلاح قبل ما فعلت نصر

وكان خروج فضالة قبل خروج صالح فاجابه شبيب فخرج حتى انتهى الى عنزة فجعل يقتل محلة بعد محلة حتى انتهى الى فريق منهم فيهم خالته قد أكبت على ابن لها وهو غلام حين احتلم فاخرجت ثديها وقالت أنشدك برحم هذا يا سلامة فقال والله ما رأيت فضالة مذ أناخ باصل الشجرة يعني أخاه لتقومن عنه أو لاجمعنكما بالرمح فقامت عنه فقتله

﴿ذكر مسير شبيب الى بني شيبان وايقاعه بهم﴾

ثم أقبل شبيب في خيله نحو راذان فهرب منه طائفة من بني شيبان ومعهم ناس من غيرهم قليل حتى نزلوا ديرا خربا الى جنب حولايا وهم نحو ثلاثة آلاف وشبيب في نحو سبعين رجلا أو يزيدون قليلا فنزل بهم فتحصنوا منه ثم ان شبيبا سرى في اثني عشر رجلا الى أمه وكانت في سفح جبل ساتيدما فقال لآتين بها تكون في عسكري لا تفارقني حتى تموت أو أموت فسار بهم

طال عمره وحسنت سيرته وأنه بنى هذا السد الذي هو المسناة وأن عمره انتهى على عمر النسور عند ذكرنا لطول الاعمار وما أكثرت العرب في صفة طول عمر النسر وضربت به الامثال وبلبد وبصحة بدن الغراب فمن ذلك ما ذكره الخارجي في شعره عند ذكره لطول عمر معاذ بن مسلم بن رجاء مولى القعقاع بن حكيم من قوله فيه عند ذكره سنه وهرمه وهو

ان معاذ بن مسلم رجل قد صح في طول عمره الابد

قد شاب رأس الزمان واختضب الد هر وأثواب عمره جدد

يا نسر لقمان كم تعيش وكم تلبس ثوب الحياة يا لبد

قد أصبحت دار حمير خربت وأنت فيها كأنك الوتد

تسأل غربانها اذا حجلت كيف يكون الصداع والرمد

(وقد قدمنا) فيما سلف في مواضع من هذا الكتاب ما قالت الاوائل في علة طول الاعمار وقصرها وعظم الاجسام في بدء الامر وتناقصها على مرور الاعصار ومضي الدهور وأن الله تبارك وتعالى لما بدأ الخلق كانت الطبيعة التي جعلها الله جبلة للاسلام في تمام

ساعة واذا هو بجماعة من بنى شيبان فى أموالهم مقيمين لا يرون ان شبيبا يمر بهم ولا يشعر بهم فحمل عليهم فقتل ثلاثين شيخا فيهم حوثرة بن أسد ومضى شبيب الى أمه فحملها وأشرف رجل من الدير على أصحاب شبيب وكان قد استخلف شبيب عليهم أخاه مصاد بن يزيد وهم قد حصروا من فى الدير فقال يا قوم بيننا وبينكم القرآن قال الله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فكفوا عنا حتى نخرج اليكم على أمان وتعرضوا علينا أمركم فان قبلناه حرمت عليكم دماؤنا وأموالنا وان نحن لم نقبله رددتمونا الى مأمننا ثم رأيتم رأيكم فاجابوهم فخرجوا اليهم فعرض عليهم أصحاب شبيب قولهم فقبلوه كله ثم خالطوه ونزلوا اليهم وجاء شبيب فاخبروه بذلك فقال أصبتم ووفقتم

❁(ذكر الوقعة بين شبيب وسفيان الخثعمى)❁

ثم ان شبيبا ارتحل فخرج معه طائفة وأقامت طائفة وسار شبيب فى أرض الموصل نحو اذربيجان وكتب الحجاج الى سفيان بن أبى العالية الخثعمى يأمره بالقفول وكان معه ألف فارس يريد أن يدخل بها طبرستان فلما أتاه كتاب الحجاج صالح صاحب طبرستان ورجع فامره الحجاج بنزول الدسكرة حتى يأتيه جيش الحرث بن عميرة الهمدانى وهو الذى قتل صالحا حتى تأتيه خيل المناظر ثم يسير الى شبيب فاقام بالدسكرة ونودى فى جيش الحرث الحرب بالكوفة والمدائن فخرجوا حتى أتوا سفيان وأتته خيل المناظر عليهم سورة بن الحر التميمى فكتب اليه سورة بالتوقف حتى يلحقه فعجل سفيان فى طلب شبيب فلحقه بخانقين وارتفع شبيب عنهم حتى كانه يكره قتالهم وأكمن اخاه مصادا فى هرم من الارض فى خمسين رجلا فارسا ومضى فى سفح الجبل فقالوا هرب عدو الله فاتبعوه فقال لهم عدى بن عميرة الشيبانى لا تعجلوا حتى نبصر الارض لئلا يكون قد اكمن فيها كمينا فلم يلتفتوا فاتبعوه فلما جازوا الكمين رجع عليهم شبيب وخرج أخوه فى الكمين فانهزم الناس بغير قتال وثبت سفيان فى نحو من مائتى رجل فقاتلهم قتالا شديدا وحمل سويد بن سليم على سفيان فطاعنه ثم تضاربا بالسيوف واعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا الى الارض ثم تحاجزا وحمل عليهم شبيب فانكشفوا وأتى سفيان غلام له فنزل عن دابته وأركبه وقاتل دونه فقتل الغلام ونجا سفيان حتى انتهى الى بابل مهروذ وكتب الى الحجاج بالخبر ويعرفه وصول الجند الا سورة بن الحر فانه لم يشهد معى القتال فلما قرأ الحجاج الكتاب أثنى عليه

❁(ذكر الوقعة بين شبيب وسورة بن الحر)❁

فلما وصل كتاب سفيان الى الحجاج كتب الى سورة بن الحر يلومه ويتهدده ويأمره أن ينتخب من المدائن خمسمائة فارس ويسير بهم وبمن معه الى شبيب ففعل ذلك سورة وسار نحو شبيب وشبيب يجول فى جوخى وسورة فى طلبه حتى انتهى الى المدائن فتحصنوا منه وأخذ منها دواب وقتل من ظهر له فاتى فقيل له هذا سورة قد أقبل فخرج حتى أتى النهروان فصلوا وترحموا على أصحابهم الذين قتلهم على وتبرؤا من على وأصحابه وأخبرت سورة عيونه بمنزل شبيب فدعا أصحابه فقال ان شبيبا لا يزيد على مائة رجل وقد رأيت ان انتخبكم فاسير فى ثلثمائة رجل من شجعانكم فآتيه وهو آمن بياتكم فانى ارجو من الله أن يصرعهم فاجابوه الى ذلك فانتخب ثلثمائة وسار بهم نحو النهروان وبات شبيب وقد أذكى الحرس فلما دنا أصحاب سورة علموا بهم فاستووا على خيولهم وتعبوا تعبيتهم للحرب فلما انتهى اليهم سورة رآهم قد حذروا فحمل عليهم فثبتوا له وضاربوهم وصاح شبيب باصحابه فحملوا عليهم حتى تركوا العرضة وشبيب يقول

الكثرة ونهاية القوة والكمال والطبيعة اذا كانت تامة القوة كانت الاعمار أطول والاجسام أقوى لان طرق الموت الطارئ يكون باعلال قوى الطبيعة فلما كانت القوة أتم كانت الاعمار أزيد وكان العالم فى أولية شأنه تام العمر ثم لم يزل ينقص أولا أولا لنقصان المادة حتى يكون آخر مائية الطبيعة فى تناهى النقص فى الاجسام والاعمار (وقد أبى) ماذكرنا من عظم أجسام الناطقين فى صدور الزمان كثير من أهل النظر والبحث ممن تأخر وزعموا أن تأثيرهم فى بنيانهم وما ظهر فى الارض من أعمالهم يدل على صغر أجسامهم وانها كانت كاجسامنا لما شاهدوه من مساكنهم وأبوابهم وممراتهم فيما أحدثوه من البنيان والهياكل والديار والمساكن فى سائر الارض كديار ثمود ونحتها المساكن فى الجبال وحفرها فى الصخر الصلد بيوتا صغارا وأبوابا لطافا وكذلك أرض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض فى الشرق والغرب وهذا ان أكثرنا القول فيه طال وان أطنبنا فى صفته كثر فلنرجع الآن

من يلك العير ينك نيا كا * جندلتان اصطكتا اصطكا كا

فرجع سورة الى عسكره وقد هزم الفرسان وأهل القوة فحمل بهم وأقبل نحو المدائن واتبعه شبيب يرجو أن يدركه فيصيب عسكره فوصل اليهم وقد دخل الناس المدائن وخرج ابن ابى العصيفر أمير المدائن فى أهل المدائن فرموا أصحاب شبيب بالنبل والحجارة فارتفع شبيب عن المدائن فمر على كلواذى فاصاب بها دواب كثيرة للحجاج فاخذها ومضى الى تكريت وأرجف الناس بالمدائن بوصول شبيب اليهم فهرب من بها من الجند نحو الكوفة وكان شبيب بتكريت ولام الحجاج سورة وحبسه ثم أطلقه

❁(ذكر الحرب بين شبيب والجزل بن سعيد وقتل سعيد بن مجالد)❁

فلما قدم الفل الكوفة سير الحجاج الجزل بن سعيد بن شرحبيل الكندى واسمه عثمان نحو شبيب وأوصاه بالاحتياط وترك العجلة فقال له لا تبعث معى من الجند المهزوم أحدا فانهم قد دخلهم الرعب ولا ينتفع بهم المسلمون قال قد أحسنت فاخرج معه أربعة آلاف فسار وامامه فقدم الجزل بين يديه عياض بن أبى لينة الكندى فسار وانى طلب شبيب وجعل شبيب يريه الهيبة له فيخرج من رستاق الى رستاق ولا يقيم ارادة أن يفرق الجزل أصحابه فيلقاه وهو على غير تعبية فجعل الجزل لا يسير الا على تعبية ولا ينزل الا خندق على نفسه فلما طال ذلك على شبيب دعا أصحابه وكانوا مائة وستين رجلا ففرقهم أربع فرق على كل أربعين رجلا من أصحابه فجعل أخاه مصادا فى أربعين وسويد بن سليم فى أربعين والمحلل بن وائل فى أربعين وبقى هو فى أربعين وأتته عيونه فاخبروه ان الجزل بدير يزدجرد فامر شبيب أصحابه فعلقوا على دوابهم ثم سار بهم وأمر كل رأس من أصحابه ان يأتى الجزل من جهة ذكرها له وقال انى أريد ان أبيته وأمرهم بالجد فى القتال فسار أخوه فانتهى الى دير الخرارة فرأى للجزل مسلحة مع ابن أبى لينة فحمل عليهم مصاد فى أربعين رجلا فقاتلوه ساعة ثم اندفعوا بين يديه وقد أدركهم شبيب فقال اركبوا أكتافهم لتدخلوا عليهم عسكرهم ان استطعتم واتبعوهم ملحين فانتهوا الى عسكرهم فمنعهم اصحابه من دخول خندقهم وكان للجزل مسالح أخرى فرجعت فمنعهم من دخول الخندق وقال انضحوا عنكم بالنبل وجعل شبيب يحمل على المسالح حتى اضطرهم الى الخندق ورشقهم أهل العسكر بالنبل فلما رأى شبيب انه لا يصل اليه قال لاصحابه سيروا ودعوهم فضى على الطريق ثم نزل هو وأصحابه فاستراحوا ثم أقبل بهم راجعا الى الجزل أيضا على التعبية الاولى وقال أطيفوا بعسكرهم فاقبلوا وقد ادخل أهل العسكر مسالحهم اليهم وقد أمنوا فما شعروا الا بوقع حوافر الخيل فانتهوا اليهم قبل الصبح وأحاطوا بعسكرهم من جهاته الاربع فقاتلوهم ثم ان شيبان أرسل الى أخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن اقبل الينا وخل لهم الطريق ففعل وقاتلوهم من الوجوه الثلاثة حتى أصبحوا فسار شبيب وتركهم ولم يظفر بهم فنزل على ميل ونصف ثم صلى الغداة ثم سار الى جرجرايا واقبل الجزل فى طلبهم على تعبية ولا ينزل الا فى خندق وسار شبيب فى أرض جوخى وغيرها يكسر الخراج فطال ذلك على الحجاج فكتب الى الجزل ينكر عليه ابطاءه ويأمره بمناهضتهم فجد فى طلبهم وبعث الحجاج سعيد بن مجالد على جيش الجزل وأمره بالجد فى قتال شبيب وترك المطاولة فوصل سعيد الى الجزل وهو بالنهروان قد خندق عليه وقام فى العسكر ووبخهم وعجزهم ثم خرج وأخرج معه الناس وضم اليه خيول

الى ما عنه عدلنا ومن وصفه خرجنا من ذكر سبا ومأرب وما كان من الملك فى ذلك الوقت وهو عمرو بن عامر وكان للملك عمرو بن عامر المقدم ذكره فى هذا الباب أخ كاهن عقيم يقال له عمران وكان لعمرو كاهنة من أهل من حمير يقال لها ظريفة الخير (وكان أول شئ وقع بمأرب) وعرف من سيل العرم ان عمران الكاهن أخا عمرو رأى فى كهانته أن قومه سوف يمزقون كل ممزق ويباعد بين أسفارهم فذكر ذلك لاخيه عمرو وهو الملك من بقياء الذى كانت محنة القوم فى أيام ملكه والله أعلم بكيفية ذلك وبينا ظريفة الكاهنة ذات يوم نائمة اذ رأت فيما يرى النائم أن سحابة غشيت أرضها وأرعدت وابرقت ثم صعقت وأحرقت ما وقعت عليه ووقعت الى الارض فلم تقع على شئ الا أحرقته ففزعت ظريفة لذلك وذعرت ذعرا شديدا وانتبهت وهى تقول ما رأيت مثل اليوم قد اذهب عنى النوم رأيت غيما ابرق وارعد ثم اصعق فما وقع على شئ الا أحرق فما بعد هذا الا الغرق فلما رأوا ما داخلها من الرعب خفضوها وسكنوها

أهل العسكر ليسير بهم جريدة الى شبيب ويترك الباقين مكانهم فقال له الجزل ماتريد أن تصنع
قال أقدم على شبيب فى هذه الخيل فقال له الجزل أقم أنت فى جماعة الناس فارسهم وراجلهم
وابرز لهم فوالله ليقدمن عليك ولا تفرق أصحابك فقال قف أنت فى الصف فقال الجزل ياسعيد
ليس لى فيما صنعت رأى انابرئ منه ووقف الجزل فصف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق
وتقدم سعيد بن مجالد ومعه الناس وقد أخذ شبيب الى قطيطيا فدخلها وأمر دهقانا أن يصلح لهم
غداء ففعل وأغلق الباب فلم يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد فى ذلك العسكر فاقبل الدهقان فاعلم
شبيبا بهم فقال لا بأس قرب الغداء فقربه فأكلوا وتوضأ وصلى ركعتين وركب بغلا له وخرج عليه
وسعيد على باب المدينة فحمل عليهم فقال لا حكم الا الله الحكم أنا أبو بدلة اثبتوا ان شئتم وجعل سعيد
يقول هؤلاء انما هم اكلة رأس وجعل يجمع خيله ويرسلها فى أثر شبيب فلما رأى شبيب تفرقهم
جمع أصحابه وقال استعرضوهم فوالله لاقتلن أميرهم أو ليقتلنى وحمل عليهم مستعرضا فهزمهم
وثبت سعيد ونادى أصحابه فحمل عليه شبيب فضربه بالسيف فقتله وانهزم ذلك الجيش وقتلوا
حتى انتهوا الى الجزل فناداهم أيها الناس الى الى وقاتل قتالا شديدا حتى حمل من بين القتلى
جريحا وقدم المنهزمون الكوفة وكتب الجزل الى الحجاج بالخبر ويخبره بقتل سعيد وأقام بالمدائن
وكتب اليه الحجاج يثنى عليه ويشكره وأرسل اليه حيان بن أبجر ليداوى جراحته وألفى درهم
لينفقها وبعث اليه عبد الله بن عصيفر بألف درهم فكان يعوده ويتعاهده بالهدية وسار شبيب
نحو المدائن فعلم انه لاسبيل الى أهلها مع المدافعة فاقبل حتى انتهى الى الكرخ فعبر دجلة اليها
فارسل الى سوق بغداد فامنهم وكان يوم سوقهم وبلغه انهم يخافونه واشترى أصحابه دواب وأشياء
يريدونها

﴿ذكر مسير شبيب الى الكوفة﴾

ثم سار شبيب الى الكوفة فنزل عند حمام عمير بن سعد فلما بلغ الحجاج مكانه بعث سويد بن عبد
الرحمن السعدى فى ألفى رجل اليه وقال له الق شبيبا فان استطردلك فلا تتبعه فخرج وعسكر
بالسبخة فبلغه أن شبيبا قد أقبل فسار نحوه فكأنما يساقون الى الموت فامر الحجاج عثمان بن قطن
فعسكر بالناس فى السبخة وسار سويد الى زرارة فهو يعبى أصحابه اذ قيل قد أتاك شبيب فنزل
ونزل معه جل أصحابه فاخبر أن شبيبا قد تركك وعبر الفرات وهو يريد الكوفة من وجه آخر
فنادى فى أصحابه فركبوا فى آثارهم وبلغ من بالسبخة مع عثمان اقبال شبيب اليهم فصاح بعضهم
ببعض وهموا أن يدخلوا الكوفة حتى قيل لهم ان سويدا فى آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم وحمل
شبيب على سويد ومن معه حملة منكرة فلم يقدر منهم على شئ وأخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة
وذلك عند المساء وتبعه سويد الى الحيرة فرآه قد ترك الحيرة وذهب فتركه سويد وأقام حتى أصبح
وأرسل الى الحجاج يعلمه بمسير شبيب

﴿ذكر محاربة شبيب أهل البادية﴾

وكتب الحجاج الى سويد يأمره باتباعه فاتبعه ومضى شبيب حتى أغار اسفل الفرات على من وجد
من قومه وارتفع فى البر وراء خفان فاصاب رجالا من بنى الورثة فقتل منهم ثلاثة عشر رجلا منهم
حنظلة بن مالك ومضى شبيب حتى أتى بنى أمية على اللصف وعلى ذلك الماء الفزر بن الاسود
وهو أحد بنى الصلت وكان ينهى شبيبا عن رأيه وكان شبيب يقول لئن ملكت سبعة اعنة لاغزون
الفزر فلما بلغهم خبر شبيب ركب الفزر فرسا وخرج من وراء البيوت وانهزم منه الرجال ورجع
وقد اخاف أهل البادية فاخذ على القطقطانة ثم على قصر بنى مقاتل ثم على الحصاصة ثم على

من جأشها حتى سكنت ثم
ان عمرو بن عامر دخل
حديقة من حدائقه ومعه
جاريتان له فبلغ ذلك ظريفة
فأسرعت نحوه وأمرت
وصيفا لها يقال له سنان
أن يتبعها فلما برزت من باب
بيتها عارضها ثلاث مناجد
منتصبات على أرجلهن
واضعات أيديهن على أعينهن
وهى دواب يشبهن اليرابيع
يكن بأرض اليمن فلما رأتهن
ظريفة وضعت يدها على
عينها وقعدت وقالت
لوصيفها اذا ذهبت هذه
المناجد عنا فأعلمنى فلما
ذهبت أعلمها فانطلقت
مسرعة فلما عارضها خليج
الحديقة التى فيها عمرو ونبعت
من الماء سلحفاة فوقعت
على الطريق على ظهرها
وجعلت تريد الانقلاب فلا
تستطيع فتستعين بذنبها
وتحثو التراب على بطنها
وجنبها وتقذف بالبول فلما
رأتها ظريفة جلست الى
الارض فلما عادت السلحفاة
الى الماء مضت الى أن
دخلت على عمرو الحديقة
حين انتصف النهار فى
ساعة شديد حرها فاذا
الشجر يتكفأ من غير ريح
فعدت حتى دخلت على عمرو
ومعه جاريتان على الفراش
فلما رآها استحيا منها وأمر
الجاريتين فنزلتا عن الفراش

الانبار ومضى حتى دخل دقوقا ثم ارتفع الى أدانى اذربيجان فلما أبعد سار الحجاج الى البصرة
واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فما شعر الناس الا وقد أتاهم كتاب دهقان بابل
مهروذ الى عروة يذكر له ان بعض جباة الخراج أخبره ان شبيبا قد نزل خانيجار وهو على قصد
الكوفة فارسل عروة الكتاب الى الحجاج بالبصرة فاقبل مجدا نحو الكوفة يسابق شبيبا اليها

﴿ذكر دخول شبيب الكوفة﴾

وأقبل شبيب الى قرية اسمها حربى فقال حرب يصلى به عدوكم ثم سار فنزل عقرقوف فقال له
سويد بن سليم يا أمير المؤمنين لو تحولت من هذه القرية المشؤمة الاسم قال وقد تطيرت أيضا
والله لا أسير الى عدوى الا منها انما شؤمها على عدونا والعقر لهم ان شاء الله ثم سار منها يبادر الحجاج
الى الكوفة وكانت كتب عروة ترد عليه أعنى الحجاج يحثه على العجل اليهم فطوى الحجاج المنازل
فنزلها الحجاج صلاة العصر ونزل شبيب بالسبخة صلاة المغرب فأكلوا شيأ ثم ركبوا خيولهم فدخلوا
الكوفة وبلغوا السوق وضرب شبيب باب القصر بعموده فاثر فيه أثرا عظيما ثم وقف عند
المصطبة وقال

عبد دعى من ثمود أصله ❊ لا بل يقال أبو أبيهم يقدم

يعنى الحجاج فان بعض الناس يقول ان ثقيفا بقايا ثمود وبعضهم يقول هم من نسل يقدم الايادى
ثم اقتحموا المسجد الاعظم وكان لا يزال فيه قوم يصلون فقتلوا عقيل بن مصعب الوادعى وعدى
ابن عمرو الثقفى وأبا ليث بن أبى سليم ومروا بدار حوشب وهو على الشرط فقالوا ان الامير يطلبه
فاراد الركوب ثم أنكرهم فلم يخرج اليهم فقتلوا غلامه ثم أتى الجحاف بن نبيط الشيبانى فقال له انزل
لنقضيك ثمن البكرة التى اشتريت منك بالبادية فقال الجحاف ماذكرتك امانتك الا والليل اظلم
وأنت على فرسك ياسويد قبح الله دينا لا يصلح الا باراقة الدماء وقتل القرابة ثم مروا بمسجد ذهل
فرأوا ذهل بن الحرث وكان يطيل الصلاة فيه فقتلوه ثم خرجوا من الكوفة فاستقبلهم النضر بن
قعقاع بن شور الذهلى فقال له السلام عليك أيها الامير فقال له سويد أمير المؤمنين ويلك فقال أمير
المؤمنين فقال له شبيب يانضر لا حكم الا الله وأراد يلقنه فقال انا لله وانا اليه راجعون فشد أصحاب
شبيب عليه فقتلوه وكان قد أقبل مع الحجاج من البصرة فتخلف عنه وكانت أم النضر ناجية بنت
هانئ بن قبيصة الشيبانى فاحب شبيب نجاته ثم خرجوا نحو الردمة وأمر الحجاج مناديا فنادى
ياخيل الله اركبى وهو فوق باب القصر وعنده مصباح فكان أول من أتاه عثمان بن قطن بن عبد
الله بن الحصين ذى الغصة فقال أعلموا الامير بمكانى فقال له غلام للحجاج قف بمكانك وجاء الناس
من كل جانب ثم ان الحجاج بعث بشر بن غالب الاسدى فى ألفى رجل وزائدة بن قدامة الثقفى فى
ألفى رجل وأبا الضريس مولى بنى تميم فى ألفى رجل وعبد الاعلى بن عبد الله بن عامر وزياد بن
عمرو العتكى وكان عبد الملك بن مروان قد استعمل محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله على
سجستان وكتب الى الحجاج ليجهزه ويسيره سريعا فى ألف رجل الى عمله فاقام يتجهز وحدث من
أمر شبيب ما حدث فقال له الحجاج تلقى شبيبا وهذه الخارجة فتجاهدهم ويكون الظفر لك
ويطير اسمك ثم تمضى الى عملك فسيره معهم وقال لهؤلاء الامراء ان كان حرب فاميركم زائدة بن
قدامة فسار هؤلاء الامراء فنزلوا أسفل الفرات فترك شبيب الوجه الذى هم فيه وأخذ نحو
القادسية

﴿ذكر محاربة شبيب زحر بن قيس﴾

ووجه الحجاج جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس مع زحر بن قيس وقال له اتبع شبيبا حتى

وقال لهما هلمى ياظريفة
الى الفراش فتكهنت
وقالت والنور والظلماء
والارض والسماء ان
الشجر لهالك وسيعود
الماء لما كان فى الدهر
السالف قال عمرو ومن
خبرك بهذا قالت أخبرنى
المناجد بسنين شدائد يقطع
فيها الوالد الواحد قال
ماتقولين قالت أقول قول
الندمان لهفا قد رأيت
سلحفا تجرف التراب جرفا
وتقذف بالبول قذفا
فدخلت الحديقة فاذا
الشجر يتكفا قال عمرو
متى ترين ذلك قالت هى
داهية كبيرة ومصائب
عظيمة لامور جسيمة قال
وماهى قالت أجل ان لى
الويل ومالك فيها من نيل
فلى ولك الويل مما يجئ به
السيل فالقى عمرو نفسه
عن الفراش وقال ماهذا
ياظريفة قالت هو جلل
جليل وحزن طويل
وخلف قليل والقليل خير
من تركه قال عمرو وما علامة
ذلك قالت تذهب الى السد
فاذا رأيت جرذا يكثر فى السد
الحفر ويقلب برجليه من
الجبل الصخر فاعلم أن النقر
عقر وأنه قد وقع الامر قال
وما هذا الامر الذى يقع
قالت وعد الله نزل وباطل
بطل ونكال بنا نزل فتعمده

تواقعه أين أدركته الآن يكون ذاهبا فاتركه مالم يعطف عليك أو يقيم فخرج زحر حتى انتهى الى السيلحين وأقبل شبيب نحوه فالتقيا فجمع شبيب خيله ثم اعترض بهم الصف حتى انتهى الى زحر فقاتل زحر حتى صرع وانهزم أصحابه وظنوا أنهم قتلوه فلما كان السحر وأصابه البرد قام يتمشى حتى دخل قرية فبات بها وحمل منها الى الكوفة وبوجهه ورأسه بضع عشرة جراحة فمكث أياما ثم أتى الحجاج فاجلسه معه على السرير وقال لمن حوله من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة يمشى بين الناس وهو شهيد فلينظر الى هذا

﴿ذكر محاربة الامراء المقدم ذكرهم وقتل محمد بن موسى بن طلحة﴾

فلما انهزم أصحاب حر قال أصحاب شبيب لشبيب قد هزمنا لهم جندا انصرف بنا الآن وافرين فقال لهم هذه الهزيمة قد ارعبت هؤلاء الامراء والجنود الذين فى طلبكم فاقصدوا بنا نحوهم فوالله ائن قاتلناهم فادون الحجاج مانع ونأخذ الكوفة ان شاء الله تعالى فقالوا نحن لرأيك تبع فسار وسأل عن الامراء فأخبر أنهم بروذبار على أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة فقصدهم فارسل اليهم الحجاج يعلمهم بمسيره ويقول لهم ان أمير الجماعة زائدة بن قدامة وانتهى اليهم شبيب وقد تعبوا للحرب فكان على ميمنة أهل الكوفة زياد بن عمرو العتكى وفى ميسرتهم بشر بن غالب الاسدى وكل أمير واقف فى أصحابه واقبل شبيب على فرس كميت اغر فى ثلاث كتائب كتيبة فيها سويد بن سليم فوقف بازاء الميمنة وكتيبة فيها مصاد أخو شبيب فوقف بازاء الميسرة ووقف شبيب مقابل القلب فخرج زائدة بن قدامة يسير فى الناس ويحثهم على الجهاد لعدوهم والقتال ويطمعهم فى عدوهم لقلته وباطله وكثرتهم وانهم على الحق ثم انصرف الى موقفه فحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو فانكشفوا وثبت زياد فى نحو من نصف أصحابه ثم ارتفع عنهم سويد قليلا ثم حمل عليهم ثانية فتطاعنوا ساعة وصبر زياد ساعة وقاتل زياد قتالا شديدا وقاتل سويد أيضا قتالا شديدا وانه لاشجع العرب ثم ارتفع سويد عنهم فاذا أصحاب زياد يتفرقون فقال لسويد أصحابه ألا تراهم يتفرقون احمل عليهم فقال لهم شبيب خلوهم حتى يخفوا فتركهم قليلا ثم حمل الثالثة فانهزموا وأخذت زياد بن عمرو السيوف من كل جانب فما ضره منها شئ للبسته التى عليه ثم انه انهزم وقد جرح جراحة يسيرة وذلك عند المساء ثم حملوا على عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فهزموه ولم يقاتل كثيرا ولحق بزياد بن عمرو فمضيا منهزمين وحملت الخوارج حتى انتهت الى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب فقاتلوه قتالا شديدا وصبر لهم ثم ان مصادا أخا شبيب حمل على بشر بن غالب وهو فى ميسرة أهل الكوفة فصبر بشر ونزل معه نحو خمسين رجلا فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم أصحابه وحملت الخوارج على أبى الضريس مولى بنى تميم وهو يلى بشر بن غالب فهزموه حتى انتهى الى موقف أعين فهزموهما حتى انتهوا بهما الى زائدة بن قدامة فلما انتهوا اليه نادى يا أهل الاسلام الارض الارض لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على ايمانكم فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر ثم ان شبيبا حمل عليه فى جماعة من أصحابه فقتله وقتل أصحابه وتركهم ربضة حوله ولما قتل زائدة دخل أبو الضريس وأعين جوسقا عظيما وقال شبيب لاصحابه ارفعوا السيف وادعوهم الى البيعة فدعوهم الى البيعة عند الفجر فبايعوه وكان فيمن بايعه أبو بردة بن أبى موسى فقال شبيب لاصحابه هذا ابن أحد الحكمين فارادوا قتله فقال شبيب ماذنب هذا وتركه وسلموا على شبيب بامرة المؤمنين وخلى سبيلهم فبقوا كذلك حتى انفجر الفجر فلما ظهر الفجر أمر محمد بن موسى مؤذنه فاذن وكان لم ينهزم فسمع شبيب الاذان فقال

يا عمرو فليكن الشكل
فانطلق عمرو الى السد
يحرسه فاذا الجرذ يقلب
برجليه صخرة ما يقلبها
خمسون رجلا فرجع الى
ظريفة فاخبرها الخبر
وهو يقول

أبصرت أمرا عادلى منه ألم
وهاج لى من هوله برح السقم
من جرذ كفحل خنزير أجم
أو تيس صرم من أفاوين
الغنم
يسحب صخرا من جلاميد
العرم
له مخاليب وأنياب قطم
ما فاته سلامى الصخر قصم
كانما يرعى حصيرا من سلم

فقالت له ظريفة ان من
علامة ما ذكرت لك أن
تجلس فى مجلسك بين الجنتين
ثم تأمر بزجاجة فتوضع بين
يديك فانها ستمتلئ بين يديك
من تراب البطحاء من سهلة
الوادى ورمله وقد علمت أن
الجنان مظللة ما يدخلها
شمس ولا ريح فأمر عمرو
بزجاجة فوضعت بين يديه
فلم تمكث الا قليلا حتى
امتلأت من تراب البطحاء
فذهب عمرو الى ظريفة
فأخبرها بذلك وقال متى
ترين هلاك السد قالت فيما
بينك وبين السبعين سنة
قال ففى أيها يكون قالت
لا يعلم ذلك الا الله تعالى
ولو علمه أحد لعلمته ولا يأتى
عليك ليلة فيما بينك وبين

بما

ما هذا قالوا محمد بن موسى بن طلحة لم يبرح فقال قد ظننت ان حمقه وخيلاءه يحمله على هذا ثم نزل شبيب فاذن هو وصلى باصحابه الصبح ثم ركبوا فحملوا على محمد وأصحابه فانهزمت طائفة منهم وثبتت معه طائفة فقاتل حتى قتل وأخذت الخوارج ما كان فى العسكر وانهزم الذين كانوا بايعوا شبيبا فلم يبق منهم أحد ثم أتى شبيب الجوسق الذى فيه أعين وأبو الضريس فتحصنوا منه فاقام عليهم ذلك اليوم وسار عنهم فقال أصحابه مادون الكوفة احد يمنع فنظر فاذا أصحابه قد جرحوا فقال لهم ما عليكم أكثر مما فعلتم فخرج بهم على نفر ثم على الصراة فاتى خانيجار فاقام بها فبلغ الحجاج مسيره نحو نفر فظن انه يريد المدائن وهى باب الكوفة ومن أخذها كان فى يده من السواد أكثره فهال ذلك الحجاج فبعث عثمان بن قطن أميرا على المدائن وجوخى والانبار وعزل عنها عبد الله بن أبى عصيفر وكان بها الجزل يداوى جراحته فلم يتعهده عثمان كما كان ابن أبى عصيفر يفعل فقال الجزل اللهم زد ابن أبى عصيفر جودا وفضلا وزد عثمان بن قطن بخلا وشقاء وقد قيل فى مقتل محمد بن موسى غير هذا والذى ذكر من ذلك أن محمد بن موسى كان قد شهد مع عمر بن عبيد الله بن معمر قتال أبى فديك وكان شجاعا ذا بأس فزوجه عمر ابنته وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان فولاه سجستان فمر بالكوفة وفيها الحجاج فقيل له ان صار هذا بسجستان مع صهره لعبد الملك فجاء اليه أحد ممن تطلب منعك منه فقال وما الحيلة قال تأتيه وتسلم عليه وتذكر نجدته وبأسه وان شبيبا فى طريقه وانه قد أعياك وترجوان يريح الله منه على يده فيكون له ذكره وفخره ففعل الحجاج ذلك فاجابه محمد وعدل الى شبيب فارسل اليه شبيب انك مخدوع وان الحجاج قد اتقى بك وأنت جارلك حق فانطلق لما أمرت به ولك الله لا أوذيك فابى الا محاربته فواقفه شبيب وأعاد اليه الرسول فابى وطلب البراز فبرز اليه البطين بن قعنب وسويد بن سليم فابى الا شبيبا فقالوا ذلك لشبيب فبرز شبيب اليه وقال له أنشدك الله فى دمك فان لك جوارا فابى فحمل شبيب عليه فضربه بعمود حديد وزنه اثنا عشر رطلا بالشامى فهشم البيضة ورأسه فسقط ميتا ثم كفنه ودفنه وابتاع ما غنموا من عسكره فبعثه الى أهله واعتذر الى أصحابه وقال هو جارى ولى ان أهب ما غنمت لاهل الردة

﴿ذكر محاربة شبيب عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقتل عثمان بن قطن﴾

ثم ان الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وأمره ان ينتخب من الناس ستة آلاف فارس ويسير فى طلب شبيب أين كان ففعل ذلك وسار نحوه وكتب الحجاج اليه والى أصحابه يتهددهم بالقتل والتنكيد ان انهزموا فوصل عبد الرحمن الى المدائن فاتى الجزل يعوده من جراحته فأوصاه الجزل بالاحتياط وحذره من شبيب وأصحابه وأعطاه فرسا كانت له تسمى الفسيفسا وكانت لا تجارى ثم ودعه عبد الرحمن وسار الى شبيب فسار شبيب الى دقوقا وشهرزور فخرج عبد الرحمن فى طلبه حتى اذا كان بالتخوم وقف وقال هذه أرض الموصل فليقاتلوا عنها فكتب اليه الحجاج اما بعد فاطلب شبيبا واسلك فى أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه فانما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده والسلام فخرج عبد الرحمن فى أثر شبيب فكان شبيب يدعه حتى يدنو منه فيبيته فيجده قد خندق على نفسه وحذر فيتركه ويسير فيتبعه عبد الرحمن فاذا بلغ شبيبا مسيره أتاهم وهم سائرون فيجدهم على تعبية فلا يصيب منه غرة ثم جعل اذا دنا منه عبد الرحمن يسير عشرين فرسخا أو ما يقاربها فينزل فى أرض خشنة غليظة ويتبعه عبد الرحمن فاذا دنا منه

السبعين سنة الا ظننت
هلاكه فى غدها أو فى تلك
الليلة ورأى عمرو فى النوم
سيل العرم وقيل له
ان آية ذلك أن ترى
الحصباء قد ظهرت فى
سعف النخل فذهب الى
سرب النخل وسعفه فوجد
الحصباء قد ظهرت فيها
فعلم أن ذلك واقع بهم وأن
بلادهم ستخرب فكتم ذلك
وأخفاه وأجمع أن يبيع كل
شئ له بأرض سبا ويخرج
منها هو وولده ثم خشى
أن يستنكر ذلك فصنع
طعاما وأمر بابل فنحرت
وبغنم فذبحت وصنع طعاما
واسعا ثم بعث الى أهل
مأرب أن عمرا صنع يوم مجد
وذكر فاحضروا طعامه ثم
دعا ابنا له يقال له مالك
ويقال بل كان يتيما فى
حجره فقال اذا جلست
أطعم الطعام الناس فاجلس
عندى ونازعنى الحديث
واردد على وافعل بى مثل
ما أفعله بك وجاء أهل
مأرب فلما جلسوا أطعم
الناس وجلس عنده الذى
أمر به فجعل ينازعه الحديث
ويرد عليه فضرب عمرو
وجهه وشتمه فصنع الصبى
بعمرو مثل ما صنع فقام
عمرو وصاح واذلاه يوم فخر
عمرو ومجده يضرب وجهه
صبى وحلف ليقتلنه فلم
يزالوا بعمرو حتى تركه ففى

فعل مثل ذلك حتى عذب ذلك الجيش وشق عليه وأحفى دوابهم ولقوا منه كل بلاء ولم يزل عبد الرحمن يتبعه حتى مر به على خانقين وجلولاء وسامرا ثم أقبل الى البت وهى من قرى الموصل ليس بينها وبين سواد الكوفة الا نهر حولايا وهو فى راذان الاعلى من ارض جوخى ونزل عبد الرحمن فى عواقيل من النهر لانها مثل الخندق فارسل شبيب الى عبد الرحمن يقول ان هذه الايام عيد لنا ولكم يعنى عيد النحر فهل لك فى الموادعة حتى تمضى هذه الايام فاجابه الى ذلك وكان يحب المطاولة وكتب عثمان بن قطن الى الحجاج اما بعد فان عبد الرحمن قد حفر جوخى كلها خندقا واحدا وكسر خراجها وخلى شبيبا يأكل أهلها والسلام فكتب اليه الحجاج يأمره بالمسير الى الجيش وجعله أميرهم وعزل عنهم عبد الرحمن وبعث الحجاج الى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة وسار عثمان حتى قدم على عبد الرحمن وعسكر الكوفة فوصل عشية الثلاثاء يوم التروية فنادى الناس وهو على بلغة أيها الناس اخرجوا الى عدوكم فوثب اليه الناس وقالوا هذا المساء قد غشينا والناس لم يوطنوا أنفسهم على الحرب فبت الليلة ثم اخرج على تعبية وهو يقول لاناجزنهم فلتكونن الفرصة لى أولهم فاتاه عبد الرحمن فانزله وكان شبيب قد نزل ببيعة البت فاتاه أهلها فقالوا له أنت ترحم الضعفاء وأهل الذمة ويكلمك من تلى عليه ويشكون اليك فتنظر اليهم وان هؤلاء جبابرة لا يكلمون ولا يقبلون العذر والله لئن بلغهم انك مقيم فى بيعتنا ليقتلننا اذا ارتحلت عنا فان رأيت ان تنزل جانب القرية ولا تجعل علينا مقالا فافعل فخرج عن البيعة فنزل جانب القرية وبات عثمان ليلته كلها يحرض أصحابه فلما أصبح يوم الاربعاء خرج بالناس كلهم فاستقبلهم ريح شديدة وغبرة شديدة فصاح الناس وقالوا له ننشدك الله ان لا تخرج بنا والريح علينا فاقام بهم ذلك اليوم ثم خرج بهم يوم الخميس وقد عبى الناس فجعل فى الميمنة خالد بن نهيك بن قيس وعلى الميسرة عقيل بن شداد السلولى ونزل هو فى الرجالة وعبر شبيب النهر اليهم وهو يومئذ فى مائة وأحد وثمانين رجلا فوقف هو فى الميمنة وجعل أخاه مصادا فى القلب وجعل سويد بن سليم فى الميسرة وزحف بعضهم الى بعض وقال شبيب لاصحابه انى حامل على ميسرتهم مما يلى النهر فاذا هزمتها فليحمل صاحب ميسرتى على ميمنتهم ولا يبرح صاحب القلب حتى يأتيه امرى وحمل على ميسرة عثمان فانهزموا ونزل عقيل بن شداد فقاتل حتى قتل وقتل أيضا مالك بن عبد الله الهمدانى عم عياش بن عبد الله المنتوف ودخل شبيب عسكرهم وحمل سويد على ميمنة عثمان فهزمها وعليها خالد بن نهيك فقاتل قتالا شديدا وحمل شبيب من ورائه فقتله وتقدم عثمان بن قطن وقد نزل معه العرفاء وأشراف الناس والفرسان نحو القلب وفيه مصاد أخو شبيب فى نحو من ستين رجلا فلما دنا منهم عثمان شد عليهم فيمن معه فضاربوهم حتى فرقوا بينهم وحمل شبيب بالخيل من ورائهم فما شعر عثمان ومن معه الا والرماح فى أكتافهم تكبهم لوجوههم وعطف عليهم سويد بن سليم أيضا فى خيله ورجع مصاد وأصحابه فاضطربوا ساعة وقاتل عثمان بن قطن أحسن قتال ثم انهم أحاطوا به وضربه مصاد أخو شبيب ضربة بالسيف استدار لها وقال وكان أمر الله مفعولا ثم ان الناس قتلوه ووقع عبد الرحمن فأتاه ابن أبى سبرة الجعفى وهو على بغلة فعرفه فاركبه معه ونادى فى الناس الحقوا بدير أبى مريم ثم انطلقوا ذاهبين ورأى واصل السكونى فرس عبد الرحمن التى أعطاها له الجزل تجول فى العسكر فأخذها بعض أصحاب شبيب فظن انه قتل فطلبه فى القتلى فلم يجده فسأل عنه فأعطى خبره فاتبعه واصل على برذونه ومعه غلامه على بغل فلما دنا منهما نزل عبد الرحمن وابن أبى

ذلك قال حاجر الازدى
يارب لطمة غدر قد سخنت بها
بكف عمرو التى بالغدر قد
عرفت
ثم قال والله لا أقيم ببلدة صنع هذا بى فيه ولا بعن عقارى فيه وأموالى فقال الناس بعضهم لبعض اغتنموا غضبة عمرو واشتروا منه أمواله قبل ان يرضى فابتاع الناس منه جميع ماله بأرض مأرب وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل العرم فخرج ناس من الازد وباعوا أموالهم فلما أكثروا البيع استنكر ذلك الناس فأمسكوا ما بأيديهم فلما اجتمعت الى عمرو بن عامر أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم فقال أخوه عمران الكاهن قد رأيت انكم ستمزقون كل ممزق ويباعد بين أسفاركم وانى أصف لكم البلدان فاختاروا أيها شئتم فمن أعجبه منكم صفة بلد فليصر اليها ومن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد فليلحق بقصر عمان المشيد قال ومن كان منكم ذا هم بعيد وجمل غير شديد فليلحق بالشعب من كرود قال وهى أرض همدان فلحق به وادعة بن عمرو فانتسبوا فيهم وقال الكاهن ومن كان منكم ذا حاجة ووطر ونظر وصبر على

سبرة

سبرة ليقاتلا فلما رآهما واصل عرفهما وقال انكما تركتما النزول فى موضعه فلا تنزلا الآن وحسر عمامته عن وجهه فعرفاه وقال لابن الاشعث قد اتيتك بهذا البرذون لتركبه فركبه وسار حتى نزل دير البقار وأمر شبيب أصحابه فرفعوا السيف عن الناس ودعاهم الى البيعة فبايعوه وقتل من كندة يومئذ مائة وعشرون وقتل معظم العرفاء وبات عبد الرحمن بدير البقار فاتاه فارسان فصعدا اليه فخلا أحدهما بعبد الرحمن طويلا ثم نزل فتبين ان ذلك الرجل كان شبيبا وقد كان بينه وبين عبد الرحمن مكاتبة وسار عبد الرحمن حتى أتى دير أبى مريم فاجتمع الناس اليه وقالوا له ان سمع شبيب بمكانك أتاك فكنت له غنيمة فخرج الى الكوفة واختفى من الحجاج حتى أخذ له الامان منه

﴿ذكر ضرب الدراهم والدنانير الاسلامية﴾

وفى هذه السنة ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم وهو أول من أحدث ضربها فى الاسلام فانتفع الناس بذلك وكان سبب ضربها انه كتب فى صدور الكتب الى الروم قل هو الله أحد وذكر النبى صلى الله عليه وسلم مع التاريخ فكتب اليه ملك الروم انكم قد أحدثتم كذا وكذا فاتركوه والا أتاكم فى دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون فعظم ذلك عليه فاحضر خالد بن يزيد ابن معاوية فاستشاره فيه فقال حرم دنانيرهم واضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى فضرب الدنانير والدراهم ثم ان الحجاج ضرب الدراهم ونقش فيها قل هو الله أحد فكره الناس ذلك لمكان القرآن لان الجنب والحائض يمسها ونهى ان يضرب أحد غيره فضرب سمير اليهودى فاخذه ليقتله فقال له عيار درهمى أجود من دراهمك فلم تقتلنى فلم يتركه فوضع للناس صنج الاوزان ليتركه فلم يفعل وكان الناس لا يعرفون الوزن انما يزنون بعضها ببعض فلما وضع لهم سمير الصنج كف بعضهم عن غبن بعض وأول من شدد فى أمر الوزن وخلص الفضة ابلغ من تخليص من قبله عمر بن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك وجود الدراهم وخلص العيار واشتد فيه ثم كان خالد بن عبد الله القسرى أيام هشام بن عبد الملك فاشتد أكثر من ابن هبيرة ثم ولى يوسف بن عمر فافرط فى الشدة فامتحن يوما العيار فوجد درهما ينقص حبة فضرب كل صانع ألف سوط وكانوا مائة صانع فضرب فى حبة مائة ألف سوط وكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بنى أمية ولم يكن المنصور يقبل فى الخراج غيرها فسميت الدراهم الاولى مكروهة وقيل ان المكروهة الدراهم التى ضربها الحجاج ونقش عليها قل هو الله أحد فكرهها العلماء لاجل مس الجنب والحائض وكانت دراهم الاعاجم مختلفة كبارا وصغارا وكانوا يضربون مثقالا وهو وزن عشرين قيراطا ومنها وزن اثنى عشر قيراطا ومنها وزن عشرة قراريط وهى أصناف المثاقيل فلما ضرب الدراهم فى الاسلام أخذوا عشرين قيراطا واثنى عشر قيراطا وعشرة قراريط فوجدوا ذلك اثنين وأربعين قيراطا فضربوا على الثلث من ذلك وهو أربعة عشر قيراطا فوزن الدرهم العربى أربعة عشر قيراطا فصار وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل وقيل ان مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة أيام أخيه عبد الله بن الزبير ثم كسرت بعد ذلك أيام عبد الملك والاول أصح فى ان عبد الملك أول من ضرب الدراهم والدنانير

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة وفد يحيى بن الحكم على عبد الملك وفيها ولى عبد الملك المدينة أبان بن عثمان وفيها ولد مروان بن محمد بن مروان وأقام الحج للناس هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير المدينة وكان

أزمان الدهر فليلحق ببطن مر وكان الذين سكنوه خزاعة لانخزاعها فى ذلك الموضع عمن كان معها من الناس وهم بنو عمرو بن لحى فتخزعت هنالك الى هذه الغاية وفى ذلك يقول حسان بن ثابت
ولما هبطنا بطن مر تخزعت
خزاعة منا فى ملوك كراكر
فى شعر له طويل ومالك وأسلم وبنو قصى بن حارثة ابن عمرو بن مزيقياء وقال الكاهن ومن كان يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وهى المدينة وكان الذين سكنوها الاوس والخزرج ابنا حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء قال الكاهن ومن كان يريد منكم الخمر والخمير والديباج والحرير والامر والتدبير فليلحق ببصرى وحفير وهى أرض الشأم قال الكاهن ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والكنوز والارزاق فليلحق بالعراق وكان الذين لحقوا بالعراق منهم مالك بن فهم الازدى وولده ومن كان بالحيرة من غسان على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب (قال هشام بن

على العراق الحجاج وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى وفيها غزا محمد بن مروان الروم من ناحية ملطية وفيها مات حبة بن جوين العرنى صاحب على (حبة بالحاء المهملة و بالباء الموحدة وهو منسوب الى عرنة بالعين المهملة المضمومة والراء المهملة والنون)

﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعين ﴾

﴿ ذكر محاربة شبيب عتاب بن ورقاء و زهرة بن حوية وقتلهما ﴾

وفى هذه السنة قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحى وزهرة بن حوية وسبب ذلك ان شبيبا لما هزم الجيش الذى كان وجهه الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقتل عثمان بن قطن كان ذلك فى حر شديد وأتى شبيب ماه بهراذان فصيف بها ثلاثة أشهر وأتاه ناس كثير ممن يطلب الدنيا وممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تبعات فلما ذهب الحر خرج شبيب فى نحو ثمانمائة رجل فاقبل نحو المدائن وعليها مطرف بن المغيرة بن شعبة فجاء حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان فكتب عظيم بابل مهرون الى الحجاج بذلك فلما قرأ الكتاب قام فى الناس فقال أيها الناس لتقاتلن عن بلادكم وعن فيئكم أو لابعثن الى قوم هم اطوع واصبر على اللأواء والقيظ منكم فيقاتلون عدوكم ويأكلون فيأكم فقام اليه الناس من كل جانب ومكان فقالوا نحن نقاتلهم ونعتب الامير فلنندب الامير اليهم وقام اليه زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستتم قائما حتى يؤخذ بيده فقال أصلح الله الامير انما تبعث اليهم الناس متقطعين فاستنفر الناس اليهم كافة وابعث اليهم رجلا شجاعا مجربا ممن يرى الفرار هضما وعارا والصبر مجدا وكرما فقال الحجاج فانت ذلك الرجل فاخرج فقال زهرة أصلح الله الامير انما يصلح الرجل يحمل الدرع والرمح ويهز السيف ويثبت على الفرس وانا لا أطيق من هذا شيأ وقد ضعف بصرى ولكن أخرجنى مع الامير فى الناس فاكون معه وأشير عليه برأيى فقال الحجاج جزاك الله خيرا عن الاسلام وأهله فى أول أمرك وآخره فقد نصحت ثم قال أيها الناس سيروا باجمعكم كافة فانصرف الناس يتجهزون ولا يدرون من أميرهم وكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره ان شبيبا قد شارف المدائن وانه يريد الكوفة وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله فى مواطن كثيرة يقتل أمراءهم ويهزم جنودهم ويطلب اليه ان يبعث اليه جندا من الشام يقاتلون الخوارج ويأكلون البلاد فلما أتى الكتاب بعث اليه عبد الملك سفيان بن الابرد الكلبى فى أربعة آلاف وحبيب بن عبد الرحمن الحكمى فى ألفين فبعث الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحى وهو مع المهلب يستدعيه وكان عتاب قد كتب الى الحجاج يشكو من المهلب ويسأله ان يضمه اليه لان عتابا طلب من المهلب ان يرزق اهل الكوفة الذين معه من مال فارس فأبى عليه وجرت بينهما منافرة فكادت تؤدى الى الحرب فدخل المغيرة بن المهلب بينهما فاصلح الامر وألزم أباه يرزق أهل الكوفة فاجابه الى ذلك وكتب يشكو منه فلما ورد كتابه سر الحجاج بذلك واستدعاه ثم جمع الحجاج أهل الكوفة واستشارهم فيمن يوليه أمر الجيش فقالوا رأيك أفضل فقال قد بعثت الى عتاب وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة فقال زهرة أيها الامير رميتهم بحجرهم والله لا يرجع اليك حتى نظفر أو نقتل وقال له قبيصة بن والق ان الناس قد تحدثوا ان جيشا قد وصل اليك من الشام وان أهل الكوفة قد هزموا وهان عليهم الفرار فلوبهم كانها ليست فيهم فان رأيت ان تبعث الى أهل الشام ليأخذوا حذرهم ولا يبيتوا الا وهم محتاطون فانك تحارب حولا قلبا ظعانا

الكلبى) وأما أبى فكان يقول انما نزل بالحيرة من غسان مع تبع بعد هذا بزمان ثم خرج عمرو بن عامر مزيقياء فسكنوا همدان وتخلف مالك بن اليمان بن جهم بن عدى ابن عمرو بن مازن بن الازد وكان بعدهم بمأرب ملكا الى ان كان من أمرهم ما كان فى الهلاك ثم ساروا حتى اذا كانوا بنجران تخلف أبو حارثة بن عمرو بن عامر مزيقياء وربيعة بن كعب بن أبى حارثة فانتسبوا الى مذحج قال أبو المنذر ويقال ان أبا حارثة هو جد الحرث بن كعب بن أبى حذيفة الذى بنجران والله أعلم ثم سار عمرو بن عامر حتى اذا كان بادنى المسناة ومكة قام هنالك أناس من بنى نصر من الازد وأقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو بن عامر مزيقياء وعدى بن حارثة ابن عمرو مزيقياء وسار عمرو بن عامر و بنو مازن حتى نزلوا بين بلاد الاشعريين وعك على ماء يقال له غسان بين واديين يقال لهما زبيد ورمع وهما يليان صدورهما بين صعيد يقال له صعيد الحسك وبين الجبال التى تدفع به فى زبيد ورمع

رجالا وقد جهزت اليهم أهل الكوفة ولست واثقا بهم كل الثقة وان شبيبا بينا هو فى أرض اذا هو فى أخرى ولا آمن ان يأتى أهل الشام وهم آمنون فان يهلكوا نهلك ويهلك العراق فقال له لله أبوك ما أحسن ما أشرت به وأرسل الى أهل الشام يحذرهم ويأمرهم ان يأتوا على عين التمر ففعلوا وقدم عتاب بن ورقاء تلك الليلة فبعثه الحجاج على ذلك الجيش فعسكر بحمام أعين وأقبل شبيب حتى انتهى الى كلواذى فقطع فيها دجلة ثم سار حتى نزل مدينة بهرشير الدنيا فصار بينه وبين مطرف دجلة وقطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب أن ابعث الى رجالا من وجوه أصحابك اداريهم القرآن وأنظر فيما يدعون اليه فبعث اليه قعنب بن سويد والمحلل وغيرهما وأخذ منه رهائن الى ان يعودوا فاقاموا عنده أربعة أيام ثم لم يتفقوا على شئ فلما لم يتبعه مطرف تهيأ للمسير الى عتاب وقال لاصحابه انى كنت عازما ان آتى أهل الشام جريدة وألقاهم على غرة قبل ان يتصلوا بامير مثل الحجاج ومصر مثل الكوفة فثبطنى عنهم مطرف وقد جاءتنى عيونى فاخبرونى ان أوائلهم قد دخلوا عين التمر فهم الآن قد شارفوا الكوفة وقد اخبرونى أن عتابا ومن معه بالبصرة فما أقرب ما بيننا وبينه فتيسروا للمسير الى عتاب وخاف مطرف بن المغيرة ان يبلغ خبره مع شبيب الى الحجاج فخرج نحو الجبال فارسل شبيب أخاه مصادا الى المدائن وعقد الجسر وأقبل عتاب اليه حتى نزل بسوق حكمة وقد خرج معه من المقاتلة أربعون ألفا ومن الشباب والاتباع عشرة آلاف فكانوا خمسين ألفا وكان الحجاج قد قال لهم حين سار وا ان للسائر المجتهد الكرامة والاثرة وللهارب الهوان والجفوة والذى لا اله غيره لئن فعلتم فى هذه المواطن كفعلكم فى المواطن الاخر لاولينكم كنفا خشنا ولاعركنكم بكلكل ثقيل فلما بلغ عتاب سوق حكمة أتاه شبيب وكان أصحابه بالمدائن ألف رجل فحثهم على القتال وسار بهم فتخلف عنه بعضهم ثم صلى الظهر بساباط وصلى العصر وسار حتى أشرف على عتاب وعسكره فلما رآهم نزل فصلى المغرب وكان عتاب قد عبى أصحابه فجعل فى الميمنة محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وقال يا ابن أخى انك شريف صابر فقال والله لاصبرن ما ثبت معى انسان وقال لقبيصة بن والق الثعلبى اكفنى الميسرة فقال أنا شيخ كبير لا استطيع القيام الا أن أقام فجعل عليها نعيم بن عليم وبعث حنظلة بن الحرث اليربوعى وهو ابن عمه وشيخ أهل بيته على الرجالة وصفهم ثلاث صفوف صف فيهم أصحاب السيوف وصف فيهم أصحاب الرماح وصف فيهم الرماة ثم سار فى الناس يحرضهم على القتال ويقص عليهم ثم قال أين القصاص فلم يجبه أحد ثم قال أين من يروى شعر عنترة فلم يجبه أحد فقال انا لله كانى بكم قد فررتم عن عتاب بن ورقاء وتركتموه تسفى فى استه الريح ثم أقبل حتى جلس فى القلب ومعه زهرة بن حوية جالس وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وأبو بكر بن محمد بن أبى جهم العدوى وأقبل شبيب وهو فى ستمائة وقد تخلف عنه من أصحابه أربعمائة فقال لقد تخلف عنا من لا أحب ان يرى فينا فجعل سويد بن سليم فى مائتين فى الميسرة وجعل المحلل بن وائل فى مائتين فى القلب ومضى هو فى مائتين الى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين اضاء القمر فناداهم لمن هذه الرايات فقالوا رايات ربيعة فقال طالما نصرت الحق وطالما نصرت الباطل والله لاجاهدنكم محتسبا انا شبيب لا حكم الا لله للحكم اثبتوا ان شئتم ثم حمل عليهم ففضهم فثبت أصحاب رايات قبيصة بن والق وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم فقتلوا وانهزمت الميسرة كلها ونادى الناس من بنى تغلبة قتل قبيصة وقال شبيب قتلتموه ومثله كما قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ثم وقف عليه وقال ويحك لو ثبت على اسلامك

وأقاموا على غسان وشربوا منه فسموا غسان وغلب على أسمائهم فلا يعرفون الا به قال شاعرهم

اما سألت فانا معشر نجب
الازد نسبتنا والماء غسان

والذين سموا غسان من بنى مازن الاوس والخزرج ابنا ثعلبة بن ثعلبة بن امرئ القيس ابن مازن الازدى (وللقوم أخبار) فى تفرقهم ومن دخل منهم فى معد بن عدنان وما كان بينهم من الحروب الى أن ظفرت بهم بنو معد فاخرجتهم الى أن لحقوا بالسراة والسراة جبل الازد الذين يقال لهم السراة ويقال له الحجاز وانما سمى السراة من هذا الجبل ظهره فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة السراة فاقاموا به وكانوا فى سهله وجبله وما قاربه وهو جبل على تخوم الشأم وفرز بينه وبين الحجاز مما يلى أعمال دمشق والاردن و بلاد فلسطين وتلا جبل حرا (وقد كان) أهل مأرب يعبدون الشمس فبعث الله اليهم رسلا يدعونهم الى الله و يزجرونهم عما هم عليه ويذكرونهم آلاء الله ونعمته عليهم فجحدوا فوهم وردوا كلامهم وأنكروا أن الله

الاول سعدت وقال لاصحابه ان هذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم جاء يقاتلكم مع الفسقة ثم ان شبيبا حمل من الميسرة على عتاب وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد ابن عبد الرحمن فقاتلهم فى رجال من تميم وهمدان فما زالوا كذلك حتى قيل لهم قتل عتاب فانفضوا ولم يزل عتاب جالسا على طنفسة فى القلب ومعه زهرة بن حوية حتى غشيهم شبيب فقال عتاب يا زهرة هذا يوم كثر فيه العدد وقل فيه الغناء والهفى على خمسمائة فارس من تميم من جميع الناس ألا صابر لعدوه ألا مواس بنفسه فانفضوا عنه وتركوه فقال زهرة أحسنت يا عتاب فعلت فعلا لا يفعله مثلك أبشر فانى أرجو أن يكون الله جل ثناؤه قد أهدى الينا الشهادة عند فناء أعمارنا فلما دنا منه شبيب وثب فى عصابة قليلة صبرت معه وقد ذهب الناس فقيل له ان عبد الرحمن بن الاشعث قد هرب وتبعه ناس كثير فقال ما رأيت ذلك الفتى يبالى ما صنع ثم قاتلهم ساعة فرآه رجل من أصحاب شبيب يقال له عامر بن عمرو التغلبى فحمل عليه فطعنه ووطئت الخيل زهرة بن حوية فاخذ يذب بسيفه لا يستطيع ان يقوم فجاءه الفضل بن عامر الشيبانى فقتله فانتهى اليه شبيب فرآه صريعا فعرفه فقال هذا زهرة بن حوية أما والله لئن كنت قتلت على ضلالة لرب يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك وعظم فيه غناؤك ولرب خيل للمشركين هزمتها وقرية من قراهم جم أهلها قد افتتحتها ثم كان فى علم الله انك تقتل ناصرا للظالمين وتوجع له فقال له رجل من أصحابه انك لتتوجع لرجل كافر فقال انك لست باعرف بضلالتهم منى ولكنى أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف ما لو ثبتوا عليه لكانوا اخواننا فاستمسك شبيب من أهل العسكر والناس فقال ارفعوا السيف ودعاهم الى البيعة فبايعه الناس وهربوا من تحت ليلتهم وحوى ما فى العسكر وبعث الى أخيه فاتاه من المدائن وأقام شبيب بعد الوقعة ببيت قرة يومين ثم سار نحو الكوفة فنزل بسورا وقتل عاملها وكان سفيان بن الابرد وعسكر الشام قد دخلوا الكوفة فشدوا ظهر الحجاج واستغنى بهم عن أهل الكوفة فقام على المنبر فقال يا أهل الكوفة لا أعز الله من أراد بكم العز ولا نصر من أراد بكم النصر اخرجوا عنا لا تشهدوا معنا قتال عدونا انزلوا بالحيرة مع اليهود والنصارى ولا يقاتل معنا الا من لم يشهد قتال عتاب

(ذكر قدوم شبيب الكوفة أيضا وانهزامه عنها)

ثم سار شبيب من سورا فنزل حمام أعين فدعا الحجاج الحرث بن معاوية الثقفى فوجهه فى ناس من الشرط لم يشهدوا يوم عتاب وغيرهم فخرج فى نحو ألف فنزل زرارة فبلغ ذلك شبيبا فعجل الى الحرث بن معاوية فلما انتهى اليه حمل عليه فقتله وانهزم أصحابه وجاء المنهزمون فدخلوا الكوفة وجاء شبيب فعسكر بناحية الكوفة وأقام ثلاثا فلم يكن فى اليوم الاول غير قتل الحرث فلما كان اليوم الثانى أخرج الحجاج مواليه فاخذوا بافواه السكك وجاء شبيب فنزل السبخة وابتنى بها مسجدا فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجاج أبا الورد مولاه عليه تجفاف ومعه غلمان له وقالوا هذا الحجاج فحمل عليه شبيب فقتله وقال ان كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم أخرج الحجاج غلامه طهمان فى مثل تلك العدة والحالة فقتله شبيب وقال ان كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم ان الحجاج خرج ارتفاع النهار من القصر فطلب بغلا يركبه الى السبخة فاتى ببغل فركبه ومعه أهل الشام فخرج فلما رأى الحجاج شبيبا وأصحابه نزل وكان شبيب فى ستمائة فارس فاقبل نحو الحجاج وجعل الحجاج سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف على أفواه السكك فى جماعة الناس ودعا الحجاج بكرسى

عليهم نعمة وقالوا لهم ان كنتم رسلا فادعوا الله أن يسلبنا ما أنعم به علينا ويذهب عنا ما أعطانا وفى ذلك تقول امرأة منهم

ان كان ما بعث فى ضلاله
من ربكم فلينطلق عياله
اليه عنا والى عياله

فاجابتها امرأة مؤمنة فقالت

لولا الاله لم يكن عيالنا
ولم يسع عيالنا أموالنا
هو الذى يحيينا سؤالنا
ويكشف الغم اذا ما هالنا

فارسل الله عليهم سيل العرم فهدم سدهم وغشى الماء أرضهم فاهلك شجرهم وأباده وازال أموالهم وأنعامهم فاتوا رسلهم فقالوا ادعوا الله أن يخلف علينا نعمتنا ويخصب بلادنا ويرد علينا ما شرد من أنعامنا ونعطيكم موثقا أن لا نشرك بالله شيأ فسألت الرسل ربها فاجابهم الى ذلك وأعطاهم ما سألوا فأخصبت بلادهم واتسعت عمائرهم الى أرض فلسطين والشام قرى ومنازل واسواقا فأتتهم رسلهم فقالوا موعدكم أن تؤمنوا فأبوا الا طغيانا وكفرا فمزقهم الله كل ممزق وباعد بين أسفارهم (قال

فقعد عليه ثم نادى أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة واليقين فلا يغلبن باطل هؤلاء الارجاس حقكم غضوا الابصار واجثوا على الركب واستقبلوهم باطراف الاسنة ففعلوا وأشرعوا الرماح وكانهم حرة سوداء واقبل شبيب فى ثلاثة كراديس كتيبة معه وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع المحلل بن وائل وقال لسويد احمل عليهم فى خيلك فحمل عليهم فثبتوا له ووثبوا فى وجهه باطراف الرماح فطعنوه حتى انصرف هو وأصحابه وصاح الحجاج هكذا فافعلوا وأمر بكرسيه فقدم وأمر شبيب المحلل فحمل عليهم ففعلوا به كذلك فناداهم الحجاج هكذا فافعلوا وأمر بكرسيه فقدم ثم ان شبيبا حمل عليهم فى كتيبته فثبتوا له وصنعوا به كذلك فقاتلهم طويلا ثم ان أهل الشام طاعنوه حتى ألحقوه باصحابه فلما رأى صبرهم نادى يا سويد احمل عليهم باصحابك على أهل هذه السكة لعلك تزيل أهلها فتأتى الحجاج من ورائه ونحمل نحن عليه من امامه فحمل سويد فرمى من فوق البيوت وافواه السكك فرجع وكان الحجاج قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة فى ثلاثمائة رجل من أهل الشام ردأ له لئلا يؤتوا من خلفهم فجمع شبيب أصحابه ليحمل بهم فقال الحجاج اصبروا لهذه الشدة الواحدة ثم هو الفتح فجثوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه فوثبوا فى وجهه وما زالوا يطاعنونه ويضاربونه قدما ويدفعونه وأصحابه حتى أجازوهم مكانهم وأمر شبيب أصحابه بالنزول فنزل نصفهم وجاء الحجاج حتى انتهى الى مسجد شبيب ثم قال يا أهل الشام هذا أول الفتح وصعد المسجد ومعه جماعة معهم النبل ليرموهم ان دنوا منه فاقتتلوا عامة النهار أشد قتال رآه الناس حتى أقر كل واحد من الفريقين لصاحبه ثم ان خالد بن عتاب قال للحجاج ائذن لى فى قتالهم فانى موتور فاذن له فخرج ومعه جماعة من أهل الكوفة وقصد عسكرهم من ورائهم فقتل مصادا أخا شبيب وقتل امرأته غزالة وحرق فى عسكره وأتى الخبر الحجاج وشبيبا فكبر الحجاج وأصحابه وأما شبيب فركب هو وأصحابه وقال الحجاج لاهل الشام احملوا عليهم فانهم قد أتاهم ما أرعبهم فشدوا عليهم فهزموهم وتخلف شبيب فى حامية الناس فبعث الحجاج الى خيله ان دعوه فتركوه ورجعوا ودخل الحجاج الكوفة فصعد المنبر ثم قال والله ما قوتل شبيب قبلها ولى هاربا وترك امرأته يكسر فى استها القصب ثم دعا حبيب بن عبد الرحمن الحكمى فبعثه فى ثلاثة آلاف فارس من أهل الشام فى أثر شبيب وقال له احذر بياته وحيث لقيته فانزل له فان الله تعالى قد فل حده وقصم نابه فخرج فى أثره حتى نزل الانبار وكان الحجاج قد نادى عند انهزامهم من جاءنا منكم فهو آمن فتفرق عن شبيب ناس كثير من أصحابه فلما نزل حبيب الانبار أتاهم شبيب فلما دنا منهم نزل فصلى المغرب وكان حبيب قد جعل أصحابه أرباعا وقال لكل ربع منهم ليمنع كل ربع منكم جانبه فان قاتل هذا الربع فلا يعنهم الربع الآخر فان الخوارج قريب منكم فوطنوا أنفسكم على انكم مبيتون ومقاتلون فاتاهم شبيب وهم على تعبية فحمل على ربع فقاتلهم طويلا فما زالت قدم انسان عن موضعها ثم تركهم واقبل الى ربع آخر فكانوا كذلك ثم أتى ربعا آخر فكانوا كذلك ثم الربع الرابع فما برح يقاتلهم حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل ثم نازلهم راجلا فسقطت منهم الايدى وكثرت القتلى وفقئت الاعين وقتل من أصحاب شبيب نحو ثلاثين رجلا ومن أهل الشام نحو مائة واستولى التعب والاعياء على الطائفتين حتى ان الرجل ليضرب بسيفه فلا يصنع شيأ وحتى ان الرجل ليقاتل جالسا فما يستطيع ان يقوم من التعب فلما يئس شبيب منهم تركهم وانصرف عنهم ثم قطع دجلة وأخذ فى أرض جوخى ثم قطع دجلة مرة أخرى عند

المسعودى) واذ قد ذكرنا جملا من أخبار السد وبلاد مأرب وعمرو بن عامر وغير ذلك مما تقدم ذكره فى هذا الباب فلنرجع الآن الى أخبار الكهان وكان أول ما تكهن به سطيح الغسانى انه كان نائما فى ليلة سهاكية مظلمة مع حرمته فى لحاف والحى حلوف اذ زعق من بينهم ورن وتأوه وقال والضياء والشفق والظلام والغسق ليطرقنكم ما طرق قالوا ما طرق يا سطيح قال ما طرق الا الاجلح حين سرى الليل البهيم الافلح وولاهم فيه دح قالوا وما علامة ذلك يا سطيح قال أمر يسد الثغرة ذو حدبة فى الوجرة وجرة بعد حرة فى ليلة قرة فانصرفوا عن قوله واستهانوا بأمره وتعاصفت مدود من أودية هنالك فجاءتهم فى ليلة باردة قرة كما ذكر فساقت الانعام والمواشى وكادت أن تذهب بعامتهم (ولسطيح الكاهن ولشق ابن مصعب أخبار كثيرة) منها قول تبع الحميرى فى أن

واسط ثم أخذ نحو الاهواز ثم الى فارس ثم الى كرمان ليستريح هو ومن معه وقيل فى هزيمته غير ذلك وهو ان الحجاج كان قد بعث الى شبيب أميرا فقتله ثم أميرا فقتله أحدهما أعين صاحب حمام أعين ثم جاء شبيب حتى دخل الكوفة ومعه زوجته غزالة وكانت نذرت ان تصلى فى جامع الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران واتخذ فى عسكره اخصاصا فجمع الحجاج ليلا بعد ان اتى من شبيب الناس مالقوا فاستشارهم فى أمر شبيب فاطرقوا وفصل قتيبة من الصف فقال أتأذن لى فى الكلام قال نعم قال ان الامير ماراقب الله ولا أمير المؤمنين ولا نصح الرعية قال وكيف ذلك قال لانك تبعث الرجل الشريف وتبعث معه رعاعا فينهزمون ويستحيى ان ينهزم فيقتل قال فما الرأى قال الرأى أن تخرج اليه فتحاكمه قال فانظر لى معسكرا فخرج الناس يلعنون عنبسة بن سعيد لانه هو الذى كلم الحجاج فيه حتى جعله من صحابته وصلى الحجاج من الغد الصبح واجتمع الناس واقبل قتيبة وقد رأى معسكرا حسنا فدخل الى الحجاج ثم خرج ومعه لواء منشور وخرج الحجاج يتبعه حتى خرج الى السبخة وبها شبيب وذلك يوم الاربعاء فتواقفوا وقيل للحجاج لا تعرفه مكانك فاخفى مكانه وشبه له أبا الورد مولاه فنظر اليه شبيب فحمل عليه فضربه بعمود فقتله وحمل شبيب على خالد بن عتاب ومن معه وهو على ميسرة الحجاج فبلغ بهم الرحبة وحمل على مطر بن ناجية وهو على ميمنة الحجاج فكشفه فنزل عند ذلك الحجاج ونزل أصحابه وجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد فانهم على ذلك اذ تناول مصقلة بن مهلهل الضبى لجام شبيب وقال ماتقول فى صالح بن مسرح وبم تشهد عليه قال أعلى هذه الحالة قال نعم قال فبرئ من صالح فقال له مصقلة برئ الله منك وفارقه الا أربعين فارسا فقال الحجاج قد اختلفوا وأرسل الى خالد بن عتاب فاتى بهم فى عسكرهم فقاتلهم فقتلت غزالة ومر برأسها الى الحجاج مع فارس فعرفه شبيب فامر رجلا فحمل على الفارس فقتله وجاء بالرأس فامر به فغسل ثم دفنه ومضى القوم على حاميتهم ورجع خالد فاخبر الحجاج بانصرافهم فامر باتباعهم فاتبعوهم يحمل عليهم فرجع اليه ثمانية نفر فقاتلوه حتى بلغوا به الرحبة واتى شبيب بخوط بن عمير السدوسى فقال ياخوط لا حكم الا لله فقال ان خوطا من أصحابكم ولكنه كان يخاف فاطلقه وأتى بعمير بن القعقاع فقال ياعمير لا حكم الا لله فقال فى سبيل الله شبابى فردد عليه شبيب لا حكم الا لله فلم يفقه مايريد فقتله وقتل مصاد أخو شبيب وجعل شبيب ينتظر الثمانية الذين اتبعوا خالدا فابطؤا ولم يقدم أصحاب الحجاج على شبيب هيبة له وأتى الى شبيب أصحابه الثمانية فساروا واتبعهم خالد وقد دخلوا الى دير بناحية المدائن فحصرهم فيه فخرجوا عليه فهزموه نحو فرسخين فالقوا أنفسهم فى دجلة منهزمين وألقى خالد نفسه فيها بفرسه ولواؤه بيده فقال شبيب قاتله الله هذا أشد الناس فقيل هو خالد بن عتاب فقال يعرف فى الشجاعة ولو عرفته لاقتحمت خلفه ولو دخل النار ثم سار الى كرمان على ماتقدم ذكره وكتب الحجاج الى عبد الملك يستمده ويعرفه عجز أهل الكوفة عن قتال شبيب فسير سفيان بن الابرد فى جيش اليه

﴿ذكر هلاك شبيب﴾

وفى هذه السنة هلك شبيب وكان سبب ذلك ان الحجاج أنفق فى أصحاب سفيان بن الابرد مالا عظيما بعد ان عاد شبيب عن محاربتهم وقصد كرمان بشهرين وأمر سفيان وأصحابه بقصد شبيب فصار نحوه وكتب الحجاج الى الحكم بن أيوب زوج ابنته وهو عامله على البصرة يأمره ان يرسل

جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهامة وكانت منها كل ذات جمجمة ومافسراه له فى ذلك وكذلك خبر سطيح وعبد المسيح فى رؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وخبر علقمة وزوبعة وماكان من أمرهما وخبر شأن الظالم والسمرة وماكان بين عك وغسان من الحرب فى رقة اللبن وحلاوته وتخنه ونزل غسان أعلى الوادى وعك فى أسفله وماكان فى ذلك من القيافة بينهم فى طول الشمس وغروبها على اباهم وخبر السموأل بن حسان بن عادياء وماكان من أمره وأمر خازن الكاهن وماقاله حين طرقه ليلا وانقياده الى ذمته وماكان من العير الاقمر والظليم الاحمر والفرس الاشقر والجمل الاورق والشيخ الاسدى وغير ذلك مما ذكرناه فيما سلف من كتبنا فى أخبار الزمان والكتاب الاوسط والله أعلم

أربعة آلاف فارس من أهل البصرة الى سفيان فسيرهم مع زياد بن عمرو العتكى فلم يصل الى سفيان حتى التقى سفيان مع شبيب وكان شبيب قد أقام بكرمان فاستراح هو وأصحابه ثم أقبل راجعا فالتقى مع سفيان بجسر دجيل الاهواز فعبر شبيب الجسر الى سفيان فوجد سفيان قد نزل فى الرجال وجعل مهاصر بن سيف على الخيل وأقبل شبيب فى ثلاثة كراديس فاقتتلوا أشد قتال ورجع شبيب الى المكان الذى كان فيه ثم حمل عليهم هو وأصحابه أكثر من ثلاثين حملة ولا يزول أهل الشام وقال لهم سفيان لا تتفرقوا وليزحف الرجال اليهم زحفا فمازالوا يضاربونهم ويطاعنونهم حتى اضطروهم الى الجسر فلما انتهى شبيب الى الجسر نزل ونزل معه نحو مائة فقاتلوهم حتى المساء وأوقعوا بأهل الشام من الضرب والطعن مالم يروا مثله فلما رأى سفيان عجزه عنهم وخاف ان ينصروا عليه امر الرماة ان يرموهم وذلك عند المساء وكانوا ناحية فتقدموا ورموا شبيبا ساعة فحمل هو وأصحابه على الرماة فقتلوا منهم أكثر من ثلاثين رجلا ثم عطف على سفيان ومن معه فقاتلهم حتى اختلط الظلام ثم انصرف فقال سفيان لاصحابه لا تتبعوهم فلما انتهى شبيب الى الجسر قال لاصحابه اعبروا واذا أصبحنا باكرناهم ان شاء الله فعبروا أمامه وتخلف فى آخرهم وجاء ليعبر وهو على حصان وكانت بين يديه فرس أنثى فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الجسر تحته ونزل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط فى الماء فلما سقط قال ليقضى الله أمرا كان مفعولا وانغمس فى الماء ثم ارتفع وقال ذلك تقدير العزيز العليم وغرق وقيل فى قتله غير ذلك وهو انه كان مع جماعة من عشيرته ولم تكن لهم تلك البصيرة النافذة وكان قد قتل من عشائرهم رجالا فكان قد أوجع قلوبهم وكان منهم رجل اسمه مقاتل من بنى تيم بن شيبان فلما قتل شبيب من بنى تيم أغار هو على بنى مرة بن همام رهط شبيب فقتل منهم فقال له شبيب ما حملك على قتلهم بغير أمرى فقال له قتلت كفار قومى فقتلت كفار قومك ومن ديننا قتل من كان على غير رأينا وما أصبت من رهطى أكثر مما أصبت من رهطك ومايحل لك يا أمير المؤمنين ان تجد على قتل الكافرين قال لا أجد وكان معه أيضا رجال كثير قد قتل من عشائرهم فلما تخلف فى آخر الناس قال بعضهم لبعض هل لكم ان نقطع به الجسر فندرك ثارنا فقطعوا الجسر فمالت به السفن فنفر به الفرس فوقع فى الماء فغرق والاول أصح وأشهر وكان أهل الشام يريدون الانصراف فاتاهم صاحب الجسر فقال لسفيان ان رجلا منهم وقع فى الماء فنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ثم انهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد فكبر سفيان وكبر أصحابه وأقبل حتى انتهى الى الجسر وبعث الى العسكر واذا ليس فيه أحد واذا هو أكثر العساكر خيرا ثم استخرجوا شبيبا فشقوا جوفه وأخرجوا قلبه وكان صلبا كانه صخرة فكان يضرب به الصخرة فيثب عنها قامة الانسان قيل وكان شبيب ينعى الى أمه فيقال قتل فلا تقبل ذلك فلما قيل لها غرق صدقت ذلك وقالت انى رأيت حين ولدته انه خرج منى شهاب نار فعلمت أنه لا يطفئه الا الماء وكانت أمه جارية رومية قد اشتراها أبوه فاولدها شبيبا منه سنة خمس وعشرين يوم النحر وقالت انى رأيت فيما يرى النائم انه خرج من قبلى شهاب نار فذهب ساطعا فى السماء وبلغ الآفاق كلها فبينا هو كذلك اذ وقع فى ماء كثير فخبا وقد ولدته فى يومكم هذا الذى تهريقون فيه الدماء وقد أولت ذلك ان ولدى يكون صاحب دماء وان أمره سيعلو فيعظم سريعا وكان أبوه يختلف به الى اللصف أرض قومه وهو من بنى شيبان

﴿ذكر كرسنى العرب والعجم وشهورها وما اتفق منها وما اختلف﴾

(قال المسعودى) عدة الشهور عند العرب وسائر العجم اثنا عشر شهرا فلنذكر الآن سنى وشهور وأيام ما اشتهر أهله من جل الامم وهم العرب والفرس والروم والسريانيون والقبط اذ كان قول اليونانيين فى ذلك من حسابهم ومن تبعهم على ذلك من أهل الصين وكثير من الممالك والامم اذ كان فى ذلك خروج عما عليه الجمهور والمعهود بين الناس ونجعل المبتدأ بذكر سنى وشهور القبط لموافقتها السريانيين وموافقتها الشهور الروم ثم نعقب ذلك بذكر سنى العرب وشهورها وأيامها ولأية علة استحق عندها تسمية كل شهر منها وكل يوم وماقالته العرب فى تسمية الليالى وجمل من ذكر أفعال الشمس والقمر وتأثيرهما فى هذا العالم فى الجماد والنبات والحيوان وغير ذلك مما يقف عليه المتأمل عند قراءته ان شاء الله تعالى على مايريد والله تعالى ولى التوفيق

﴿ذكر خروج مطرف بن المغيرة بن شعبة﴾

قيل ان بني المغيرة بن شعبة كانوا اصلحاء أشرافا بأنفسهم مع شرف أبيهم ومنزلتهم من قومهم فلما قدم الحجاج ورآهم علم انهم رجال قومهم فاستعمل عروة على الكوفة ومطرفا على المدائن وحمزة على همذان وكانوا في أعمالهم أحسن الناس سيرة وأشدهم على المريب وكان مطرف على المدائن عند خروج شبيب وقربه منها كما سبق فكتب الى الحجاج يستمده فامده بسبرة بن عبد الرحمن بن مخنف وغيره وأقبل شبيب حتى نزل بهرسير وكان مطرف بالمدينة العتيقة وهي التي فيها ايوان كسرى فقطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب يطلب اليه ان يرسل بعض أصحابه لينظر فيما يدعون فبعث اليه عدة منهم فسألهم مطرف عما يدعون اليه فقالوا ندعو الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن الذي نقمنا من قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية فقال له مطرف ما دعوتم الا الى حق وما نقمتم الا جورا ظاهرا أنا لكم متابع فبايعوني على ما أدعوكم اليه ليجتمع أمري وأمركم فقالوا اذكره فان يكن حقا نجبك اليه قال أدعوكم الى ان نقاتل هؤلاء الظلمة على أحداثهم وندعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون هذا الامر شورى بين المسلمين يؤمرون من يرتضون على مثل هذه الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب فان العرب اذا علمت انما يراد بالشورى الرضا من قريش رضوا وكثر تبعكم وأعوانكم فقالوا هذا ما لا نجيبك اليه وقاموا من عنده وترددوا بينهم أربعة أيام فلم تجتمع كلمتهم فساروا من عنده وأحضر مطرف نصحاءه وثقاته فذكر لهم ظلم الحجاج وعبد الملك وانه ما زال يؤثر مخالفتهم ومناهضتهم وانه يرى ذلك دينا لو وجد عليه أعوانا وذكر لهم ما جرى بينه وبين أصحاب شبيب وانهم لو تابعوه على رأيه يخلع عبد الملك والحجاج واستشارهم فيما يفعل فقالوا له اخف هذا الكلام ولا تظهره لاحد فقال له يزيد بن أبي زياد مولى أبيه المغيرة بن شعبة والله لا يخفى على الحجاج مما كان بينك وبينهم كلمة واحدة وليزادن على كل كلمة عشر أمثالها ولو كنت في السحاب لالتمسك الحجاج حتى يهلكك فالنجاء النجاء فوافقه أصحابه على ذلك فسار عن المدائن نحو الجبال فلقيه قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي بدير يزدجرد فأحسن اليه وأعطاه نفقة وكسوة فصحبه ثم عاد عنه ثم ذكر مطرف لاصحابه بالدسكرة ما عزم عليه ودعاهم اليه وكان رأيه خلع عبد الملك والحجاج والدعاء الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون الامر شورى بين المسلمين يرتضون لانفسهم من أحبوه فبايعه البعض على ذلك ورجع عنه البعض وكان ممن رجع عنه سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف فجاء الى الحجاج وقاتل شبيبا مع أهل الشام وسار مطرف نحو حلوان وكان بها سويد بن عبد الرحمن السعدي من قبل الحجاج فاراد هو والاكراد منعه ليعذر عند الحجاج فجازه مطرف بمواطأة منه وأوقع مطرف بالاكراد فقتل منهم وسار فلما دنا من همذان وبها أخوه حمزة بن المغيرة تركها ذات اليسار وقصد ماه دينار وأرسل الى أخيه حمزة يستمده بالمال والسلاح فارسل اليه سرا ما طلب وسار مطرف حتى بلغ قم وقاشان وبعث عماله على تلك النواحي وأتاه الناس وكان ممن أتاه سويد بن سرحان الثقفي وبكير بن هرون النخعي من الري في نحو مائة رجل وكتب البراء بن قبيصة وهو عامل الحجاج على أصبهان اليه يعرفه حال مطرف ويستمده فأمده بالرجال بعد الرجال على دواب البريد وكتب الحجاج الى عدي بن زياد عامل الري يأمره بقصد مطرف وان يجتمع هو والبراء على محاربته فسار عدي من الري فاجتمع هو والبراء

﴿ذكر شهور القبط والسريانيين والخلاف في أسمائها من التاريخ﴾

أول شهور القبط توت وهو أيلول وبابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثاني وكيهك وهو كانون الاول وطوبه وهو كانون الثاني وامشير وهو شباط وبرمهات وهو اذار وبرموده وهو نيسان وبشنس وهو ايار وبؤنة وهو حزيران وأبيب وهو تموز ومسرى وهو آب وللقبط بعد هذا خمسة أيام لواحق تدعى العمائر تزيدها على ما سمينا من شهورها وهي ثلثمائة يوم وستون يوما فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وأول يوم من السنة عند القبط هو اليوم التاسع والعشرون من آب وعدة كل شهر منها ثلاثون يوما وكانت أيام السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما بعدد أيام سنة الفرس وكانت شهور القبط فيما مضى توافق أوائلها شهور الفرس وكان أول يوم أول آزرماه ثم كل شهر كذلك على هذا

ابن قبيصة وكان عدي هو الامير فاجتمعوا في نحو ستة آلاف مقاتل وكان حمزة بن المغيرة قد ارسل الى الحجاج يعتذر فاظهر قبول عذره وأراد عزله وخاف ان يمتنع عليه فكتب الى قيس بن سعد العجلي وهو على شرطة حمزة بهمذان بعهده على همذان ويأمره ان يقبض على حمزة بن المغيرة وكان بهمذان من عجل وربيعة جمع كثير فسار قيس بن سعد الى حمزة في جماعة من عشيرته فاقرأه العهد بولاية همذان وكتاب الحجاج بالقبض عليه وقال سمعا وطاعة فقبض قيس على حمزة وجعله في السجن وتولى قيس همذان وتفرغ قلب الحجاج من هذه الناحية لقتال مطرف وكان يخاف مكان حمزة بهمذان لئلا يمد اخاه بالمال والسلاح ولعله ينجده بالرجال فلما قبض عليه سكن قلبه وتفرغ باله ولما اجتمع عدي بن زياد الايادي والبراء بن قبيصة سار وانحو مطرف فخندق عليه فلما دنوا منه اصطفوا للحرب واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم اصحاب مطرف وقتل مطرف وجماعة كثيرة من اصحابه قتله عمير بن هبيرة الفزاري وحمل رأسه فتقدم بذلك عند بني امية وقاتل ابن هبيرة ذلك اليوم وابلى بلاء حسنا وقتل يزيد بن ابي زياد مولى المغيرة وكان صاحب راية مطرف وقتل من أصحابه عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الازدي وكان ناسكا صالحا وبعث عدي بن زياد الى الحجاج اهل البلاء فاكرمهم واحسن اليهم وامن عدي بكير بن هرون وسويد بن سرحان وغيرهما وطلب منه الامان للحجاج بن جارية الخثعمي فبعث اليهم كتاب الحجاج يأمرهم بارساله اليه فان كان حيا فاختفى ابن جارية حتى عزل عدي ثم ظهر في امارة خالد بن عتاب بن ورقاء وكان الحجاج يقول ان مطرفا ليس بولد للمغيرة بن شعبة انما هو ولد مصقلة بن سبرة الشيباني وكان مصقلة والمغيرة يدعيانه فالحق بالمغيرة وجلد مصقلة الحد فلما أظهر رأي الخوارج قال الحجاج ذلك لان كثيرا من ربيعة كانوا من خوارج ولم يكن منهم أحد من قيس عيلان

﴿ذكر الاختلاف بين الازارقة﴾

قد ذكرنا مسير المهلب الى الازارقة ومحاربتهم الى ان فارقه عتاب بن ورقاء الرياحي ورجع الى الحجاج وأقام المهلب بعد مسير عتاب عنه يقاتل الخوارج فقاتلهم على سابور نحو سنة قتالا شديدا ثم انه زاحفهم يوم البستان فقاتلوهم أشد قتال وكانت كرمان بيد الخوارج وفارس بيد المهلب فضاق على الخوارج مكانهم لا يأتيهم من فارس مادة فخرجوا حتى أتوا كرمان وتبعهم المهلب بالعساكر حتى نزل بجيرفت وهي مدينة كرمان فقاتلهم قتالا شديدا فلما صارت فارس كلها في يد المهلب ارسل الحجاج العمال عليها فكتب اليه عبد الملك يأمره ان يترك بيد المهلب فسا ودارابجرد وكورة اصطخر تكون له معونة على الحرب فتركها له وبعث الحجاج الى المهلب البراء بن قبيصة ليحثه على قتال الخوارج ويأمره بالجد وانه لا عذر له عنده فخرج المهلب بالعساكر فقاتل الخوارج من صلاة الغداة الى الظهر ثم انصرفوا والبراء على مكان عال يراهم فجاء الى المهلب فقال ما رأيت كتيبة ولا فرسانا اصبر ولا أشد من الفرسان الذين يقاتلونك ثم ان المهلب رجع العصر فقاتلهم كقتالهم أول مرة لا يصد كتيبة عن كتيبة وخرجت كتيبة من كتائب الخوارج لكتيبة من أصحاب المهلب فاشتد بينهم القتال الى ان حجز بينهم الليل فقالت احداهما للاخرى من أنتم فقال هؤلاء نحن من بني تميم وقال هؤلاء نحن من بني تميم وانصرفوا عند المساء فقال المهلب للبراء بن قبيصة كيف رأيت قوما ما يعينك عليهم الا الله جل ثناؤه فاحسن المهلب الى البراء وأمر له بعشرة آلاف درهم وانصرف البراء الى الحجاج وعرفه عذر المهلب ثم ان المهلب قاتلهم ثمانية عشر شهرا لا يقدر منهم على شيء ثم ان عاملا لقطري على ناحية كرمان يدعى المقعطر الضبي قتل رجلا

الوصف الى آخر سنة القبط آخر آذرماه وهذا الحساب بعينه موجود في كتب الزيجات في النجوم وأهل مصر وسائر القبط في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يستعملون في حسابهم في الشهور غير ما قدمنا وذلك انهم زادوا في أيام السنة ربع يوم على مذهب اليونانيين والروم فصارت شهورهم مخالفة لشهور الفرس وموافقة لشهور السريانيين والروم في عدد أيام السنة التي ملك فيها بختنصر وكان أولها يوم الاربعاء وأما تاريخ القبط في كتاب زيج بطليموس فمن أول سنة ملك فيلفوس وكان أولها يوم الاحد والذي بين تاريخ بختنصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلثمائة وتسع وستون سنة فارسية وثلاثة أشهر والذي بين تاريخ فيلفوس وتاريخ يزدجرد تسعمائة واثنتان وأربعون سنة من سني الروم ومائتين وتسعة وخمسون يوما وبين تاريخ يزدجرد وتاريخ الهجرة من الايام الف وستمائة وأربعة وعشرون يوما فأول هذه التواريخ تاريخ بختنصر ثم تاريخ فيلفوس ثم تاريخ يزدجرد

منهم فوثبت الخوارج الى قطرى وطلبوا منه ان يقيدهم من المقعطر فلم يفعل وقال انه تأول فاخطأ التأويل ما أرى ان تقتلوه وهو من ذوى السابقة فيكم فوقع بينهم الاختلاف وقيل كان سبب اختلافهم ان رجلا كان فى عسكرهم يعمل النصول المسمومة فيرمى بها أصحاب المهلب فشكا أصحابه منها فقال اكفيكموه فوجه رجلا من أصحابه ومعه كتاب وأمره ان يلقيه فى عسكر قطرى ولا يراه أحد ففعل ذلك ووقع الكتاب الى قطرى فرأى فيه اما بعد فان نصالك وصلت وقد انفذت اليك ألف درهم فاحضر الصانع فسأله فجحد فقتله قطرى فانكر عليه عبد ربه الكبير قتله واختلفوا ثم وضع المهلب رجلا نصرانيا وأمره ان يقصد قطريا ويسجد له ففعل ذلك فقال له الخوارج ان هذا قد اتخذك الها ووثب بعضهم الى النصرانى فقتله فزاد اختلافهم وفارق بعضهم قطريا ثم ولوا عبد ربه الكبير وخلعوا قطريا وبقى مع قطرى منهم نحو من ربعهم أو خمسهم واقتتلوا فيما بينهم نحوا من أشهر وكتب المهلب الى الحجاج بذلك فكتب اليه الحجاج يأمره ان يقاتلهم على حال اختلافهم قبل ان يجتمعوا فكتب اليه المهلب انى لست ارى ان أقاتلهم مادام يقتل بعضهم بعضا فان تموا على ذلك فهو الذى نريد وفيه هلاكهم وان اجتمعوا لم يجتمعوا الا وقد رقق بعضهم بعضا فاناهضهم حينئذ وهو أهون ما كانوا وأضعفه شوكة ان شاء الله تعالى والسلام فسكت عنه الحجاج وتركهم المهلب يقتتلون شهرا لايحركهم ثم ان قطريا خرج بمن اتبعه نحو طبرستان وبايع الباقون عبد ربه الكبير

❁﴿ ذكر مقتل عبد ربه الكبير ﴾❁

لما سار قطرى الى طبرستان واقام عبد ربه الكبير بكرمان نهض اليهم المهلب فقاتلوه قتالا شديدا وحصرهم بجيرفت وكر رقتالهم وهو لا ينال منهم حاجته ثم ان الخوارج طال عليهم الحصار فخرجوا من جيرفت باموالهم وحرمهم فقاتلهم المهلب قتالا شديدا حتى عقرت الخيل وتكسرت السلاح وقتل الفرسان فتركهم فساروا ودخل المهلب جيرفت ثم سار يتبعهم الى ان لحقهم على اربعة فراسخ من جيرفت فقاتلهم من بكرة الى نصف النهار وكف عنهم وأقام عليهم ثم ان عبد ربه جمع اصحابه وقال يامعشر المهاجرين ان قطريا ومن معه هربوا طلب البقاء ولا سبيل اليه فالقوا عدوكم وهبوا انفسكم لله ثم عاد للقتال فاقتتلوا قتالا شديدا انساهم ماقبله فبايع جماعة من اصحاب المهلب على الموت ثم ترجلت الخوارج وعقروا دوابهم واشتد القتال وعظم الخطب حتى قال المهلب مامر بى مثل هذا ثم ان الله تعالى انزل نصره على المهلب واصحابه وهزم الخوارج وكثر القتلى فيهم وكان فيمن قتل عبد ربه الكبير وكان عدد القتلى اربعة آلاف قتيل ولم ينج منهم الا القليل واخذ عسكرهم ومافيه وسبوا لانهم كانوا يسبون نساء المسلمين وقال الطفيل بن عامر بن واثلة يذكر قتل عبد ربه الكبير وأصحابه

لقد مس مناعبدرب وجنده ❊ عقاب فامسى سبيهم فى المقاسم
سما لهم بالجيش حتى أزاحهم ❊ بكرمان عن مثوى من الارض ناعم
وما قطرى الكفر الا نعامة ❊ طريد يدوى ليله غير نائم
اذا فر منا هاربا كان وجهه ❊ طريقا سوى قصد الهدى والمعالم
فليس بمنجيه الفرار وان جرت ❊ به الفلك فى لج من البحر دائم

وهى اكثر من هذا تركناه الشهرتها واحسن الحجاج الى اهل البلاء وزادهم وسير المهلب الى الحجاج مبشرا فلما دخل عليه أخبره عن الجيش وعن الخوارج وذكر حروبهم واخبره عن بنى

وتاريخ العرب من اوّل السنة التى هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وكان اوّلها يوم الخميس وتاريخ الفرس من أوّل السنة التى ملك فيها يزدجرد بن شهرباز بن كسرى بن ابرويز وكان أوّلها يوم الثلاثاء وتاريخ الروم والسريانيين من أوّل السنة من ملك الاسكندر وكان أوّلها يوم الاثنين والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك

❁﴿ ذكر شهور السريانيين ووصف موافقتها لشهور العرب وعدة أيام السنة ومعرفة الانواء ﴾❁

فاوّل ذلك ان أيام السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وهى مختلفة فى العدد فنيسان ثلاثون يوما وايار احد وثلاثون يوما وحزيران ثلاثون يوما ولثمان عشرة ليلة منه رجوع الشمس هابطة من السماء على ما أوجبه حساب الهند وهو أطول يوم فى السنة وأقصر ليلة وتموز احد وثلاثون يوما وآب احد وثلاثون يوما فاذا انسلخ ذهب الحر قال محمد بن عبد الملك الزيات

برد الماء وطال الـ
ـليل والتذ الشراب
ومضى عنك حزيرا

المهلب فقال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة ولا يستحى الشجاع ان يفر من مدركه وعبد الملك سم ناقع وحبيب موت زعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة قال فايهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفها فاستحسن قوله وكتب الى المهلب يشكره ويأمره ان يولى كرمان من يثق اليه ويجعل فيها من يحميها ويقدم اليه فاستعمل على كرمان يزيد ابنه وسار الى الحجاج فلما قدم عليه أكرمه واجلسه الى جانبه وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال له أنت كما قال لقيط بن يعمر الايادى فى صفة امراء الجيوش

وقلدوا أمركم لله دركم ❊ رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده ❊ ولا اذا عض مكروه به خشعا
مسهد النوم تعنيه ثغوركم ❊ يروم منها الى الاعداء مطلعا
ما انفك يحلب هذا الدهر اشطره ❊ يكون متبعا طورا ومتبعا
وليس يشغله مال يثمره ❊ عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا
حتى استمرت على شزر مريرته ❊ مستحكم السن لا قحما ولا ضرعا

وهى قصيدة طويلة هذا هو الاجود منها

❁﴿ ذكر قتل قطرى بن الفجاءة وعبيدة بن هلال ﴾❁

قيل وفى هذه السنة كانت هلكة قطرى وعبيدة بن هلال ومن معهم من الازارقة وكان السبب فى ذلك ان أمرهم لما تشتت بالاختلاف الذى ذكرنا وسار قطرى نحو طبرستان وبلغ خبره الحجاج سير اليه سفيان بن الابرد فى جيش عظيم وسار سفيان واجتمع معه اسحق بن محمد بن الاشعث فى جيش لاهل الكوفة بطبرستان فاقبلا فى طلب قطرى فلحقوه فى شعب من شعاب طبرستان فقاتلوه فتفرق عنه أصحابه ووقع عن دابته فتدهده الى أسفل الشعب واتاه علج من أهل البلد فقال له قطرى اسقنى الماء فقال العلج اعطنى شيأ فقال مامعى الا سلاحى وانا اعطيك اذا اتيتنى بالماء فانطلق العلج حتى اشرف على قطرى ثم حدر عليه حجرا من فوقه فاصاب وركه فأوهنه فصاح بالناس فاقبلوا نحوه ولم يعرفه العلج غير انه يظن انه من أشرافهم لكمال سلاحه وحسن هيئته فجاء اليه نفر من أهل الكوفة فقتلوه منهم سورة بن الحر التميمى وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف والصباح بن محمد بن الاشعث وباذان مولاهم وعمر بن أبى الصلت وكل هولاء ادعى قتله فجاء اليهم أبو الجهم بن كنانة فقال لهم ادفعوا رأسه الى حتى تصطلحوا فدفعوه اليه فاقبل به الى اسحق بن محمد وهو على الكوفة فارسله معه الى سفيان فسير سفيان الرأس مع ابى الجهم الى الحجاج فسيره الحجاج الى عبد الملك فجعل عطاءه فى الفين ثم ان سفيان سار اليهم فاحاط بهم ثم امر مناديه فنادى من قتل صاحبه وجاء الينا فهو آمن فقال عبيدة بن هلال فى ذلك

لعمرى لقد قام الاصم بخطبة ❊ لذى الشك منها فى الصدور غليل
لعمرى لئن اعطيت سفيان بيعتى ❊ وفارقت دينى اننى لجهول
الى الله اشكو مانرى بجيادنا ❊ تساوك هزلى مخهن قليل
تعاورها القذاف من كل جانب ❊ بقومس حتى صعبهن ذلول
فان يك افناها الحصار فربما ❊ تشحط فيما بينهن قتيل
وقد كن مما ان يقدن على الوجى ❊ لهن بابواب القباب صهيل

وحصرهم سفيان حتى أكلوا دوابهم ثم خرجوا اليه فقاتلوه فقتلهم وبعث برؤسهم الى الحجاج

ن وتموز وآب وايلول ثلاثون يوما ولخمس منه عيد زكريا ولعشر منه تطلع الصرفة فينصرف الحر ولثلاث عشرة منه عيد الصليب وهو اليوم الرابع عشر منه وفى هذا اليوم تفتح الترع بمصر على حسب ماذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ولتمام عشرين منه يستوى الليل والنهار وقال أبو نواس

مضى ايلول وارتفع الحرور
وأذكت نارها الشعرى العبور

وتشرين الاوّل أحد وثلاثون يوما وفيه يكون المهرجان وبين النيروز والمهرجان مائة وتسعة وستون يوما وعند الفرس فى معنى المهرجان انه كان لهم ملك فى قديم الزمان من ملوك الفرس قد خص ظلمه خواص الناس وعوامهم وكان يسمى مهر وكانت الشهور تسمى باسماء الملوك فقيل مهرماه ومعنى ماه هو الشهر وأن ذلك الملك طال أمره واشتدت وطأته فمات فى النصف من هذا الشهر وهو مهرماه فسمى ذلك اليوم الذى مات فيه مهرجان وتفسيره نفس مهر ذهبت لان الفرس تقدم فى لغتها ماتؤخر العرب

ثم دخل سفيان دنباوند وطبرستان فكان هنالك حتى عزله الحجاج قبل الجماجم وقال بعض العلماء انقرضت الازارقة بعد مقتل قطرى وعبيدة انما كانوا دفعة متصلة أهل عسكر واحد وأول رؤسائهم نافع بن الازرق وآخرهم قطرى وعبيدة واتصل أمرهم بضعاً وعشرين سنة الا انى أشك فى صبيح المازنى التميمى مولى سوار بن الاشعر الخارج أيام هشام قيل هو من الازارقة أو الصفرية الا انه لم تطل أيامه بل قتل عقيب خروجه

﴿ ذكر قتل بكير بن وساج ﴾

فى هذه السنة قتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بكير بن وساج وكان سبب ذلك ان أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان أمر بكيرا بالتجهيز لغزو ماوراء النهر وقد كان قبل ذلك ولاه طخارستان فتجهز له فوشى به بحير بن ورقاء الى أمية فمنعه عنها فلما أمره بغزو ماوراء النهر تجهز وانفق نفقة كثيرة وادان فيها فقال بحير لامية ان صار بينك وبينه النهر خلع الخليفة فارسل اليه أمية ان أقم لعلى أغزو فتكون معى فغضب بكير وقال كانه يضارنى وكان عتاب اللقوة الغدانى استدان ليخرج مع بكير فاخذه غرماؤه فحبس حتى أدى عنه بكير ثم ان أمية تجهز للغزو الى بخارا ثم يعود منها الى موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ وتجهز الناس معه وفيهم بكير وسار وا فلما بلغوا النهر وأرادوا قطعه قال أمية لبكير انى قد استخلفت ابنى على خراسان وأخاف انه لا يضبطها لانه غلام حدث فارجع الى مرو فاكفنيها فانى قد وليتكها فاقم بامر ابنى فانتخب بكير فرسانا كان عرفهم ووثق بهم ورجع ومضى أمية الى بخارا للغزاة فقال عتاب اللقوة لبكير انا طلبنا أميرا من قريش فجاءنا أمير يلعب بنا ويحولنا من سجن الى سجن وانى أرى ان تحرق هذه السفن وتمضى الى مرو وتخلع أمية وتقيم بمرو وتأكلها الى يوم ما ووافقه الاحنف بن عبد الله العنبرى على هذا قال بكير أخاف ان يهلك هؤلاء الفرسان الذين معى قال ان هلك هؤلاء فأنا آتيك من أهل مرو بما شئت قال يهلك المسلمون قال انما يكفيك ان ينادى مناد من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفا أسمع من هؤلاء وأطوع قال فيهلك أمية ومن معه قال ولم يهلكون ولهم عدد وعدة ونجدة وسلاح ظاهر ليقاتلون عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين فحرق بكير السفن ورجع الى مرو فاخذ ابن أمية فحبسه وخلع أمية وبلغ أمية الخبر فصالح أهل بخارا على فدية قليلة ورجع وأمر باتخاذ السفن وعبر وذكر للناس احسانه الى بكير مرة بعد أخرى وانه كافأه بالعصيان وسار الى مرو وأتاه موسى بن عبد الله بن خازم وأرسل أمية شماس بن دثار فى ثمانمائة فسار اليه بكير وبيته فهزمه وامر اصحابه ان لا يقتلوا منهم أحدا فكانوا يأخذون سلاحهم ويطلقونهم وقدم أمية فتلقاه شماس فقدم أمية ثابت بن قطبة فلقيه بكير فاسر ثابتا وفرق جمعه ثم أطلقه ليد كانت لثابت عنده واقبل أمية وقاتله بكير فانكشف يوما أصحابه فحماهم بكير ثم التقوا يوما آخر فاقتتلوا قتالا شديدا ثم التقوا يوما آخر فضرب بكير ثابت بن قطبة على رأسه فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير فانحاز بكير وانكشف أصحابه واتبع حريث بكيرا حتى بلغ القنطرة وناداه الى أين يا بكير فرجع فضربه حريث على رأسه فقطع المغفر وعض السيف رأسه فصرع واحتمله أصحابه فادخلوه المدينة وكانوا يقاتلونهم فكان أصحاب بكير يغدون فى الثياب المصبغة من أحمر وأصفر فيجلسون يتحدثون وينادى مناديهم من رمى بسهم رمينا اليه براس رجل من ولده واهله فلا يرميهم احد وخاف بكير ان طال الحصار ان يخذله الناس فطلب الصلح واحب ذلك أيضا أصحاب أمية فاصطلحوا على ان يقضى أمية عنه أربعمائة ألف

فى كلامها وهذه اللغة الفهلوية وهى الفارسية الاولى وأهل المروآت بالعراق وغيرها من مدن العجم يجعلون هذا اليوم اول يوم من الشتاء فتغير فيه الفرش والآلات وكثيرا من الملابس ولخمس منه وهو تشرين الاول عيد كنيسة القمامة ببيت المقدس وفى هذا اليوم تجتمع النصارى من سائر الارض وتنزل عليهم نار من السماء فيسرج هنالك الشمع ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر الى العيد ويقتلع فيه ورق الزيتون ويكون للنصارى فيه أقاصيص ولهذه النار حيلة لطيفة وسر عظيم وقد ذكرنا وجه الحيلة فى ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب وتشرين الثانى ثلاثون يوما وكانون الاول أحد وثلاثون يوما ولسبع عشرة منه يكون النهار تسع ساعات وربما وهو منتهى قصره والليل أربع عشرة ساعة ونصف وربما وهو منتهى طوله وليلة الخامس والعشرين منه ميلاد المسيح عليه السلام وكانون الثانى أحد وثلاثون يوما واول يوم منه الغطاس فيكون فيه بالشأم لاهله عيد يوقدون فى ليلته النيران ويظهرون الافراح لاسيما

ويصل أصحابه ويوليه أى كور خراسان شاء ولا يسمع قول بحير فيه وان رابه ريب فهو آمن أربعين يوما ودخل أمية مدينة مرو ووفى لبكير وعاد الى ما كان من اكرامه واعطى أمية عتابا عشرين ألفا وقد قيل ان بكيرا لم يصحب أمية الى النهر بل كان أمية قد استخلفه على مرو فلما سار أمية وعبر النهر خلعه فجرى الامر بينهما على ما ذكرناه وكان أمية سهلا لينا سخيا وكان مع ذلك ثقيلا على أهل خراسان وكان فيه زهو شديد وكان يقول ما تكفينى خراسان لمطبخى وعزل أمية بحيرا عن شرطته وولاها عطاء بن أبى السائب وطالب أمية الناس بالخراج واشتد عليهم وكان يوما بكير فى المسجد وعنده الناس فذكروا شدة أمية وذموه وبحير وضرار بن حصين وعبد الله بن جارية ابن قدامة فى المسجد فنقل بحير ذلك الى أمية فكذبه فادعى شهادة هؤلاء فشهد مزاحم بن أبى المجشر السلمى انه كان يمزح فتركه أمية ثم ان بحيرا أتى أمية وقال له والله ان بكيرا قد دعانى الى خلعك وقال لولا مكانك لقتلت هذا القرشى وأكلت خراسان فلم يصدقه أمية فاستشهد جماعة ذكر بكير انهم اعداؤه فقبض أمية على بكير وعلى بدل وشمردل ابنى أخيه ثم أمر أمية بعض رؤساء من معه بقتل بكير فامتنعوا فامر بحيرا بقتله فقتله وقتل أمية ابنى أخى بكير

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة عبر أمية نهر بلخ للغزو فحوصر حتى جهد هو وأصحابه ثم نجوا بعد ما أشرفوا على الهلاك ورجعوا الى مرو وحج هذه السنة بالناس أبان بن عثمان وهو أمير المدينة وكان على الكوفة والبصرة الحجاج وعلى خراسان أمية وغزا هذه السنة الصائفة الوليد بن عبد الملك وفيها مات جابر بن عبد الله بن عمرو الانصارى

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ﴾

﴿ ذكر عزل أمية بن عبد الله وولاية المهلب خراسان ﴾

فى هذه السنة عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله بن خالد عن خراسان وسجستان وضمهما الى أعمال الحجاج بن يوسف ففرق عماله فيهما فبعث المهلب بن أبى صفرة على خراسان وقد فرغ من الازارقة ثم قدم على الحجاج وهو بالبصرة فاجلسه معه على السرير ودعا أصحاب البلاء من أصحاب المهلب فاحسن اليهم وزادهم وبعث عبيد الله بن أبى بكرة على سجستان وكان الحجاج قد استخلف على الكوفة عند مسيره الى البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبى عقيل فلما استعمل المهلب على خراسان سير ابنه حبيبا اليها فلما ودع الحجاج أعطاه بغلة خضراء فسار عليها وأصحابه على البريد فسار عشرين يوما حتى وصل خراسان فلما دخل باب مرو لقيه حمل حطب فنفرت البغلة فعجبوا من نفارها بعد ذلك التعب وشدة السير فلما وصل خراسان لم يعرض لامية ولا لعماله وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة تسع وسبعين

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

حج بالناس هذه السنة أبان بن عثمان وكان أمير المدينة وكان أمير الكوفة والبصرة وخراسان وسجستان وكرمان الحجاج بن يوسف وكان نائبه بخراسان المهلب وبسجستان عبيد الله بن أبى بكرة وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس فيما قيل وفى هذه السنة مات عبد الرحمن بن عبد الله القارى وله ثمان وسبعون سنة ومسح النبى صلى الله عليه وسلم برأسه (القارى بالياء المشددة) وفيها مات زيد بن خالد الجهنى وقيل غير ذلك وتوفى عبد الرحمن بن غنم الاشعرى ادرك الجاهلية وليست له صحبة

بمدينة انطاكية ومايكون فى كنيسة القسيان بها من القداس عندهم وكذلك لسائر الشام وبيت المقدس ولمصر وأرض النصرانية كلها ومايظهر أهل دين النصرانية بانطاكية من الفرح والسرور وايقاد النيران والمآكل والمشارب وتساعدهم على ذلك عوام الناس وكثير من خواصهم وذلك أن مدينة انطاكية بها كرسى البطرك المعظم عندها فى دياناتها وأن النصرانية تسمى انطاكية مدينة الله ويسمونها أيضا مدينة الملك وأم المدن لانه بدو ظهور النصرانية كان فيها (والبطارقة عند النصرانية أربعة) اولهم صاحب مدينة رومية ثم الثانى وهو صاحب مدينة قسطنطينية وهى أفسس واسمها القديم بورنطيا ثم الثالث وهو صاحب الاسكندرية من أرض مصر ثم الرابع وهو صاحب انطاكية ورومية وانطاكية لبيطرس فبدؤا برومية لانها لبيطرس ثم ختموا بانطاكية لانها له تعظيما وقد أحدثوا كرسيا ببيت المقدس ولم يكن هذا متقدما وانما هو محدث وكان

﴿ثم دخلت سنة تسع وسبعين﴾

﴿ذكر غزو عبيد الله بن ابى بكرة رتبيل﴾

لما ولى الحجاج عبيد الله بن ابى بكرة سجستان وذلك سنة ثمان وسبعين مكث سنة لم يغزو كان رتبيل مصالحا وكان يؤدى الخراج وربما امتنع منه فبعث الحجاج الى عبيد الله بن أبى بكرة يأمره بمناجزته وان لا يرجع حتى يستبيح بلاده ويهدم قلاعه ويقيد رجاله فسار عبيد الله فى اهل البصرة واهل الكوفة وكان على اهل الكوفة شريح بن هانئ وكان من اصحاب على ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل فاصاب من الغنائم ماشاء وهدم حصونا وغلب على ارض من اراضيهم واصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم ارضا بعد ارض حتى امعنوا فى بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فاخذوا على المسلمين العقاب والشعاب فسقط فى ايدى المسلمين فظنوا ان قد هلكوا فصالحهم عبيد الله على سبعمائة الف درهم يوصلها الى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من ارضه فلقيه شريح فقال له انكم لا تصالحون على شئ الا حسبه السلطان من اعطياتكم وقد بلغت من العمر طويلا وقد كنت اطلب الشهادة منذ زمان وان فاتتنى اليوم الشهادة ما ادركها حتى أموت ثم قال شريح يا أهل الاسلام تعاونوا على عدوكم فقال له ابن أبى بكرة انك شيخ قد خرفت فقال له شريح انما حسبك ان يقال بستان عبيد الله وحمام عبيد الله يا أهل الاسلام من أراد منكم الشهادة فالى فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا الا قليلا وجعل شريح يرتجز ويقول

أصبحت ذابث أقاسى الكبرا * قد عشت بين المشركين اعصرا
ثمة أدركنا النبى المنذرا * وبعده صديقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تسترا * والجمع فى صفينهم والنهرا
وباجميرات مع المشقرا * هيهات ما أطول هذا عمرا

وقاتل حتى قتل فى ناس من أصحابه ونجا من نجا منهم فخرجوا من بلاد رتبيل فاستقبلهم الناس بالاطعمة فكان أحدهم اذا أكل وشبع مات فحذر الناس وجعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا حتى استمروا وبلغ ذلك الحجاج فكتب الى عبد الملك يعرفه ذلك ويخبره انه قد جهز من أهل الكوفة وأهل البصرة جيشا كثيفا ويستأذنه فى ارساله الى بلاد رتبيل

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أصاب أهل الشام طاعون شديد حتى كادوا يفنون فلم يغز تلك السنة أحد فيما قيل وفيها أصاب أهل الروم أهل انطاكية وظفروا بهم وفيها استعفى شريح بن الحرث عن القضاء فاعفاه الحجاج واستعمل على القضاء ابا بردة بن أبى موسى وحج بالناس فى هذه السنة أبان ابن عثمان وكان على المدينة وكان على العراق والشرق كله الحجاج بن يوسف وكان على قضاء البصرة موسى بن انس وفيها مات محمود بن الربيع وكنيته ابو ابراهيم وولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود

﴿ثم دخلت سنة ثمانين﴾

فى هذه السنة اتى سيل بمكة فذهب بالحجاج وكان يحمل الابل عليها الاحمال والرجال مالاحد فيه حيلة وغرقت بيوت مكة وبلغ السيل الركن فسمى ذلك العام الجحاف وفى هذه السنة وقع

لايليا وهو بيت المقدس اسقف (وبانطاكية) أيضا كنيسة أخرى تدعى استوست وبها عيد عظيم للنصرانية وكذلك كنيسة مزوره هى كنيسة مزوره وبنيانها من احدى عجائب العالم فى التشييد والرفعة وكان الوليد بن عبد الملك ابن مروان اقتلع من هذه الكنيسة عمدا عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق وبقى الاكثر من هذه الكنيسة الى هذا الوقت (وقد كان للملك) من ملوك الروم بانطاكية خبر عجيب فى كنيسة استوست وكانت خارج السور من انطاكية وهى فى أيدى اليهود فعوضت اليهود دار الملك بانطاكية بدلا من كنيسة استوست وهذه الدار التى كانت دار الملك بانطاكية تعرف بدار اليهود ولليهود حيلة احتالوها حين خرجت الكنيسة من أيديهم حتى قتلوا من النصرانية خلقا عظيما من نشر خشب فيها وغير ذلك وقدمنا أخبار بطرس وبولص وما كان من أمرهما بمدينة رومية وغيرهما من تلاميذ المسيح وتفرقهم فى البلاد وذكرنا قصة الملك الذى بنى مدينة انطاكية وهو

بالبصرة طاعون الجارف

﴿ذكر غزوة المهلب ماوراء النهر﴾

فى هذه السنة قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كش وكان على مقدمته أبو الادهم الزمانى فى ثلاثة آلاف وهو فى خمسة آلاف وكان أبو الادهم يغنى غناء ألفين فى البأس والتدبير والنصيحة فاتى المهلب وهو نازل على كش ابن عم ملك الختل فدعاه الى غزو الختل فوجه معه ابنه يزيد وكان اسم ملك الختل الشبل فنزل يزيد ونزل ابن عم الملك ناحية فبيته الشبل وأخذه فقتله وحصر يزيد قلعة الشبل فصالحوه على فدية حملت اليه ورجع يزيد عنهم ووجه المهلب ابنه حبيبا فوافى صاحب بخارا فى أربعين ألفا فنزل جماعة من العدو قرية فسار اليهم حبيب فى أربعة آلاف فقتلهم وأحرق القرية فسميت المحترقة ورجع حبيب الى أبيه وأقام المهلب بكش سنتين فقيل له لو تقدمت الى ماوراء ذلك فقال ليت حظى من هذه الغزاة سلامة هذا الجند وعودهم سالمين ولما كان المهلب بكش اتاهم قوم من مضر فحبسهم بها فلما رجع أطلقهم فكتب اليه الحجاج ان كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت باطلاقهم وان كنت أصبت باطلاقهم فقد ظلمتهم اذ حبستهم فكتب المهلب خفتهم فحبستهم فلما أمنتهم خليتهم وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبى شيخ القشيرى وصالح المهلب أهل كش على فدية يأخذها منهم وأتاه كتاب ابن الاشعث بخلع الحجاج ويدعوه الى مساعدته فبعث بكتابه الى الحجاج وأقام بكش

﴿ذكر تسيير الجنود الى رتبيل مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث﴾

قد ذكرنا حال المسلمين حين دخل بهم ابن أبى بكرة بلاد رتبيل واستأذن الحجاج عبد الملك فى تسيير الجنود نحو رتبيل فاذن له عبد الملك فى ذلك فاخذ الحجاج فى تجهيز الجيش فجعل على أهل الكوفة عشرين ألفا وعلى أهل البصرة عشرين ألفا وجد فى ذلك واعطى الناس اعطياتهم كملا وانفق فيهم ألفى ألف سوى اعطياتهم وأنجدهم بالخيل الرائقة والسلاح الكامل واعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء منهم عبيد بن أبى محجن الثقفى وغيره فلما فرغ من أمر الجندين بعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان الحجاج يبغضه ويقول ما رأيته قط الا أردت قتله وسمع الشعبى ذلك من الحجاج ذات يوم فاخبر عبد الرحمن به فقال والله لاحاولن ان ازيل الحجاج عن سلطانه فلما أراد الحجاج ان يبعث عبد الرحمن على ذلك الجيش أتاه اسمعيل بن الاشعث فقال له لا تبعثه فوالله ما جاز جسر الفرات فرأى لوال عليه طاعة وانى أخاف خلافه فقال الحجاج هو أهيب لى من ان يخالف أمرى وسيره على ذلك الجيش فسار بهم حتى قدم سجستان فجمع اهلها فخطبهم ثم قال ان الحجاج ولانى ثغركم وأمرنى بجهاد عدوكم الذى استباح بلادكم فاياكم ان يتخلف منكم احد فتمسه العقوبة فعسكروا مع الناس وتجهزوا وساروا باجمعهم وبلغ الخبر رتبيل فارسل يعتذر ويبذل الخراج فلم يقبل منه وسار اليه ودخل بلاده وترك له رتبيل أرضا أرضا ورستاقا رستاقا وحصنا حصنا وعبد الرحمن يحوى ذلك وكلما حوى بلدا بعث اليه عاملا وجعل معه اعوانا وجعل الارصاد على العقاب والشعاب ووضع المسالح بكل مكان مخوف حتى اذا جاز من أرض عظيمة وملأ الناس أيديهم من الغنائم العظيمة منع الناس من الوغول فى أرض رتبيل وقال نكتفى بما قد أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترئ المسلمون على طرقها وفى العام المقبل نأخذ ماوراءها ان شاء الله تعالى حتى نقاتلهم فى آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم وأقصى بلادهم حتى يهلكهم الله تعالى ثم كتب الى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد ان يعمل وقد قيل

المعروف بافطنحس وتفسير ذلك محوط الحوائط وكان اسم انطاكية بالرومية على اسمه افطنحس فلما ورد المسلمون وافتتحوها حذفت الاحرف الا الالف والنون والطاء وفى تاريخ النصارى الملكية وغيرها من أهل دين النصرانية يكون لمولد المسيح الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة تسعمائة سنة وأربعون سنة وتكون سنوا الاسكندر ألفا ومائتين وخمسا وثمانين ويكون من الاسكندر الى المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون هذا ما وجد فى تاريخ الملكية فى كنيسة القسيان بمدينة انطاكية وسنذكر بعد فى هذا الكتاب جملا من التاريخ فى باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى فلنرجع الآن الى وصف حساب الشهور شباط ثمانية وعشرون يوما وربع ثلاث سنين متوالية والرابعة كبيسة فيكون تسعا وعشرين يوما وتكون السنة ثلثمائة وستة وستين يوما ولسبعة منه تسقط الجمرة الاولى وهى الجبهة ولاربع عشرة منه تسقط الجمرة الثانية وهى الصرفة

فى ارسال عبد الرحمن غيرماذ كرنا وهوان الحجاج كان قد ترك بكرمان هميان بن عدى السدوسى يكون بها مسلحة ان احتاج اليه عامل سجستان والسند فعصى هميان فبعث اليه الحجاج عبد الرحمن بن محمد لحاربه فانهزم هميان وأقام عبد الرحمن بموضعه ثم ان عبيد الله بن أبى بكرة مات وكان عاملا على سجستان فكتب الحجاج لعبد الرحمن عهده عليها وجهز اليه هذا الجيش فكان يسمى جيش الطواويس لحسنه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس هذه السنة أبان بن عثمان وكان أمير المدينة وكان على العراق والمشرق الحجاج وكان على خراسان المهلب من قبل الحجاج وكان على قضاء البصرة موسى بن أنس وعلى قضاء الكوفة أبو بردة * وفى هذه السنة مات أسلم مولى عمر بن الخطاب وفيها توفى أبو ادريس الخولانى وفيها مات عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وقيل سنة أربع وقيل سنة خمس وقيل سنة ست وثمانين وقيل سنة تسعين وفيها قتل معبد بن عبد الله بن عليم الجهنى الذى يروى حديث الدباغ وهو أول من قال بالقدر فى البصرة قتله الحجاج وقيل قتله عبد الملك بن مروان بدمشق وفيها توفى محمد بن على بن أبى طالب وهو ابن الحنفية وفيها توفى جنادة بن أبى أمية وله صحبة وكان على غزو البحر ايام معاوية كلها وفيها مات السائب بن يزيد ابن أخت النمر وقيل سنة ست وثمانين ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وفيها توفى سويد بن غفلة (بفتح الغين المعجمة والفاء) وفيها توفى عبد الله بن أبى أوفى وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة وجبير بن نفير بن مالك الحضرمى ادرك الجاهلية وليس له صحبة

﴿ ثم دخلت سنة احدى وثمانين ﴾

فى هذه السنة سير عبد الملك بن مروان ابنه عبيد الله ففتح قاليقلا

﴿ ذكر مقتل بحير بن ورقاء ﴾

وفى هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصريمى وكان سبب قتله انه لما قتل بكير بن وساج وكلاهما تميميان بأمر أمية بن عبد الله بن خالد اياه بذلك كما تقدم ذكره قال عثمان بن رجاء بن جابر احد بنى عوف بن سعد من الابناء يحرض بعض آل بكير من الابناء والابناء عدة بطون من تميم سموا بذلك

لعمرى لقد اغضيت عينا على القذى * وبت بطينا من رحيق مروق
وخليت ثارا طل واخترت نومة * ومن يشرب الصهباء بالوتر يسبق
فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابة * تركت بحيرا فى دم مترقرق
فقل لبحير نم ولا تخش ثائرا * ببكر فعوف اهل شاء حبلق
دعوا الضان يوما قد سبقتم بوتركم * وصرتم حديثا بين غرب ومشرق
وهبوا فلو امسى بكير كعهده * لغاداهم زحفا بجأواء فيلق

وقال أيضا

فلو كان بكر بارزا فى اداته * وذى العرش لم يقدم عليه بحير
ففى الدهر ان أبقانى الدهر مطلب * وفى الله طلاب بذاك جدير

فبلغ بحيرا ان رهط بكير من الابناء يتوعدونه فقال

توعدنى الابناء جهلا كأنما * يرون فنائى مقفرا من بنى كعب
رفعت له كفى بسيف مهند * حسام كلون الثلج ذى رونق عضب

وينصرف البرد وثلاثة أيام من آخر أيام العجوز وأذار احد وثلاثون يوما ولاربعة من أوله تتم أيام العجوز والعرب تسمى هذه السبعة الايام صنا وصنبرا ووبرا وآمرا ومؤتمرا ومعللا ومطفئ الجمر قال بعض العرب فى أسماء أيام العجوز
كسع الشتاء بسبعة غبر
صن وصنبر وبالوبر
فاذا انقضت أيام شهوتنا
أيام صادرة عن القر
كسع الشتاء موليا هربا
وأتتك واقدة من الحر
ولخمس عشرة من اذار يستوى الليل والنهار وتحل الشمس الحمل وهذا اليوم تحويل سنة العالم قال أبو فراس
أما ترى الشمس حلت الحملا
وطاب وزن الزمان واعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها
واستوفت الخمر حولها كملا
واكتست الارض من زخارفها
وشى ثياب تخالها حللا
فاشرب على جدة الزمان فقد
أصبح وجه الزمان معتدلا
وليس بحلول الشمس الحمل تستوفى الخمر سنة وانما أراد بحلولها قربها من الحول والقوة (قال

فتعاقد سبعة عشر رجلا من بنى عوف على الطلب بدم بكير فخرج فتى منهم يقال له شمردل من البادية حتى قدم خراسان فرأى بحيرا واقفا فحمل عليه فطعنه فصرعه وظن انه قد قتله فقال الناس خارجى وراكضهم فعثر به فرسه فسقط عنه فقتل وخرج صعصعة بن حرب العوفى من البادية وقد باع غنيمات له ومضى الى سجستان فجاور قرابة لبحير مدة وادعى الى بنى حنيفة من اليمامة وأطال مجالستهم حتى أنسوا به ثم قال لهم ان لى بخراسان ميراثا فاكتبوا الى بحير كتابا يعيننى على حقى فكتبوا له وسار فقدم على بحير وهو مع المهلب فى غزوته فلقى قوما من بنى عوف فاخبرهم أمره ولقى بحيرا فاخبره انه من بنى حنيفة من أصحاب ابن أبى بكرة وان له مالا بسجستان وميراثا بمرو وقدم ليبيعه ويعود الى اليمامة فانزله بحير وأمر له بنفقة ووعده فقال صعصعة أقيم عندك حتى يرجع الناس فاقام شهرا يحضر معه باب المهلب وكان بحير قد حذر فلما أتاه صعصعة بكتاب أصحابه وذكر انه من حنيفة أمنه فجاء يوما صعصعة وبحير عند المهلب عليه قميص ورداء فقعد خلفه ودنا منه كأنه يكلمه فوجأه بخنجر معه فى خاصرته فغيبه فى جوفه ونادى يالثارات بكير فأخذ وأتى به المهلب فقال له بؤسا لك ما أدركت بثارك وقتلت نفسك وما على بحير بأس فقال لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا ولقد وجدت ريح بطنه فى يدى فحبسه فدخل عليه قوم من الابناء فقبلوا رأسه ومات بحير من الغد فقال صعصعة لما مات بحير اصنعوا الآن ما شئتم أليس قد حلت نذور ابناء بنى عوف وأدركت بثارى والله لقد امكننى منه خاليا غير مرة فكرهت ان اقتله سرا فقال المهلب ما رأيت رجلا أسخى نفسا بالموت من هذا وأمر بقتله فقتل وقيل ان المهلب بعثه الى بحير قبل ان يموت فقتله ومات بحير بعده وعظم موته على المهلب وغضبت عوف والابناء وقالوا علام قتل صاحبنا وانما أخذ بثاره فنازعهم مقاعس والبطون وكلهم بطون من تميم حتى خاف الناس ان يعظم الامر فقال أهل الحجى احملوا دم صعصعة واجعلوا دم بحير ببكير فودوا صعصعة فقال رجل من الابناء يمدح صعصعة

لله در فتى تجاوز همه * دون العراق مفاوزا وبحورا
مازال يدئب نفسه وركابه * حتى تناول فى الحروب بحيرا

﴿ ذكر دخول الديلم قزوين وما كان منهم ﴾

كانت قزوين ثغر المسلمين من ناحية ديلم فكانت العساكر لا تبرح مرابطة بها يتحارسون ليلا ونهارا فلما كان هذه السنة كان فى جماعة من رابط بها محمد بن أبى سبرة الجعفى وكان فارسا شجاعا عظيم الغناء فى حروبه فلما قدم قزوين رأى الناس يتحارسون فلا ينامون الليل فقال لهم اتخافون ان يدخل عليكم العدو مدينتكم قالوا نعم قال لقد انصفوكم ان فعلوا افتحوا الابواب ولا بأس عليكم ففتحوها وبلغ ذلك الديلم فساروا اليهم وبيتوهم وهجموا الى البلد وتصايح الناس فقال ابن أبى سبرة اغلقوا ابواب المدينة علينا وعليهم فقد انصفونا وقاتلوهم فاغلقوا الابواب وقاتلوهم وابلى ابن أبى سبرة بلاء عظيما وظفر بهم المسلمون فلم يفلت من الديلم أحد واشتهر اسمه بذلك ولم يعد الديلم بعدها يقدمون على مفارقة أرضهم فصار محمد فارس ذلك الثغر المشار اليه وكان يدمن شرب الخمر وبقى كذلك الى أيام عمر بن عبد العزيز فامر بتسييره الى زرارة وهى دار الفساق بالكوفة فسير اليها فاغارت الديلم ونالت من المسلمين وظهر الخلل بعده فكتبوا الى عبد الحميد بن عبد الرحمن أمير الكوفة يسألونه ان يرد عليهم ابن أبى سبرة فكتب بذلك الى عمر فأذن له فى عوده الى الثغر فعاد اليه وحماه ولمحمد أخ يقال له خثيمة بن عبد الرحمن وهو اسم ابى سبرة وكان من الفقهاء

المسعودى) وأما شهور الروم فهى موافقة لشهور السريانيين فى العدد وذلك ان أول شهور الروم يواريوس وهو كانون الثانى وقد قدمنا ان فى أول يوم منه يكون الغطاس وشباط فبراريوس واذار مارتيوس ونيسان ابريليس واياز مايوس وحزيران يونيوس وتموز يوليوس وآب أغسطوس وايلول سبطمبر وتشرين الاول اقطوبر وتشرين الثانى نوغبر وكانون الاول دشمبر

﴿ ذكر شهور الفرس ﴾

كلها ثلاثون يوما فأولها فرودرى وأول يوم منه النيروز وبينه وبين المهرجان مائة وأربعة وسبعون يوما والثانى اردبهشت ماه وخرداد ماه ونيرماه نيروز عيد المهاجرين ومرداد ماه وشهريور ماه ويوم الرابع والعشرين منه المهرجان ومهرماه وابان ماه وآدرماه عيد الانصار وهذه خمسة أيام الفردوجان ودى ماه وأول يوم منه يخرج الكوسج فيه را كبا بغاله بالعراق وأرض فارس ولا يعرف ماوصفنا الا بالعراق وأرض العجم وأرض الشام والجزيرة ومصر واليمن لا يعرفون ذلك

﴿ذكر خلاف عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على الحجاج﴾

وفى هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ومن معه من جند العراق على الحجاج وأقبلوا اليه لحربه وقيل كان ذلك سنة اثنتين وثمانين وكان سبب ذلك ان الحجاج لما بعث عبد الرحمن ابن محمد على الجيش الى بلاد رتبيل فدخلها وأخذ منها الغنائم والحصون وكتب الى الحجاج يعرفه ذلك وان رأيه ان يتركوا التوغل فى بلاد رتبيل حتى يعرفوا طرقها ويجبوا خراجها على ماسبق ذكره فلما أتى كتابه الى الحجاج كتب جوابه ان كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح الى الموادعة قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد أصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا وغناؤهم عظيما وانك حيث تكف عن ذلك العدو بجندى وحدى نسخى النفس بمن أصيب من المسلمين فامض لما أمرتك به من الوغول فى أرضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ثم أردفه كتابا آخر بنحو ذلك وفيه أما بعد فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا بها فانها دارهم حتى يفتحها الله عليهم ثم كتب اليه ثالثا بذلك ويقول له ان مضيت لما أمرتك والا فاخوك اسحق بن محمد أمير الناس فدعا عبد الرحمن الناس وقال لهم أيها الناس انى لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم فى كل مايحيط به نفعكم ناظر وقد كان رأيى فيما بينى وبين عدوى بما رضيه ذووا أحلامكم وأولوا التجربة منكم وكتبت بذلك الى أميركم الحجاج فاتانى كتابه يعجزنى ويضعفنى ويأمرنى بتعجيل الوغول بكم فى أرض العدو وهى البلاد التى هلك فيها اخوانكم بالامس وانما أنا رجل منكم أمضى اذ مضيتم وآبى اذا أبيتم فثار اليه الناس وقالوا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع فكان أول من تكلم أبو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى وله صحبة فقال بعد حمد الله أما بعد فان الحجاج يرى بكم مارأى القائل الاول احمل عبدك على الفرس فان هلك فلك وان نجا فلك ان الحجاج مايبالى ان يخاطر بكم فيقحمكم بلايا كثيرة ويغشى اللهوب واللصوب فان ظفرتم وغنمتم أكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة فى سلطانه وان ظفر عدوكم كنتم أنتم الاعداء البغضاء الذين لايبالى عنتهم ولا يبقى عليهم اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبد الرحمن فانى أشهدكم انى أول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعى فقال عباد الله انكم ان أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم مابقيتم وجمركم تجمير فرعون الجنود فانه بلغنى انه أول من جمر البعوث ولن تعاينوا الاحبة أو يموت أكثركم فيما أرى فبايعوا اميركم وانصرفوا الى عدوكم الحجاج فانفوه عن بلادكم فوثب الناس الى عبد الرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق وعلى النصرة له ولم يذكر عبد الملك وجعل عبد الرحمن على بست عياض بن هميان الشيبانى وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمى وصالح رتبيل على ان ابن الاشعث ان ظهر فلا خراج عليه أبدا مابقى وان هزم فاراده منعه ثم رجع الى العراق فسار بين يديه اعشى همدان وهو يقول

شطت نوى من داره بالايوان * ايوان كسرى ذى القرى والريحان
من عاشق أمسى بزابلستان * ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضى وكذاب ثان * امكن ربى من ثقيف همدان
يوما الى الليل يسلى ما كان * انا سمونا للكفور الفتان
حين طغى فى الكفر بعد الايمان * بالسيد الغطريف عبد الرحمن
سار بجمع كالدبى من قحطان * ومن معد قد أتى من عدنان

بجحفل

ويطعم مدة من الايام الجوز والثوم واللحم السمين وماعدا ذلك من الاطعمة الحارة والاشربة المسخنة الدافعة للبرد فيظهر طارد اللبرد فيصب عليه الماء البارد فلا يجد لذلك شيأ من ألمه ويصيح بالفارسية كرما كرما وهذا وقت عيد الاعاجم يطربون فيه ويظهرون السرور وكذلك فى أوقات كثيرة من فصول السنة وأدورون والارد حش ودرماه ودمهر وردمنا وآدر وبهمن ماه واسفندار مدرون الاسوف واسفندار موزماه فذلك ثلثمائة وخمسة وستون يوما والله أعلم

﴿ذكر أيام الفرس﴾

وهى هرمز وبهمان وأدربهشت وشهرين واسفندارموز وخرداد ومرداد وديناودين وادواران وحردمله ونبر ونبرس ودى ومهرواز وديس وافرون وبهران وفيه يقول الشاعر

يا كربنا لذة المدام
فى يوم سبت ويوم رام
شربطتى فيه أن ترانى
وقت الضحى فاتر الكلام

وبادور ونبرين واردوا سال واسا روحامار ومار وسعيد ونيران فأما أيامهم المعروفة بالفردحان فهى

بجحفل جم شديد الاركان * فقل للحجاج ولى الشيطان
يثبت لجمع مذحج وهمدان * فانهم ساقوه كاس الذيفان
وملحقوه بقرى ابن مروان

وجعل عبد الرحمن على مقدمته عطية بن عمرو العنبرى وجعل على كرمان خريثة بن عمرو التميمى فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم الى بعض وقالوا اذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك فاجتمعوا الى عبد الرحمن فكان أول الناس خلع عبد الملك تيحان بن أبجر من تيم الله ابن ثعلبة قام فقال أيها الناس انى خلعت أباذبان كخلع قميصى فخلعه الناس الا قليلا منهم وبايعوا عبد الرحمن وكانت بيعته تبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم وجهاد المحلين فلما بلغ الحجاج خلعه كتب الى عبد الملك بخبر عبد الرحمن ويسأله ان يعجل بعثة الجنود اليه وسار الحجاج حتى نزل البصرة ولما بلغ المهلب خبر عبد الرحمن كتب الى الحجاج من خراسان أما بعد فان أهل العراق قد أقبلوا اليك وهم مثل السيل ليس يردهم شئ حتى ينتهى الى قراره وان لاهل العراق شدة فى أول مخرجهم وصبابة الى أبنائهم ونسائهم فاتركهم حتى يسقطوا الى أهاليهم ويشموا أولادهم ثم واقعهم عندها فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ كتابه سبه وقال مالى نظر وانما النظر لابن عمه يعنى عبد الرحمن ولما وصل كتاب الحجاج الى عبد الملك هاله ودعا خالد بن يزيد فاقرأه الكتاب فقال ياأمير المؤمنين ان كان الحدث من سجستان فلا تخفه فان كان من خراسان فانى اتخوفه فجهز عبد الملك الجند الى الحجاج فكانوا يصلون الى الحجاج على البريد من مائة ومن خمسين واقل واكثر وكتب الحجاج تتصل بعبد الملك كل يوم بخبر عبد الرحمن فسار الحجاج من البصرة ليلقى عبد الرحمن فنزل تستر وقدم بين يديه مقدمة الى دجيل فلقوا عنده خيلا لعبد الرحمن فانهزم اصحاب الحجاج بعد قتال شديد وكان ذلك يوم الاضحى سنة احدى وثمانين وقتل منهم جمع كثير فلما اتى خبر الهزيمة الى الحجاج رجع الى البصرة وتبعه اصحاب عبد الرحمن فقتلوا منهم واصابوا بعض اثقالهم واقبل الحجاج حتى نزل الزاوية وجمع عنده الطعام وترك البصرة لاهل العراق ولما رجع نظر فى كتاب المهلب فقال لله دره أى صاحب حرب هو وفرق فى الناس مائة وخمسين ألف ألف درهم فاقبل عبد الرحمن حتى دخل البصرة فبايعه جميع أهلها قراؤها وكهولها مستبصرين فى قتال الحجاج ومن معه من أهل الشام وكان السبب فى سرعة اجابتهم الى بيعته ان عمال الحجاج كتبوا اليه ان الخراج قد انكسر وان أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالامصار فكتب الى البصرة وغيرها ان من كان له أصل من قرية فليخرج اليها فاخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية فجعلوا يبكون وينادون يامحمداه يامحمداه ولا يدرون أين يذهبون وجعل قراء البصرة يبكون لما يرون فلما قدم ابن الاشعث عقيب ذلك بايعوه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك وخندق الحجاج على نفسه وخندق عبد الرحمن على البصرة وكان دخول عبد الرحمن البصرة فى آخر ذى الحجة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة سليمان بن عبد الملك وكان ممن حج ام الدرداء الصغرى وفيها ولد ابن ابى ذئب وكان العامل على المدينة ابان بن عثمان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج وعلى خراسان المهلب وعلى قضاء الكوفة ابو بردة وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن اذينة وكان سجستان وكرمان وفارس والبصرة بيد عبد الرحمن

وهيدكاه وستكاه هو كاه مسروكاه كاساه وكانت العرب تسمى الايام الخمسة المهر بروالهبير وقالب الفهر وحافل الضرع ومدحرج البعر (وكانت الفرس) تكبس فى كل مائة وعشرين شهر الربع اليوم الفاضل فى الشهور الرومية وتسميه الهارك فاذا كانت سنة كبيسة أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة لان أيامهم كانت سعودا ونحوسا فكرهوا أن يكبسوا فى كل أربع سنين يوما فتنتقل بذلك أيام السعود الى أيام النحوس ولا يكون النيروز أول يوم من الشهر والله تعالى أعلم

﴿ذكر سنى العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها﴾

أشهر الاهلة أولها المحرم وأيامها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما تنقص عن السريانى احد عشر يوما وربع يوم فتفرق فى كل ثلاثة وثلاثين سنة فتنسلخ تلك السنة العربية ولا يكون فيها نيروز وقد كانت العرب فى الجاهلية تكبس فى كل ثلاث سنين شهرا وتسميه النسئ وقد ذم الله تبارك وتعالى فعلهم بقوله انما النسئ زيادة فى الكفر ورسمت العرب الشهور فبدأت بالمحرم

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين﴾

﴿ذكر الحرب بين الحجاج وابن الاشعث﴾

قيل فى المحرم من هذه السنة اقتتل عسكرا الحجاج وعسكر عبد الرحمن بن الاشعث قتالا شديدا فتزاحفوا فى المحرم عدة دفعات فلما كان ذات يوم فى آخر المحرم اشتد قتالهم فانهزم اصحاب الحجاج حتى انتهوا اليه وقاتلوا على خنادقهم ثم انهم تزاحفوا آخر يوم من المحرم فجال اصحاب الحجاج وتقوض صفهم فجثى الحجاج على ركبتيه وقال لله در مصعب ما كان اكرمه حين نزل به ما نزل وعزم على انه لا يفر فحمل سفيان بن الابرد الكلبى على الميمنة التى لعبد الرحمن فهزمها وانهزم اهل العراق وأقبلوا نحو الكوفة مع عبد الرحمن وقتل منهم خلق كثير منهم عقبة بن عبد الغافر الازدى وجماعة من القراء قتلوا بربضة واحدة معه ولما بلغ عبد الرحمن الكوفة تبعه اهل القوة واصحاب الخيل من اهل البصرة واجتمع من بقى فى البصرة مع عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب فبايعوه فقاتل بهم الحجاج خمس ليال أشد قتال رآه الناس ثم انصرف فلحق بابن الاشعث وتبعه طائفة من اهل البصرة وقتل منهم طفيل بن عامر بن واثلة فقال ابوه يرثيه وهو من الصحابة

خلى طفيل على الهم فانشعبا * وهد ذلك ركنى هدة عجبا
مهما نسيت فلا أنساه اذ حدقت * به الاسنة مقتولا ومنسلبا
واخطأتنى المنايا لا تطالعنى * حتى كبرت وهم يتركن لى نسبا
وكنت بعد طفيل كالذى نضبت * عنه السيول وغاض الماء وانصبا

وهى أبيات عدة وهذه الوقعة تسمى يوم الزاوية فاقام الحجاج اول صفر واستعمل على البصرة الحكم بن ايوب الثقفى وسار عبد الرحمن الى الكوفة وقد كان الحجاج استعمل عليها عند مسيره الى البصرة عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمى حليف بنى امية فقصده مطر بن ناجية اليربوعى فتحصن منه ابن الحضرمى فى القصر ووثب اهل الكوفة مع مطر فاخرج ابن الحضرمى ومن معه من اهل الشام وكانوا أربعة آلاف واستولى مطر على القصر واجتمع الناس وفرق فيهم مائتى درهم فلما وصل ابن الاشعث الى الكوفة كان مطر بالقصر فخرج اهل الكوفة يستقبلونه ودخل الكوفة وقد سبق اليه همدان فكانوا حوله فاتى القصر فمنعه مطر ابن ناجية ومعه جماعة من بنى تميم فاصعد عبد الرحمن الناس فى السلالم الى القصر فاخذوه فأتى عبد الرحمن بمطر بن ناجية فحبسه ثم أطلقه وصار معه فلما استقر عبد الرحمن بالكوفة اجتمع اليه الناس وقصده اهل البصرة منهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمى بعد قتاله الحجاج بالبصرة وقتل الحجاج يوم الزاوية بعد الهزيمة احد عشر ألفا خدعهم بالامان وأمر مناديا فنادى لا أمان لفلان بن فلان فسمى رجالا فقال العامة قد أمن الناس فحضروا عنده فامر بهم فقتلوا

﴿ذكر وقعة دير الجماجم﴾

وكانت وقعة دير الجماجم فى شعبان من هذه السنة وقيل كانت سنة ثلاث وثمانين وكان سببها ان الحجاج سار من البصرة الى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن محمد فنزل دير قرة وخرج عبد الرحمن من الكوفة فنزل دير الجماجم فقال الحجاج ان عبد الرحمن نزل دير الجماجم ونزلت دير القرة اما تزجر الطير واجتمع الى عبد الرحمن اهل الكوفة واهل البصرة والقراء واهل الثغور والمسالح بدير الجماجم فاجتمعوا على حرب الحجاج لبغضه وكانوا مائة ألف ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم وجاءت الحجاج ايضا

لانه أول السنة وانما سمته المحرم لتحريمها الحرب والغارات فيه وصفر بالاسواق التى كانت باليمن تسمى الصفرية وكانوا يمتارون فيها ومن تخلف عنها هلك جوعا وقال نابغة ذبيان

انى نهيت بنى ذبيان عن أفق
وعن تربعهم فى كل اصفار

وقيل انما سمى الصفر لان المدن كانت تخلو فيه من أهلها بخروجهم الى الحرب وهو مأخوذ من قولهم اصفرت الدار منهم اذا خلت وربيع وربيع لارتباع الناس والدواب فيهما فان قيل قد توجد الدواب ترتبع فى غير هذا الوقت قيل قد يمكن أن يكون هذا الاسم لزمهما فى ذلك الوقت فاستمر تعريفهما بذلك مع انتقال الزمان واختلافه وجمادى وجمادى لجمود الماء فيهما فى الزمان الذى سميت به هذه الشهور لانهم لم يعلموا أن الحر والبرد يدوران فتنتقل أوقات ذلك ورجب لخوفهم اياه يقال رجبت الشئ اذا خفته وأنشد

* فلا تهبها ولا ترجبها *

وشعبان لتشعبهم الى مياههم وطلب الغارات ورمضان لشدة حر الرمضاء فيه ذلك

امداد من الشام قبل نزوله بدير قرة وخندق كل منهما على نفسه فكان الناس يقتتلون كل يوم ولا يزال احدهما يدنى خندقه من الآخر ثم ان عبد الملك واهل الشام قالوا ان كان يرضى اهل العراق بنزع الحجاج عنهم نزعناه فان عزله أيسر من حربهم ونحقن بذلك الدماء فبعث عبد الملك ابنه عبد الله واخاه محمد بن مروان وكان محمد بارض الموصل الى الحجاج فى جند كثيف وامرهما ان يعرضا على اهل العراق عزل الحجاج وان يجريا عليهم اعطياتهم كما يجرى على اهل الشام وان ينزل عبد الرحمن بن محمد أى بلد شاء من بلاد العراق فاذا نزله كان واليا عليه مادام حيا وعبد الملك خليفة فان اجاب اهل العراق الى ذلك عزلا الحجاج عنها وصار محمد بن مروان امير العراق وان أبى أهل العراق قبول ذلك فالحجاج امير الجماعة ووالى القتال ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك فى طاعته فلم يأت الحجاج امر قط كان اشد عليه ولا أوجع لقلبه من ذلك فخاف ان يقبل اهل العراق عزله فيعزل عنهم فكتب الى عبد الملك والله لو أعطيت اهل العراق نزعى لم يلبثوا الا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا اليك ولا يزيدهم ذلك الا جراءة عليك الم تر ويبلغك وثوب اهل العراق مع الاشتر على ابن عفان وسؤالهم نزع سعيد بن العاص فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا الى عثمان فقتلوه وان الحديد بالحديد يفلح فابى عبد الملك الا عرض عزله على اهل العراق فلما اجتمع عبد الله ومحمد مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد الملك وقال يا اهل العراق انا ابن امير المؤمنين وهو يعطيكم كذا وكذا وخرج محمد بن مروان وقال انا رسول امير المؤمنين وهو يعرض عليكم كذا وكذا وذكر هذه الخصال فقالوا نرجع العشية فرجعوا واجتمع اهل العراق عند ابن الاشعث فقال لهم قد اعطيتم امرا انتهازكم اليوم اياه فرصة وانكم اليوم على النصف فان كانوا اعتدوا عليكم بيوم الزاوية فانتم تعتدون عليهم بيوم تستر فاقبلوا ما عرضوا عليكم وانتم أعزاء أقوياء للقوم هم لكم هائبون وانتم لهم منتقصون فوالله لا زلتم عليهم جراء وعندهم أعزاء ابدا ما بقيتم ان انتم قبلتم فوثب الناس من كل جانب فقالوا ان الله قد اهلكهم فاصبحوا فى الضنك والمجاعة والقلة والذلة ونحن ذوو العدد الكثير والسعر الرخيص والمادة القريبة لا والله لا نقبل وأعادوا خلعه ثانية وكان اول من قام بخلعه بدير الجماجم عبد الله بن ذؤاب السلمى وعمير بن تيحان وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم اجمع من خلعهم اياه بفارس فقال عبد الله بن عبد الملك ومحمد بن مروان للحجاج شأنك بعسكرك وجندك واعمل برأيك فانا قد أمرنا ان نسمع لك ونطيع فقال قد قلت انه لا يراد بهذا الامر غيركم فكانا يسلمان عليه بالامرة ويسلم عليهما بالامرة فلما اجتمع اهل العراق بالجماجم على خلع عبد الملك قال عبد الرحمن الا ان بنى مروان يعيرون بالزرقاء والله ما لهم نسب اصح منه الا ان بنى العاص اعلاج من اهل صفورية فان يكن هذا الامر من قريش فنى تقوبت بيضة قريش وان يك فى العرب فانا ابن الاشعث ومد بها صوته يسمع الناس وبرزوا للقتال فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبى وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمى وعلى خيله سفيان بن الابرد الكلبى وعلى رجاله عبد الله بن حبيب الحكمى وجعل عبد الرحمن بن محمد على ميمنته الحجاج بن جارية الخثعمى وعلى ميسرته الابرد بن قرة التميمى وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمى وعلى رجاله محمد بن سعد بن ابى وقاص وعلى مجنبته عبد الله بن رزام الحارثى وجعل على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفى وفيهم سعيد بن جبير وعامر الشعبى وابو البخترى الطائى وعبد الرحمن بن ابى ليلى ثم أخذوا يتزاحفون كل يوم ويقتتلون واهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة وسوادها وهم فى خصب واهل الشام فى ضنك شديد قد غلت عليهم الاسعار وفقد

الوقت والوجه الآخر انه اسم من أسماء الله تعالى ذكره ولا يجوز أن يقال رمضان وانما يقال شهر رمضان وشوال لان الابل كانت تشول فيه ذلك الوقت باذنابها تشاءمت به العرب ولذلك كرهت التزويج فيه وذو القعدة لقعودهم فيه عن الحرب والغارات وذو الحجة لان الحج فيه (والاشهر الحرم) المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة (وأشهر الحج) شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة والايام المعلومات العشر والايام المعدودات أيام التشريق والتعجيل باتفاق غير جائز الا فى اليوم الثالث من يوم النحر يدل ذلك على أن أولها ثانى يوم النحر ولو كان يوم النحر من المعدودات كان يوم التعجيل فى ثلاثة أيام وهذا خلاف القرآن لاخبار الله تعالى أن التعجيل فى يومين من المعدودات واذا كانت المعدودات ما وصفنا صح أن المعلومات منها والذبح فى يوم النحر ذبح فى المعلومات لكونه منها ولا تمانع بين العرب أن يقول القائل آتيك فى الشهر والاتيان انما كان فى بعضه وجئتك فى اليوم

عندهم اللحم كأنهم فى حصاروهم على ذلك يغادون القتال ويراوحون فلما كان اليوم الذى قتل فيه جبلة بن زحر بن قيس وكانت كتيبته تدعى القراء تحمل عليهم فلا يبرحون وكانوا قد عرفوا بذلك وكان فيهم كميل بن زياد وكان رجلا ركينا فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون وعبى الحجاج صفوفه وعبى عبد الرحمن اصحابه وعبى الحجاج لكتيبة القراء ثلاث كتائب وبعث عليها الجراح ابن عبد الله الحكمى فاقبلوا نحوهم فحملوا على القراء ثلاث حملات كل كتيبة تحمل حملة فلم يبرحوا وصبروا

﴿ ذكر وفاة المغيرة بن المهلب ﴾

وفى هذه مات المغيرة بن المهلب بخراسان وكان قد استخلفه أبوه المهلب على عمله بخراسان فمات فى رجب سنة اثنتين وثمانين فاتى الخبر يزيد بن المهلب وأهل العسكر فلم يخبروا المهلب فامر يزيد النساء فصرخن فقال المهلب ما هذا فقيل مات المغيرة فاسترجع وجزع حتى ظهر جزعه فلامه بعض خاصته ثم دعا يزيد ووجهه الى مرو ووصاه بما يعمل وان دموعه تنحدر على لحيته فكان المهلب مقيما بكش بما وراء النهر يحارب اهلها فسار يزيد فى ستين فارسا ويقال سبعين فلقيهم خمسمائة من الترك فى مفازة بست فقالوا ما أنتم قالوا تجار قالوا فاعطونا شيأ فأبى يزيد فاعطاهم مجاعة بن عبد الرحمن العتكى ثوبا وكرابيس وقوسا فانصرفوا ثم غدروا وعادوا اليهم فقاتلوهم فاشتد القتال ومع يزيد رجل من الخوارج كان قد اخذه فقال استبقنى فاستبقاه فحمل الخارجى عليهم حتى يخالطهم وصار من ورائهم وقتل رجلا ثم كر حتى خالطهم وقتل رجلا ورجع الى يزيد وقتل يزيد عظيما من عظمائهم ورمى يزيد فى ساقه فاشتدت شوكتهم وصبر يزيد حتى جازوهم فقالوا قد غدرنا ولا ننصرف حتى نموت أو تموتوا أو تعطونا شيأ فلم يعطهم يزيد شيأ فقال مجاعة اذكرك الله قد هلك المغيرة فانشدك الله ان تهلك فتجتمع على المهلب المصيبة فقال ان المغيرة لم يعد أجله ولست اعدو أجلى فرمى اليهم مجاعة بعمامة صفراء فاخذوها فانصرفوا

﴿ ذكر صلح المهلب أهل كش ﴾

وفى هذه صالح المهلب أهل كش وكان سبب ذلك انه اتهم قوما من مضر فحبسهم وصالح وقفل وخلف حريث بن قطبة مولى خزاعة وقال اذا استوفيت الفدية فرد عليهم الرهن وسار المهلب فلما صار ببلخ كتب الى حريث انى لست آمن ان رددت عليهم الرهن ان يغيروا عليك فاذا قبضت الفدية فلا تخل الرهن حتى تقدم أرض بلخ فقال حريث لملك كش ان المهلب كتب الى كذا وكذا فان عجلت الفدية سلمت اليك الرهن وسرت وأخبرته ان كتابه ورد وقد استوفيتها منكم ورددت عليكم الرهن فعجل ملك كش الفدية واخذ الرهن ورجع حريث فعرض لهم الترك فقالوا له افد نفسك ومن معك فقد لقينا يزيد بن المهلب ففدى نفسه فقال حريث ولدتنى اذا أم يزيد وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم اسرى ففدوهم فاطلقهم ورد عليهم الفداء وبلغ المهلب قوله فقال يأنف العبد ان تلده أم يزيد فغضب فلما قدم عليه بلخ قال أين الرهن قال خليتهم قبل وصول كتابك وقد كفيت ما خفت قال كذبت ولكنك تقربت اليهم وامر بتجريده فجزع من ذلك حتى ظن المهلب ان به مرضا فجرده وضربه ثلاثين سوطا فقال حريث وددت انه ضربنى ثلثمائة ولم يجردنى انفة وحياء وحلف ليقتلن المهلب فركب يوما مع المهلب فامر غلامين له ان يضربا المهلب فلم يفعلا وقالا نخاف عليك ان تقتل وترك حريث اتيان المهلب فارسل اليه اخاه ثابت ابن قطبة ليأتيه به وقال له انك كبعض ولدى ادبه كبعضهم فاتى ثابت أخاه وسأله ان يركب الى

والمجىء فى بعض أوقاته ولا يصام يوم النحر ولا يوم الفطر ولا أيام منى لفرض ولا لتطوع لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولم يخص فرضا من تطوع بالنهى فالواجب الامتناع على ما وصفنا (وقد ذكر) عن عقبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام ثلاثة أيام التشريق وفى جميع ما ذكرنا من المعلومات والمعدودات والصيام فى أيام التشريق خلاف بين الناس وأيام التشريق أولها ثانى النحر وآخرها اليوم الثالث عشر من ذى الحجة (قال المسعودى) وقد اختلف الناس فى علة أيام التشريق وهى أيام منى ولياليها فقالت طائفة انما سميت أيام التشريق لانهم كانوا يذبحون الذبائح ويشرقون اللحم فى الشمس وقال آخرون انما سميت أيام التشريق لان أهل مكة وغيرهم يتشرقون منصرفين الى أوطانهم وفيه قول آخر وهو أنها انما سميت أيام التشريق لانهم كانوا يخرجون من منى وغيرها كالمزدلفة الى مصليات لهم فى فضاء من

المهلب فلم يفعل وحلف ليقتلنه فقال ثابت ان كان هذا رايك فاخرج بنا الى موسى بن عبد الله ابن خازم وخاف ثابت ان يقتل حريث المهلب فيقتلون جميعا فخرجا فى ثلثمائة من اصحابهما المنقطعين اليهما

﴿ ذكر وفاة المهلب بن أبى صفرة وولاية ابنه يزيد خراسان ﴾

لما صالح المهلب أهل كش رجع يريد مرو فلما كان بمرو الروذ أخذته الشوصة وقيل الشوكة فمات منها وأوصى الى ابنه حبيب فصلى عليه وقال لهم قد استخلف عليكم يزيد فلا تخالفوه فقال له ابنه المفضل لو لم تقدمه لقدمناه واحضر ولده فوصاهم وأحضر سهاما فحزمت فقال اتكسرونها مجتمعة قالوا لا قال افتكسرونها متفرقة قالوا نعم قال فهكذا الجماعة ثم قال أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فانها تنسئ فى الاجل وتثرى المال وتكثر العدد وأنهاكم عن القطيعة فانها تعقب النار والقلة والذلة وعليكم بالطاعة والجماعة وليكن فعالكم أفضل من مقالكم واتقوا الجواب وزلة اللسان فان الرجل تزل قدمه فينتعش منها وتزل لسانه فيهلك اعرفوا لمن يغشاكم حقه فكفى بغدو الرجل ورواحه اليكم تذكرة له وآثروا الجود على البخل واحبوا العرف واصنعوا المعروف فان الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك فكيف بالصنيعة عنده عليكم فى الحرب بالتؤدة والمكيدة فانها أنفع من الشجاعة واذا كان اللقاء نزل القضاء فان اخذ الرجل بالحزم فظفر قيل أتى الامر من وجهه فظفر فحمد وان لم يظفر قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وأدب الصالحين واياكم وكثرة الكلام فى مجالسكم ثم مات رحمه الله فقال نهار بن توسعة التيمى يرثيه

الاذهب المعروف والعز والغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب
أقام بمرو الروذ رهن ضريحه * وقد غاب عنه كل شرق ومغرب
اذا قيل أى الناس أولى بنعمة * على الناس قلناه ولم نتهيب

فلما توفى كتب ابنه يزيد الى الحجاج يعلمه بوفاته فأقر يزيد على خراسان

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفى هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان من المدينة فى جمادى الآخرة واستعمل عليها هشام بن اسمعيل المخزومى فعزل هشام نوفل بن مساحق عن قضاء المدينة وولى على القضاء عمرو ابن خالد الزرقى وفيها اغزا محمد بن مروان أرمينية فهزمهم ثم سألوه الصلح فصالحهم وولى عليهم أباشيخ بن عبد الله فغدر وابه فقتلوه وقيل بل قتلوه سنة ثلاث وثمانين وفيها قتل عبد الله بن شداد بن الهاد الليثى بدجيل وفيها مات أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعى وعطاء بن عبد الله السليمى العابد (السليمى بفتح السين المهملة وكسر اللام) وفيها مات زاذان وأبو وائل وعمر بن عبيد الله بن معمر التيمى وعمره ستون سنة وفيها مات أبو امامة الباهلى وقيل سنة احدى وتسعين

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ﴾

﴿ ذكر بقية الوقعة بدير الجماجم ﴾

فلما حملت كتائب الحجاج الثلاث على القراء من أصحاب عبد الرحمن وعليهم جبلة بن زحر نادى جبلة يا عبد الرحمن بن ابى ليلى يا معشر القراء ان الفرار ليس أحد باقبح به منكم انى سمعت على بن أبى طالب رفع الله درجته فى الصالحين وآتاه ثواب الصادقين والشهداء يقول يوم لقينا أهل الشام أيها المؤمنون انه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن

الارض فيسمونها المشارق واحدها مشراق يسجدون ويدعون فسميت بذلك أيام التشريق وفيه قول آخر وهو أن طائفة زعمت أنه مأخوذ من ذبح البهائم وهو التشريق وقالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الضحية بالمشرقة يعنى المشقوقة الاذنين بالطول فهى أيام التشريق وللناس فى التشريق من أهل الآراء والنحل كلام كثير لا يحتمله كتابنا هذا وانما ذكرنا ما أوردناه لتغلغل الكلام بنا اليه واتصاله بما قدمناه وان كان كلاما يلحق بالفقه (والايام النحسات) كل أربعاء يوافق أربعا من الشهر مثل أربع خلون وأربع وعشرين وأربع بقين (وأما أسماء الايام) فأولها الاحد وانما سمى بذلك لانه أول يوم خلقه الله من الزمان وبذلك نطقت التوراة وقد قدمنا فى صدر هذا الكتاب ما فى الايام من بدء الخلق والاثنين وسمى لانه ثان والثلاثاء وسمى لانه ثالث والاربعاء لانه رابع والخميس لانه خامس والجمعة لان الخلق اجتمعوا فيه والسبت لان الخلق انقطع فيه ولم يخلق وهو مأخوذ من

أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذى أصاب سبل الهدى ونور قلبه باليقين فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه وقال أبو البخترى أيها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم فقال الشعبى أيها الناس قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم والله ما أعلم على بسيط الارض أعمل بظلم ولا أجور فى حكم منهم وقال سعيد بن جبير نحو ذلك وقال جبلة احملوا عليهم حملة صادقة ولا تردوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفهم فحملوا عليهم حملة صادقة فضربوا الكتائب حتى أزالوها وفرقوها وتقدموا حتى واقعوا صفهم فازالوه عن مكانه ثم رجعوا فوجدوا جبلة بن زحر قتيلا لا يدرون كيف قتل وكان سبب قتله ان أصحابه لما حملوا على أهل الشام ففرقوهم فوقف لاصحابه ليرجعوا اليه فافترقت فرقة من أهل الشام فوقفت ناحية فلما رأوا أصحاب جبلة قد تقدموا قال بعضهم لبعض هذا جبلة احملوا عليه مادام أصحابه مشاغيل بالقتال فحملوا عليه فلم يول لكنه حمل عليهم فقتلوه وكان الذى قتله الوليد بن نحيت الكلبى وجىء برأسه الى الحجاج فبشر أصحابه بذلك فلما رجع أصحاب جبلة ورأوه قتيلا سقط فى أيديهم وتناعوه بينهم فقال لهم أبو البخترى لا يظهرن عليكم قتل جبلة انما كان كرجل منكم أتته منيته فلم يكن ليتقدم ولا يتأخر وظهر الفشل فى القراء وناداهم أهل الشام يا أعداء الله قد هلكتم وقد قتل طاغيتكم فقدم عليهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى ففرحوا به وقالوا انقدم مقام جبلة وكان قدومه من الرى فلما أتى عبد الرحمن جعله على ربيعة وكان شجاعا فقاتل يوما فدخل عسكر الحجاج فاخذ أصحابه ثلاثين امرأة فاطلقهن فقال الحجاج منعوا نساءهم لو لم يردوهن لسبيت نساءهم اذا ظهرت عليهم وخرج عبد الرحمن بن عوف الرواسى أبو حميد فدعا الى المبارزة فخرج اليه رجل من أهل الشام فتضاربا فقال كل واحد منهما انا الغلام الكلابى فقال كل واحد منهما لصاحبه من أنت واذا هما ابنا عم فتحاجزا وخرج عبد الله بن رزام الحارثى فطلب المبارزة فخرج اليه رجل من عسكر الحجاج فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع خرج فقالوا جاء لاجاء الله به فطلب المبارزة فقال الحجاج للجراح اخرج اليه فخرج اليه فقال له عبد الله وكان له صديقا ويحك يا جراح ما أخرجك قال ابتليت بك قال فهل لك فى خير قال الجراح ما هو قال عبد الله أنهزم لك وترجع الى الحجاج وقد أحسنت عنده وحمدك وأما انا فاحتمل مقالة الناس فى انهزامى حسبا لسلامتك فانى لا أحب قتل مثلك من قومى قال افعل فحمل الجراح على عبد الله فاستطرد له عبد الله وحمل عليه الجراح بجد يريد قتله فصاح لعبد الله غلامه وكان ناحية معه ماء ليشربه وقال له يا سيدى ان الرجل يريد قتلك فعطف عبد الله على الجراح فضربه بعمود على رأسه فصرعه وقال له يا جراح بئسما جزيتنى اردت بك العافية وأردت قتلى انطلق فقد تركتك للقرابة والعشيرة وكان سعيد بن جبير وأبو البخترى الطائى يحملان على أهل الشام بعد قتل جبلة بن زحر حتى يخالطوهم وكانت مدة الحرب مائة يوم وثلاثة أيام لانه كان نزولهم بالجماجم لثلاث مضت من ربيع الاول وكانت الهزيمة لاربع عشرة مضين من جمادى الآخرة فلما كان يوم الهزيمة اقتتلوا أشد قتال واستظهر أصحاب عبد الرحمن على أصحاب الحجاج واستعلوا عليهم وهم آمنون ان ينهزموا فبيناهم كذلك اذ حمل سفيان بن الابرد وهو فى ميمنة الحجاج على الابرد بن قرة التميمى وهو على ميسرة عبد الرحمن فانهزم الابرد بن قرة من غير قتال يذكر وظن الناس انه قد كان صولح على ان ينهزم بالناس فلما انهزم تقوضت الصفوف من نحوه وركب

قولهم نعل سبتية اذا كانت مقطوعة الشعر ويقال سبت شعره اذا قطعه وكانت العرب تسميها فى الجاهلية الاحد أوّل والاثنين أهون والثلاثاء جبار والاربعاء دبار والخميس مؤنس والجمعة عروبة والسبت شبار قال شاعرهم

أؤمل أن أعيش وأن يومى
بأوّل أو بأهون أو جبار
أو المردى دبار فان أفته
فمؤنس أو عروبة أو شبار

وكانوا يسمون الشهور المحرم ناتق وصفر ثقيل ثم طليق ناجر سماح امنح احلك كسع زاهر برط حرف نعس وهو ذو الحجة (وقد اختلفت العرب) فى أسماء الازمنة فزعمت طائفة منها أن اوّلها الوسمى وهو الخريف ثم الشتاء ثم الصيف ثم القيظ ومنهم من يعد الاول من فصول السنة الربيع وهو الاشهر والاعم والعرب تقول خرفنا فى بلد كذا وشتونا فى بلد كذا وتربعنا فى بلد كذا وصيفنا فى بلد كذا (وشهور العرب) ليست مرتبة على فصول السنة بل المحرم وغيره من الشهور العربية قد يقع تارة فى الربيع

الناس بعضهم بعضا وصعد عبد الرحمن المنبر ينادى الناس الى عباد الله فاجتمع اليه جماعة فثبت حتى دنا منه أهل الشام فقاتل من معه ودخل أهل الشام العسكر فاتاه عبد الله بن يزيد بن المفضل الازدى فقال له انزل فانى أخاف عليك ان تؤسر ولعلك ان انصرفت ان تجمع لهم جمعا يهلكهم الله به فنزل هو ومن معه لا يلوون على شئ ثم رجع الحجاج الى الكوفة وعاد محمد بن مروان الى الموصل وعبد الله بن عبد الملك الى الشام واخذ الحجاج يبايع الناس وكان لا يبايع احدا الا قال له اشهد انك كفرت فان قال نعم بايعه والا قتله فاتاه رجل من خثعم كان معتزلا الناس جميعا فسأله عن حاله فاخبره باعتزاله فقال له أنت متربص أتشهد انك كافر قال بئس الرجل انا اعبد الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسى بالكفر قال اذا أقتلك قال وان قتلتنى فقتله ولم يبق أحد من أهل الشام والعراق الا رحمه ثم دعا بكميل بن زياد فقال له أنت المقتص من أمير المؤمنين عثمان قد كنت أحب الى من ان أجد عليك سبيلا قال على أينا أنت أشد غضبا عليه حين اقاد من نفسه أم على حين عفوت عنه ثم قال أيها الرجل من ثقيف لا تصرف على بنانك ولا تكثر على كالذئب والله ما بقى من عمرى الا ظمء الحمار اقض ما أنت قاض فان الموعد الله وبعد القتل الحساب قال الحجاج فان الحجة عليك قال ذلك اذا كان القضاء اليك فامر به فقتل وكان خصيصا بامير المؤمنين وأتى بآخر من بعده فقال له الحجاج أرى رجلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر فقال له الرجل اتخادعنى عن نفسى انا أكفر أهل الارض وأكفر من فرعون فضحك منه وخلى سبيله وأقام بالكوفة شهرا وأنزل أهل الشام بيوت أهل الكوفة أنزلهم الحجاج فيها مع أهلها وهو أول من أنزل الجند فى بيوت غيرهم وهو الى الآن لا سيما فى بلاد العجم ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة

﴿ذكر الوقعة بمسكن﴾

ولما انهزم عبد الرحمن اتى البصرة واجتمع اليه من المنهزمين جمع كثير وكان فيهم عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن جندب بن عبد شمس القرشى وكان بالمدائن محمد بن سعد بن ابى وقاص فسار اليه الحجاج فلحق ابن سعد بعبد الرحمن وسار عبد الرحمن نحو الحجاج ومعه جمع كثير فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى وقد بايعه خلق كثير على الموت فاجتمعوا بمسكن وخندق عبد الرحمن على أصحابه وجعل القتال من وجه واحد وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله من خراسان فى ناس من بعث الكوفة فاقتتلوا خمسة عشر يوما من شعبان أشد قتال فقتل زياد بن غنم القينى وكان على مسالح الحجاج فهده ذلك وهد أصحابه وبات الحجاج يحرض أصحابه ولما اصبحوا باكروا القتال فاقتتلوا أشد قتال كان بينهم فانكشفت خيل سفيان بن الابرد فامر الحجاج عبد الملك بن المهلب فحمل على أصحاب عبد الرحمن وحمل اصحاب الحجاج من كل جانب فانهزم عبد الرحمن واصحابه وقتل عبد الرحمن بن أبى ليلى الفقيه وأبو البخترى الطائى ومشى بسطام بن مصقلة بن هبيرة فى أربعة آلاف فارس من شجعان أهل الكوفة والبصرة فكسروا جفون سيوفهم وحث أصحابه على القتال فحملوا على اهل الشام فكشفوهم مرارا فدعا الحجاج الرماة فرموهم واحاط بهم الناس فقتلوا الا قليلا ومضى ابن الاشعث نحو سجستان وقد قيل فى هزيمة عبد الرحمن بمسكن غير هذا والذى قيل انه اجتمع هو والحجاج بمسكن وكان عسكر ابن الاشعث والحجاج بين دجلة والسيب والكرخ فاقتتلوا شهرا ودونه فاتى شيخ فدل الحجاج على طريق من وراء الكرخ فى أجمة وضحضاح من الماء فارسل معه أربعة آلاف وقال لقائدهم ان صدق فاعطه ألف درهم

وتارة فى غيره من فصول السنة (وشهور الروم) مرسومة على ما يوافق فصول السنة التى تقطع فيها الشمس بروج الفلك عن آخرها ومقادير أيام كل شهر منها ولياليه فى الطول والقصر وظهور ما يظهر فيه من النجوم الثابتة للابصار واستتار ما يستتر منها على ممر الدهور والسنين وهى اثنا عشر شهرا على حسب ما ذكرنا أن أوّلها تشرين الى ايلول فلكل فصل من السنة أربعة شهور معلومة من هذه الاثنى عشر شهرا غير حائلة ولا منتقلة انتقال الشهور العربية ولكل برج منها شهر فايلول وتشرين وتشرين لسلطان السوداء وكانون وكانون وشباط لسلطان البلغم واذار ونيسان وايار لسلطان الدم وحزيران وتموز وآب لسلطان الصفراء فايلول لبرج السنبلة وتشرين الاول لبرج الميزان وتشرين الآخر لبرج العقرب وكانون الاول برجه القوس وكانون الآخر برجه الجدى وشباط برجه الدلو واذار برجه الحوت ونيسان برجه الحمل واياار برجه الثور وحزيران برجه الجوزاء وتموز برجه السرطان وآب برجه الاسد

فان كذب فاقتله فسار بهم ثم ان الحجاج قاتل اصحاب عبد الرحمن فانهزم الحجاج فعبر السيب ورجع ابن الاشعث الى عسكره آمنا ونهب عسكر الحجاج فامنوا والقوا السلاح فلم يشعروا نصف الليل الا والسيف يأخذهم من تلك السرية فغرق من أصحاب عبد الرحمن أكثر ممن قتل ورجع الحجاج فى عسكره على الصوت فقتلوا من وجدوا فكان عدة من قتل اربعة آلاف منهم عبد الله بن شداد بن الهاد وبسطام بن مصقلة وعمرو بن ضبيعة الرقاشى وبشر بن المنذر بن الجارود وغيرهم

﴿ ذكر مسير عبد الرحمن الى رتبيل وما جرى له ولاصحابه ﴾

ولما انهزم عبد الرحمن من مسكن سار الى سجستان فاتبعه الحجاج ابنه محمدا وعمارة بن تميم اللخمى وعمارة على الجيش فادركه عمارة بالسوس فقاتله ساعة فانهزم عبد الرحمن ومن معه وساروا حتى أتوا سابور واجتمع اليه الاكراد فقاتلهم عمارة قتالا شديدا على العقبة فجرح عمارة وكثير من أصحابه وانهزم عمارة وترك لهم العقبة وسار عبد الرحمن حتى أتى كرمان وعمارة يتبع اثرهم فدخل بعض أهل الشام قصرا فى مفازة كرمان فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر ابن حلزة اليشكرى وهى طويلة

* أيا لهفا ويا حربا جميعا * ويا حر الفؤاد لما لقينا *
تركنا الدين والدنيا جميعا * واسلمنا الحلائل والبنينا
فما كنا اناس أهل دين * فنصبر فى البلاء اذا ابتلينا
وما كنا اناس أهل دنيا * فنمنعها ولو لم نرج دينا
تركنا دورنا لطغام عك * وانباط القرى والاشعرينا

فلما وصل عبد الرحمن كرمان أتاه عامله وقد هيا له نزلا فنزل ثم رحل الى سجستان فأتى زرنج وفيها عامله فاغلق بابها ومنع عبد الرحمن من دخولها فاقام عليها اياما ليفتحها فلم يصل اليها فسار الى بست وكان قد استعمل عليها عياض بن هميان بن هشام السدوسى الشيبانى فاستقبله وانزله فلما غفل أصحابه قبض عليه عياض وأوثقه وأراد ان يأمن به عند الحجاج وقد كان رتبيل ملك الترك سمع بقدوم عبد الرحمن فسار اليه ليستقبله فلما قبضه عياض نزل رتبيل على بست وبعث الى عياض يقول والله لئن آذيته بما يقذى عينه او ضررته ببعض الضرر او أخذت منه ولو حبلا من شعر لا أبرح حتى استنزلك واقتلك وجميع من معك واسبى ذراريكم واغنم أموالكم فاستأمنه عياض فاطلق عبد الرحمن فاراد قتل عياض فمنعه رتبيل ثم سار عبد الرحمن مع رتبيل الى بلاده فانزله واكرمه وعظمه وكان ناس كثير من المنهزمين من اصحاب عبد الرحمن من الرؤس والقادة الذين لم يقبلوا امان الحجاج ونصبوا له العداوة فى كل موطن قد تبعوا عبد الرحمن فبلغوا سجستان فى نحو ستين ألفا ونزلوا على زرنج يحاصرون من بها وكتبوا الى عبد الرحمن يستدعونه ويخبرونه انهم على قصد خراسان ليقووا بمن بها من عشائرهم فاتاهم وكان يصلى بهم عبد الرحمن ابن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب الى ان قدم عبد الرحمن فلما أتت كتبهم عبد الرحمن سار اليهم ففتحوا زرنج وسار نحوهم عمارة بن تميم فى أهل الشام فقال لعبد الرحمن اصحابه اخرج بنا عن سجستان الى خراسان فقال ان بها يزيد بن المهلب وهو رجل شجاع ولا يترك لكم سلطانه ولو دخلناها لقاتلنا وتبعنا أهل الشام فيجتمع علينا أهل خراسان وأهل الشام فقالوا لو دخلنا خراسان لكان من يتبعنا أكثر ممن يقاتلنا فسار معهم حتى بلغوا هراة فهرب من

(قال المسعودى) وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من الكلام فى الطبائع وفصول السنة وما يلائم ذلك من المآكل والمشارب وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق

﴿ ذكر قول العرب فى ليالى الشهور القمرية وغيرها ﴾

كانت العرب تخبر عن القمر فى كل ليلة على حسب ماهو به من الضياء وغيره على طريق المسئلة والجواب فتقول قيل للقمر ما أنت ابن ليلة قال رضاع سخيلة حل أهلها برميلة قيل فما أنت لليلتين قال حديث مشيق ذو أفل ونيق قيل فما أنت لثلاث قال حديث فتيات يجتمعن من شتات وقيل قليل الثبات قيل فما أنت لاربع قال غتمة ربع غير جائع ولا مرضع قيل ما أنت لخمس قال حديث وانس قيل فما أنت لست قال سر وبت قيل فما أنت لسبع قال نصف فى السبع وقيل حلجة الضبع قيل فما أنت لثمان قال قمر اضحيان وقيل رغيف اقتسمه أخوان قيل فما أنت لتسع قال يلتقط الجزع قيل فما أنت لعشر قال محق الفجر قيل فما أنت لاحدى

أصحابه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشى فى ألفين فقال لهم عبد الرحمن انى كنت فى مأمن وملجأ فجاءتنى كتبكم ان أقبل فان امرنا واحد فلعلنا نقاتل عدونا فأتيتكم فرأيت ان أمضى الى خراسان وزعمتم انكم تجتمعون الى وانكم لا تتفرقون وهذا عبيد الله قد صنع ما رأيتم فاصنعوا ما بدا لكم اما أنا فمنصرف الى صاحبى الذى أتيت من عنده فتفرق منهم طائفة وبقى معه طائفة وبقى أعظم العسكر مع عبد الرحمن بن العباس فبايعوه ومضى عبد الرحمن بن الاشعث الى رتبيل وسار عبد الرحمن بن العباس الى هراة فلقوا بها الرقاد الازدى فقتلوه فسار اليهم يزيد بن المهلب وقيل ان عبد الرحمن بن الاشعث لما انهزم من مسكن أتى عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة هراة وأتى عبد الرحمن بن العباس سجستان فاجتمع فل ابن الاشعث فسار الى خراسان فى عشرين ألفا فنزل هراة ولقوا الرقاد فقتلوه فارسل اليه يزيد بن المهلب قد كان لك فى البلاد متسع من هو أهون منى شوكة فارتحل الى بلد ليس فيه سلطان فانى أكره قتالك وان أردت مالا أرسلت اليك فاعاد الجواب انما نزلنا لمحاربة ولا لمقام ولكنا أردنا ان نريح ثم نرحل عنك وليست بنا الى المال حاجة وأقبل عبد الرحمن بن العباس على الجباية وبلغ ذلك يزيد فقال من أراد ان يريح نفسه ثم يرتحل لم يجب الخراج فسار يزيد نحوه وأعاد اليه انك قد أرحت وسمنت وجبيت الخراج فلك ما جبيت وزيادة فاخرج عنى فانى أكره قتالك فأبى الا القتال وكاتب جند يزيد يستميلهم ويدعوهم الى نفسه فعلم يزيد فقال جل الامر عن العتاب ثم تقدم اليه فقاتله فلم يكن بينهم كثير قتال حتى تفرق أصحاب عبد الرحمن عنه وصبر وصبرت معه طائفة ثم انهزموا وأمر يزيد أصحابه بالكف عن اتباعهم وأخذوا ما كان فى عسكرهم وأسروا منهم أسرى وكان منهم محمد بن سعد بن أبى وقاص وعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وعباس بن الاسود بن عوف الزهرى والهلقام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة وفيروز بن حصين وأبو الفلج مولى عبيد الله بن معمر وسوار بن مروان وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى وعبد الله بن فضالة الزهرانى الازدى ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسند وأتى ابن سمرة مرو وانصرف يزيد الى مرو وبعث الاسرى الى الحجاج مع سبرة ونجدة فلما أراد تسييرهم قال له أخوه حبيب باى وجه تنظر الى اليمانية وقد بعثت عبد الرحمن بن طلحة فقال يزيد انه الحجاج ولا يتعرض له قال وطن نفسك على العزل ولا ترسل به فان له عندنا يدا قال وما هى قال الزم المهلب فى مسجد الجماعة بمائتى ألف فاداها طلحة عنه فاطلقه يزيد ولم يرسل يزيد أيضا عبد الله بن فضالة لانه من الازد وارسل الباقين فلما قدموا على الحجاج قال لحاجبه اذا دعوتك بسيدهم فأتنى بفيروز وكان بواسط قبل ان تبنى مدينة فقال لحاجبه ائتنى بسيدهم فقال لفيروز قم فقام فاحضره عنده فقال له الحجاج أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء فوالله ما لحمك من لحومهم ولا دمك من دمائهم قال فتنة عمت الناس قال اكتب الى أموالك قال اكتب يا غلام ألف ألف وألفى ألف فذكر مالا كثيرا فقال الحجاج أين هذه الاموال قال عندى قال فادها قال وأنا آمن على دمى قال والله لتؤدينها ثم لاقتلنك قال والله لا تجمع بين دمى ومالى فامر به فنحى ثم أحضر محمد بن سعد بن أبى وقاص فقال له يا ظل الشيطان أعظم الناس تيها وكبرا تأبى بيعة يزيد ابن معاوية وتتشبه بالحسين وبابن عمر ثم صرت مؤذنا وجعل يضرب رأسه بعود فى يده حتى أدماه ثم أمر به فقتل ثم دعا بعمر بن موسى فقال يا عبد المرأة يقوم بالعمود على رأسك ابن الحائك يعنى ابن الاشعث وتشرب معه فى الحمام فقال أصلح الله الامير كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها فقد أمكنك الله منا فان عفوت فبحلمك وبفضلك وان عاقبت ظلمت مذنبين فقال الحجاج اما

عشرة قال أرى مساء وأرى بكرة قيل فما أنت لاثنى عشر قال موفق للسيرفى البدو والحضر قيل فما أنت لثلاث عشرة قال قمر باهر يعشى عين الناظر قيل فما أنت لاربع عشرة قال مقتبل الشباب أضاء بين السحاب قيل فما أنت لخمس عشرة قال تم التمام ونفدت الايام قيل فما أنت لست عشرة قال ناقص الخلق فى الغرب والشرق قيل فما أنت لسبع عشرة قال يمكن الفقير للفقير قيل فما أنت لثمان عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء قيل فما أنت لتسع عشرة قال بطىء الطلوع من الخشوع قيل فما أنت لعشرين قال أطلع سحرة وأرى بكرة قيل فما أنت لاحدى وعشرين قال لأطير السرى الاريثما أرى قيل فما أنت لاثنتين وعشرين قال منع خطب وليث حرب قيل فما أنت لثلاث وعشرين قال كالقبس أطلع فى الغلس قيل فما أنت لاربع وعشرين قال أطلع فى قتمة ولا أجلى ظلمة قيل فما أنت لخمس وعشرين قال انا فى تلك الليالى لا قمر ولا هلال قيل فما أنت لست وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل فما

انه ما شملت البرقة كذبت ولكنها شملت الفاجر وعوفى منها الابرار واما اعتراقك فعسى ان ينفعك
ورجاله الناس السلامة ثم أمر به فقتل ثم عاد بالهلقام بن نعيم فقال أحببت ان ابن الاشعث
طلب ما طلب ما الذى أملت أنت معه قال املت ان يملك فيولينى كما ولاك عبد الملك فأمر به فقتل
ثم قتل عبد الله بن عامر فلما أتاه قال له الحجاج لا رأت عينك الجنة ان أفلت فقال جزى الله ابن
المهلب خيرا بما صنع قال وما صنع قال

لانه كاس فى اطلاق اسرته * وقاد نحوك فى أغلالها مضرا
وقى بقومك ورد الموت اسرته * وكان قومك أدنى عنده خطرا

فاطرق الحجاج ووقرت فى قلبه وقال وما أنت وذاك وأمر به فقتل ولم تزل كلمته فى نفس الحجاج
حتى عزل يزيد عن خراسان وحبسه ثم أمر بفيروز فعذب وكان يشد عليه القصب الفارسى
المشقوق ويجر عليه حتى يجرح به ثم ينضح عليه الخل فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب ان
الناس لا يشكون ان قد قتلت ولى ودائع وأموال عند الناس لا تؤدى اليكم أبدا فاظهرنى للناس
ليعلموا أنى حى فيؤدوا المال فاعلم الحجاج فقال اظهره فاخرج الى باب المدينة فصاح فى الناس من
عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانا فيروز بن حصين ان لى عند اقوام مالا فمن كان لى عنده شئ
فهو له وهو منه فى حل فلا يؤد أحد منهم درهما ليبلغ الشاهد الغائب فأمر به الحجاج فقتل وأمر
بقتل عمر بن أبى قرة الكندى وكان شريفا وأمر باحضار أعشى همدان فقال أيه عدو الله أنشدنى
قولك بين الاشج وبين قيس قال بل انشدك ما قلت لك قال بل انشدنى هذه فانشده

أبى الله الا ان يتمم نوره * ويطفئ نار الفاسقين فتخمدا
ويظهر أهل الحق فى كل موطن * ويعدل وقع السيف من كان أصيدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله * كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة * من القول لم يصعد الى الله مصعدا
وما نكثوا من بيعة بعد بيعة * اذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غدا
وجبنا حشاه ربهم فى قلوبهم * فما يقربون الناس الا تهددا
فلا صدق فى قول ولا صبر عندهم * ولكن فخرا فيهم وتزيدا
فكيف رأيت الله فرق جمعهم * ومزقهم عرض البلاد وشردا
فقتلاهم قتلى ضلال وفتنة * وجيشهم أمسى ذليلا مطردا
ولما زحفنا لابن يوسف غدوة * وأبرق منه العارضان وأرعدا
قطعنا اليه الخندقين وانما * قطعنا وأفضينا الى الموت مرصدا
فكافحنا الحجاج دون صفوفنا * كفاحا ولم يضرب لذلك موعدا
بصف كأن الموت فى حجراتهم * اذا ما تجلى بيضه وتوقدا
دلفنا اليه فى صفوف كأنها * جبال شرورى أو نعاف فنهمدا
فما لبث الحجاج ان سل سيفه * علينا فولى جمعنا وتبددا
وما زاحف الحجاج الا رأيته * معانا وملقى للفتوح معودا
وان ابن عباس لفى مرجحنة * أشبهها قطعا من الليل أسودا
فما شرع وارمحا ولا جردوا ظبا * ألا انما لاقى الجبان مجردا

وكرت

أنت لسبع وعشرين قال دنا ما دنا قابس فى من سنا قيل فما أنت لثمان وعشرين قال أطلع بكرا ولا أرى ظهرا قيل فما أنت لتسع وعشرين قال أسبق شعاع الشمس ولا أطيل الجلس قيل فما أنت لثلاثين قال مستقبل سريع الافل (وكانت العرب) تسمى الثلاثة الاولى من ليالى الشهر فتقول ثلاث غرر والثلاث التى تليها ثلاث شهر والثلاث التى تليها ثلاث زهر والثلاث التى تليها ثلاث درر والثلاث التى تليها قمر وثلاث بيض وتقول فى النصف الثانى من الشهر فى الثلاث الاول درع وفى الثلاث التى تليها ظلم وفى الثلاث التى تليها ثلاث حناديس وفى الثلاث التى تليها ثلاث دوارى وفى الثلاث التى تليها ثلاث محاق وقيل فى وجه آخر من الروايات انه يقال لليالى الشهر ثلاث هلل وثلاث قمر وست نقل وثلاث درع وثلاث بهم وست حناديس وليلتان داريتان وليلة محاق (قال المسعودى) فأما ما ذهب اليه العرب فى تسمية القمر فانها تسميه فى ليلة طلوعه هلالا وما لم يستدر فهو هلال ثم تسميه قمرا اذا ما استدار

وكرت علينا خيل سفيان كرة * بفرسانها والسمهرى مقصدا
وسفيان يهديها كان لواءها * من الطعن سدايات بالصبغ مجسدا
كهول ومرد من قضاعة حوله * مساعيد ابطال اذا النكس عردا
اذا قال شدوا شدة حملوا معا * فانهل فرضان الرماح وأوردا
جنود أمير المؤمنين وخيله * وسلطانه أمسى عزيزا مؤيدا
ليهن أمير المؤمنين ظهوره * على أمة كانوا سعاة وحسدا
نزوا يشتكون البغى من أمرائهم * وكانوا هم أبغى البغاة وأعتدا
وجدنا بنى مروان خير أئمة * فافضل هذا الناس حلما وسوددا
وخير قريش فى قريش أرومة * وأكرمهم الا النبى محمدا
* اذا ما تدبرنا عواقب أمره * وجدنا أمير المؤمنين مسددا
سيغلب قوما حاربوا الله جهرة * وان كايدوه كان أقوى وأكيدا
كذاك يضل الله من كان قلبه * مريضا ومن والى النفاق وحشدا
وقد تركوا الاهلين والمال خلفهم * وبيضا عليهن الجلابيب جردا
يناديهم مستعبرات اليهم * ويذرين دمعا فى الخدود واثمدا
أنكثا وعصيانا وغدرا وذلة * أهان الاله من أهان وأبعدا
لقد شأم المصرين فرخ محمد * بحق وما لاقى من الطير أسعدا
كما شأم الله النجير وأهله * بجد له قد كان أشقى وأنجدا

فقال أهل الشام أحسن أصلح الله الامير فقال الحجاج لا لم يحسن انكم لا تدرون ما أراد بها ثم قال
يا عدو الله والله لا نحمدك انما قلت يا أسى ان لا يكون ظهر وظفر وتحريضا لاصحابك علينا وليس
عن هذا سألناك انشدنا قولك بين الاشج وبين قيس باذخ فانشده فلما قال بخ بخ أى للوالدة
وللمولود قال الحجاج والله لا تبخبخ بعدها أبدا فضربت عنقه (قوله) فى هذه الابيات ابن عباس هو
عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وقد تقدم ذكره وقوله سفيان هو ابن
الابرد الكلبى من قواد العساكر الشامية وقوله فرخ محمد هو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقوله
الاشج هو محمد بن الاشعث وقوله بين قيس هو معقل بن قيس الرياحى وهو جد عبد الرحمن بن
محمد لامه وقوله كما شأم الله النجير وأهله بجد له يعنى لما ارتد الاشعث بن قيس جد عبد الرحمن
بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وتبعه كندة فلما حاربهم المسلمون وحصروهم بالنجير أخذوهم
وقتلوهم وقد تقدم ذكر ذلك فى قتال أهل الردة قيل وأتى الحجاج باسيرين فأمر بقتلهما فقال
أحدهما ان لى عندك يدا قال وما هى قال ذكر عبد الرحمن يوما أمك بسوء فنهيته قال ومن يعلم
ذلك قال هذا الاسير الآخر فسأله الحجاج فصدقه فقال له الحجاج فلم لم تفعل كما فعل قال وينفعنى
الصدق عندك قال نعم قال منعنى البغض لك ولقومك قال خلوا عن هذا لفعله وعن هذا لصدقه
قيل جاء رجل من الانصار الى عمر بن عبد العزيز فقال أنا فلان بن فلان قتل جدى يوم بدر وقتل
جدى فلان يوم أحد وجعل يذكر مناقب سلفه فنظر عمر الى عنبسة بن سعيد بن العاص فقال
هذه المناقب والله لا يوم مسكن ويوم الجماجم ويوم راهط وأنشد

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

واذا ما حجر وأضاء فهو قمر قال شاعرهم
وقمر بدا ابن خمس وعشرين له قالت الفتاتان قوما
ثم يستوى لثلاث عشرة منه وهى ليلة السواء ثم ليلة البدر لاربع عشرة ويقال غلام بدر اذا امتلأ شبابا قبل أن يحتلم ويقال عين حدرة قمرة اذا كانت حديدة كعين الفرس والليالى البيض ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة والليالى الدرع هى التى تسود صدورها وتبيض سائرها والمحاق اذا ما طلعت عليه الشمس والسواد حين يستتر فيكون تدخلف الشمس ويقال قد حجر القمر اذا استدار بخط رقيق من غير أن يغلظ ويقال أفتق اذا أصابته فرجة من السحاب فخرج وأفتق علينا فابصرنا الطريق وكل سواد من الليل حندس والليالى الزهر الليالى البيض والله الموفق للصواب

ذكر القول فى تأثير النيرين فى هذا العالم وجمل مما قيل فى ذلك وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

ذهب الحكماء جميعا من اليونانيين وغيرهم الى أن أفعال القمر فى الجواهر التى قلنا عظيمة لانها أقرب

﴿ ذكر ما جرى للشعبى مع الحجاج ﴾

لما انهزم أصحاب عبد الرحمن بالجماجم نادى منادى الحجاج من لحق بقتيبة بن مسلم فهو آمن وكان قد ولاه الرى وسار اليه فلحق به ناس كثير وكان منهم الشعبى فذكره الحجاج يوما فسأل عنه فقال له يزيد بن أبى مسلم انه لحق بقتيبة بالرى فكتب الحجاج الى قتيبة يأمره بارسال الشعبى فارسله قال الشعبى فلما قدمت على الحجاج لقيت ابن أبى مسلم وكان صديقا لى فاستشرته فقال اعتذر مهما استطعت وأشار بمثل ذلك اخوانى ونصحائى فلما دخلت على الحجاج رأيت غير ما ذكروا لى فسلمت عليه بالامرة وقلت أيها الامير ان الناس قد أمرونى ان اعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق وايم الله لا أقول فى هذا المقام الا الحق قد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا بالاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وما جرت اليه أيدينا وان عفوت عنا فبحلمك وبعد فالحجة لك علينا فقال الحجاج أنت والله أحب الى قولا ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلت ولا شهدت وقد أمنت يا شعبى كيف وجدت الناس بعدنا فقلت أصلح الله الامير اكتحلت بعدك السهر واستوعرت الجناب واستحلست الخوف وفقدت صالح الاخوان ولم أجد من الامير خلفا قال انصرف يا شعبى فانصرفت

﴿ ذكر خلع عمر بن أبى الصلت بالرى وما كان منه ﴾

لما ظفر الحجاج بابن الاشعث لحق خلق كثير من المنهزمين بعمر بن أبى الصلت وكان قد غلب على الرى فى تلك الفتنة فلما اجتمعوا بالرى أرادوا أن يحظوا عند الحجاج بامر يمحون عن أنفسهم عثرة الجماجم فاشاروا على عمر بخلع الحجاج وقتيبة فامتنع فوضعوا عليه أباه أبا الصلت وكان به بارا فاشار عليه بذلك وألزمه به وقال له يا بنى اذا سار هؤلاء تحت لوائك لا أبالى ان تقتل غدا ففعل فلما قارب قتيبة الرى بلغه الخبر فاستعد لقتاله فالتقوا واقتتلوا فغدر أصحاب عمر به وأكثرهم من تميم فانهزم ولحق بطبرستان فآواه الاصبهبذ وأكرمه وأحسن اليه فقال عمر لابيه انك أمرتنى بخلع الحجاج وقتيبة فاطعتك وكان خلاف رأيى فلم أحمد رأيك وقد نزلنا بهذا العلج الاصبهبذ فدعنى حتى أثب عليه فاقتله واجلس على مملكته فقد علمت الاعاجم أنى أشرف منه فقال أبوه ما كنت لافعل هذا الرجل آوانا ونحن خائفون وأكرمنا وأنزلنا فقال عمر أنت أعلم وسترى ودخل قتيبة الرى وكتب الى الحجاج بخبر عمر وانهزامه الى طبرستان فكتب الحجاج الى أصبهبذ أن ابعث بهما أو برؤسهما والا فقد برئت منك الذمة فصنع لهم الاصبهبذ طعاما واحضرهما فقتل عمرو بعث أباه أسيرا وقيل بل قتلهما وبعث برؤسهما

﴿ ذكر بناء مدينة واسط ﴾

وفى هذه السنة بنى الحجاج واسطا وكان سبب ذلك ان الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة الى خراسان وعسكر بحمام عمر وكان فتى من أهل الكوفة حديث عهد بعرس فانصرف من العسكر الى ابنة عمه ليلا فطرق الباب طارق ودقه دقا شديدا فاذا سكران من أهل الشام فقالت للرجل ابنة عمه لقد لقينا من هذا الشامى شرا يفعل بنا كل ليلة ما ترى يريد المكروه وقد شكوته الى مشيخة أصحابه فقال لها زوجها ائذنى له فأذنت له فقتله زوجها فلما اذن الفجر خرج الى العسكر وقال لابنة عمه اذا صليت الفجر فابعثى الى الشاميين ليأخذوا صاحبهم فاذا أحضروك عند الحجاج فاصدقيه الخبر على وجهه ففعلت فأحضرت عند الحجاج فاخبرته فقال صدقتنى وقال للشاميين خذوا صاحبكم لا قود له ولا عقل فانه قتيل الله الى النار ثم نادى مناد لا ينزلن أحد على

من أفعال الشمس وهى الثانية بعدها وذلك أن الشهور ما يكون على حسب حركته يجرى أمرها وأفعالها ترى أعظم وأبين فى حيوان البحر خاصة وهى تنمى النبات وغيره وتعظم البحار وتسمن الحيوان وتلزم النساء الطمث أزمانا محدودة (قال المسعودى) رحمه الله وقد تنازع الناس فى كيفية تصور الجنين فى الرحم فذهب قوم من أهل القدم الى أن فى المنى قوة تصور الجنين امامنه واما من دم الطمث وذهب قوم الى أن فى الرحم قالبا يتصور فيه الجنين وقد ذكر جالينوس فى كتابه عن بقراط أن مقام المنى مقام الفاعل والمفعول فى تصور الجنين وقال صاحب المنطق ان ذلك بمنزلة الفاعل وان الجنين يتصور فى دم الطمث من المنى قال والمنى يعطى الدم مثل الحركة ثم يستحيل ريحا فيخرج من الرحم وزعم جالينوس أن الجنين يكون فى المنى وقد يحدث اليه الدم الذى هو الروح من العروق والشريانات فيكون من المنى ومن ذلك الدم الذى يجذبه ومن الريح الذى يصير اليه من الشريانات قال وكون

أحد وكان الحجاج قد أنزل أهل الشام على أهل الكوفة فخرج أهل الشام فعسكروا وبعث روادا يرتادون له منزلا وأقبل حتى نزل موضع واسط فاذا راهب قد أقبل على حمار له فلما كان بموضع واسط بال الحمار فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول واحتمله ورماه فى دجلة والحجاج يراه فقال على به فأتى به فقال ما حملك على ما صنعته قال نجد فى الكتب انه يبنى فى هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام فى الارض أحد يوحده فاختط الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد فى ذلك الموضع

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان من المدينة فى قول بعضهم واستعمل عليها هشام بن اسمعيل وكان العمال هذه السنة سوى المدينة الذين تقدم ذكرهم فى السنة قبلها قيل وكان الحجاج قد سير نساءه واهله الى الشام خوفا من عبد الرحمن بن الاشعث وفيهن أخته زينب التى ذكرها النميرى فى شعره فلما هزم ابن الاشعث أرسل البشير الى عبد الملك بذلك وكتب كتابا الى أخته زينب فاخذت الكتاب وهى راكبة فنفرت البغلة من قعقعة الكتاب فسقطت زينب فماتت وفى هذه السنة توفى واثلة بن الاسقع وهو ابن خمس ومائة سنة وقيل مات سنة خمس وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة وفيها مات زر بن حبيش وعمره مائة واثنتان وعشرون سنة وابو وائل شقيق بن سلمة الاسدى الكوفى وكان مولده سنة احدى من الهجرة

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين ﴾

﴿ ذكر قتل ابن القرية ﴾

وفيها قتل الحجاج أيوب بن القرية وكان مع ابن الاشعث بدير الجماجم فلما هزم ابن الاشعث الحق أيوب بحوشب بن يزيد عامل الحجاج على الكوفة فاستحضره الحجاج فقال له اقلنى عثرتى واسقنى ريقى فانه ليس جواد الا له كبوة ولا شجاع الا له هبوة ولا صارم الا له نبوة فقال الحجاج كلا والله لازيرنك جهنم قال فأرحنى فانى اجد حرها فامر به فضربت عنقه فلما رآه قتيلا قال لو تركناه حتى نسمع من كلامه

﴿ ذكر فتح قلعة نيزك بباذغيس ﴾

فى هذه السنة فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك وكان يزيد قد وضع على نيزك العيون فلما بلغه خروج نيزك عنها سار اليها فحاصرها فملكها وما فيها من الاموال والذخائر وكانت من احصن القلاع وأمنعها وكان نيزك اذا رآها سجد لها تعظيما لها وقال كعب بن معدان الاشقرى يذكرها

وباذغيس التى من حل ذروتها * عز الملوك فان شا جار أو ظلما
منيعة لم يكدها قبله ملك * الا اذا واجهت جيشا له وجما
تخال نيرانها من بعد منظرها * بعض النجوم اذا ما ليلها عتما

وهى أبيات عدة وقال أيضا يذكر يزيد وفتحها

نفى نيزكا عن باذغيس ونيزك * بمنزلة أعيى الملوك اغتصابها
محلقة دون السماء كأنها * غمامة صيف زال عنها سحابها
ولا تبلغ الاروى شماريخها العلى * ولا الطير الا نسرها وعقابها
وما خوفت بالذئب ولدان اهلها * ولا نبحت الا النجوم كلابها

فى أبيات غيرها فلما فتحها كتب الى الحجاج بالفتح وكان يكتب له يحيى بن يعمر العدوانى حليف هذيل انا لقينا العدو فمنحنا الله اكتافهم فقتلنا طائفة واسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤس

الجنين بمنزلة كون النبات والطبيعة تصوره من المنى والدم وتفعل الطبيعة فى الجنين ما تفعله فى النبات لان بذر النبات يحتاج الى أرض لينال منها ما يغتذى به فالجنين والرحم والنبات يرسل عروقه من الاصول ليجذب بها من الارض غذاءه وللجنين فى المشيمة شريانات والعروق نظير لذلك وهى أصول الجنين وبزر النبات منه سوق ومن السوق أغصان كبار ثم من هذه الاغصان أغصان أخرى تتفرع أولا حتى تنتهى الى الاقاصى ونظير ذلك يوجد فى الجنين فنجد العرق فى بدنه ثلاثة من كل واحد من الاغصان الاصول وهى الشريان الاعظم والعرق الاجوف والنخاع ثم نجد كل واحد من هذه يتشعب منه شعب كالاغصان المنقسمة الى أغصان أخر حتى ينتهى الى الاطراف ثم قال بعد ذلك ان المنى هو المحرك لنفسه وان الجنين يكون من الرجل والمرأة ودم الطمث (وحكى جالينوس) عن أبيه بليس أن أجزاء الولد منقسمة فى منى الذكر والانثى وان شهوة

الجبال وعراعر الاودية واهضام الغيطان واثناء الانهار فقال الحجاج من يكتب ابزيد فقيل يحيى ابن يعمر فكتب اليه بحمله على البريد فقدم اليه أفصح الناس فقال أين ولدت قال بالاهواز قال فهذه الفصاحة من أين قال حفظت من كلام أبى وكان فصيحا قال اخبرنى هل يلحن عنبسة بن سعيد قال نعم كثيرا قال ففلان قال نعم قال فاخبرنى هل ألحن قال نعم تلحن لحنا خفيا تزيد حرفا وتنقص حرفا وتجعل ان فى موضع ان وان فى موضع ان قال قد اجلتك ثلاثا فان وجدتك بارض العراق قتلتك فرجع الى خراسان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا عبد الله بن عبد الملك الروم ففتح المصيصة وبنى حصنها ووضع بها ثلثمائة مقاتل من ذوى البأس ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبنى مسجدها وحج بالناس هذه السنة هشام ابن اسمعيل وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية وفيها مات عبد الله ابن الحرث بن نوفل الملقب ببة بعمان وكان يسكن البصرة وكان مولده على عهد رسول الله

﴿ثم دخلت سنة خمس وثمانين﴾

﴿ذكر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث﴾

لما انصرف عبد الرحمن الى رتبيل من هراة قال له علقمة بن عمرو الاودى ما أريد ان ادخل معك لانى أتخوف عليك وعلى من معك لكأنى بالحجاج وقد كتب الى رتبيل يرغبه ويرهبه فاذا هو قد بعث بك سلما أو قتلكم ولكن معى خمسمائة قد تبايعنا على ان ندخل مدينة نتحصن بها حتى نعطى الامان أو نموت كراما ولم ندخل الى بلاد رتبيل معه وخرج هؤلاء الخمسمائة وجعلوا عليهم مودودا البصرى وقدم عليهم عمارة بن تميم اللخمى فحاصرهم فامتنعوا حتى أمنهم فخرجوا اليه فوفى لهم وتتابعت كتب الحجاج الى رتبيل فى عبد الرحمن أن ابعث به الى والا والذى لا اله غيره لاوطئن ارضك ألف ألف مقاتل وكان مع عبد الرحمن رجل من تميم يقال له عبيد بن سبيع التميمى وكان رسوله الى رتبيل فخص برتبيل وخف عليه فقال القاسم بن محمد بن الاشعث لاخيه عبد الرحمن انى لا آمن غدر هذا التميمى فاقتله فخافه عبيد ووشى به الى رتبيل وخوفه الحجاج ودعاه الى الغدر بابن الاشعث وقال له أنا آخذ لك من الحجاج عهدا ليكفن عن أرضك سبع سنين على ان تدفع اليه عبد الرحمن فأجابه الى ذلك فخرج عبيد الى عمارة سرا فذكر له ما استقر مع رتبيل وما بذل له وكتب عمارة الى الحجاج بذلك وأجابه اليه أيضا وبعث رتبيل برأس عبد الرحمن الى الحجاج وقيل ان عبد الرحمن كان قد أصابه السل فمات فأرسل رتبيل اليه فقطع رأسه قبل ان يدفن وارسله الى الحجاج وقد قيل ان رتبيل لما صالح عمارة بن تميم اللخمى على ابن الاشعث كتب عمارة الى الحجاج بذلك فاطلق له خراج بلاده عشر سنين فأرسل رتبيل الى عبد الرحمن وثلاثين من أهل بيته فحضر واقيدهم وارسلهم الى عمارة فألقى عبد الرحمن نفسه من سطح قصر فمات فاحتز رأسه وسيره الى الحجاج فسيره الحجاج الى عبد الملك وسيره عبد الملك الى أخيه عبد العزيز فقال بعض الشعراء

هيهات موضع جثة من رأسها * رأس بمصر وجثة بالرخج

وقيل ان هلاك عبد الرحمن كان سنة أربع وثمانين

﴿ذكر عزل يزيد بن المهلب عن خراسان وولاية أخيه المفضل﴾

وفى

الجماع تسبق هذه الاجزاء الى أن لا ينام وهذا موجود فى كتبهم فيما ذكروه من مذاهبهم فى كيفية تركيب العالم واتصال النفس بعالمها وغير ذلك (وقد ذهب قوم) من أهل القدم الى أن ذلك هو أجزاء تخرج من أعضاء الانسان اللطيفة من جنس سائر أعضاء الانسان فتنصب فى الرحم فيتغذى منه وينمو فيكون من ذلك الجنين (ومنهم) من رأى أن هذه الاجزاء الواردة من سائر أعضاء الذكر تقاربها مواد من الرحم ومن ماء المرأة عند اجتماعهما فيكون الجنين من ذلك فمن ذلك صار الولد يشبه أباه فى الاغلب من سائر الاعضاء وتشكيله وأهل بيت أبيه ولهذا وقع الشبه بين البنين والآباء فى الاغلب عن تشابه الاعضاء ومن ههنا أدركت القافة الحاق النسب عند الشبه والشك فى النسب وذلك على قول من رأى الحاق النسب بالقيافة من القافة وقد تقدم الكلام فى هذا المعنى فيما سلف من هذا الكتاب فى باب القيافة (وللناس) فى كيفية تصور الجنين فى الرحم وما بدؤه وما عنصره

وفى هذه السنة عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان وكان سبب عزله اياه ان الحجاج وفد الى عبد الملك فمر فى طريقه براهب فقيل له ان عنده علما فدعا به وسأله هل تجدون فى كتبكم ما أنتم فيه ونحن قال نعم قال مسمى أم موصوف فقال كل ذلك نجده موصوفا بغير اسم ومسمى بغير صفة قال فما تجدون صفة أمير المؤمنين قال نجده فى زماننا ملك اقرع من يقم لسبيله يصرع قال ثم من قال اسم رجل يقال له الوليد ثم رجل اسمه اسم نبى يفتح به على الناس قال أفتعلم من يلى بعدى قال نعم رجل يقال له يزيد قال أفتعرف صفته قال يغدر غدرة لا أعرف غير هذا فوقع فى نفسه أنه يزيد ابن المهلب ثم سار وهو وجل من قول الراهب ثم عاد وكتب الى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ويخبره انهم زبيرية فكتب اليه عبد الملك انى لا أرى طاعتهم لآل الزبير نقصا بآل المهلب ووفاؤهم لهم يدعوهم الى الوفاء لى فكتب اليه الحجاج يخوفه غدره وبما قال الراهب فكتب عبد الملك اليه انك قد أكثرت فى يزيد وآل المهلب فسم لى رجلا يصلح لخراسان فسمى قتيبة بن مسلم فكتب اليه أن وله وبلغ يزيد ان الحجاج عزله فقال لاهل بيته من ترون الحجاج يولى خراسان قالوا رجلا من ثقيف قال كلا ولكنه يكتب الى رجل منكم بعهده فاذا قدمت عليه عزله وولى رجلا من قيس وأخلق بقتيبة بن مسلم فلما أذن عبد الملك فى عزل يزيد كره ان يكتب اليه بعزله فكتب اليه يأمره ان يستخلف أخاه المفضل ويقبل اليه واستشار يزيد حضين بن المنذر الرقاشى فقال له اقم واعتل واكتب الى امير المؤمنين ليقرك فانه حسن الحال والرأى فيك قال يزيد نحن أهل بيت قد بورك لنا فى الطاعة وانا أكره الخلاف فاخذ يتجهز فابطأ فكتب الحجاج الى المفضل انى قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد ان الحجاج لا يقرك بعدى وانما دعاه الى ما صنع مخافة ان امتنع عليه وستعلم وخرج يزيد فى ربيع الآخر سنة خمس وثمانين واقر الحجاج أخاه المفضل تسعة أشهر ثم عزله وقد قيل ان سبب عزله أن الحجاج لما فرغ من عبد الرحمن بن الاشعث لم يكن له هم الا يزيد بن المهلب وأهل بيته وقد كان اذل أهل العراق كلهم الا آل المهلب ومن معهم بخراسان وتخوفه على العراق وكان يبعث اليه ليأتيه فيعتل عليه بالعدو والحروب فكتب الحجاج الى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد ويخبره بطاعتهم لآل الزبير فكتب اليه عبد الملك بنحو ما تقدم وساق باقى الخبر كما تقدم وقال حضين ليزيد

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى * فاصبحت مسلوب الامارة نادما

فما انا بالباكى عليك صبابة * وما أنا بالداعى لترجع سالما

قال فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين ما قلت ليزيد قال قلت

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى * فنفسك ردّ اللوم ان كنت لائما

فان يبلغ الحجاج أن قد عصيته * فانك تلقى أمره متفاقما

قال فماذا أمرته به قال أمرته ان لا يدع صفراء ولا بيضاء الا حملها الى الامير قال بعضهم فوجده قتيبة قارحا وقيل كتب الحجاج الى يزيد اغز خوارزم فكتب انها قليلة السلب شديدة الكلب فكتب اليه الحجاج استخلف واقدم فكتب انى أريد ان اغزو خوارزم فكتب الحجاج لا تغزها فانها كما ذكرت فغزا ولم يطعه فصالحه أهلها وأصاب سبيا وقفل فى الشتاء وأصاب الناس برد فاخذوا ثياب الاسرى فمات ذلك السبى فكتب اليه الحجاج ان اقدم فسار اليه فكان لا يمر ببلد الا فرش أهلها الرياحين (حضين بن المنذر بالحاء المهملة المضمومة والضاد المعجمة المفتوحة وآخره نون)

وكيفية تقلبه من النطفة الى العلقة ومن العلقة الى المضغة الى استكمال شكله كلام كثير منهم أصحاب الانبيق وغيرهم ممن تقدم وتأخر أعرضنا عن ذكر ذلك اذ كان فيه خروج عما اليه قصدنا فى هذا الباب (قال المسعودى) رحمه الله والذى يقضى على سائر ما تقدم وصفه وينقطع علم العقول عنده هو ما أخبر به البارى عز وجل فى كتابه بقوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ولم يخبر عن كيفية ذلك وما سبب مواده بل استأثر بتلك الدلالة وظهور حكمته ثم أخبر عن المبدا الذى خلقهم منه فقال يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وقال عز وجل يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر الآية (قال المسعودى) وللناس فيما سلف من الاوائل وخالف من الشرعيين كلام كثير فى كيفية أفعال النيرين

﴿ ذكر غزو المفضل باذغيس وآخرون ﴾

لما ولي المفضل خراسان غزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنما فقسمه فأصاب كل رجل ثمانمائة ثم غزا آخرون وشومان فغنم وقسم ما أصاب ولم يكن للمفضل بيت مال كان يعطى الناس كلما جاءه شئ وان غنم شيأ قسمه بينهم

﴿ ذكر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم ﴾

في هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ وكان سبب مصيره الى ترمذ ان أباه لما قتل من قتل من بنى تميم وقد تقدم ذكر ذلك تفرق عنه أكثر من كان معه منهم فخرج الى نيسابور وخاف بنى تميم على ثقله بمرو فقال لابنه موسى خذ ثقلى واقطع نهر بلخ حتى تلتجئ الى بعض الملوك والى حصن تقوم فيه فرحل موسى عن مرو فى عشرين ومائتى فارس واجتمع اليه تتمة أربعمائة وانضم اليه قوم من بنى سليم فأتى زم فقاتله أهلها فظفر بهم فأصاب مالا وقطع النهر وأتى بخارا فسأل صاحبها ان يلجأ اليه فأبى فخافه وقال رجل فاتك وأصحابه مثله فلا آمنه ووصله وسار فلم يأت ملكا يلجأ اليه الا كره مقامه عنده فأتى سمرقند فأقام بها وأكرمه ملكها طرخون وأذن له فى المقام وأقام ما شاء الله ولاهل الصغد مائدة يوضع عليها لحم وخل وخبز وابريق شراب وذلك كل عام يوما يجعلون ذلك لفارس الصغد فلا يقربه غيره فان أكل منه أحد بارزه فايهما قتل صاحبه فالمائدة له فقال رجل من أصحاب موسى ما هذه المائدة فأخبر فجلس فأكل ما عليها وقيل لصاحب المائدة فجاء مغضبا وقال يا عربى بارزنى فبارزه فقتله صاحب موسى فقال ملك الصغد أنزلتكم وأكرمتكم فقتلتم فارسى لولا انى أمنتك وأصحابك لقتلتكم اخرجوا عن بلدى فخرجوا فأتى كش فضعف صاحبها عنه فاستنصر طرخون فأتاه فخرج موسى اليه وقد اجتمع معه سبعمائة فارس فقاتلهم حتى أمسوا وتحاجزوا وبأصحاب موسى جراح كثيرة فقال لزرعة بن علقمة احتل لنا على طرخون فأتاه فقال أيها الملك ما حاجتك الى ان تقتل موسى وتقتل من معه فانك لا تصل اليه حتى يقتلوا عدتهم ولو قتلته واياهم جميعا فانه خطأ لان له قدرا فى العرب فلا يأتى أحد خراسان الا طالبك بدمه فقال ليس لى الى ترك كش فى يده سبيل قال فكف عنه حتى يرتحل فكف وسار موسى فأتى ترمذ وبها حصن يشرف على جانب النهر فنزل موسى خارج الحصن وسأل ترمذشاه ان يدخله حصنه فأبى فاهدى له موسى ولاطفه حتى حصل بينهما مودة وخرج فتصيد معه فصنع صاحب ترمذ طعاما وأحضر موسى ليأكل معه ولا يحضر الا فى مائة من أصحابه فاختار موسى مائة من أصحابه فدخلوا الحصن وأكلوا فلما فرغوا قال له اخرج قال لا أخرج حتى يكون الحصن بيتى أو قبرى وقاتلهم فقتل منهم عدة وهرب الباقون واستولى موسى عليها وأخرج ترمذشاه منها ولم يعرض له ولا الى أصحابه فأتوا الترك يستنصرونهم على موسى فلم ينصروهم وقالوا لا نقاتل هؤلاء وأقام موسى بترمذ وأتاه جمع من أصحاب أبيه فقوى بهم فكان يخرج فيغير على ما حوله ثم ولى بكير بن وساج خراسان فلم يعرض له ثم قدم أمية فسار بنفسه يريد مخالفة بكير فرجع على ما تقدم ذكره ثم ان أمية وجه الى موسى بعد صلح بكير رجلا من خزاعة فى جمع كثير وعاد أهل ترمذ الى الترك فاستنصروهم وأعلموهم أنه قد غزاه قوم من العرب وحصروه فسارت الترك فى جمع كثير الى الخزاعى فاطاف بموسى الترك والخزاعى فكان يقاتل الخزاعى أول النهار والترك آخر النهار فقاتلهم شهرين أو ثلاثة ثم انه أراد أن يبيت الخزاعى وعسكره فقال له عمرو بن خالد بن حصين الكلابى ليكن البيات بالعجم فان العرب أشد حذرا وأجرأ على الليل فاذا فرغنا من

وتأثيرهما فى هذا العالم وما قالوه فى ذلك وما خصوا به كل واحد منهما وأفردوه وما ذهبوا اليه من فعل الثانى منهما وهو القمر وما يظهر من تأثيره فى الجزر والمد فى بحر الصين والحبش واليمن على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب وكذلك فعله فى المعادن وأدمغة الحيوان والبيض وسائر الحيوان والنبات وما يظهر من الزيادات فيه عند امتلائه والنقص عند نقصانه وما يكون من بحرانات المرضى فى اليوم السابع من العلة والرابع عشر والحادى والعشرين والثامن والعشرين لان للقمر أربعة أشكال هى أثبت صورة فيه شكل التنصيف وشكل التمام وشكل التنصيف عند التمام وشكل المحاق ولكل شكل من هذه سبعة أيام لانه فى سبع ليال يتنصف وفى الرابعة عشرة يتم وفى الحادية والعشرين يتنصف وفى الثامنة والعشرين ينمحق فكذلك البحرانات وعند هذه الطائفة يصح فى السابع والرابع عشر والحادى والعشرين ويصح أيضا فى تنصيفات هذه اذ كانت هذه الاشكال أثبت أشكال الشئ المنقسم وقد خالف هؤلاء خلق ممن ذهب

العجم تفرغنا للعرب فاقام حتى ذهب ثلث الليل وخرج موسى فى أربعمائة وقال لعمرو بن خالد اخرج بعدنا فكن أنت ومن معك قريبا فاذا سمعتم تكبيرنا فكبروا ثم سار حتى ارتفع فوقع عسكر الترك ورجع اليهم وجعل أصحابه أرباعا وأقبل اليهم فلما رآهم أصحاب الارصاد قالوا من أنتم قالوا عابر وسبيل فلما جاوزوا الرصد حملوا على الترك وكبروا فلم يشعر الترك الا بوقع السيوف فيهم فساروا يقتل بعضهم بعضا وولوا فأصيب من المسلمين ستة عشر رجلا وحووا عسكرهم وأصابوا سلاحا كثيرا ومالا وأصبح الخزاعى وأصحابه وقد كسرهم ذلك فخافوا مثلها فقال عمرو بن خالد لموسى اننا لا نظفر الا بمكيدة ولهم امداد وهم كثيرون فدعنى آته لعلى أصيب فرصة فاضربنى وخلاك ذم فقال له موسى تتعجل الضرب وتتعرض للقتل قال أما التعرض للقتل فانا كل يوم متعرض له وأما الضرب فما أيسره فى جنب ما أريد فضربه موسى خمسين سوطا فخرج من عسكر موسى وأتى عسكر الخزاعى مستأمنا وقال أنا رجل من أهل اليمن كنت مع عبد الله بن خازم فلما قتل أتيت ابنه فكنت معه وانه اتهمنى وقال قد تعصبت لعدونا وأنت عين له فضربنى ولم آمن القتل فهربت منه فأمنه الخزاعى وأقام معه فدخل يوما وهو خال ولم ير عنده سلاحا فقال كانه ينصح له أصلح الله الامير ان مثلك فى مثل هذه الحال لا ينبغى أن يكون بغير سلاح قال ان معى سلاحا فرفع طرف فراشه فاذا سيف منتضى فاخذه عمرو فضربه حتى قتله وخرج فركب فرسه وأتى موسى وتفرق ذلك الجيش وأتى بعضهم موسى مستأمنا فأمنه ولم يوجه اليه أمية أحدا وعزل أمية وقدم المهلب أميرا فلم يتعرض لموسى وقال لبنيه اياكم وموسى فانكم لا تزالون ولاة خراسان ما دام هذا النبط بمكانه فان قتل فاول طالع عليكم أمير على خراسان من قيس فلما مات المهلب وولى يزيد لم يتعرض أيضا لموسى وكان المهلب قد ضرب حريث بن قطبة الخزاعى فخرج هو وأخوه ثابت الى موسى فلما ولى يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرمهما وقتل أخاهما لامهما الحرث بن منقذ فخرج ثابت الى طرخون فشكا اليه ما صنع به وكان ثابت محببا الى الترك بعيد الصوت فيهم فغضب له طرخون وجمع له نيزك والسبل وأهل بخارا والصغانيان فقدموا مع ثابت الى موسى وقد اجتمع الى موسى فل عبد الرحمن بن العباس من هراة وفل ابن الاشعث من العراق ومن ناحية كابل فاجتمع معه ثمانية آلاف فقال له ثابت وحريث سر حتى تقطع النهر وتخرج يزيد عن خراسان ونوليك منهم ان تفعل فقال له أصحابه ان أخرجت يزيد عن خراسان تولى ثابت وأخوه خراسان وغلباك عليها فلم يسر وقال لثابت وحريث ان أخرجنا يزيد قدم عامل لعبد الملك ولكنا نخرج عمال يزيد عما وراء النهر ويكون لنا فاخرجوا عمال يزيد عما وراء النهر وجبوا الاموال فقوى أمرهم وانصرف طرخون ومن معه واستبد ثابت وحريث بتدبير الامر والامير موسى ليس له غير الاسم فقيل لموسى ليس لك من الامور شئ والامور الى ثابت وحريث فاقتلهما وتول الامر فأبى فالحوا عليه حتى أفسدوا قلبه عليهما وهم بقتلهما فانهم لفى ذلك اذ خرج عليهم الهياطلة والتبت والترك فى سبعين ألفا لا يعدون الحاسر ولا صاحب البيضة الجماء ولا يعدون الا صاحب بيضة ذات قونس فخرج ابن خازم وقاتلهم فيمن معه ووقف ملك الترك على تل فى عشرة آلاف فى أكمل عدة والقتال أشد ما كان فقال موسى ان أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشئ فقصدهم حريث بن قطبة فقاتلهم وألح عليهم حتى أزالهم عن التل ورمى حريث بنشابة فى جبهته وتحاجز بينهم موسى وحمل أخوه خازم ابن عبد الله بن خازم حتى وصل الى شمعة ملكهم فوجأ رجلا منهم بقبيعة سيفه فطعن فرسه فاحتمله

الى غير هذا القول وأن ذلك من قبل الاخلاط وغير ذلك والطبائع الاربعة وغيرها مما قد أتينا على ايضاحه فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف وفى كتاب المبادى والتراكيب وغير ذلك فى كيفية تأثير الشمس والقمر (وأما الدلائل) وأن السماء تدل على مثال الكرة وتدويرها بجميع ما فيها من الكواكب كدورة الكرة وأن الارض بجميع أجزائها من البر والبحر على مثال الكرة وأن كرة الارض مثبتة فى وسط السماء كالكرة وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة فى الدائرة صغرا ووصف الربع المسكون من الارض وما يعرض فيها من دور الفلك واختلاف الليل والنهار ووصف المواضع التى تطلع الشمس فيها شهورا لا تغرب وتغرب شهورا لا تطلع فقد أتينا على وصف جميع ذلك وما اتضح عليه وما انتصب من البراهين وما قاله الناس فى ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب أخبار الزمان وما أوضحنا فيه من هيئة الافلاك والكواكب وأن الارض مع ما وصفنا فى تدويرها موضوعة فى جوف الفلك كالمحة فى البيضة والنسيم

الفرس فالقاه فى نهر بلخ فغرق وقتل من الترك خلق كثير ونجا من نجا منهم بشر ومات حريث بعد
يومين ورجع موسى وحمل معه الرؤس فبنى منها جوسقين وقال أصحاب موسى قد كفينا أمر حريث
فاكفنا أمر ثابت فابى وبلغ ثابتا بعض ما يخوضون فيه فدس محمد بن عبد الله الخزاعى عم نصر بن
عبد الحميد عامل ابى مسلم على الرى على موسى وقال اياك ان تتكلم بالعربية وان سألوك فقل أنا
من سبى البامبان ففعل ذلك واتصل بموسى وكان يخدمه وينقل الى ثابت خبرهم فحذر ثابت
وألح القوم على موسى فقال لهم ليلة لقد أكثرتم على وفيما تريدون هلاككم فعلى أى وجه تقتلونه
ولا غدر به فقال له أخوه نوح اذا أتاك غدا عدلنا به الى بعض الدور فضربنا عنقه فيها قبل أن يصل
اليك فقال والله انه هلاككم وأنتم أعلم فخرج الغلام فاتى ثابتا فاخبره فخرج من ليلته فى عشرين
فارسا ومضى وأصبحوا فلم يروه ولم يروا الغلام فعلموا انه كان عينا له ونزل ثابت بحوشرا واجتمع
اليه خلق كثير من العرب والعجم فاقبل موسى اليه وقاتله وتحصن ثابت بالمدينة وأتاه طرخون
معينا له فرجع موسى الى ترمذ وأقبل ثابت وطرخون ومعهما أهل بخارا ونسف وكش فاجتمعوا
فى ثمانين ألفا فحصروا موسى حتى جهد هو وأصحابه فلما اشتد عليهم قال يزيد بن هذيل والله لاقتلن
ثابتا أو لاموتن فخرج الى ثابت فاستأمنه فقال له ظهير أنا أعرف بهذا منك ما أتاك الا بغدره
فاحذره فاخذ ابنيه قدامة والضحاك رهنا فكانا فى يد ظهير وأقام يزيد يلتمس غرة ثابت فلم يقدر
على ما يريد حتى مات ابن لزياد القصير الخزاعى فخرج ثابت اليه ليعزيه وهو بغير سلاح وقد غابت
الشمس فدنا يزيد من ثابت فضربه على رأسه فوصل الى الدماغ وهرب فسلم وأخذ طرخون قدامة
والضحاك ابنى يزيد فقتلهما وعاش ثابت سبعة أيام ومات وقام بامر العجم بعد موت ثابت
طرخون وقام ظهير بامر أصحاب ثابت فقاما قياما ضعيفا وانتشر أمرهم وأجمع موسى على بياتهم
فاخبر طرخون بذلك فضحك وقال موسى يعجز أن يدخل متوضأه فكيف يبيتنا لا يحرس الليلة
أحد فخرج موسى فى ثمانمائة وجعلهم ارباعا وبيتهم وكان لا يمر بشئ الا ضربوه من رجل ودابة
وغير ذلك فلبس نيزك سلاحه ووقف وأرسل طرخون الى موسى أن كف أصحابك فانا نرحل اذا
أصبحنا فرجع موسى وارتحل طرخون والعجم جميعا فكان أهل خراسان يقولون ما رأينا مثل
موسى ولا سمعنا به قاتل مع أبيه سنتين ثم خرج يسير فى بلاد خراسان فاتى ملكا فتغلب على مدينته
وأخرجه منها وسار الجنود من العرب والترك اليه وكان يقاتل العرب أول النهار والترك آخر النهار
وأقام موسى فى الحصن خمس عشرة سنة وصار ما وراء النهر لموسى لا ينازعه فيه أحد فلما عزل يزيد
ابن المهلب وولى المفضل أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبد الله فسير عثمان بن
مسعود اليه فى جيش وكتب الى مدرك بن المهلب وهو ببلخ يأمره بالمسير معه فعبر النهر فى خمسة
عشر ألفا فكتب الى السبل والى طرخون فقدموا عليه فحصروا موسى وضيقوا عليه وعلى
أصحابه فمكث شهرين فى ضيق وقد خندق عثمان عليه وحذر البيات فقال موسى لاصحابه
اخرجوا بنا حتى متى نصبر فاجعلوا يومكم معهم اما ظفرتم واما قتلتم واقصدوا الترك فخرجوا وخلف
النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم فى المدينة وقال له ان قتلت فلا تدفعن المدينة الى عثمان
وادفعها الى مدرك بن المهلب وخرج وجعل ثلث أصحابه ازاء عثمان وقال لا تقاتلوه الا ان
يقاتلكم وقصد لطرخون وأصحابه فصدقوهم القتال فانهزم طرخون وأخذوا عسكرهم وزحفت
الترك والصغد فحالوا بين موسى والحصن فقاتلوهم فعقر وافرسه فسقط فقال لمولى له احملنى فقال
الموت كريه ولكن ارتدف فان نجونا نجونا جميعا وان هلكنا هلكنا جميعا قال فارتدف فلما نظر اليه

جاذب أيضا لما فى أبدان الخلق
من الخفة والارض جاذبة
لما فى أبدانهم من الثقل
اذ كانت الارض بمنزلة
حجر المغناطيس الذى يجذب
بطبعه الحديد وأن الارض
مقسومة نصفين وبينهما
خط الاستواء وهو من
المشرق الى المغرب كما أن
منطقة الارض أكبر من
الفلك وعرض الارض من
القطب الجنوبى الذى تدور
حوله بنات نعش وأن
استدارة الارض من خط
الاستواء ست وثلاثون
درجة والدرجة خمسة
وعشرون فرسخا والفرسخ
اثنا عشر ألف ذراع
والذراع اثنان وأربعون
أصبعا والاصبع ست
حبات وتسعان مصفوفة
بعضها الى بعض يكون
ذلك تسعة آلاف فرسخ
(وقد قدمنا) فيما سلف من
هذا الكتاب فى باب ذكر
الارض والبحار ومبادى
الانهار مقدار الميل والذراع
الاسود وانما نذكر فى كل
موضع من هذا الكتاب
ما سنح لنا ونجده فى كتب
الناس فننقل ذلك عنهم
على ما وجدناه فى كتبهم
الا أنا لا نقطع على صحته اذ
كان ما يذهب اليه فى مقدار
الميل من الاذرع والذراع

عثمان حين وثب قال وثبة موسى ورب الكعبة وقصد الى موسى وعقرت دابة موسى فسقط هو
ومولاه فقتلوه ونادى منادى عثمان من لقيتموه فخذوه أسيرا ولا تقتلوا أحدا فقتل ذلك اليوم
من الاسرى خلقا كثيرا من العرب خاصة فكان يقتل العرب ويضرب المولى ويطلقه وكان فظا
غليظا وكان الذى أجهز على موسى واصل بن طيسلة العنبرى وبقيت المدينة بيد النضر بن سليمان
فلم يدفعها الى عثمان وسلمها الى مدرك بن المهلب وأمنه فسلمها مدرك الى عثمان وكتب المفضل
الى الحجاج بقتل موسى فقال الحجاج منه أكتب اليه بقتل ابن سمرة فيكتب الى انه لما به ويكتب
الى انه قد قتل موسى بن عبد الله بن خازم ولم يسره قتل موسى لانه من قيس وقتل موسى سنة خمس
وثمانين وضربه رجل من الجند ساق موسى فلما ولى قتيبة قال ما دعاك الى ما صنعت بفتى العرب
بعد موته قال كان قتل أخى فأمر به فقتل

﴿ذكر موت عبد العزيز بن مروان والبيعة للوليد بولاية العهد﴾

كان عبد الملك بن مروان أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز من ولاية العهد ويبايع لابنه الوليد بن
عبد الملك فنهاه عن ذلك قبيصة بن ذؤيب وقال لا تفعل فانك تبعث على نفسك صوت عار ولعل
الموت يأتيه فكف عنه ونفسه تنازعه الى خلعه فدخل عليه روح بن زنباع وكان أجل الناس عند
عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين لو خلعته ما انتطح فيه عنزان وأنا أول من يجيبك الى ذلك قال نصبح
ان شاء الله ونام روح عند عبد الملك فدخل عليهما قبيصة بن ذؤيب وهما نائمان وكان عبد الملك قد
تقدم الى حجابه ان لا يحجبوا قبيصة عنه وكان اليه الخاتم والسكة تأتيه الاخبار قبل عبد
الملك والكتب فلما دخل سلم عليه قال آجرك الله فى عبد العزيز أخيك قال هل توفى قال نعم
فاسترجع ثم أقبل على روح وقال كفانا الله ما كنا نريد وكان ذلك مخالفا لك يا قبيصة فقال قبيصة
يا أمير المؤمنين ان الرأى كله فى الاناة فقال عبد الملك وربما كان فى العجلة خير كثير رأيت أمر
عمرو بن سعيد ألم تكن العجلة فيه خيرا من الاناة وكانت وفاة عبد العزيز فى جمادى الاولى فى
مصر فضم عبد الملك عمله الى ابنه عبد الله بن عبد الملك وولاه مصر وقيل ان الحجاج كتب الى عبد
الملك يزين له بيعة الوليد وأوفد فى ذلك وفدا فلما أراد عبد الملك خلع عبد العزيز والبيعة للوليد
كتب الى عبد العزيز ان رأيت ان تصير هذا الامر لابن أخيك فابى فكتب اليه ليجعل الامر
له ويجعله له أيضا من بعده فكتب اليه عبد العزيز انى أرى فى ابنى أبى بكر ما ترى فى الوليد فكتب
اليه عبد الملك ليحمل خراج مصر فاجابه عبد العزيز انى واياك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سنا لم يبلغها
أحد من أهل بيتك الا كان بقاؤه قليلا وانا لا ندرى أينا يأتيه الموت أولا فان رأيت ان لا تفسد
على بقية عمرى فافعل فرق له عبد الملك وتركه وقال للوليد وسليمان ان يرد الله ان يعطيكما الخلافة
لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك فقال عبد الملك حيث رده عبد العزيز اللهم انه قطعنى فاقطعه
فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام رد على أمير المؤمنين أمره فلما أتى خبر موته الى عبد الملك أمر
الناس بالبيعة لابنيه الوليد وسليمان فبايعوا وكتب بالبيعة لهما الى البلدان وكان على المدينة
هشام بن اسمعيل فدعا الناس الى البيعة فاجابوا الا سعيد بن المسيب فانه أبى وقال لا أبايع وعبد
الملك حى فضربه هشام ضربا مبرحا وطاف به وهو فى تبان شعر حتى بلغ رأس الثنية التى يقتلون
ويصلبون عندها ثم ردوه وحبسوه فقال سعيد لو ظننت انهم لا يصلبونى ما لبست ثياب مسوح
ولكننى قلت يصلبوننى فيسترنى فبلغ عبد الملك الخبر فقال قبح الله هشاما انما كان ينبغى ان يدعوه
الى البيعة فان أبى ان يبايع فيضرب عنقه أو يكف عنه وكتب اليه يلومه ويقول له ان سعيدا

من الاصابع هو ما بيناه
آنفا فى باب ذكر الارض
والبحار وبين الاستواء
وكل واحد من قطبين
تسعون درجة واستدارتها
عرضا مثل ذلك وزعم
هؤلاء أن العمارة فى
الارض بعد خط الاستواء
أربع وعشرون درجة
وأن الباقى قد غمره البحر
الكبير وأن الخلق على
الشمال من الارض والربع
الجنوبى خراب لشدة الحر
فيه والنصف الباقى من
الارض لا ساكن فيه وكل
ربع من الشمال والجنوب
سبعة أقاليم قد ذكرناها
فيما سلف من هذا الكتاب
عند ذكرنا الارض والاقاليم
السبعة وأن عدد المدن
عند صاحب كتاب الجغرافيا
أربعة آلاف مدينة
ومائتا مدينة فأما قبلة
المشرق والمغرب والتيمن
والجنوبى فقد ذكرنا جملا
من ذلك فى كتابنا أخبار
الزمان (وقد حرر ذلك) فى
كتابه أبو حنيفة الدينورى
وقد سلب ذلك ابن قتيبة
ونقله الى كتبه نقلا وجعله
عن نفسه وقد فعل ذلك فى
كثير من كتب أبى حنيفة
الدينورى هذا وكان أبو
حنيفة هذا ذا محل من
العلم كبير وبطليموس فى
كتاب المجسطى وغيره ممن

ليس عنده شقاق ولا خلاف وقد كان سعيد امتنع من بيعة ابن الزبير وقال لا أبايع حتى يجتمع الناس فضربه جابر بن الاسود عامل ابن الزبير ستين سوطا فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب الى جابر يلومه وقال مالنا ولسعيد دعه لا تعرض له وقيل ان بيعة الوليد وسليمان كانت سنة أربع وثمانين والاول أصح قبل قدوم عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مصر فلما فارقه وصاه عبد الملك فقال ابسط بشرك وألن كنفك وآثر الرفق فى الامور فهو أبلغ بك وانظر حاجبك وليكن من خير أهلك فانه وجهك ولسانك ولا يقفن أحد ببابك الا أعلمك مكانه لتعلم أنت الذى تأذن له أو ترده فاذا خرجت الى مجلسك فابدأ جلساءك بالكلام يأنسوا بك وتثبت فى قلوبهم محبتك واذا انتهى اليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة فانها تفتح مغاليق الامور المهمة واعلم ان لك نصف الرأى ولاخيك نصفه وان يهلك امرؤ عن مشورة واذا سخطت على أحد فأخر عقوبته فانك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردها بعد امضائها والسلام

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس هذه السنة هشام بن اسمعيل المخزومى وكان العامل على العراق والمشرق الحجاج بن يوسف وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فصاف فيها وشتى وفى هذه السنة مات عمرو بن حريث المخزومى وفيها مات عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدى وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان وثمانين وفيها مات عبد الله بن عامر بن ربيعة حليف بنى عدى وكان له لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم أربع سنين

﴿ثم دخلت سنة ست وثمانين﴾

﴿ذكر وفاة عبد الملك﴾

فى هذه السنة توفى عبد الملك بن مروان منتصف شوال وكان يقول أخاف الموت فى شهر رمضان وفيه ولدت وفيه فطمت وفيه جمعت القرآن وفيه بايع لى الناس فمات للنصف من شوال حين أمن الموت فى نفسه وكان عمره ستين سنة وقيل ثلاثا وستين سنة وكانت خلافته من لدن قتل ابن الزبير ثلاثة عشر سنة وأربعة أشهر الا سبع ليال وقيل ثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما ولما اشتد مرضه قال بعض الاطباء ان شرب الماء مات فاشتد عطشه فقال يا وليد اسقنى ماء قال لا اعين عليك فقال لابنته فاطمة اسقينى ماء فمنعها الوليد فقال لتدعنها أو لاخلعنك فقال لم يبق بعد هذا شئ فسقته فمات ودخل الوليد عليه وابنته فاطمة عند رأسه تبكى فقال كيف أمير المؤمنين قال هو أصلح فلما خرج قال عبد الملك

ومستخبر عنا يريد لنا الردى * ومستخبرات والدموع سواجم

واوصى بنيه فقال أوصيكم بتقوى الله فانها أزين حلية وأحصن كهف ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فانه نابكم الذى عنه تفترون ومجنكم الذى عنه ترمون وأكرموا الحجاج فانه الذى وطأ لكم المنابر ودوخ لكم البلاد وأذل الاعداء وكونوا بنى أم بررة لا تدب بينكم العقارب وكونوا فى الحرب أحرارا فان القتال لا يقرب منية وكونوا للمعروف منارا فان المعروف يبقى أجره وذكره وضعوا معروفكم عند ذوى الاحساب فانهم أصون له وأشكر لما يؤتى اليهم منه وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فان استقالوا فاقيلوا وان عادوا فانتقموا ولما توفى دفن خارج باب الجابية وصلى عليه الوليد فتمثل هشام

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال الوليد اسكت فانك تتكلم بلسان شيطان الا قلت كما قال أوس بن حجر

تقدم ثم ان طرأ بعد ظهور الاسلام مثل الكندى وابن المنجم وأحمد بن الطيب وماشاء الله وأبى معشر والخوارزمى ومحمد ابن كثير الفرغانى فيما ذكره فى كتابه فى الاصول الثلاثين وثابت بن مرة والسديدى ومحمد بن جابر البنانى وغير هؤلاء ممن قد عنى بعلوم الهيئة علوم كثيرة فى هذا المعنى وانما ننقل من ذلك الى هذا الكتاب لما طلبا للاختصار والايجاز

﴿ذكر أرباع العالم والطبائع وما خص به كل جزء منه من الشرق والغرب والتيمن والجنوبى والاهوية وغير ذلك من سلطان الكواكب وما لحق بهذا الباب﴾

فأما الطبائع الاربعة فالنار حارة يابسة والطبيعة الثانية باردة رطبة وهى الماء والطبيعة الثالثة الهواء وهو حار رطب والطبيعة الرابعة الارض وهى باردة يابسة فاثنتان تذهبان صعداء وهما النار والهواء واثنتان ترسخان سفلا وهما الارض والماء والعالم أربعة أجزاء فالمشرق الربع الاول وجميع ما فيه حار رطب

اذا مقرم منا ذرى حد نابه * تخمط منا ناب آخر مقرم

وقيل ان سليمان تمثل بالبيت الاول وهو الصحيح لان هشاما كان صغيرا له أربع عشرة سنة وقد رثى الشعراء عبد الملك كثير عزة وغيره فمما قيل فيه

سقاك ابن مروان من الغيث مسبل * أجش سماكى يجود ويهطل

فما فى حياة بعد موتك رغبة * لحر وان كنا الوليد نؤمل

﴿ذكر نسبه وأولاده وأزواجه﴾

أما نسبه فهو ابو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأمه عائشة بنت معاوية بن الوليد بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية وأما أولاده وأزواجه فمنهم الوليد وسليمان ومروان الاكبر درج وعائشة أمهم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحرث ابن زهير بن خزيمة العبسية ومنهم يزيد ومروان ومعاوية درج وأم كلثوم وأمهم عاتكة ابنة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ومنهم هشام وأمه أم هشام بنت اسمعيل بن هشام بن الوليد ابن المغيرة المخزومية واسمها عائشة ومنهم أبو بكر وهو بكار أمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله ومنهم الحكم درج أمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان ومنهم فاطمة بنت عبد الملك أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة ومنهم عبد الملك ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج لامهات الاولاد وكان له من النساء شقراء بنت مسلم ابن حابس الطائى وأم أبيها ابنة عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وقيل كان عنده ابنة لعلى بن أبى طالب ولا يصح

﴿ذكر بعض أخباره﴾

كان عبد الملك عاقلا حازما أديبا لبيبا عالما قال أبو الزناد كان فقهاء المدينة أربعة سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب وعبد الملك بن مروان وقال الشعبى ما ذاكرت أحدا الا وجدت لى الفضل عليه الا عبد الملك فانى ما ذاكرته حديثا الا زادنى فيه ولا شعرا الا زادنى فيه وقال جعفر ابن عقبة الخطائى قيل لعبد الملك أسرع اليك الشيب فقال شيبنى ارتقاء المنابر وخوف اللحن وقال عبد الملك ما أعلم أحدا أقوى على هذا الامر منى ان ابن الزبير طويل الصلاة كثير الصيام ولكن لبخله لا يصلح ان يكون سائسا قال أبو مسهر قيل لعبد الملك فى مرضه كيف تجدك قال أجدنى كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية وقال المفضل بن فضالة عن أبيه استأذن قوم على عبد الملك بن مروان وهو شديد المرض فدخلوا عليه وقد أسنده خصى الى صدره فقال لهم انكم دخلتم على عند اقبال آخرتى وادبار دنياى وانى تذكرت أرجى عمل لى فوجدتها غزوة غزوتها فى سبيل الله وأنا خلو من هذه الاشياء فاياكم وايا أبوابنا هذه الخبيثة ان تطيفوا بها وقال سعيد بن عبد العزيز التنوخى لما نزل بعبد الملك بن مروان الموت أمر بفتح باب قصره فاذا قصار يقصر ثوبا فقال يا ليتنى كنت قصارا يا ليتنى كنت قصارا مرتين فقال سعيد بن عبد العزيز الحمد لله الذى جعلهم يفزعون الينا ولا نفزع اليهم وقال سعيد بن بشير ان عبد الملك حين ثقل جعل يلوم نفسه ويضرب يده على رأسه وقال وددت انى كنت أكتسب يوما بيوم ما يقوتنى وأشتغل بطاعة الله فذكر ذلك لابن حازم فقال الحمد لله الذى جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه وقال مسعود بن خاف

الهواء والدم وهذا الربع ريحه الجنوب وله من الساعات الاولى والثانية والثالثة وله من قوى البدن قوة الطبيعة الهاضمة ومن المذاقات حظه الحلاوة وله من الكواكب القمر والزهرة وله من البروج الحمل والثور والجوزاء وللحكماء فى هذا خطب طويل فى وصف هذه الارباع هذه جمل منها ما مضى وما يأتى والمغرب هو الربع الثانى وجميع ما فيه بارد رطب الماء واللبن فى الشتاء ورياحه الدبور وله من الساعات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة وله من المذاقات المالح وما شابه ذلك وله من القوى القوة الدافعة وله من الكواكب المشترى وعطارد ومن البروج الجدى والدلو والحوت والجزء الثالث التيمن وجميع ما فيه حار يابس النار والمرة الصفراء فى الصيف وريحه الصبا وله من الساعات الرابعة والخامسة والسادسة من النهار وله من قوى البدن القوة النفسانية والحيوانية وله من المذاقات المرارة وله من الكواكب المريخ والشمس ومن البروج السرطان والسنبلة

قال عبد الملك بن مروان فى مرضه والله وددت انى عبد لرجل من تهامة أرعى غنما فى جبالها وانى لم آل شيأ وقال عمران بن موسى المؤدب يروى ان عبد الملك بن مروان لما اشتد مرضه قال ارفعونى على شرف ففعل ذلك فتنسم الروح ثم قال يادنيا ما أطيبك ان طويلك لقصير وان كبيرك لحقير وان كنا منك لفى غرور وتمثل بهذين البيتين

ان تناقش يكن نقاشك يارب   عذابا لاطوق لى بالعذاب
أو تجاوز فانت رب صفوح * عن مسىء ذنوبه كالتراب

ويروى ان هذه الابيات تمثل بها معاوية ويحق لعبد الملك أن يحذر هذا الحذر ويخاف فان من يكن الحجاج بعض سيئاته يعلم على أى شىء يقدم عليه قال عبد الملك لسعيد بن المسيب يا أبا محمد صرت أعمل الخير فلا أسر به وأصنع الشر فلا أساء به فقال الآن تكامل فيك موت القلب وكان عبد الملك أول من غدر فى الاسلام وقد تقدم فعله بعمرو بن سعيد وكان أول من نقل الديوان من الفارسية الى العربية وأول من نهى عن الكلام فى حضرة الخلفاء وكان الناس قبله يراجعونهم وأول خليفة بخل وكان يقال له رشح الحجارة لبخله وأول من نهى عن الامر بالمعروف فانه قال فى خطبته بعد قتل ابن الزبير ولا يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا الا ضربت عنقه

﴿ذكر خلافة الوليد بن عبد الملك﴾

فلما دفن عبد الملك بن مروان انصرف الوليد عن قبره فدخل المسجد وصعد المنبر واجتمع اليه الناس فخطبهم وقال انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا الموت أمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة قوموا فبايعوا وكان أول من عزى نفسه وهنأها وكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولى وهو يقول

الله أعطاك التى لافوقها * وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويأبى الله الا سوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

فبايعه ثم قام الناس لبيعته وقد قيل ان الوليد لما صعد المنبر حمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس لا مقدم لما أخر الله ولا مؤخر لما قدم وهذا كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتب على أنبيائه وحملة عرشه وهو الموت وقد صار الى منازل الابرار ولى هذه الامة بالذى يحق الله عليه فى الشدة على المريب واللين لاهل الحق والفضل واقامة ما أقام الله من منار الاسلام واعلامه من حج البيت وغزو الثغور وشن الغارة على أعداء الله فلم يكن عاجزا ولا مفرطا أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فان الشيطان مع الفرد أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ومن سكت مات بدائه ثم نزل وكان جبارا عنيدا

﴿ذكر ولاية قتيبة خراسان وما كان منه هذه السنة﴾

وفى هذه السنة قدم قتيبة خراسان أميرا عليها للحجاج فقدمها والمفضل يعرض الجند للغزاة فخطب قتيبة الناس وحثهم على الجهاد ثم عرضهم وسار وجعل بمرو على حربها اياس بن عبد الله ابن عمرو وعلى الخراج عثمان السعيدى فلما كان بالطالقان أتاه دهاقين بلخ وساروا معه فقطع النهر فتلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ودعاه الى بلاده فمضى معه فسلمها اليه لان ملك آخرون وشومان كان يسىء جواره ثم سار قتيبة منها الى آخرون وشومان وهما من

والميزان والجزء الرابع هو الجنوبى وجميع ما فيه بارد يابس مثل الارض وله من الساعات السابعة والثامنة والتاسعة وله من قوى البدن القوة الماسكة ومن المذاقات العفص وله من الكواكب زحل وله من البروج الميزان والعقرب والقوس والارض وما وصفناه فى الهيئة وتختلف فى التأثير على مقادير الخطوط فاذا بعد الخط كان التأثير بخلاف ما هو اذا قرب لموجبات متنافية متغايرة وأفضل المواضع فى السكنى ما نطرح الشمس ضوء شعاعها اليه والى الاقاليم الرابع ينتهى عند هذه الطائفة شعاعها فى صفوه وارتفاع كدره ولا فرق بين شعاع الشمس يهبط مساويا الى هذا الموضع وهو العراق (قال المسعودى) والمواضع التى لا تسكن عند هذه الطائفة عدمت السكنى لعلتين احداهما افراط الحر واحراق الشمس وكثرة تواتر شعاعها على تلك الارضين جعلتها يابسة وأغاضت مياهها الكثرة التنشيف والعلة الاخرى بعد الشمس عن الاقاليم وارتفاعها عن حوزاته

طخارستان فصالحه ملكهما على فدية أداها اليه فقبلها قتيبة ثم انصرف الى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ففتح صالح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشت وهى من فرغانة وفتح اخشيكث وهى مدينة فرغانة القديمة وكان معه نصر بن سيار فابلى يومئذ بلاء حسنا وقيل ان قتيبة قدم خراسان سنة خمس وثمانين فعرض الجند فغزا آخرون وشومان ثم رجع الى مرو وقيل انه أقام السنة ولم يقطع النهر لسبب بلخ فان بعضها كان منتقضا عليه فحاربهم وكان ممن سبى امرأة برمك أبى خالد بن برمك وكان برمك على النوبهار فصارت لعبد الله بن مسلم أخى قتيبة فوقع عليها ثم ان أهل بلخ صالحوه وأمر قتيبة برد السبى فقالت امرأة برمك لعبد الله انى قد علقت منك وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة فأوصى ان يلحق به ما فى بطنها وردت الى برمك فذكر ان ولد عبد الله بن مسلم جاؤا أيام المهدى حين قدم الرى الى خالد فادعوه فقال لهم مسلم بن قتيبة انه لابد لكم ان استلحقتموه ففعل ان تزوجوه فتركوه وكان برمك طبيبا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب وعزل حبيب ابن المهلب عن كرمان وعبد الملك عن شرطته وحج بالناس هشام بن اسمعيل المخزومى وكان الامير على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وفى أيام عبد الملك مات أسيد بن ظهير الانصارى (أسيد بضم الهمزة وظهير بضم الظاء المعجمة) وفيها مات عمر بن أبى سلمة وهو ابن أم سلمة وفى أيامه مات علقمة بن وقاص الليثى وله صحبة وفى هذه السنة مات قبيصة بن ذؤيب الخزاعى وولد أول سنة من الهجرة وحنكه النبى صلى الله عليه وسلم وكان على خاتم عبد الملك بن مروان وكان فقيها وفى أيامه مات سعد بن زيد الانصارى وولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وفى أيامه مات سلمة بن أم سلمة ربيب النبى صلى الله عليه وسلم وفى هذه السنة مات عبد الله بن أبى أوفى الاسلمى وقيل سنة سبع وثمانين شهد الحديبية وخيبر وفى آخر أيامه مات الوليد بن عبادة بن الصامت الانصارى وولد فى آخر زمن النبى صلى الله عليه وسلم وفى هذه السنة توفى لاحق بن حميد أبو مجلز السدوسى

﴿ثم دخلت سنة سبع وثمانين﴾

﴿ذكر امارة عمر بن عبد العزيز بالمدينة﴾

وفى هذه السنة عزل الوليد هشام بن اسمعيل عن المدينة لسبع ليال خلون من ربيع الاول وكانت امارته عليها أربع سنين غير شهر أو نحوه وولى عمر بن عبد العزيز المدينة فقدمها والياً فى ربيع الاول وثقله على ثلاثين بعيرا فنزل دار مروان وجعل يدخل عليه الناس فسلموا فلما صلى الظهر دعا عشرة من الفقهاء الذين فى المدينة عروة بن الزبير وأبا بكر بن سليمان بن أبى خيثمة وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحرث وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد فدخلوا عليه فقال لهم انما دعوتكم لامر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق لا أريد ان أقطع أمرا الا برأيكم أو برأى من حضر منكم فان رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل لى ظلامة فاحرج الله على من بلغه ذلك الا بلغنى فخرجوا يجزونه خيرا وافترقوا وكتب الوليد الى عمر ابن عبد العزيز يأمره ان يقف هشام بن اسمعيل للناس وكان سيء الرأى فيه وكان هشام بن اسمعيل يسىء جوار على بن الحسين فخافه هشام فتقدم على بن الحسين الى خاصته ان لا يعرض له أحد بكلمة ومر به على وقد وقف للناس ولم يعرض له فناداه هشام الله أعلم حيث يجعل رسالاته

فاكتنف تلك الارضين البرد واستولى عليها القر والجهد فزاد افراط البرد فى الجو حتى أزال حسن الاعتدال ورفع فضيلة التشف فلم تلبث الحرارة فى الاجسام ولم تظهر الرطوبة فى اغذاء الحيوان هنالك فصارت تلك البلاد قاعا صفصفا من الحيوان والنبات وهذه البلدان التى تراها مفرطة الحرارة والبرودة هى تناسب ماذكرنا من هذه الديار البلاقع ولهذه الطائفة كلام كثير فى فناء العالم ونفسه وعوده جديدا وذكروا أن السلطان فى هذا الوقت السنبلة والمشترى فى التدبير وأن نهاية العالم فى كثرة قطع الكوكب المدبر المسافة التامة بالقوى فاذا استكمل وبلغ المسافة التى ذكروها فى الفلك فهنالك يقع النفاد ويكون الدثور بالعالم والكواكب اذا كملت مابها من كرود رعاد التدبير الى الاول منها وعادت أشخاص كل عالم وصوره مع اجتماع المواد التى كانت له فى حد حركة تأثير الكوكب الذى كان التدبير اليه هكذا عند هؤلاء كان يجرى شأن العالم سرمدا (وزعموا) أن سلطان الحمل اثنا عشر ألف سنة وسلطان العقرب خمسة

(ذكر صلح قتيبة ونيزك)

ولما صالح قتيبة ملك شومان كتب الى نيزك طرخان صاحب باذغيس فى اطلاق من عنده من أسرى المسلمين وكتب اليه يتهدده فخافه نيزك فاطلق الاسرى وبعث بهم اليه وكتب اليه قتيبة مع سليم الناصح مولى عبيد الله بن أبى بكرة يدعوه الى الصلح والى ان يؤمنه وكتب اليه يحلف بالله لئن لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبنه حيث كان حتى يظفر به أو يموت دونه فقدم سليم بالكتاب فقال له نيزك وكان يستنصحه يا سليم ما أظن عند صاحبك خيرا كتب الى كتابا لا يكتب الى مثلى فقال له سليم انه رجل شديد فى سلطانه سهل اذا سوهل صعب اذا عوسر فلا يمنعك منه غلظة كتابه اليك فاحسن حالك عنده فقام نيزك مع سليم فصالحه لاهل باذغيس على ان لا يدخلها قتيبة

(ذكر غزو الروم)

قيل وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم فقتل منهم عددا كثيرا بسوسنة من ناحية المصيصة وفتح حصونا وقيل ان الذى غزا فى هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بولق وحصن الاخرم وحصن بولس وقمقم وقتل من المستعربة نحو من ألف مقاتل وسبى ذريتهم ونساءهم

(ذكر غزو قتيبة بيكند)

ولما صالح قتيبة نيزك أقام الى وقت الغزو فغزا بيكند سنة سبع وثمانين وهى أدنى مدائن بخارا الى النهر فلما نزل بهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فاتوهم فى جمع كثير وأخذوا الطرق على قتيبة فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل اليه خبر شهرين وأبطأ خبره على الحجاج فاشفق على الجند فامر الناس بالدعاء لهم فى المساجد وهم يقتتلون كل يوم وكان لقتيبة عين من العجم يقال له تندر فاعطاه أهل بخارا مالا ليردعنهم قتيبة فاتاه فقال له سرا من الناس ان الحجاج قد عزل وقد أتى عامل الى خراسان فلو رجعت بالناس كان أصلح فامر به فقتل خوفا من أن يظهر الخبر فيهلك الناس ثم أمر أصحابه بالجد فى القتال فقاتلهم قتالا شديدا فانهزم الكفار يريدون المدينة وتبعهم المسلمون قتلا واسرا كيف شاؤا وتحصن من دخل المدينة بها فوضع قتيبة الفعلة ليهدم سورها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم عاملا وارتحل عنهم يريد الرجوع فلما سار خمسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه فرجع قتيبة فنقب سورهم فسقط فسألوه الصلح فلم يقبل ودخلها عنوة وقتل من كان بها من المقاتلة وكان فيمن أخذوا من المدينة رجل أعور هو الذى استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة أنا أفدى نفسى بخمسة آلاف حريرة قيمتها ألف ألف فاستشار قتيبة الناس فقالوا هذه زيادة فى الغنائم وما عسى ان يبلغ كيد هذا قال لا والله لا يروع بك مسلم أبدا فامر به فقتل وأصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضة ما لا يحصى ولا أصابوا بخراسان مثله فقوى المسلمون وولى قسم الغنائم عبد الله بن والان العدوى أحد بنى ملكان وكان قتيبة يسميه الامين ابن الامين فانه كان أمينا وكان من حديث أمانة أبيه ان مسلما الباهلى أبا قتيبة قال لوالان ان عندى مالا أحب ان استودعكه ولا يعلم به أحد قال والان ابعث به مع رجل تثق اليه الى موضع كذا وكذا ومره اذا رأى فى ذلك الموضع رجلا ان يضع المال وينصرف فجعل مسلم المال فى خرج وحمله على بغل وقال لمولى له انطلق بهذا المال الى موضع كذا وكذا فاذا رأيت رجلا جالسا فخل البغل وانصرف ففعل المولى ما أمره وأتى المكان وكان والان تقدمه اليه وانتظر وابطأ عليه رسول مسلم فظن انه قد بدا له فانصرف وجاء رجل من بنى تغلب فجلس فى ذلك المكان وجاء مولى مسلم فرآه فسلم اليه البغل ورجع فاخذ التغلبى البغل

آلاف سنة وسلطان الجدى ثلاثة آلاف سنة وسلطان الدلو ألف سنة وعندهم هذا هو انقضاء العالم ونقص ما فيه ورجوعه الى كونه (وتكلم هؤلاء) فى الجن الذين كانوا فى الارض قبل خلق آدم واستخلافه فى الارض وأن المتولى لهم كوكب من الكواكب النارية (وتكلم كلا الفريقين) فى أوج الشمس عند انفصالها الى البروج الجنوبية وما يحدث فى العالم فى كون الشمال جنوبا والجنوب شمالا وتحول العامر غامرا والغامر عامرا على حسب ما ذكرنا فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف (وقد ذهب) هؤلاء ممن تقدم من الأوائل أن التى وجدتها سائر الموجودات كالأول والثوانى والثوالث على قدر مراتبها فى العقل والنفس والصورة والهيولى وانها المبادى على حسب ما رتبناه وقدمناه فى كتاب الزلف فاعدا ما وصفنا فهى الاجسام وأجناسها ستة الجسم السماوى والحيوانى الناطق والحيوانى غير الناطق والنبات والاحجار الجرية وهى المعدنية والاستقطاعات الاربعة وهى النار والهواء والماء والارض (وتكلم هؤلاء)

والمال ورجع الى منزله وظن مسلم ان المال قد أخذه والان فلم يسأله حتى احتاج اليه فلقيه فقال مالى فقال ما قبضت شيأ ولا لك عندى مال فكان مسلم يشكوه الى الناس فشكاه يوما والتغلبى جالس فخلا به التغلبى وسأله عن المال فاخبره فانطلق به الى منزله وسلم المال اليه وأخبره الخبر فكان مسلم يأتى الناس والقبائل فيذكر لهم عذر والان ويخبرهم الخبر قال فلما فرغ قتيبة من فتح بيكند رجع الى مرو

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة وكان على قضاء المدينة أبو بكر بن عمرو ابن حزم وكان على العراق وخراسان الحجاج وكان خليفته على البصرة هذه السنة الجراح بن عبد الله الحكمى وعلى قضائها عبد الله بن اذينة وكان على قضاء الكوفة أبو بكر بن موسى الاشعرى وفيها مات عبيد الله بن عباس بالمدينة وقيل باليمن وكان أصغر من عبد الله بسنة وفيها مات مطرف ابن عبد الله بن الشخير فى طاعون الجارف بالبصرة وفيها مات المقدام بن معديكرب الكندى له صحبة وقيل مات سنة احدى وتسعين وفيها مات أمية بن عبد الله بن أسيد (بفتح الهمزة الشخير بكسر الشين والخاء المعجمتين وتشديد الخاء وبعدها ياء)

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين)

(ذكر فتح طوانة من بلد الروم)

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك بلد الروم وكان الوليد قد كتب الى صاحب ارمينية يأمره ان يكتب الى ملك الروم يعرفه ان الخزر وغيرهم من ملوك جبال ارمينية قد أجمعوا على قصد بلاده ففعل ذلك وقطع الوليد البعث على أهل الشام الى ارمينية وأكثروا اعظم جهازه وساروا نحو الجزيرة ثم عطفوا منها الى بلد الروم فاقتتلوا هم والروم فانهزم الروم ثم رجعوا فانهزم المسلمون فبقى العباس فى نفر منهم ابن محيريز الجمحى فقال له العباس أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ابن محيريز نادهم يأتوك فنادى العباس يا أهل القرآن فاقبلوا جميعا فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة وحصرهم المسلمون وفتحوها فى جمادى الاولى قيل وفيها ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك

(ذكر عمارة مسجد النبى صلى الله عليه وسلم)

قيل وفى هذه السنة كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز فى ربيع الاول يأمره بادخال حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يشترى ما فى نواحيه حتى يكون مائتى ذراع فى مائتى ذراع ويقول له قدم القبلة ان قدرت وأنت تقدر لمكان اخوالك وانهم لا يخالفونك فمن أبى منهم فقوموا ملكه قيمة عدل واهدم عليهم وادفع الاثمان اليهم فان لك فى عمر وعثمان اسوة فاحضرهم عمر وأقرأهم الكتاب فاجابوه الى الثمن فاعطاهم اياه وأخذوا فى هدم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى المسجد وقدم عليهم الفعلة من الشام أرسلهم الوليد وبعث الوليد الى ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ليعمره فبعث اليه ملك الروم مائة ألف مثقال ذهب ومائة عامل وبعث اليه من الفسيفساء باربعين جملا فبعث الوليد بذلك الى عمر بن عبد العزيز وحضر عمر ومعه الناس فوضعوا اساسه وابتدؤا بعمارته قيل وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم أيضا ففتح ثلاثة حصون أحدها حصن قسطنطين وغزالة وحصن الاخرم وقتل من المستعربة نحوا من ألف وأخذ الاموال

فيما يخص كل واحد مما ذكرنا مما لا يحتمله كتابنا هذا اذا كان فيه خروج عن الفرض المتمم فيه وقد أتينا على بسط ذلك فى كتاب الرؤس السبعة فى باب لسياسة المدنية وعدد أجزائها وملتها الطبيعية وهل ملك تلك المدينة جزء من أجزائها أو من غيرها واليه نهاية أجزائها على حسب ما ذكرناه ذكره فرفورنوس فى كتابه فى وصف منازعة افلاطون وارسطاطاليس فى ذلك فأما علة كون الشتاء بأرض الهند فى الحالة التى يكون الصيف بها عندنا والشتاء يكون الصيف عندهم فقد ذكرنا علة ذلك ووجه البرهان عليه وأن فلك الشمس فى قربها وبعدها وكذلك علة تكون السودان فى بعض البقاع من الارض دون بعض وتعطر ألوان الصقالبة وشقرتهم وصهوبة شعورهم وما لحق الترك من استرخاء مفاصلهم وتعوج سيقانهم ولين عظامهم حتى ان أحدهم ليرمى بالنشاب من خلف كرميه من قدام فيصير وجهه قفاه وقفاه وجهه ومطاوعة فقارات الظهور لهم على ذلك وكون الحمرة فى وجوههم عند تكامل الحرارة فى الوجه

﴿ذكر غزو نومشكث ورامثنة﴾

قيل وفى هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم نومشكث واستخلف على مرو أخاه بشار بن مسلم فتلقاه أهلها فصالحهم ثم سار الى رامثنة فصالحه أهلها وانصرف عنهم وزحف اليه الترك ومعهم الصغد وأهل فرغانة فى مائتى ألف وملكهم كورنغابون ابن أخت ملك الصين فاعترضوا المسلمين فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم أخا قتيبة وهو على الساقة وبينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل فلما قربوا منه أرسل الى قتيبة بخبره وأدركه الترك فقاتلوه ورجع قتيبة فانتهى الى عبد الرحمن وهو يقاتل الترك وقد كاد الترك يظهرون فلما رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم وقاتلوا الى الظهر وأبلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة فانهزم الترك ورجع قتيبة فقطع النهر عند ترمذ وأتى مرو

﴿ذكر ما عمل الوليد من المعروف﴾

وفى هذه السنة كتب الوليد الى عمر بن العزيز فى تسهيل الثنايا وحفر الآبار وأمره أن يعمل الفوارة بالمدينة فعملها وأجرى ماءها فلما حج الوليد ورآها أعجبته فأمر لها بقوام يقومون عليها وأمر أهل المسجدين يستقوا منها وكتب الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار ومنع المجذمين من الخروج على الناس وأجرى لهم الارزاق

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز ووصل جماعة من قريش وساق معه بدنا وأحرم من ذى الحليفة فلما كان بالتنعيم أخبر أن مكة قليلة الماء وانهم يخافون على الحاج العطش فقال عمر تعالوا ندع الله تعالى فدعا ودعا معه الناس فما وصلوا البيت الا مع المطر وسال الوادى فخاف أهل مكة من شدته ومطرت عرفة ومنى وكثر الخصب وقيل انما حج هذه السنة عمر بن الوليد بن عبد الملك وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها مات سهل بن سعد الساعدى وقيل بل سنة احدى وتسعين وله مائة سنة وعبد الله بن بسر المازنى من مازن بن منصور وكان ممن صلى الى القبلتين وهو آخر من مات بالشام من الصحابة (بسر بضم الباء الموحدة وبالسين المهملة)

﴿ثم دخلت سنة تسع وثمانين﴾

﴿ذكر غزو الروم﴾

قيل فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك الروم فافتتح مسلمة حصن عمورية وفتح العباس أذرولية ولقى من الروم جمعا فهزمهم وقيل ان مسلمة قصد عمورية فلقى بها جمعا من الروم كثيرا فهزمهم وافتتح هرقلة وقونية وغزا العباس الصائفة من ناحية البذندون

﴿ذكر غزو قتيبة بخارا﴾

فى هذه السنة أتى قتيبة كتاب الحجاج يأمره بقصد وردان خذاه فعبر النهر من زم فلقى الصغد وأهل كش ونسف فى طريق المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى الى بخارا فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان فلقوه فى جمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين فظفر بهم وغزا وردان خذاه ملك بخارا فلم يظفر بشئ فرجع الى مرو وكتب الى الحجاج بخبره فكتب اليه الحجاج أن صورها فبعث اليه بصورتها فكتب اليه الحجاج أن تب الى الله جل ثناؤه مما كان منك وأتها من مكان كذا وكذا وكتب اليه ان كس بكش وانسف نسف ورد وردان واياك والتحويط ودعنى من بنيات الطريق وقيل انما كان فتح بخارا سنة تسعين على ما نذكره

على الاغلب من كونها وارتفاعها لغلبة البرد على أجسامهم فقد أتينا بحمد الله على ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا فى هذه المعانى المقدم ذكرها ولم نتعرض لذكر ما لم يصح عندنا فى العالم وجوده حسا ولا خبرا قاطعا للعذر ولا دافعا للرأى ومزيلا للشك كأخبار العامة فى كون النسناس وان وجوههم على نصف وجوه الناس وانهم دور الباب وقولهم فى عنقاء مغرب وقد زعم كثير من الناس أن الحيوان الناطق ثلاثة أجناس ناس ونسناس ونسانس وهذا محال من القول لان النسناس انما وقع هذا الاسم على السفلة من الناس والرذال وقد قال الحسن ذهب الناس وبقى النسناس قال الشاعر

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا
خلفا فى أراذل النسناس

أراد به ما وصفنا أى ذهب الناس وبقى من لا خير فيه (وقد ذهب) كثير من الناس الى أن الجن نوعان أعلاهم وأشدهم الجن وأضعفهم الحن وأنشد الراجز

* مختلف نجرهم جن وحن *

﴿ذكر ولاية خالد بن عبد الله القسرى مكة﴾

قيل وفى هذه السنة ولى خالد بن عبد الله القسرى مكة فخطب أهلها فقال أيها الناس أيهما أعظم خليفة الرجل على أهله أو رسوله اليهم والله لم تعلموا فضل الخليفة ألا ان ابراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحا أجاجا واستسقى الخليفة فسقاه عذبا فراتا يعنى بالملح زمزم وبالماء الفرات بئرا حفرها الوليد بثنية طوى فى ثنية الحجون وكان ماؤها عذبا وكان ينقل ماءها ويضعه فى حوض الى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم فغارت البئر وذهب ماؤها فلا يدرى أين هو اليوم وقيل وليها سنة احدى وتسعين وقيل سنة أربع وتسعين وقد ذكرناه هناك

﴿ذكر قتل ذاهر ملك السند﴾

فى هذه السنة قتل محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى يجتمع هو والحجاج فى الحكم ذاهر بن صصة ملك السند وملك بلاده وكان الحجاج بن يوسف استعمله على ذلك الثغر وسير معه ستة آلاف مقاتل وجهزه بكل ما يحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط فسار محمد الى مكران فاقام بها أياما ثم أتى قنزبور ففتحها ثم سار الى ارمائيل ففتحها ثم سار الى الديبل فقدمها يوم جمعة ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والاداة فخندق حين نزل الديبل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجنيقا يقال له العروس كان يمد به خمسمائة رجل وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل عظيم وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح أطافت بالمدينة وكانت تدور والبد صنم فى بناء عظيم تحت منارة عظيمة مرتفعة وفى رأس المنارة هذا الدقل وكل ما يعبد فهو عندهم بد فحصرها وطال حصارها فرمى الدقل بحجر العروس فكسره فتطير الكفار بذلك ثم ان محمدا أتى وناهضهم وقد خرجوا اليه فهزمهم حتى ردهم الى البلد وأمر بالسلالم فنصبت وصعد عليها الرجال وكان أولهم صعودا رجل من مراد من أهل الكوفة ففتحت عنوة وقتل فيها ثلاثة أيام وهرب عامل ذاهر عنها وأنزلها محمد أربعة آلاف من المسلمين وبنى جامعها وسار عنها الى البيرون وكان أهلها بعثوا الى الحجاج فصالحوه فلقوا محمدا بالميرة وأدخلوه مدينتهم وسار عنها وجعل لا يمر بمدينة الا فتحها حتى عبر نهرا دون مهران فأتاه أهل سربيدس فصالحوه ووظف عليهم الخراج وسار عنهم الى سهبان ففتحها ثم سار الى نهر مهران فنزل فى وسطه وبلغ خبره ذاهر فاستعد لمحاربته وبعث جيشا الى سدوستان فطلب أهلها الامان والصلح فأمنهم ووظف عليهم الخراج ثم عبر محمد مهران مما يلى بلاد راسل الملك على جسر عقده وذاهر مستخف به فلقيه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله وترجل ذاهر فقتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤا وقال قائله

الخيل تشهد يوم ذاهر والقنا * ومحمد بن القاسم بن محمد
انى فرجت الجمع غير معرد * حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجندلا * متعفر الخدين غير موسد

فلما قتل ذاهر غلب محمد على بلاد السند وفتح مدينة راور عنوة وكان بها امرأة لذاهر فخافت ان تؤخذ فاحرقت نفسها وجواريها وجميع مالها ثم سار الى برهمناباذ العتيقة وهى على فرسخين من المنصورة ولم تكن المنصورة يومئذ كان موضعها غيضة وكان المنهزمون من الكفار بها فقاتلوه ففتحها محمد عنوة وقتل بها بشرا كثيرا وخربت وسار يريد الرور وبغرور فلقيه أهل ساوندرى فطلبوا الامان فاعطاهم اياه واشترط عليهم ضيافة المسلمين ثم أسلم أهلها بعد ذلك ثم تقدم الى

وهذا التفصيل بين الجنسين من الجن لم يرد به خبر ولا صح به أثر وانما ذلك من توهم الاعراب على ما بينا آنفا وقد غلب على كثير من العوام الاخبار عن معرفة النسناس وصحة وجوده فى العالم كالاخبار عن وجود الصين وغيرها من الممالك النائية والامصار القاصية فبعضهم يخبر عن وجودهم فى المشرق وبعضهم فى المغرب فأهل المشرق يذكرون كونها بالمغرب وأهل المغرب يذكرون أنها بالمشرق وكذلك كل صقع من البلاد يسير سلطانه الى ان النسناس فيما بعد عنهم من البلاد ونأى عن الديار وقد رووا فى ذلك خبرا يخرجه من طريق الآحاد أن ذلك فى بلاد حضرموت من الشحر وهو ما ذكرناه عن عبد الله بن كثير بن عفير المصرى عن أبيه يعقوب بن الحرث بن نعيم عن شبيب بن الحرث التميمى قال قدمت الشحر فنزلت على رأسها فتذاكرنا النسناس فقلت صيدوا لنا منها فلما ان رجعت اليه اذا بنسناس منها مع بعض أعوانه المهرة فقال لى النسناس أنا بالله وبك فقلت لهم خلوه فخلوه فلما

بعد وصالح أهلها ووصل الى الرور وهى من مدائن السند على جبل فحصرهم شهورا فصالحوه وسار الى السكة ففتحها ثم قطع نهر بياس الى الملتان فقاتله أهلها وانهزموا فحصرهم محمد فجاءه انسان ودله على قطع الماء الذى يدخل المدينة فقطعه فعطشوا فالقوا بايديهم ونزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية وسدنة البد وهم ستة آلاف واصابوا ذهبا كثيرا فجمع فى بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية أذرع باقى اليه من كوة فى وسطه فسميت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر وكان بد الملتان تهدى اليه الاموال ويحج من البلاد ويحلقون رؤسهم ولحاهم عنده ويزعمون أن صنمه هو أيوب النبى صلى الله عليه وسلم وعظمت فتوحه ونظر الحجاج فى النفقة على ذلك الثغر فكانت ستين ألف ألف درهم ونظر فى الذى حمل فكان مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف فقال ربحنا ستين ألفا وأدركنا ثارنا ورأس ذاهر ثم مات الحجاج ونذكر أمر محمد عند موت الحجاج ان شاء الله تعالى

﴿ذكر استعمال موسى بن نصير على افريقية﴾

فى هذه السنة استعمل الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير على افريقية وكان نصير والده على حرس معاوية فلما سار معاوية الى صفين لم يسر معه فقال له ما يمنعك من المسير معى الى قتال على ويدى عندك معروفة فقال لا أشركك بكفر من هو أولى بالشكر منك وهو الله عز وجل فسكت عنه معاوية فوصل موسى الى افريقية وبها صالح الذى استخلفه حسان على افريقية وكان البربر قد طمعوا فى البلاد بعد مسير حسان فلما وصل موسى عزل صالحا وبلغه ان باطراف البلاد قوما خارجين عن الطاعة فوجه اليهم ابنه عبد الله فقاتلهم فظفر بهم وسبى منهم ألف رأس وسيره فى البحر الى جزيرة ميورقة فنهبها وغنم منها ما لا يحصى وعاد سالما فوجه ابنه هرون الى طائفة أخرى فظفر بهم وسبى منهم نحو ذلك وتوجه هو بنفسه الى طائفة أخرى فغنم نحو ذلك فبلغ الخمس ستين ألف رأس من السبى ولم يذكر أحد انه سمع بسبى أعظم من هذا ثم ان افريقية قحطت واشتد بها الغلاء فاستسقى بالناس وخطبهم ولم يذكر الوليد وقيل له فى ذلك فقال هذا مقام لا يدعى فيه لاحد ولا يذكر الا الله عز وجل فسقى الناس ورخصت الاسعار ثم خرج غازيا الى طنجة يريد من بقى من البربر وقد هربوا خوفا منه فتبعهم وقتلهم قتلا ذريعا حتى بلغ السوس الادنى لا يدافعه أحد فاستأمن البربر اليه وأطاعوه واستعمل على طنجة مولاه طارق بن زياد ويقال انه صدفى وجعل معه جيشا كثيفا جلهم البربر وجعل معهم من يعلمهم القرآن والفرائض وعاد الى افريقية فمر بقلعة مجانة فتحصن أهلها منه وترك عليها من يحاصرها مع بشر بن فلان ففتحها فسميت قلعة بشر الى الآن وحينئذ لم يبق له فى افريقية من ينازعه وقيل كانت ولايته موسى سنة ثمان وسبعين استعمله عليها عبد العزيز بن مروان وهو حينئذ على مصر لاخيه عبد الملك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان ففتح حصونا ومدائن هناك وحج بالناس عمر بن عبد العزيز وكان العمال من تقدم ذكرهم وفى هذه السنة مات عبد الله بن ثعلبة ابن صعير العذرى حليف بنى زهرة وكان مولده قبل الهجرة باربع سنين وقيل ولد سنة ست من الهجرة (صعير بضم الصاد وفتح العين المهملتين) وفيها مات ظليم مولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح بافريقية (ظليم بفتح الظاء المعجمة وكسر اللام)

﴿ثم دخلت سنة تسعين﴾

﴿ذكر فتح بخارا﴾

حضر الغداء قال هل اصطدتم منها شيأ قالوا نعم ولكن خلاه ضيفك قال استعدوا فانا خارجون فى قنصه فلما خرجنا الى ذلك السرح خرج منها واحد يعدو وله وجه كوجه الانسان وشعرات فى ذقنه ومثل الثدى فى صدره ومثل رجلى انسان رجلاه وقد ألظ به كلبان وهو يقول

الويل لى مما به دهانى
دهرى من الهموم والاحزان
قفا قليلا أيها الركبان
واستمعا قولى وصدقانى
انكما حين تحاربانى
ألفيتمانى حضرا ايمانى
لولا سباقى ما ملكتمانى
حتى تموتا أو تنازقانى
لست بخوار ولا جبان
ولا بنكس رعش الجنان
لكن قضاء الملك الرحمن
يذل ذا القوة والسلطان

قال فالتقيا به كلبان فأخذاه ويزعمون أنهم ذبحوا منها نسناسا فقال آخر من شجرة كان يأكل السماق قال فقالوا نسناس آخر خذوه فأخذوه وذبحوه وقالوا لو سكت هذا لم يعلم بمكانه فقال نسناس من شجرة أخرى أنا صمت فأخذوه فذبحوه وقالوا لو سكت هذا لم يعلم بمكانه فقال نسناس من شجرة أخرى يا لسان احفظ الرأس قالوا

قد ذكرنا ورود كتاب الحجاج الى قتيبة يأمره بالتوبة عن انصرافه عن وردان خذاه ملك بخارا وبعرفه الموضع الذى يأتى بلده منه فلما ورد الكتاب على قتيبة خرج غازيا الى بخارا سنة تسعين فاستجاش وردان خذاه بالصغد والترك من حوله فاتوه وقد سبق اليها قتيبة فحصرها فلما جاءتهم أمدادهم خرجوا الى المسلمين يقاتلونهم فقالت الازد اجعلونا ناحية وخلوا بيننا وبين قتالهم فقال قتيبة تقدموا فتقدموا وقاتلوهم قتالا شديدا ثم ان الازد انهزموا حتى دخلوا العسكر وركبهم المشركون فحطموهم حتى أدخلوهم عسكرهم وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين فكروا راجعين فانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردوهم الى مواقفهم فوقف الترك على نشز فقال قتيبة من يزيلهم عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم أحد من العرب فاتى بنى تميم فقال لهم يوما كايامكم فاخذ وكيع اللواء وقال يا بنى تميم أتسلمونى اليوم قالوا لا يا أبا مطرف وكان هريم بن أبى طحمة على خيل تميم ووكيع رأسهم فقال وكيع يا هريم قدم خيلك ودفع اليه الراية فتقدم هريم وتقدم وكيع فى الرجالة فانتهى هريم الى نهر بينهم وبين الترك فوقف فقال وكيع تقدم يا هريم فنظر هريم نظر الجمل الهائج الصائل وقال أأقحم الخيل هذا النهر فان انكشفت كان هلاكها يا أحمق فقال وكيع يا ابن اللخناء ازد أمرى فحذفه بعمود كان معه فعبر هريم فى الخيل وانتهى وكيع الى النهر فعمل عليه جسرا من خشب وقال لاصحابه من وطن نفسه على الموت فليعبر والا فليثبت مكانه فما عبر معه الا ثمانمائة رجل فلما عبر بهم ودنا من العدو قال لهريم انى مطاعنهم فاشغلهم عنا بالخيل فحمل عليهم حتى خالطهم وحمل هريم فى الخيل فطاعنوهم ولم يزالوا يقاتلونهم حتى حدروهم من التل ونادى قتيبة ما ترون العدو منهزمين فلم يعبر أحد النهر حتى انهزموا وعبر الناس ونادى قتيبة من أتى برأس فله مائة فأتى برؤس كثيرة فجاء يومئذ أحد عشر رجلا من بنى قريع كل رجل برأس فيقال له من أنت فيقول قريعى فجاء رجل من الازد برأس فقيل له من أنت فقال قريعى فعرفه جهم بن زحر فقال كذب والله انه أزدى فقال له قتيبة ما دعاك الى هذا فقال رأيت كل من جاء يقول قريعى فظننت انه ينبغى لكل من جاء برأس ان يقوله فضحك قتيبة وجرح خاقان وابنه وفتح الله عليهم وكتب بالفتح الى الحجاج

﴿ذكر صلح قتيبة مع الصغد﴾

لما وقع قتيبة باهل بخارا هابه الصغد فرجع طرخون ملكهم ومعه فارسان فدنا من عسكر قتيبة فطلب رجلا يكلمه فارسل اليه قتيبة حيان النبطى فطلب الصلح على فدية يؤديها اليهم فاجابه قتيبة الى ما طلب وصالح ورجع طرخون الى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك (حيان بالحاء المهملة والياء المشددة تحتها نقطتان وآخره نون)

﴿ذكر غدر نيزك وفتح الطالقان﴾

قيل لما رجع قتيبة من بخارا ومعه نيزك وقد خاف لما يرى من الفتوح فقال لاصحابه أنا مع هذا ولست آمنه فلو استأذنته ورجعت كان الرأى قالوا افعل فاستأذن قتيبة فاذن له وهو بآمل فرجع يريد طخارستان وأسرع السير حتى أتى النوبهار فنزل يصلى فيه ويتبرك به وقال لاصحابه لا أشك ان قتيبة قد ندم على اذنه لى وسيبعث الى المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسى وندم قتيبة على اذنه له فارسل الى المغيرة يأمره بحبس نيزك وسار نيزك وتبعه المغيرة فوجده قد دخل شعب خلم فرجع المغيرة وأظهر نيزك الخلع وكتب الى أصبهبذ بلخ والى باذان ملك مرو الروذ والى ملك الطالقان والى ملك الفرياب والى ملك الجوزجان يدعوهم الى خلع قتيبة فاجابوه فواعدهم الربيع

نسناس خذوه فأخذوه وزعم من روى هذا الخبر أن المهرة تصطادها فى بلادها وتأكلها (قال المسعودى) ووجدت أهل الشحر من بلاد حضرموت وساحلها وهى تسعون مدينة على الشاطئ من أرض الاحقاف وهى أرض الرمل وغيرها مما اتصل بهذه الديار من أرض اليمن وغيرها من عمان وأرض المهرة يستظرفون أخبار النسناس اذا ما حدثوها ويتعجبون من وصفه ويتوهمون أنه ببعض بقاع الارض مما قد نأى عنهم وبعد كسماع غيرهم من أهل البلاد بذلك عنهم وهذا يدل على عدم كونه فى العالم وانما ذلك من هوس العامة واختلاطها كما وقع لهم أخبار عنقاء مغرب وهذا يدل على عدم كونه فى العالم وروا فيه حديثا عزوه الى ابن عباس ونحن لم نحل وجود النسناس والعنقاء وغير ذلك مما اتصل بهذا النوع من الحيوان الغريب النادر فى العالم من طريق العقل فان ذلك غير ممتنع فى القدرة لكن أحلنا ذلك لان الخبر القاطع للعذر لم يرد بصحة وجود ذلك فى

ان يجتمعوا ويغزو قتيبة وكتب الى كابل شاه يستظهر به وبعث اليه بثقله وماله وسأله ان يأذن له ان اضطر اليه ان يأتيه فاجابه الى ذلك وكان جبغويه ملك طخارستان ضعيفا فاخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب لئلا يخالف عليه وكان جبغويه هو الملك ونيزك عبده فاستوثق منه وأخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فبعث أخاه عبد الرحمن ابن مسلم فى اثنى عشر ألفا الى البروقان وقال أقم بها ولا تحدث شيأ فاذا انقضى الشتاء سر نحو طخارستان واعلم انى قريب منك فسار فلما كان آخر الشتاء كتب قتيبة الى نيسابور وغيرها من البلاد ليقدم عليه الجنود فقدموا قبل أوانهم فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك على الخلع فاتاه قتيبة فأوقع باهل الطالقان فقتل من أهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين أربعة فراسخ فى نظام واحد ثم انقضت السنة قبل محاربة نيزك وسنذكر تمام خبره سنة احدى وتسعين ان شاه الله

(ذكر هرب يزيد بن المهلب واخوته من سجن الحجاج)

قيل وفى هذه السنة هرب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه فى سجن الحجاج وكان الحجاج قد خرج الى رستقاباذ للبعث لان الاكراد كانوا قد غلبوا على فارس وخرج معه يزيد بن المهلب واخوته عبد الملك والمفضل فى عسكره وجعل عليهم كهيئة الخندق وجعلهم فى فسطاط قريب منه وجعل عليهم الحرس من أهل الشام وطلب منهم ستة آلاف ألف وأخذ يعذبهم فكان يزيد يصبر صبرا حسنا وكان ذلك مما يغيظ الحجاج منه فقيل للحجاج انه رمى فى ساقه بنشابة فثبت نصلها فيه فهو لا يمسها الا صاح فامر ان يعذب فى ساقه فلما فعلوا به ذلك صاح وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج فلما سمعت صوته صاحت وناحت فطلقها الحجاج ثم انه كف عنهم وأقبل يستأديهم وهم يعملون فى التخلص فبعثوا الى أخيهم مروان وكان بالبصرة ان يضمر لهم خيلا ويرى الناس انه يريد بيعها لتكون عدة ففعل ذلك وكان أخوه حبيب يعذب بالبصرة أيضا فصنع يزيد للحرس طعاما كثيرا وأمر لهم بشراب فسقوا واشتغلوا به ولبس يزيد ثياب طباخه وخرج وقد جعل له لحية بيضاء فرآه بعض الحرس فقال كانت هذه مشية يزيد فجاء اليه فرأى لحيته بيضاء فى الليل فتركه وعاد فخرج المفضل ولم يفطن له فجاؤا الى سفن معدة فركبها يزيد والمفضل وعبد الملك وساروا ليلتهم حتى اصبحوا فلما أصبحوا علم بهم الحرس فرفعوا خبرهم الى الحجاج ففزع وظن انهم يفسدون خراسان ليفتنوا بها فبعث البريد الى قتيبة يخبرهم ويأمره بالحذر ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل فخرجوا عليها ومعهم دليل من كلب فأخذوا طريق الشام على طريق السماوة وأتى الحجاج بعد يومين فقيل له انهم أخذوا طريق الشام فبعث الى الوليد بن عبد الملك يعلمه ثم سار يزيد فقدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الازدى وكان كريما على سليمان بن عبد الملك فجاء وهيب الى سليمان فاعلمه بحال يزيد واخوته وانهم قد استعاذوا به من الحجاج قال فأتنى بهم فهم آمنون لا يتوصل اليهم أبدا وأنا حى فجاءهم اليه وكانوا فى مكان آمن وكتب الحجاج الى الوليد ان آل المهلب خانوا أمان الله وهربوا منى ولحقوا بسليمان وكان الوليد قد حذرهم وظن انهم يأتون خراسان للفتنة بها فلما علم انهم عند أخيه سليمان سكن بعض ما به وطار غضبا للمال الذى ذهب به فكتب سليمان الى الوليد ان يزيد عندى وقد آمنته وانما عليه ثلاثة آلاف ألف لان الحجاج أغرمه ستة آلاف ألف فادى ثلاثة آلاف ألف والذى بقى عليه انا أؤديه فكتب الوليد والله لا أؤمنه حتى تبعث به الى فكتب لئن أنا بعثت به اليك لاجيئن معه فكتب الوليد والله لئن

العالم وهذا باب هو داخل فى حيز الممكن الجائز خارج عن باب الممتنع والواجب ويحتمل هذه الانواع من الحيوان النادر ذكرها كالنسناس والعنقاء والعربد وما اتصل بهذا المعنى أن تكون أنواعا من الحيوان أخرجتها الطبيعة من القدرة الى الفعل ولم تحكمه ولم يتأت فيه الطبع كما تأتيه فى غيره من الحيوان فبقى شاذا فريدا متوحشا نادرا فى العالم طالبا للبقاع النائية من البرمباينا لسائر أنواع الحيوان من الناطقين وغيرهم للضدية التى فيه لغيره مما قد أحكمته الطبيعة وعدم تشاكله به والمناسبة التى بينه وبين غيره من أجناس الحيوان وأنواعه على حسب ما قدمنا فى باب الغيلان فيما سلف من هذا الكتاب وفى الاكثار من هذا خروج عن الغرض الذى اليه قصدنا فى هذا الكتاب وقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من الاخبار عمن زعم أن المتوكل أمر حسين ابن اسحق أو غيره من أهل عصره وممن عنى بهذا الشأن من الحكماء أن يأتى له ويحتال فى حمل النسناس والعربد من أرض

جئتنى لا أؤمنه فقال يزيد ارسلنى اليه فوالله ما أحب ان أوقع بينه وبينك عداوة ولا ان يتشاءم الناس بى لكما واكتب معى بالطف ماقدرت عليه فارسله وأرسل معه ابنه أيوب وكان الوليد قد أمره ان يبعث به مقيدا فقال سليمان لابنه اذا دخلت على أمير المؤمنين فادخل أنت ويزيد فى سلسلة ففعل ذلك فلما رأى الوليد ابن أخيه فى سلسلة قال لقد بلغنا من سليمان ودفع أيوب كتاب أبيه الى عمه وقال له يا أمير المؤمنين نفسى فداؤك ولا تخفر ذمة أبى وأنت أحق من منعها ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة فى جوارنا لمكاننا منك ولا تذل من رجا العز فى الانقطاع الينا لعزنا بك فقرأ الوليد كتاب سليمان فاذا هو يستعطفه ويشفع اليه ويضمن ايصال المال فلما قرأ الكتاب قال لقد شققنا على سليمان وتكلم يزيد واعتذر فامنه الوليد فرجع الى سليمان وكتب الوليد الى الحجاج انى لم أصل الى يزيد وأهله مع سليمان فاكفف عنهم فكف عنهم وكان أبو عيينة بن المهلب عند الحجاج عليه ألف ألف فتركها وكف عن حبيب بن المهلب وأقام يزيد بن المهلب عند سليمان يهدى اليه الهدايا ويصنع له الاطعمة وكان لا يأتى يزيد هدية الا بعث بها الى سليمان ولا يأتى سليمان هدية الا بعث بنصفها الى يزيد وكان لا تعجبه جارية الا بعث بها الى يزيد

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح الحصون الخمس التى بسورية وغزا عباس ابن الوليد حتى بلغ ارزن وبلغ سورية وفيها استعمل الوليد بن عبد الملك قرة بن شريك على مصر وعزل أخاه عبد الملك بن عبد الملك وفيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر فاهداه ملكهم الى الوليد وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وكان أميرا على مكة والمدينة والطائف وكان على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وعامله على البصرة الجراح بن عبد الله الحكمى وعلى قضائها عبد الرحمن بن اذينة وعلى خراسان قتيبة بن مسلم وعلى مصر قرة بن شريك وفيها مات أنس ابن مالك الانصارى وقيل سنة اثنتين وتسعين وقيل ثلاث وتسعين وكان عمره ستا وتسعين سنة وقيل مائة وست سنين وقيل وسبع وقيل وثلاث وفيها مات أبو العالية الرياحى فى شوال وفيها توفى نصر بن عاصم الليثى النحوى أخذ النحو عن أبى الاسود الدؤلى وقيل مات سنة تسعين

(ثم دخلت سنة احدى وتسعين)

(ذكر تتمة خبر قتيبة مع نيزك)

قد ذكرنا مسير قتيبة الى نيزك وما جرى له بالطالقان وقتل من قتل بها فلما فتح الطالقان استعمل أخاه عمر بن مسلم وقيل ان ملكها لم يحارب قتيبة فكف عنه وكان بها لصوص فقتلهم قتيبة وصلبهم ثم سار قتيبة الى الفارياب فخرج اليه ملكها مقرا مذعنا فقبل منه ولم يقتل بها أحدا واستعمل عليها رجلا من أهله وبلغ ملك الجوزجان خبرهم فهرب الى الجبال وسار قتيبة الى الجوزجان فلقيه أهلها سامعين مطيعين فقبل منهم ولم يقتل بها أحدا واستعمل عليها عامر بن مالك الحمانى ثم أتى بلخ فلقيه أهلها فلم يقم بها الا يوما واحدا وسار يتبع أخاه عبد الرحمن الى شعب خلم ومضى نيزك الى بغلان وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضايقه ليمنعوه ووضع مقاتلته فى قلعة حصينة من وراء الشعب فاقام قتيبة أياما يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر على دخوله ولا يعرف طريقا يسلكه الى نيزك الا الشعب أو مفازة لا تحتملها العساكر فبقى متحيرا فقدم انسان فاستأمنه على أن يدله على مدخل القلعة التى من وراء الشعب فامنه قتيبة وبعث معه رجالا فانتهى بهم الى القلعة من وراء شعب خلم فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم وهرب من بقى منهم ومن كان فى الشعب فدخل قتيبة الشعب فاتى القلعة ومضى الى سمنجان فاقام بها أياما ثم سار الى نيزك وقدم أخاه عبد الرحمن فارتحل نيزك من منزله فقطع وادى فرغانة ووجه ثقله وأمواله الى كابل شاه ومضى حتى نزل

اليمامة وأن حسينا حمل له شيأ من ذلك وقد أتينا على شرح هذا الخبر فيمن أرسل الى اليمامة فى حمل العربد الى بلاد الشحر وفى حمل النسناس فى كتابنا أخبار الزمان والله تعالى أعلم بصحة هذا الخبر وليس لنا فى ذلك الا النقل وأن نعزوه الى راويه وهو المقلد به علم ذلك فيما حكاه ورواه فننظمه على حسب ما يأتى نظمه فى ذلك الموضع المستحق له والله ولى التوفيق برحمته (وأما ماذكره) عن ابن عباس فهو خبر يتصل بخبر خالد بن سنان العبسى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب خبر خالد بن سنان العبسى وأنه ذكر أنه كان فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وذكرنا خبره مع النار واطفائه لها (فلنذكر الآن خبر العنقاء) على حسب ما روى فلابد من اعادة خبر خالد لذكر العنقاء واتساع الخبرين ومخرج هذه الاخبار كلها عن ابن عفير حدث الحسن بن ابراهيم قال حدثنا محمد بن عبد الله المروزى قال حدثنا أسد ابن سعيد بن كثير عن ابن عفير عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق

الكرز وعبد الرحمن يتبعه فنزل عبد الرحمن حذاء الكرز ونزل قتيبة منزل بينه وبين عبد الرحمن فرسخان فتحصن نيزك فى الكرز وليس اليه مسلك الا من وجه واحد وهو صعب لا تطيقه الدواب فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما فى يد نيزك من الطعام وأصابهم الجدرى وجدر جبغويه وخاف قتيبة الشتاء فدعا سليما الناصح فقال انطلق الى نيزك واحتل لتأتينى به بغير أمان فان احتال وأبى فامنه واعلم انى ان عاينتك وليس هو معك صلبتك قال فاكتب الى عبد الرحمن لا يخالفنى فكتب اليه فقدم عليه فقال له ابعث رجالا ليكونوا على فم الشعب فاذا خرجت أنا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب فبعث عبد الرحمن خيلا فكانت هناك وحمل سليم معه اطعمة واخبصة أوقارا وأتى نيزك فقال له انك أسأت الى قتيبة وغدرت قال نيزك فما الرأى قال أرى ان تأتيه فانه ليس ببارح وقد عزم على ان يشتو مكانه هلك أو سلم قال نيزك فكيف آتيه على غير امان قال ما اظنه يؤمنك لما فى نفسه عليك لانك قد ملأته غيظا ولكنى أرى ان لا يعلم حتى تضع يدك فى يده فانى أرجو ان يستحيى ويعفو قال انى أرى نفسى تأبى هذا وهو ان رآنى قتلنى فقال سليم ما أتيتك الا لاشير عليك بهذا ولو فعلت لرجوت أن تسلم وتعود حالك عنده فاذ أبيت فانى منصرف وقدم سليم الطعام الذى معه ولا عهد لهم بمثله فانتهبه أصحاب نيزك فساءه ذلك فقال له سليم انى لك من الناصحين أرى أصحابك قد جهدوا وان طال بهم الحصار لم آمنهم ان يستأمنوا بك فائت قتيبة فقال لا آمنه على نفسى ولا آتيه الا بامان وان ظنى أن يقتلنى وان أمننى ولكن الامان اعذر الى فقال سليم قد أمنك افتتهمنى قال لا وقال له أصحابه اقبل قول سليم فلا يقول الا حقا فخرج معه ومع جبغويه وصول طرخان خليفة جبغويه وحبس طرخان صاحب شرطته وشقران ابن أخى نيزك فلما خرجوا من الشعب عطف الخيل التى خلفها سليم فحالوا بين الاتراك أصحاب نيزك والخروج فقال نيزك هذا أول الغدر قال سليم تخلف هؤلاء عنك خير لك وأقبل سليم ونيزك ومن معه حتى دخلوا الى قتيبة فحبسهم وكتب الى الحجاج يستأذنه فى قتل نيزك واستخرج قتيبة ما كان فى الكرز من متاع ومن كان فيه فقدم به على قتيبة فانتظر بهم كتاب الحجاج فاتاه كتاب الحجاج بعد أربعين يوما يأمره بقتل نيزك فدعا قتيبة الناس واستشارهم فى قتله واختلفوا فقال ضرار بن حصين انى سمعتك تقول أعطيت الله عهدا ان أمكنك منه ان تقتله فان لم تفعل فلا ينصرك الله عليه أبدا فدعا نيزك فضرب رقبته بيده وأمر بقتل صول وابن أخى نيزك وقتل من أصحابه سبعمائة وقيل اثنى عشر ألفا وصلب نيزك وابن أخيه وبعث برأسه الى الحجاج وقال نهار بن توسعة فى قتل نيزك

لعمرى نعمت غزوة الجند غزوة * قضت نحبها من نيزك وتعلت

وأخذ الزبير مولى عباس الباهلى حق النيزك فيه جوهر وكان أكثر من فى بلاده مالا وعقارا من ذلك الجوهر واطلق قتيبة جبغويه ومن عليه وبعث به الى الوليد فلم يزل بالشام حتى مات الوليد وكان الناس يقولون غدر قتيبة بنيزك فقال بعضهم

فلا تحسبن الغدر حزما فربما * ترقت به الاقدام يوما فزلت

فلما قتل قتيبة نيزك رجع الى مرو وأرسل ملك الجوزجان يطلب الامان فامنه على ان يأتيه فطلب رهنا ويعطى رهائن فاعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب الباهلى وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته وقدم على قتيبة ثم رجع فمات بطالقان فقال أهل الجوزجان انهم سموه فقتلوا حبيبا وقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده

(ذكر غزو شومان وكش ونسف)

وفى هذه السنة سار قتيبة الى شومان فحصرها وكان سبب ذلك ان ملكها طرد عامل قتيبة من

طائرا فى الزمان الاول من أحسن الطير وجعل فيه من كل جنس قسطا وخلق وجهه على مثال وجوه الناس وكان فى أجنحته كل لون حسن من الريش وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه وخلق له يدين فيهما مخالب وله منقار على صفة منقار العقاب غليظ الاصل وجعل له أنثى على مثاله وسماها العنقاء وأوحى الله تعالى الى موسى بن عمران انى خلقت طائرا عجيبا خلقته ذكرا وأنثى وجعلت رزقه فى وحش بيت المقدس وآنستك بهما ليكونا مما فضلت به بنى اسرائيل فلم يزالا يتناسلان حتى كثر نسلهما وأدخل الله موسى وبنى اسرائيل فى التيه فمكثوا فيه أربعين سنة حتى مات موسى وهرون فى التيه وجميع من كان مع موسى من بنى اسرائيل وكانوا ستمائة ألف وخلفهم نسلهم فى التيه ثم أخرجهم الله تعالى من التيه مع يوشع بن نون تلميذ موسى ووصيه فانتقل ذلك الطائر فوقع بنجد والحجاز فى بلاد قيس عيلان ولم يزل هنالك يأكل من الوحوش ويأكل الصبيان وغير ذلك من البهائم الى أن ظهر نبى

عنده

عنده فارسل اليه قتيبة رسولين أحدهما من العرب اسمه عياش والآخر من أهل خراسان يدعوان ملك شومان ان يؤدى ما كان صالح عليه فقدما شومان فخرج أهلها اليهما فرموهما فانصرف الخراسانى وقاتلهم عياش فقتلوه ووجدوا به ستين جراحة وبلغ قتله قتيبة فسار اليهم بنفسه فلما أتاها أرسل صالح بن مسلم أخا قتيبة الى ملكها وكان صديقا له يأمره بالطاعة ويضمن له رضا قتيبة ان رجع الى الصلح فابى وقال لرسول صالح أتخوفنى من قتيبة وأنا أمنع الملوك حصنا فأتاه قتيبة وقد تحصن ببلده فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن فهشمه وقتل رجلا فى مجلس الملك بحجر فلما خاف ان يظهر عليه قتيبة جمع ما كان بالحصن من مال وجوهر ورمى به فى بئر بالقلعة لا يدرك قعرها ثم فتح القلعة وخرج اليهم فقاتلهم حتى قتل وأخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم سار الى كش ونسف ففتحهما وامتنعت عليه فارياب فاحرقها فسميت المحترقة وسير من كش ونسف أخاه عبد الرحمن الى الصغد وملكها طرخون فقبض عبد الرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة ودفع اليه رهنا كان معه ورجع الى قتيبة ببخارا وكان قد سار اليها من كش ونسف فرجعوا الى مرو ولما كان قتيبة ببخارا ملك بخارا خذاه وكان غلاما حدثا وقتل من يخاف ان يضاده وقيل ان قتيبة سار بنفسه الى الصغد فلما رجع عنهم قالت الصغد لطرخون انك قد رضيت بالذل واستطبت الجزية وأنت شيخ كبير فلا حاجة لنا فيك فحبسوه وولوا غوزك فقتل طرخون نفسه

(ذكر عدة حوادث)

قيل فى هذه السنة استعمل الوليد خالد بن عبد الله القسرى على مكة فلم يزل واليا عليها حتى مات الوليد وكان قد تقدم سنة تسع وثمانين ذكره أيضا فلما ولى مكة خطبهم وعظم أمر الخلافة وحثهم على الطاعة فقال لو انى أعلم ان هذه الوحش التى تأمن فى الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة لاخرجتها منه فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فانى والله لا أوتى باحد يطعن على امامه الا صلبته فى الحرم انى لا أرى فيما كتب به الخليفة أو رآه الا امضاءه واشتد عليهم وحج بالناس هذه السنة الوليد بن عبد الملك فلما دخل المدينة غدا الى المسجد ينظر الى بنائه وأخرج الناس منه ولم يبق غير سعيد ابن المسيب لم يجترئ أحد من الحرس يخرجه فقيل له لو قمت قال لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه فقيل لو سلمت على أمير المؤمنين قال لا والله لا أقوم اليه قال عمر بن عبد العزيز فجعلت أعدل بالوليد فى ناحية المسجد لئلا يراه فالتفت الوليد الى القبلة فقال من ذلك الشيخ أهو سعيد قال عمر نعم ومن حاله كذا وكذا ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر قال الوليد قد علمت حاله ونحن نأتيه فدار فى المسجد حتى أتاه فقال كيف أنت أيها الشيخ فوالله ما تحرك سعيد بل قال بخير والحمد لله فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله فانصرف وهو يقول لعمر هذا بقية الناس وقسم بالمدينة دقيقا كثيرا وآنية من ذهب وفضة وأموالا وصلى بالمدينة الجمعة فخطب الناس الاولى جالسا ثم قام فخطب الخطبة الثانية قائما قال اسحق بن يحيى فقلت لرجاء بن حيوة وهو معه أهكذا تصنعون قال نعم مكررا وهكذا صنع معاوية وهلم جرا قال فقلت له هلا تكلمه قال أخبرنى قبيصة بن ذؤيب انه كلم عبد الملك ولم يترك القعود وقال هكذا خطب عثمان قال فقلت والله ما خطب الا قائما قال رجاء روى لهم شئ فاخذوا به قال اسحق ولم نر منهم أشد تجبرا منه وكان العمال على البلاد من تقدم ذكرهم غير مكة فان خالدا كان عاملها وقيل ان عاملها هذه السنة كان عمر بن عبد العزيز بن مروان وفى هذه السنة غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة وكان على ذلك الجيش مسلمة بن عبد الملك وفيها عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأرمينية واستعمل عليها أخاه مسلمة بن عبد الملك فغزا مسلمة الترك من ناحية اذربيجان حتى بلغ الباب وفتح

من بنى عبس بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم يقال له خالد بن سنان فشكا اليه الناس ما كانت العنقاء تفعل بالصبيان فدعا الله عليها فقطع نسلها فبقيت صورتها تحكى فى البسط وغير ذلك (وقد ذهب جماعة) من ذوى الدراية الى أن أقوال الناس فى أمثالهم عنقاء مغرب انما هو للامر العجيب النادر وقوعه وقولهم جاء فلان بعنقاء مغرب يريدون أنه جاء بأمر عجيب قال شاعرهم وصبحهم بالجيش عنقاء مغرب والعنق السرعة قال ابن عباس وكان خالد بن سنان نبى بنى عبس بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حضرته الوفاة قال لقومه اذا أنا مت فادفنونى فى حقف من هذه الاحقاف وهى تلول عظام من الرمل واحرسوا قبرى أياما فاذا رأيتم حمارا أشهب أبتر يدور حول الحقف الذى فيه قبرى أياما فاجتمعوا ثم انبشوا قبرى وأخرجونى الى شفير القبر واحضروا كاتبا ومعه ما يكتب فيه حتى أملى عليكم ما يكون وما يحدث الى يوم القيامة قال فرصدوا قبره واجتمعوا عليه لينبشوه كما أمرهم فحضر ولده

مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين﴾

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصونا ثلاثة وجلا أهل سوسنة الى بلاد الروم

﴿ذكر فتح الاندلس﴾

وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الاندلس فى اثنى عشر ألفا فلقى ملك الاندلس واسمه اذرينوق وكان من أهل اصبهان وهم ملوك عجم الاندلس فزحف له طارق بجميع من معه وزحف الاذرينوق وعليه تاجه وجميع الحلية التى كان يلبسها الملوك فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل الاذرينوق وفتح الاندلس سنة اثنتين وتسعين هذا جميعه ذكره أبو جعفر فى فتح الاندلس ومثل ذلك الاقليم العظيم والفتح المبين لا يقتصر فيه على هذا القدر وأنا أذكر فتحها على وجه أتم من هذا ان شاء الله تعالى من تصانيف أهلها اذهم أعلم ببلادهم قالوا أول من سكنها قوم يعرفون بالانداش (بشين معجمة) فسمى البلد بهم ثم عرب بعد ذلك بسين مهملة والنصارى يسمون الاندلس اشبانية باسم رجل صلب فيها يقال له اشبانس وقيل باسم ملك كان بها فى الزمان الاول اسمه اشبان بن طيطس وهذا هو اسمها عند بطليموس وقيل سميت باندلس بن يافث بن نوح وهو أول من عمرها قيل أول من سكن الاندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالاندلس فعمروها وتداولوا ملكها دهرا طويلا وكانوا مجوسا ثم حبس الله عنهم المطر وتوالى عليهم القحط فهلك أكثرهم وفر منها من أطاق الفرار فخلت الاندلس مائة سنة ثم ابتعث الله لعمارتها الافارقة فدخل اليها قوم منهم اجلاهم ملك افريقية تخففا منهم لقحط توالى على بلاده حتى كاد يفنى أهله فحملهم فى السفن مع أمير من عنده فارسوا بجزيرة قادس ورأوا الاندلس قد أخصبت بلادها وجرت أنهارها فسكنوها وعمروها ونصبوا لهم ملوكا يضبطون أمرهم وهم على دين من قبلهم وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب من أرض اشبيلية بنوها وسكنوها وأقاموا مدة تزيد على مائة وخمسين سنة ملك منهم فيها أحد عشر ملكا ثم أرسل الله عليهم عجم رومة وملكهم اشبان ابن طيطس فغزاهم ومزقهم وقتل فيهم وحاصرهم بطالقة وقد تحصنوا فيها فابتنى عليهم اشبانية وهى اشبيلية واتخذها دار مملكته وكثرت جموعه وعتا وتجبر وغزا بيت المقدس فغنم ما فيه وقتل فيه مائة ألف ونقل المرمر منه الى اشبيلية وغيرها وغنم أيضا مائدة سليمان بن داود عليه السلام وهى التى غنمها طارق من طليطلة لما افتتحها وغنم أيضا قليلة الذهب والحجر الذى لقى بماردة وكان هذا اشبان قد وقف عليه الخضر وهو يحرث الارض فقال له يا اشبان سوف تحظى وتعلو فاذا ملكت ايلياء فارفق بذرية الانبياء فقال اتسخر منى كيف ينال مثلى الملك فقال قد جعله فيك من جعل عصاك هذه كما ترى فنظر اليها فاذا هى قد أورقت فارتاع وذهب عنه الخضر وقد وثق اشبان بقوله فداخل الناس فارتقى حتى ملك ملكا عظيما وكان ملكه عشرين سنة ودام ملك الاشبانيين بعده الى ان ملك منهم خمسة وخمسون ملكا ثم دخل عليهم من عجم رومة أمة يدعون البشنوليات وملكهم طويش بن نيطة وذلك حين بعث الله المسيح فغلبوا عليهم واستولوا على ملكها وكانت مدينة ماردة دار مملكتهم وملك منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخلت عليهم أمة القوط مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس فاقتطعوها من يومئذ عن صاحب رومة وكان ابتداء ظهورهم من ناحية ابطالية شرق الاندلس فاغارت على بلاد مجدونية من تلك الناحية وذلك فى أيام قليوذيوس قيصر ثالث القياصرة فخرج اليهم وهزمهم وقتل فيهم ولم يظهروا بعدها الى أيام قسطنطين الاكبر وأعادوا الغارة فسير اليهم جيشا فلم يثبتوا له وانقطع خبرهم الى دولة ثالث قيصر فانهم قدموا على أنفسهم أميرا اسمه لذريق وكان يعبد الاوثان فسار الى رومة ليحمل النصارى على السجود لاوثانه فظهر منه سوء سيرته فخاذل

وشهروا سيوفهم وقالوا والله لا نترك أحدا يندبه أتريدون أن نعير بذلك غدا وتقول لنا العرب هؤلاء ولد المنبوش فانصرفوا عنه وتركوه قال ابن عباس ووردت ابنة له عجوز قد عمرت على النبى صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير وأكرمها وأسلمت وقال لها مرحبا بابنة نبى ضيعه أهله قال شاعر بنى عبس

بنو خالد لو أنكم اذ حضرتم نبشتم عن الميت المغيب فى القبر

لابقى عليكم آل عبس ذخيرة من العلم لا تبلى على سالف الدهر

(وقد روى) عن ابن عفير أخبار كثيرة فى هذا المعنى وأشباهه من فنون الاخبار من أخبار بنى اسرائيل وغيرها (منها) خبر خلق الخيل وهو ما حدث به الحسن بن ابراهيم الشعبى القاضى قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المروزى قال حدثنا أبو الحرث أسد بن سعيد بن كثير بن عفير عن أبيه عن جده كثير عن أبيه عفير قال قال عكرمة أخبرنى مولى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما أراد أن يخلق الخيل أوحى الى الريح الجنوبى انى خالق منك خلقا فاجتمعت

أصحابه عنه ومالوا الى أخيه وحاربوه فاستعان بصاحب رومة فبعث اليه جيشا فهزم أخاه ودان بدين النصارى وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة ثم ولى بعده اقريط وبعده امارنق وبعده وغديش وكانوا قد عادوا الى عبادة الاوثان فجمع من أصحابه مائة ألف وسار الى رومة فسير اليه ملك الروم جيشا فهزموه وقتلوه ثم بعده الريق وكان زنديقا شجاعا فسار لأخذ بثار وغديش وممن قتل معه ونازل رومية وحاصرها وضيق على أهلها ودخلها عنوة وغنم أموالهم ثم جمع اصطول البحر وسار الى صقلية ليفتحها ويغنم ما فيها فغرق أكثر أصحابه فى البحر وهو فيمن غرق ثم ملك بعده اطلوف ست سنين وخرج عن بلاد ابطالية وأقام ببلد غاليس مجاور اقصى الاندلس ثم انتقل منها الى برشلونة ثم بعده أخوه ثلاث سنين ثم بعده واليا ثم بوردزاريش ثلاثا وثلاثين سنة ثم ابنه طرشمند ثم بعده أخوه لذريق ثلاث عشرة سنة ثم بعده أوريق سبع عشرة سنة ثم بعده الريق بطلوشة ثلاثا وعشرين سنة ثم عشليق ثم أمليق سنتين ثم توذيوش سبع عشرة سنة وخمسة أشهر ثم بعده طود تقليس سنة وثلاثة أشهر ثم بعده أنله خمس سنين ثم بعده اطانجه خمس عشرة سنة ثم بعده ليوبا ثلاث سنين ثم بعده أخوه لوبلد وهو أول من اتخذ طليطلة دار ملك ونزلها ليكون متوسطا للملكه ليحارب من خرج عن طاعته عن قريب فلم يزل يحارب من خرج عن طاعته حتى احتوى على جميع الاندلس وبنى مدينة رقوبل وأتقنها وأكثر بساتينها وهو على القرب من طليطلة وسماها باسم ولده وغزا بلد البشكنس حتى أذلهم وخطب الى ملك الفرنج ابنته لولده ارمنجلد فزوجه واسكنه اشبيلية فحسنت له عصيان والده ففعل فسار اليه أبوه وحصرها وضيق عليه وطال مقامه الى أن أخذه عنوة وحبسه الى ان مات ثم ملك بعد لوبلد ابنه ركرد وكان حسن السيرة فجمع الاساقفة وغير سيرة أبيه وسلم البلاد اليهم وكانوا نحو ثمانين اسقفا وكان تقيا عفيفا قد لبس ثياب الرهبان وهو الذى بنى الكنيسة المعروفة بالورقة بازاء مدينة وادى اش ثم بعده ابنه ليوبا فسار كسيرة أبيه فاغتاله رجل من القوط يقال له بتريق فقتله وملك بعده بتريق هذا بغير رضا أهل الاندلس وكان مجرما طاغيا فاسقا فثار عليه رجل من خاصته فقتله ثم ملك من بعده غندمار سنتين ثم ملك بعده سيسفوط وكانت ولايته تسع سنين وكان حسن السيرة ثم بعده ابنه ركريد وكان صغيرا عمره ثلاثة أشهر ومات ثم ملك شنتله وكان ملكه عند البعث وكان مشكورا ثم بعده سشنند خمس سنين ثم بعده خنتلة ستة أعوام ثم بعده خندس أربعة أعوام ثم بعده بنبان ثمانية أعوام ثم بعده أروى سبع سنين وكان فى دولته قحط شديد حتى كادت بلاد الاندلس تخرب لشدة الجوع ثم بعده ابنه خمس عشرة سنة وكان جائرا مذموما ثم ملك بعده ابنه غيطشه وكانت ولايته سنة سبع وسبعين للهجرة وكان حسن السيرة لين العريكة وأطلق كل محبوس كان فى سجن أبيه وادى الاموال الى أربابها ثم توفى وخلف ولدين فلم يرض بهما أهل الاندلس وتراضوا برجل يقال له رذريق وكان شجاعا وليس من بيت الملك وكانت عادة ملوك الاندلس أنهم يبعثون أولادهم الذكور والاناث الى مدينة طليطلة يكونون فى خدمة الملك لا يخدمه غيرهم يتأدبون بذلك فاذا بلغوا الحلم أنكح بعضهم بعضا وتولى تجهيزهم فلما ولى رذريق أرسل اليه يوليان وهو صاحب الجزيرة الخضراء وسبتة وغيرهما ابنة له فاستحسنها رذريق وافتضها فكتبت الى أبيها فاغضبه ذلك فكتب الى موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على افريقية بالطاعة واستدعاه اليه فسار اليه فادخله يوليان مدائنه وأخذ عليه العهود له ولاصحابه بما يرضى به ثم وصف له الاندلس ودعاه اليها وذلك آخر سنة تسعين فكتب موسى الى الوليد بما فتح الله عليه وما دعاه اليه يوليان فكتب اليه الوليد خضها بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الاهوال فكتب اليه موسى انه

فأمر جبريل فأخذ منها ثم قال الله هذه قبضتى قال ثم خلق الله منها فرسا كميتا ثم قال الله خلقتك فرسا وجعلتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقته من البهائم لسعة الرزق والغنائم تقتاد على ظهرك والخير معقود بناصيتك ثم أرسل فصهل فقال باركت فيك بصهيلك أرعب المشركين وأملأ مسامعهم وأزلزل أقدامهم ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله آدم قال يا آدم أخبرنى أى الدابتين أحب اليك الفرس أو البراق قال وصورة البراق على صورة البغل لا ذكر ولا أنثى فقال يا رب اخترت أحسنهما وجها فاختار الفرس فقال الله يا آدم اخترت عزك وعز ولدك باقيا ما بقوا وخلدوا قال ابن عباس فذلك الوسم فيه وفى ولده الى يوم القيامة يعنى الغرة والتحجيل ولولا أن المصنف حاطب ليل يذكر كل نوع لما ذكرنا (قال المسعودى) رحمه الله وقد ذكر عيسى بن لهيعة المصرى فى كتابه المترجم بكتاب الحلائب والجلائب وذكره لكل حسنة أجريت فيها الخيل فى الجاهلية والاسلام ان سليمان بن داود ود ناسا من الازد فرسا يصيدو ،

ليس بحر متسع وانما هو خليج يبين ما وراءه فكتب اليه الوليد أن اختبرها بالسرايا وان كان الامر على ما حكيت فبعث رجلا من مواليه يقال له طريف في أربعمائة رجل ومعهم مائة فرس فسار في أربع سفائن فخرج في جزيرة بالاندلس فسميت جزيرة طريف لنزوله فيها ثم أغار على الجزيرة الخضراء فاصاب غنيمة كثيرة ورجع سالما في رمضان سنة احدى وتسعين فلما رأى الناس ذلك تسرعوا الى الغزو ثم ان موسى دعا مولى له كان على مقدمات جيوشه يقال له طارق ابن زياد فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم البربر والموالي وأقلهم العرب فساروا في البحر وقصد الى جبل منيف وهو متصل بالبر فنزله فسمى الجبل جبل طارق الى اليوم ولما ملك عبد المؤمن البلاد أمر ببناء مدينة على هذا الجبل وسماه جبل الفتح فلم يثبت له هذا الاسم وجرت الالسنة على الاول وكان حلول طارق فيه في رجب سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ولما ركب طارق البحر غلبته عينه فرأى النبي ومعه المهاجرين والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد فنظر طارق فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد دخلوا الاندلس امامه فاستيقظ من نومه مستبشرا وبشر أصحابه وقويت نفسه ولم يشك في الظفر فلما تكامل أصحاب طارق بالجبل نزل الى الصحراء وفتح الجزيرة الخضراء فاصاب بها عجوزا فقالت له انى كان لى زوج وكان عالما بالحوادث وكان يحدثهم عن أمير يدخل بلدهم فيغلب عليه ووصف من نعته انه ضخم الهامة وان فى كتفه الايسر شامة عليها شعر فكشف طارق ثوبه فاذا الشامة كما ذكرت فاستبشر طارق أيضا هو ومن معه ونزل من الجبل الى الصحراء وافتتح الجزيرة الخضراء وغيرها وفارق الحصن الذى فى الجبل ولما بلغ رذريق غزو طارق بلاده عظم ذلك عليه وكان غائبا فى غزاته فرجع منها وطارق قد دخل بلاده فجمع له جمعا يقال بلغ مائة ألف فلما بلغ طارقا الخبر كتب الى موسى يستمده ويخبره بما فتح وانه زحف اليه ملك الاندلس بما لا طاقة له به فبعث اليه بخمسة آلاف فتكامل المسلمون اثنى عشر ألفا ومعهم يوليان يدلهم على عورة البلاد ويتجسس لهم الاخبار فاتاهم رذريق فى جنده فالتقوا على نهر لكة من أعمال شذونة لليلتين بقيتا من رمضان سنة اثنتين وتسعين واتصلت الحرب ثمانية أيام وكان على ميمنته وميسرته ولدا الملك الذى كان قبله وغيرهما من أبناء الملوك واتفقوا على الهزيمة بغضا لرذريق وقالوا ان المسلمين اذا امتلأت أيديهم من الغنيمة عادوا الى بلادهم وبقى الملك لنا فانهزموا وهزم الله رذريق ومن معه وغرق رذريق فى النهر وسار طارق الى مدينة استجة متبعا لهم فلقيه أهلها ومعهم من المنهزمين خلق كثير فقاتلوه قتالا شديدا ثم انهزم أهل الاندلس ولم يلق المسلمون بعدها حربا مثلها ونزل طارق على عين بينها وبين مدينة استجة اربعة أميال فسميت عين طارق الى الآن ولما سمعت القوط بهاتين الهزيمتين قذف الله فى قلوبهم الرعب وكانوا يظنون انه يفعل فعل طريف فهربوا الى طليطلة وكان طريف قد أوهمهم انه يأكلهم هو ومن معه فلما دخلوا طليطلة وأخلوا مدائن الاندلس قال له يوليان قد فرغت من الاندلس ففرق جيوشك وسر انت الى طليطلة ففرق جيوشه من مدينة استجة وبعث جيشا الى قرطبة وجيشا الى غرناطة وجيشا الى مالقة وجيشا الى تدمير وسار هو ومعظم الجيش الى جيان يريد طليطلة فلما بلغ طليطلة وجدها خالية وقد لحق من كان بها بمدينة خلف الجبل يقال لها مانة فاما الجيش الذى سار الى قرطبة فانهم دلهم راع على ثغرة فى سورها فدخلوا منها البلد وملكوه وأما الذين قصدوا تدمير فلقيهم صاحبها واسمه تدمير وبه سميت وكان اسمها اريولة وكان معه جيش كثيف فقاتلهم قتالا شديدا ثم انهزم فقتل من أصحابه خلق كثير

عليه فسمى زاد الراكب وكذلك ذكر ابن دريد فى كتاب الخيل وغيره (والناس فى الخيل) أخبار عظيمة كثيرة قد أتينا على ذكرها فى السالف من كتبنا (وقد ذهبت) طائفة الى أن الاخبار التى تقطع العذر وتوجب العلم والعمل هى أخبار الاستفاضة ما رواه الكافة عن الكافة وأن ما عدا ذلك فغير واجب قبوله (وذهب الجمهور) من فقهاء الامصار الى قبول خبر الاستفاضة وهو خبر التواتر وانه يوجب العلم والعمل وأوجبوا العمل بخبر الواحد وزعموا أنه موجب العمل دون العلم بأوصاف ذكروها (ومن الناس) من ذهب الى غير هذه الوجوه فى فنون الاخبار من الضرورة وغيرها وما ذكرنا من حديث النسناس والعنقاء وخلق الخيل فغير داخل فى أخبار التواتر الموجبة للعمل واللاحقة بما أوجب العمل دون العلم ولا بالاخبار المضطرة لسامعها الى قبولها عند ورودها واعتقاد صحتها عن مخبرها وهذا النوع من الاخبار قد قدمنا فى خبر الجائز الممكن الذى ليس بواجب انه لاحق بالاسرائيليات

فأمر تدمير النساء فلبسن السلاح ثم صالح المسلمين عليها وفتح سائر الجيوش ما قصدوا اليه من البلاد وأما طارق فلما رأى طليطلة فارغة ضم اليها اليهود وترك معهم رجالا من أصحابه وسار هو الى وادى الحجارة فقطع الجبل من فج فيه فسمى بفج طارق الى اليوم وانتهى الى مدينة خلف الجبل تسمى مدينة المائدة وفيها وجد مائدة سليمان بن داود عليه السلام وهى من زبرجد أخضر حافاتها وأرجلها منها مكللة باللؤلؤ والمرجان والياقوت وغير ذلك وكان لها ثلثمائة وستون رجلا ثم مضى الى مدينة ماية فغنم منها ورجع الى طليطلة فى سنة ثلاث وتسعين وقيل اقتحم أرض جليقية فخرقها حتى انتهى الى مدينة استرقة وانصرف الى طليطلة ووافته جيوشه التى وجهها من استجة بعد فراغهم من فتح تلك المدن التى سيرهم اليها ودخل موسى بن نصير الاندلس فى رمضان سنة ثلاث وتسعين فى جمع كثير وكان قد بلغه ما صنع طارق فحسده فلما عبر الى الاندلس ونزل الجزيرة الخضراء قيل له تسلك طريق طارق فأبى فقال له الادلاء نحن ندلك على طريق أشرف من طريقه ومدائن لم تفتح بعد ووعده يوليان بفتح عظيم فسر بذلك وكان قد غمه فساروا به الى مدينة ابن السليم فافتتحها عنوة ثم سار الى مدينة قرمونة وهى أحصن مدن الاندلس فقدم اليها يوليان وخاصته فاتوهم على حال المنهزمين معهم السلاح فادخلوهم مدينتهم فارسل موسى اليهم الخيل ففتحوها لهم ليلا فدخلها المسلمون وملكوها ثم سار موسى الى اشبيلية وهى من أعظم مدائن الاندلس بنيانا وأعزها آثارا فحصرها أشهرا وفتحها وهرب من بها فانزلها موسى اليهود وسار الى مدينة ماردة فحصرها وقد كان أهلها خرجوا اليه فقاتلوه قتالا شديدا فكمن لهم موسى ليلا فى مقاطع الصخر فلم يرهم الكفار فلما أصبحوا زحف اليهم فخرجوا الى المسلمين على عادتهم فخرجوا عليهم من الكمين وأحدقوا بهم وحالوا بينهم وبين البلد وقتلوهم قتلا ذريعا ونجا من نجا منهم فدخل المدينة وكانت حصينة فحصرهم بها أشهرا وقاتلهم وزحف اليهم بدبابة عملها ونقبوا سورها فخرج أهلها على المسلمين فقتلوهم عند البرج فسمى برج الشهداء الى اليوم ثم افتتحها آخر رمضان سنة أربع وتسعين يوم الفطر صلحا على ان جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين الى جليقية وأموال الكنائس وحليها للمسلمين ثم ان أهل اشبيلية اجتمعوا وقصدوها فقتلوا من بها من المسلمين فسير موسى اليها ابنه عبد العزيز بجيش فحصرها وملكها عنوة وقتل من بها من أهلها وسار عنها الى لبلة وباجة فملكهما وعاد الى اشبيلية وسار أبو موسى من مدينة ماردة فى شوال يريد طليطلة فخرج طارق اليه فلقيه فلما أبصره نزل اليه فضربه موسى بالسوط على رأسه ووبخه على ما كان من خلافه ثم سار به الى مدينة طليطلة فطلب منه ما غنم والمائدة أيضا فأتاه بها وقد انتزع رجلا من أرجلها فسأله عنها فقال لا علم لى كذلك وجدتها فعمل عوضها من ذهب وسار موسى الى سرقسطة ومدائنها فافتتحها وأوغل فى بلاد الفرنج فانتهى الى مفازة كبيرة وأرض سهلة ذات آثار فاصاب فيها صنما قائما فيه مكتوب بالنقر يا بنى اسمعيل الى ههنا منتهاكم فارجعوا وان سألتم الى ماذا ترجعون أخبرتكم انكم ترجعون الى الاختلاف فيما بينكم حتى يضرب بعضكم أعناق بعض وقد فعلتم فرجع ووافاه رسول الوليد فى أثناء ذلك يأمره بالخروج من الاندلس والقفول اليه فساءه ذلك ومطل الرسول وهو يقصد بلاد العدو فى غير ناحية الصنم يقتل ويسبى ويهدم الكنائس ويكسر النواقيس حتى بلغ صخرة بلاى على البحر الاخضر وهو فى قوة وظهور فقدم عليه رسول آخر للوليد يستحثه وأخذ بعنان بغلته وأخرجه وكان موافاة الرسول بمدينة لك بجليقية وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق من الثغر الاعلى فاقفله معه ومضيا جميعا واستخلف موسى على الاندلس ابنه عبد العزيز بن موسى

من الاخبار والاعجاز عن عجائب البحار ولو ما قدمنا آنفا من اشتراطنا على أنفسنا الاختصار والايجاز لذكرنا ما اتصل بهذا المعنى من الاخبار عما رواه أصحاب الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وهم حملة السنن ونقلة الآثار لا يتناكرونه ويعرفونه ولا يدفعونه مع حديث القرد الذى كان فى السفينة فى عهد بنى اسرائيل مع رجل كان يبيع الخمر لاهل السفينة ويشوب الخمر بالماء وأنه جمع من ذلك دراهم كثيرة وان القرد قبض على الكيس الذى كانت فيه الدراهم وصعد على الدور وهو صارى المركب ويدعى بالعراق الرقل فحل الكيس ولم يزل يرمى درهما الى الماء ودرهما الى السفينة حتى قسم ذلك نصفين ومثل ما روى الشعبى عن فاطمة بنت قيس عن النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك قد رواه عن فاطمة بنت قيس عدة من الصحابة وهو خبر تميم الدارى أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر عنه أنه أخبره أنه ركب البحر فى جماعة من بنى عمه فى سفينة فأضل بهم البحر وألقاهم الى جزيرة فنظروا الى دابة عظيمة قد نشرت شعرها

فلما عبر البحر الى سبتة استخلف عليها وعلى طنجة وما والاهما ابنه عبد الملك واستخلف على افريقية وأعمالها ابنه الكبير عبد الله وسار الى الشام وحمل الاموال التى غنمت من الاندلس والذخائر والمائدة ومعه ثلاثون ألف بكر من بنات ملوك القوط وأعيانهم ومن نفيس الجوهر والامتعة مالا يحصى فورد الشام وقد مات الوليد بن عبد الملك واستخلف سليمان بن عبد الملك وكان منحرفا عن موسى بن نصير فعزله عن جميع أعماله وأقصاه وحبسه وأغرمه حتى احتاج ان يسأل العرب فى معونته وقيل انه قدم الشام والوليد حى وكان قد كتب اليه وادعى انه هو الذى فتح الاندلس وأخبره خبر المائدة فلما حضر عنده عرض عليه ما معه وعرض المائدة ومعه طارق فقال طارق انا غنمتها فكذبه موسى فقال طارق للوليد سله عن رجلها المعدومة فسأله عنها فلم يكن عنده منها علم فاظهرها طارق وذكر انه أخفاها لهذا السبب فعلم الوليد صدق طارق وانما فعل هذا لانه كان حبسه وضربه حتى أرسل الوليد فاخرجه وقيل لم يحبسه قالوا ولما دخلت الروم بلاد الاندلس كان فى مملكتهم بيت اذا ولى ملك منهم أقفل عليه قفلا فلما ملك القوط فعلوا كفعلهم فلما ملك رذريق أراد فتح الاقفال فنهاه أكابر أهل البلاد عن ذلك فلم يقبل منهم وفتح الاقفال فرأى فى البيت صور العرب وعليهم العمائم الحمر على خيول شهب وفيه كتاب اذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء القوم هذا البلد ففتحت الاندلس تلك السنة فهذا القدر كاف فى فتح الاندلس ونذكر باقى أخبار الاندلس عند أوقات حدوثها على ما شرطناه ان شاء الله تعالى

﴿ذكر غزوة جزيرة سردانية﴾

هذه الجزيرة فى بحر الروم وهى من أكبر الجزائر ما عدا جزيرة صقلية واقريطش وهى كثيرة الفواكه ولما فتح موسى بلاد الاندلس سير طائفة من عسكره فى البحر الى هذه الجزيرة سنة اثنتين وتسعين فدخلوها وعمد النصارى الى مالهم من آنية ذهب وفضة فالقوا الجميع فى الميناء الذى لهم وجعلوا أموالهم فى سقف بنوه للبيعة العظمى التى لهم تحت السقف الاول وغنم المسلمون فيها مالا يحد ولا يوصف وأكثروا الغلول فاتفق ان رجلا من المسلمين اغتسل فى الميناء فعلقت رجله فى شئ فاخرجه فاذا صحفة من فضة وأخذ المسلمون جميع ما فيه ثم دخل رجل من المسلمين الى تلك الكنيسة فنظر الى حمام فرماه بسهم فاخطأه ووقع فى السقف فانكسر لوح فنزل منه شئ من الدنانير وأخذوا الجميع وازداد المسلمون غلولا فكان بعضهم يذبح الهرة ويرمى ما فى جوفها فيملؤه دنانير ويخيط عليها ويلقيها فى الطريق فاذا خرج أخذها وكان يضع قائم سيفه على الجفن ويملؤه ذهبا فلما ركبوا فى البحر سمعوا قائلا يقول اللهم غرقهم فغرقوا عن آخرهم فوجدوا أكثر الغرقى والدنانير أوساطهم وفى سنة خمس وثلاثين ومائة غزاها عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة الفهرى فقتل من بها قتلا ذريعا ثم صالحوه على الجزية فأخذت منهم وبقيت ولم يغزها بعده أحد فعمرها الروم فلما كانت سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة أخرج اليها المنصور بن القائم العلوى صاحب افريقية اسطولا من المهدية فسير بجنوده ففتحوا المدينة وأوقعوا بأهل سردانية وسبوا فيها وأحرقوا مراكب كثيرة وأخربوا جنوة وغنموا ما فيها وفى سنة ست وأربعمائة غزاها مجاهد العامرى من دانية وكان صاحبها فى البحر فى مائة وعشرين مركبا ففتحها وقتل فاكثر وسبى النساء والذرية فسمع بذلك ملوك الروم فجمعوا اليه وساروا اليه من البر الكبير فى جمع عظيم فاقتتلوا وانهزم المسلمون واخرجوا من جزيرة سردانية وأخذت بعض مراكبهم وأسر أخو مجاهد وابنه على بن مجاهد ورجع بمن بقى الى دانية ولم تغز بعد ذلك وانما ذكرنا جميع اخبارها ههنا لقلتها واذا تفرقت لم تعرف كما يجب

فقالوا لها أيتها الدابة ما أنت فقالت أنا الجساسة التى أخرج آخر الزمان وذكروا عنها كلاما غير هذا وأنها قالت عليكم بصاحبة القصر فنظروا فاذا هم بقصر من حاله ووصفه كذا واذا هم برجل بالحديد والقيود مسلسل الى عمود من حديد وصفه ووجهه كذا وأنه خاطبهم وساءلهم وأنه الدجال وأنه أخبرهم بجمل الملاحم وأنه لا يدخل مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما ذكر فى هذا الحديث وغيره مما ورد من الاخبار فى معناه وهذا باب كبير يتسع وصفه ويعظم شرحه (ثم رجع بنا القول) الى ما كنا فيه آنفا من ذكر أرباع العالم والطبائع وما اتصل بهذا المعنى وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الكلام فى الطبائع وغيرها مما ينبه على عظم هذا الكتاب ومبسوطه وقد زعم جماعة ممن تقدم وتأخر من الاطباء ومصنفى الكتب فى الطبيعيات وغيرها ان للطعام ثلاث انهضامات أما الاول فهى المعدة تهضم الطعام فتأخذ قوته فيصير مثل ماء الكشك ثم تدفعه الى الكبد فى العروق الى جميع الجسد كاندفاع الماء من النهر الى السواقى والمشارب

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصونا ثلاثة وجلا أهل سوسنة الى بلاد الروم وفى هذه السنة غزا قتيبة سجستان فى قول بعضهم وأراد قصد رتبيل الاعظم فلما نزل قتيبة سجستان أرسل رتبيل اليه رسلا بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله الليثى وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم وفيها مات مالك بن أوس بن الحدثان البصرى من ولد نصر بن معاوية بالمدينة وله أربع وتسعون سنة

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين﴾

﴿ذكر صلح خوارزمشاه وفتح خام جرد﴾

وفى هذه السنة صالح قتيبة خوارزمشاه وكان سبب ذلك ان ملك خوارزم كان ضعيفا فغلبه أخوه خرزاد على أمره وكان أصغر منه وكان اذا بلغه ان عند أحد ممن هو منقطع الى الملك جارية أو مالا أو دابة أو بنتا أو اختا أو امرأة جميلة أرسل اليه وأخذه منه وكان لا يمتنع عليه أحد ولا الملك فاذا قيل للملك قال لا أقوى به وهو مغتاظ عليه فلما طال ذلك عليه كتب الى قتيبة يدعوه الى أرضه ليسلمها اليه واشترط عليه ان يدفع اليه أخاه وكل من يضاده ليحكم فيهم بما يرى ولم يطلع أحد من مرازبته على ذلك فأجابه قتيبة الى ما طلب وتجهز للغزو وأظهر قتيبة انه يريد الصغد وسار من مرو وجمع خوارزمشاه أجناده ودهاقنته وقال ان قتيبة يريد الصغد وليس بغازيكم فهلموا نتنعم فى ربيعنا هذا فاقبلوا على الشرب والتنعم فلم يشعروا حتى نزل قتيبة فى هزارسب فقال خوارزمشاه لاصحابه ما ترون قالوا نرى ان نقاتله قال لكنى لا أرى ذلك لانه قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ولكن اصرفه بشئ أؤديه اليه فاجابوه الى ذلك فسار خوارزمشاه فنزل بمدينة الفيل من وراء النهر وهى أحصن بلاده وقتيبة لم يعبر النهر فارسل اليه خوارزمشاه فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع وعلى ان يعينه على خام جرد فقبل قتيبة ذلك وقيل صالحه على مائة ألف رأس ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن الى خام جرد وكان يغازى خوارزمشاه فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه وقدم منهم باربعة آلاف أسير فقتلهم قتيبة وسلم قتيبة الى خوارزمشاه أخاه ومن كان يخالفه فقتلهم ودفع أموالهم الى قتيبة

﴿ذكر فتح سمرقند﴾

فلما قبض قتيبة صلح خوارزمشاه قام اليه المجشر بن مزاحم السلمى فقال له سرا ان أردت الصغد يوما من الدهر فالآن فانهم آمنون من أن تأتيهم عامك هذا وانما بينك وبينهم عشرة أيام فقال أشار عليك بهذا أحد قال لا قال فسمعه منك أحد قال لا قال والله لئن تكلم به أحد لاضربن عنقك فلما كان الغد أمر أخاه عبد الرحمن فسار فى الفرسان والرماة وقدم الاثقال الى مرو فسار يومه فلما أمسى كتب اليه قتيبة اذا أصبحت فوجه الاثقال الى مرو وسر بالفرسان والرماة نحو الصغد واكتم الاخبار فانى فى الاثر ففعل عبد الرحمن ما أمره وخطب قتيبة الناس وقال لهم ان الصغد شاغرة برجلها وقد نقضوا العهد الذى بيننا وصنعوا ما بلغكم وانى أرجو ان يكون خوارزم والصغد كقريظة والنضير ثم سار فاتى الصغد فبلغها بعد عبد الرحمن بثلاث أو أربع وقدم معه أهل خوارزم وبخارا فقاتلوه شهرا من وجه واحد وهم محصورون وخاف أهل الصغد طول الحصار فكتبوا الى ملك الشاش وخاقان واخشاد فرغانة ان العرب ان ظفروا بنا أتوكم بمثل ما أتونا به فانظروا لانفسكم ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها فنظروا وقالوا انما نؤتى من سفلتنا فانهم لا يجدون كوجدنا فانتخبوا من أولاد الملوك وأهل النجدة من ابناء المرازبة والاساورة

فتهضمه باعضاء الجسد البالية فتصيره الى شبهها اللحم لحما والشحم شحما وكذلك العروق والعصب وما سوى ذلك وأن أقدارها اذا استوت استوت أقدار القوى واذا استوت القوى استوى الجسد واعتدل ويصح باذن الله تعالى وأن الزمان أربعة فصول الصيف والخريف والشتاء والربيع فبالصيف تقوى المرة الصفراء ويكثر اهتياجها والخريف يقوى السوداء والشتاء يقوى البلغم والربيع يقوى الدم ثم ينقسم عمر الانسان أربعة أقسام الصبا وفيه تقوى الصفراء والفتوة وفيه يقوى الدم والكهولة وفيه تقوى السوداء والشيخوخة وفيه يقوى البلغم وان البلدان أيضا تنقسم على أربعة أقسام (١) المشرق وطبيعته الحرارة والرطوبة وفيه يقوى الدم والجنوب وطبيعته البرد والرطوبة وفيه تقوى المرة الصفراء وأن بنية الاصول من الجسد بما كانت مستوية معتدلة الاخلاط وربما كان أحد الاخلاط أغلب فى البنية فتظهر قوته باعلامه حتى يكون مقوما لذلك الخلط اذا هاج (وقد

(١) قوله على أربعة أقسام لم يذكر الا اثنين على ما فى أيدينا من النسخ اهـ مصححه

والابطال وأمرهم ان يأتوا عسكر قتيبة فيبيتوه فانه مشغول عنه بحصار سمرقند وولوا عليهم ابنا لخاقان فساروا وبلغ قتيبة الخبر فانتخب من عسكره أربعمائة وقيل ستمائة من أهل النجدة والشجاعة واعلمهم الخبر وأمرهم بالمسير الى عدوهم فساروا وعليهم صالح بن مسلم فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم فجعل صالح له كمينين فلما مضى نصف الليل جاءهم عدوهم فلما رأوا صالحا حملوا عليه فلما اقتتلوا شد الكمينان عن يمين وشمال فلم ير قوم كانوا أشد من أولئك قال بعضهم انا لنقاتلهم اذ رأيت تحت الليل قتيبة وقد جاء سرا فضربت ضربة اعجبتني فقلت كيف ترى بأمي وأبى قال اسكت فض الله فاك قال فقتلناهم فلم يفلت منهم الا الشريد وحوينا أسلابهم وسلاحهم واحتززنا رؤسهم وأسرنا منهم أسرى فسألناهم عمن قتلنا فقالوا ماقتلتم الا ابن ملك أو عظيما أو بطلا كان الرجل يعد بمائة رجل وكتبنا أسماءهم على آذانهم ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا فلم يأت أحد بمثل ماجئنا به من القتلى والاسرى والخيل ومناطق الذهب والسلاح قال واكرمنى قتيبة وأكرم معى جماعة وظننت أنه رأى منهم مثل الذى رأى منى ولما رأى الصغد ذلك انكسروا ونصب قتيبة عليهم المجانيق فرماهم وثلم ثلمة فقام عليها رجل فشتم قتيبة فرماه بعض الرماة فقتله فاعطاه قتيبة عشرة آلاف وسمع بعض المسلمين قتيبة وهو يقول كأنما يناجى نفسه حتى متى ياسمرقند يعشش فيك الشيطان اما والله لئن أصبحت لأحاولن من اهلك أقصى غاية فانصرف ذلك الرجل فقال لاصحابه كم من نفس تموت غدا وأخبر الخبر فلما أصبح قتيبة أمر الناس بالجد فى القتال فقاتلوهم واشتد القتال وأمرهم قتيبة ان يبلغوا ثلمة المدينة فجعلوا الترسة على وجوههم وحملوا فبلغوها ووقفوا عليها ورماهم الصغد بالنشاب فلم يبرحوا فارسل الصغد الى قتيبة فقالوا له انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غدا فقال قتيبة لانصالحهم الا ورجالنا على الثلمة وقيل بل قال قتيبة جزع العبيد انصرفوا على ظفركم فانصرفوا فصالحهم من الغد على ألفى ألف ومائتى ألف مثقال فى كل عام وان يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف فارس وان يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل فيبنى فيها مسجدا ويدخل ويصلى ويخطب ويتغدى ويخرج فلما تم الصلح واخلوا المدينة وبنوا المسجد دخلها قتيبة فى أربعة آلاف انتخبهم فدخل المسجد فصلى فيه وخطب وأكل طعاما ثم أرسل الى الصغد من أراد منكم ان يأخذ متاعه فليأخذ فانى لست خارجا منها ولست آخذ منكم الا ماصالحتكم عليه غير ان الجند يقيمون فيها وقيل انه شرط عليهم فى الصلح مائة ألف فارس وبيوت النيران وحلية الاصنام فقبض ذلك وأتى بالاصنام فكانت كالقصر العظيم وأخذ ماعليها وأمر بها فأحرقت فجاءه غوزك فقال ان شكرك على واجب لاتتعرض لهذه الاصنام فان منها أصناما من أحرقها اهلك فقال قتيبة انا أحرقها بيدى فدعا بالنار فكبر ثم أشعلها فاحترقت فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال وأصاب بالصغد جارية من ولد يزدجرد فارسلها الى الحجاج فارسلها الحجاج الى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد وأمر غوزك بالانتقال عنها فانتقل وقيل ان أهل سمرقند خرجوا على المسلمين وهم يقاتلونهم يوم فتحها وقد أمر قتيبة بمنبر فأبرز وقعد عليه فطاعنوهم حتى جازوا قتيبة وانه لمحتب بسيفه ماحل حبوته وانطوت مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب فهزموهم حتى ردوهم الى عسكرهم وقتل من المشركين عدد كثير ودخلوا المدينة فصالحوهم وصنع غوزك طعاما ودعا قتيبة فاتاه فى عدة من أصحابه فلما بعد استوهب منه سمرقند وقال للملك انتقل عنها فلم يجد بدا من طاعته وتلا قتيبة قوله تعالى وانه أهلك عادا الاولى وثمود فما أبقى وحكى عن الذى أرسله قتيبة الى الحجاج بفتح سمرقند قال فارسلنى الحجاج الى الوليد فقدمت دمشق قبل طلوع الفجر فدخلت

المسجد

قال أبقراط) ينبغى أن يكون كل شئ فى هذا العالم مقدرا على سبعة أجزاء فالنجوم سبعة والاقاليم سبعة وأسنان الناس سبعة أولها طفل ثم صبى الى أربع عشرة سنة ثم غلام الى احدى وعشرين سنة ثم شاب مادام يشب ويقبل الزيادة الى خمس وثلاثين سنة ثم كهل الى الاربعين ثم شيخ الى سبع وأربعين سنة ثم هرم الى آخر العمر وجميع تغير أحوال الحيوان من الناطقين وغيرهم فمن الهواء يكون ذلك وقد قال الحكيم أبقراط ان تغير حالات الهواء هو الذى يغير حالات الناس مرة الى الغضب ومرة الى السكون الى الهم والسرور وغير ذلك واذا استوت حالات الهواء استوت حالات الناس وأخلاقهم وقال ان قوى النفس تابعة لمزاجات الابدان ومزاجات الابدان تابعة لتصرف الهواء اذا برد مرة وسكن أخرى خرج الزرع نضيجا ومرة غير نضيج ومرة قليلا ومرة كثيرا ومرة حارا ومرة باردا فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم واذا اعتدل الهواء واستوى خرج الزرع معتدلا فاعتدل بذلك الصور والمزاجات (فاما علة) تشابه صور الترك فانه لما استوى

المسجد فاذا الى جنبى رجل ضرير فسألنى من أين أنت فقلت من خراسان وأخبرته خبر سمرقند فقال والذى بعث محمدا بالحق ماافتتحتموها الا غدرا وانكم يا أهل خراسان الذين تسلبون بنى أمية ملكهم ثم تنقضون دمشق حجرا حجرا فلما فتح قتيبة سمرقند قيل ان هذا الأعدى العيرين لانه فتح سمرقند وخوارزم فى عام واحد وذلك ان الفارس اذا صرع فى طلق واحد عيرين قيل عادى عيرين فلما فتحها قتيبة دعا نهار بن توسعة فقال يانهار أين قولك

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب
أقاما بمرو الروذ رهن ضريحه * فقد غيبا عن كل شرق ومغرب

أفغزو هذا قال لاهذا أحسن وأنا الذى أقول

وما كان مذ كنا ولا كان قبله * ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم
اعم لاهل الشرك قتلا بسيفه * وأكثر فينا مقسما بعد مقسم

قال وقال الشعراء فى ذلك فقال الكميت من قصيدة

كانت سمرقند أحقابا يمانية * فاليوم تنسبها قيسية مضر

وقال كعب الاشقرى وقيل رجل من جعفى

كل يوم يحوى قتيبة نهبا * ويزيد الاموال مالا جديدا
باهلى قد ألبس التاج حتى * شاب منه مفارق كن سودا
دوخ الصغد بالكتائب حتى * ترك الصغد بالعراء قعودا
فوليد يبكى لفقد أبيه * وأب موجع يبكى الوليدا

ثم رجع قتيبة الى مرو وكان أهل خراسان يقولون ان قتيبة غدر بأهل سمرقند فملكها غدرا وكان عامله على خوارزم اياس بن عبد الله على حربها وكان ضعيفا وكان على خراجها عبيد الله بن أبى عبيد الله مولى مسلم فاستضعف أهل خوارزم اياسا فجمعوا له فكتب عبيد الله الى قتيبة فبعث قتيبة أخاه عبد الله عاملا وأمره ان يضرب اياسا وحيان النبطى مائة مائة ويحلقهما فلما قرب عبد الله من خوارزم أرسل الى اياس فانذره فتنحى وقدم عبد الله وأخذ حيان فضربه وحلقه ثم وجه قتيبة الجنود الى خوارزم مع المغيرة بن عبد الله فبلغهم ذلك فلما قدم المغيرة اعتزل ابناء الذين قتلهم خوارزمشاه وقالوا لا نعينك فهرب الى بلاد الترك وقدم المغيرة فقتل وسبى فصالحه الباقون على الجزية وقدم على قتيبة فاستعمله على نيسابور

❁(ذكر فتح طليطلة من الاندلس)❁

قال أبو جعفر وفى هذه السنة غضب موسى بن نصير على مولاه طارق فسار اليه فى رجب منها واستخلف على افريقية ابنه عبد الله بن موسى وعبر موسى الى طارق فى عشرة آلاف فتلقاه وترضاه فرضى عنه وقبل عذره وسيره الى طليطلة وهى من عظام بلاد الاندلس وهى من قرطبة على عشرين يوما ففتحها وأصاب فيها مائدة سليمان بن داود عليه السلام ومافيها من الذهب والجوهر والله أعلم به قلت لم يزد على هذا وقد ذكرت فى سنة اثنتين وتسعين من فتح الاندلس ودخول موسى بن نصير الى طارق مافيه كفاية فلا حاجة الى اعادته الا ان أبا جعفر قد ذكر ان موسى هو الذى سير طارقا وهو بالاندلس ففتح مدينة طليطلة والذى ذكره أهل الاندلس فى تواريخهم ماتقدم ذكره

❁(ذكر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز)❁

قيل وفى هذه السنة عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن الحجاز والمدينة وكان سبب ذلك ان عمر كتب الى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل العراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق فبلغ ذلك

هواء بلدانهم فى البرد استوت صورهم وتشابهوا وكذلك أهل مصر لما استوت أهواؤهم تشابهت صورهم ولما كان الغالب على هواء الترك البرد وعجزت الحرارة عن تنشيف رطوبات أبدانهم كثرت شحومهم ولانت أبدانهم وتشبهوا بالنساء فى كثير من أخلاقهم فضعفت شهوة الجماع فيهم وقل ولدهم لبرد مزاجهم والرطوبة الغالبة عليهم وقد يكون ضعف الشهوة أيضا لكثرة ركوب الخيل وكذلك نساؤهم لما سمنت أبدانهن ورطبت ضعفت أرحامهن عن جذب الزرع اليها (وأما حمرة ألوانهم) فالبرد كما ذكرنا لان البياض اذا ألح عليه البرودة صار الى الحمرة وبيان ذلك أن أطراف الاصابع والشفة والانف اذا أصابها برد شديد احمرت (وذكر الحكيم) أبقراط أن فى بعض البلدان من الجنوب بلدة كثيرة الامطار كثيرة النبات والعشب وأن أشجارها ذاهبة فى الهواء ومياهها عذبة ودوابها عظيمة وهى مخصبة لان تلك البلاد بلاد لم يلحقها حر الشمس ولم يلحقها يبس البرد فأجسام أهلها عظيمة وصورهم جميلة وأخلاقهم كريمة

الحجاج فكتب الى الوليد ان من عندي من المراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة وان ذلك وهن فكتب اليه الوليد يستشيره فيمن يوليه المدينة ومكة فاشار عليه بخالد ابن عبد الله وعثمان بن حيان فولى خالدا مكة وعثمان المدينة وعزل عمر عنهما فلما خرج عمر من المدينة قال انى أخاف أن أكون ممن نفته المدينة يعني بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفي خبثها وكان عزله عنها في شعبان ولما قدم خالد مكة أخرج من بها من أهل العراق كرها وتهدد من أنزل عراقيا أو آجره دارا واشتد على أهل المدينة وعسفهم وجار فيهم ومنعهم من انزال عراقي وكانوا أيام عمر بن عبد العزيز كل من خاف الحجاج لجأ الى مكة والمدينة وقيل انما استعمل على المدينة عثمان بن حيان وقد تقدم سنة احدى وتسعين ولاية خالد مكة في قول بعضهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح سبسطية والمرزبانين وطرسوس وفيها غزا مروان بن الوليد فبلغ خنجرة وفيها غزا مسلمة الروم أيضا ففتح ماسيسة وحصن الحديد وغزالة من ناحية ملطية وفيها أجدب أهل افريقية فاستسقى موسى بن نصير فسقوا وفيها كتب الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز قبل ان يعزله يأمره بضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير ويصب على رأسه ماء باردا فضربه خمسين سوطا وصب عليه ماء باردا في يوم شات ووقفه على باب المسجد فمات من يومه (خبيب بضم الخاء المعجمة وبياءين موحدتين بينهما ياء تحتها نقطتان) وحج بالناس هذه السنة عبد العزيز بن الوليد وكان على الامصار من تقدم ذكرهم الا المدينة فان عاملها عثمان بن حيان قدمها في شوال لليلتين بقيتا منه وقد تقدم ذكر ولاية خالد بن عبد الله مكة في سنة تسع وثمانين وفي سنة احدى وتسعين فقد ذكرنا انه وليها هذه السنة وفيها مات أبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو العالية البراء واسمه زياد بن فيروز وكان مولى لاعرابية من بني رياح وليس بابي العالية الرياحي ذاك كان موته سنة تسعين وفيها مات بلال بن أبي الدرداء الانصاري قاضي دمشق

﴿ثم دخلت سنة أربع وتسعين * ذكر قتل سعيد بن جبير﴾

قيل وفي هذه السنة قتل سعيد بن جبير وكان سبب قتله خروجه مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان الحجاج قد جعله على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن الى رتبيل لقتاله فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلع فلما هزم عبد الرحمن ودخل بلاد رتبيل هرب سعيد الى أصبهان فكتب الحجاج الى عاملها بأخذ سعيد فخرج العامل من ذلك فأرسل الى سعيد يعرفه ذلك ويأمره بمفارقته فسار عنه فاتى اذربيجان فطال عليه القيام فاغتم بها فخرج الى مكة فكان بها هو وأناس أمثاله يستخفون فلا يخبرون أحدا أسماءهم فلما ولي خالد بن عبد الله مكة قيل لسعيد انه رجل سوء فلو سرت عن مكة فقال والله لقد فررت حتى استحييت من الله وسيجيئني ما كتب الله لي فلما قدم خالد مكة كتب اليه الوليد بحمل أهل العراق الى الحجاج فأخذ سعيد بن جبير ومجاهدا وطلق بن حبيب فارسلهم اليه فمات طلق بالطريق وحبس مجاهد حتى مات الحجاج وكان ممن سيرهم مع حرسيين فانطلق أحدهما لحاجة وبقي الآخر فقال لسعيد وقد استيقظ من نومه ليلا يا سعيد اني ابرأ الى الله من دمك اني رأيت في منامي فقيل لي ويلك تبرأ من دم سعيد بن جبير فاذهب حيث شئت فاني لا أطلبك فأبى سعيد فرأى ذلك الحرسي مثل تلك الرؤيا ثلاثا ويأذن لسعيد في الذهاب وهو لا يفعل فقدموا به الكوفة فأنزل في داره وأتاه قراء الكوفة فجعل يحدثهم وهو يضحك وبنية له في حجره فلما نظرت الى القيد في رجله بكت ثم ادخلوه على الحجاج فلما أتى به قال لعن الله ابن النصرانية يعني خالدا وكان هو ارسله اما كنت اعرف مكانه بلى والله والبيت

الذي

فهم في صورهم وقاماتهم واعتدال طبائعهم يشبهون باعتدال زمان الربيع غير أنهم أصحاب دعة لا يحتملون الشدائد والكد وقال أبقراط في معنى ما وصفنا واليه قصدنا من بيان الاهوية وتأثيرها في الحيوان والنبات ان الروح المطبوعة فيها هي التي تجذب الهواء الينا وان الرياح تقلب الحيوان من حال الى حال ومن حر الى برد ومن يبس الى رطوبة ومن سرور الى حزن وكما تغير ما في البيوت من بدن أو عسل أو فضة أو شراب أو سمن فتسخنها مرة وتبردها أخرى وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها واذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شئ فمن تقدم وعرف أحوال الازمنة وتغيرها والدلائل التي فيها عرف السبب الاعظم من أسباب العالم وتقدم في صحة الابدان (وقال أيضا) ان الجنوب اذا هبت أذابت الهواء وبردته وسخنت البحار والانهار وكل شئ فيه رطوبة وتغير لون كل ذي رطب وحالاته وهي ترخي الابدان والعصب وتورث الكسل وتحدث ثقلا في السماع وغشاوة في البصر لانها تحل المرة وتنزل الرطوبة الى أصل

الذي هو فيه بمكة ثم أقبل عليه فقال يا سعيد ألم أشركك في امامتي ألم أفعل ألم استعملك قال بلى قال فما أخرجك علي قال انما أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة فطابت نفس الحجاج ثم عاوده في شئ فقال انما كانت بيعة في عنقي فغضب الحجاج وانتفخ وقال يا سعيد ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لامير المؤمنين عبد الملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة واليا فجددت البيعة فأخذت بيعتك لامير المؤمنين ثانية قال بلى قال فتنكث بيعتين لامير المؤمنين وتوفي بواحدة للحائك بن الحائك والله لاقتلنك قال اني اذا لسعيد كما سمتني أمي فامر به فضربت رقبته فبدر رأسه عليه كمة بيضاء لاطئة فلما سقط رأسه هلل ثلاثا أفصح بمرة ولم يفصح بمرتين فلما قتل التبس عقل الحجاج فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا انه يريد القيود فقطعوا رجلي سعيد من انصاف ساقيه وأخذوا القيود وكان الحجاج اذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول يا عدو الله فيما قتلتني فيقول مالي ولسعيد بن جبير مالي ولسعيد بن جبير

﴿ذكر غزوة الشاش وفرغانة﴾

في هذه السنة قطع قتيبة النهر وفرض على أهل بخارا وكش ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل فسار وامعه فوجههم الى الشاش وتوجه هو الى فرغانة فأتى خجندة فجمع له أهلها فلقوه فاقتتلوا مرارا كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ثم ان قتيبة أتى كاشان مدينة فرغانة وأتاه الجنود الذين وجههم الى الشاش وقد فتحوها وأحرقوا أكثرها وانصرف الى مرو وقال سحبان يذكر قتالهم بخجندة

فسل الفوارس في خجندة * تحت مرهفة العوالي
هل كنت أجمعهم اذا * هزموا واقدم في القتال
أم كنت اضرب هامة الـ * عاتي واصبر للموالي
هذا وأنت قريع قيـ * ـس كلها ضخم النوال
وفضلت قيسا في الندى * وأبوك في الحجج الخوالي
ولقد تبين عدل حكـ * ـمك فيهم في كل حال
تمت مروأتكم ونا * غى عزكم غلب الجبال

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة غزا العباس بن الوليد أرض الروم ففتح انطاكية وفيها غزا عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطي برج الحمام ويزيد بن أبي كبشة أرض سورية وفيها كانت الزلازل بالشام ودامت أربعين يوما فخربت البلاد وكان عظم ذلك في انطاكية وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند وتوفي في هذه السنة علي بن الحسين في أولها ثم عروة بن الزبير ثم سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام واستقضى الوليد على الشام سليمان ابن حبيب وحج بالناس مسلمة بن عبد الملك وقيل عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وكان العامل بمكة خالد بن عبد الله وبالمدينة عثمان بن حيان وبمصر قرة بن شريك وبخراسان قتيبة من قبل الحجاج

﴿ثم دخلت سنة خمس وتسعين * ذكر غزوة الشاش﴾

قيل وفي هذه السنة بعث الحجاج جيشا من العراق الى قتيبة فغزا بهم فلما كان بالشاش أو بكشماهان أتاه موت الحجاج في شوال منها فغمه ذلك وتمثل بقول

لعمري لنعم المرء من آل جعفر * بحوران امسى اعلقته الحبائل
فان تحي لي املك حياتي وان تمت * فما في حياة بعد موتك طائل

ورجع الى مرو وتفرق الناس فاتاه كتاب الوليد قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك

العصب الذي يكون فيه الحس وأما الشمال فانها تطب الابدان وتصح الادمغة وتحسن اللون وتصفي الحواس وتقوي الشهية والحركة غير أنها تحرك السعال ووجع الصدر (وقد) زعم بعض من تأخر في الاسلام من الحكما أن الجنوب اذا هب بأرض العراق تغير الورد وتناثر الورق وسخن الماء واسترخت الابدان وتكدر الهواء قال وذلك شبه ما قال أبقراط ان الصيف أو بأمن الشتاء لانه يسخن الابدان فيرخيها ويضعف قواها وان أهل العراق يكون الرجل منهم نائما في فراشه يسخن بهبوبها وانه اذا هبت الشمال برد الخاتم في أصبعه واتسع لانضمام البدن بها واذا هبت الجنوب سخن الخاتم وضاق واسترخى البدن وحدث فيه الكسل وهذا يجده سائر من بالعراق ممن له حس اذا صرف همته الى تأمل ذلك وكذلك يجده من تأمل ما وصفنا في سائر الامصار في بقاع الارض والبلدان واذا كان ذلك بالعراق فهو أظهر لعموم الاعتدال (ثم قال الحكيم) أبقراط في معنى ما ذكرنا ان الرياح العامة أربعة احداها تهب من جهة المشرق وهي القبول والثانية تهب من المغرب وهي الدبور

في جهاد اعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي يجب لك فأتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأني انظر الى بلادك والثغر الذي أنت فيه

﴿ ذكر وفاة الحجاج بن يوسف ﴾

قيل ان عمر بن عبد العزيز ذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من ولاة الامصار أيام الوليد بن عبد الملك فقال الحجاج بالعراق والوليد بالشام وقرة بمصر وعثمان بالمدينة وخالد بمكة اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا فأرح الناس فلم يمض غير قليل حتى توفي الحجاج وقرة بن شريك في شهر واحد ثم تبعهم الوليد وعزل عثمان وخالد واستجاب الله لعمر وما أشبه هذه القصة بقصة ابن عمر مع زياد ابن أبيه حيث كتب الى معاوية يقول له قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة يعرض بامارة الحجاز فقال ابن عمر لما بلغه ذلك اللهم أرحنا من يمين زياد وأرح أهل العراق من شماله فكان أوّل خبر جاءه موت زياد وكانت وفاة الحجاج في شوّال سنة خمس وتسعين وقيل كانت وفاته لخمس بقين من شهر رمضان وله من العمر أربع وخمسون سنة وقيل ثلاث وخمسون سنة وكانت ولايته العراق عشرين سنة ولما حضرته الوفاة استخلف على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج واستخلف على حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كبشة وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم فأقرهما الوليد بعد موته ولم يغير أحدا من عمال الحجاج

﴿ ذكر نسبه وشيء من سيرته ﴾

هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف أبو محمد الثقفي قال قتيبة بن مسلم خطبنا الحجاج فذكر القبر فما زال يقول انه بيت الوحدة انه بيت الغربة وبيت كذا وكذا حتى بكى وأبكى ثم قال سمعت أمير المؤمنين عبد الملك يقول سمعت مروان يقول في خطبته خطبنا عثمان فقال في خطبته ما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قبر أو ذكره الا بكى وقد روى أحاديث غير هذا عن ابن عباس وأنس وقال ابن عوف كنت اذا سمعت الحجاج يقرأ عرفت انه طالما درس القرآن وقال أبو عمرو ابن العلاء ما رأيت أفصح من الحجاج ومن الحسن وكان الحسن أفصح وقال عبد الملك بن عمير قال الحجاج يوما من كان له بلاء فليقم فلنعطه على بلائه فقام رجل فقال اعطني على بلائي قال وما بلاؤك قال قتلت الحسين قال فكيف قتلته قال دسرته بالرمح دسرا وهبرته بالسيف هبرا وما اشركت معي في قتله أحدا قال فانك لا تجتمع أنت وهو في مكان واحد ثم قال اخرج ولم يعطه شيأ قيل وكتب عبد الملك الى الحجاج يأمره بقتل اسلم بن عبد البكري بشيء بلغه عنه فاحضره الحجاج فقال أمير المؤمنين غائب وأنت حاضر والله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية والذي بلغه عني باطل فاكتب الى أمير المؤمنين اني أعول أربعا وعشرين امرأة وهن بالباب فاحضرهن فهذه أمه وهذه عمته وزوجته وابنته وكان في آخرهن جارية قاربت عشر سنين فقال لها من أنت منه قالت ابنته أصلح الله الامير ثم انشأت تقول

أحجاج لم تشهد مقام بناته * وعماته يندبنه الليل أجمعا

أحجاج لم تقتل به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا

أحجاج من هذا يقوم مقامه * علينا فهلا ان تزدنا تضعضعا

أحجاج اما ان تجود بنعمة * علينا واما ان تقتلنا معا

فبكى الحجاج وقال والله لا أعنت الدهر عليكن ولا زدتكن تضعضعا وكتب الى عبد الملك بخبر الرجل والجارية فكتب اليه عبد الملك ان كان الامر كما ذكرت فاحسن صلته وتفقد الجارية ففعل وقال

والثالثة من التيمن وهي الجنوب والرابعة من التيسر وهي الشمال (قال المسعودي) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب جوامع من الاخبار عن الطبائع والاهوية والبلدان وأنواع الارض من العامر والغامر وغير ذلك مما تقدم ذكره وانتظم تصنيفه واتصل بحمد الله ايراده فرأينا أن نختم هذا الباب بجوامع من مساحات الممالك وما بينها من البعد والقرب على حسب ما حكاه الفزاري صاحب كتاب الزيج والقصيدة في هيئة النجوم والفلك زعم الفزاري أن عمل أمير المؤمنين من فرغانة وأقصى خراسان الى طنجة بالمغرب ثلاثة آلاف وسبعمائة فرسخ والعرض من باب الابواب الى جدة ستمائة فرسخ ومن الباب الى بغداد ثلثمائة فرسخ ومن مكة الى جدة اثنان وثلاثون ميلا (عمل الصين) من المشرق أحد وثلاثون ألف فرسخ في أحد عشر ألف فرسخ (عمل الهند) في المشرق أحد عشر ألف فرسخ في سبعة آلاف فرسخ (عمل التبت) خمسمائة فرسخ في مائتين وثلاثين فرسخا (عمل ماين شاه)

عاصم بن بهدلة سمعت الحجاج يقول اتقوا الله ما استطعتم هذا والله مثنوية واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لانفسكم ليس فيه مثنوية والله لو أمرتكم ان تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا حلت لي دماؤكم ولا أجد أحدا يقرأ على قراءة ابن أم عبد يعني ابن مسعود الاضربت عنقه ولاحككتها من المصحف ولو بضلع خنزير وقد ذكر ذلك عند الاعمش فقال وانا سمعته يقول فقلت في نفسي لاقرأنها على رغم أنفك قال الاوزاعي قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم قال منصور سألنا ابراهيم الشعبي عن الحجاج فقال ألم يقل الله ألا لعنة الله على الظالمين قال الشافعي بلغني ان عبد الملك بن مروان قال للحجاج ما من أحد الا وهو عارف بعيوب نفسه فعب نفسك ولا تخبأ منها شيأ قال يا أمير المؤمنين انا لجوج حقود فقال له عبد الملك اذا بينك وبين ابليس نسب فقال ان الشيطان اذا رآني سالمني قال الحسن سمعت عليا على المنبر يقول اللهم ائتمنتهم فخانوني ونصحتهم فغشوني اللهم فسلط عليهم غلام ثقيف يحكم في دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية فوصفه وهو يقول الزيال مفجر الانهار يأكل خضرتها ويلبس فروتها قال الحسن هذه والله صفة الحجاج قال حبيب بن أبي ثابت قال علي لرجل لا تموت حتى تدرك فتى ثقيف قيل له يا أمير المؤمنين ما فتى ثقيف قال ليقالن له يوم القيامة اكفنا زاوية من زوايا جهنم رجل يملك عشرين أو بضعا وعشرين سنة لا يدع لله معصية الا ارتكبها حتى لو لم تبق الا معصية واحدة وبينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها يقتل بمن أطاعه من عصاه وقيل أحصي من قتله الحجاج صبرا فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا وقيل ان الحجاج مر بخالد بن يزيد بن معاوية وهو يخطر في مشيته فقال رجل لخالد من هذا قال خالد بخ بخ هذا عمرو بن العاص فسمعهما الحجاج فرجع وقال والله ما يسرني ان العاص ولدني ولكني ابن الاشياخ من ثقيف والعقائل من قريش وأنا الذي ضربت بسيفي هذا مائة ألف كلهم يشهد ان أباك كان يشرب الخمر ويضمر الكفر ثم ولى وهو يقول بخ بخ عمرو بن العاص فهو قد اعترف في بعض أيامه بمائة ألف قتيل على ذنب واحد

﴿ ذكر ما فعله محمد بن القاسم بعد موت الحجاج وقتله ﴾

لما مات الحجاج بن يوسف كان محمد بن القاسم بالملتان فأتاه خبر وفاته فرجع الى الرور والبغرور وكان قد فتحهما فاعطى الناس ووجه الى البيلمان جيشا فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة وسأله أهل سرشت وهي مغزى أهل البصرة وأهلها يقطعون في البحر ثم أتى محمد الكيرج فخرج اليه دوهر فقاتله فانهزم دوهر وهرب وقيل بل قتل ونزل أهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبى قال الشاعر

نحن قتلنا داهرا ودوهرا * والخيل تردى منسرا فمنسرا

ومات الوليد بن عبد الملك وولي سليمان بن عبد الملك فولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي السند فاخذ محمدا وقيده وحمله الى العراق فقال محمد متمثلا

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فبكى أهل السند على محمد فلما وصل الى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فقال

فلئن ثويت بواسط وبأرضها * رهن الحديد مكبلا مغلولا

فلرب قينة فارس قد رعتها * ولرب قرن قد تركت قتيلا

وقال

ولو كنت أجمعت الفرار لوطئت * اناث أعدت للوغى وذكور

وما دخلت خيل السكاسك أرضنا * ولا كان من عك علي أمير

وما كنت للعبد المزوني تابعا * فيالك دهر بالكرام عثور

فعذبه صالح في رجال من آل أبي عقيل حتى قتلهم وكان الحجاج قتل آدم أخا صالح وكان يرى رأي

أربعمائة فرسخ في ستين فرسخا (عمل البلغار) بالترك ألف فرسخ وخمسمائة فرسخ (عمل الترك) بخاقان سبعمائة فرسخ في خمسمائة فرسخ (عمل برجان) ألف وخمسمائة فرسخ في ثلثمائة فرسخ (عمل الصقالبة) ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة فرسخ وعشرين فرسخا (عمل الروم) ثلاثة آلاف فرسخ في سبعمائة فرسخ (عمل الاندلس) لعبد الرحمن بن معاوية ثلثمائة فرسخ (عمل ادريس) الفاطمي ألف ومائتا فرسخ في مائة وعشرين فرسخا (عمل فاس) لابي المنتصر أربعمائة فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل سجلماسة) ألفان وخمسمائة فرسخ في ستمائة فرسخ (عمل غانة) بلاد الذهب ألف فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل ذمار) مائتا فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل بجلة) مائة فرسخ وعشرون فرسخا في ستين فرسخا (عمل واح) ستون فرسخا في أربعين فرسخا (عمل البجة) مائتا فرسخ في ثمانين فرسخا (عمل النجاشي) ألف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة فرسخ بالمغرب (عمل الزنج) بالمشرق وبلاد صعدة ألف وستمائة فرسخ في مائتين وخمسين فرسخا فذلك الطول اثنان وسبعون ألفا وأربعمائة

الخوارج وقال حمزة بن بيض الحنفى يرثى محمدا

ان المروأة والسماحة والندى * لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة * باقرب ذلك سوددا من مولد

وقال آخر

ساس الرجال لسبع عشرة حجة * ولداته اذ ذاك فى أشغال

ومات يزيد بن أبى كبشة بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوما واستعمل سليمان بن عبد الملك على السند حبيب بن المهلب فقدمها وقد رجع ملوك السند الى ممالكهم ورجع جيشبة بن ذاهر الى برهمناباذ فنزل حبيب على شاطئ مهران فاعطاه أهل الرور الطاعة وحارب قوما فظفر بهم ثم مات سليمان واستخلف عمر بن عبد العزيز فكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام والطاعة على ان يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فاسلم جيشبة والملوك وتسموا باسماء العرب وكان عمرو بن مسلم الباهلى عامل عمر على ذلك الثغر فغزا بعض الهند فظفر ثم ان الجنيد بن عبد الرحمن ولى السند أيام هشام بن عبد الملك فأتى الجنيد شط مهران فمنعه جيشبة بن ذاهر العبور وأرسل اليه انى قد أسلمت وولانى الرجل الصالح بلادى ولست آمنك فاعطاه رهنا وأخذ منه رهنا على خراج بلاده ثم ترادا وكفر جيشبة وحارب وقيل انه لم يحارب ولكن الجنيد تجنى عليه فأتى الهند فجمع جموعا وأعد السفن واستعد للحرب فسار اليه الجنيد بالسفن فالتقوا فى بطيحة فاخذ جيشبة أسيرا وقد جنحت سفينته فقتله الجنيد وهرب صصة بن ذاهر وهو يريد ان يمضى الى العراق فيشكو غدر الجنيد فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده فى يده فقتله وغزا الجنيد الكيرج وكانوا قد نقضوا فاتخذ اكبشا وصك بها سور المدينة فثلمه ودخلها فقتل وسبى ووجه العمال الى المرمذ والمندل ودهنج وبروج وكان الجنيد يقول القتل فى الجزع أكبر منه فى الصبر ووجه جيشا الى أزين فاغاروا عليها وحرقوا ربضها وفتح البيلمان وحصل عنده سوى ما حمل أربعين ألف ألف وحمل مثلها وولى الجنيد تميم بن زيد القينى فضعف ووهن ومات قريبا من الديبل وفى أيامه خرج المسلمون عن بلاد الهند ورفضوا مراكزهم ثم ولى الحكم بن عوام الكلبى وقد كفر أهل الهند الا أهل قصة فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى للمسلمين وكان معه عمرو بن محمد بن القاسم وكان يفوض اليه عظيم الامور فاغزاه من المحفوظة فلما قدم عليه وقد ظفر أمره فبنى مدينة وسماها المنصورة فهى التى ينزلها الامراء واستخلص ما كان قد غلب عليه العدو ورضى الناس بولايته وكان خالد القسرى يقول واعجبا وليت فتى العرب يعنى تميما فرفض وترك ووليت ابخل العرب فرضى به ثم قتل الحكم وكان العمال يقاتلون العدو فكانوا يفتتحون ناحية ويأخذون ما تيسر لهم لضعف الدولة الاموية بعد ذلك الى ان جاءت الدولة المباركة العباسية ونحن نذكر ان شاء الله أيام المأمون بقية أخبار السند

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقلة وغيرها وفيها فتح آخر الهند الا الكيرج والمندل وفى هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين وفيها قتل الوضاحى بارض الروم ونحو ألف رجل معه وفيها ولد المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس وحج بالناس هذه السنة كثير بن الوليد بن عبد الملك وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم وفيها مات أبو عثمان النهدى اسمه عبد الرحمن بن مل وكان عمره مائة وثلاثين سنة وقيل فى موته غير ذلك وفيها مات سعد ابن اياس أبو عمرو الشيبانى وله مائة وعشرون سنة وفى امارة الحجاج مات سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى هذه السنة مات سالم بن أبى الجعد وفيها مات جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى وهو أخو عبد الله بن مروان من الرضاعة وفى امارة الحجاج قتل أبو الاحوص عوف بن مالك بن نضلة الجشمى الكوفى قتله الخوارج

﴿تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس وأوله ثم دخلت سنة ست وتسعين﴾

وثمانون فرسخا والعرض خمسة وعشرون ألفا ومائتان وخمسون فرسخا وأما الكلام فى وصف أصول الطب وهل ذلك مأخوذ من طريق الرياضة والقياس أو من غيره ووصف تنازع الناس فى ذلك فلم نتعرض لايراده فى هذا الكتاب وان كان متعلقا ومتصلا بالكلام فى الطبائع وجمل المعانى المذكورة فى هذا الباب لانا قد أوردناه فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار الواثق على ايضاح جرى بحضرته وقد حضر مجلسه حنين بن اسحق وابن ماسويه وغيرهم من الفلاسفة والمتطببين فاغنى ذلك عن ايراده فى هذا الباب ولولا ان الكتاب يرد على اغراض من الناس لما هم عليه من اختلاف الطبائع والتباين فى المراد لما ذكرنا ما يورد فيه من أنواع العلوم وفنون الاخبار وقد يلحق الانسان الملل بقراءته ما لا تهوى نفسه فينتقل منه الى غيره فقصدنا فيه من سائر ما يحتاج الناس من ذوى المعرفة الى علمه ولما تغلغل الكلام فى نظمه وتشعبه واتصاله بغيره من المعانى مما لم يتقدم ذكره وقد أتينا على مبسوط سائر ما ذكرناه على الاتساع والايضاح فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط والله تعالى أعلم